أعلام المسلمين
٩٧



عمر بن الخطاب رضي الله عنه

الخليفة الراشدي العظيم والإمام العادل الرحيم

بقلم
عبد الستار الشيخ



دمشق

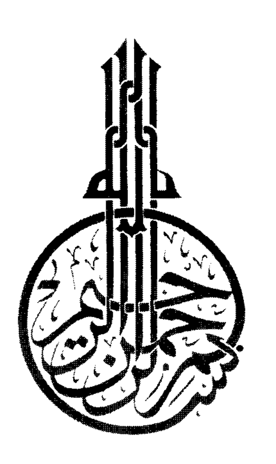
أعلام المسلمين
٩٧

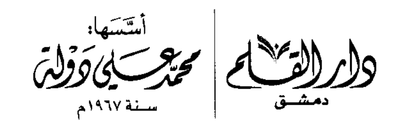


الخليفة الراشدي العظيم
والإمام العادل الرحيم

بقلم
عبد الستار الشيخ

دار القلم
دمشق


بسم الله الرحمن الرحيم



الطبعة الأولى
١٤٣٣ هـ ـ ٢٠١٢م

تُطلب جميع كتبنا من:

دار القلم ـ دمشق

هاتف: ٢٢٢٩١٧٧ فاكس: ٢٢٥٥٧٣٨ ص.ب: ٤٥٢٣

www.alkalam-sy.com

الدار الشامية ـ بيروت

هاتف: ٨٥٧٢٢٢ (٠١) فاكس: ٨٥٧٤٤٤ (٠١)

ص.ب: ١١٣/٦٥٠١

توزّع جميع كتبنا في السعودية عن طريق:

دار البشير ـ جدّة

٢١٤٦١ ص.ب: ٢٨٩٥ هاتف: ٦٦٥٧٦٢١ فاكس: ٦٦٠٨٩٠٤

هذا الرجل

●● قال الله تعالى:

ـ ﴿وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحريم : ٤].

ـ ﴿۞ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح : ١٨].

ـ ﴿وَٱلسَّابِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَاجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة : ١٠٠].

ـ ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَاهَدُوا۟ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال : ٧٤].

* * *

●● قال رسول الله ﷺ:

ـ «لو كانَ بَعْدِي نَبِيٌّ لكانَ عمرَ بنَ الخطاب».

ـ «إنَّ اللهَ جعلَ الحَقَّ على لسانِ عمرَ وقَلْبِه».

- «لقد كان فيما قَبْلَكم من الأُمم ناسٌ مُحَدَّثُون ، فإنْ يكُ في أُمَّتي أحدٌ فإنَّه عُمر» .

- «إيهاً يا ابنَ الخطَّابِ ، والذي نَفْسِي بيدِهِ ما لَقِيَـكَ الشيطانُ سالِكاً فَجّاً قَطُّ إلا سَلَكَ فَجّاً غيرَ فَجِّكَ» .

- «إنِّي لا أَدْرِي ما قَدْرُ بَقائي فيكم ، فاقْتَدُوا باللَّذَيْنِ من بَعْدِي» وأشارَ إلى أبي بكر وعمر .

- «بَيْنَما أنا على بِئْر أَنْزِع منها ، جاءني أبو بكر وعمرُ ، فأَخذ أبو بكر الدَّلْوَ فنَزَعَ ذَنُوباً أو ذَنُوبَيْن وفي نَزْعِه ضَعْفٌ واللهُ يغفرُ له ، ثم أَخذَها ابنُ الخطَّاب من يدِ أبي بكر فاسْتَحالَتْ في يدِه غَرْباً ، فلم أَرَ عَبْقرِيّاً من الناسِ يَفْرِي فَرِيَّـهُ ، فَنَزَعَ حتى ضَرَبَ الناسُ بِعَطَنٍ» .

* * *

●● قال الفاروق عمر رضي الله عنه:

- (متى استَعْبَدْتُم الناسَ وقد وَلَدَتْهُم أُمَّهَاتُهم أَحْراراً) .

- (إنَّا كنَّا أَذَلَّ قومٍ فأَعَزَّنَا اللهُ بالإسلامِ ، فمهما نَطْلُبُ العِزَّ بغيرِ ما أَعَزَّنَا الله به أَذَلَّنا الله) .

- (ولستُ أَدَعُ أحداً يَظْلِمُ أحداً ويتعدَّى عليه حتى أَضَعَ خَدَّهُ على الأرضِ ، وأَضَعَ قدمي على الخدِّ الآخَر حتى يُذْعِن للحقِّ! وإني بعدَ شدَّتي تلك أَضَعُ خدِّي على الأرضِ لأهلِ العَفافِ وأهلِ الكَفَافِ!) .

- (اللهمَّ إِنْ كنتَ تعلمُ أنِّي أُبالي إذا قعدَ الخَصْمانِ بين يديَّ على مَنْ

كان الحق ، من قريبٍ أو بعيدٍ ، فلا تُمْهِلْني طرفةَ عينٍ) .

ـ (الحمدُ لله الذي جعلَ فيكم ـ أصحابَ محمدٍ ﷺ ـ مَن الذي إذا رأَى مِنِّي أمراً يُنْكِره قوَّمَني) .

ـ (إنِّي لم أستعمِلَ عليكم عمَّالي ليضربوا أَبْشَارَكم ، وليشتموا أعراضكم ، ويأخذوا أموالكم ، ولكني استعملتُهم ليعلِّموكم كتابَ ربِّكم وسنَّةَ نبيِّكم ، فمن ظَلَمَه عامله بِمَظْلِمَةٍ فلا إِذْنَ له عليَّ ، لِيرفَعْها إليَّ حتى أُقِصَّه منه) .

ـ تَقَرْقَر بطنُ عمر وكان يأكلُ الزيتَ عام الرَّمادة ، وكان حَرَّم عليه السَّمْنَ ، فنَقَر بطنَه بإصبعه وقال : (تقرقر تقرقرك ، إنه ليس لك عندنا غيره حتى يحيا الناس) .

وقال : (لَتَمْرُنَنَّ أيها البطنُ على الزيتِ ما دام السَّمْنُ يُباع بالأَوَاقي) .

ـ (لو مات جملٌ ضَيَاعاً بشاطئ الفرات ، لخشيتُ أن يسألَني الله عنه) .

ـ (لَئِنْ سَلَّمَني الله لأَدَعنَّ أراملَ أهلِ العراق لا يَحْتَجْنَ إلى رجلٍ بعدي أبداً) .

ـ (اللهم ارزقني شهادة في سبيلك ، واجعل موتي في بلد رسولك ﷺ) .

ـ (يا عبد الله بن عمر ضَعْ خدِّي بالأرض ، ويلي وويل أمي إنْ لم يغفر الله لي) .

ـ (والله لو أنَّ لي طِلَاعَ الأرضِ ذَهَباً ، لافتديتُ له من عذابِ الله عز وجل قبل أن أراه) .

* * *

المقدمة

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ، ملءَ السموات وملءَ الأرض وملءَ ما شاء من شيء بعد .

أحمده سبحانه حمداً كما ينبغي لكرمِ وجهه وعزِّ جلاله .

وأستهديه بهداه الذي لا يَضِلُّ مَن أنعم به عليه .

وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له؛ كلمة قامت بها الأرض والسموات ، وفطر عليها جميع المخلوقات .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، وخيرته من خلقه ، وحجته على عباده ، وأمينه على وحيه ، أرسله بالهدى ودين الحق بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً. صلى الله عليه في الأولين والآخرين أفضل وأكثر وأزكى ما صلى على أحد من خلقه إلى يوم الدين .

ورضي الله عن خلفائه الراشدين الهادين المهديين ، والعشرة المبشرين ، والمهاجرين الأخيار والأنصار الأطهار الذين آمنوا به واتبعوا النور الذي أنزل معه ، وأيدوا قواعد الإسلام وفتحوا البلاد ومصَّروا الأمصار وأقاموا دولة القرآن بالحق والعدل والمساواة والكرامة والحرية وحفظ الأنفس والأعراض والعقول والأموال .

وبعد: فإن الكتابـة في سيرة عمر رغيبة نفسي ومهوى فؤادي ومرتع روحـي وأشـواق قلمـي. . . وكيـف لا يكـون ذلـك كـذلـك وسيـدنـا رسول الله ﷺ كان يتمنى على ربه سبحانه ويدعوه أن يُعِزَّ الإسلامَ بعمر، وعندما أسلم ارتجت مكة وكانت نقطة تحوُّل كبرى في مسيرة الإسلام!.

ولِمَ لا أسعدُ ويسعد كل مسلم وهو يسمع النبي ﷺ يُفاخِر بعمر ويقول: «**أُومِنُ بهذا أنا وأبو بكر وعمر**»، «**جئتُ أنا وأبو بكر وعمر**»، «**دخلتُ أنا وأبو بكر وعمر**»، «**خرجتُ أنا وأبو بكر**»!.

بل كيف لا يسعد بقراءة سيرة عمر وسماع أخباره كل رجل حر كريم يريد الحق، وهو يصغي إلى الرسول الأعظم ﷺ يصف عمر فيقول: «**إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه**»!.

وكيف لا يهنأ بناةُ الحضارة والقيِّمون على حماية الأخلاق والقيم النبيلة من عَبَث الشيطان وتلامذة الشيطان، عندما نقصُّ عليهم من أنباء عمر ما حدَّثَنا به المعصوم ﷺ وهو يخاطب عمر فيقول: «**إيْهاً يا ابنَ الخطاب، والذي نفسي بيده ما لَقِيكَ الشيطان سالكاً فَجّاً قط إلا سَلَكَ فجّاً غيرَ فجِّك**»!.

وكيف لا ننصت ـنحن المسلمين ـ بوعي كامل وتأمل دائم إلى نبينا ﷺ وهو يحدثنا عن عمر وصفاته وأعماله ودولته فيقول: «**فلم أرَ عبقريّاً من الناس يَفْرِي فَرِيَّـه**»!.

ويأمرنا ﷺ ولا بد من الطاعة، وقد بيَّن لنا مبرراتها، فيقول: «**اقتدوا باللذَيْن من بعدي**» وأشار إلى أبي بكر وعمر!.

هذه عناوين عريضة في سيرة الفاروق، والتفاصيلُ تدهش العقول

وتحيِّر الأبصار وتشنِّف الأسماع وتُسعد الأرواح وتُنعِش النفوس وتبعث الآمال وتخفِّف الأثقال.

عمر وما أدراك ما عمر! إنه رجل لا كالرجال، رجل عبقري ممتاز من خاصة الخليقة، وهو في عظماء الرجال أشبه ببيت القصيد في القصيدة العصماء، جمع جوانب العظمة من أطرافها.

فهو الرجل المؤمن العابد الزاهد الخاشع المتبتِّل المتواضع، المجاهد المقدام، الصادق الصريح القوال بالحق، العبقري الملهم، العالم الأديب البليغ الخطيب، المحدث الفقيه المجتهد، المفكر السياسي، القائد العسكري الفذ الفاتح العظيم، القوي الأمين، المبشر بالجنة، شهيد المحراب، أمير المؤمنين.

وهذه الصفات كلها بارزة متكافئة في القوة والظهور في شخصيته، ولسنا نبالغ في هذا ولا نتألَّى على الحقيقة.

أسلم عمر جهاراً وهاجر نهاراً، وكان للنبي ﷺ وزيره الثاني مع الصدِّيق، وحارسه الأمين الصلب الجريء القوي القائم من بين يديه ﷺ ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله، وكل الصحابة كانوا حراساً أمناء للرسول ﷺ ودعوته، إلا أن عمر كان أجهَرَهم في هذا المقام صوتاً وأجرأَهم قلباً وأطولَهم يداً وأسرعَهم قولاً، وكان كالسَّبُع الحَرِب على كل من يحوم حول رسول الله ﷺ من المشركين والمنافقين والخاطئين، فما أكثر ما كان يجيء صوت عمر الجَهْوَرِيّ: دَعْني يا رسول الله فلأضربْ عنقه!.

وبَلَغ عمر من شفافية النفس وطهر الروح ونقاء القلب وتحليق الفكر أنه يُهْمَس في خاطره من عالم الغيب بحديث، فيملك عليه أقطار نفسه،

ويلحُّ عليه حتى يصارح به النبيَّ ﷺ فيتقدم بين يديه بآراء ومقترحات وتمنيات: فيتمنى تحريم الخمر ، ويطلب من الرسول ﷺ أن يتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ، وأن يضرب الحجاب على نسائه ، وأن لا يصلي على المنافقين ، وأن يقتل أسارى بدر. . . فيتنزل الوحي بآيات تتلى موافقة لرأي عمر ، وهي ما عُرف بـ (**موافَقَات عمر**).

وعاش في ظلال النبي ﷺ وتأدب بآدابه الرفيعة ، وجاهد معه وتحت لوائه ولم يَغِبْ عن غزوة غزاها ، وثبت معه في أقسى الظروف ، وفداه بنفسه وماله وولده ، وبلغ حبه له درجة جعلَتْه يوم وفاته ﷺ يتهدَّد كل من يقول: إن النبي ﷺ قد مات.

وفي مدرسة النبوة صُقلت مواهب عمر ونمت ملكاته ومؤهلاته ، وصِيغَتْ شخصيته المتفردة التي تتمحور على ركائز ضخمة؛ هي: العبقرية ، والإلهام والفراسة ، والصلابة والصرامة ، والشجاعة والجرأة والجد في الأمور ، والصراحة المطلقة ، والهيبة في النفوس ، واليقظة المستمرة مع الشعور العجيب بالمسؤولية العميمة ، وسرعة التفاعل مع الأحداث والاستجابة لها وعلاجها. ويحرس ذلك ويحميه: العلم الباهر والنظام الدقيق والزهد والورع والإخلاص والتواضع والحلم والرقة والرحمة ومحاسبة النفس والغيرة على الدين والعرض والمال.

وفي محاريب العبادة والطاعة كان مكافئاً لأعماله في الميادين الأخرى ، فكان يصلي بالناس ويقرأ في الفجر بسورة يوسف وسورة الحج قراءة بطيئة! وعندما طُعِن في صلاة الصبح وكان جرحه يَـثْعَب دماً وقد أُغمي عليه ، قالوا له: الصلاةَ يا أمير المؤمنين! فأفاق من إغماءته وقال: الصلاة ، ولا حَظَّ في الإسلام لمن ترك الصلاة. وصلى الفجر

صلاة خفيفة. وكان خاشعاً بكَّاءً كثيراً ما سمع الناس نشيجَه في صلاته وهم في آخر الصفوف، وحجَّ إحدى عشرة حجة إحداها مع النبي ﷺ في حجة الوداع. وكان يصوم الدهر، وصدقاته مضرب المثل وكان يباري في ذلك أبا بكر ولكن أبا بكر كان يسبقه.

وبعد وفاة رسول الله ﷺ كان مع الصديق في خلافته الرجلَ الأبرز في الدولة، وابتدأ ذلك بعمله العظيم في (سَقيفة بني ساعدة) واختيار خليفة لرسول الله ﷺ، فلم يخرج الخلاف من باب السقيفة، فبايع أبا بكر وبايعه المسلمون.

وكان الصديق يَخلط لينَه بشدة عمر، ويُشْرِكه في سياسة الدولة والرعية، حتى إنه أقطع أناساً أرضاً فذهبوا إلى عمر ليُشهِدوه على الصكّ، فبَصَق عليه ومزَّقه! فقالوا لأبي بكر: لا ندري أنت الخليفة أم هو؟! فقال الصديق: هو إن شاء!.

ولعمر المنَّةُ في أعناق المسلمين في قضية (جمع القرآن الكريم) بعد معركة اليمامة حيث استُشهِد كثير من حفظة القرآن.

حتى إذا اقترب أجل أبي بكر، عزم على استخلاف رجل على المسلمين بعده، فاستشار عِلْية الصحابة، وأبرم أمره بعد ذلك فاستخلف عليهم عمر.

أصبح عمر المسؤول الأعلى في الدولة، واستقبل الخلافة فقام على المنبر في الناس خطيباً، وبيَّن سياسته في الأيام الأولى من خلافته، وسار عليها ما خَرَم منها شيئاً إلى أن استشهد رضي الله عنه وأرضاه.

وأسس دولة شامخة تضاهي الدول المدنية المتطورة في عصرنا،

وتتفوق عليها في أشياء كثيرة مما يتعلق بالمفهوم الحقيقي للحضارة وحفظ حقوق الإنسان وكرامته ، وإعلاء فضائله ومكارمه.

وكانت الدولة تقوم على سبعة أركان كبرى هي: الشورى والعدالة والمساواة والربانية والحريات والجهاد والأمانة.

وبنى في الدولة مؤسسات ضخمة هي أشبه بالوزارات في زماننا؛ فهناك: مؤسسة الشؤون الإسلامية ، والمؤسسة التعليمية ، والمؤسسة المالية ، والمؤسسة القضائية ، والحِسْبة ونظام العَسَس (التفتيش الليلي) ، ومؤسسة التخطيط والعمران والمواصلات ، ومؤسسة الشؤون الإدارية والسياسة الداخلية ، ومؤسسة إدارة الأزمات ، والمؤسسة العسكرية.

وفي كل ذلك تم تعيين العمال والولاة والقادة والقضاة والموظفين والإداريين والمعلمين وأئمة المساجد والمؤذنين وخزنة بيوت المال ومسؤولي الحمى وعمال البريد... وفرض لكل واحد راتباً من بيت المال.

ودوَّن الدواوين وفَرض الأعْطيات للناس وسَنَّ قوانين التجارة والخَراج والعُشور (الجمارك) على تجارة غير المسلمين معاملة بالمثل ، وضبط موارد المال ومصارفه وضرب النقود الإسلامية ، وراقَبَ الأسواقَ والبيع والشراء ، وأقطع الأراضي لإحياء الموات.

وفي عهده تمَّ استقلالُ (السلطة القضائية) عن (السلطة التنفيذية) ، الأمر الذي عُرف في الفكر الغربي بعد عمر بأكثر من (١١٠٠ سنة) في كتابات (منتسكيو) التي مهدت للثورة الفرنسية عام (١٧٨٩م).

وأروعُ وأجلُّ وأعظمُ ما تم في عهد الفاروق أن تحققت (عالمية الإسلام) وعالمية الرسالة ، وقيام دولة إسلامية ربانية تضم مختلِف الألوان والأعراق والجنسيات والقوميات والألسن ، **وفي هذا ردّ على المفتونين من دعاة العلمانية والحداثة ، وعلى بعض من يَزْعُم أو يُزْعَم له أنه (مفكر إسلامي) ، الذين يدَّعون أنه ليس هناك شيء اسمه (دولة إسلامية) ولم تقم في التاريخ!** .

وفتح الفتوحات الواسعة المباركة ، وسارت جيوشه إلى الجبهات الثلاث : الشام ، والعراق وفارس ، ومصر ، وكان يعيِّن القادة الكبار على الجيوش ، وقادة الفِرق ضمن الجيش ، ويستنفر المجاهدين ويسيِّرهم إمداداً هنا وهناك ، وخصص قوات احتياطية للطوارئ ، وكان يَحمل المقاتلين على (٣٠ ألف بعير أو ٤٠ ألف بعير) كل عام ، ويوجه المعارك ويكتب الكتب ويرسل الرسل ، ويأمر القواد أن يكتبوا له بمواقعهم ومواقع العدو وعدده وعدَّته ، وكتب إلى سعد بن أبي وقاص وهو متجه إلى القادسية : اكتب لي كل يوم واجعلني من أمرك على الجَليَّة حتى كأنني أراك! . ويتابع أخبار الجيوش والجند والقادة ، ويخرج إلى ظاهر المدينة ينتظر الوافدين إليها أو البريد أو بشائر الفتح .

وكان يستشير في كل أموره ، ويختار ولاة الأمصار من أفاضل الصحابة ، ويتابع سِيَرهم في بلدانهم ، ويفتش عليهم فيضع العيون لتنقل له أخبارهم ، ويرسل حملات تفتيشية تسأل عنهم في الأمصار ، ويأمرهم بالاجتماع جميعاً في موسم الحج ويعقد هناك مؤتمراً عامّاً للرعاة والرعية ، ويتلقى الشكاوى ويقيم العدل . ويستقدم الوالي من

الشام أو العراق أو مصر لشكوى أحد الرعية ، وقصصه في ذلك تحيِّر الألباب .

وسلَّط الرعية على المسؤولين ، وفَرض على الرعية مراقبةَ سياسة الخليفة والولاة؛ صعد يوماً على المنبر فقال: (يا معشر المسلمين! ماذا تقولون لو مِلْتُ برأسي إلى الدنيا كذا ـ وميَّلَ رأسَه ـ؟! فقام إليه رجل فقال: أجَلْ ، كنا نقول بالسيف كذا ـ وأشار إلى القَطْع ـ! فقال: إيايَ تعني بقولك؟ قال: نعم إياكَ أعني بقولي. فقال عمر: رحمك الله ، الحمدُ لله الذي جعل في رعيتي من إذا تعوَّجْتُ قوَّمَني!) .

وجاءه رجل من العراق قد أوقع به أبو موسى الأشعري عقوبة وحَلَق شعرَه ، فارتحل الرجل من العراق إلى المدينة ودخل على عمر ، وأدخل يده فاستخرج شعره وضرب به صدر عمر! ثم قصَّ عليه الخبر ، فأصدر أمره إلى أبي موسى أن يجلس للقصاص، ففعل، فعندما تمكن الرجل من (الوالي الكبير) رفع رأسه إلى السماء وقال: اللهم إني قد عفوتُ عنه! .

هكذا الأمر في نظر الإسلام: الرعية صاحبة الحقوق هي التي تعفو عن الحاكم وليس العكس كما تدعي الديمقراطيات المعاصرة! .

وفي دولة مترامية الأطراف تمتد من حدود باكستان وأفغانستان ونهر جَيْحُون شرقاً ، إلى تونس وصحراء إفريقية غرباً ، ومن جبال آسية الصغرى وأراضي إِرْمِينية شمالاً ، إلى المحيط الهادي وبلاد النُّوبة جنوباً . . . كان عمر يتابع كل شيء متابعة مدهشة ، حتى إنه كان يخاف أن يَهلك جَدْي أو تعثر دابَّة على شط الفرات فيسأله الله عنها: لِمَ لَمْ يُصلح لها الطريق؟ وكان يدخل يده في دَبَرة البعير ويقول: إني أخاف أن أُسأل عنك! .

يخرج فيعسُّ بالليل ومعه عبد الرحمن بن عوف أو أسلم أو غيرهما ، فيجد امرأة قد ضربها المخاض ، فيُسرع إلى بيته فتأتي معه زوجته أم كلثوم بنت علي فتقوم بدور القابلة ، وهو يطبخ الطعام للمرأة وزوجها ، وتقول أم كلثوم: يا أمير المؤمنين بَشِّرْ صاحبك بغلام! .

وفي ليلة أخرى يجد امرأة منقطعة مع صبيانها الجياع وهم يصرخون وهي تعلِّلهم بقِدْر وضعتها على النار توهمهم أن فيها طعاماً ، فيغذّ السير إلى بيت الدقيق ثم يعود إلى المرأة فيطبخ لهم ويطعمهم ، ثم يمكث عندهم حتى يرى الصبيان يتضاحكون ثم ينامون! .

وفي موقف آخر يسمع بكاءَ طفلٍ فيأمر أمَّه أن تُسكِته ، فيتكرر ذلك فيؤنِّبُها عمر قائلاً: إنكِ لأمُّ سوءٍ! فتقول له: يا هذا لقد أَبْرَمْتني منذُ الليلة ، إني أحاول فِطامه لأن عمر لا يفرض راتباً إلا للفطيم ، فيقول لها: أَمْهِلي لا تفطميه. ويصلي بالمسلمين الفجر والناس لا يتبيَّنُون صوته من بكائه! وبعد أن فرغ من الصلاة قال: ويل عمر كم قتل من أطفال المسلمين! ويصدر أمره ويعمِّمه على الأمصار بأن أمير المؤمنين يفرض راتباً لكل مولود في الإسلام! .

ويمر ذات ليلة ببيت فيسمع امرأة تنشد شعراً في زوجها وقد اشتاقت إليه ، فيطرق عليها الباب ويطلب إليها أن تسمعه الشعر مرة أخرى ، فتفعل ، فقال لها: ويحكِ أردتِ سوءاً؟ فقالت: معاذَ الله ، وكان زوجها في البعوث مع المجاهدين ، فدخل عمر على ابنته حفصة فسألها: كم تصبر المرأة على غياب زوجها؟ فأخبرته ، فأصدر في الصباح (تعميماً رئاسيّاً) أن لا تُحبَس الجيوش أكثر من أربعة أشهر.

ومرَّ على رجل قد أضجع شاة ليذبحها وجعل يحدُّ السكين أمامها ، فعَلَاه بالدِّرَّة وقال : هلاَّ حدَدْتَها أولاً ! .

ورأى جمَّالاً قد أثقل الحِمل على جمله ، فضربه عمر وقال له : حمَّلْتَ جملك ما لا يطيق ! .

ومع كثرة الفتوحات وتدفق الأموال التي غصَّت بها خزائن الدولة مع المناعم والمباهج والخيرات ، فإن عمر كان في الزهد من طراز فذ ، حتى أشفق الصحابة عليه من خشونة عيشه ، وتوسّطوا لديه بابنته حفصة كي يرفِّه من عيشه ، فلا زال أمير المؤمنين يذكِّرها بعيشِ رسول الله ﷺ حتى أبكاها .

وبَلَغ به الورع في أموال الأمة أنه جاءه مع الغنائم مِسْك وطِيْب ، فطلبت إليه إحدى زوجاته أن تتولى قسمته بين المسلمين ، فأبى عليها ذلك خشيةَ أن يَعْلَق بيديها شيءٌ من أثر الطِّيب فتدهن به نفسها فيكون آثَرَها على الناس ! .

وختم حياته وهو مطعون وجرحه ينزف وقال لابنه عبد الله : انظُرْ كم دُيوني ، فنظروا فوجدوها (٨٦ ألف درهم) ، فعزم على ابنه أن لا يغتسل حتى يوفي ديونه إلى بيت مال المسلمين ، فأبرَّ عبد الله بن عمر قسمَ أبيه وحمل الدَّيْن إلى الخليفة عثمان وأَشهدَ الناسَ على براءة ذِمَّة عمر ! .

لله درّ عمر ! يحكم دولة عظيمة عشر سنين ونصفاً ثم يخرج من أروقة الحكم وهو مَدين ! ثم لم يكتفِ بذلك بل إنه عندما أثنى عليه الصحابة ـ وهو أهل لكل ثناء ـ قال : لَوَدِدْتُ أني خرجتُ منها كَفَافاً لا لي

ولا عليَّ. والله لو أن لي طِلَاع الأرض ـ ما يملؤها ـ ذَهَباً لافتديتُ به من هول ذلك اليوم.

لقد أَدهش عمر بأعماله وسيرته وهديه وسياسته أجلاءَ الصحابة وأكابرهم، وهم الذين عايشوا الوحي وتربَّوا في مدرسة النبوة، وشهدوا لعمر بأنه أتعب الخلفاء بعده.

فكيف يستطيع كاتب أن يوفيه حقه في كتاب؟! وأنى تستطيع مقدمة موجزة أن تشير إلى عبقريات عمر وأمجاده الكبار؟! لقد شهدتْ مدة خلافته من الأعمال والإنجازات وأبكار الأحداث والسوابق والقوانين ما بهر التاريخَ وأعجزَ أقلامَ المؤرخين والكتاب والروائيين عن استيعابها، وهي أعظمُ وأجلُّ حِقَب التاريخ بعد عصر الرسالة. وأروعُ وأدقّ ما يعبِّر عن ذلك قول المعصوم ﷺ: «**فلم أرَ عبقريّـاً من الناس يَنْزِع نَزْعَ عمر، فلم يزل يَنْزِع حتى تولى الناس والحوض يتفجَّر**».

ولا ننسى أن نؤكِّد على حقيقة كبيرة نكرِّرها في كتبنا؛ وهي أن عمر لم يَـقُم بتلك الأعمال والأمجاد وحده، بل كان معه جماهير غفيرة من خُلَصاء الصحابة، ومجموعة هائلة من المستشارين والألباء وأولي النهى وذوي الفضل والسابقة والخبرة والمعرفة والعلم في مختلِف شؤون الحياة والدولة: من علماء وفقهاء ومجتهدين وقضاة وقادة ومجاهدين وأبطال وفاتحين وعباقرة ومعلمين وولاة وحكماء وأمناء... كلهم قد ترك بصمته في صفحات ذلك التاريخ الأنور، **فهذا الكتاب ترجمة لعهد وليس لفرد، وعمر كان قطب الرحى والحاكم الأعلى؛ قد هيمن بسياسته على الدولة ومؤسساتها وأعضائها، وكانوا هم على هديه وسيرته فضلاً** ونبلاً وزهداً وإخلاصاً وأمانة وقوة وعلماً وعملاً، وصدق قول عليٍّ

لعمرَ: لقد عففتَ فعفوا ، ولو رتعتَ لرتعوا.

وهذه السيرة التي قدمناها في هذه السطور وفصلناها في صفحات الكتاب ، هي سيرة رجل لحق بركب الأنبياء ، وشهد له الرسول ﷺ بذلك في قوله: «**لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب**».

ولسنا نزعم أن عمر لا يخطئ ، بل الذي نجزم به أنه لم يَمِلْ به الهوى ، لأنه وضع لنفسه نظاماً قاسياً ، فكان يحاسب نفسه وأهله أصعب الحساب.

رضي الله عن عمر وأرضاه ، وجادَ على المسلمين والبشرية برجل قريب منه في زماننا هذا الذي نحن فيه أشد ما نكون حاجة إلى نسمة من أنسام عمر في عدله وحزمه وتقواه وورعه وعبقريته وحسن سياسته.

هذه ومضات كاشفة عن عمر وسيرته وخلافته وأعماله ، وكل جملة في هذا التقديم هي عنوان كبير أو صغير قد فصَّلتْ صفحات هذا الكتاب بيانه وأوضحت معالمه. أضعها بين يدي كل مسلم وكل رجل حر كريم يحب الحق ويهوى العدل ويسعى إلى الفضيلة ويرغب بسيادة مبادئ الحق والحرية والمساواة وحفظ الدين والنفس والعرض والعقل والمال.

وأرجو أن يكون هذا الكتاب قد حقق الغاية التي أُنشئ من أجلها؛ وهي تقديم صورة متكاملة عمادها الحق والحقيقة التي كان عليها عمر وعهده المبارك ، فإن الفاروق لا يرضى بغير الحقيقة ، وليس عنده ما هو أعظم من الحق ، ولا يقبل فيه مهادنة ولا هوادة ، ولا يقيم في الانحراف عنه عذراً لمعتذر ، ولا يقيل عثرة لعاثر.

وأسأله سبحانه أن يجزل الأجر والثواب لأستاذنا أبي سليم محمد

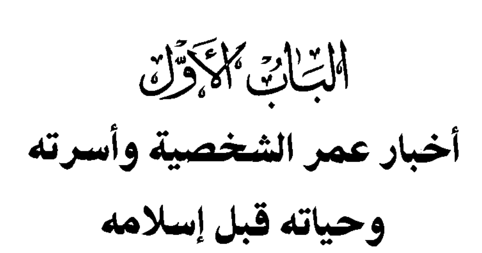
علي دولة صاحب «دار القلم» والساعي لنشر علوم الإسلام وما ينفع الأمة.

وأضرع إليه تعالى بأن ينفع المسلمين بهذا الكتاب ، وأن يكون منافحاً عن (الفاروق) في هذه السنين الخداعات ، وأن يكتب له القبول عنده ، ويجعله في العلم الذي لا ينقطع أجره إلى يوم نلقى وجهه الكريم.

اللهم تفضَّلتَ عليَّ فأنعمت ، وأنعمتَ فأكثرت ، وأعطيتَ فأجزلت ، وأكرمتَ فغفرت ، وزِدتَ فسترت ، أسألك القبول والمغفرة ، فلك الحمد في الأولى ، ولك الحمد في الآخرة ، أنت حسبي ونعم الوكيل.

عبد الستار الشيخ





الباب الأول

أخبار عمر الشخصية وأسرته وحياته قبل إسلامه

- أخباره الشخصية وحليته وصفاته الخِلْقية .
- مولده وأسرته .
- نشأته وحياته قبل إسلامه .

* * *



الفصل الأول

أخباره الشخصية وحِلْيته وصفاته الخِلْقية

أولاً: اسمه ونسبه ونسبته:

عمر بن الخطاب بن نُفَيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قُرْط بن رَزَاح بن عديّ بن كعب بن لؤي بن غالب ، القرشي العَدَوي.

يجتمع مع النبي ﷺ في (كعب).

والعدوي: نسبة إلى عدي بن كعب[1].

ثانياً: كنيته:

يكنى أبا حفص ، كناه بها النبي ﷺ يوم بدر[2].

والحَفْص: الشِّبْل ، وهو ولد الأسد.

والذي نراه أن عمر كُني بأول ولد له ، وأن هذا الولد قد مات صغيراً ، وشاهِدُ ذلك أن عمر سمَّى إحدى بناته (حفصة) وهي أم

(١) طبقات ابن سعد: ٣/ ٢٦٥؛ جمهرة أنساب العرب ، ص١٥٠ ـ ١٥١؛ الإصابة: ٢/ ٥١١.

(٢) انظر ما سيأتي: ص١٢٠ ـ ١٢١ من هذا الكتاب.

المؤمنين ، فهذا الاسم وارد على خاطر عمر ، وهو يناسب ما كان عليه من القوة والصلابة والأيد[1].

ثالثاً: ألقابــه:

١ ـ الفاروق:

مشهور به وملازم له وهو عَلَم عليه ، فلا يكاد يُذكر اسم عمر إلا قُرن بالفاروق ، وأول من لقَّبه به رسول الله ﷺ ، وذلك في قصة إسلامه ، وقد أشار على النبي ﷺ بإعلان الدعوة.

قال عمر : (فأخرجنا رسولَ الله ﷺ في صفين: حمزة في أحدهما وأنا في الآخر ، له كَدِيد ككديد الطحين حتى دخلنا المسجد ، قال: فنظرتْ إليَّ قريش وإلى حمزة ، فأصابتهم كآبة لم يُصبهم مثلها! فسماني رسول الله ﷺ يومئذٍ: **الفاروق**. وفرَّق الله به بين الحق والباطل)[2].

وعن أبي عَمْرو ذكوان مولى عائشة رضي الله عنها قال: (قلت لعائشة: مَن سمَّى عمرَ الفاروق؟ قالت: النبي ﷺ)[3].

٢ ـ القوي:

قال الإمام السَّمعاني: هو لقبُ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، وكان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب يسميه: القوي الأمين؛ لقوَّته في

(١) عمر بن الخطاب ، لعبد الكريم الخطيب ، ص٣٩.
(٢) حلية الأولياء: ١/ ٤٠؛ محض الصواب: ١/ ١٤٩ ، ١٧١. **الكَدِيد**: التراب الناعم فإذا وطئ ثار غباره.
(٣) طبقات ابن سعد: ٣/ ٢٧١؛ تاريخ الطبري: ٤/ ١٩٥.

ذات الله ، ويقرأ قوله تعالى : ﴿ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ ﴾ [القصص : ٢٦][١] .

٣ ـ الأُصيلع:

لقَّبه به بعض تلامذته من التابعين ، فعن عبد الله بن سَرْجِس قال : (رأيتُ الأُصَيْلِعَ ـ يعني عمر بن الخطاب ـ يقبّل الحَجَرَ ، ويقول : أمَا إني أعلم أنك حجر ، ولكنْ رأيتُ رسول الله ﷺ يقبِّلُكَ)[٢] .

رابعاً: صفاته الخِلْقية وحليته[٣]:

وصف عمرَ من رآه بأنه رجل آدَم ، حسن الخدَّين والأنف والعينين ، غليظ القدمين والكفَّين ، ضخم جسيم طُوَال يفوق الناس طولاً ، إذا مشى بين الناس بدا مشرفاً عليهم كأنه راكب على دابة .

وكان أصلَع شديد الصلع ، أجلَح قد انحسر الشعر عن جانبي رأسه ، خفيف العارِضَيْنِ[٤] .

وله سَبَلة ـ أي طرف الشارب ـ طويلة كثيرة الشعر ، وكان إذا حَزَبه أمرٌ أو عراه غضب فَتل سبلته أو أخذ بها إلى فمه ونفخ! مجدول اللحم ، شديد الخَلْق ، متين البنية ، إذا مشى أسرع ووطئ الأرض وطئاً شديداً ،

---

(١) الأنساب : ١٠/ ٢٦٧ ـ ٢٦٨ .
(٢) مسند أحمد : رقم (٣٦١) . وسيأتي : ص ٢٠٢ في هذا الكتاب .
(٣) طبقات ابن سعد : ٣/ ٢٩٠ ، ٢٩٣ ، ٣٢٤ ـ ٣٢٨ ؛ محض الصواب : ١/ ١٣٤ ـ ١٣٨ .
(٤) **العارض**: جانب الوجه ، وصفحة الخَدّ ؛ والمعنى : خفيف شعر العارضَيْن .

جَهْوَرِيّ الصوت ، يصيح الصيحة فيكاد من يسمعها يصعق ويغشى عليه!.

رأت الشفاء بنت عبد الله فتياناً يقصِدون في المشي ويتكلمون رويداً ، فقالت: ما هذا؟ فقالوا: نُسَّاك! فقالت: كان والله عمر إذا تكلَّم أسمع ، وإذا مشى أسرع ، وإذا ضرب أوجع ، وهو الناسك حقّاً[(١)]!.

وكان إذا هَمَّ بركوب فرسه أخذ بأذن الفرس بإحدى يديه ، ويمسك أذنه باليد الأخرى ، ثم يثب على متن الفرس ، فكأنما خُلق على ظهره.

وكان أَرْوَح؛ إذا مشى تباعدت صدورُ قدميه وتدانى عقباه ، أعسَرَ يَسَر؛ أي يعمل بكلتا يديه اليمين والشمال جميعاً وهذا الذي يُسمى (الأضْبط).

وهذا (التكوين العمري) يعطي دلالة خاصة على إرادة قوية وهمَّة مُهَيَّأة للاضطلاع بعظائم الأمور ، ليسخِّر كل طاقة مستقرة في كيانه. وعملُه بكلتا يديه يكافئ قوة بنيانه وضخامة جسمه وشموخ طوله؛ فاليدان هما أكثر أعضاء الإنسان وجوارحه عملاً وأثراً في الحياة ، بهما يأخذ ويعطي ، وبهما يصول ويجول ، وبهما يصنع ويبدع ، فهما أشبه بالجناحين للطائر ، فبقدر ما يعمل الجناحان ويقويان على التحليق بقدر ما يملك الطائر من مملكة السماء[(٢)].

وقد شابَ عمر فكان يصفِّر لحيته ويخضِب رأسه بالحنَّاء والكَتَم.

---

(١) طبقات ابن سعد: ٣/ ٢٩٠؛ تاريخ الطبري: ٤/ ٢١٢.
(٢) انظر: عمر بن الخطاب ، لعبد الكريم الخطيب ، ص ٤٥.

وكان يتختم باليسار، وكان نقش خاتمه: كفى بالموت واعظاً يا عمر[1].

* * *

(١) الاستيعاب: ٢/ ٤٥٢؛ تهذيب الكمال: ٢١/ ٣٢٣؛ محض الصواب: ١/ ٣٣٣. **الكَتَم**: نبت يصبغ به الشعر أسود.

الفصل الثاني
مولده وأسرته

أولاً: مولده:

ولد عمر بعد عام الفيل بثلاث عشرة سنة ، فيكون عمره عند البعثة النبوية (٢٧) سنة ، وعند الهجرة (٤٠) سنة[١].

ويؤيده ما جاء في (صحيح مسلم)[٢] عن أنس ومعاوية رضي الله عنهما: أنه عاش (٦٣) سنة ، مثل النبي ﷺ وأبي بكر.

وثمة رواية تذكر أنه ولد قبل حرب الفِجَار بأربع سنين ، أي كان عمره عند البعثة (٣٠) سنة[٣]. والأول أصح.

ثانياً: جده نُفيل بن عبد العزى:

جاهلي شهير كان يتحاكم إليه قريش[٤].

ثالثاً: أبوه الخطاب:

لم يكن من وجوه قريش ولا من أصحاب الرياسة فيهم ، وكان على

---

(١) تاريخ خليفة ، ص ١٥٣؛ الإصابة: ٢/ ٥١١؛ محض الصواب: ١/ ١٢٩ ـ ١٣١.

(٢) الحديث (٢٣٤٨) و(٢٣٥٢).

(٣) طبقات ابن سعد: ٣/ ٢٦٩؛ وانظر: الحاشية (١) أعلاه.

(٤) نسب قريش ، ص٣٤٧.

دين قومه في عبادة الأوثان ، بل يتبرم بمن يخرج عن دين الآباء والأجداد ويؤذيه ، وقد فعل ذلك مع ابن أخيه (زيد بن عَمْرو بن نُفيل) الذي ترك عبادة الأصنام، وأخذ يتطلب الحنيفية دين إبراهيم ﷺ، فوكل به الخطابُ صفيةَ بنت الحضرميّ ، فكانت كلما رأته قد تهيأ للخروج من مكة أخبرت الخطاب بذلك ، فيمنعه ويردعه. ثم حبسه في جبال مكة عند حراء ، ووكل به شباباً من شباب قريش وسفهاء من سفهائها ، وأمرهم أن يمنعوه من دخول مكة ومن الاختلاط بالناس لئلا يُفسد عليهم دينهم[1].

وكان الخطاب كذلك رجلاً فظّاً غليظاً قاسيَ القلب جافَّ العاطفة ، كما أخبر عمر عن ذلك في أواخر أيام خلافته ، قال: (لقد كنتُ بهذا الوادي ـ يعني ضَجْنَان ـ أرَعى إبلاً للخطاب ، وكان فظّاً غليظاً يُـتْعبني إذا عملتُ ، ويضربني إذا قصَّرتُ ، وقد أصبحتُ وأمسيت وليس بيني وبين الله أحد أخشاه)[2].

رابعاً: أمه حَنْتَمة بنت هاشم:

حنتمة بنت هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن عُمر بن مخزوم ، ابنة عمّ أبي جهل والحارث ابني هشام بن المغيرة[3].

وذكر بعضهم: أنها حنتمة بنت هشام بن المغيرة ، فتكون أخت أبي جهل ، وهو خطأ[4].

---

(١) السيرة ، لابن هشام: ١/ ٢٢٩ ـ ٢٣١.
(٢) الاستيعاب: ٢/ ٤٦٤؛ طبقات ابن سعد: ٣/ ٢٦٦ـ ٢٦٧.
(٣) نسب قريش ، ص ٣٠١ ، ٣٤٧؛ الجمهرة ، ص ١٤٤؛ طبقات ابن سعد: ٣/ ٢٦٥.
(٤) الاستيعاب: ٢/ ٤٥٠ ـ ٤٥١؛ محض الصواب: ١/ ١٣٢ ـ ١٣٣.

والذي يظهر من مجموع الأخبار أن والدَيْ عمر لم يدركا الإسلام ، ولو أدركاه لسمعنا شيئاً عن مواقفهما ، كما فعل الخطاب بابن أخيه زيد.

خامساً: إخوته:

١ ـ زيد بن الخطاب:

أسنُّ من عمر ، وأسلم قبله ، وكان مثلَه أسمر طويلاً جدّاً.

شهد بدراً والمشاهد كلها ، وكان من أبطال الرجال ، حمل الراية يوم اليمامة فلم يزل يتقدم في نحر العدو حتى قضى شهيداً.

حزن عليه عمر جدّاً وكان يقول: ما هبَّت الصَّبا إلا وأنا أجد ريح زيد[١]!.

٢ ـ فاطمة بنت الخطاب:

أسلمت قديماً ـ قبل عمر ـ مع زوجها سعيد بن زيد أحد العشرة المبشرين بالجنة.

كانت من عِلْية النساء ، ولها مع أخيها الفاروق خبر عجيب في قصة إسلامه ، سنذكره قريباً.

٣ ـ صفية بنت الخطاب:

أسلمت وهاجرت ، تزوجها قُدَامة بن مَظْعُون أحد الصحابة السابقين من أهل بدر[٢].

---

(١) سير أعلام النبلاء: ١/ ٢٩٨.

(٢) ترجمتها هي وأختها في كتب الصحابة.

سادساً: أزواجه في الجاهلية:

١ ـ زينب بنت مَظعُون الجُمَحيَّة:

صحابية أسلمت وكانت من المهاجرات .

ولدت لعمر : عبد الله وعبد الرحمن الأكبر وحفصة .

٢ ـ قُرَيْبة[1] بنت أبي أمية المخزومية:

وهي أخت أم سلمة أم المؤمنين ، فكان عمر بذلك سِلْفَ النبي ﷺ .

طلَّقها عمر في هدنة الحديبية لما نزل قوله تعالى : ﴿وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ﴾ [الممتحنة: ١٠] ، فتزوَّجها معاوية بن أبي سفيان وهما على شركهما بمكة .

٣ ـ أم كلثوم مليكة بنت جَرْوَل الخزاعية:

ولدت له عُبيد الله وزيداً الأصغر .

وقد طلقها عمر في هدنة الحديبية أيضاً لِما تقدم ، فتزوجها أبو جَهْم بن حذيفة وهما على شركهما[2] .

سابعاً: زوجاته في الإسلام:

١ ـ أم حكيم بنت الحارث بن هشام:

صحابية ، كانت زوج عكرمة بن أبي جهل فاستشهد ، فتزوجها

---

(١) بالتصغير ، وقد تفتح فيقال: (قَرِيبة). الفتح: ١٢/ ١١١ (٥٢٨٧).

(٢) انظر في هاتين الزوجتين: السيرة ، لابن هشام: ٢/ ٣٢٧؛ تفسير القرطبي: ١٨/ ٥٩ ـ ٦٠؛ الفتح: ١٢/ ١١٢؛ محض الصواب: ٣/ ٨٩٠؛ طبقات ابن سعد: ٣/ ٢٦٥.

خالد بن سعيد بن العاص فاستشهد ، فتزوجها عمر فولدت له فاطمة[1].

٢ ـ جميلة بنت ثابت بن أبي الأقْلَح:

صحابية ، تزوجها عمر سنة سبع للهجرة ، وولدت له ابنه عاصماً[2].

٣ ـ عاتكة بنت زيد بن عَمْرو بن نُفيل:

صحابية من المهاجرات ، وهي أخت سعيد بن زيد ، كانت على جانب عظيم من الفصاحة والجمال وأُعطيت شطر الحُسْن.

كانت زوجَ عبد الله بن أبي بكر فمات عنها ، فتزوجها عمر وولدت له عياضاً ، واستشهد الفاروق فتزوجها بعده الزبير بن العوام[3].

٤ ـ أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب:

عن علي بنِ الحسين: (أن عمر بن الخطاب خطَب إلى علي أمَّ كلثوم ، فقال: أَنكحنيها ، فقال علي: إني أرصدها لابن أخي عبد الله بن جعفر ، فقال عمر: أنكحنيها ، فوالله ما من الناس أحد يرصد من أمرها ما أرصده ، فأنكحه علي. فأتى عمر المهاجرين ، فقال: أَلاَ تهنّوني ، فقالوا: بمن يا أمير المؤمنين؟ فقال: بأم كلثوم بنت علي وابنة فاطمة بنت رسول الله ﷺ؛ إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كل نَسب وسببٍ ينقطع**

---

(١) الإصابة: ٤/ ٤٢٦؛ نسب قريش ، ص٣٠٣ ، ٣٤٩ ـ ٣٥٠.

(٢) الإصابة: ٤/ ٢٥٤؛ نسب قريش ، ص٣٤٩.

(٣) طبقات ابن سعد: ٨/ ٢٦٥ ـ ٢٦٧؛ الإصابة: ٤/ ٣٤٦.

يوم القيامة إلا ما كان من سببي ونسبي» ، فأحببتُ أن يكون بيني وبين رسول الله ﷺ نسبٌ وسببٌ)[1] .

تزوجها عمر سنة (١٧هـ) ، وأمهرها أربعين ألفاً ، وولدت له : زيداً الأكبر ورقية[2] .

٥ ـ سُبيعة بنت الحارث:

أول امرأة أسلمت بعد صلح الحديبية إثر العقد وطيّ الكتاب ، ولم تخَفْ ، فنزلت آية الامتحان ، فامتحنها النبي ﷺ ، وردَّ على زوجها مهرَ مثلها ، وتزوجها عمر[3] .

ثامناً: إمــاؤه:

وله إماء ، ذكروا منهن :

١ ـ لُهَيَّــة:

لها صحبة ، ولدت له : عبد الرحمن الأوسط ، وعائشة[4] .

٢ ـ فُـكيهة:

ولدت له : عبد الرحمن الأصغر ، وزينب وهي أصغر ولد عمر[5] .

---

(١) أخرجه الحاكم : ٣/ ١٤٢ ، وغيره؛ وصححه الألباني بطرقه : السلسلة الصحيحة (٢٠٣٦)؛ صحيح الجامع (٤٥٢٧) .

(٢) طبقات ابن سعد : ٨/ ٤٦٣ ؛ محض الصواب : ٣/ ٨٨٧ ـ ٨٨٩ .

(٣) الإصابة : ٤/ ٣١٨ . وآية الامتحان هي : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ . . . ﴾ [الممتحنة : ١٠] .

(٤) نسب قريش ، ص٣٤٩؛ الإصابة : ٤/ ٣٨٦ .

(٥) طبقات ابن سعد : ٣/ ٢٦٦ ؛ محض الصواب : ٣/ ٨٨٥ .

تاسعاً: أولاده:

جملة أولاد الفاروق أربعة عشر ، تسعة ذكور وخمس إناث :

● **والذكور هم:**

١ ـ **عبد الله** : صحابي جليل شهير من أعيان الصحابة .

٢ ـ **عبد الرحمن الأكبر** : له صحبة .

٣ـ **عبد الرحمن الأوسط** : رأى النبي ﷺ فيما رجحه الحافظ في «الإصابة» .

٤ ـ **عبد الرحمن الأصغر** .

٥ ـ **عاصم** : ولد في عهد النبي ﷺ في السنة السادسة للهجرة ، فهو معدود في صغار الصحابة ، وهو جد عمر بن عبد العزيز لأمه .

٦ ـ **عبيد الله** : كان من شجعان قريش وفرسانهم ، لحِقَ بمعاوية وقتل معه بِصِفِّين .

٧ ـ **زيد الأكبر** : مات وليس له عقب .

٨ ـ **زيد الأصغر** : مات صغيراً .

٩ ـ **عياض** .

● **والإناث هن:**

١ ـ **حفصة** : إحدى أمهات المؤمنين الطاهرات .

٢ـ **فاطمة** .

٣ ـ **رقية** .

٤ ـ زينب: وهي أصغر ولد عمر.

٥ ـ جميلة: صحابية، لم يذكرها الذين صنفوا في الصحابة!.

عن عبد الله بن عمر: (أن ابنةً لعمر كانت يُقال لها: عاصِيةُ، فسمَّاها رسول الله ﷺ جميلة)[١].

والظاهر أن ابنة عمر هذه قد ولدت له في الجاهلية، فإنه ما كان ليسمِّيها بما يُستقبح من الأسماء بعد أن أكرمه الله بالإسلام.

عاشراً: مواليه وحاجبه وخازنه ونحوهم:

١ ـ يَرْفأ:

حاجب عمر، أدرك الجاهلية ولا تُعرف له صحبة، وحج مع عمر في خلافة أبي بكر[٢].

٢ ـ مِهْجَع:

صحابي، أصله من عَكّ، أصابه سِباء فمنَّ عليه عمر فأعتقه، وكان من السابقين إلى الإسلام، شهد بدراً واستشهد بها[٣].

٣ ـ أسلم:

أدرك زمان النبي ﷺ ولا تثبت له صحبة، فقد اشتراه عمر بعد وفاة رسول الله ﷺ، فهو من كبار التابعين[٤].

---

(١) مسلم (٢١٣٩)؛ وابن ماجه (٣٧٣٣).

(٢) الإصابة: ٣/ ٦٣٣.

(٣) المرجع السابق: ٣/ ٤٤٦.

(٤) المرجع السابق: ١/ ٥٤، ١١٣؛ تهذيب الكمال: ٢/ ٥٢٩.

٤ ـ مالك بن عياض:

هو الذي يقال له : مالك الدار ، أدرك النبوة ولا تثبت له صحبة[١]. وكان خازن عمر ، له معه قصص سيأتي بعضها.

٥ ـ الأقرع:

مؤذن عمر[٢].

٦ ـ هُنَيّ:

أدرك النبي ﷺ ولا تعرف له صحبة.

استعمله عمر على (حِمى الرَّبَذَة) ، قال الحافظ : ولولا أنه كان من الفضلاء النبهاء الموثوق بهم لما استعمله عمر[٣].

٧ ـ عمير:

روى عن عمر حديثاً عند ابن ماجه[٤].

٨ ـ يسار بن نُمير:

مولى عمر وخازنه ، له حديث قليل ، وصحب عمر في حجه.

---

(١) الإصابة : ٣/ ٤٦١.
(٢) سنن أبي داود (٤٦٥٦)؛ تهذيب الكمال : ٣/ ٣٢٧.
(٣) الإصابة : ٣/ ٥٨٥؛ الفتح : ٧/ ٦٢٤ ، (٣٠٥٩).
(٤) سنن ابن ماجه (١٣٧٥)؛ تهذيب الكمال : ٢٢/ ٣٩٥.

٩ ـ سعد بن نوفل الجارِيّ:

ينسب إلى (الجار) وهي بُليدة على ساحل البحر الأحمر بقرب المدينة المنورة ، وكان سعد عامل عمر عليها[١] .

١٠ ـ أُسّق الرومي:

عن أبي هلال الطائي ، عن أُسّق الرومي قال : (كنتُ مملوكاً لعمر بن الخطاب وأنا نصراني ، فكان يَعرض عليَّ الإسلام ويقول : إنك لو أسلمتَ استعنتُ بك على أمانتي ، فإنه لا يحلُّ لي أن أستعين بك على أمانة المسلمين ولستَ على دينهم. فأبيتُ عليه ، فقال : لا إكراه في الدين. فلما حضرتْه الوفاة أعتقني وأنا نصراني ، وقال : اذهب حيث شئت)[٢] .

وذكره الحافظ في «الإصابة»[٣] في القسم الثالث من حرف الألف ، وهم : من أدرك النبوة ولا تثبت له صحبة ، وهذا يقتضي أنه أسلم .

* * *

---

(١) الأنساب : ٣/ ١٦٠ .

(٢) طبقات ابن سعد : ٦/ ١٥٨ ـ ١٥٩ ؛ الأموال ، ص ٣٩ ، (٨٧) .

(٣) الإصابة : ١/ ١١٣ .

الفصل الثالث

نشأته وحياته قبل إسلامه

●● كانت منازل بني عدي في أصل جبل بمكة يقال له: (جبل عمر)[1] ، وهناك نشأ عمر في بيئة قاسية وتحت رعاية أب فظ غليظ ، فترشحت إلى نفسه تلك الخشونة والقسوة ، وترعرع في طفولته وصباه لم يعرف شيئاً من الترف ولا مظاهر الثراء.

ولما اشتد عوده دفع به أبوه الخطاب إلى رعي الإبل ، ليزداد بذلك شدة وقسوة؛ وقد صح في الحديث: «**إنَّ القسوةَ وغِلَظَ القلوب في الفَدَّادِينَ عند أصولِ أذنابِ الإبل**»[2].

ومعاملة الأب الجافية تركت أثرها في نفس عمر ، وحدَّث بذلك غير مرة ، وذكر للناس نعمة الله عليه وقد آلَتْ إليه الخلافة وأمرُ المسلمين.

قال عبد الرحمن بن حاطب: (أقبلنا مع عمر قافلين من مكة ، حتى إذا كنا بشعاب ضَجْنَان ، وقف في مكان كثير الشجر فقال: **لقد** رأيتُني في هذا المكان وأنا في إبلٍ للخطاب ، وكان فظّاً غليظاً ، أحتطِب عليها مرة

(١) طبقات ابن سعد: ٣/ ٦٦.

(٢) البخاري (٣٣٠٢)؛ ومسلم (٥١). **والفَدّادون**: واحدُهم: فدَّاد؛ وهو من يعلو صوته في إبله وخيله وحرثه. **والفَديد**: الصوت الشديد.

وأختبِط عليها أخرى ، ثم أصبحت اليوم يَضرب الناس بجنباتي ، ليس فوقي أحد إلا الله ، ثم قال:

لا شيءَ مما ترى تبقى بشاشتُه يَبقى الإلٰهُ ويَفنى المالُ والولدُ)[1]

ويروي سعيد بن المسيب فيقول: (حَجَّ عمر ، فلما كان بضَجْنَان قال: لا إلٰه إلا الله العظيم العليّ ، المُعطي ما شاء من شاء! كنتُ أرعى إبل الخطاب في هذا الوادي في مِدْرَعة صوف ، وكان فظّاً يُتعبني إذا عملت ، ويضربني إذا قصَّرت ، وقد أمسيتُ وليس بيني وبين الله أحد.

ثم تمثل:

لا شيءَ فيما ترى تبقى بشَاشَتُه يَبقى الإلٰهُ ويَفنى المالُ والولدُ
لم تُغْنِ عن هُرْمُزٍ يوماً خزائنُه والخُلْدَ قد حاولتْ عادٌ فما خَلَدوا
ولا سليمانُ إذ تجري الرياح له والإنسُ والجنُّ فيما بينها تَرِدُ
أينَ الملوكُ التي كانت نوافِلُها من كل أوبٍ إليها راكِب يَفِدُ
حوضاً هنالك مورداً بلا كذبٍ لابدَّ من وِرْدِه يوماً كما وردوا)[2]

كذلك رعى لخالاتٍ له من بني مخزوم ، وحدَّث بذلك في خلافته في ملأ من المسلمين ، فنادى بالصلاة جامعة ، فلما اجتمع الناس وكثروا صعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، وصلى على نبيه ﷺ ، ثم قال:

(أيها الناس ، لقد رأيتُني أرعى على خالاتٍ لي من بني مخزوم ، فيُقَبِّضن لي القبضة من التمر أو الزبيب ، فأظلُّ يومي وأي يوم! ثم نزل.

---

(١) طبقات ابن سعد: ٣/ ٢٦٦ ـ ٢٦٧؛ مختصر ابن عساكر: ١٨/ ٣٣٧.
(٢) تاريخ الطبري: ٤/ ٢١٩ ـ ٢٢٠؛ مختصر ابن عساكر: ١٨/ ٣٣٧.

فقال له عبد الرحمن بن عوف: يا أمير المؤمنين! ما زدتَ على أن قَمئتَ نفسك ـ يعني: عِبْتَ ـ! فقال: ويحكَ يا ابن عوف! إني خلوتُ، فحدَّثتْني نفسي قالت: أنت أمير المؤمنين فمن ذا أفضل منك! فأردتُ أن أعرِّفها نفسها)[1].

ولما كبر اشتغل بالتجارة وتقلَّب في البلاد عبر رحلتي الشتاء إلى اليمن والصيف إلى الشام، وغيرها من البلدان، وبقي يعمل تاجراً إلى أن أضحى خليفة، وكان واحداً من الأغنياء.

ففي حديث (الاستئذان) الذي خَفِي على عمر فرواه له أبو موسى الأشعري، فقال عمر: أَلْهاني الصَّفْقُ بالأسواق. يعني الخروجَ إلى التجارة[2].

ومما يدلّ على غناه قولُه لعياش بن أبي ربيعة في قصة الهجرة: (والله إنك لتعلمُ أني لمن أكثرِ قريش مالاً، فَلَكَ نصف مالي ولا تذهب معهما)[3].

كما يدل على ذلك صدقاته الكثيرة وتسابقه مع أبي بكر في بذل المال في سبيل الله.

●● والعمل في رعي الإبل وصعوبته وغلظته، مع لهيب مكة وخشونة بيئتها، ثم قسوة الأب وجفائه؛ كل ذلك قد أكسب عمر صفات توافق

---

(١) مختصر ابن عساكر: ١٨/ ٣٣٦ ـ ٣٣٧. وانظر: ابن سعد: ٣/ ٢٩٣.
(٢) سيأتي الحديث بتمامه: ص ١٤٨ ـ ١٤٩ في هذا الكتاب.
(٣) السيرة، لابن هشام: ١/ ٤٧٥، وستأتي القصة بتمامها: ص٧٢ ـ ٧٣ في هذا الكتاب.

أعمال الرجال ، من قوة التحمل والجلد والصلابة وشدة البأس ، وتناغم ذلك مع تكوينه الجسمي في ضخامته وطوله ومتانة عضلاته ومضاء عزيمته.

وقد أضاف إلى ذلك حِذْقَه فنوناً من رياضة البدن والفروسية وركوب الخيل ، ويصارع أشداء الأبطال ويقهرهم ، واشتهر ذلك عنه بمكة وسواها حتى شاع بين الناس بل والرعاة.

حدث أبو التيَّاح يزيد بن حُميد الضُّبعي في مجلس الحسن البصري قال: (لقي رجل راعياً فقال له: أشعرتَ أن ذاك الأعسرَ اليَسَر أسلم ، يعني عمر؟! فقال: الذي كان يُصارع في سوق عكاظ؟ قال: نعم ، قال: أما والله لَيُوسِعنَّهم خيراً أو ليوسعنَّهم شرّاً)[1].

●● وتعلم عمر منذ يَفَاعه القراءة والكتابة على يدي حرب بن أمية والد أبي سفيان ، فكان واحداً من القلة الذين يجيدون ذلك ، حيث لم تكن القراءة والكتابة فاشيتين في العرب لاعتمادهم على الحفظ والمشافهة.

كذلك اهتمَّ عمر في مَطالع حياته بتاريخ قومه وشؤونهم ، ومطالعة ديوان العرب وهو الشعر ، فكان يتذوقه ويرويه ويتمثل به كثيراً ، وكان على جانب فذٍّ من الفصاحة واللسن والخبرة بحوشي الكلام مما كان سائداً في بيئته ، فيقول أحياناً الكلمات الغريبة ذات الجَرْس القوي لتناسب صلابته وبأسه والموقف الذي قيلت فيه ، بيد أن الغالب على

---

(١) طبقات ابن سعد: ٣/ ٣٢٥.

أسلوبه السهولة والليونة وسلاسة الألفاظ التي تنبع من معين الحكمة[١].

●● وينتمي عمر إلى (بني عَديّ)، وهم قبيلة عدنانية من قريش، وهي وإن لم تُسامِ في منزلتها ووجاهتها أسرة بني هاشم ولا بني أمية ولا المخزوميين الذين كانت أمه منهم، بَيْد أنها كانت ممن انتهى إليها الشرف مثلما انتهى إلى عشرة بطون من قريش[٢].

قال الزبير بن بكار: (كان عمر بن الخطاب من أشراف قريش، وإليه كانت السِّفارة في الجاهلية؛ وذلك أن قريشاً كانت إذا وقع بينهم حرب أو بينهم وبين غيرهم بعثوه سفيراً، وإن نافرهم منافر أو فاخرهم مفاخر بعثوه منافراً ومفاخراً، ورضوا به)[٣].

وهذا يعني أن عمر كان رأساً من رؤوس قريش وأشرافهم.

●● ومضى عمر في فتوته وشبابه على سَنَن أبيه، وعاش جاهليته على ولاء كامل لدين الآباء والأجداد وعاداتهم وتقاليدهم، وتمثلت فيه كل سمات الجاهلية من حمية وغيرة وعصبية وفتوة ولعب بالميسر ومعاقرة للخمر وعبادة للأصنام، وقد قال عن نفسه: كنتُ صاحبَ خمر في الجاهلية[٤].

ولم يؤثر عنه أنه خرج على مألوف قومه أو أنكر عليهم شيئاً مما هم فيه من ضلال وعمى... وبقي على ذلك حتى أشرقت شمس الرسالة في

---

(١) انظر ما كتبناه في مبحث (عمر الأديب)، ص ١٥٦ وما بعدها في هذا الكتاب.
(٢) مختصر ابن عساكر: ١٨/ ٣١٢.
(٣) تهذيب الكمال: ٢١/ ٣٢٢.
(٤) السيرة النبوية، لابن هشام: ١/ ٣٤٦.

جزيرة العرب ، فوقف منها موقف عتاة قريش من المحادَّة والمعاداة وتعذيب الضعفاء والعدوان على السابقين للإسلام من ذوي رحِمِه ، كما يتجلى ذلك في بطشه بأخته فاطمة وصهره سعيد بن زيد وإرادته قتلَ النبي ﷺ ، وسلك في ذلك مسلكاً صعباً لا هوادة فيه ولا قبول به ولا محاورة معه! .

وعصبية عمر لقومه ومنافحته عن دينهم وموروثاتهم قد بلغت الغاية التي نجدها عند قادة الجماعات وزعماء الأحزاب ورؤوس الناس ، الذين يمثلون خصائص قومهم ، ويحملون في كينونتهم أبرزَ ما في القوم من صفات جسدية وعقلية ونفسية وعقدية ، وهذا ما يكافئ منزلة عمر وخصائصه وصلابته وقوة شكيمته وشدة بأسه واعتداده بنفسه وسفارته في قومه.

وهذا الدفاع من عمر عن الجاهلية ووفاؤه لها لا يدخل منه شيء من الضيم على مكانته في الإسلام ، ولا يشين سيرته ، ولا يعيب تاريخه ، فالإسلام يجبُّ ما قبله.

كذلك ما نذكره في سيرة عمر ـ وسواه ممن عاش في الجاهلية قبل أن يَفِد إلى رياض الإسلام ـ إنما هو للتعرف على مقومات شخصيته ، وإبراز ملكاته وطاقاته التي دخل فيها في الإسلام ، وكذلك إقامة البراهين على صنعة الدين الجديد في إحياء الموتى وتفجير طاقاتهم وترشيد أعمالهم وتسديد خطاهم: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢].

فالإنسان السوي لا تغيِّر الأحداث الملامحَ البارزة في شخصيته ، إنما تقوِّمها وتهذبها وترشدها وتهديها وتسدِّد مسارها؛ فالشجاع شجاع

في الحرب والسلم، والكريم كريم في الخصب والجدب... وهذا ما يشير إليه قول الرسول ﷺ: «**تَجِدُونَ الناسَ معادنَ، فخِيارُهُم في الجاهلية خِيارُهم في الإسلام إذا فَقُهوا**»[1].

وعمر لو بقي على جاهليته لطواه النسيان كما طوى غيره من أمثاله وممن هو أعلى منه شأناً وأعز نفراً، ولانتهى به الأمر حتى لا يسمع به أحد؛ شأنه شأن من سبقوه.

ولكن الإسلام هو الذي أبرز طاقاته، وأظهر مواهبه، وفجَّر قدراته، وكشف النقاب عن عظمته وعبقريته، وخَلَّد أعماله ومآثره أبد الدهر، وحدَّد له الزعامة اللائقة به والدور الملائم له؛ ليعزَّ الله به الإسلام، ويزداد هو بالإسلام عزّاً ورفعة، ويبقى ذِكْره عطراً وأثره خالداً. فكانت لحظة إسلامه نقطة التحول الكبرى التي غيَّرت مسار تاريخه من إنسان يعيش ويموت فلا يدري به أحد، إلى عبقري فذ أتعب المؤرخين والدارسين في سرد مزاياه وتدوين أعماله وتحليل شخصيته وبيان أمجاده.

●● وصفات عمر التي ألمحنا إليها، والتي جُبل عليها ورُكزت فيه ونَمَت معه وكوَّنت شخصيه، بقيتْ معه طيلة حياته.

فصلابتُه وشدته وقسوته وصرامته وصراحته وفتوته وقوة شكيمته وبروزه على أنداده وزعامته في قومه وجهره برأيه ومنافرته لعدوه بلا هوادة وخشونة عيشه... كل ذلك قد تخلل كيانه وحياته ومواقفه وأعماله وآراءه من يوم دخل في الإسلام وطيلة حياته مع النبي ﷺ ثم مع الصديق

(١) أخرجه البخاري (٣٤٩٣)؛ ومسلم (٢٥٢٦)؛ وابن حبان (٥٧٥٧)، وغيرهم.

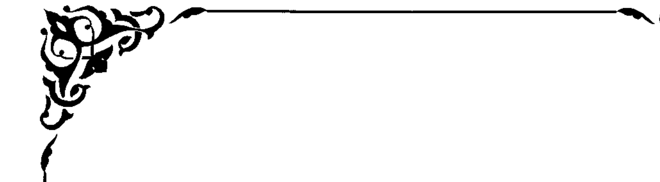
الأكبر وبعد ذلك في كل أيام خلافته المباركة.

لقد تجلَّت تلك الصفات على أوجها حتى أصبحت معلماً بارزاً على عمر، وعبَّر عن ذلك تشبيهُ النبي ﷺ له برسولين عظيمين صلبين في مواقفهما من أعداء الدعوة؛ هما: نوح وموسى عليهما الصلاة والسلام!.

فكانت الشدة في الحق، والصلابة في المواقف، والصرامة مع من يخالف هدي الإسلام، وقوة الشكيمة في المدلهمات، وبروز الزعامة بين الصحابة، ومحاسبة الولاة والقادة بلا هوادة، ومحاسبة النفس والأهل والأقربين بقسوة؛ من السمات التي لا تنفكُّ عن عمر في كل أموره، حتى حمل نفسه ومسؤولي الدولة وأهلَه وعشيرته على مركبه الصعب، وألزم نفسه ما لا يطيقه إلا واحد مثله، حتى إنه ليرى أنْ لو هلك جمل على شط الفرات لكان مسؤولاً عنه!.

لقد كان عمر في صفاته الجوهرية وخصائصه ومزاياه وملكاته المركوزة فيه هو عمر ابن الجاهلية وهو عمر ابن الإسلام، في قوته وشدته وبأسه وصرامته وصراحته وزعامته وعقله ورأيه... **كانت الجاهلية ليل عمر، وكان الإسلام نهاره، جاهلية لا ضوء فيها، وإسلام ليس فيه بقية من ظلام.**

* * *




الباب الثاني

من الإسلام حتى الهجرة

- من مواجهة الدعوة حتى إسلامه .
- آثار إسلام عمر .
- هجرته إلى المدينة المنورة .

* * *



الفصل الأول

من مواجهة الدعوة حتى إسلامه

أولاً: مواجهته الدعوة الجديدة ومصادمته لها:

كان عمر أحدَ أبرز الرجال الذين تصدوا للإسلام منذ برق فجره وأشرقت شمسه ، فاستقبل الدينَ الجديد بما استقبله به عتاة قريش من أمثال أبي جهل وأبي لهب وأبي سفيان والوليد بن المغيرة وأضرابهم. . . وقام معهم ليحمي دين الآباء والأجداد ويحافظ على عاداتهم وتقاليدهم ، ويحرس مكانة قريش التي تتبوَّؤها في جزيرة العرب. فشَنَّ حرباً أهولَ الحرب على المستضعفين من المسلمين ، وكان من أشد قريش عليهم وأكثرهم جرأة وأبطشهم بطشاً وأقساهم معاملة. ويعبِّر عن ذلك ما رواه مولاه أسلم قال: (قال لنا عمر بن الخطاب: أتحبُّون أن أُعْلِمكم كيف كان بدءُ إسلامي؟ قلنا: نعم ، قال: كنتُ من أشدِّ الناس على رسول الله ﷺ)[1]!.

وقال عمر حينما ذهب إلى دار الأرقم ليُسْلِم على يدي رسول الله ﷺ: (فقرعتُ الباب ، قيل: من هذا؟ قلت: ابن الخطاب ، وقد عرفوا شدتي على رسول الله ﷺ ، ولم يعلموا بإسلامي)[2].

---

(١) أسد الغابة: ٤/ ٥٤ ـ ٥٥.

(٢) المرجع السابق نفسه.

وتقول أم عبد الله بنت أبي حَثْمَة وهي تحدِّث عن عمر وقد أتاهم وهم يستعدون للهجرة إلى الحبشة: (وكنَّا نلقى منه البلاء أذًى لنا وشدَّة علينا).

وتقول أم عبد الله وقد حدّثَتْ زوجَها عامر بن ربيعة عما رأتْه من رقة عمر لهم وهم على أهبة الهجرة: (قال عامر: أطمعتِ في إسلامه؟ قالت: قلت: نعم، قال: فلا يُسْلم الذي رأيتِ حتى يسلمَ حمار الخطاب! قالت: يقول ذلك ـ أي زوجها عامر ـ يأساً منه، لِما كان يرى من غلظته وقسوته على الإسلام)[1].

ومن صور تعذيبه للمستضعفين من المسلمين، أن (لبيبة) جارية بني المؤمَّل[2] كانت قد أسلمت قديماً قبل عمر، فكان عمر يعذِّبها حتى يَـفْتر فيدَعها، ثم يقول: أما إني أعتذر إليكِ أني لم أدَعْكِ إلا سآمةً! فتقول: كذلك يعذبك ربك إن لم تُسْلم.

ويصف حسان عنفَ التعذيب فيقول: وقفتُ على عمر يَخْنق جارية بني عَمْرو بن المؤمَّل حتى تسترخي في يديه فأقول: قد ماتت! فاشتراها أبو بكر فأعتقها[3].

بل كان يعذِّب أقربَ الناس إليه، فيشتد في عذاب صهره ويبطش به، ويشج أخته لمَّا علم بإسلامها.

---

(١) السيرة النبوية، لابن هشام: ١/ ٣٤٢ ـ ٣٤٣.
(٢) بنو المؤمَّل: حيٌّ من بني عديّ، ولبيبة: ترجم لها الحافظ في الإصابة: ٤/ ٣٨٦.
(٣) السيرة النبوية، لابن هشام: ١/ ٣١٩؛ سبل الهدى والرشاد: ٢/ ٤٨٢.

يقول سعيد بن زيد: (واللهِ لقد رأيتُني وإنَّ عمرَ لَمُوثِـقِي على الإسلام قبل أن يُسْلم عمر).

وفي رواية عنه قال: (لو رأيتُني مُوثِقي عمرُ على الإسلام أنا وأخته)[1].

ثانياً: سوانح القدر تفتح مغاليق قلب عمر:

لقد كان عمر بعيداً عن الإسلام بعاطفته المشدودة إلى قومه، وعصبيته لدين الآباء والأجداد، وارتباطه العضوي بجماعة قريش وموروثاتها... بيد أنه لم يكن من العسير المستبعد أن يأخذ عمر مكانه في الدين الجديد، ويصبح من المناصرين له والمنافحين عنه والداعين إليه؛ لِما عُرف عنه من فطانة وكياسة وصفاء روح ونفاذ بصيرة ومعرفة بأقدار الرجال وصدق مسعاهم.

●● وقد حدثت أسباب سبقت إسلامَ عمر، وأسباب أخرى مهيِّئة لإسلامه، وأسباب موقوتة كانت الشرارة التي قدحت الزناد فالتمع الضياء معلناً أن ابن الخطاب قد أسلم.

عن عبد الله بن عمر قال: (ما سمعتُ عمرَ لشيءٍ قطُّ يقول: إني لأظنُّه كذا؛ إلا كان كما يَظنُّ!. بينما عمر جالسٌ إذ مرَّ به رجلٌ جميلٌ[2]، قال: لقد أخطأَ ظنِّي، أَوْ إنَّ هذا على دينه في الجاهلية، أو لقد كان كاهنَهم، عليَّ الرجلَ. فدُعي له، فقال له ذلك، فقال: ما رأيتُ كاليوم استُقبل به رجلٌ مسلم! قال: فإني أعزِمُ عليك إلا

---

(١) أخرجه البخاري (٣٨٦٢، ٣٨٦٧).

(٢) هو سواد بن قارب، صحابي، كان في الجاهلية كاهناً.

ما أخبرتَني. قال: كنتُ كاهِنَهم في الجاهلية. قال: فما أعجبُ ما جاءتْك به جِنِّيتُكَ؟ قال: بينما أنا يوماً في السوق، جاءتني أعرفُ فيها الفزعَ، فقالت: ألم ترَ الجنَّ وإِبْلاسَها، ويَأْسَها من بعد إِنكاسِها، ولحوقَها بالقِلَاص وأحلاسِها! قال عمر: صَدَقَ، بينما أنا نائم عند آلهتِهم، إذ جاء رجل بعجلٍ فذَبَحه، فصَرَخَ به صارخ لم أسمع صارخاً قطُّ أشدَّ صوتاً منه، يقول: يا جَليحْ، أمرٌ نَجِيحْ، رجل فَصيحْ، يقول: لا إلٰه إلا أنت! فوثب القوم، قلتُ: لا أَبرحُ حتى أعلمَ ما وراء هذا. ثم نادى: يا جَليحْ، أمرٌ نَجِيحْ، رجلٌ فَصيحْ، يقول: لا إلٰه إلا أنت. فقمتُ، فما نَشِبْنا أنْ قيل: هذا نبيٌّ)[1].

وروى أبو نعيم في «الدلائل»: (أن أبا جهل جعل لمن يقتل محمداً مئة ناقة، قال عمر: فقلت له: يا أبا الحَكَم! الضمان صحيح؟ قال: نعم. قال: فتقلَّدتُ سيفي أريده، فمررت على عجل وهم يريدون أن يذبحوه، فقمت أنظر إليهم، فإذا صائح يصيح من جوف العجل، يا آل ذَريح، أمر نَجيح، رجل يَصيح، بلسان فصيح! قال عمر: فقلت في نفسي: إن هذا الأمر ما يُراد به إلا أنا)[2].

●● تلك هي الإشعاعة الأولى في قلب عمر وعقله، والتي عبَّر عنها بقوله: (فقلت في نفسي: إن هذا الأمر ما يُراد به إلا أنا).

---

(١) أخرجه البخاري (٣٨٦٦) واللفظ له؛ وابن هشام: ١/٢٠٩ ـ ٢١١؛ والحاكم: ٣/٦٠٨، وأبو يعلى والبيهقي وغيرهم، انظر: الفتح: ٩/٣١ ـ ٣٥؛ حياة الصحابة: ٣/٥٦٨ ـ ٥٧٠.

(٢) الفتح: ٩/٣٥ ـ ٣٦.

ثم أَسرجَتِ الشعلةَ الثانية في طريقه امرأةٌ مؤمنة من المهاجرات الأُوَل ، وهي أم عبد الله بنت أبي حَثْمة ، وقد رآها عمر صحبةَ زوجها في جماعة من السابقين يترحَّلون إلى الحبشة ، فرَقَّ لحالهم وقال لها: صَحِبَكم الله ! .

لقد أخذتْ عمرَ الرقةُ وظهر منه هذا الموقف ، وفي أعماق نفسه تعتمل النخوة التي جُبل عليها أمثاله من أكارم الرجال .

●● وتأتي دعوة رسول الله ﷺ بأن يؤيد الله تعالى هذا الدين بعمر بن الخطاب ، فتَفتح مغاليقَ قلب عمر وتضيء سبيلَه وتمحو الظلمات منه . فرسول الله ﷺ يعرف شجاعة عمر وشهامة رجوليته ، ويعرف عبقريته في سواء تفكيره واستقامة طبعه ، وجرأته على الجهر بما يعتقد؛ فكان يحب أن يهديه الله إلى الإسلام ، ليكون له ناصراً ، وتكون شجاعته قوة للدين الحق ، فكان ﷺ يدعو الله تعالى أن يهدي عمر للإيمان ، وأن يجعله درعاً لهذا الدين ، يدرأُ به عن المستضعفين ذلَّ الاستضعاف وأذى المشركين[1] .

عن عائشة وابن عباس وغيرهما: أن النبي ﷺ قال: «**اللهمَّ أعِزَّ الإسلامَ بعمر بن الخطاب خاصّةً**»[2] .

---

(١) محمد رسول الله ﷺ ، للصادق عرجون: ١/ ٦١١ .

(٢) أخرجه الفسوي: ٣/ ٢٦٦؛ وابن ماجه (١٠٥)؛ والحاكم: ٣/ ٨٣؛ وابن حبان (٦٨٨٢) ، وخيثمة من طرق عن: عائشة وابن عباس وابن عمر وابن مسعود وعلي ، وصححه ابن حبان والحاكم وأقره الذهبي؛ والحافظ في الفتح: ٨/ ٦٢٦ (٣٦٨٤)؛ والألباني ، وأخطأ العلامة شعيب الأرنؤوط في تضعيفه! .

وعن عبد الله بن عمر: (أن رسول الله ﷺ قال: «**اللهمَّ أعِزَّ الإسلامَ بأحبِّ هذين الرجُلين إليك: بأبي جهلٍ، أو بعمرَ بن الخطاب**». قال: وكان أحبَّهما إليه عمرُ)(١).

ودعوة النبي ﷺ مستجابة مكرمة عند ربه سبحانه، فاخترقت شِغاف قلب عمر ومزَّقت الحُجب عنه، وتركَتْه على تماس مباشر مع أنوار القرآن وجَرْس إعجازه، فكان سِحرُهُ أحدَ العوامل الحاسمة في إسلام عمر، لأنه كان خليقاً بأن تأخذه بلاغة القرآن(٢).

عن شُريح بن عُبيد قال: قال عمر بن الخطاب: (خرجتُ أتعرَّضُ رسولَ الله ﷺ قبل أن أسلمَ، فوجدتُه قد سبقني إلى المسجد، فقمتُ خلفَه، فاستفتح سورة الحاقة، فجعلتُ أعجبُ من تأليف القرآن! قال: فقلت: هذا والله شاعر كما قالت قريش، فقرأ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾، قال: قلت: كاهنٌ، قال: ﴿وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ﴾ إلى آخر السورة، قال: فوقع الإسلام في قلبي كلَّ موقعٍ)(٣).

وذكره ابن كثير في «تفسيره» وقال: هذا من جملة الأسباب التي

---

(١) أخرجه الترمذي (٤٠١٣)؛ وأحمد (٥٦٩٦)؛ وابن حبان (٦٨٨١)؛ وابن سعد: ٣/ ٢٦٧؛ وغيرهم. وقال الترمذي: حسن صحيح غريب، وصححه الألباني، وحسنه شعيب الأرنؤوط.

(٢) انظر: التصوير الفني في القرآن، ص ١١ ـ ١٣.

(٣) أخرجه أحمد (١٠٧)، وقال أحمد شاكر: إسناده ضعيف لانقطاعه.

جعلها الله مؤثرة في هداية عمر بن الخطاب[1].

●● وكان مَن قَدَح زنادَ قلب عمر وأضاءَ جنبات نفسه وأيقظَه من تيهه وأَعلن ساعة الحسم في إسلامه ـ امرأة باهرة شامخة تمتلك الكثير من صفات عمر وصلابته وعبقريته ومضائه ، لأنها رضعتْ من الثدي الذي تغذى به عمر ، وورثَتْ من الخطَّاب مثلَ ما ورث عمر ، إنها فاطمة أخت عمر[2]!.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (خرج عمر متقلِّدَ السيف ، فلقيه رجلٌ من بني زُهرة ، قال: أين تَعْمِد يا عمر؟ فقال: أريد أن أقتل محمداً! قال: وكيف تأمَنُ في بني هاشم وبني زُهرة وقد قتلتَ محمداً؟! قال: فقال عمر: ما أراكَ إلا قد صَبَوْتَ وتركتَ دينك الذي أنتَ عليه ، قال: أفلا أدلّك على العجب يا عمر؟! إن خَتَنك وأختك قد صَبَوَا وتركا دينك الذي أنت عليه.

قال: فمشى عمر ذامِراً حتى أتاهما ، وعندهما رجل من المهاجرين يقال له: خبَّاب ، قال: فلما سمع خبَّاب حِسَّ عمر توارى في البيت ، فدخل عليهما فقال: ما هذه الهَيْنَمةُ التي سمعتُها عندكم؟ قال: وكانوا يقرؤون ﴿طه﴾ ، فقالا: ما عدا حديثاً تحدثناه بيننا ، قال: فلعلكما قد صَبَوْتما؟ قال: فقال له ختنُه: أرأيتَ يا عمر إنْ كان الحق في غير دينك؟!

---

(١) تفسير القرآن العظيم: ٤/ ٤٩٢.

(٢) قصة إسلام عمر رواها: ابن سعد: ٣/ ٢٦٧ ـ ٢٦٩؛ وابن هشام: ١/ ٣٤٣ ـ ٣٤٦؛ والدارقطني (٤٤١)؛ والبزار والطبراني: مجمع الزوائد: ٩/ ٦٣ ـ ٦٤؛ ابن عساكر: ١٨/ ٢٦٨ ـ ٢٧٣؛ محض الصواب: ١/ ١٥٠ ـ ١٦٢.

قال: فوثب عمر على ختنه فوطئه وَطْئاً شديداً ، فجاءت أخته فدفعته عن زوجها ، فنَفَحها بيده نفحة فدمَّى وجهها ، فقالت وهي غضبى: يا عمر ، إن كان الحق في غير دينك ، أشهدُ أن لا إلٰه إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله! .

فلما يئس عمر قال: أعطوني هذا الكتاب الذي عندكم فأقرأه ، قال: وكان عمر يقرأ الكتب ، فقالت أخته: إنك رِجْس ، ولا يمسُّه إلا المطهرون ، فقم فاغتسل أو توضأ. قال: فقام عمر فتوضأ ، ثم أخذ الكتاب فقرأ ﴿طه﴾ حتى انتهى إلى قوله تعالى: ﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ﴾ [طه: ١٤] ، قال: فقال عمر: دُلُّوني على محمد. فلما سمع خبَّاب قولَ عمر خرج من البيت ، فقال: أَبْشِر يا عمر ، فإني أرجو أن تكون دعوة رسول الله ﷺ لك ليلة الخميس: «**اللهمَّ أعِزَّ الإسلام بعمر بن الخطاب أو بعَمْرو بن هشام**» ، قال: ورسول الله ﷺ في الدار التي في أصل الصفا.

فانطلق عمر حتى أتى الدار ، قال: وعلى باب الدار حمزة وطلحة وأناس من أصحاب رسول الله ﷺ ، فلما رأى حمزة وَجَلَ القوم من عمر ، قال حمزة: نعم فهذا عمر ، فإن يُرِد الله بعمرَ خيراً يُسْلم ويتبع النبي ﷺ ، وإن يُرِدْ غيرَ ذلك يكن قتله علينا هيِّناً! قال: والنبي ﷺ داخل يوحى إليه. قال: فخرج رسول الله ﷺ حتى أتى عمر فأخذ بمجامع ثوبه وحمائل السيف ، فقال: «**أما أنتَ منتهياً يا عمر حتى يُنْزل الله بك من الخِزْي والنكال ما أَنزل بالوليد بن المغيرة؟! اللهمَّ هذا عمر بن الخطاب ، اللهم أَعِزَّ الدين بعمر بن الخطاب**». قال: فقال عمر: أشهدُ

أنك رسول الله. فأسلم، وقال: اخرج يا رسول الله)[1].

وفي رواية: أن الذي لقي عمرَ وصدَّه عن مقصده لقتلِ النبي ﷺ هو نُعيم بن عبد الله النَّحَّام، وفيها: أن أخت عمر قالت له: (هل تسمعُ يا عمر، أرأيتَ كل شيء بَلَغك عني مما تذكره من تركي آلهتك وكفري باللاتِ والعزى؟ فهو حق، أشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، فائتمِرْ أمرك، واقضِ ما أنتَ قاضٍ!)[2].

وفي رواية أخرى: عن أسلم مولى عمر قال: قال عمر: (أتحبون أن أُعْلِمكم كيف كان بدءُ إسلامي؟ قلنا: نعم، قال: كنت من أشدِّ الناس على رسول الله ﷺ، فبينا أنا في يوم شديد الحر بالهاجرة في بعض طرق مكة، إذ لقيني رجل من قريش، فقال: أين تريد يا ابن الخطاب؟ فقلتُ: أريدُ ذاك الرجلَ الذي غيَّر الدين، فقال: عجباً لك يا ابن الخطاب، تزعمُ هكذا وقد دخل من هذا الأمر في بيتك! قلت: وما ذاك؟ قال: أختك قد أسلمت. قال: فرجعت مغضباً حتى قرعتُ الباب...) الحديث، وفيه أنه قرأ سورة الحديد[3].

وهذه الروايات تختلف اختلافَ تنوعٍ لا اختلافَ تعارض، فهي روايات متقاربة لقصة واحدة تبين أسباباً متعددات في أوقات مختلفات، فبدايةُ حركة إسلام عمر كانت حميّةً جاهلية وعزيمة مغرورة بتعبدها

---

(١) طبقات ابن سعد: ٣/ ٢٦٧ ـ ٢٦٩.

(٢) مختصر ابن عساكر: ١٨/ ٢٧٢.

(٣) انظر: محض الصواب: ١/ ١٤٩ ـ ١٥١، ١٥٤ ـ ١٥٧. وهذه الروايات في كل منها ضعف، لكنها جاءت من طرق متعددة، فهي من باب الحديث الحسن لغيره.

للوثنية يقصد منها قتل دعوة الحق والهدى ، ونهاية حركته كانت نوراً وضياءً وهدًى ورحمةً وعزّاً ونصراً وفتحاً مبيناً .

وإن ذلك النور المتوهج الصادر من بيت أخت عمر وختنه قد صعقَ قلبَ عمر وأحالَهُ خلقاً آخر في لحظة بإذن اللطيف الخبير ، فكان إسلامه نفحةً من نفحات الإعجاز في رسالة محمد ﷺ[١] !.

ثالثاً: تاريخ إسلام عمر وعدد المسلمين يوم أسلم:

عن أسلم مولى عمر : أن عمر أسلم في السنة السادسة للبعثة النبوية[٢] .

ويؤيده حديث عبد الله بن عمر في قصة إسلام أبيه أنه وعى ذلك وهو غلام ، وفي رواية : (كان ابن خمس سنين) ، وكان عمره يوم أُحد (١٤) سنة ، وذلك بعد المبعث بـ (١٦) سنة ، فيكون مولده بعد المبعث بسنتين ، وإسلام عمر بعد البعثة بست أو سبع سنين[٣] .

وجاءت عدة روايات في (عدد المسلمين) عند بدء الهجرة إلى الحبشة وعند إسلام عمر :

روى ابن أبي خيثمة وأبو نُعيم من حديث عمر قال : (لقد رأيتُني وما أسلَمَ مع رسول الله ﷺ إلا تسعة وثلاثون رجلاً فكَمَّلْتُهم أربعين ، فأظهرَ الله دينَه ، وأعزَّ الإسلام)[٤] .

---

(١) انظر : محمد رسول الله ﷺ ، للصادق عرجون : ١/ ٦٤٠ ـ ٦٧٠ ، فقد كتب كلاماً نفيساً حول إسلام سيدنا عمر رضي الله عنه .
(٢) طبقات ابن سعد : ٣/ ٢٦٩ ؛ محض الصواب : ١/ ١٦٣ .
(٣) الفتح : ٩/ ٣٠ شرح الحديث (٣٨٦٥) .
(٤) الحلية : ١/ ٤١ ؛ الفتح : ٨/ ٦٢٦ (٣٦٨٤) .

وجاء نحوه عن ابن عباس[1].

وقال سعيد بن المسيب: (أسلم عمر بعد أربعين رجلاً وعشر نسوة)[2].

وقال عبد الله بن ثَعْلبة بن صُعَير: (أسلم عمر بعد خمسة وأربعين رجلاً وإحدى عشرة امرأة)[3].

ونحوه عن الزهري[4].

ولا اختلاف بين هذه الروايات؛ فعمرُ ذكر من عرفهم واطلع عليهم من المسلمين، وكان هناك عدد منهم لم يعرفه عمر ولا اطلع عليه، لأن غالب من أسلم في فترة استسرار الدعوة كان يخفي إسلامه، ثم إن عمر اقتصر في إخباره على الرجال ولم يذكر النساء.

* * *

---

(١) أسد الغابة: ٤/ ٥٣.

(٢) طبقات ابن سعد: ٣/ ٢٦٩.

(٣) المصدر السابق نفسه.

(٤) محض الصواب: ١/ ١٦٣.

الفصل الثاني

آثار إسلام عمر

وطور جديد في حياة الدعوة

أولاً: جهره بإسلامه وصلابته فيه:

إسلام عمر صفحة باهرة من كتاب الإسلام المضيء ، يقرأ فيها القارئ ماذا يصنع الإسلام في النفوس ، ويعلم أن هذا الدين كان قوة منشئة وبانية تلامس الضعيف فيقوى ، وتلابس القوي فتنمي قوته وتجري به في وجهته الصحيحة ، ويداً خلاقة تأخذ الحجارة المبعثرة في التيه فتشيد منها صرحاً له أساس وأركان[1] .

وعمرُ امرؤٌ جاهلي كَسبه الإسلام فكَسبه العالم الإنساني كله إلى آخر الزمان ، ونفع به أمته وأمماً لا تحصى في أيام الرسالة وعصر الخلافة الراشدة ، إنه سيصارع الباطل في جزيرة العرب أول النهار ، وفي كل الدنيا آخره! .

تفتحت أبواب الإسلام لعمر فدخلها دخول العاصفة من جميع الأبواب .

---

(١) انظر: عبقرية عمر ، ص ٨٧ .

(لم يُسْلم عمر خوفاً ولا رَهَباً ، ولم يسلم عمر طمعاً ولا رَغَباً ، ولم يُسلم تقليداً وتبعية ، ولكنه أسلم مستقلاًّ حرّاً كريماً.

كان إسلام عمر صورة لشخصيته ، يمثل خصائصه النفسية والعقلية والإرادية ، كما يصوِّرها تاريخ حياته: قوةً وشجاعة وجرأة مقتحمة ، وصراحة لا تعرف المداهنة ولا المداورة ، وإدراكاً مُلْهَماً ، وفطنة ألمعية ، ورجولية غلاَّبة قاهرة.

فعمر رضي الله عنه قوي لا يسلم إلا إسلامَ الأقوياء ، وعمر عبقري الإدراك فلا يسلم إلا إسلام العقل المفكر المستقيم ، وعمر شجاع لا يسلم إسلام الجبناء الرَّعَاديد ، ولكنه يسلم إسلام ذوي الشجاعة الذين يعرفون لأنفسهم حقها في الكرامة والعزة ، وعمر جريء لا يسلم إلا إسلام المقحِم الذي لا يهاب ما هناك من المخاطر ، وعمر ألمعيُّ الرأي فلا يسلم إلا إسلام مَن شهدَ الحقَّ بعقله وبصيرته ، فعرفه واهتدى إليه بنور تلك البصيرة وذلك العقل الدرَّاك المستقيم)[1].

وما إن استبان لعمر طريقُه إلى الإسلام حتى اندفع إليه بكل قوته ، وجَرَفَ في طريقه كل من حاول أن يتصدَّى له ، بل إنه كان يَعْمِد إلى بعض تلك الصخور التي كانت تعترض طريق الذين يريدون الإسلام فيحاول الاحتكاك بها والاصطدام معها ، دون أن يدور من حولها ، أو أن يدخل من وراء ظهرها! فالأمر عند عمر إما حق أو باطل ولا ثالث وراء هذا. . . وأما وقد عرف الحق وانتظم بجهته ، فهو حربٌ على الباطل

---

(١) محمد رسول الله ﷺ ، للصادق عرجون: ١/ ٦٣٠ ـ ٦٣١.

حتى يزول ، وتصفو للحق سماؤه التي يطلع منها[1] .

أسلم عمر في السنة السادسة للبعثة النبوية ، فكان إسلامه أحدَ الأحداث البارزة في تاريخ الدعوة الإسلامية ، ومَعْلماً مميزاً من معالم التاريخ .

قال ابن اسحاق : حدثني نافع ، عن ابن عمر قال : (لمَّا أسلم أبي عمرُ قال : أيُّ قريش أَنْقَلُ للحديث؟ فقيل له : جَميل بن مَعْمر الجُمحيّ[2] ، قال : فغدا عليه . قال عبد الله بن عمر : فغدوتُ أتبع أثره وأنظر ما يفعل ، وأنا غلام أعقِلَ كلَّ ما رأيتُ ، حتى جاءه فقال له : أعلمتَ يا جميلُ أني قد أسلمتُ ودخلت في دين محمد؟ قال : فوالله ما راجعه حتى قام يجرُّ رداءه ، واتَّبعه عمر ، واتبعتُ أبي ، حتى إذا قام على باب المسجد صَرَخ بأعلى صوته : يا معشر قريش ـ وهم في أنديتهم حول الكعبة ـ ألا إن عمر بن الخطاب قد صَبَا! قال : ويقول عمر من خلفه : كَذَب ، ولكني قد أسلمتُ ، وشهدتُ أن لا إلٰه إلا الله وأن محمداً عبدُه ورسوله . وثاروا إليه ، فما برح يقاتلهم ويقاتلونه حتى قامت الشمس على رؤوسهم . قال : وطَلِحَ ، فقعد وقاموا على رأسه وهو يقول : افعلوا ما بدا لكم ، فأحلِفُ بالله أن لو قد كنا ثلاثَ مئة رجل لقد تركناها لكم أو تركتموها لنا! قال : فبينما هم على ذلك ، إذ أقبل شيخ من قريش عليه حُلَّة حِبَرة وقميص موشًّى ، حتى وقف عليهم ، فقال : ما شأنُكم؟! قالوا : صبأ عمر ، فقال : فَمَه! رجلٌ اختار لنفسه أمراً فماذا تريدون؟ أترون بني عديّ بن

---

(١) عمر بن الخطاب ، لعبد الكريم الخطيب ، ص ٥٧ ـ ٥٨ .
(٢) صحابي ، أسلم وشهد حنيناً والفتح ، توفي في خلافة عمر ، وحزن عمر عليه حزناً شديداً .

كعب يُسْلِمون لكم صاحبهم هكذا! خَلُّوا عن الرجل. قال: فوالله لكأنما كانوا ثوباً كُشِط عنه. قال: فقلت لأبي بعد أن هاجر إلى المدينة: يا أبتِ! مَن الرجل الذي زجر القوم عنك بمكة يوم أسلمتَ وهم يقاتلونك؟ فقال: ذاك ـ أي بُنيّ ـ العاصُ بن وائل السهمي)[1].

وفي رواية: (فثاروا إليه، فوثب عمر على عُتْبة بن ربيعة فبَرَك عليه، وجعل يضربه، وأدخل إصبعيه في عينيه، فجعل عتبة يصيح، فتنحَّى الناس عنه، فقام عمر فجعل لا يدنو منه أحدٌ إلا أخذَ شَريف من دنا منه، حتى أحجمَ الناس عنه. واتبع المجالسَ التي كان يجلسها بالكفر فأظهر فيها الإيمان، وما زال يقاتلهم حتى ركدت الشمس على رؤوسهم، وفَـتَرَ عمر)[2].

وعن أسلم، عن عمر في قصة إسلامه قال: (فما زال الناس يضربونني وأضربهم، فقال خالي[3]: ما هذا؟ فقيل: ابن الخطاب، قال: فقام علي الحِجْر فأشار بكُمِّه فقال: أَلاَ إني قد أجرتُ ابنَ أختي، قال: فانكشف الناس عني. وكنتُ لا أشاء أن أرى أحداً من المسلمين

---

(١) السيرة، لابن هشام: ١/ ٣٤٨ ـ ٣٤٩؛ وذكره ابن كثير في البداية والنهاية: ٣/ ٨١ ـ ٨٢، وقال: هذا إسناد جيد قوي؛ وأخرجه الحاكم: ٣/ ٨٥ بأخصر منه، وصححه وأقره الذهبي؛ وبنحوه في الحلية: ١/ ٤١. ومعنى (طلح): أعيى.

(٢) فضائل الصحابة، للإمام أحمد: ١/ ٣٤٦، وإسناده حسن.

(٣) أم عمر: هي حنتمة بنت هاشم، وأمها الشفاء من بني سَهْم، فلهذا قال عمر عن العاص بن وائل السهمي: إنه خاله، وأهل الأم كلهم أخوال. انظر: أسد الغابة: ٤/ ٥٧.

يُضرب إلا رأيتُه ، وأنا لا أُضرب ، قال : فقلت : ما هذا بشيء حتى يصيبني مثلُ ما يصيب المسلمين . قال : فأمهلتُ ، حتى إذا جلس الناس في الحِجْر ، أتيتُ إلى خالي فقلت : اسمَعْ ، فقال : ما أسمعُ؟ قلتُ : جِوارُكَ عليك رَدٌّ ، فقال : لا تفعلْ يا ابن أختي ، قلت : بل هو ذاك ، فقال : ما شئتَ . قال : فما زلتُ أَضرب وأُضرب حتى أعزَّ الله الإسلام)[1] .

لقد أبى عمر منذ اللحظة الأولى لإسلامه إلا أن يبرهن على أصالة معدنه ورسوخ صفاته وعلو ملكاته ، وهو القوي الصلب الشديد المعتدّ بنفسه والذي ينافر بقومه القبائل فكيف وقد أعزه الله بالإسلام؟! لذا لم يشغله أمر بعد إعلانه إسلامه وإشاعة جميل بن مَعْمر خبرَه ـ إلا أن يخرج ليَضرب ويُضرب ، مثلما كان يعذب الضعفاء من المسلمين ، وليرغِمَ آنافَ عتاة قريش ، ويردَّ جوار أحد ساداتهم ويكتفي بجوار ربه سبحانه .

ثانياً: الجهر بالدعوة ولقب (الفاروق):

عن ابن عباس قال : سألت عمرَ : لأي شيءٍ سُمِّيتَ الفاروق؟ فذكر عمر قصة إسلامه ، ثم قال : (قلت : يا رسولَ الله! أَلسْنا على الحق إِنْ مِتنا وإِنْ حَيينا؟ قال : «**بلى والذي نفسي بيده إنكم على الحق إنْ مُتّم وإنْ حَييتُم**» ، قلت : ففيمَ الاختفاءُ! والذي بعَثَكَ بالحق لتخرجنَّ . فأخرجناه

---

(١) الحلية : ١/ ٤١ ؛ أسد الغابة : ٤/ ٥٥ ـ ٥٦ ؛ زوائد فضائل الصحابة لعبد الله بن أحمد : ١/ ٣٨٥ ، ٣٨٨ ؛ محض الصواب : ١/ ١٤٩ ـ ١٥٠ ؛ وإجارة العاص لعمر ثابتة في البخاري (٣٨٦٥) .

في صفَّين: حمزة في أحدهما وأنا في الآخر ، له كَدِيدٌ كَكَديد الطحين ، حتى دخلنا المسجد ، قال: فنظرتْ إليَّ قريش وإلى حمزة فأصابتهم كآبةٌ لم يُصِبْهم مثلها ، فسمَّاني رسول الله ﷺ يومئذ الفاروق . وفَرَّقَ الله به بين الحق والباطل)[1].

ثالثاً: آثار إسلام الفاروق وأهميته:

شَرِقت قريش بإسلامِ حمزة وعمر ، واشرأَبَّتْ أعناقُ المسلمين بالعزة والقوة ، وأعزَّ الله بإسلامهما دينَه ، وشدَّ بهما عَضُد نبيه ﷺ . وخرج المسلمون من اختفائهم بدعوتهم ، وأعلنوا عن إيمانهم وظهروا إلى الملأ بإسلامهم ، وانتصفوا ممن أغلظ عليهم ، وطافوا بالبيت المحرم علانيةً ، وتحلَّقوا حوله يتحدثون في أمورهم ، وكانوا من قبل لا يستطيعون الوصول إلى البيت الحرام إلا خفيةً في تسلل وتوجس وحذر[2].

عن عبد الله بن مسعود قال: (ما زِلنا أعزّةً منذُ أسلَمَ عمر)[3].

وإنما أراد ابن مسعود الضعفاء من المسلمين ، وإلا فقد كان النبي ﷺ وأبو بكر وحمزة وأمثالهم يصلُّون عند الكعبة مع ما كان ينالهم من أذى .

ويوضح ابن مسعود ذلك فيقول: (كان إسلامُ عمر فتحاً ، وكانت هجرته نصراً ، وكانت إمارته رحمة ، لقد رأيتُنا وما نستطيعُ أن نصلي

---

(١) الحلية: ١/ ٤٠ ، وقد مرَّ طرف منه: ص٢٦ في هذا الكتاب.

(٢) محمد رسول الله ﷺ ، للصادق عرجون: ٢/ ١٥٧ .

(٣) أخرجه البخاري (٣٦٨٤)؛ وابن سعد: ٣/ ٢٧٠؛ والحاكم: ٣/ ٨٤ .

بالبيت حتى أسلم عمر ، فلما أسلم عمر قاتَلَهم حتى تركونا فصلَّينا)[1] .

وعن صُهيب بن سِنانٍ قال: (لمَّا أسلم عمر ظَهر الإسلام ودُعي إليه علانية ، وجلسنا حول البيت حِلَقاً ، وطُفْنا بالبيت ، وانتصفنا ممن غَلُظ علينا ورددنا عليه بعضَ ما يأتي به)[2] .

وهكذا بإسلام عمر دخلت الدعوة الإسلامية طوراً جديداً ، جهر فيه المسلمون ـ قويُّهم ومُستضعَفُهم ـ بدينهم وصلاتهم ، وأصبح الصدام مع المشركين يأخذ طابع العلانية والصرامة. ورأت قريش أنها في كل يوم تخسر موقعاً من مواقعها وتتراجع قوتها وتذبل هيبتُها ، في حين يقوى عود الإسلام ويعزّ جانبه ، وذلك مظهر جليل من إجابة دعوة النبي ﷺ: «**اللهم أعزَّ الإسلام بعمر**» .

وأخبار عمر في (الفترة المكية) من عمر الرسالة نَزْرة يسيرة ، شأن غيره من أكابر الصحابة ، ذلك أن منهج الرسول ﷺ كان قائماً على الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن ، وإقامة الحجج والبراهين على وحدانية الله وصفاء العقيدة وصحة الرسالة وأهدافها وثوابها وعقباها في الدنيا والآخرة .

وهذا المنهج النبوي في تلك المرحلة لم يكن لبأس عمر وصلابته وجراءته بأن تظهر مظاهرها ، تجنباً للصدام مع عامة قريش والقبائل من المشركين المتربِّصين بالدعوة وما تؤول إليه من قرار .

---

(١) طبقات ابن سعد: ٣/ ٢٧٠؛ السيرة ، لابن هشام: ١/ ٣٤٢؛ مجمع الزوائد: ٩/ ٦٢ ـ ٦٣ .

(٢) طبقات ابن سعد: ٣/ ٢٦٩؛ مختصر ابن عساكر: ١٨/ ٢٧٥ .

بيد أن عمر كان بلا ريب ملازماً لرسول الله ﷺ ، يتلقَّى عنه القرآن ويأخذ عنه سنَّتَه الشريفة وهديه وسَمْتَه وأخلاقه وآدابه. . . وبقي هكذا مع النبي ﷺ وأصحابه الذين لم يهاجروا إلى الحبشة ، حتى أذِن لهم بالهجرة إلى مدينته الطيبة.

* * *

الفصل الثالث

هجرته إلى المدينة المنورة

أسلم عمر ولم يهاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية ، بل بقي بمكة كالجبل الأشم ليعلنَ كلمة الإسلام ، ويكون عضداً للنبي ﷺ في دعوته وبلاغه ، ودرعاً حصينة يحتمي بها المستضعفون من المسلمين ، ويحقق رغائب نفسه الطموحة للمعالي ، ويقرَّ عينَ النبي ﷺ وأصحابه بمواقفه الفريدة.

ولما عقد رسول الله ﷺ البيعة الكبرى مع الأنصار ، وأصبحت مدينتهم هي المأوى وفيها النصرة: أَذِن ﷺ لأصحابه بالهجرة إليها ، فكان ذلك مدعاة لعمر كي يلبي التوجيه النبوي ، ليكون له هناك الدور البارز في بناء دولة الإسلام.

ومشى عمر في هذا الحدث الضخم مع طبيعته وخصائصه واعتزازه بدينه ، فأعلن هجرته بصوت مجلجِل على الملأ من قريش ، لتكون بذلك مَعْلَماً آخر جديداً في حياته وفي تاريخ الدعوة ، وقدوة للصناديد من أمثاله ، وحمى للضعفاء الذين يلوذون بحِماه.

عن عبد الله بن عباس قال: قال لي علي بن أبي طالب: (ما علمتُ أن أحداً من المهاجرين هاجر إلا مختفياً ، إلا عمر بن الخطاب فإنه لمّا هَمَّ بالهجرة تقلّد سيفه وتنكَّب قوسه وانتَضى في يده أسْهُماً واختَصَر

عَـنَـزَتَه ، ومضى قِبل الكعبة ، والملأ من قريش بِـفِنائها ، فطاف بالبيت سبعاً متمكِّناً ، ثم أتى المقام فصلى متمكِّناً ، ثم وقف على الحِلَق واحدة واحدة وقال: شاهَتِ الوجوه ، لا يُرغِمُ الله إلا هذه المعاطس! من أراد أن تثكله أمه ويُؤتم ولده ويُرْمل زوجته؛ فليَلْقَني وراء هذا الوادي! قال علي: فما تبعه أحد إلا قوم من المستضعفين علَّمهم وأرشدهم ، ومَضَى لوجهه)[1].

فكانت هجرة عمر حدثاً مزلزلاً هزَّ كيان قريش ، مثلما كان إسلامه صاعقة نزلت بساحتها! فهاجر طائعاً مختاراً جهاراً نهاراً هجرة الشجاع القوي لأنه على الحق ، وهو يردِّد: (أَلَسْنا على الحق إنْ مُتْنَا وإن حَيِينا)!.

وخرج الفاروق وفي ركبه عشرون من المهاجرين الأقوياء والضعفاء[2].

ويؤيد خبر هجرته جهاراً قول ابن مسعود: (كان إسلام عمر فتحاً ، وكانت هجرته نصراً) ، فلن تكون هجرة عمر نصراً ولن تختص بهذا الوصف من بين هجرات الآخرين إلا إذا كان فيها طرفان يتغالبان ويكون النصر لأحدهما.

---

(١) أسد الغابة: ٤/٥٨؛ مختصر ابن عساكر: ١٨/٢٧٨؛ سبل الهدى والرشاد: ٣/٣١٥ ـ ٣١٦؛ ورجاله ثقات. **اختَصَر عَنَزته**: أي وضعها على خصره ، والعَنَزة: عصا أقصر من الرمح في أسفلها زُجّ ـ حديدة ـ يُتوكأ عليها.

(٢) وقد أخطأ هيكل في كتابه: الفاروق ، ص٥٠ ، حيث ضَعَّف هذه الرواية ورجَّح أن عمر هاجر سرّاً ، مع أن إسنادها قوي ، وتتناسب مع طبيعة عمر وهَدْيه!.

ويبين لنا عمر كيفية هجرته ، ويذكر أسماء بعض من هاجر معه :

قال ابن إسحاق : حدثني نافع ، عن ابن عمر ، عن أبيه عمر قال : (اتَّعدتُ ، لما أردنا الهجرة إلى المدينة ، أنا وعيَّاش بن أبي ربيعة وهشام بن العاصِ بن وائل السَّهْمي : التَّنَاضِبَ من أَضاة بني غِفار فوق سَرِف ، وقلنا : أَيُّنا لم يُصْبح عندها فقد حُبس ، فليمضِ صاحباه . قال : فأصبحت أنا وعياش بن أبي ربيعة ، وحُبِس عنا هشام وفُتن فافتتن .

فلما قدمنا المدينةَ نزلنا في بني عَمْرو بن عوف بقُباء ، وخرج أبو جهل بن هشام والحارث بن هشام إلى عياش بن أبي ربيعة ، وكان ابنَ عمهما وأخاهما لأمِّهما ، حتى قدِما علينا المدينة ، ورسول الله ﷺ بمكة ، فكلَّماه وقالا : إن أُمَّك قد نَذَرَتْ أن لا يمسَّ رأسَها مُشْطٌ حتى تراك ، ولا تستظلَّ من شمس حتى تراك . فَرَقَّ لها ، فقلت له : يا عياش ، إنه والله إنْ يريدك القوم إلا ليفتنوك عن دينك فاحذَرْهم ، فوالله لو قد آذَى أمَّك القَملُ لامتشطت ، ولو قد اشتدَّ عليها حرُّ مكة لاستظلَّتْ! قال : فقال : أبَرُّ قسمَ أمي ، ولي هنالك مالٌ فآخذه . قال : فقلت : والله إنك لتعلمُ أني لمن أكثر قريش مالاً ، فلَكَ نصفُ مالي ولا تذهب معهما . قال : فأبَى عليَّ إلا أن يخرج معهما ، فلما أبى إلا ذلك قلت له : أما إذ قد فعلتَ ما فعلتَ ، فخُذْ ناقتي هذه ، فإنها ناقة نَجِيبةٌ ذَلول ، فالْزَم ظهرها ، فإن رابَكَ من القوم ريبٌ فانْجُ عليها .

فخرج عليها معهما ، حتى إذا كانوا ببعض الطريق ، قال له أبو جهل : يا ابنَ أخي ، والله لقد استغلَظْتُ بعيري هذا ، أفلا تُعْقِبني على ناقتك هذه؟ قال : بلى ، قال : فأناخ ، وأناخا ليتحوّل عليها ، فلما

استَوَوْا بالأرضِ عَدَوَا عليه ، فأوثقاه وربطاه ، ثم دخلا به مكة ، وفَتَناه فافتتن)[1] .

وفي هذه الحادثة تظهر فراسة عمر وإلهامُه ، حيث استشعر نيَّةَ الغدر من أبي جهل والحارث ، ونبَّه عياشاً على ذلك . ولما تعلَّل عياش بمالِه الذي تركه بمكة ، بذل له عمر نصف ماله ، فتعفف عياش وأصرَّ على الذهاب إلى مكة وقد أخذته العاطفة والبرُّ بأمه ، فلما رأى الفاروق إصراره ، وهو حريص على نجاته ، أعطاه ناقته النجيبة لينجو عليها إذا رابَهُ أمرٌ من هذين المشركَيْن! وهذا من مزيد إخلاص عمر وحبِّه لأخيه في الإسلام وحرصه على نجاته بدينه من الفتنة .

ونَفَذ قدرُ الله تعالى ، ووقع ما رآه عمر وتفرَّسه ، وحُبس عياش بمكة ، ونزلت آية ﴿الزمر﴾[2] بحقه ، فكتبها عمر وأرسل بها إلى عياش وهشام ، يحثهما على النجاة من الحبس والهجرة إلى المدينة ، فكان ذلك منهما ، كما في بقية الخبر .

وقدم عمر المدينة في عشرين من الصحابة قبل رسول الله ﷺ :

قال البراء بن عازب : (أولُ مَن قَدِمَ علينا مصعبُ بن عمير وابن أم

---

(١) السيرة النبوية ، لابن هشام : ١/ ٤٧٤ ـ ٤٧٥ ، وإسناده صحيح ؛ وابن سعد : ٣ / ٢٧١ ـ ٢٧٢ ؛ وعزاه الحافظ في الإصابة : ٣/ ٥٧٢ «ترجمة هشام بن العاص» إلى ابن السكن وصححه ؛ وذكره الهيثمي في المجمع : ٦/ ٦١ للبزاز ، وقال : رجاله ثقات . **سَرِف** : وادٍ من أودية مكة إلى الشمال على بعد (١٢ كم) منها . **التناضِب** : شجيرات عند أضاة بني غفار ، **والأضاة** : غدير صغير ، على جانب وادي سَرِف .

(٢) الآية رقم (٥٣) ؛ وانظر : تفسير القرطبي : ١٥/ ٢٣٤ .

مكتوم ، وكانوا يُـقْرِئون الناسَ ، فقَدِم بلال وسعد وعمار بن ياسر. ثم قَدِمَ عمر بن الخطاب في عشرين من أصحاب النبي ﷺ. ثم قَدِمَ النبي ﷺ ، فما رأيتُ أهلَ المدينة فَرِحوا بشيء فرحَهم برسولِ الله ﷺ ، حتى جعل الإماءُ يقلن: قَدِمَ رسول الله ﷺ)[1].

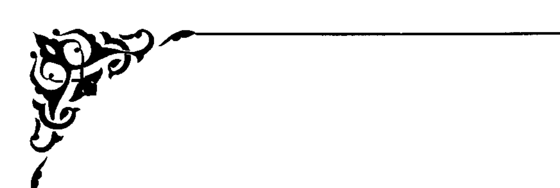
وقد سمى ابن إسحاق منهم: زيد بن الخطاب ، وسعيد بن زيد ، وعَمْرو بن سراقة ، وأخاه عبد الله ، وواقد بن عبد الله ، وخالداً وإياساً وعامراً وعاقلاً بني البُكير ، وخُنَيْس بن حُذَافة ، وعيَّاش بن أبي ربيعة ، وخَوْليّ بن أبي خوليّ ، وأخاه مالك بن أبي خولي ، هؤلاء كلهم من أقارب عمر وحلفائهم. فنزلوا جميعاً على رفاعة بن عبد المنذر بقُباء. ولعل بقية العشرين كانوا من أتباعهم[2].

* * *

---

(١) أخرجه البخاري (٣٩٢٥)؛ والفسوي: ٢/ ٦٢٥.

(٢) السيرة ، لابن هشام: ١/ ٤٧٦ ـ ٤٧٧؛ الفتح: ٩/ ١٥٩ (٣٩٢٥).




الباب الثالث

الفاروق في مدرسة النبوة بالمدينة المنورة

- ملازمته رسول الله ﷺ وتربيته في مدرسته.
- مواقفه وبروزه بين الصحابة.
- موافقاته.
- جهاده ومشاهده مع النبي ﷺ.
- مع النبي ﷺ في أيامه الأخيرة.

* * *




الفصل الأول

ملازمته رسول الله ﷺ
وتربيته في مدرسته

منذ أسلم سيدنا عمر كان ـ مع أبي بكر ـ أقربَ الناس إلى النبي ﷺ ، وأشدهم ملازمة له ، وأعظمهم حبّاً له وإجلالاً لمقامه الشريف ، فلازم مجالسه، وحضر معه صلواته وحجَّه وعُمَرَه، وشهد غزواته وجاهد تحت لوائه ، ورافقه في أسفاره ، وأمتع روحه ونفسه بتربيته ، وخالطه مخالطة الأخ الودود الصلب الذي يُـنافح عن مقام النبوة ولا يطيق أن يُخدش ولو بهمسة أو نظرة ، وتواصلت أنفاسه بأنفاسه الزكية. . . فقرَّبه ﷺ منه وأدناه إليه ، وأحاطه برعايته وأدَّبه بآدابه ، وتزوج ابنته ، ففتح ذلك باباً آخر لعمر وتكريماً وإعزازاً ، فكان كثير الدخول إلى بيت النبوة. . .

أولاً: حبُّه رسولَ الله ﷺ وإعظامه لشأنه وحرصه على نفسه الشريفة:

●● عن عبد الله بن هشام بن زُهرة التَّيمي قال: (كنا مع النبي ﷺ وهو آخذٌ بيد عمر بن الخطاب ، فقال له عمر: يا رسولَ الله ، لأنتَ أحبُّ إليَّ من كل شيءٍ إلا من نفسي ، فقال النبي ﷺ: «**لا والذي نفسي بيده ، حتى أكونَ أحبَّ إليك من نفسك**» فقال له عمر: فإنه الآن واللهِ لأنتَ أحبُّ إليَّ من نفسي ، فقال النبي ﷺ: «**الآنَ يا عمر**»)[1].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٦٣٢).

ومعنى «**الآن يا عمر**»: أي الآن عرفتَ فنطقتَ بما يجب. وأما تقريرُ بعض شرَّاح الحديث: الآن صار إيمانك معتدّاً به، ففيه سوء أدبٍ في العبارة[1].

ـ وعن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة قال: (صلَّى النبي ﷺ إحدى صلاتي العَشِيِّ ـ قال محمد: وأكثَرُ ظنِّي العصر ـ ركعتين، ثم سلَّم، ثم قام إلى خشبة في مُقَدَّمِ المسجد فوَضَع يده عليها، وفيهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، فهابا أن يكلِّماه، وخَرج سَرَعانُ الناسِ، فقالوا: أَقُصِرَتِ الصلاةُ؟...)[2] الحديث، وفيه قصة سهوه ﷺ.

وقوله: (**فَهابَا أن يكلِّماه**): المعنى أنهما غَلَبَ عليهما احترامُه وتعظيمه عن الاعتراضِ عليه[3].

ـ وعن عبد الله بن عمر: (أنه كان مع النبي ﷺ في سَفَرٍ، وكان على بَكْرٍ لعمرَ صَعْبٍ، فكان يتقدَّمُ النبيَّ ﷺ، فيقول أبوه: يا عبدَ الله! لا يتقدَّمُ النبيَّ ﷺ أحدٌ).

وفي رواية: (كنَّا مع النبيِّ ﷺ في سفرٍ، فكنتُ على بكْرٍ صَعْبٍ لعمرَ، فكان يَغْلِبُني فيتقدَّمُ أمامَ القوم، فيزجرُهُ عمر ويَرُدُّهُ، ثم يتقدَّم فيزجُرُه عمر ويردُّهُ)[4].

---

(١) الفتح: ١٥/ ٨٢، شرح الحديث (٦٦٣٢).
(٢) أخرجه البخاري (٤٨٢، ١٢٢٩، ...)؛ ومسلم (٥٧٣)، وغيرهما.
(٣) الفتح: ٤/ ١٦٤ (١٢٢٩).
(٤) أخرجه البخاري (٢١١٥، ٢٦١٠).

قال الحافظ: في هذا الحديث ما كان الصحابة عليه من توقيرِهم للنبي ﷺ وأن لا يتقدموه في المشي[1].

ـ وفي حديث الحُديبيَة وقد أمضَى رسول الله ﷺ الصلح مع قريش، وراجعه عمر في ذلك، فبيَّنَ ﷺ له ما خفي عليه، قال عمر: (فعملتُ لذلك أعمالاً)[2].

وفي رواية ابن إسحاق: (فكان عمر يقول: ما زلتُ أتصدَّقُ وأصومُ وأُصلي وأُعْتِق، من الذي صنعتُ يومئذٍ، مخافةَ كلامي الذي تكلّمتُ به، حتى رجوتُ أن يكون خيراً)[3].

ـ وعن عُبيد الله بن عباس قال: (كان للعباس ميزابٌ على طريق عمر، فلبس عمر ثيابه يوم الجمعة وقد كان ذُبح للعباس فَرْخَانِ، فلما وافى الميزابَ صُبَّ فيه ماءٌ فيه من دمِ الفرخَيْن فأصاب عمرَ، فأمر عمر بقلْعِه، ثم رجع عمر فطرح ثيابَه ولبس غيرها، ثم جاء فصلى بالناس، فأتاه العباس فقال: والله إنه لَلْموضِعُ الذي وضَعَه رسول الله ﷺ! فقال عمر للعباس: فأنا أعزم عليك لَمَا صعدتَ على ظهري حتى تضعَه في الموضع الذي وضعه رسول الله ﷺ! ففعل ذلك العباس)[4].

---

(١) الفتح: ٦/ ١٤٤ (٢١١٥).
(٢) البخاري (٢٧٣١ ـ ٢٧٣٢).
(٣) السيرة، لابن هشام: ٢/ ٣١٧.
(٤) أخرجه ابن سعد: ٤/ ٢٠؛ وأحمد (١٧٩٠)؛ وضعفه أحمد شاكر لانقطاعه. وجاء من طريق آخر عند ابن سعد: ٤/ ٢٠؛ والفسوي: ١/ ٥١١.

ـ وبَلَغ إجلالُه للنبي ﷺ أنه كان يؤدِّب من يرفع صوته في مسجده الشريف:

عن السائب بن يزيد قال: (كنتُ قائماً في المسجدِ، فحَصَبَني رجلٌ، فنظرتُ فإذا عمر بنُ الخطاب، فقال: اذهب فائْـتِني بهذين، فجئتُه بهما، قال: مَن أنتما ـ أو: من أين أنتما ـ؟ قالا: من أهل الطائف، قال: لو كنتما من أهل البلد لأوجَعْتُكما، ترفعانِ أصواتكما في مسجد رسول الله ﷺ؟!)[1].

●● وكان الفاروق من أرعى الصحابة لحقِّ النبي ﷺ، ومن أشدِّهم في توقيره والذبِّ عنه وحمايته. وكان سيفاً مُصْلَتاً على أعدائه ﷺ، ومنافحاً لافح البأس على كل من تسوِّل له نفسه الغضَّ من مقام النبوة.

ـ كان عُمير بن وهْب الجُمَحِيّ من شياطين قريش، وممن يؤذون النبي ﷺ وأصحابه، وفي معركة بدر أُسر ابنُه وهب بن عمير، فتعاهَدَ مع صفوان بن أمية أن يَـقْدَم المدينة ويتظاهر بفداء ابنه الأسير، وهو يقصد قتْلَ رسول الله ﷺ.

جاء في رواية ابن إسحاق: عن عروة قال: (أَمر عُميرٌ بسيفه فَشُحِذَ له وسُمَّ، ثم انطلق حتى قدِمَ المدينة، فبينا عمر بن الخطاب في نفر من المسلمين يتحدثون عن يوم بدر، ويذكرون ما أكرمهم الله به، وما أراهم من عدوهم، إذ نظر عمر إلى عُمير بن وهب حين أناخ على باب المسجد متوشِّحاً السيف، فقال: هذا الكلب عدو الله عمير بن

---

(١) أخرجه البخاري (٤٧٠).

وهب ، والله ما جاء إلا لشرٍّ! وهو الذي حرَّشَ بيننا وحَزَرَنا للقوم يوم بدر.

ثم دخل عمر على رسول الله ﷺ فقال: يا نبيَّ الله ، هذا عدوُّ الله عُمير بن وهب قد جاء متوشحاً سيفه! قال: «**فأَدْخِلْه عليَّ**» قال: فأقبل عمر حتى أخذ بِحِمالة سيفه في عُنقه فلَبَّبه بها ، وقال لرجال ممن كانوا معه من الأنصار: ادخلوا على رسول الله ﷺ فاجلسوا عنده ، واحذَروا عليه من هذا الخبيث فإنه غيرُ مأمون. ثم دخل به على رسول الله ﷺ. فلما رآه رسول الله ﷺ ، وعمرُ آخذٌ بحمالة سيفه في عنقه ، قال: «**أَرْسِلْه يا عمر ، ادْنُ يا عمير**». . .) الحديث.

وفيه: أن النبي ﷺ سأل عميراً عن مقصده من مجيئه ، فكَذَب عليه في جوابه ، فأخبره ﷺ بحقيقة الأمر وما جرى بينه وبين صفوان ، فأعلَن عميرٌ إسلامَه في مجلسه ذاك رضي الله عنه[1].

وفي هذا الموقف تتجلَّى عبقريةُ عمر وفراستُه ، وقراءتُه ما في نفس عمير من الغدر والشر ، وشدّتُه على أعداء النبي ﷺ ، وخوفُه على نفسه ﷺ ، وكيف زاد الأمر وثاقةً فأمر نفراً من الأنصار بحراسة النبي ﷺ خشية غدر عمير.

ـ وفي قصة إسلام الحَبْر اليهودي (زَيْد بن سَعْنَة) وهو يتحقق من علامات النبوة في رسول الله ﷺ ، وكان قد اشترى من النبي ﷺ تمراً إلى أجلٍ وأعطاه ثمنه ، قال زيد: (فلما كان قبل مَحَلِّ الأَجَل بيومين أو

---

(١) السيرة ، لابن هشام: ١/ ٦٦١ ـ ٦٦٢؛ البداية والنهاية: ٣/ ٣١٣؛ حياة الصحابة: ١/ ١٩٢.

ثلاثة ، خرج رسول الله ﷺ في جِنازة رجل من الأنصار ومعه أبو بكر وعمر وعثمان ونَفَرٌ من أصحابه ، فلما صلى على الجِنازة ، دنا من جدارٍ فجلس إليه ، فأخذتُ بمجامع قميصِه ونظرتُ إليه بوجهٍ غليظٍ ، ثم قلتُ : أَلاَ تَقْضيني يا محمدُ حقِّي؟ فواللهِ ما علمتُكم بني عبد المطلب بِمَطْلٍ ، ولقد كان لي بمخالطتِكم علمٌ! قال : ونظرتُ إلى عمر بن الخطاب وعيناه تدوران في وجهه كالفَلَكِ المستدير ، ثم رَمَاني ببصره ، وقال : أيْ عدوَّ الله ، أتقولُ لرسول الله ﷺ ما أسمعُ ، وتفعلُ به ما أَرى؟! فوالذي بعثَه بالحقِّ لولا ما أُحاذِرُ فَوْتَه لضربتُ بسيفي هذا عنقَكَ! ورسولُ الله ﷺ ينظرُ إلى عمر في سكونٍ وتُؤدةٍ ، ثم قال : «**إنّا كنا أحوجَ إلى غيرِ هذا منكَ يا عمرُ ، أن تأمرَني بحُسْنِ الأداءِ ، وتأمرَهُ بحُسْنِ التِّبَاعةِ ، اذهَبْ به يا عمر ، فاقْضِه حقَّه ، وزِدْهُ عشرين صاعاً من غيره مكانَ ما رُعْتَه . . .**» الحديث[1] .

ـ وعن جابر بن عبد الله قال : (كُنَّا في غَزاةٍ ، فكَسَعَ رجلٌ من المهاجرين رجلاً من الأنصار ، فقال الأنصاريُّ : يا لَلأنصار ، وقال المهاجريُّ : يا لَلْمهاجرين . فسمع ذاكَ رسولُ الله ﷺ فقال : «**ما بالُ دعوى الجاهلية؟!**» قالوا : يا رسول الله ، كَسَعَ رجلٌ من المهاجرين رجلاً من الأنصار ، فقال : «**دَعُوها فإنها منتنةٌ**» . فسمع بذلك عبد الله بن أُبيٍّ ، فقال : فَعَلُوها؟! أَمَا واللهِ لئن رجَعْنا إلى المدينة ليخرجنَّ الأعزُّ منها

(١) أخرجه ابن حبان (٢٨٨)؛ والحاكم : ٣/ ٦٠٤ ـ ٦٠٥ ؛ والطبراني في الكبير (٥١٤٧)؛ وغيرهم . وذكره الحافظ في ترجمة زيد في الإصابة : ١/ ٥٤٩ وقال : رجال الإسناد موثقون . وقال الهيثمي في (مجمع الزوائد : ٨/ ٢٤٠) : رجاله ثقات . **التِّباعة** : طلب الدَّين .

الأذَلَّ! فَبَلغَ النبيَّ ﷺ ، فقام عمرُ فقال: يا رسولَ الله ، دَعْني أضربْ عنق هذا المنافق ، فقال النبي ﷺ: «**دَعْه ، لا يتحدَّثُ الناس أن محمداً يقتل أصحابه**»)[1].

ثانياً: مع رسول الله ﷺ في عبادته:

وحرص عمر على ملازمة النبي ﷺ في صلواته وحجه وعُمَرِه وسائر عباداته ، وكان يقوم في الصف الأول على يمينه ﷺ ، يقتدي به ، ويغذي روحه بتعاليمه وتوجيهاته ، ويحفظ عنه سننه وهديه.

ـ عن عائشة قالت: (أَعْتَمَ رسول الله ﷺ ليلةً من الليالي بصلاة العشاء ، وهي التي تُدعى العَتَمَة ، فلم يَخرج رسول الله ﷺ حتى قال عمر بن الخطاب: نامَ النساء والصبيان. فخرج رسول الله ﷺ ، فقال لأهل المسجد حين خرج عليهم: «**ما ينتظرها أحدٌ من أهلِ الأرض غيرُكم**». وذلك قبلَ أن يفشوَ الإسلام في الناس)[2].

ـ وعن الأزرق بن قيس قال: (صلَّى بنا إمامٌ لنا يكنى أبا رِمْثَة فقال: صليتُ هذه الصلاة ـ أو: مثلَ هذه الصلاة ـ مع النبي ﷺ. قال: وكان أبو بكر وعمر يقومان في الصف المُقَدَّم عن يمينه...)[3] الحديث ، وفيه قصة.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٩٠٥)؛ ومسلم (٢٥٨٤)؛ والنسائي في الكبرى (٨٨١٢)؛ وغيرهم. كَسَع: ضَرب دُبُره بيدِهِ أو برجْلِه. والغزوة هي بني المُصْطَلِق.

(٢) أخرجه البخاري (٥٦٦)؛ ومسلم (٦٣٨)؛ والنسائي في الكبرى (٣٨٨)؛ وغيرهم.

(٣) أخرجه أبو داود (١٠٠٧) ، وصححه المحدث العلامة شعيب الأرناؤوط بطرقه، وضعفه الألباني فما أصاب. وللحديث تتمة ستأتي: ص ١٠٧ في هذا الكتاب.

ـ وكان مع النبي ﷺ في حَجَّة الوداع ، وأَخذ عنه مناسكها ، وسمع منه علماً جمّاً ، ومن ذلك ما رواه ابن عباس ، عن عمر قال : (سمعتُ النبي ﷺ بوادي العَقيق يقول : «**أتاني الليلةَ آتٍ من ربي فقال : صلِّ في هذا الوادي المبارك وقل : عمرةٌ في حَجّةٍ**»)[1].

ـ وكان معه ﷺ في (عمرة الجِعْرَانة) ، ويحدث يَعْلَى بن أميَّة فيقول : (وكان عمرُ يَسْتُره إذا أُنزل عليه الوحيُ ، يُظِلّه . فقلتُ لعمرَ رضي الله عنه : إني أحبُّ إذا أُنزل عليه الوحي أن أُدخِلَ رأسي معه في الثوب . فلما أُنزل عليه ، خَمَّره عمرُ رضي الله عنه بالثوب ، فجئتُه فأدخلتُ رأسي معه في الثوب ، فنظرتُ إليه)[2].

ثالثاً: ملازمته مجالس النبي ﷺ وأخذه عنه القرآن والسنن:

تلقى الفاروق القرآن الكريم مشافهة عن النبي ﷺ ، وسمع منه الكثير الطيب من أحاديثه الشريفة ، وحرص على ملازمة مجالسه وتحديثه الناسَ ، مع سعيه على الرزق والتجارة والضرب في الأسواق ، لذا كان يتناوب مع صحابي آخر في حضور مجالسه ﷺ ، ليفوز بالنصيب الأوفر من سماع الوحي والسنن الشريفة .

●● عن عبد الرحمن بن عبدٍ القاريِّ أنه قال : سمعتُ عمر بنَ الخطاب يقول : (سمعت هشام بن حَكيم بن حِزام يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرؤها ، وكان رسول الله ﷺ أقرأَنِيها ، فكِدْتُ أن أَعْجَلَ عليه ،

---

(١) أخرجه البخاري (١٥٣٤)؛ وأبو داود (١٨٠٠) ، وغيرهما .
(٢) أخرجه البخاري (١٥٣٦)؛ ومسلم (١١٨٠)؛ والنسائي في الكبرى (٣٦٣٤) ، وغيرهم .

ثم أَمْهَلْتُه حتى انصرف ، ثم لَبَّبْتُه بردائه ، فجئتُ به رسولَ الله ﷺ فقلت : يا رسول الله ، إني سمعتُ هذا يقرأ سورة الفرقان على غيرِ ما أقرأتنيها! فقال رسول الله ﷺ: «**أَرْسِلْه**» ، ثم قال: «**اقرأ يا هشامُ**» ، فقرأ القراءة التي سمعتُه يقرأ ، فقال رسول الله ﷺ: «**هكذا أُنزِلَتْ**» ، ثم قال لي: «**اقرأ**» ، فقرأتُها ، فقال: «**هكذا أُنزِلَتْ ، إنَّ هذا القرآن أُنْزِلَ على سبعةِ أحرفٍ ، فاقرؤوا ما تيسَّر منه**»)[1].

وعن عمرَ قال: (كُنَّا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره ، فكلَّمتُ رسولَ الله ﷺ فسكتَ ، ثم كلّمتُه فسَكَتَ ، فحرَّكْتُ راحلتي فتنحَّيتُ وقلت: ثَكلتْكَ أُمُّكَ يا ابن الخطاب ، نَـزَرْتَ رسولَ الله ﷺ ثلاثَ مرات ، كلُّ ذلك لا يكلِّمُك ، ما أَخْلَقَكَ أن يَنزِل فيك قرآنٌ! فما نَشِبْتُ أنْ سمعتُ صارخاً يَصرخ بي ، قال: فجئتُ إلى رسول الله ﷺ فقال: «**يا ابنَ الخطاب ، لقد أُنزل عليَّ هذه الليلة سورةٌ ما أُحِبُّ أن لي بها ما طَلعتْ عليه الشمس: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾**»)[2].

وفي حديث سَهْل بن حُنيف: (فنزلَتْ سورة الفتح ، فقرأَها رسولُ الله ﷺ على عمر إلى آخرها)[3].

●● عن ابن عباس ، عن عمر قال: (كنتُ أنا وجارٌ لي من الأنصار في بني أميَّة بن زيد ـ وهي من عوالي المدينة ـ وكنا نتناوبُ النزولَ على

(١) أخرجه مالك: ١/ ٢٠١؛ والبخاري (٢٤١٩)؛ ومسلم (٨١٨) ، وغيرهم.
(٢) أخرجه مالك: ١/ ٢٠٣ ـ ٢٠٤؛ والبخاري (٤١٧٧)؛ والنسائي في الكبرى (١١٤٣٥)؛ والترمذي (٣٥٤٥). قوله: (**بعض أسفاره**): هو سفر الحديبية عند رجوعهم منها. (**نزرت**): ألححت. (**فما نشبت**): فما لبثت.
(٣) أخرجه البخاري (٣١٨٢)؛ ومسلم (١٧٨٥).

رسول الله ﷺ ، ينزلُ يوماً وأنزل يوماً ، فإذا نزلتُ جِئْتُه بخبرِ ذلك اليوم من الوحي وغيرِه ، وإذا نزل فعل مثل ذلك)[1].

وعن عبد الله بن عمر قال: حدثني أَبي عمرُ بن الخطاب قال: (بينما نحنُ عند رسول الله ﷺ ذات يومٍ ، إذ طَلَعَ علينا رجلٌ شديدُ بياضِ الثياب ، شديدُ سواد الشعر ، لا يُرى عليه أثرُ السفر ، ولا يَعرفه منا أحدٌ ، حتى جَلَس إلى النبي ﷺ ، فأسنَدَ ركبتَيْه إلى ركبتيه ، ووضَعَ كفَّيْهِ على فخذيه ، وقال: يا محمدُ أخبرني عن الإسلام. . .) الحديث ، وفي آخره: (ثم انطلَقَ ، فلبثْتُ مليّاً ، ثم قال لي: «**يا عمرُ ، أتدري مَن السائِلُ؟**» قلت: الله ورسولهُ أعلمُ ، قال: «**فإنه جبريل ، أتاكُم يعلِّمُكم دينَكم**»)[2].

رابعاً: طرف من سؤالاته رسول الله ﷺ:

كان الصحابة رضي الله عنهم يهابون النبي ﷺ ، ويلازمون الأدب الرفيع في مجالسه ، ويُقِلُّون من مسألته. وكان الفاروق بمنزلته من قلب النبي ﷺ ، وقُرْبه منه ، وكثرة مجالسته له؛ يهتبِلُ الفُرصَ فيسأله ﷺ ويقتبس من أنوار علمه ، ويعمُّ به المسلمين.

ـ عن ابن عمر: أنَ عمر قال: (يا رسولَ الله ، إنِّي نَذَرتُ في الجاهلية أن أعتكفَ ليلةً في المسجد الحرام؟ قال: «**فأوفِ بنَذْرِك**»)[3].

---

(١) أخرجه البخاري (٨٩) ، وهو طرف من حديث طويل سيأتي: ص٨٨ وما بعدها في هذا الكتاب.

(٢) أخرجه مسلم (٨)؛ وأبو داود (٤٦٩٥)؛ والترمذي (٢٧٩٤) ، وغيرهم.

(٣) أخرجه البخاري (٢٠٤٢)؛ ومسلم (١٦٥٦)؛ والنسائي في الكبرى (٣٣٣٥) ، وغيرهم.

والمراد بقول عمر: (**في الجاهلية**): أي قبل إسلامه، لأن جاهلية كل أحد بحسبه.

- وعن ابن عمر: (أن عمر استفتى النبيَّ ﷺ فقال: هل ينامُ أحدُنا وهو جُنبٌ؟ قال: «**نعم، ليتوضأ ثم لينَمْ، حتى يغتسلَ إذا شاء**»)[1].

- وعن بُريدة بن الحُصَيْب قال: (كان رسول الله ﷺ يتوضأ لكل صلاة، فلما كان يومُ الفتح صلَّى الصلوات بوضوءٍ واحد، فقال له عمر: فعلتَ شيئاً لم تكن تفعلُه؟ فقال: «**عَمْداً فعلتُه يا عمر**»)[2].

- وعن جابر بن عبد الله، عن عمر قال: (هَشَشْتُ يوماً فَقَبَّلْتُ وأنا صائمٌ، فأتيتُ رسول الله ﷺ فقلت: صَنعتُ أمراً عظيماً، قبَّلتُ وأنا صائم؟! قال رسول الله ﷺ: «**أرأيتَ لو تمضمضتَ بماءٍ وأنتَ صائم؟**» فقلت: لا بأسَ بذلك، قال رسول الله ﷺ: «**ففيمَ**»!)[3].

خامساً: مع رسول الله ﷺ في بيته:

في كل يوم كان التاريخ يكتب صفحات جديدة مشرقة من مآثر عمر ومواقفه الباهرة في نصرة الإسلام ونبيه ﷺ وإعظامه له، فكان يرصد كل حركة من حركات الرسول ﷺ أو شعور يظهر على قسمات وجهه، ويهتم كل الاهتمام بحياته ﷺ في بيته وأخباره مع أزواجه الطاهرات وبخاصة

(١) أخرجه البخاري (٢٨٧)؛ ومسلم (٣٠٦)؛ وأبو داود (٢٢١)، وغيرهم.
(٢) أخرجه مسلم (٢٧٧)؛ والنسائي في الكبرى (١٣٣)؛ وابن حبان (١٧٠٦)، وغيرهم.
(٣) أخرجه النسائي في الكبرى (٣٠٣٦)؛ وأبو داود (٢٣٨٥)؛ وابن حبان (٣٥٤٤).

لأن ابنته واحدة منهن. . . فيستبشر ويسعد لسعادة النبي ﷺ ، ويألم ويحيط به الهمُّ ويشتدُّ به الغضب إذا أَلَمَّ برسول الله ﷺ ضِيقٌ أو نزل ببيته ما يحزنه ويعكِّر خاطره ، فتبرق (الغضبة العمرية) وترعد ، ويعلمها كل الصحابة القريب منهم والبعيد ، ويحسب لها حسابها ويترقب نتائجها؛ لِما علموا من شدة أبي حفص وصلابته وبأسه ، ثم ما غَرس الله له في القلوب من الهيبة والإجلال!.

وزاد من منزلة عمر ومكانته في قلب رسول الله ﷺ وصحابته عامة ، ما رأوه من خصوصيته هو والصديق في كثرة دخوله بيت النبي ﷺ ، لمؤانسته ومشاركته النظرَ في شؤون الإسلام والمسلمين. بل إن نساء رسول الله ﷺ كن يَهَبْنَ عمر ويعرفن منزلته ، ولربما اجترأَ بعضُهن عليه بأنه يتدخل في حياة النبي ﷺ الخاصة ، فيَكْسِرْنَه عن بعض صلابته! والمربي الأعظم ﷺ يحتمِلُ ذلك من عمر ويُمضيه؛ لعلمه ﷺ بحبِّه له وإشفاقه عليه وصحة نصيحته وقوته في الإسلام ، وتلك من مفاخر عمر.

عن عمر بن الخطاب قال: (كان رسول الله ﷺ يَسْمُرُ مع أبي بكر في الأمر من أمر المسلمين وأنا معهما)[1].

ومع تلك المنزلة لعمر ، فإنه كان رعاية لحق النبي ﷺ وإجلالاً له؛ تراه يتحين الأوقات المناسبة ويستأذن بالدخول حتى يؤذن له.

عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قالَ: (لَمْ أَزَلْ حَرِيصاً عَلَى أَنْ

---

(١) أخرجه الترمذي (١٦٩)؛ والنسائي في الكبرى (٨٢٠٠)؛ وأحمد (١٧٥ ، ١٧٨ ، ٢٢٨)؛ وابن حبان (٢٠٣٤) ، وحسنه الترمذي ، وصححه أحمد شاكر وغيره.

أَسْأَلَ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، عَنِ المَرْأتيْن مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ ، اللَّتَيْنِ قالَ اللهُ لَهُمَا : ﴿ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾ [التحريم : ٤] .

فحَجَجْتُ مَعَه ، فَعَدَلَ وَعَدَلْتُ مَعَهُ بِالإِدَاوَةِ ، فَتَبَرَّزَ ، حَتَّى جاءَ فَسَكَبْتُ عَلَى يَدَيه مِنَ الإِدَاوَةِ فَتَوَضَّأَ ، فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ المُؤْمِنينَ! مَنِ المَرْأَتَانِ مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ ، اللَّتَانِ قالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمَا : ﴿ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ ﴾؟ فَقَالَ : وَاعَجَبِي لَكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ ، عائِشَةُ وَحَفْصَةُ ، ثُمَّ اسْتَقْبَلَ عُمَرُ الحَدِيثَ يَسُوقُهُ ، فَقَالَ :

إِنِّي كَنْتُ وَجارٌ لِي مِنَ ٱلأَنْصَارِ في بَنِي أُمَيَّةَ بْنِ زَيْدٍ ، وَهْيَ مِنْ عَوَالِي المَدِينَةِ ، وَكُنَّا نَتَنَاوَبُ النُّـزُولَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَيَنْزِلُ يَوْماً وَأَنْزِلُ يَوْماً ، فَإِذَا نَـزَلْتُ جِئْتُهُ مِنْ خَبَرِ ذلِكَ الْيَوْم مِنَ الأَمْرِ وَغَيْرِه ، وَإِذَا نَـزَلَ فَعَلَ مِثْلَهُ ، وَكُنَّا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ نَغْلِبُ النِّسَاءَ ، فلَمَّا قَدِمْنَا عَلَى ٱلأَنْصَارِ إِذَا هُمْ قَوْمٌ تَغْلِبُهُمْ نِسَاؤُهُمْ ، فَطَفِقَ نِسَاؤُنَا يَأْخُذْنَ مِنْ أَدَبِ نِسَاءِ الأَنْصَارِ ، فَصِحْتُ عَلَى امْرَأتِي فَرَاجَعَتْنِي ، فَأَنْـكَرْتُ أَنْ تُرَاجِعَنِي ، فَقَالَتْ : وَلِمَ تُنكِرُ أَنْ أُرَاجِعَكَ ، فَوَاللهِ إِنَّ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ﷺ لَيُرَاجِعْنَهُ ، وَإِنَّ إِحْدَاهُن لَتهْجُرُهُ الْيَوْمَ حَتَّى اللَّيْلِ . فَأَفْزَعَنِي ، فَقُلْتُ : خَابَتْ مَنْ فَعَلَ مِنْهُنَّ بِعَظِيمٍ .

ثمَّ جَمَعْتُ عَلَيَّ ثِيَابِي فَدَخَلْتُ عَلَى حَفْصَةَ ، فَقُلْتُ : أَيْ حَفْصَةُ ، تُغَاضِبُ إِحْدَاكُنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ الْيَوْمَ حَتَّى اللَّيْلِ؟ فَقَالَتْ : نَعَمْ ، فَقُلْتُ : خابَتْ وَخَسِرَتْ ، أَفَتَأْمَنُ أَنْ يَغْضَبَ اللهُ لِغَضَبِ رَسُولِهِ ﷺ فَتهْلِكِينَ ، لا تَسْتَكْثِرِي عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَلا تُرَاجِعِيهِ في شَيْءٍ وَلا تَهْجُرِيه ، وَاسْأَلِينِي ما بَدَا لَكِ ، وَلا يَغُرَّنَّكِ أَنْ كانَتْ جارَتُكِ هِيَ أَوْضَأَ مِنْكِ وَأَحَبَّ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ - يُرِيدُ عائِشَةَ .

وكُنَّا تَحَدَّثْنَا أَنَّ غَسَّانَ تُنْعِلُ النِّعَالَ لِغَزْوِنَا ، فَنَزَلَ صَاحِبِي يَوْمَ نَوْبَته ،

فَرَجَعَ عِشَاءً ، فَضَرَبَ بَابِي ضَرْباً شَدِيداً ، وَقَالَ: أَنَائِمٌ هُوَ؟ فَفَزِعْتُ ، فَخَرَجْتُ إِلَيْهِ ، وَقالَ: حدث أَمْرٌ عَظِيمٌ ، قُلْتُ: ما هُوَ؟ أَجاءَتْ غَسَّانُ؟ قالَ: لا ، بَلْ أَعْظَمُ مِنْهُ وَأَطْوَلُ ، طَلَّقَ رَسُولُ الله ﷺ نِساءَهُ ، قالَ: قَدْ خابَتْ حَفْصَةُ وَخَسِرَتْ ، كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ هٰذَا يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ.

فجمَعْتُ عَلَيَّ ثِيَابِي فَصَلَّيْتُ صَلاَةَ الْفَجْرِ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ، فَدَخَلَ مَشْرُبَةً لَهُ فَاْعْتَزَلَ فِيهَا ، فَدَخَلْتُ عَلَى حَفْصَةَ ، فَإِذَا هِيَ تَبْكِي ، قُلْتُ: ما يُبْكِيكِ؟ أَوَلَمْ أَكُنْ حَذَّرْتُكِ؟ أَطَلَّقَكُنَّ رَسُولُ الله ﷺ؟ قالَتْ: لا أَدْرِي ، هُوَ ذا في المَشْرُبَةِ.

فخَرَجْتُ فَجِئْتُ المِنْبَرَ ، فَإِذَا حَوْلَهُ رَهْطٌ يَبكِي بَعْضُهُمْ ، فَجَلَسْتُ مَعَهُمْ قَلِيلاً ، ثُمَّ غَلَبَنِي ما أَجِدُ ، فَجِئْتُ المَشْرُبَةَ الَّتِي هُوَ فِيهَا ، فَقُلتُ لِغُلامٍ لَهُ أَسْوَدَ: اسْتَأْذِنْ لِعُمَرَ ، فَدَخَلَ فَكَلَّمَ النَّبِيَّ ﷺ ، ثُمَّ خَرَجَ فَقَالَ: ذَكَرْتُكَ لَهُ فَصَمَتَ ، فانْصَرَفْتُ حَتَّى جَلَسْتُ مَعَ الرَّهْطِ الَّذِينَ عِنْدَ المِنْبَرِ ، ثُمَّ غَلَبَنِي ما أَجِدُ فَجِئْتُ فَذَكَرَ مِثْلَهُ ، فَجَلَسْتُ مَعَ الرَّهْطِ الَّذِينَ عِنْدَ المِنْبَرِ ، ثُمَّ غَلَبَنِي ما أَجِدُ فَجِئْتُ الْغُلامَ ، فَقُلْتُ: اسْتَأْذِنْ لِعُمَرَ ، فَذَكَرَ مِثْلَهُ ، فَلَمَّا وَلَّيْتُ مُنْصَرِفاً فَإِذا الْغُلامُ يَدْعُونِي ، قالَ: أَذِنَ لَكَ رَسُولُ الله ﷺ.

فدَخَلْتُ عَلَيْهِ ، فَإِذَا هُوَ مُضْطَجِعٌ عَلَى رِمالِ حَصِيرٍ ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ فِرَاشٌ ، قَدْ أَثَّرَ الرِّمالُ بِجَنْبِه ، مُتَّكِئٌ عَلَى وِسَادَةٍ مِنْ أَدَمٍ ، حَشْوُهَا لِيفٌ ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، ثُمَّ قُلْتُ وَأَنَا قائِمٌ: طَلَّقْتَ نِساءَكَ؟ فَرَفَعَ بَصَرَهُ إِلَيَّ ، فَقَالَ: «لا» ، ثُمَّ قُلْتُ وَأَنَا قَائِمٌ أَسْتَأْنِسُ: يَا رَسُولَ الله ، لَوْ رَأَيْتَنِي وَكُنَّا مَعْشَرَ قُرَيْش نَغْلِبُ النِّسَاءَ ، فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَى قَوْم تَغْلِبُهُمْ نِسَاؤُهُمْ ، فَذَكَرَهُ ، فتبَسَّمَ النَّبِيُّ ﷺ ، ثُمَّ قُلْتُ: لَوْ رَأَيْتَنِي وَدَخلتُ عَلَى حَفْصَةَ

فَقُلْتُ: لاَ يَغُرَّنَّكِ أَنْ كانَتْ جارَتُكِ هِيَ أَوْضَأَ مِنْكِ وَأَحَبَّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ـ يُرِيدُ عائِشَةَ ـ فَتبَسَّمَ أُخْرَى، فَجَلَسْتُ حِينَ رَأَيْتُهُ تَبَسَّمَ، ثُمَّ رَفَعْتُ بَصَرِي في بَيْتِه، فَوَاللهِ ما رَأَيْتُ فِيهِ شَيْئاً يَرُدُّ الْبَصَرَ، غَيْرَ أَهَبَةٍ ثَلاثَةٍ، فَقُلْتُ: ادْعُ اللهَ فَلْيُوَسِّعْ عَلَى أُمَّتِكَ، فَإِنَّ فارِسَ وَالرُّومَ وُسِّعَ عَلَيْهِمْ وَأُعْطُوا الدُّنْيا، وَهُم لاَ يَعْبُدُونَ اللهَ!.

وكانَ مُتَّكِئاً، فَقَالَ: «**أَوَ في شَكٍّ أَنْتَ يَا ابْنَ الخَطَّابِ؟ أُولئِكَ قَوْمٌ عُجِّلَتْ لَهُمْ طَيِّبَاتُهُمْ في الحَيَاةِ الدُّنْيا**». فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! اسْتَغْفِرْ لِي.

فَاعْتَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ أَجْلِ ذلِكَ الحَدِيثِ حِينَ أَفْشَتْهُ حَفْصَةُ إِلَى عائِشَةَ، وَكانَ قَدْ قَالَ: «**ما أَنَا بِدَاخِلٍ عَلَيْهِنَّ شَهْراً**» مِنْ شِدَّةِ مَوْجِدَتِهِ عَلَيْهِنَّ حِينَ عاتَبَهُ اللهُ، فَلَمَّا مَضَتْ تِسْعٌ وَعِشْرُونَ، دَخَلَ عَلَى عائِشَةَ فَبَدَأَ بِهَا، فَقَالَتْ لَه عائِشَةُ: إِنَّكَ أَقْسَمْتَ أَنْ لا تَدْخُلَ عَلَيْنَا شَهْراً، وَإِنَّا أَصْبَحْنَا لِتِسْعٍ وَعِشْرِينَ لَيْلَةً أَعُدُّهَا عَدّاً، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**الشَّهْرُ تِسْعٌ وَعِشْرُونَ**». وَكَانَ ذٰلِكَ الشَّهْرُ تِسْعاً وَعِشْرِينَ.

قالَتْ عائِشَةُ: فَأُنْزِلَتْ آيَةُ التَّخْيِير، فَبَدَأَ بِي أَوَّلَ امْرَأَةٍ، فَقَالَ: «**إِنِّي ذاكِرٌ لكِ أَمْراً، وَلا عَلَيْكِ أَنْ لا تَعْجَلِي حَتَّى تَسْتَأْمِرِي أَبَوَيْكِ**». قالَتْ: قَدْ أَعْلَمُ أَنَّ أَبَوَيَّ لَمْ يَكُونَا يَأْمُرَانِي بِفِرَاقِكَ، ثُمَّ قالَ: «**إِنَّ اللهَ قَالَ**: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ﴾ إلى قوله: ﴿عَظِيمًا﴾». قُلْتُ: أَفِي هٰذَا أَسْتَأْمِرُ أَبَوَيَّ، فَإِنِّي أُرِيدُ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ، ثُمَّ خَيَّرَ نِسَاءَهُ، فَقُلْنَ مِثْلَ ما قالَتْ عائِشَةُ)[1].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٦٨)؛ ومسلم (١٤٧٩)؛ والنسائي في الكبرى (٩١١٢)؛ وغيرهم. وقد أطنب الحافظ في شرحه: الفتح: ١١/ ٦١٠ ـ ٦٢٧ (٥١٩١).

وفي رواية لمسلم: (قال عمر: فدخلتُ على عائشةَ، فقلتُ: يا بنتَ أبي بكرٍ، أَقَدْ بَلَغَ من شأنِك أن تؤذي رسولَ الله ﷺ؟! فقالت: ما لي وما لَكَ يا ابنَ الخطاب، عليكَ بِعَيْبَتِك! قال: فدخلتُ على حفصة بنتِ عمر، فقلت لها: يا حفصةُ، أقد بلغ من شأنك أن تؤذي رسول الله ﷺ! والله لقد علمتِ أن رسول الله ﷺ لا يحبُّكِ، ولولا أنا لَطَلَّقكِ رسول الله ﷺ. فبكَتْ أشدَّ البكاء).

ودخول عمر على أمهات المؤمنين كان قبل أن يُضرب عليهن الحجاب.

ـ عن سعد بن أبي وقاص قال: (استأذنَ عمر بنُ الخطاب على رسول الله ﷺ وعنده نسوةٌ من قريشٍ يكلِّمْنَه ويَستكثِرْنَهُ، عاليةً أصواتُهن على صوته. فلما استأذن عمر بن الخطاب قمنَ فبادَرْنَ الحجابَ، فأذِنَ له رسول الله ﷺ، فدخل عمر ورسول الله ﷺ يضحك! فقال: أضحَكَ الله سِنَّكَ يا رسولَ الله، فقال النبي ﷺ: **«عجبتُ من هؤلاء اللاتي كنَّ عِندي، فلما سمعنَ صوتكَ ابتَدَرْنَ الحِجابَ!»** قال عمرُ: فأنتَ أحقُّ أن يَهَبْنَ يا رسولَ الله. ثم قال عمر: يا عدوَّاتِ أنفسِهنَّ، أَتَهبْنَني ولا تهبنَ رسول الله ﷺ؟! فقلنَ: نعم، أنتَ أفظُّ وأغلظُ من رسول الله ﷺ. فقال رسول الله ﷺ: **«إيهاً يا ابنَ الخطابِ، والذي نفسي بيدِه، ما لقيكَ الشيطان سالكاً فَجّاً قَطُّ إلا سَلَكَ فجّاً غيرَ فَجِّكَ»**)[1].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٨٣)؛ ومسلم (٢٣٩٦)؛ والنسائي في الكبرى (٨٠٧٥)، وغيرهم. قوله: **(نسوة من قريش)**: هن أزواجه ﷺ.

سادساً: من ثمراتِ صحبة عمر للنبي ﷺ:

كانت نقطة البدء في حياة الفاروق هي إسلامه بين يدي النبي الأكرم ﷺ، واتصاله الوثيق به، فبرزت شخصية عمر بروزاً مدهشاً، حيث فتح الإسلام مغالِقَ العظمة التي كانت تجيش بها نفسه... ووجد الرسول ﷺ في عمر خلائقَ موَّارة ومعدناً أصيلاً، فصَبَّ في فؤاده وعقله غيثاً مدراراً من أدب النبوة وحكمتها، فاستجاب لها عمر على نحو فريد، فأَطْلعَ أطيبَ الثمرات الإنسانية وأكملها، حكمةً وفضلاً ونبلاً ورأياً.

ـ عن جابر بن عبد الله: (أنَّ عمر بنَ الخطاب أتى النبيَّ ﷺ بكتابٍ أصابَهُ من بعضِ أهل الكتاب، فقرأه على النبي ﷺ، فغضبَ وقال: **«أَمُتَهوِّكُونَ فيها يا ابنَ الخطاب؟! والذي نفسي بيدِه لقد جئتُكم بها بيضاءَ نقيةً، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحقٍّ فتكذبونه، أو بباطل فتصدِّقونه. والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حيّاً لَمَا وَسِعَه إلا أن يَتَّبِعَني»**).

وفي رواية: عن عبد الله بن ثابت قال: (جاء عمر بنُ الخطاب إلى النبي ﷺ فقال: يا رسولَ الله، إني مررتُ بأخٍ لي من بني قُريظة، فكتب لي جوامعَ من التوراةِ، أَلاَ أعرضُها عليك؟ قال: فتغيَّر وجهُ رسول الله ﷺ! قال عبد الله: فقلتُ له: أَلاَ تَرى ما بوجه رسولِ الله ﷺ؟! فقال عمر: رضِينا بالله ربّاً، وبالإسلام ديناً، وبمحمدٍ ﷺ رسولاً...) الحديث[1].

---

(١) أخرجه أحمد: ٣/ ٣٨٧، ٤٧٠ ـ ٤٧١؛ وابن أبي عاصم (٥٠)؛ والدارمي (٤٣٥)؛ والبغوي (١٢٦)، وغيرهم؛ وذكر طرقه ابن كثير في تفسيره: =

فانظر إلى الفاروق في الاستجابة السريعة والخضوع التام لأمر النبي ﷺ وتوجيهه!.

ـ وعن عبد الله بن عمر: (أنه أدرك عمر بن الخطاب في رَكْبٍ وهو يحلِفُ بأبيه، فناداهم رسول الله ﷺ: **«ألَا إنَّ الله ينهاكم أن تحلِفُوا بآبائكم، فمن كان حالفاً فَليحلِفْ بالله وإلا فَلْيَصْمُتْ»**)[1].

وفي رواية: عن عمر قال: (قال لي رسولُ الله ﷺ: **«إنَّ الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم»**، قال عمر: فواللهِ ما حلَفْتُ بها منذُ سمعتُ النبيَّ ﷺ ذاكِراً ولا آثِراً)[2].

وعمر حلَفَ بأبيه قبل أن يعلم النهيَ، فلما نهى رسول الله ﷺ عن ذلك انتهى عمر لساعتِه، وقال: (ما حلفتُ بها ذاكراً ولا آثراً): أي ما حلفتُ بها قائلاً لها من قِبل نفسي ولا حكيت ذلك عن غيري.

ـ وعن عبد الله بن عمر قال: سمعتُ عمر يقول: (كان النبي ﷺ يعطيني العطاء فأقول: أَعْطِهِ أفقرَ إليه منِّي، حتى أعطاني مرة مالاً فقلت: أَعْطِه من هو أفقرُ إليه مني، فقال النبي ﷺ: **«خُذْهُ فتموَّلْه وتَصدَّقْ به،**

= ٢/٥٧٦ ـ ٥٧٧؛ والبداية والنهاية: ١/١٩٨، ٢/١٣٣ وصححه، وحسنه الألباني وشعيب الأرنؤوط. **مُتَهَوِّكون**: متحيِّرون.

(١) أخرجه البخاري (٦١٠٨)؛ ومسلم (١٦٤٦) (٣) و(٤)؛ والترمذي (١٦١٤)، وغيرهم.

(٢) أخرجه البخاري (٦٦٤٧)؛ ومسلم (١٦٤٦) (١)؛ وأبو داود (٣٢٤٩، ٣٢٥٠)؛ والنسائي في الكبرى (٤٦٩٠).

فما جاءَكَ من هذا المال وأنت غيرُ مشرفٍ ولا سائلٍ فَخُذْهُ ، وما لا فلا تُتْبِعْه نفسَك»[1].

قال النووي: (هذا الحديث فيه منقبة لعمر رضي الله عنه ، وبيان فضله ، وزهده وإيثاره)[2].

وتعلم عمر من النبي ﷺ الزهد في الدنيا والصبر على خشونتها مع القدرة عليها ، وبقي مقتفياً هديه ﷺ طيلة أيام خلافته مع سيلان الأموال بين يديه كما سيأتي.

في حديث عمر الطويل ودخوله على النبي ﷺ فرآه قد أثَّرَ الحصيرُ في جَنْبه الشريف ، قال عمر: (ادْعُ الله يا رسولَ الله ِأن يوسِّعَ على أمتك ، فقد وسع على فارسَ والرومِ وهم لا يعبدون الله! فاستوى جالساً ثم قال: **«أَفي شكٍّ أنتَ يا ابن الخطاب؟! أولئك قومٌ عُجِّلَتْ لهم طَيِّباتهم في الحياة الدنيا»**! فقلتُ: استغفِرْ لي يا رسول الله)[3].

ومعنى (**استغفر لي**): أي عن جَرَاءتي بهذا القول بحضرتِك ، أو عن اعتقادي أن التجمُّلات الدنيوية مرغوبٌ فيها ، أو عن إرادتي ما فيه مشابهة الكفار في ملابسهم ومعايشهم[4].

وهذا درس نبوي بليغ قد وعاه الفاروق وعاشه في أيام خلافته على

---

(١) أخرجه البخاري (٧١٦٤) وأطرافه في (١٤٧٣)؛ ومسلم (١٠٤٥) ، وغيرهما.
(٢) شرح صحيح مسلم: ٤/١٤٦.
(٣) مسلم (١٤٧٩) (٣٤).
(٤) الفتح: ١١/٦٢١ (٥١٩١).

أرفع ما يكون الزهد ، مع اقتداره على الدنيا والجاه والسلطان والمال وأفخر المآكل والمفارش والملابس.

واقتبس عمر منه ﷺ علماً غزيراً مباركاً فيه ، في مختلِف أمور الإسلام وسياسه الرعية وإدارة الدولة وشؤون الحكم ، مما تَرك آثاره الطيبة في دولة الخلافة ، مع ما أكرمه الله به من مَلَكات العبقرية التي تفجرت في عهده الراشد الميمون.

* * *

الفصل الثاني

مواقفه وبروزه بين الصحابة

أولاً: كلمة عن معالم فكر عمر ومواقفه بين يدي رسول الله ﷺ:

روى سعيد بن المسيِّب قال: (لمّا ولي عمر بن الخطاب خطب الناس على منبر رسول الله ﷺ، فحمدَ الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس، قد علمتُ أنكم كنتم تؤنسون مني شدّةً وغلظةً، وذلك أني كنت مع رسول الله ﷺ فكنت عبدَه وخادمه وجِلْوازَه، وكان كما قال الله: ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٩]، وكنت بين يديه كالسيف المسلول إلا أن يُغمدني، أو ينهاني عن أمر، فأكفَّ عنه، وإلا أقدمتُ على الناس لمكان أمره. فلم أزَلْ مع رسول الله ﷺ على ذلك حتى توفاه الله وهو عني راضٍ، والحمد لله على ذلك كثيراً، وأنا به أسعدُ)[١].

هذه الكلمة الموجزة من عمر ترسم معالمَ فكره وخواطره ومواقفه وآرائه وتصرفاته واجتهاداته بين يدي النبي ﷺ، وأنه كان يمشي في كل ذلك على طبيعته وسجيَّته في الوضوح والصراحة والقوة والصرامة، فيقول ويقترح ويسأل ويُشير بما تُمليه عليه صفاته وجِبلَّتُه التي جُبل عليها، وهو مطمئن إلى أن مرجع الرأي ومقطع القول عائد إلى النبي

---

(١) مختصر ابن عساكر: ١٨/ ٣١٤؛ محض الصواب: ١/ ٣٨٤. والجِلْواز: بمثابة الشرطي.

ﷺ ، حيث يَـقبل منه ما يقبل ، ويردّ منه ما يرد ، وأنه لا يدعه يمضي على الوجه الذي يريد حتى يقيمه الصراط المستقيم من حكمة النبوة وهديها[١] .

وقد عَلِمَ عمر من منهج الشورى في الإسلام هديَ النبي ﷺ في تطبيقه ، وحرصَه على استخراج ما في صدور أصحابه وعقولهم من آراء وأفكار ونصائح واقتراحات . كما علم جواز المشورة على الإمام بالمصلحة وإن لم يتقدم منه الاستشارة[٢] .

وكان عمر رضي الله عنه في كل مواقفه أجهرَ الصحابة صوتاً وأجرأَهم قلباً وأطولَهم يداً ولساناً على كل من يحوم حول حمى الرسالة والرسول ﷺ ، أو ما يرى فيه استضعافاً للإسلام وتهاوناً بتعاليمه وهَدْيه وأهله ! .

فكانت للفاروق مواقف كثيرة تميَّز بها في حزمه وصرامته وجرأته ، فكان يقترح على رسول الله ﷺ أموراً ، ويطلب منه أموراً ، ويسأله عن أمور ، ويراجعه في أمور . . وكان ذلك من خلائقه التي لا يحيد عنها ، ولا يأباها النبي ﷺ ، وكثيراً ما جاراه واستحب ما أشار به وعارض فيه .

وكان النبي ﷺ يعلم من عمر شفقتَه عليه ﷺ ، وصحةَ نصيحته وإخلاصه وقوته في الإسلام؛ فيَحتمِل منه جرأته وصلابته[٣] ، وهو الذي قال فيه : «**إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه**»! .

وطاعة النبي ﷺ لا تمنع المشاورة والمراجعة ، ولكنها تمنع التمرد

---

(١) عمر بن الخطاب ، لعبد الكريم الخطيب ، ص١٢٢ .
(٢) الفتح : ٧/ ٥٥٢ ، شرح الحديث (٢٩٨٢) .
(٣) الفتح : ١١/ ٦١٣ (٥١٩١) .

على أمره ، وهذا ما لم يكن من الفاروق البتَّة؛ حيث كان يُبادر إلى الطاعة ، ويعمل كثيراً من الصالحات عَقِب إشاراته واقتراحاته. وكثيراً ما كان يتقدم بين يدي آرائه بأرفع عبارات الأدب والتوقير ، فيخاطب النبي ﷺ قائلاً: (بأبي أنت وأمي)!.

ثانياً: بعض مواقف عمر البارزة مع رسول الله ﷺ:

ولنلقِ الضوء على بعض مواقف عمر البارزة طيلة حياته مع الرسول ﷺ:

١ ـ جهره بإسلامه وصدعه بدعوة الحق:

ذلكم الموقف الفذ يمثل الخطوة الأولى في حياة عمر في الإسلام ، حيث جهر بإسلامه وتحدى جبروت قريش ، وأخبر من يذيع النبأ الذي روَّع قريشاً ، وضاربَ عتاة المشركين وضاربوه حتى أعيى ، وردَّ جوار شريف قريش العاص بن وائل السَّهمي.

٢ ـ هجرته جهاراً:

وكما أسلم جهاراً ، هاجر كذلك جهاراً نهاراً غير عابئ بما قد يلاقيه من تألُّب قريش عليه ، فاستطال بقامته الإيمانية على مجموع قامات غَطَارفة الوثنية وحُماتها ، وتوجَّه تلقاء المدينة لا يأبَهُ بأحد مهما علا شأنه وعَظُم خطره.

٣ ـ مع عبد الله بن أُبيّ ابن سلول:

عندما قال ابنُ أُبيٍّ قولته الآثمة الفاجرة: (والله لئنْ رجَعْنَا إلى المدينة لَيُخرجنَّ الأعزُّ منها الأَذَلَّ)! (فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: دَعْني

يا رسول الله أضربْ عنقَ هذا المنافقِ! قال النبي ﷺ: «**دَعْهُ ، لا يتحدَّثُ الناس أن محمداً يقتل أصحابه**»[1].

٤ ـ الصلاة على المنافقين:

عن ابن عباس ، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: (لمَّا مات عبد الله بن أُبيٍّ ابن سَلُول ، دُعِي له رسولُ الله ﷺ ليصلِّيَ عليه ، فلما قام رسول الله ﷺ وثبتُ إليه فقلت: يا رسولَ الله ، أتُصلِّي على ابن أبيٍّ وقد قال يوم كذا: كذا وكذا؟! قال: أُعدِّدُ عليه قولَه ، فتبسَّمَ رسول الله ﷺ ، وقال: «**أَخِّرْ عنِّي يا عمرُ**». فلما أكثرتُ عليه ، قال: «**إني خُيِّرْتُ فاخترتُ ، لو أعلمُ أني إنْ زِدْتُ على السبعين يُغْفَرْ له لَزِدْتُ عليها**»! قال: فصلَّى عليه رسول الله ﷺ ، ثم انصرف ، فلم يمكث إلا يسيراً حتى نزلَتِ الآيتان من براءة: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا﴾ إلى قوله: ﴿وَهُمْ فَـٰسِقُونَ﴾ [التوبة: ٨٤]. قال: فعجبتُ بعدُ من جُرْأتي على رسول الله ﷺ ، واللهُ ورسولُه أعلمُ)[2].

وقول عمر: (**أعدِّد عليه قولَه**): يشير بذلك إلى مثل قوله: ﴿لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟﴾ [المنافقون: ٦] ، وإلى مثل قوله: ﴿لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾ [المنافقون: ٧].

وقوله: (فتبسَّم رسول الله ﷺ وقال: «**أَخِّر عنِّي يا عمر**»): أي

---

(١) تقدم الحديث بتمامه مع تخريجه ، ص٨٢ ـ ٨٣ في هذا الكتاب.

(٢) أخرجه البخاري (١٣٦٦ ، ٤٦٧١)؛ والنسائي في الكبرى (٢١٠٤) ، وغيرهما.

كلامَكَ. وعبَّر ﷺ عن طلاقة وجهه بذلك تأنيساً لعمر وتطييباً لقلبه كالمعتذر عن ترك قبول كلامه ومشورته[1].

وستأتي رواية أخرى للقصة من حديث عبد الله بن عمر[2].

٥ ـ قصة حاطب بن أبي بلتعة:

عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: (بَعَثَنِي رَسُولُ الله ﷺ وَأَبَا مَرْثِدٍ الْغَنَوِيَّ وَالزُّبَيْرَ بْنَ الْعَوَّامِ، وَكُلُّنَا فارِسٌ، قالَ: **«انْطَلِقُوا حَتَّى تأْتُوا رَوْضَةَ خاخٍ، فَإِنَّ بِهَا امْرَأَةً مِنَ الْمُشْرِكِينَ، مَعَهَا كِتَابٌ مِنْ حاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلى الْمُشْرِكِينَ»**.

فأَدْرَكْنَاهَا تَسِيرُ عَلَى بَعِيرٍ لَهَا حَيْثُ قالَ رَسُولُ الله ﷺ، فَقُلْنَا: الْكِتَابُ، فقَالَتْ: ما مَعَنَا كِتَابٌ، فأَنَخْناهَا فالْتَمَسْنَا فَلَمْ نَرَ كِتَاباً، فقُلْنَا: ما كَذَبَ رَسُولُ الله ﷺ، لَتُخْرِجِنَّ الْكِتَابَ أَوْ لَنُجَرِّدَنَّكِ، فَلَمَّا رَأَتِ الْجِدَّ أَهْوَتْ إِلَى حُجْزَتِهَا، وَهِي مُحْتَجِزَةٌ بِكِسَاء، فَأَخْرَجَتْهُ، فانْطَلَقْنَا بِهَا إِلَى رَسُولِ الله ﷺ، فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ الله! قَدْ خانَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالمُؤمِنينَ، فدَعْنِي فَلأَضْرِبْ عُنُقَهُ.

فقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«مَا حَمَلَكَ عَلَى ما صَنَعْتَ؟»** قالَ حاطِبٌ: وَاللهِ مَا بِي أَنْ لا أَكُونَ مُؤمِناً بِالله وَرَسُوله ﷺ، أَرَدْتُ أَنْ يَكُونَ لِي عِنْدَ الْقَوْمِ يَدٌ يَدْفَعُ اللهُ بِهَا عَنْ أَهْلِي وَمَالِي، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِكَ إِلا لَهُ هُنَاكَ مِنْ عَشِيرَته مَنْ يَدْفَعُ اللهُ به عَنْ أَهْله وَمَاله.

---

(١) الفتح: ١٠/ ٢٧٩، ٢٨٢، شرح الحديث (٤٦٧١).
(٢) انظر: ص١١٨ في هذا الكتاب.

فقَالَ النَّبيُّ ﷺ: «صَدَقَ، وَلا تَقُولُوا لَهُ إلا خَيْراً» فَقال عُمَرُ: إنَّهُ قَدْ خَانَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالمُؤْمِنينَ، فَدَعْنِي فَلأَضْرِب عُنُقَهُ. فَقَالَ: «أَلَيْسَ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ؟» فَقَالَ: «لَعَلَّ اللهَ اطَّلَعَ إِلَى أهل بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا ما شِئْتُمْ، فَقَدْ وَجَبَتْ لَكُمُ الجَنَّةُ، أَوْ: فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ» فَدَمَعَتْ عَيْنَا عُمَرَ، وَقالَ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ!)[1].

قوله: (فقال عمر: إنه قد خانَ الله ورسوله والمؤمنين، فَدَعْني فلأَضرب عنقه): إنما قال ذلك عمر مع تصديق رسول الله ﷺ لحاطب فيما اعتذر به ـ لِما كان عند عمر من القوة في الدين وبُغْضِ مَن يُنسب إلى النفاق، وظَنَّ أن مَن خالف ما أمره به رسول الله ﷺ استحقَّ القتل، لكنه لم يجزم بذلك فلذلك استأذن في قتله، وَأَطلق عليه منافقاً لكونه أبطن خلافَ ما أظهر)[2].

٦ ـ مع ذي الخويصرة رأس الخوارج:

عن أبي سعيد الـخُدْري قـال: (بينمـا نحن عنـد رسول الله ﷺ، وهو يَـقْسِم قَسْمـاً، أتـاه ذو الـخُوَيْصِرة ـ وهو رجلٌ من بني تميم ـ فقـال: يـا رسول الله اعـدِلْ! فقـال: «ويـلـكَ! ومَن يعدلُ إذا لم أعـدِلْ؟! قـد خبتَ وخسرتَ إنْ لم أكن أعدلُ» فقـال عمر: يا رسول الله، ائذنْ لي فيه فأضربَ عنقَـه، فقـال: «دَعْـه، فـإنَّ لـه أصحابـاً يَحْقِرُ أحدُكم صلاتـه مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، يقرؤون القرآن لا يُجاوز

(١) أخرجه البخاري (٣٩٨٣)؛ ومسلم (٢٤٩٤)؛ والنسائي في الكبرى (١١٥٢١)، وغيرهم.
(٢) الفتح: ١١/٢١، شرح الحديث (٤٨٩٠).

تراقِيَهُم ، يَمْرُقون من الدين كما يَمْرُق السَّهْم من الرَّمِيّة» . . .)[1] .

٧ ـ موقف عمر من صلح الحُديبية:

في حديث (صلح الحديبية) أمضى رسول الله ﷺ الصلحَ ، فرأى المسلمون أن فيه حَيْفاً عليهم وغُبْناً لهم ، فاغتمُّوا لذلك غمّاً شديداً ، والنبي ﷺ عَلِمَ ما لم يعلموا ، ورأى فيه من الخير ما لم يحيطوا به ولم تظهر لهم حكمته.

فتغيَّظَ الصحابة من ذلك ، وكان أبرزَهم في هذا القويُّ الصلب الشديد فاروق الإسلام ، وكان منه ذلك الموقف الفذ الذي سطرته كتب السنَّة وسارت به الركبان ، حيث راجع فيه النبي ﷺ ، وتكلم بكلام يتسق مع خلائقه ، وجِبلَّته ومسيرة حياته في الأنفة وشدة البأس ومراغمة المشركين! فهدَّأ المربي الأعظم ﷺ من ثورته ، وهذَّب من سَوْرة غضبه ، وأقامه على الطريقة النبوية التي يتبدى لها من أنوار الغيب ما اختُص به ﷺ من بين العالمين.

قال عمر: (فأتيتُ نبيَّ الله ﷺ فقلتُ: ألستَ نبيَّ الله حقّاً؟! قال: «**بلى**» ، قلت: أَلَسْنا على الحق وعدوُّنا على الباطل؟! قال: «**بلى**» ، قلت: فلِمَ نُعطي الدنيَّة في ديننا إذاً؟! قال: «**إني رسولُ الله ولستُ أَعصيه ، وهو ناصري**» قلت: أَوَليس كنتَ تحدِّثُنا أنا سنأتي البيت فنَطُوف به؟! قال: «**بلى ، فأخبرتُك أنا نأتيه العامَ؟**» قال: قلت: لا ، قال: «**فإنك آتيـهِ ومُطَوِّفٌ به**» قال: فأتيتُ أبا بكر ، فقلت: يا أبا بكر ،

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦١٠)؛ ومسلم (١٠٦٤) والنسائي في الكبرى (٨٥٠٧) ، وغيرهم. =

ألـيس هذا نبيَّ الله حقّاً؟ قال: بلى ، قلتُ: أَلسنا على الحق وعدوُّنا على الباطل؟ قال: بلى ، قلت: فَلِمَ نُعطي الدنية في ديننا إذاً؟ قال: أيها الرجل! إنـه لَرسولُ الله وليس يَعصي ربَّـه ، وهو نـاصره ، فـاستمسِكْ بغَرْزِه ، فوالله إنـه على الحق ، قلت: أليس كان يحدثنا أنا سنأتي البيت ونَطُوف به؟ قال: بلى ، أفأخبرَكَ أنك تأتيه العامَ؟ قلت: لا ، قال: فإنك آتيه ومُطَّوف به.

قال عمر: فعملتُ لذلك أعمالاً)[1].

وقول عمر: (فعملتُ لذلك أعمالاً): المراد به الأعمال الصالحة ليكفِّر عنه ما مضَى من التوقف في الامتثال ابتداء.

وقد جاء عن عمر التصريحُ بمراده بقوله: (أعمالاً) في رواية ابن إسحاق: (فكان عمر يقول: ما زِلتُ أتصدق وأصوم وأصلي وأُعْتِق ، من الذي صنعتُ يومئذٍ! مخافةَ كلامي الذي تكلمتُ به ، حتى رجوتُ أن يكون خيراً)[2].

وما صدر عن عمر في هذا الموقف وغيرِه كان معذوراً فيه ، بل هو مأجور لأنه مجتهد فيه[3].

٨ ـ زجره الحبشة الذين يلعبون بالحرابِ في المسجد النبوي:

عن أبي هريرة قال: (بينما الحبشة يلعبون عند رسول الله ﷺ

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٣١ ـ ٢٧٣٢)؛ وعبد الرزاق (٩٧٢٠)؛ وابن حبان (٤٨٧٢) ، وغيرهم.
(٢) السيرة ، لابن هشام: ٢/ ٣١٧؛ والفتح: ٧/ ٢٣٨.
(٣) الفتح: ٧/ ٢٣٩ ، شرح الحديث (٢٧٣١).

بِحِرابهم ، إذ دخل عمر بن الخطاب ، فأهوى إلى الحَصْباء يَحْصِبُهم بها ، فقال له رسول الله ﷺ: «**دَعْهُم يا عمرُ**»[1].

فعمرُ رضي الله عنه كان من شدته في الدين يُنكِر خلافَ الأولى، والجِدّ عنده أولى من اللعب المباح ، وأما النبي ﷺ فكان بصدد بيان الجواز[2].

٩ ـ موقفه من نحر الإبل في الغزو:

عن أبي هريرة: (أن رسول الله ﷺ نزل في غزوة غزاها ، فأصاب أصحابَه جوعٌ ، وفَنيتْ أزوادُهم ، فجاؤوا إلى رسول الله ﷺ يشكُون إليه ما أصابهم ، ويستأذِنُونه في أن ينحروا بعضَ رواحلهم ، فأذِنَ لهم ، فخرجوا ، فمرُّوا بعمر بن الخطاب ، فقال: من أين جئتم؟ فأخبروه أنهم استأذنوا رسول الله ﷺ في أن ينحروا بعضَ إبلهم ، قال: فأذِنَ لكم؟ قالوا: نعم ، قال: فإني أسألكم وأُقْسِم عليكم إلاَّ رجعتم معي إلى رسول الله ﷺ ، فرجعوا معه.

فذهب عمر إلى رسول الله ﷺ ، فقال: يا رسول الله! أتأذَنُ لهم أن ينحروا رواحلَهم ، فماذا يركبون؟ قال رسول الله ﷺ: «**فماذا تصنَعُ؟ ليس معي ما أعطيهم**» قال: بل يا رسول الله تأمُرُ من معه فَضْلٌ من زادٍ أن يأتي إليك ، فتجمعُه على شيء وتدعو فيه ، ثم تقسِمُه بينهم.

ففعل ، فدعاهم بفَضْلِ أزوادهم ، فمنهم الآتي بالقليل والكثير ، فجعله رسول الله ﷺ في شيء ، ثم دعا فيه ما شاء الله أن يدعو ، ثم قسَمَه بينهم ، فما بقي من القوم أحدٌ إلا ملأ ما معه من وعاءٍ ، وفَضَل فَضْلٌ!

---

(١) أخرجه البخاري (٢٩٠١)؛ ومسلم (٨٩٣)؛ والنسائي في الكبرى (١٨١٢).
(٢) الفتح: ٧/ ٤٨٨ (٢٩٠١).

فقال عند ذلك: «**أشهدُ أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً رسول الله ، من جاء بها اللهَ يومَ القيامة غير شاكٍّ ؛ أدخَلَه الجنة**»[1] .

١٠ ـ موقفه في منع تبشير الناس خوف أن يتكلوا ويتركوا العمل:

كان النبي ﷺ جالساً ذات يوم مع أصحابه، فقام ودخل بستاناً، وأبطأ عليهم ، ففزِعوا ، وتبعه أبو هريرة خشيةَ أن يُصاب بمكروه ، فدخل عليه الحائط وأخبره خبرهم، يقول أبو هريرة:

(فقال ﷺ: «**يا أبا هريرة**» وأعطاني نعلَيْهِ ، «**اذهبْ بنعليَّ هاتين ، فمن لقيتَ من وراء هذا الحائط يشهدُ أن لا إلٰه إلا الله ، مستيقناً بها قلبُه ، فبشِّره بالجنة**». فكان أولَ من لقيتُ عمرُ ، فقال: ما هاتان النعلان يا أبا هريرة؟! فقلت: هاتان نعلا رسول الله ﷺ بعثني بهما ، من لقيتُ يشهدُ أن لا إلٰه إلا الله مستيقِناً بها قلبه ، بشَّرته بالجنة. فضَرَب عمر بيدِه بين ثدييَّ ، فخَرَرْتُ لاسْتي! قال: ارجِعْ يا أبا هريرة. فرجعتُ إلى رسول الله ﷺ فأَجْهَشْتُ بكاءً ، وركبني عمر فإذا هو على أَثَري ، فقال لي رسول الله ﷺ: «**ما لَكَ يا أبا هريرة؟**» قلت: لقيتُ عمرَ فأخبرتُه بالذي بعثَتَني به ، فضَرَب بين ثدييَّ ضربةً خررتُ لاسْتي! قال: ارجِعْ. فقال له رسول الله ﷺ: «**يا عمرُ! ما حَمَلَك على ما فعلتَ؟**» قال: يا رسول الله ، بأبي أنت وأمي ، أبعثتَ أبا هريرة بنعلَيْك ، من لقي يشهد أن لا إلٰه إلا الله مستيقناً بها قلبه؛ بشَّرَه بالجنة؟ قال: «**نعم**» ، قال: فلا تفعلْ؛ فإني

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧) ، وفيه: أن الغزوة هي تبوك؛ والنسائي في الكبرى (٨٧٤٥).

أخشَى أن يتَّـكِلَ الناس عليها، فَخَلِّهِمْ يعملون، قال رسول الله ﷺ: «فَخَلِّهِمْ»!)[1].

١١ ـ موقفه من رجل أراد وصل صلاة الفريضة بالتطوع:

عن الأزرق بن قيس قال: (صلَّى بنا إمامٌ لنا يكنى أبا رِمْثَة ، فقال: صليتُ هذه الصلاةَ ـ أو: مِثلَ هذه الصلاة ـ مع النبي ﷺ ، قال: وكان أبو بكر وعمر يقومان في الصف المُقدَّم عن يمينه ، وكان رجل قد شَهِدَ التكبيرة الأولى من الصلاة ، فصلَّى نبيُّ الله ﷺ ، ثم سلَّم عن يمينه وعن يساره حتى رأينا بياضَ خَدَّيْه ، ثم انفَتَلَ كانفتالِ أبي رِمْثَة ـ يعني نفسَه ـ فقام الرجلُ الذي أدرك معه التكبيرة الأولى من الصلاة يشفعُ ، فَوَثَبَ إليه عمر ، فأخذ بمَنْـكِبِه ، فهزَّه ، ثم قال: اجلِسْ ، فإنه لم يَهْلِك أهلُ الكتاب إلا أنهم لم يكن بين صلواتِهم فصلٌ! فرفَع النبي ﷺ بصرَهُ فقال: «أصابَ الله بك يا ابنَ الخطاب»)[2].

وثمة مواقف أخرى كثيرة في هذا الباب قد تقدم بعضها ، وسيأتي بعض آخر في (فصل موافقاته) ، وغير موضع من هذا الكتاب.

وفي هذه المواقف ننظر إلى الفاروق فنَرى فيه إخلاصَه للإسلام ، وحرصَه على نقائه وعلوِّه ورفعته ، وكذلك حرصه على الناس وتمسكهم بدينهم وجِدِّهم في العمل له والقيام بكل أركانه وواجباته وسننه وآدابه ،

---

(١) أخرجه مسلم (٣١)؛ وابن حبان (٤٥٤٣). **الإسْت**: من أسماء الدُّبُر.

(٢) أخرجه أبو داود (١٠٠٧)؛ والحاكم: ١/ ٢٧٠؛ والبيهقي: ٢/ ١٩٠؛ وتقدم طرف منه: ص٨٣ في هذا الكتاب ، ومعنى «**أصاب الله بك**»: أي أصابَ الله بك الرشدَ ، أو: أصبتَ الرشد فيما فعلتَ.

ويريد حملَ الناسِ على الاستمساك الحازم بشرائعه.

وكان صدرُ النبي ﷺ يتسع لآراء عمر واقتراحاته وصلابته وصراحته، وما يكون من الناس في مقابل ذلك، ويَنفذ بما آتاه الله وعلَّمه إلى بواطن الأمور، كالبحر المحيط تصب في عُبَابه الجداول والأنهار والبحار، فيُعيد صياغتها وتوجيهها في تياره الواسع العميق.

وربما أَعوز عمرَ ما يعوز الأقوياء في معظم الأحايين، وهو أن يذكروا أن الناس جميعاً ليسوا بأقوياء، وأن الناس جميعاً ليسوا بعمر بن الخطاب.. وقد استفاد عمر من دروس معلمه وهاديه ﷺ في تلك المواقف شتى الفوائد، كما ظهر من سياسته في أيام خلافته ومن مراجعة نفسه والنبي ﷺ بقيد الحياة[1].

وفي استجابة رسول الله ﷺ لعمرَ في كثير من آرائه واقتراحاته؛ تعليمٌ للقادة وأولي الأمر بأن ينصتوا لكل رأي ناصح ناضج، ويعملوا بما فيه مصلحة الدين والعباد والبلاد، ولا يغضُّ ذلك من مكانتهم شيئاً، فإن خير البشر وأمين الله على وحيه قد أخذ بمشورة عمر وغيره.

وفي هذه المواقف أيضاً مَعْلَمٌ بارز من معالم الرسالة الإسلامية وهدي خير المرسلين؛ حيث (حرية الكلمة الصادقة الناصحة) مكفولة للناس ولو بين يدي النبي ﷺ! فالحرية هي (الرئة السليمة) التي يتنفس بها المجتمع، وبها تنمو الملكات وتُحترم الآراء ويُسدَّد المسار ويُقضَى على (الجبرية) و(الرأي الأوحد)، وإن إبداءَ الرأي وتقديمَ النصح والمشورة على أعلى مستوياتها متمثلة بالخليفة والملك ورئيس الدولة؛ ليس جريمة تستوجب

---

(١) انظر: عبقرية عمر، ص ١٤٦، ١٤٨.

العقاب، ولا تعدياً على الكبراء يستوجب صاحبها الدفع والقمع!.

وهذه الدروس الجليلة قد وعاها الفاروق ومارسها بأجلى صورها في عصر الرسالة بين يدي سيدنا رسول الله ﷺ، وفي عهد أبي بكر في أخطر المواقف، ثم جاءت خلافته المباركة ليسطر فيها للبشرية أروع الأمثلة للحرية وكفالة حق التعبير من الأمة جميعها، كما سيتجلى لنا ذلك إن شاء الله.

* * *

الفصل الثالث

مُوَافَقَاته

أولاً: معنى الموافَقَات:

أصل المُوافَقَة في اللغة يدل على المطابقة والمصادفة ، يقال: وافقت فلاناً؛ أي: صادفته[1] .

وأما معنى المُوافَقَة المقصودُ في الحديث الشريف: هو أن يشير صحابي بأمرٍ على النبي ﷺ يَـرى فيه مصلحة ومنفعة ، أو يتلفظ بكلام يتبادر إليه بسليقته في سياق معين ، فيأتي حكمُ الشرع موافقاً لرأي ذلك الصحابي ، أو يأتي نصٌّ من القرآن يتضمن شيئاً من كلامه الذي سبق أن قاله[2] .

وفي حديث عمر: (وافقتُ ربي في ثلاث): قال الطِّيبِي: (ما أحسنَ هذه العبارة وما ألطفَها؛ حيث راعى فيها الأدبَ الحسن ، ولم يقل: وافقني ربي ، مع أن الآيات إنما نزلت مُوافِقةً لرأيه واجتهاده).

وقال الحافظ: (والمعنى: وافقني ربي فأنزل القرآن على وَفْق

---

(١) لسان العرب: ١٠/ ٣٨٢؛ موافقات عمر ، ص ١٣ .
(٢) موافقات عمر ، ص ١٤ .

ما رأيتُ ، لكن لرعاية الأدب أسنَد الموافقةَ إلى نفسه ، أو أشار إلى حدوث رأيه وقِدَم الحُكْم)[1] .

ثانياً: الموافقات من أبرز فضائل عمر:

وموافَقَات عمر خَصِيصة تفرَّد بها عن عامة الصحابة فلم يَشْركه فيها أحد ، وهي من أجلِّ فضائله وأبرز مناقبه؛ فأيةُ منقبةٍ أفضَلُ ، وأي فخر أرفعُ ، وأي جلالة أجلُّ ، وأي كرامة أكرمُ ـ من أن يشير الرجل بأمر أو يقترح اقتراحاً أو يجول في نفسه خاطر أو يجيش قلبه بحُكْم أو ينقدح ذهنُه بتفكير أو تسبق بصيرتُه إلى اجتهاد؛ فيأتي الوحي الأعلى بالآيات تؤيد ذلك الرأيَ وتُبرِم ذلك الحكم وترسِّخ ذلك الاجتهاد وتتضمّن بعضَ كلمات سَبق بها ذلك اللسان الصدوق المحفوظ بالتوفيق؟! .

إنها كرامة وفضيلة ومنقبة لا تُطاوَل ، ولذا كان سيدنا عمر يحمد الله تعالى على توفيقه وإكرامه بهذه المنقبة المتفردة ، فكان يقول: (وقلَّما تكلمتُ ـ وأحمدُ الله ـ بكلامٍ إلا رجوتُ أن يكونَ الله يُصَدِّق قولي الذي أقولُ)[2] .

ثالثاً: أساس الموافقات ومفتاحها:

الأساس الذي قامت عليه (الموافَقَات) ومفتاحُها هو مَلَكات عمر ، وأنه (مُحَدَّثٌ) ، وأن الحق يجري على لسانه :

---

(١) الفتح: ٢/ ٢٤٢ ، شرح الحديث (٤٠٢)؛ مرقاة المفاتيح: ١١/ ١٩٨ .

(٢) أخرجه مسلم (١٤٧٩) ، وهو طرف من حديث طويل تقدم ص٩١ في هذا الكتاب.

لقد شهد الصادق المصدوق ﷺ بأن الله تعالى جعل الحقَّ على قلب عمر وأجراه على لسانه؛ فقد روى أبو ذَرّ الغِفاري قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله تعالى وَضَع الحقَّ على لسان عمرَ يقولُ به**»[1].

وعن عبد الله بن عمر: أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله جعلَ الحقَّ على لسانِ عمرَ وقلْبِه**»[2].

وأخبر النبي ﷺ أن **عمر** تميَّز عن غيره من الصحابة الكرام بأنه (مُحدَّثٌ مُلْهَم).

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**لقد كان فيما قَبْلَكم من الأُمم ناسٌ مُحَدَّثُونَ، فإنْ يكنْ في أمتي أحدٌ فإنه عمرُ**».

وفي رواية: «**لقد كان فيمن كان قَبْلَكم من بني إسرائيلَ رجالٌ يُكَلَّمُونَ من غيرِ أن يكونوا أنبياءَ، فإنْ يكن في أمتي منهم أحدٌ فعمرُ**»[3].

وجاء مثله من رواية السيدة عائشة أم المؤمنين[4].

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٩٦٢)؛ وابن ماجه (١٠٨)؛ والفسوي: ١/ ٤٦١؛ والحاكم: ٣/ ٨٧ وصححه وأقره الذهبي.

(٢) أخرجه الترمذي (٤٠١٤)؛ وابن سعد: ٢/ ٣٣٥؛ والفسوي: ١/ ٤٦٧؛ وابن حبان (٦٨٩٥)، وصححه أحمد شاكر والألباني وشعيب الأرنؤوط.

(٣) أخرجه البخاري (٣٤٦٩) و(٣٦٨٩)؛ والنسائي في الكبرى (٨٠٦٦)، وغيرهما.

(٤) مسلم (٢٣٩٨)؛ والنسائي في الكبرى (٨٠٦٥)؛ والترمذي (٤٠٢٥).

قال ابن وهب: **مُحدَّثون**: مُلْهَمون. وقال ابن عيينة: **محدَّثون**: يعني **مُفَهَّمُون**[1].

وقال الحافظ: (محدَّث: مُلْهَم، قالَه الأكثر، قالوا: المحدَّث ـ بالفتح ـ: هو الرجل الصادقُ الظنِّ، وهو من أُلْقي في رُوعه شيءٌ من قِبَل الملأ الأعلى فيكون كالذي حدَّثَه غيرُه به. وقيل: من يجري الصواب على لسانه من غير قصد. وقيل: مُكَلَّم؛ أي تكلِّمه الملائكة بغير نبوة، وهذا واردٌ من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعاً، ولفظه: قيل: يا رسول الله، وكيف يُحَدَّث؟ قال: «**تتكلَّم الملائكة على لسانه**»، رُوِّيناه في «فوائد الجوهري»).

ثم قال: (والسببُ في تخصيص عمر بالذِّكر لكثرة ما وقع له في زمن النبي ﷺ من المُوافقَات التي نـَزَل القرآن مطابقاً لها، ووقع له بعد النبي ﷺ عدة إصابات)[2].

فالمحدَّث هو من يُهمس في خاطره من عالم الغيب بحديث، كأنما يتنزل عليه من السماء، فتُشرِق به جوانبُ نفسه، ويجدُ منه بَرْدَ السكينة والطمأنينة في قلبه. إنه ـ أي التحديث ـ درجةٌ فوقَ الإلهام، حيث يقع الإلهام دون أن يشعر صاحبُه بأن قوةً خفية أَلقتْ به إليه، أو أن شيئاً جديداً قد دخل عليه، على حين يجدُ (المُحدَّث) كأن كائناً خفيّاً يعيش في كيانه ويُخالِط عقلَه ووجدانَه، ثم لا يُزايلُه حتى يُلقي إليه بالحديث الذي يعيه منه وعْيَ السامع لمن يتحدث إليه.. وهذا التحديث واردٌ من عالَم الحق،

(١) انظر الحاشية السابقة.

(٢) الفتح: ٨/ ٦٢٩، ٦٣١، شرح الحديث (٣٦٨٩).

فكلُّ ما يحملُه من معانٍ وأخبار وأحكامٍ على الوقائع والأحداث ـ كل هذا حق صريح ، لا يخالطه باطل أبداً[1] .

وقد شهدت الوقائع للفاروق بهذه الخصيصة المتفردة ، كما شهد له المحفوظون من الصحابة رضي الله عنهم .

عن ابن عمر قال : (**ما نَـزَلَ بالناسِ أمرٌ قطُّ ، فقالوا فيه ، وقال عمر بن الخطاب فيه ، إلا نَزل فيه القرآنُ على نحو ما قال عمرُ**)[2] .

وعن علي بن أبي طالب قال : (**ما كنَّا نُنكِر ونحن متوافرون أصحاب رسول الله ﷺ أن السكينةَ تنطِقُ على لسان عمر**)[3] .

وعن ابن مسعود قال : (**إني لأحسبُ عمرَ بين عينيه مَلَك يسدِّده ويقوِّمه**)[4] .

وقال طارق بن شهاب : (**كنَّا نتحدث أن عمر بن الخطاب يَنطِق على لسان مَلَك**)[5] ! .

---

(١) عمر بن الخطاب ، لعبد الكريم الخطيب ، ص ٢٩ .

(٢) أخرجه الترمذي وقال : حسن صحيح غريب . وتقدم تخريجه ص١١٢ حاشية (٢) في هذا الكتاب .

(٣) أخرجه الفسوي : ١/ ٤٦٢ ؛ وابن أبي شيبة : ٧/ ٤٧٩ ؛ وعبد الله بن أحمد في زوائده على المسند (٨٣٤) ، وغيرهم ؛ وصححه أحمد شاكر ؛ وانظر : محض الصواب : ٣/ ٨٥٧ ـ ٨٥٨ .

(٤) أخرجه الفسوي : ١/ ٤٦٢ ؛ وابن أبي شيبة : ٧/ ٤٨٠ ؛ وانظر : مجمع الزوائد : ٩/ ٧٨ .

(٥) أخرجه أحمد في فضائل الصحابة : ١/ ٢٦٣ ـ ٢٦٤ ؛ والفسوي : ١/ ٤٥٦ ، وإسناده صحيح .

رابعاً: عدد موافَقاته وصحة أسانيدها:

في حديث ابن عمر المتقدم: (ما نزل بالناس أمر قط. . .) ، يقول الحافظ: (هذا دالّ على كثرة موافَقَته ، وأكثر ما وقفنا منها بالتعيين على خمسة عشر ، لكن ذلك بحسب المنقول)(١).

أقول: قد صنف العلماء رسائل في (موافقات سيدنا عمر) ، يؤخذ من مجموعها أنها تزيد عن العشرين ، منها نحو العشرة صحيحة أو حسنة الأسانيد ، والباقي ضعيفة السند أو شديدة الضعف مردودة(٢).

وأذكر هنا ما كان سنده صحيحاً أو حسناً:

١ ـ ٢ ـ ٣ ـ وافقت ربي في ثلاث:

عن أنس بن مالك قال: قال عمر: (وافقتُ ربِّي في ثلاثٍ؛ فقلتُ: يا رسول الله! لو اتَّخَذنا من مقام إبراهيم مصلًّى ، فنزلت: ﴿ وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾ [البقرة: ١٢٥]. وآيةُ الحِجاب ، قلتُ: يا رسول الله! لو أمرتَ نساءك أن يَحتجِبْنَ فإنه يُكلِّمُهنَّ البَرُّ والفاجرُ ، فنزلَتْ آية الحجاب. واجتمع نساءُ النبي ﷺ في الغيْرة عليه ، فقلتُ لهنَّ: عسى ربُّه إنْ طلقكنّ أن يُبدله أزواجاً خيراً منكن ، فنزلت هذه الآية!)(٣).

وليس في تخصيصِه العددَ بالثلاث ما ينفي الزيادة عليها؛ لأنه

---

(١) الفتح: ٢/ ٢٤٢ (٤٠٢).

(٢) انظر: موافقات عمر ، ص ٥٤ ـ ٥٦ ، ١٠٣ ـ ١٠٥ ، ٢٩٣ ، ٣١٣.

(٣) أخرجه البخاري (٤٠٢)؛ وأحمد (١٥٧ ، ١٦٠ ، ٢٥٠)؛ وابن حبان (٦٨٩٦). وأخرجه مقطعاً: النسائي في الكبرى (١٠٩٣١ ، ١١٣٥٤ ، ١١٥٤٧) ، وغيره.

حصلَتْ له الموافَقَة في أشياء غير هذه[1] ، كما سيأتي ذكرها وبيانها ، فالعدد هنا لا مفهوم له عند أهل الأصول والعربية.

وحديث الغَيْرة ونزول آية التخيير يرويه ابن عباس عن عمر ، وقد سقناه مطولاً ، ونذكر هنا طرفاً من رواية مسلم توضح المقصود:

قال عمر: (قلتُ: يا رسولَ الله! ما يَشُقُّ عليك من شأنِ النساء؟! فإنْ كنتَ طلقتهنَّ ، فإن اللهَ معك وملائكتَه وجبريلَ وميكائيلَ ، وأنا وأبو بكر والمؤمنون معك. وقلَّما تكلمتُ ، وأحمدُ اللهَ ، بكلامٍ إلا رجوتُ أن يكونَ اللهُ يُصَدِّقُ قولي الذي أقولُ! ونزلت هذه الآيةُ ، آيةُ التخيير: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾ [التحريم: ٥] ، ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحريم: ٤])[2].

وآية الحجاب هي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ...﴾ الآية [الأحزاب: ٥٣][3].

عن عائشة قالت: (كان عمرُ بنُ الخطاب يقول لرسولِ الله ﷺ: احْجُبْ نساءَكَ. قالت: فلم يفعلْ. وكان أزواجُ النبي ﷺ يخرُجنَ ليلاً إلى ليل قِبَل المَناصِع ، فخرجَتْ سودةُ بنت زَمْعَة ـ وكانت امرأة طويلةً ـ فرآها عمر بن الخطاب ، وهو في المجلس ، فقال: عرفناكِ يا سودةُ!

(١) الفتح: ٢/ ٢٤٢.
(٢) مسلم (١٤٧٩) ، وانظر ما أوردناه مطولاً: ص٨٨ ـ ٩١ في هذا الكتاب.
(٣) انظر: تفسير القرطبي: ١٤/ ١٩٧ ـ ١٩٨.

حِرصاً على أن يَنزل الحجاب. قالت: فأنزل الله عز وجل آية الحجاب)[1].

٤ ـ موافقته في أسرى بدر:

عن ابن عمر، عن عمر قال: (وافقتُ ربِّي في ثلاثٍ: في مقامِ إبراهيمَ، وفي الحجاب، وفي أُسَارى بَدْر)[2].

والمقصود بذلك قصة أسرى المشركين في غزوة بدر، وقد جاء ذلك مبيناً في حديث ابن عباس قال: (فلما أَسَرُوا الأُسَارى، قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر: «**ما ترون في هؤلاء الأُسارى؟**» فقال أبو بكر: يا نبيَّ الله! هم بنو العمِّ والعَشيرة، أَرى أن تأخذ منهم فديةً، فتكونَ لنا قوةً على الكفار، فعسى الله أن يهديَهم للإسلام. فقال رسول الله ﷺ: «**ما ترى يا ابنَ الخطاب؟**» قلت: لا والله يا رسول الله، ما أَرى الذي رأى أبو بكر، ولكني أرى أن تمكِّنَّا فنَضرِبَ أعناقهم، فتمكِّنَ عليّاً من عَقيلٍ فيضربَ عنقه، وتُمكِّنِّي من فلان ـ نَسيباً لعمر ـ فأضربَ عُنُقَه! فإن هؤلاء أئمةُ الكفرِ وصناديدُها. فَهوِيَ رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر، ولم يهوَ ما قلتُ. فلمَّا كان من الغدِ جئتُ، فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر قاعدَيْنِ يبكيان! قلتُ: يا رسول الله! أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبُك، فإنْ وجدتُ بكاءً بكيتُ، وإنْ لم أجدْ بكاء تباكَيْتُ لبكائِكما! فقال رسول الله ﷺ: «**أبكي للذي عَرَضَ عليَّ أصحابُكَ من أخذِهمُ الفداءَ، لقد عُرِضَ عليَّ عذابُهم أدنى من هذه الشجرة**»، شجرةٍ قريبةٍ من نبي الله ﷺ. وأنزل

---

(١) أخرجه البخاري (٦٢٤٠) وطرقه في (١٤٦)؛ ومسلم (٢١٧٠). **والمناصع**: هي المواضع التي تتخلى فيها النساء.

(٢) أخرجه مسلم (٢٣٩٩).

الله عز وجل: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ إلى قوله: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾ [الأنفال: ٦٧ ـ ٦٩]، فأحلَّ الله الغنيمة لهم)[(١)].

٥ ـ الصلاة على المنافقين:

عن عبد الله بن عمر قال: (لمَّا توفِّي عبد الله بن أُبَيٍّ، جاء ابنُه عبد الله بن عبد الله إلى رسول الله ﷺ، فأعطاهُ قميصَهُ، وأمره أن يكفِّنَهُ فيه، ثم قام يصلي عليه، فأخذَ عمر بنُ الخطاب بثوبه، فقال: تصلِّي عليه وهو منافقٌ، وقد نهاك الله أن تستغفر لهم؟! قال: «**إنما خيَّرني الله** ـ أو: **أخبرني الله** ـ **فقال**: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٨٠]» فقال: «**سأزيدُه على سبعين**». قال: فصلَّى عليه رسول الله ﷺ وصلينا معه، ثم أَنزل الله عليه: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [التوبة: ٨٤])[(٢)].

٦ ـ موافقته في تحريم الخمر:

عن عَمْرو بن شُرَحْبيل: (عن عمر بن الخطاب أنه قال: اللهمَّ بَيِّنْ لنا في الخمر بيانَ شفاءٍ، فنزلَت التي في «البقرة»: ﴿۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ [البقرة: ٢١٩]، فَدُعِيَ عمرُ، فَقُرِئَتْ عليه، فقال: اللهمَّ بيِّن لنا في الخمر بيانَ شفاءٍ، فنزلت التي في

---

(١) أخرجه مسلم (١٧٦٣)؛ وأحمد (٢٠٨)؛ وابن حبان (٤٧٩٣)، وغيرهم.

(٢) أخرجه البخاري (٤٦٧٢) وأطرافه في (١٢٦٩)؛ ومسلم (٢٤٠٠، ٢٧٧٤)؛ وانظر ما تقدم: ص١٠٠ حاشية (٢) في هذا الكتاب.

«النساء»: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ ﴾ [النساء: ٤٣] ، فدُعِي عمر ، فقُرِئَتْ عليه ، ثم قال: اللهم بيِّنْ لنا في الخمر بيانَ شفاءٍ ، فنزلت التي في «المائدة»: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ ﴾ إلى قوله: ﴿ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ [المائدة: ٩١] ، فدُعِي عمر ، فقُرِئَتْ عليه ، فقال: انتهينا انتهينا!)(١).

٧ ـ عداوة اليهود لجبريل:

عن عبد الرحمن بن أبي ليلى: (أن يهودياً لقي عمرَ بنَ الخطاب رضي الله عنه ، فقال: إنَّ جبريلَ الذي يَذكُرُ صاحبُكم عدوٌّ لنا ، فقال عمر بن الخطاب: مَن كان عدوّاً لله وملائكته ورسلِه وجبريلَ وميكائيلَ فإنَّ اللهَ عدو للكافرين! فنزَلتْ على لسانِ عمر رضي الله عنه)(٢). والآية هي رقم (٩٨) من سورة البقرة.

* * *

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٦٧٠)؛ والنسائي في الكبرى (٥٠٣١)؛ والترمذي (٣٣٠١)؛ وأحمد (٣٧٨) ، وصححه أحمد شاكر والألباني وشعيب الأرنؤوط.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره: ١/ ١٨٢؛ والطبري في تفسيره: ١/ ٤٤٧؛ وجاء في طرق عن الشعبي وقتادة ، وفيها انقطاع ، وبعضها يشد بعضاً؛ وانظر: تفسير ابن كثير: ١/ ١٦٥ ـ ١٦٦؛ موافقات عمر ، ص ١٥٥ ـ ١٥٦.

الفصل الرابع

جهاده ومشاهده مع النبي ﷺ

لم يَغِب الفاروق عن واحدة من غزوات النبي ﷺ ، فشهد معه بدراً وأُحداً والخندق والمشاهد كلها ، وخرج في عدة سرايا وكان أمير أحدها .

أولاً: في غزوة بدر:

لما أتى الخبرُ رسولَ الله ﷺ عن قريش بمسيرهم ليمنعوا عِيرَهم ، استشار الناس ، وأخبرهم عن قريش ، فقام أبو بكر الصديق فقال وأحسن ، ثم قام عمر بن الخطاب فقال وأحسن[1] .

وشهد عمر المعركة وقاتل ببأس ، وقَتل خالَه العاص بن هشام بن المغيرة[2] ، ولم تأخذه هوادة في رابطة الدم والقرابة .

وحرص على حفظ قرابة النبي ﷺ ، فقد كان العباس بن عبد المطلب من جملة الأسرى، فقال ﷺ : «**مَن لقي العباسَ بن عبد المطلب عمَّ رسول الله ﷺ فلا يقتلْه ، فإنه إنما خرج مُستكْرَهاً**». فقال أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة : أنقتلُ آباءنا وأبناءنا وإخواننا ونترك العباس؟! والله لَئِنْ

---

(١) السيرة النبوية ، لابن هشام : ١/ ٦١٤ ـ ٦١٥ .

(٢) المرجع السابق : ١/ ٧١١؛ نسب قريش ، ص٢٠٣ .

لقيتُه لأُلْحِمنَّهُ بالسيف. فبلغَتْ رسولَ الله ﷺ، فقال لعمر: «**يا أبا حفص** ـ قال عمر: والله إنه لأول يوم كَنَّاني فيه رسول الله ﷺ بأبي حفص ـ: **أَيُضْربُ وجهُ عمٍّ رسول الله بالسيف؟!**» فقال عمر: يا رسول الله! دَعْني فَلأْضرِبْ عنقَهُ بالسيف، فوالله لقد نافق! فقال أبو حذيفة: ما أنا بآمنٍ من تلك الكلمة التي قلتُ يومئذٍ، ولا أزال منها خائفاً إلا أن تكفِّرها عني الشهادة. فقُتل يوم اليمامة شهيداً[1].

وحدَّث عن أحد مشاهد المعركة فقال: (إنَّ رسول الله ﷺ كان يُرِينا مصارعَ أهل بدر بالأمس، يقول: «**هذا مصرعُ فلانٍ غداً إن شاء الله**». قال عمر: فوالذي بعثَه بالحقِّ ما أَخطؤوا الحدودَ التي حَدَّ رسولُ الله ﷺ)[2].

وكان له موقف من أسرى المشركين، ذكرناه قريباً[3].

ثانياً: في غزوة أحد:

وشهد عمر وأخوه زيد أُحداً، وكانا يطلبان الشهادة؛ فعن نافع عن ابن عمر قال: (قال عمر بن الخطاب لأخيه زيد بن الخطاب يومَ أحد: أقسمتُ عليك إلا لبِسْتَ دِرْعِي، فلبسها ثم نزعها، فقال له عمر: ما لَكَ؟ قال: إني أريد بنفسي ما تريد بنفسك)[4].

---

(١) طبقات ابن سعد: ٤/١١؛ السيرة، لابن هشام: ١/٦٢٩؛ المعرفة، للفسوي: ١/٥٠٥؛ المستدرك: ٣/٢٢٣؛ وصححه الحاكم. **لألحمنَّه**: أي لأطعننَّ لحمه بالسيف، ولأخالطنَّه به.

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٧٣)؛ والنسائي في الكبرى (٢٢١٢).

(٣) انظر: ص١١٧ ـ ١١٨ في هذا الكتاب.

(٤) طبقات ابن سعد: ٣/٣٧٨؛ والطبراني ورجاله رجال الصحيح؛ انظر: مجمع الزوائد: ٥/٢٩٨.

ومع أن المعركة انجَلَتْ في نهايتها عن هزيمة المسلمين ، ووقعت فيهم جراحات بليغة ، بقيت معنوياتهم عالية ، وعبَّر عنهم الفاروق في موقف فذ ناهض فيه رأسَ قريش آنذاك وهو أبو سفيان ، وشمخ بإيمانه ، وجلجل بصوته الجَهْوَرِيِّ وكلماته القارعة في أرض المعركة ، وأعلن عن نفسه ومكانه دونما وَجَل!.

يقول البَرَاء بن عازب في حديثه عن غزوة أحد: (فأصابوا منَّا سبعينَ ، وكان النبي ﷺ وأصحابُه أصابَ من المشركين يومَ بدرٍ أربعين ومئة: سبعين أسيراً وسبعين قتيلاً. فقال أبو سفيان: أَفِي القوم محمدٌ؟ ثلاثَ مرات ، فنَهاهم النبيُّ ﷺ أن يُجيبوه. ثم قال: أَفِي القوم ابنُ أبي قحافة؟ ثلاث مرات. ثم قال: أَفِي القوم ابنُ الخطاب؟ ثلاث مرات. ثم رجع إلى أصحابه فقال: أمَّا هؤلاء فقد قُتِلوا. فما مَلَكَ عمرُ نفسَه ، فقال: كذبتَ والله يا عدوَّ الله ، إنَّ الذين عَدَدْتَ لأحياءٌ كلُّهم ، وقد بقي لك ما يَسوءُكَ!)[1].

ثالثاً: في غزوة بني المُصْطَلِق:

وشهد عمر مع النبي ﷺ هذه الغزوة ، وكان له موقف باهر عندما قال عبد الله بن أُبَيٍّ قولته الفاجرة التي حكاها عنه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ﴾ ، وقد تقدم الحديث بذلك[2].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٣٩)؛ والنسائي في الكبرى (٨٥٨١).

(٢) انظر: ص٨٢ ـ ٨٣ حاشية (١) في هذا الكتاب.

رابعاً: في غزوة الخندق:

شارك عمر في حفر الخندق ، وكان هو وأبو بكر ينقلان التراب في ثيابهما ـ إذ لم يجدا مَكاتِلَ ـ من العجلة ، وكانا لا يفترقان في عمل ولا مسير ولا منزل[1].

واشتد تغيظه على المشركين لمحادَّتِهم الله ورسوله ، ولأنهم اضطروا المسلمين إلى تأخير صلاة العصر.

عن جابر بن عبد الله : (أن عمر بن الخطاب يوم الخندق جعلَ يَسُبُّ كفارَ قريش ، وقال: يا رسول الله! والله ما كِدْتُ أن أصليَ العصرَ حتى كادت أن تَغْرُب الشمس! فقال رسول الله ﷺ: «**فوالله إنْ صلَّيْتُها**». فنَزَلْنا إلى بُطْحانَ[2] ، فتوضأ رسول الله ﷺ وتوضأنا ، فصلى رسول الله ﷺ العصرَ بعدما غَربت الشمس ، ثم صلى بعدها المغربَ)[3].

خامساً: في صلح الحديبية وبيعة الرضوان:

في آخر سنة (٦ هـ) خرج رسول الله ﷺ في ذي القعدة ومعه زهاء (١٥٠٠) من أصحابه معتمراً زائراً للبيت ومعظماً له ، لا يريد حرباً.

وأراد النبي ﷺ أن يرسل سفيراً من أصحابه إلى قريشٍ يبين لهم غاية المسلمين ، فدعا عمر بنَ الخطاب ليبعثه إلى مكة ، فيبلِّغ عنه أشرافَ قريش ما جاء له ، فقال: يا رسول الله! إني أخاف قريشاً على نفسي ،

---

(١) سبل الهدى والرشاد: ٤/٥١٦.

(٢) تقع الآن على مسافة (٢٢كم) غرب مكة على طريق جدة ، ولا تزال تعرف بهذا الاسم.

(٣) أخرجه البخاري (٥٩٦)؛ ومسلم (٦٣١) ، وغيرهما.

وليس بمكة من بني عدي بن كعب أحدٌ يمنعني ، وقد عرفَتْ قريش عداوتي إياها وغِلظتي عليها! ولكني أدلُّكَ على رجل أعزّ بها مني؛ عثمان بن عفان. فدَعَا رسولُ الله ﷺ عثمانَ فبعثه[1].

ورفضت قريش دخولَ المسلمين مكة ، وأرسلَتْ رجالاً واحداً تلو الآخر ، يفاوضون النبيَّ ﷺ ، وانتهى الأمر إلى عقد (صلح الحديبية) على أن يرجع المسلمون عامهم هذا ويعتمرون من العام القادم. وشعر الصحابة بالحزن والغُبْن ، وكان لعمر موقف مشهور حيث راجَعَ النبي ﷺ بشأن الصلح ، كما قدمنا خبره بذلك[2].

ولمّا نَحَر رسول الله ﷺ هَدْيَه ورجع من الحديبية؛ أُنزلت عليه (سورةُ الفتح) ، فأرسلَ إلى عمرَ فقرأها عليه إلى آخرها ، (فقال عمر: يا رسولَ الله ، أَوَفتحٌ هو؟ قال: «**نعم**» ، فطابَتْ نفسُه ورجَع)[3].

وشهد الفاروق (بيعة الرضوان) تحت الشجرة وشدّ بيمينه على يمين النبي ﷺ:

عن عبد الله بن عمر: (أنَّ الناس كانوا مع النبي ﷺ يومَ الحُديبية ، تفرَّقوا في ظلالِ الشجر ، فإذا الناس مُحْدِقون بالنبي ﷺ ، فقال ـ عمر ـ: يا عبد الله! انظر ما شأنُ الناس قد أَحْدَقوا برسول الله ﷺ! فوجدهم يبايعون ، فبايَعَ ثم رجع إلى عمر ، فخرج فبايع)[4].

---

(١) السيرة النبوية ، لابن هشام: ٢/ ٣١٥.
(٢) انظر: ص ١٠٣ ـ ١٠٤ في هذا الكتاب.
(٣) أخرجه البخاري (٣١٨٢)؛ ومسلم (١٧٨٥)؛ والنسائي في الكبرى (١١٤٤٠).
(٤) أخرجه البخاري (٤١٨٧).

وقال جابر بن عبد الله: (كنَّا يومَ الحُديبية ألفاً وأربعَ مئة، فبايعناه وعمرُ آخذٌ بيده تحت الشجرة، وهي سَمُرة)[1].

سادساً: في غزوة خيبر:

وفي هذه الغزوة غَرَس النبي ﷺ اللواء في يد الفاروق، فسار في كتيبة من الجيش فقارع يهودَ خيبر، غير أنه لم يُفتح له، وادَّخَر الله هذا الشرف لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه.

عن سَلَمَة بن الأَكْوع قال: (بعث رسولُ الله ﷺ أبا بكر الصديق رضي الله عنه برايته إلى بعض حصون خيبر، فقاتَلَ، فَرَجَعَ ولم يكُ فتحٌ، وقد جهد. ثم بعث الغد عمر بنَ الخطاب، فقاتل، ثم رجع ولم يكُ فتح، وقد جهد. فقال رسول الله ﷺ: «**لأعطينَّ الراية غداً رجلاً يحبُّ اللهَ ورسولَه، يفتح الله على يديه، ليس بفرّار**». يقول سلمة: فدَعَا رسول الله ﷺ عليّاً رضوان الله عليه، وهو أرمد، فتَفَل في عينيه، ثم قال: «**خُذْ هذه الراية، فامضِ بها حتى يفتح الله عليك**»)[2].

سابعاً: في فتح مكة:

وشهد عمر مع النبي ﷺ الفتح الأعظم، وكان له مواقف بارزة من وقت نَقَضت قريش عهدَها مع الرسول ﷺ، ثم مسير الجيش نحو مكة، وحتى تطهير الكعبة المشرفة من الصور والأوثان.

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٥٦)؛ والنسائي في الكبرى (١١٤٤٥).

(٢) السيرة النبوية، لابن هشام: ٢/ ٣٣٤؛ الحلية: ١/ ٦٢ ـ ٦٣؛ محض الصواب: ٣/ ٩٧٧ ـ ٩٧٨. وحديث: «**لأعطين الراية...**» في الصحيحين وغيرهما.

ـ ذكر ابن إسحاق في «سيرته» أن قريشاً لمَّا نقضت (صلح الحديبية) بعثت أبا سفيان سفيراً لها إلى النبي ﷺ ليشدَّ العقدَ ويزيد في المدة. فقدم أبو سفيان إلى المدينة، وأتى رسول الله ﷺ فكلَّمه، فلم يردّ عليه شيئاً. ثم ذهب إلى أبي بكر، فكلَّمه أن يكلِّم له رسول الله ﷺ، فقال: ما أنا بفاعل. ثم أتى عمر بنَ الخطاب، فكلمه، فقال: أأنا أشفَعُ لكم إلى رسول الله ﷺ؟! فوالله لو لم أجِدْ إلا الذَّرَّ لجاهدتُكم به[1].

وفي «مغازي موسى بن عُقبة»: (ثم أتى أبو سفيان عمر بنَ الخطاب فكلَّمه، فقال عمر: ما كان من حِلْفنا جديداً فأخْلَقَه الله، وما كان منه مُثبتاً فقَطَعه الله، وما كان منه مقطوعاً فلا وَصَلَه الله! فقال له أبو سفيان: جُزِيتَ من ذي رحمٍ شرّاً)[2].

ـ وعندما أزمع الجيش على المسير، كتب حاطب بن أبي بَلْتعة ـ وهو صحابي بدري ـ كتاباً إلى قريش يخبرهم بمسير النبي ﷺ إليهم... فكان لعمر موقف شديد منه[3].

ـ وصل رسول الله ﷺ بجيشه إلى مشارف مكة، ونزل بِمَرّ الظَّهْران، وبَصُر بهم العباس بن عبد المطلب، فركب على بغلة النبي ﷺ، ولقي أبا سفيان، يقول العباس: (قلت: ويحك يا أبا سفيان، هذا رسول الله ﷺ في الناس، واصباح قريش والله! قال: فما الحيلةُ فِداك أبي وأمي؟

---

(١) السيرة النبوية، لابن هشام: ٢/٣٩٦؛ تاريخ الطبري: ٣/٤٦.
(٢) البداية والنهاية: ٤/٢٨٢.
(٣) انظر ما تقدم: ص ١٠١ ـ ١٠٢ في هذا الكتاب.

قال: قلت: لئنْ ظَفِر بك ليضربنَّ عنقَك ، فاركَبْ معي هذه البغلة حتى آتي بك رسول الله ﷺ فأستأمِنَه لك.

قال: فركب خلفي ، وحرّكتُ به ، فكلما مررتُ بنار من نيران المسلمين قالوا: من هذا؟ فإذا رأوا بغلة رسول الله ﷺ قالوا: عمُّ رسول الله ﷺ على بغلته ، حتى مررتُ بنار عمر بن الخطاب فقال: من هذا؟ وقام إليَّ ، فلما رأى أبا سفيان على عَجُز البغلة قال: أبو سفيان ، عدو الله! الحمدُ لله الذي أمكَنَ منك بغير عقدٍ ولا عهد. ثم خرج يشتدُّ نحو رسول الله ﷺ ، وركَضْتُ البغلةَ فسبقتُه بما تسبق الدابة الرجل البطيء ، فاقتحمتُ عن البغلة ، فدخلت على رسول الله ﷺ ، ودخل عمر فقال: يا رسول الله ، هذا أبو سفيان قد أمكن الله منه بغير عقد ولا عهد ، فدَعْني فلأضربْ عنقه! فقلت: يا رسول الله ، إني أَجَرْتُه. ثم جلست إلى رسول الله ﷺ ، فقلت: لا والله لا يناجيه الليلة رجل دوني. قال: فلما أكثر عمرُ في شأنه قلت: مهلاً يا عمر ، أَمَا والله أنْ لو كان من رجال بني عدي بن كعب ما قلتَ هذا ، ولكنك عرفتَ أنه من رجال بني عبد مناف! فقال: مهلاً يا عباس! والله لإسلامُك يوم أسلمتَ أحبُّ إليَّ من إسلام أَبي لو أسلم ، وما بي إلا أني قد عرفت أن إسلامك كان أحبَّ إلى رسول الله ﷺ من إسلام الخطاب! فقال رسول الله ﷺ: **«اذهَبْ به إلى رَحْلِكَ يا عباس ، فإذا أصبحتَ فائتِني به»**[1].

وأسلم أبو سفيان رضي الله عنه بين يدي النبي ﷺ. ومرَّت أمامه

---

(١) مجمع الزوائد: ٦/ ١٦٤ ـ ١٦٧؛ وقال الهيثمي: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح ، وذكره الصالحي في سبل الهدى والرشاد: ٥/ ٣٢٦ ـ ٣٢٨ وعزاه لإسحاق بن راهويه وصححه.

القبائل على قادتها والكتائب على راياتها ، وكلما مرت كتيبةٌ سأل أبو سفيان العباسَ عنها ، فيجيبه . . . حتى مرَّ رسول الله ﷺ في (كتيبته الخضراء) فيها المهاجرون والأنصار ، ولعمر بن الخطاب فيها زَجَلٌ وعليه الحديد بصوتٍ عالٍ وهو يَـزَعُهـا! فقال أبو سفيان: يا أبا الفضل ، مَن هذا المتكلِّم؟ قال: عمر بن الخطـاب ، قال: لقد أَمِـرَ أمْـرُ بني عدي بعد ـ والله ـ قلَّة وذلّة! فقال العباس: يا أبا سفيان ، إن الله يرفع مَن يشاء بما يشـاء ، وإنَّ عمـر ممَّن رفَـعَـه الإسـلام! قال: وفي الكتيبـة ألفـا دارع)[1].

هكذا كان الفاروق كما هو دوماً؛ صلابةً وحزماً وشدة بأس على أعداء الله ورسوله ، وطاعةً لنبيه ﷺ وولاءً له وحبّاً لآل بيته وحرصاً على إسلامهم وسلامتهم .

وانظر إلى أبي حفص وهو يَهدر بأجناد (الكتيبة الخضراء) ، ويضبط حركاتهم ، ويرصّ صفوفهم ، ويهيِّئهم للحرب إذا ما خطر ببال قريش أن يَحُولوا دون دخول المسلمين مكة المكرمة فاتحين مهلِّلين مكبِّرين .

ويختم عمر مشاهد فتح مكة بهذا الموقف التاريخي الخالد الذي يختاره له رسول الله ﷺ .

روى جابر بن عبد الله : (أنَّ النبي ﷺ أَمَر عمرَ بنَ الخطاب زمنَ الفتح

---

(١) مغازي الواقدي: ٢/ ٨٢٠ ـ ٨٢١؛ سبل الهدى والرشاد: ٥/ ٣٣٣؛ حياة الصحابة: ١/ ١٦٨ ـ ١٦٩ . **الكتيبة الخضراء**: سميت بذلك للبسهم الحديد. زَجَل: صوت رفيع عال. **يَزَعها**: يرتب الرجال ويسوي صفوفهم للحرب. أَمِر: كَبِر وارتفع .

وهو بالبَطْحاء أن يأتيَ الكعبةَ فيمحوَ كلَّ صورةٍ فيها ، فلم يَدْخُلْها النبي ﷺ حتى مُحِيَتْ كل صورة فيها)[1] .

ثامناً: في حُنين:

وشهد عمر غزوة حُنَيْن ، ولمَّا فوجئَ المسلمون بهوازن وانهزم عامة الناس ، ثبت رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه نحو المئة ، وكان فيمن ثبت معه من المهاجرين: أبو بكر وعمر وعثمان ، ومن أهل بيته: علي والعباس وابنه الفضل وأبو سفيان بن الحارث وأسامة بن زيد ، وجماعة كبيرة من الأنصار[2] .

تاسعاً: في تبوك:

وفي زمن العُسرة من سنة (٩هـ) تجهز رسول الله ﷺ لغزوة تبوك ، وأَوْعَب معه (٣٠) ألفاً من الصحابة. وكان في الناس مَن لا يجدُ الراحلة والنفقة ، فَحَثَّ النبي ﷺ على الصدقة ، فتسارع الناس إلى النفقة وكان في مقدمتهم أبو بكر وعمر.

عن ابن عباس قال: (لَبِثَ رسول الله ﷺ بعد خروجه من الطائف ستة أشهر ، ثم أمره الله بغزوة تَبوك. . . فأمر رسول الله ﷺ المسلمين بالنفقة في سبيل الله والحِسبة ، فأنفقوا احتساباً ، وأفضَلُ ما تصدَّق به يومئذٍ أحدٌ

---

(١) أخرجه أبو داود (٤١٥٦)؛ وابن حبان (٥٨٥٧)؛ وصححه الألباني وشعيب الأرنؤوط.

(٢) السيرة النبوية ، لابن هشام: ٢/٤٤٣؛ وأخرجه أحمد: ٣/٣٧٦ وإسناده صحيح.

ما تصدَّق به عبد الرحمن بن عوف ، تصدق بمئتي أوقية ، وتصدق عمر بن الخطاب بمئة أوقية)[1] .

ويحدّث عمر عن شأن العسرة وما لقيه الناس في تلك الغزوة ، فيقول : (خرجنا إلى تبوكَ في قَيْظٍ شديدٍ ، فنزلنا منزلاً أصابنا فيه عطشٌ ، حتى ظَننا أن رقابَنَا ستنقطعُ ، حتى إن كان الرجل ليذهبُ يَلتَمِسُ الماء ، فلا يرجع حتى نظنَّ أن رقبته ستنقطع ، حتى إن الرجل لينحرُ بعيره ، فَيعصِرُ فَرْثَه فيشرَبُه ، ويجعلُ ما بقي على كبدِه!)[2] .

* * *

---

(١) مختصر ابن عساكر : ١/ ١٥٩؛ حياة الصحابة : ١/ ٤١٧ . **والأوقية** : تعادل (١١٩) جراماً ، فيكون ما تصدق به عمر (١١,٩) كغ من الذهب! .

(٢) أخرجه ابن حبان (١٣٨٣)؛ والحاكم : ١/ ١٥٩ ، وصححه ووافقه الذهبي .

الفصل الخامس

مع النبي ﷺ في أيامه الأخيرة

كان رسول الله ﷺ من صحابته رضي الله عنهم السمعَ والبصرَ والفؤادَ ، كأنه أنفاسُ الحياة التي يتنفسونها ، ونورُ العيون التي يبصرون بها ، ونبضُ القلوب التي تُمسك الحياة عليهم؛ ولهذا فإن ذِكْر موت النبي ﷺ كان أبعدَ شيء يطوف بهم أو يطرق أفكارهم. . .

ومن أجلِ هذا الشعور القائم في نفوس الصحابة من حب رسول الله ﷺ وتعلُّقهم به تعلق الروح بالجسد ، كانت آيات الكتاب الكريم تتنزل حيناً بعد حين وتذكِّرهم في رفق بهذه الحقيقة ، من مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠] ، ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَالِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٤] ، ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا﴾ [آل عمران: ١٤٤].

ومن تدبير الحكيم العليم لهذا الأمر ولطف اللطيف الخبير بصحابة رسول الله ﷺ أن لم يجئْ موتُ النبي ﷺ في صورة مفاجئة لهم ، بل لقد مَرِضَ ﷺ مرضاً اضطر معه إلى أن يقطع شهود الصلاة إماماً في الصحابة ، فيخلي هذا المكان لأبي بكر ، وإذا المسلمون لأول مرة

يشهدون الصلاة في مسجد رسول الله ﷺ ، تلك الصلاة التي لم يمكث بعدها الرسول ﷺ إلا قليلاً حتى لَحِق بالرفيق الأعلى[١] .

●● عن عبد الله بن زَمْعَة قال: (لمّا اسْتُعِزَّ برسولِ الله ﷺ ، وأنا عنده في نفرٍ من المسلمين ، دعاه بلالٌ للصلاة فقال: «**مُرُوا من يصلي بالناس**» ، قال: فخرجتُ فإذا عمرُ في الناس ، وكان أبو بكر غائباً ، فقال: قُمْ يا عمرُ فَصَلِّ بالناس. قال: فقام ، فلما كبَّر عمر سمعَ رسولُ الله ﷺ صوته ، وكان عمر رجلاً مُجْهِراً ، قال: فقال رسول الله ﷺ: «**فأينَ أبو بكر؟ يأبَى الله ذلك والمسلمون ، يأبَى الله ذلك والمسلمون**»! قال: فبَعث إلى أبي بكر ، فجاء بعد أن صلى عمر تلك الصلاة ، فصلى بالناس. قال عبد الله بن زَمْعة: قال لي عمر: ويحكَ! ماذا صنعتَ بي يا ابن زمعة؟! والله ما ظننتُ حين أمرتني إلا أن رسول الله ﷺ أَمَرَكَ بذلك ، ولولا ذلك ما صلَّيتُ بالناسِ ، قال: قلتُ: واللهِ ما أَمرني رسول الله ﷺ ، ولكن حين لم أرَ أبا بكر رأيتُك أحقَّ من حَضَرَ بالصلاة)[٢] .

وفي حديث طويل: عن عائشة قالت: (أَرسل رسول الله ﷺ إلى أبي بكر أن يصلي بالناس ، فأتاه الرسول فقال: إن رسول الله ﷺ يأمرك

---

(١) انظر: عمر بن الخطاب ، لعبد الكريم الخطيب ، ص ١٢٧ ـ ١٣١ .

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٦٠ ، ٤٦٦١)؛ وأحمد: ٤/ ٣٢٢؛ وابن أبي عاصم في السنة (١١٦٠ ـ ١١٦٢)؛ والفسوي: ١/ ٤٥٣ ـ ٤٥٤ ؛ وابن هشام في السيرة: ٢/ ٦٥٢ ، وصححه الألباني؛ وضعفه شعيب الأرنؤوط في تعليقه على (سنن أبي داود) فما أصاب! ومعنى: **استُعِزَّ بالمريض**: إذا غلب على نفسه من شدة المرض. **مُجهِراً**: أي صاحب جهرٍ ورفعٍ لصوته.

أن تصلي بالناس ، فقال أبو بكر ـ وكان رجلاً رقيقاً ـ: يا عمرُ! صَلِّ بالناس ، قال: فقال عمر: أنتَ أحقُّ بذلك. قالت: فصلى بهم أبو بكر تلك الأيام)[1].

وفي هذه الأحاديث تتبين منزلةُ الفاروق عند النبي ﷺ وأبي بكر والصحابة جميعاً ، وأنه الرجلُ الثاني بعد الصديق ، وحَسْبُك أن أبا بكر أراد تقديمه ليصلي إماماً ، فقال له عمر: أنت أحق بذلك ، على مشهد من رسول الله ﷺ وأصحابه.

●● كانت مدة مرض النبي ﷺ (١٣) يوماً ، على رأي الأكثر ، وكانت وفاته يوم الإثنين بلا خلاف ، والجمهور على أنها في الثاني عشر من شهر ربيع الأول بعد الزوال[2].

وكان هولُ المصيبة عظيماً ، ويصوِّر ذلك أنس بن مالك فيقول: (لمَّا كان اليومُ الذي دخلَ رسول الله ﷺ فيه المدينةَ؛ أضاءَ منها كلُّ شيء، فلما كان اليومُ الذي مات فيه أَظْلَمَ منها كل شيء ، وما نَفَضْنا عن النبي ﷺ الأيدي ، وإنا لفي دفنِه ، حتى أَنْكَرْنا قلوبَنا!)[3].

فالناس بين مصدِّق ومكذِّب؛ قد كَمَدهم الحزنُ ، وعقد ألسنتَهم

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٨) وأطرافه؛ ومسلم (٤١٨)؛ والنسائي في الكبرى (٩٠٩ ، ٩١٠)؛ وابن حبان (٢١١٦) ، وغيرهم.

(٢) انظر ما كتبناه عن (الأيام الأخيرة من حياته ﷺ) في كتابنا: أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، خليفة رسول الله ﷺ ، ص٢٢٣ وما بعدها.

(٣) أخرجه الترمذي (٣٩٤٦)؛ وابن ماجه (١٦٣١)؛ وابن حبان (٦٦٣٤) ، وغيرهم ، وقال الترمذي: صحيح غريب ، وصححه ابن كثير على شرط الشيخين؛ البداية والنهاية: ٥/ ٢٧٣ ـ ٢٧٤.

الهولُ ، وذهبَ بعقولهم المصابُ ، وحلَّت عزائمَهُم النازلةُ . . . وجَمد الناس على الحال التي لقيهم هذا الخبر الصاعق عليها ؛ فما جلس من كان قائماً ، ولا قام من كان جالساً ، ولا نزل من كان راكباً ، ولا تحرك من كان ساكناً[1] ! .

أجَلْ ، كان امتحاناً مريراً ، فوجئ به المؤمنون فَسَلَّ أرواحَهم من أبدانهم ، وخَلَع قلوبهم من صدورهم ، وأضفَى عليهم الذهولَ والحيرة[2] .

ولم يصدِّق عمر الفاروق ـ وهو الشديد الصلب ـ أن رسول الله ﷺ قد مات ، ويتأوَّلُ قولَه تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣] ، ويظنُّ أن النبي ﷺ سيبقى في أمته حتى يشهد عليها بآخر أعمالها[3] .

وسَلَّ سيفَه ، وقام في الناس خطيباً فقال : (لا أَسْمَعنَّ أحداً يقول : إن محمداً ﷺ قد مات! إن محمداً ﷺ لم يَمُتْ ، ولكن أَرسل إليه ربُّه كما أرسَل إلى موسى ، فَلَبِثَ عن قومه أربعين ليلة) .

وقال في خطبته : (إني لأرجو أن يُقطِّعَ رسول الله ﷺ أيدي رجال وأرجُلَهم يَزْعُمون أنه مات!)[4] .

---

(١) عمر بن الخطاب ، لعبد الكريم الخطيب ، ص ١٣٢ .

(٢) حياة رجالات الإسلام ، ص٧٥ .

(٣) السيرة النبوية ، لابن هشام : ٢/ ٦٦١ ، تاريخ الطبري : ٣/ ٢١١ .

(٤) أخرجه ابن سعد : ٢/ ٢٦٦ ؛ وابن حبان (٦٦٢٠) ، في حديث طويل ، وصححه شعيب الأرنؤوط .

وأخذ أكثر القوم بقول عمر ، ولم يَـقدر أحدٌ من أصحاب رسول الله ﷺ أن يردَّ على عمر قولَه ، وذهبتْ بهم الحَيرةُ كل مذهب .

●● فَمَن للناس بمن يكشف عنهم هذا الكَرْب الفادح ، ويحمل معهم هذا العبءَ القاتل؟ إنه الصديق! .

وجاء أبو بكر وجاء معه اليقين وجاءت السكينة ، فكان برداً وسلاماً على القلوب ، وكان هدًى للأفئدة .

ولنستمع إلى الخبر الجليل ، ولنتأمل المشهد المثير والموقف الخطير ، الذي يرويه البخاري وغيره . . .

قال الزُّهري : حدثني أبو سَلَمة ، عن عبد الله بن عباس : (أَن أبا بكر خَرج وعمرُ يكلِّم الناسَ ، فقال : اجلسْ يا عمر ، فأبى عمر أن يجلس ، فأقبلَ الناس إليه وتركوا عمر ، فقال أبو بكر : أما بعدُ ، مَنْ كان منكم يعبد محمداً ﷺ فإن محمداً قد مات ، ومن كان منكم يعبد الله فإن الله حيٌّ لا يموت؛ قال الله تعالى : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ﴾ إلى قوله : ﴿ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران : ١٤٤] .

وقال : والله لكأنَّ الناس لم يَعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر ، فتلقَّاها منه الناس كلُّهم ، فما أسمع بشراً من الناس إلا يتلوها .

فأخبرني[١] سعيد بن المسيِّب : أن عمر قال : والله ما هو إلا أن سمعتُ أبا بكر تلاها فَعَقِرْتُ حتى ما تُقِلُّني رِجْلاي ، وحتى أهويتُ إلى الأرض حين سمعتُه تلاها ، علمتُ أن النبي ﷺ قد ماتَ)[٢] .

---

(١) القائل هو الزهري .

(٢) أخرجه البخاري (٤٤٥٤) وأطرافه في (١٢٤١ ، ١٢٤٢)؛ وابن حبان : =

وثَبَّتَ الله المؤمنين براسخ إيمان الصديق ، وتلقَّى الناسُ منه الآيةَ وكلُّهم يتلوها : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ . . . ﴾ الآية .

وكان لموقف عمر أثر جليل . . .

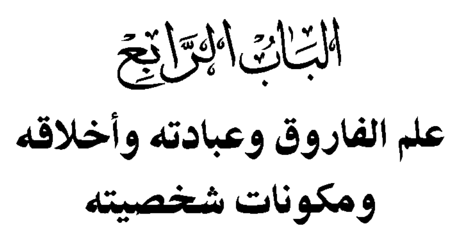
عن عائشة قالت : (فما كان من خُطبتِهما[1] من خطبةٍ إلا نَفَعَ الله بها : لقد خَوَّفَ عمرُ الناسَ وإنَّ فيهم لنفاقاً فَرَدَّهُم الله بذلك . ثم لقد بَصَّرَ أبو بكر الناسَ الهُدَى ، وعَرَّفَهم الحقَّ الذي عليهم ، وخَرجوا به يتلون : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران : ١٤٤])[2] .

* * *

= ١٤/ ٥٨٨ ـ ٥٨٩ حديث (٦٦٢٠) ؛ وابن سعد : ٢/ ٢٧٠ ، وغيرهم .

(١) أي : من خطبتي أبي بكر وعمر .

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٦٩ ، ٣٦٧٠) .



الباب الرابع

علم الفاروق وعبادته وأخلاقه ومكونات شخصيته

- علمه .
- عبادته .
- أخلاقه وشمائله .
- اتباعه هدي النبي ﷺ وأبي بكر واقتداؤه بهما .
- مؤهلاته ومكونات شخصيته المتفردة .

* * *



الفصل الأول

علمه

يمكن معرفة أساسِ هذا الجانب في شخصية الفاروق وعمادِه وعمقِه ومداه ورحابته من شهادة رسول الله ﷺ في عمر وعبقريته الفذة فيه ، وذلك فيما رواه عبد الله بن عمر ، عن رسول الله ﷺ قال: «**بَيْنَا أنا نائمٌ ، إذ رأيتُ قَدَحاً أُتِيتُ به ، فيه لبنٌ ، فشربتُ منه حتى إني لأَرى الرِّيَّ يَجري في أظفاري ، ثم أَعطيتُ فَضْلي عمرَ بنَ الخطاب**» قالوا: فما أَوَّلْتَ ذلك يا رسول الله؟ قال: «**العلمَ**»[1].

وحسبك أنه شرب من كأس العلم الذي شرب منه النبي ﷺ ، بل ناوله بيده الشريفة!.

والمقصود بالعلم هنا أوسع من علوم الكتاب والسنة ، وهو يشمل العلم بسياسة الناس بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ، واختص عمر بذلك لطول مدته بالنسبة إلى أبي بكر ، وباتفاق الناس على طاعته بالنسبة إلى عثمان[2].

---

(١) أخرجه البخاري (٨٢)؛ ومسلم (٢٣٩١)؛ والنسائي في الكبرى (٥٨٠٦) ، وغيرهم.

(٢) الفتح: ٨/ ٦٢٢ ـ ٦٢٣ شرح الحديث (٣٦٨١).

وكان عمر حريصاً على حضور مجالس النبي ﷺ وأخذِ القرآن والسنن عنه ، حتى كان يتناوب هو وجارٌ له من الأنصار كما قدمنا[١] .

كذلك كَثُرت سؤالاته لرسول الله ﷺ وقد ذكرنا طرفاً من ذلك[٢] .

ويؤكد علوَّ شأنه من العلم ورسوخَه فيه شهاداتُ الصحابة وأقوالهم ، من ذلك ما جاء عن عبد الله بن مسعود قال : (لو وُضِعَ علمُ عمر في كفة ميزان ووُضِع علمُ الناس في كفة ؛ لرَجَحَ علمُ عمر بعلم الناس! وإني لأحسب عمر حين مات قد ذهب بتسعة أعشار العلم . ولمجلسٌ كنتُ أجلسه مع عمر أوثقُ في نفسي من عمل سنة)[٣] .

وقال المِسْوَر بن مَخْرَمة : (كان علمُ أصحاب رسول الله ﷺ ينتهي إلى ستة : إلى عمر وعثمان وعلي ، ومعاذ بن جبل وأُبي بن كعب وزيد بن ثابت)[٤] .

أولاً: القارئ المفسر:

●● أخذ عمر القرآن الكريم مشافهةً عن النبيِّ ﷺ ، وقد ذكرنا من ذلك قصته مع هشام بن حَكيم بن حزام في قراءة «سورة الفرقان»[٥] .

وقد ذكر أبو عبيد (القراء من أصحاب النبي ﷺ) ممن حفظ القرآن

---

(١) انظر : ص٨٨ وما بعدها في هذا الكتاب .

(٢) انظر : ص٨٦ ـ ٨٧ في هذا الكتاب .

(٣) طبقات ابن سعد : ٢/ ٣٣٦؛ المعرفة والتاريخ : ١/ ٤٦٢ ـ ٤٦٣؛ تهذيب الكمال : ٢١/ ٣٢٥ ، وأسانيدها صحيحة .

(٤) طبقات ابن سعد : ٢/ ٣٥١ .

(٥) انظر : ص ٨٤ ـ ٨٥ في هذا الكتاب .

عن ظهر قلب ، فعدَّ من المهاجرين: الخلفاء الراشدين الأربعة ، وطلحة ، وابن مسعود ، وحذيفة ، وغيرهم[1].

وترجم له ابن الجَزَريّ في كتابه «غاية النهاية» فقال: (قال أبو العالية الرِّيَاحي: قرأتُ القرآنَ على عمر أربعَ مرات ، وأكلتُ معه اللحم. رواه جماعة ثقات عن هشام بن حسان عن حفصة بنت سِيرين قالت: قال لي أبو العالية ، فذكَرَتْه ، وهذا سند صحيح لا شك فيه)[2].

وروى زيد بن وَهْب ، عن ابن مسعود قال: (كان عمر أتقانا للربِّ وأقرأَنا لكتاب الله)[3].

وقال قَبيصة بن جابر: (صحبتُ عمر بنَ الخطاب ، فما رأيتُ رجلاً أقرأَ لكتاب الله ولا أفقهَ في دين الله ولا أحسنَ مدارسةً منه)[4].

وقال حذيفة بن اليمان: (إنما يُفتي الناسَ أحدُ ثلاثة: رجلٌ عَلِم ناسخَ القرآن من منسوخه ، قالوا: ومن ذاك؟ قال: عمر بن الخطاب. قال: وأمير لا يخاف ، أو أحمق متكلِّف)[5].

●● وقد حُفِظت عن عمر آثارٌ كثيرة في أسباب نزول القرآن وتفسير آياته الكريمة ، ومن ذلك:

ـ عن طارق بن شهاب قال: (جاء رجلٌ من اليهود إلى عمرَ ، فقال:

---

(١) الفتح: ١١/ ٢٦٢ شرح الحديث (٥٠٠٣)؛ الإتقان: ١/ ٧٢.
(٢) غاية النهاية في طبقات القراء: ١/ ٥٩١.
(٣) المستدرك: ٣/ ٨٦.
(٤) المعرفة والتاريخ: ١/ ٤٥٧ ؛ مصنف ابن أبي شيبة: ٧/ ٤٨٠.
(٥) سنن الدارمي (١٧٢)؛ مختصر ابن عساكر: ١٨/ ٣٢٢.

يا أميرَ المؤمنين! آيةٌ في كتابكم تقرؤونها ، لو علينا نـزَلَتْ معشرَ اليهود ، لاتَّخَذْنا ذلك اليومَ عيداً. قال: وأيُّ آيةٍ؟ قال: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]. فقال عمر: إني لأعلمُ اليومَ الذي نزلت فيه ، والمكانَ الذي نزلت فيه ، نَزلتْ على رسول الله ﷺ بعرفاتٍ في يوم جمعة)[(١)].

ـ وعن يَعْلى بن أميَّة قال: (قلتُ لعمرَ بنِ الخطاب: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ [النساء: ١٠١] ، فقد أَمِنَ الناسُ! فقال: عجبتُ مما عجبتَ منه فسألتُ رسولَ الله ﷺ عن ذلك ، فقال: «**صدقةٌ تصدَّق الله بها عليكم ، فاقبلوا صدقته**»)[(٢)].

ـ وعن عِكْرِمة قال: (لمَّا نَزلت: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ [القمر: ٤٥] ، قال عمر: أيُّ جَمْعٍ يُهْزَمُ؟ أيُّ جمع يُغلَب؟! قال عمر: فلما كان يومُ بدر رأيتُ رسول الله ﷺ يَـثِبُ في الدِّرع ، وهو يقول: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾؛ فعرفتُ تأويلَها يومئذ)[(٣)].

●● وكان منهج عمر أنه يفسر الآيات الكريمة حسبما شهده من تنزيلها ، أو اعتماداً على تفسير النبي ﷺ وما جاء فيها من أحاديث ، وإذا لم يجد ذلك لجأ إلى فهمه. وحرض الصحابة على أن يقولوا فيها بما علموه وسمعوه وفهموه من دلائل تلك الآيات.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٥)؛ ومسلم (٣٠١٧) (٥)؛ والنسائي في الكبرى (٣٩٨٣)؛ وغيرهم. واليهودي هو كعب الأحبار.

(٢) أخرجه مسلم (٦٨٦)؛ والنسائي في الكبرى (١٩٠٤) ، وغيرهما.

(٣) تفسير ابن كثير: ٤/ ٣١٥؛ تفسير القرطبي: ١٧/ ١٢٧. وانظر حديث ابن عباس عند البخاري (٢٩١٥)؛ والنسائي في الكبرى (١١٤٩٣).

عن عُبيد بن عُمير قال: (قال عمر رضي الله عنه يوماً لأصحاب النبي ﷺ: فيمَ تُرَوْنَ هذه الآية نَزلت: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ﴾ [البقرة: ٢٦٦]؟ قالوا: الله أعلم، فغضب عمر فقال: قولوا نعلم أو لا نعلم. فقال ابن عباس: في نفسي منها شيء يا أمير المؤمنين، قال عمر: يا ابن أخي قُلْ ولا تَحْقِر نفسَك، قال ابن عباس: ضُرِبت مثلاً لعمل، قال عمر: أيُّ عمل؟ قال ابن عباس: لعمل، قال عمر: لرجلٍ غنيٍّ يعمل بطاعة الله عز وجل، ثم بَعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى أغرق أعماله)[1].

وعن سعيد بن جُبير، عن ابن عباس قال: (كان عمرُ يُدْخِلُني مع أشياخ بدر، فكأنَّ بعضَهم وَجَدَ في نفسه فقال: لِم تُدخِلُ هذا معنا ولنا أبناءٌ مثلُه؟! فقال عمر: إنه من حيثُ عَلمتم. فدَعاه ذات يوم فأدخله معهم، فما رُئِيتُ أنه دعاني يومئذ إلا ليُريَهم، قال: ما تقولون في قول الله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾؟ فقال بعضهم: أُمِرْنا نحمدُ اللهَ ونَستغفره إذا نُصِرنا وفُتِح علينا، وسكت بعضهم فلم يقلْ شيئاً. فقال لي: أكذاكَ تقول يا ابنَ عباس؟ فقلت: لا، قال: فما تقول؟ قلت: هو أَجَلُ رسول الله ﷺ أَعْلَمَه إياه، قال: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ وذلك علامةُ أجَلِكَ؛ ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾ فقال عمر: ما أعلمُ منها إلا ما تقول)[2].

وعن النعمان بن بَشير قال: (سمعت عمر يقول في قوله تعالى:

---

(١) أخرجه البخاري (٤٥٣٨).

(٢) أخرجه البخاري (٤٩٧٠)؛ والنسائي في الكبرى (٧٠٤٠)، وغيرهما.

﴿ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴾ [التكوير: ٧]: هو الرجلُ يُزَوَّجُ نظيرَه من أهل الجنة، والرجلُ يُزَوَّجُ نظيرَه من أهل النار. ثم قرأ: ﴿ ۞ ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ ﴾ [الصافات: ٢٢])[١].

وعن أنس بن مالك قال: (كنا عند عمر، وعليه قميصٌ في ظهره أربعُ رقاع، فقرأ: ﴿ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴾ [عبس: ٣١]، فقال: هذه الفاكهة قد عرفناها فما الأبُّ؟ ثم قال: مَهْ، نُهينا عن التكلّف).

وفي رواية عن أنس: (أنه سمع عمرَ يقول: ﴿ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ۝٢٧ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴾ إلى قوله: ﴿ وَأَبًّا ﴾، قال: كل هذا قد عرفناه، فما الأَبُّ؟ ثم رمى عصاً كانت في يده، ثم قال: هذا لعمرُ اللهِ التكلّفُ، اتّبعوا ما بُيِّن لكم من هذا الكتاب)[٢].

وذكره ابن كثير وصححه، وعَقَّبَ عليه فقال: (هو محمول على أنه أراد أن يعرف شكلَه وجنسَه وعَيْنَه، وإلا فهو وكل من قرأ هذه الآية يعلم أنه من نبات الأرض)[٣].

وهذا الكلام من ابن كثير جيد سديد، فعمرُ العربي الذي نزل القرآن

---

(١) علقه البخاري وصححه الحافظ في الفتح: ١١/ ١١٥، كتاب التفسير، سورة التكوير؛ ووصله ابن أبي شيبة: ٨/ ١٥٤؛ والحاكم: ٢/٥١٦، وصححه ووافقه الذهبي.

(٢) أخرج البخاري قوله: (نُهينا عن التكلف) حديث (٧٢٩٣)؛ وأخرجه مطولاً عبد بن حميد والإسماعيلي والطبري وابن سعد: ٣/ ٣٢٧؛ والحاكم: ٢/ ٥١٤ وصححه ووافقه الذهبي، وذكر الحافظ رواياته المتعددة: الفتح: ١٧/ ٩٠ (٧٢٩٣).

(٣) تفسير القرآن العظيم: ٤/٥٥٨.

بلغة قومه لا يجهل معنى «الأبّ» ، وإنما قال ذلك في ملأ من الناس ليكون فيه مزدجر لمن يتكلفون ويتنطعون ويقولون ما لا يعلمون.

ثانيا: المحدِّث:

روى عمر عن: النبي ﷺ ، وأبي بكر ، وأبي بن كعب.

وحدث عنه من الصحابة: عثمان ، وعلي ، وسعد بن أبي وقاص ، وطلحة بن عبيد الله ، وعبد الرحمن بن عوف ، وابنه عبد الله بن عمر ، وابن مسعود ، وجرير البجلي ، وحذيفة ، ومعاوية ، وعَمرو بن العاص ، وزيد بن ثابت ، وعبد الله بن عَمرو ، وابن عباس ، وابن الزبير ، وأبو أمامة ، وأبو قتادة الأنصاري ، وأبو هريرة ، وأبو موسى الأشعري ، وأنس ، وجابر بن عبد الله ، وابنته أم المؤمنين حفصة بنت عمر ، وأم المؤمنين عائشة الصديقة ، وغيرهم من الصحابة رضي الله تعالى عنهم.

ومن التابعين: ابنه عاصم ، وأسلم مولاه ، وسعيد بن المسيِّب ، وعَمْرو بن ميمون الأَوْدي ، وشُريح القاضي ، وسويد بن غَفَلَة ، وعلْقمة بن وقاص الليثي ، وأبو ميسرة عَمْرو بن شُرَحْبيل ، وقيس بن أبي حازم ، وأبو عثمان النَّهدي ، وخلق كثير[1].

روت له كتب السنة (٥٣٩) حديثاً ، أخرج الشيخان منها واحداً وثمانين حديثاً ، اتفقا في ستة وعشرين ، وانفرد البخاري بأربعة وثلاثين ، ومسلم بواحد وعشرين[2].

---

(١) تهذيب الكمال: ٢١/ ٣١٧ ـ ٣٢١.

(٢) تهذيب الأسماء واللغات: ٢/ ٤ ـ ٥.

١ ـ سؤاله عما لا يعلم ورجوعه للسُّنَّة:

ـ عن أبي هريرة قال: (أُتِيَ عمرُ بامرأةٍ تَشِمُ، فقام فقال: أَنشدُكم بالله من سمع من النبي ﷺ في الوَشْمِ؟ فقال أبو هريرة: فقمتُ فقلتُ: يا أمير المؤمنين! أنا سمعتُ، قال: ما سمعتَ؟ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**لا تَشِمْنَ ولا تستوشِمْنَ**»)[١].

ـ وعن أبي واقد اللَّيثي قال: (سألَني عمرُ عما قرأ رسول الله ﷺ في صلاة العيدين، فقلت: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ﴾، و﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ﴾)[٢].

ـ وعن سعيد بن المسيِّب قال: (كان عمر بن الخطاب يقول: الدِّيَـةُ للعاقِلة، ولا ترِثُ المرأةُ من ديةِ زوجها شيئاً، حتى قال له الضحاك بن سفيان: كَتَبَ إليَّ رسولُ الله ﷺ أن أُوَرِّثَ امرأةَ أَشْيَم الضَّبَابيِّ من ديةِ زوجها. فرَجَع عمر)[٣].

وستأتي أمثلة وشواهد أخرى كثيرة[٤].

٢ ـ تثبته واحتياطاته في قبول الحديث وروايته:

كان الفاروق شديد التحري والتثبت في نقل حديث رسول الله ﷺ

---

(١) أخرجه البخاري (٥٩٤٦)؛ والنسائي في الكبرى (٩٣٣٧).

(٢) أخرجه مسلم (٨٩١)؛ وأبو داود (١١٥٤)؛ والنسائي في الكبرى (١١٤٨٧)، وغيرهم.

(٣) أخرجه أبو داود (٢٩٢٧)؛ والترمذي (١٤٧٤)؛ والنسائي في الكبرى (٦٣٢٩)، وغيرهم. وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(٤) انظر مثلاً: ص٣٦١ وما بعدها في هذا الكتاب.

وروايته ، ويحمل الصحابة على الإقلال من التحديث خشية الغلط والوهم ، وليكونوا قدوة للناس حتى لا يتجرأ الأغمار على الخوض في السُّنة وروايتها بدون روية ، فتأخذها العامة وتطير في الآفاق ، ويحملها آخرون على غير وجهها .

وكان يضرب لهم المثل بنفسه ، فيسمع الحديث من الصحابي ، وهو عدل رضا فوق الشبهات ، فيطلب منه شاهداً قد سمع مثله ذلك الحديث. ولهذا اشتهر عند البعض أن عمر لا يقبل أحاديث الآحاد ، وهذا قول بالظن ومذهب مغلوط ، والسبب ما قدمناه من شدة احتياطه ، ويؤيد ذلك أن عمر قبل كثيراً من أحاديث الأصحاب ولم يطلب منهم تأكيداً على روايتهم ، وكانوا في ملأ من الناس .

قال الذهبي في ترجمة عمر من «التذكرة» : (وهو الذي سنَّ للمحدِّثين التثبتَ في النقل ، وربما كان يتوقف في خبر الواحد إذا ارتاب. . . وقد كان عمر من وَجَله أن يُخطئ الصاحبُ على رسول الله ﷺ يأمرُهم أن يُقلُّوا الرواية عن نبيهم)[1] .

وعن معاوية بن أبي سفيان قال : (إيَّاكم وأحاديثَ رسول الله ﷺ ، إلا حديثاً كان على عهد عمرَ ، وإن عمر رضي الله تعالى عنه كان أخافَ الناسَ في الله عز وجل)[2] .

ومن أمثلة ذلك :

ـ عن المغيرة بن شعبة ، عن عمر رضي الله عنه : (أنه استشارهم في

---

(١) تذكرة الحفاظ : ١/ ٦ .

(٢) أخرجه مسلم (١٠٣٧)؛ وأحمد : ٤/ ٩٩؛ وابن حبان (٣٤٠١) .

إمْلَاصِ المرأةِ ، فقال المغيرة : قضَى النبي ﷺ بِالغُرَّة : عبدٍ أو أَمَةٍ . قال : ائتِ مَنْ يشهدُ معك ، فشهد محمد بن مَسْلَمة أنه شهد النبي ﷺ قضى به)[1] .

ـ وعن أبي سعيد الخُدْري قال : (كنَّا في مجلس عند أُبيٍّ بن كعب ، فأتى أبو موسى الأشعري مغضَباً حتى وقف ، فقال : أَنشدُكم اللهَ ، هل سمعَ أحدٌ منكم رسول الله ﷺ يقول : «**الاستئذانُ ثلاثٌ ، فإن أُذِنَ لك ، وإلا فارْجِع**»؟! قال أبيٌّ : وما ذاكَ؟ قال : استأذنتُ على عمر بن الخطاب أمسِ ثلاث مرات ، فلم يُؤْذَنْ لي ، فرجعتُ ، ثم جئْتُه اليومَ فدخلتُ عليه ، فأخبرتُه أني جئتُ أمسِ فسلَّمتُ ثلاثاً ، ثم انصرفتُ ، قال : قد سمعناكَ ونحن حينئذٍ على شُغْلٍ ، فلو ما استأذنتَ حتى يؤذنَ لك! قال : استأذنتُ كما سمعتُ رسول الله ﷺ ، قال : فوالله لأوجعنَّ ظهركَ وبطنكَ ، أو لتأتينَّ بمن يشهدُ لك على هذا! فقال أُبيُّ بن كعب : فوالله لا يقوم معك إلا أحدثُنا سِنّاً ، قُمْ يا أبا سعيد . فقمتُ حتى أتيتُ عمرَ ، فقلت : قد سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول هذا) .

وفي رواية : (فقال عمر : خَفِيَ عليَّ هذا من أمر رسول الله ﷺ أَلْهَاني عنه الصَّفْقُ بالأسواق)[2] .

وعن أبي موسى الأشعري : (أنه أتى عمرَ فاستأذَنَ ثلاثاً ، فقال :

---

(١) أخرجه البخاري (٦٩٠٥ ـ ٦٩٠٦)؛ ومسلم (١٦٨٣)؛ وأبو داود (٤٥٧٠) وغيرهم . **وإملاص المرأة** : أن يُضرب بطنها فتلقي جنينها .

(٢) أخرجه البخاري (٢٠٦٢ ، ٦٢٤٥)؛ ومسلم (٢١٥٣) ، وغيرهما . **والصفق بالأسواق** : التجارة .

يَستأذِنُ أبو موسى ، يستأذنُ الأشعريُّ ، يستأذنُ عبد الله بن قيس ، فلمَ يَأذن له ، فرجَع . فبعث إليه عمر : ما رَدَّكَ؟ قال : قال رسول الله ﷺ : «**يستأذِنُ أحدُكم ثلاثاً ، فإنْ أُذِنَ له ، وإلا فليرجِعْ**» قال : ائتِني ببينةٍ على هذا . فذهب ثم رجع ، فقال : هذا أبيٌّ ، فقال أبي : يا عمر! لا تكنْ عذاباً على أصحاب رسول الله ﷺ! فقال عمر : لا أكونُ عذاباً على أصحاب رسولِ الله ﷺ) . لفظ أبي داود .

وفي رواية مسلم : قال عمر : (سبحان الله ، إنما سمعتُ شيئاً فأحببتُ أن أتثبَّتَ)[1] .

وفي رواية لأبي داود : (فقال عمرُ لأبي موسى : إني لم أَتَّهِمْكَ ، ولكنَّ الحديثَ عن رسول الله ﷺ شديدٌ) .

وفي رواية أخرى : (فقال عمر لأبي موسى : أَمَا إِنِّي لم أتهمْك ، ولكن خشيتُ أن يتقوَّلَ الناس على رسول الله ﷺ)[2] .

قال الحافظ : (ادَّعى بعضُهم أنه يستفاد منه أن عمر كان لا يقبل الخبر من شخص واحد ، وليس كذلك ، لأن في بعض طرقه أن عمر قال : إني أحببت أن أتثبت . وقد قبِل عمر خبر الضحاك بن سفيان وحده في الدية[3] ، وغير ذلك)[4] .

كذلك قبل عمر حديث أبي هريرة في (الواشمة) ، وحديث أبي واقد

---

(١) أخرجه مسلم (٢١٥٤)؛ وأبو داود (٥١٨١) .
(٢) سنن أبي داود (٥١٨٣ ، ٥١٨٤) .
(٣) ذكرناه قريباً : ص ١٤٦ حاشية (٣) في هذا الكتاب .
(٤) الفتح : ٦/ ٨١ شرح الحديث (٢٠٦٢) ، وانظر : ١٤/ ٤٦ (٦٢٤٥) .

في (القراءة في صلاة العيدين)[1] ، وقبل حديث عبد الرحمن بن عوف في أخذ الجزية من مجوس هجر[2] ، وحديثه في عدم دخول الأرض التي وقع بها الطاعون[3] ، وغير ذلك كثير.

٣ ـ اعتناء عمر بالسُّنة وموقفه من نشرها:

كان التشديدُ في رواية الأحاديث والتثبتُ والاحتياط في نشرها مذهبَ أعلام الصحابة من أمثال ابن عمر وابن مسعود وابن عباس وأنس وغيرهم ، وهو مذهب أمير المؤمنين عمر ، وقد حَمَلَ عليه الصحابةَ في أيام خلافته المباركة.

عن قَرَظَة بن كَعْب الأنصاري قال: (بَعَثَنا عمرُ بن الخطاب إلى الكوفة وشَيَّعَنا ، فَمشَى معنا إلى موضع يُقال له: صِرَارٌ ، فقال: أَتدرون لِمَ مَشَيْتُ معكم؟ قال: قلنا: لحقِّ صحبةِ رسول الله ﷺ ولحقِّ الأنصار ، قال: لكني مشيتُ معكم لحديثٍ أردتُ أن أحدِّثكم به ، فأردتُ أن تحفظوه لِممشاي معكم؛ إنكم تَقْدَمُونَ على قوم للقرآن في صدورهم هَزِيزٌ كهزيزِ المِرْجَلِ ، فإذا رأوكم مَدُّوا إليكم أعناقهم وقالوا: أصحابُ محمدٍ! فأَقِلُّوا الروايةَ عن رسول الله ﷺ ، ثم أنا شَرِيكُكُم)[4].

---

(١) انظرهما: ص١٤٦ في هذا الكتاب.
(٢) البخاري (٣١٥٦ ، ٣١٥٧)؛ وأبو داود (٣٠٤٣)؛ والترمذي (١٦٧٧ ، ١٦٧٨).
(٣) سيأتي: ص٣٦١ في هذا الكتاب.
(٤) أخرجه ابن ماجه (٢٨)؛ والدارمي (٢٧٩ ، ٢٨٠)؛ والحاكم: ١/ ١٠٢ وصححه ووافقه الذهبي. صرار: موضع على ثلاثة أميال من المدينة. هزيز: صوت.

فقد كان عمر حذراً ومحذِّراً لئلا يطمع مَن بعد الصحابة فيلجوا هذا الميدان الخطير ، فيأخذوا الأحاديث بغير روية ، ويذيعونها بدون تثبت ولا وجل!.

(فَعَمَدَ عمرُ إلى الثقات المُتْقِنين الذين شهدوا الوحي والتنزيلَ ، فأَنكر عليهم كثرةَ الرواية عن النبي ﷺ ، لئلا يجترئَ مَنْ بَعدَهم ممن ليس في الإسلام محلُّه كمحلِّهم ، فيُكثروا الرواية ، فيزِلّوا فيها ، أو يتقوَّلوا تعمداً عليه ﷺ لنوالِ دنيا)[1].

وقد بعث عمر ابنَ مسعود إلى الكوفة لِيفقِّه أهلَها ، وأمَّر أبا هريرة على البحرين وهو يعلم بيقين ما عنده من علم جَمٍّ سيبثُّه هناك ، وكذلك سائر الولاة الذين أرسلهم إلى الأمصار كسعدٍ وأبي موسى والمغيرة وغيرهم ، كلهم كانوا يعلِّمون الناس القرآن والسنن الشريفة.

والآثار التي رويت عن عمر من أنه حبس الصحابة في المدينة وأمرهم ألا يحدِّثوا ، هي منقطعة وضعيفة ، ويعارضها ما قدمناه من أحاديث صحيحة، وكذلك هديه في إرسال علماء الصحابة ولاةً ومعلِّمين.

ثالثاً: الفقيه المجتهد:

كان عمر من أكابر فقهاء الصحابة وأعيان أئمة الاجتهاد ، لِما آتاه الله تعالى من علم غزير ، وبصيرة نافذة ، وعبقرية نادرة ، وإلهام متفرد ، وقد قال عنه عبد الله بن مسعود: إنه عندما مات ذهب بتسعة أعشار العلم.

---

(١) كتاب المجروحين: ١/ ٣٨؛ وانظر كتابي: أبو هريرة ، ص ٣٤٨ ـ ٣٤٩.

روى سَهْل بن أبي حَثمة ـ وهو من صغار الصحابة ـ قال: (كان الذين يُفتون على عهد رسول الله ﷺ ثلاثة نفر من المهاجرين وثلاثة من الأنصار: عمر وعثمان وعلي، وأُبيّ بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت)[1].

وسيأتي من الأمثلة والوقائع في أيام خلافته ما يدل على تفوقه في فقهه واجتهاداته وسبقه في ذلك وتفرده.

ونشير هنا إلى شذرات من اختياراته الفقهية:

١ ـ اختيار عمر رضي الله عنه كراهةَ الصلاة في جلود الثعالب.

٢ ـ اختياره أنه لا يُكره السواك للصائم بعد الزوال ولا يستحب.

٣ ـ اختياره أن وقت الجمعة إذا زالت الشمس.

٤ ـ اختياره أن مسَّ الذَّكَر ينقض الوضوء.

٥ ـ اختياره أن التكبير في العيد من الفجر يوم عرفة إلى العصر من آخر آيام التشريق.

٦ ـ اختيار أبي بكر وعمر أن المشي أمام الجنازة أفضل.

٧ ـ اختياره وجوبَ الزكاة على الصبي والمجنون.

٨ ـ اختياره القولَ بإثبات خيار الفَسْخ في البيع، وأن لكل واحد الخيار ما دام في المجلس.

٩ ـ اختياره أنه لا يصح السَّلَم في الحيوان.

---

(١) طبقات ابن سعد: ٢/ ٣٥٠.

١٠ ـ اختياره أنه إذا وَجد الغريم عينَ مالِه عند المفلس فهو أحقُّ بها.

١١ ـ اختياره أن عينَ الدابّة تُضمن بربع قيمتها.

١٢ ـ اختياره جواز المساقاة في جميع الشجر.

١٣ ـ اختيار أبي بكر وعمر جواز استئجار الأجير بكسوته.

١٤ ـ اختياره أنه لا تلزم الهبة إلا بالقبض.

١٥ ـ اختياره أن مدة تعريف اللُّقَطَة سنة.

١٦ ـ اختياره جواز أخذ اليسير من اللُّقَطة والانتفاع به من غير تعريف.

١٧ ـ اختياره أن لُقَطة الحِلّ والحَرَم سواء.

١٨ ـ اختياره أن اللقطة إذا عَرَّفها المدة المعتبرة، فلم يعرف مالكها، صارت كسائر أمواله غنيّاً كان أو فقيراً.

١٩ ـ اختياره جوازَ الرجوع في الوصية، وقال: يغير الرجل ما شاء من وصيته.

٢٠ ـ اختياره أن للجدّات وإنْ كَثُرن السدس. وهو قول أبي بكر.

٢١ ـ اختياره في أم وأخت وجَدّ: للأخت النصف، وللأم ثلث ما بقي، وما بقي للجدّ.

٢٢ ـ اختياره إذا كان زوج وأبوان: أُعطي الزوج النصف، والأم ثلث ما بقي، وما بقي فللأب.

وإذا كانت زوجة وأبوان: أُعطيت الزوجة الربع ، والأم ثلث ما بقي ، وما بقي فللأب.

وهاتان المسألتان تسمَّيان بالعُمريَّتين ، لأن عمر قضى فيهما بهذا ، وتابعه عثمان وعلي وابن مسعود وزيد ، وغيرهم[١].

٢٣ ـ وكان يقول: اتَّجِروا في أموالِ اليتامى ، لا تأكلها الزكاة[٢].

٢٤ ـ وقال: أيُّما امرأَةٍ فَقَدتْ زوجَها فلم تدرِ أين هو ، فإنها تنتظرُ أربعَ سنين ، ثم تعتدُّ أربعة أشهر وعشراً ، ثم تَحِلُّ[٣].

٢٥ ـ اختياره: إذا قال الرجل لزوجتِه: (أَمْرُكِ بيدِك) ، فهي طَلْقة واحدة[٤].

رابعاً: نشره العلم:

أخذ العلمَ عن عمر جمهرة من الصحابة وأكابر التابعين ، وبَثَّ في الأمة علماً غزيراً ، وطالت أيام خلافته فكانت علومه تنتشر في الأمصار ، وترك في مؤسسات الدولة بصمات بارزة من فيض علمه واجتهاداته. وأرسل الولاة والقضاة والفقهاء والقراء ينشرون بين الناس علوم الإسلام ، وذلك داخل في نشره العلم ، وله في ذلك من الأجر مثلُ أجور علماء الأمة أولئك من غير أن ينقص من أجورهم شيء.

---

(١) انظر بالتفصيل هذه المسائل وغيرها في: محض الصواب: ٣/ ٧٥٤ ـ ٧٧٤.
(٢) الموطأ: ١/ ٢٥١.
(٣) المرجع السابق: ٢/ ٥٧٥.
(٤) سنن الترمذي: ٣/ ٣٧ عقب الحديث (١٢١٢).

ـ عن جابر بن عبد الله قال: (سمعتُ عمر بنَ الخطاب يقول لطلحة بنِ عبيد الله: ما لي أراك شَعِثاً ـ أو: أغبرَ ـ رثّاً منذ توفي رسول الله ﷺ، لعلَّكَ إنما بك يا طلحة إمارةُ ابنِ عمِّك؟ قال: معاذَ الله، إني لأجدرُكم أن لا أفعلَ ذلك، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إني لأعلمُ كلمة لا يقولُها رجلٌ يحضُره موتٌ، إلا وجدَ رُوحه لها رَوْحاً حين تَخرجُ من جسده، وكانت له نوراً يوم القيامة»**، فلم أسأل رسول الله ﷺ عنها، ولم يخبِرْني بها، فذاك الذي دخلني! فقال عمر: فأنا أعلَمُها، قال: فلله الحمد، فما هي؟ قال: هي التي قالها لعمِّه: **«لا إلٰه إلا الله»**، قال طلحة: صدقتَ)[1].

ـ وعن أبي أُمامة بن سَهْل بن حُنَيف: (أن رجلاً رمَى رجلاً بسَهْم فقتله، ولا وارثَ له إلا خالٌ، فكَتَب في ذلك أبو عبيدة بن الجراح إلى عمر، فكتب عمر: إن رسول الله ﷺ قال: **«اللهُ ورسولُه مولى من لا مولى له، والخالُ وارثُ من لا وارثَ له»**)[2].

ـ وعن أبي وائل شَقيق بن سَلَمة قال: (كثيراً ما كنتُ آتي الصُّبَيَّ بن مَعْبَدٍ أنا ومسروق نسألُه عن هذا الحديث، قال: كنتُ امرأً نصرانيّاً، فأسلمتُ، فأهللتُ بالحجِّ والعمرة، فسمعني سَلْمان بن ربيعة وزيد بن صُوحان وأنا أُهِلُّ بهما بالقادسية، فقالا: لهذا أَضَلُّ من بعيرِ أهلِه! فكأنما

---

(١) أخرجه النسائي في الكبرى (١٠٨٧١)؛ وابن ماجه (٣٧٩٥)؛ وابن حبان (٢٠٥)؛ والحاكم: ١/ ٣٥٠ ـ ٣٥١؛ وصححه ووافقه الذهبي. قوله: **(إمارة ابن عمك)**: يعني إمارة أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

(٢) أخرجه النسائي في الكبرى (٦٤١٧)؛ والترمذي (٢٢٣٥)؛ وأحمد (١٨٩)؛ وابن حبان (٦٠٣٧)؛ وصححه أحمد شاكر وغيره.

حُمِلَ عليَّ بكلمتهما جبلٌ ، حتى قدِمتُ مكة ، فأتيتُ عمر بنَ الخطاب وهو بمنًى ، فذكرتُ ذلك له ، فأقبل عليهما فلامَهُما ، وأقبَلَ عليَّ فقال : هُدِيتَ لسنَّةِ نبيِّكَ ﷺ ، مرتين)[1] .

ـ وعن كِنانة العَدَوي قال : (كَتَبَ عمر بن الخطاب إلى أمراء الأجناد : أن ارفعوا إليَّ كل مَن حَمَلَ القرآن ، حتى أُلحِقهم في الشرف من العطاء ، وأُرسِلَهم في الآفاق يعلِّمون الناس . فكتب إليه أبو موسى الأشعري أنه بَلَغَ مَنْ قِبَلي ممن حمل القرآن ثلاثَ مئة وبضعة رجال)[2] .

والأخبار في هذا الباب كثيرة ، سيأتي مزيد منها عند حديثنا عن (خلافة عمر) .

خامساً: عمر الأديب:

هذا الجانب في شخصية عمر العلمية قد أغفله أكثرُ مَن كتب عن عمر ، مع بروزه عنده ، وكثرة مادته في كتب السنة والتراجم والتاريخ والأدب .

والسبب في هذا كما يقول الفقيه الأديب علي الطنطاوي رحمه الله تعالى : (أننا لا نزال نقول : إن النثر في صدر الإسلام لم يسبق سبق الشعر ، ولم يسمُ سموَّه! ثم نجيء إلى مثل أسلوب الجاحظ ، فنراه الغاية في الإبداع ، وفي الحسن ، ولو نظر القارئ في أسلوب عمر ، عندما يكون متحدثاً منطلقاً على سجيَّته ؛ لرأى فيه عجباً ، ما يُدانيه فيه

---

(١) أخرجه النسائي في الكبرى (٣٦٨٥)؛ وأبو داود (١٧٩٩)؛ وابن ماجه (٢٩٧٠)؛ وابن حبان (٣٩١١)؛ وصححه الألباني وشعيب الأرنؤوط .

(٢) حياة الصحابة : ٣/ ٢٣٣ .

الجاحظ ولا غيره من أهله طبقته ، فضلاً عن هؤلاء (الكتَّاب) المتكلِّفين المزعجين كالصاحب ابن عبّاد ، هذا السَّمْج الثقيل ، وأمثاله الذين يفرضهم منهج الأدب على التلاميذ المساكين)[1].

وقد أطال الشيخ الطنطاوي في هذا الجانب في السرد والتحليل والنقد ، وأفاد وأجاد ، في فصل مطوَّل أربى على الستين صفحة . ومن ذلك أنه عرض حديث عمر في (قصة تخيير النبي ﷺ نساءه الطاهرات)[2]، ثم حلَّل المشاهد والمواقف والصور باختصار بديع ، وقال في عقبها :

(ولقد قرأتُ ما لا أحصيه من الصفحات ، لأدباء الشرق والغرب ، وأنا أؤكد القول أن قليلاً جدّاً من الأدباء مَن يبلغ في (حياة) العرض و(دقة) الوصف وشموله ، مثل هذا المبلغ .

هذا وعمرُ ما تعمَّده ، ولا ألقى إلى شيء منه بالاً ، وإنما جاء به على سجيَّته ، فكيف لو أن عمر أراد تجويدَ الأسلوب ، وقَصَد الأدبَ والفن ، وأعَدَّ كلامه وهذَّبه، كما كان زهير وغيره من الشعراء يُعِدُّونَ ويهذِّبون؟!)[3].

أما كلماته فإنها تستحق الدرس والبحث ، (وإذا كان نقاد الأدب لا يزالون يعجبون بحِكَم المتنبي ، ويرون فيها خلاصة لتجارب الناس في عصره ، فإن حِكَمَ المتنبي لا يمكن أن تُذكر مع كلمات عمر ، ولا تجري معها في ميدان .

---

(١) أخبار عمر ، ص٢٠٧ .
(٢) ذكرته بتمامه : ص٨٨ ـ ٩١ في هذا الكتاب .
(٣) أخبار عمر ، ص ٢٠٩ ـ ٢١٠ .

إن المتنبي لخَّصَ في حِكَمه تجاربَ الناس ، وعمر وَضَعَ في كلماته (الحِكَمَ) للناس. إن من كلماته ما كان دستوراً للحُكْم أو للقضاء ، أو للأخلاق ، دستوراً كاملاً ولكنه لم يجئ في موادّ مطوَّلة ولم يُكتب بلغة القوانين ، بل جاء حكمةً سائرة ، ومثلاً مأثوراً ، في لغة هي في البيان غاية الغايات)[1].

ويشير العقاد ـ وهو من أعمدة الفكر والأدب ـ إلى هذا عند الفاروق فيقول: (كان عمر بليغاً حسنَ النقد للبلاغة ، هواه منها الصدق والطبع وجمال التفصيل).

ثم يقول: (ونَـدَر بين أئمة الدين مَنْ غاص في أدبِ قومه غوصَه ، ووعى من أشعارهم وطُرَفِهم مثلَ ما وعاه. قال الأصمعي: ما قَطَع عمر أمراً إلا تمثَّل فيه ببيت من الشعر[2]! ونحن نرجع إلى الشعر الذي تمثل به فنراه في أحسن موقع وأصدق شاهد ، ونَلْمح من قليل أخباره في خلوته أن الأدب كان جانباً من جوانبه التي ترقُّ فيها حاشيتُه ، ويأنَس فيها إلى قلبه ، ويَرجع فيها إلى فطرته)[3].

ولعل من الصواب القول: إن عمر كان من أوائل نقاد الشعر العربي؛ إذ كان على جانب كبير من الفهم لقواعده ومضامينه ، كما كان قادراً على كشف غثِّه من سَمينه ، وذلك في نطاق القيم والمبادئ الإسلامية التي

---

(١) أخبار عمر ، ص٢١١.
(٢) انظر: محض الصواب: ٢/ ٦٩١.
(٣) عبقرية عمر ، ص٨٤ ـ ٨٥.

أصبحت مقياساً يقوَّم به كلام الناس وأفعالهم ، كما هي معيار للحق والباطل[1] .

ويبدو أن شعر زهير بن أبي سُلْمى كان أحبَّ الشعر إلى نفس عمر ، وكان يسمِّيه (شاعر الشعراء) ، وحينما استوضَحه ابن عباس عن سبب وضعه في هذه المنزلة العالية ، قال : (كان لا يُعَاظِل[2] في الكلام ، وكان يتجنّب وحشيَّ الشعر ، ولم يمدح أحداً إلا بما فيه) .

وهكذا فإن عمر وضع قواعد نقدية لتقديم شاعر على آخر ، هي : البعد عن التعقيد اللفظي ، وتجنب الغريب من الكلام ، ثم الصدق في مضمون القول[3] .

ومن مواقف عمر النقدية التقويمية أنه سأل وفد غَطَفان حين قدِموا عليه : من القائل :

حلفتُ فلم أتركْ لنفسِك ريبةً ... وليس وراءَ الله للمرءِ مذهبُ؟

قالوا : نابغةُ بني شَيْبان .

ثم سألهم : من القائل :

أتيتُكَ عارياً خَلَقاً ثيابي ... على وَجَلٍ تُظَنُّ بيَ الظُّنونُ

فألفيتُ الأمانةَ لم تخنْها ... كذلك كانَ نوحٌ لا يَخونُ؟

قالوا : هو النابغة . قال عمر : هو أشعر شعرائكم .

وكَذَّبَ عمرُ الحطيئةَ في شعرٍ له ، وذلك حين أُنْشِدَ قوله :

---

(١) الأدب الإسلامي في عصر النبوة وخلافة الراشدين ، ص ١٨٢ .

(٢) عاظَلَ بالكلام : عَقَّدَه وصَعَّبَه .

(٣) الأدب الإسلامي ، ص ١٨٢ ـ ١٨٣ .

متى تأتِه تَعْشُو إلى ضوء نارِه تجدْ خيرَ نارٍ عندها خيرُ موقدِ

فقال عمر: كَذَبَ ، بل تلك نار موسى نبي الله عليه السلام!.

إن الناظر في أحكام عمر النقدية ـ على قلَّتها ـ يجد فيها توجيهاً هادفاً للشعراء المسلمين ليكونوا أصحابَ مدرسة الالتزام العقائدي في الشعر. وهذا شأن رجل العقيدة الذي يحتكم إليها في سلوكه الإنساني ونتاجه الفكري والأدبي[1].

١ ـ عمر والشعر:

يظهر للناظر في كتب الأدب التي تناولت صدر الإسلام وعصر الخلافة الراشدة ، أن الحركة الشعرية كانت نشطة ، وبخاصة في (المدينة) عاصمة الخلافة. ويدهشه ما يجده من ذِكْر كبير لعمر في هذا الميدان ، لكن عند التأمل يزول عجبه إذا عَلِم أن الفاروق كان أكثر الخلفاء ميلاً للشعر وسماعه والتمثل به وإنشاده والاستشهاد به في كل مناسبة ، حتى قالوا: إنه لا يكاد يعرِض له أمر إلا وأنشد فيه الشعر!.

كذلك يتبين للباحث أن محفوظَ عمر من الشعر قديمه ومعاصره؛ كان طيِّعاً له ، مما ينبئ عن حافظة مستوعبةٍ لمخزونها ، مصنِّفةٍ له؛ إذ كان على طرف لسانه منه ما يناسب وقائعَ يومه في بديهة حاضرة ، وحافظة سريعة.

وكان يحب من الشعراء مَنْ ملأ الإيمان قلبه ، وعَمَرَ وجدانَه بِمُثُل

---

(١) المرجع السابق ، ص١٨٥. **تعشو**: تقصد في الظلام.

الإسلام الرفيعة ، وقيمه السامية ، وترجمها شعراً ينمُّ عن التدين الحق ، ويصوِّر الأخلاق الفاضلة التي حث الإسلام عليها . وما يعارض ذلك كان عمر يأباه ، ويقف من أصحابه موقفاً صلباً متشدداً[(١)] .

وأمثلة ذلك كثيرة سترد عند حديثنا عن (أيام خلافته) ، كما يظهر ذلك ـ مثلاً ـ في موقفه من أبي مِحْجن والحُطيئة ونَصْر بن حجّاج ووالد كلاب وغيرهم .

ونشير هنا إلى شذور من ذلك :

ـ ذكر المُبَرِّد أنه قيل للأوسيَّة ، وهي امرأة حكيمة من العرب ، بحضرة عمر رضي الله عنه : أي منظر أحسن؟ فقالت : قصورٌ بيضٌ في حدائقَ خُضر . فأنشد عمر لعدي بن زيد :

كَدُمَى العاج في المحاريب أو كالْـ ـبِيضِ في الرَّوْض زهرُهُ مستنيرُ[(٢)]

ـ وفي إحدى حجَّاته نزل بوادي ضَجْنَان ، وتذكَّر أنه كان يرعى فيه إبلَ أبيه الخطاب ، وهو الآن أمير المؤمنين ، فتمثَّل قائلاً :

لا شيءَ فيما ترى تبقى بشاشتُه يبقى الإلٰه ويفنَى المال والولدُ[(٣)]

ـ وقال عبد الرحمن بن عوف : أتيتُ باب عمر فسمعتُه ينشد :

وكيف ثوائي بالمدينة بعدما قضى وَطَراً منها جميلُ بن مَعْمرِ

ـ وبينا عمر في بعض أسفاره على ناقة صعبة قد أتعبتْه ، إذ جاءه رجل بناقة قد رِيضت وذُلِّلت ، فركبَها ، فمشت به مشياً حسناً ، فأنشد :

---

(١) عمر بن الخطاب ، للدكتور محمد أحمد أبو النصر ، ص٢٠٩ ، ٢١٨ .
(٢) الأدب الإسلامي ، ص١٧٠ . **المحاريب** : الغرف . **البيض** : القصور .
(٣) انظر الأبيات بتمامها : ص٤١ في هذا الكتاب .

كـأنَّ راكبَهـا غصـنٌ بِمـرْوَحَـةٍ إذا استمرَّت به أو شاربٌ ثَمِلُ[1]

ـ وكان يتمثل بهذا البيت :

لا يَـغُـرنَّـكَ عيـشٌ سـاكـنٌ قـد يُـوافي بـالمنيَّات الـسَّحَرْ[2]!

نقول : والعجيب أن هذا البيت قد وقع على عمر رضي الله عنه ، فلقد طُعن في صلاة الفجر! .

ـ وقال عمر : والله ما وجدتُ لأبي بكر مثلاً إلا ما قاله أبو نُميلة السلمي :

مَـن يَسْـعَ كـي يـدركَ أفعـالَـه يجتهـدِ الـسـدَّ بـأرضٍ فضـاءْ

واللهِ لا يـــدركُ أفعـــالَـــه ذو مئـزرٍ ضـافٍ ولا ذو رداءْ[3]

ويمكننا القول : إن عمر كان مرهَفَ الحِسِّ ، رقيقَ الشعور ، يروي الشعر ويتذوقه وينقده. وإذا كان البعض يُنكِر أن يكون عمر شاعراً ، ويحتج بأنه لم يذكره ابن سلام في «طبقاته» ولا ابن قتيبة في كتابه «الشعر والشعراء» . . . فإن هذا ليس بحجَّة ، لأن هؤلاء إنما يذكرون فحولَ الشعراء ، ومَن انصرف إلى الشعر وعُرف به وسارت أشعاره وغَلَبَت على حياته ، وعمرُ ليس من هؤلاء بسبيل. لكن هذا لا ينفي أنه كان يقول البيت بعد البيت ، والمقطوعة بعد المقطوعة ، وهو العربي البليغ المفوَّه ، خاصة إذا كان الموقف يثير

---

(١) أخبار عمر ، ص٢٤٤ ـ ٢٤٥ .

(٢) محض الصواب : ٢/ ٦٨٩ .

(٣) المرجع السابق : ٢/ ٦٩١ .

العواطف والأحاسيس ، فلا استهجانَ أن تفيض العاطفة الجيَّاشة على لسانه شعراً من شعوره ووجدانه[1].

قال عامر الشعبي : كان عمر رضي الله عنه شاعراً[2].

ـ ومن أمثلة ذلك ما قاله عند إسلامه[3] :

الحمدُ لله ذي المَنِّ الذي وجبتْ ... لـه علينـا أيـادٍ مـا لَهـا غِيَـرُ
وقـد بـدأنـا فكـذَّبْنـا ، فقـال لنـا ... صِدْقَ الحديث نَبيٌّ عنده الخبرُ
وقد ظلمتُ ابنةَ الخطاب ثم هَدى ... ربِّي عشيَّةَ قالوا: قد صَبَا عمرُ
وقد ندِمْتُ على ما كان من زَلَلٍ ... بظُلْمِها حين تُتْلى عندها السُّوَرُ
لمّا دَعَتْ ربَّها ذا العرش جاهدةً ... والدمعُ من عينها عجلانُ يبتدرُ
أيقنتُ أن الذي تدعوه خالقُها ... فكـادَ يَسبِقُنـي مـن عَبْـرةٍ دررُ
فقلـتُ: أشهـدُ أن الله خـالقُنـا ... وأنَّ أحمـدَ فينـا اليـوم مُشتهِـرُ
نبيُّ صدقٍ أتى بالحقِّ من ثقةٍ ... وافي الأمانـة ما في عُودِه خَوَرُ

ـ وعُزيت إليه قصيدة قالها عند وفاة النبي ﷺ ، تعبِّر عن جَزعه وانصداع قلبه وكفكفة دموعه ، ومنها[4]:

لَعَمْـرِي لقـد أيقنـتُ أنـك ميِّـتٌ ... ولكنَّما أَبدى الذي قلتُه الجَزَعْ
وقلتُ: يغيبُ الوحي عنَّا لفقدِه ... كما غابَ موسى، ثم يرجع كما رَجَعْ
وكـان هـوايَ أن تطـولَ حيـاتُـه ... وليس لحيٍّ في بَقا ميِّتٍ طَمَعْ

---

(١) انظر: الأدب الإسلامي ، ص١٨٨ .
(٢) محض الصواب: ٢/ ٦٩١ .
(٣) السيرة ، لابن هشام: ١/ ٣٤٨؛ الروض الأُنف: ١/ ٢١٨؛ مختصر ابن عساكر: ١٨/ ٢٧٤ ـ ٢٧٥ .
(٤) الروض الأنف: ٤/ ٢٧٣؛ الأدب الإسلامي ، ص١٨٧ .

فلما كَشَفنا البُرْدَ عن حُرِّ وجْهِهِ — إذ الأمرُ بالجَزْعِ المُوَهَّبِ قد وقَعْ
وولَّيْتُ محزوناً بعينٍ سَخينةٍ — أُكَفكِفُ دَمْعِي والفؤادُ قَد انْصَدَعْ
وقلتُ لعيني: كلُّ دمعٍ ذَخَرْتِهِ — فجُودي به إن الشجيَّ له دُمَعْ

ـ وقال عند احتضاره[1]:

ظلومٌ لنفسي غيرَ أني مسلمٌ — أصلِّي الصلاةَ كلَّها وأصومُ

وقد أُثِرت عن عمر رضي الله عنه نصوصٌ كثيرة جدّاً في ميادين الأدب العربي ، نذكر منها نماذج من عيون نثره وخطبه ووصاياه ورسائله وكتبه ، ونفائس من أقواله وحكمه ، وقد قدمنا لمحة موجزة عن شعره وما أنشده وتمثل به.

٢ ـ شذور من أقواله في العلم:

ـ عن الأحنف بن قيس قال: قال عمر: تَفَقَّهوا قبلَ أن تُسَوَّدُوا[2].

ـ وقال: كونوا أوعيةَ الكتاب ، وينابيعَ العلم ، وسَلُوا الله رزق يوم بيوم ، ولا يضركم أن لا يكثر لكم[3].

ـ وقال: تعلَّموا العلمَ ، وتعلموا للعلم السكينةَ والحِلْم ، وتواضعوا لمن تعلِّمون ، ولْيتواضَعْ لكم من تعلمون ، ولا تكونوا من جبابرة العلماء ، فلا يقوم علمُكم بجهلِكم[4].

---

(١) الاستيعاب: ٢/ ٤٦٥؛ أسد الغابة: ٤/ ٧٦.
(٢) علقه البخاري: قبل الحديث (٧٣)؛ ووصله ابن أبي شيبة: ٦/ ١٨٧؛ والدارمي (٢٥٠).
(٣) الزهد، لأحمد (٦٣٢)؛ الحيلة: ١/ ٥١.
(٤) الزهد، لأحمد (٦٣٠)؛ جامع بيان العلم: ١/ ١٦٣. **فلا يقوم علمكم** =

ـ وقال: يَهدم الإسلامَ زلةُ عالم[1].

ـ وقال: لا يُتَعلَّم العلمُ لثلاث، ولا يُترك لثلاث؛ لا يُتعلَّم ليُمَارَى به، ولا ليُبَاهَى بـه، ولا ليُراءى به! ولا يُترك حياءً من طلبه، ولا زهادةً فيه، ولا رضاً بالجهل منه[2].

٣ ـ ومن نفائس كلامه وحِكَمه:

ـ متى استعبدتم الناس وقد ولدتْهم أمهاتهم أحراراً![3].

ـ مَن عَرَّض نفسَه للتهمة فلا يَلومنَّ من أساء به الظن، ومن كَتَم سِرَّه كانت الخيرة في يده، وضَعْ أمرَ أخيك على أحسنه حتى يأتيك منه ما يَغلبك، لا تظننَّ بكلمة خرجَتْ من أخيك المسلم شرّاً وأنت تجدُ لها في الخير محملاً[4].

ـ مَن كَثُر ضَحِكُه قَلَّتْ هيبتُه، ومن مَزح استُخِفَّ به، ومن أكثَر من شيء عُرف به، ومن كَثُر كلامُه كثُر سَقَطُه، ومن كثُر سقطُه قلَّ حياؤه، ومن قَلَّ حياؤه قلَّ ورعُه، ومن قَلَّ ورعُه مات قلبه[5].

ـ حاسِبوا أنفسَكم قبل أن تحاسَبوا، وزِنُوا أنفسَكم قبل أن تُوزَنوا؛ فإنه أهونُ عليكم في الحساب غداً أن تحاسبوا أنفسكم اليوم،

= **بجهلكم**: أي ما تجهلونه أكثر مما تعلمونه.

(١) سنن الدارمي (٢١٤)؛ محض الصواب: ٢/ ٧١٧.

(٢) محض الصواب: ٢/ ٧١٦.

(٣) المرجع السابق: ٢/ ٤٧٣

(٤) محض الصواب: ٢/ ٦٧٢؛ مختصر ابن عساكر: ١٩/ ١٨.

(٥) مختصر ابن عساكر: ١٩/ ١٩.

وتزيَّنُوا للعرض الأكبر؛ ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٨][(١)].

ـ لولا أنْ أسيرَ في سبيل الله ، أو أَضَعَ جبيني لله في التراب ، أو أجالسَ قوماً يَلتقطون طيِّبَ الكلام كما يُلتقط الثمر ـ لأحببتُ أن أكون قد لحقتُ بالله[(٢)].

ـ كَرَمُ المؤمن تقواه ، ودِينُه حَسَبُه ، ومروءتُه خُلُقه. والجرأةُ والجُبْن غرائزُ يَضَعها الله حيث شاء؛ فالجَبَانُ يَفِرُّ عن أبيه وأمه ، والجريءُ يقاتِل عمَّا لا يَؤوب به إلى رَحْله. والقتلُ حَتْفٌ من الحُتوف ، والشهيدُ من احتَسَب نفسه على الله[(٣)].

ـ لا تعترِضْ فيما لا يَعنيك ، واعتزِلْ عدوَّك ، واحتفِظْ من خليلك إلا الأمين؛ فإن الأمين من القوم لا يُعادِلُه شيء. ولا تصحب الفاجر فيعلِّمك من فجوره ، ولا تفشِ إليه سِرَّكَ ، واستشِرْ في أمرِك الذين يخشون الله عز وجل[(٤)].

ـ ويلٌ لديَّانِ الأرضِ من دَيَّانِ السماء يوم يلقونه ، إلا مَنْ أَمَر بالعدل ، وقضَى بالحق ، ولم يقضِ بهواه ، ولا لقرابةٍ ولا لرغبةٍ

---

(١) الزهد ، لأحمد (٢٣٣)؛ مصنف ابن أبي شيبة: ٨/ ١٤٩؛ محض الصواب: ٢/ ٦٧٠.

(٢) الزهد ، لأحمد (٦٠٧)؛ طبقات ابن سعد: ٣/ ٢٩٠؛ محض الصواب: ٢/ ٦٩٢.

(٣) الموطأ: ٢/ ٤٦٣.

(٤) مصنف ابن أبي شيبة: ٨/ ١٤٧؛ مختصر ابن عساكر: ١٩/ ١٨؛ محض الصواب: ٢/ ٦٧٣.

ولا لرهبةٍ ، وجعل كتاب الله مرآته بين عينيه[1].

ـ ما ظَهرتْ نعمةٌ إلا وجدتَ لها حاسداً ، ولو أن امرأً كان أقومَ من قِدْحٍ لوجدتَ له غافراً[2]!.

ـ اتَّزِروا ، وارْتَدُوا، وانْتَعِلُوا، وارْمُوا الخِفَافَ، وأَلْقُوا السَّراويلاتِ ، وعليكم بلباسِ أبيكم إسماعيلَ ، وإيَّاكم والتنعُّمَ وزِيَّ الأعاجمِ ، وعليكم بالشمسِ فإنها حمَّامُ العرب ، وتَمَعْدَدُوا ، واخْشَوْشِنُوا ، واخْلَوْلِقُوا ، واقْطَعُوا الرُّكَب وانْزوا على ظُهور الخيل نَزْواً ، وارْمُوا الأَغراض[3].

ـ إن الدِّينَ ليس بالطَّنطنة من آخر الليل ـ يعني قيامه ـ ولكن الدين الورع[4].

٤ ـ من عيون خطبه:

ـ عن أبي فراس النَّهْدِيِّ قال: خطب عمر بن الخطاب ، فقال: (أيها الناس! ألا إنَّا إنما كنا نعرفكم إذ بين ظَهرانينا النبي ﷺ ، وإذ يَنزل الوحي ، وإذ يُنبئنا الله من أخباركم. ألا وإن النبي ﷺ قد انطلق ، وقد انقطع الوحي ، وإنما نعرفكم بما نقول لكم: من أَظهر منكم خيراً ظننَّا به خيراً وأحببناه عليه ، ومن أظهر منكم لنا شرّاً ظننَّا به شرّاً وأبغضناه عليه ، سرائرُكم بينكم وبين ربكم. ألا إنه قد أتى عليَّ حينٌ وأَنا أحسِبُ

---

(١) الزهد ، لأحمد (٦٦٣)؛ مختصر العلو ، للذهبي ، ص١٠٣ (٤٧).

(٢) محض الصواب: ٢/ ٧٢٥ ، ٧٣٣.

(٣) مسند أحمد (٣٠١)؛ مصنف عبد الرزاق (١٩٩٩٤)؛ سنن البيهقي: ١٠/ ١٤؛ شرح السنة (٣١١٧)؛ ابن حبان (٥٤٥٤).

(٤) الزهد ، لأحمد (٦٦٤).

أن مَنْ قرأ القرآن يريدُ اللهَ وما عنده ، فقد خُيِّل إليَّ بآخِرةٍ أن رجالاً قد قرؤوه يريدون به ما عند الناس! فأريدوا الله بقراءتكم ، وأريدوه بأعمالكم. ألا إني ـ والله ـ ما أُرْسِل عمَّالي إليكم ليضربوا أَبْشارَكم ، ولا ليأخذوا أموالكم ، ولكن أُرسِلهم إليكم ليعلِّموكم دينكم وسنَّتكم ، فمن فُعِلَ به شيء سوى ذلك فليرفَعْه إليَّ ، فوالذي نفسِي بيده إذن لأُقِصَّنَّه منه. فوثب عمرو بن العاص فقال: يا أمير المؤمنين! أَوَرأيتَ إنْ كان رجل من المسلمين على رعيةٍ فأدَّبَ بعضَ رعيَّتِه ، أَئِنَّكَ لَمُقْتَصُّه منه؟! قال: إي والذي نفسُ عمر بيده ، إذن لأُقِصَّنَّه منه ، وقد رأيتُ رسولَ الله ﷺ يُـقِصُّ من نفسه! ألا لا تضربوا المسلمين فتُذِلُّوهم ، ولا تُجَمِّرُوهم فتَفْتِنوهم ، ولا تمنعوهم حقوقهم فتكفِّروهم ، ولا تُنْزِلوهم الغِياضَ فتضيِّعوهم)[1].

ـ ومن خطبه: (إن الله عزَّ وجلَّ قد ولاَّني أمرَكم ، وقد علمتُ أنفع ما بحضرتكم لكم ، وإني أسأل الله أن يُعينني عليه ، وأن يحرُسني عنده كما حرسني عند غيره ، وأن يُلهِمني العدل في قَسْمكم كالذي أمر به. وإني امرؤٌ مسلم وعبدٌ ضعيف إلا ما أعان الله عزَّ وجلَّ ، ولن يغيِّر الذي وَليتُ من خلافتكم من خُلُقي شيئاً إن شاء الله ، وإنما العظمة لله عز وجل وليس للعباد منها شيء ، فلا يقولنَّ أحدٌ منكم: إن عمر تغيّر منذ ولي. أَعقِلُ الحق من نفسي وأتقدم وأبيِّن لكم أمري؛ فأيما رجل كانت له حاجة

---

(١) أخرجه أحمد (٢٨٦)؛ والطبري في تاريخه: ٤/ ٢٠٤؛ والحاكم: ٤/ ٤٣٩ ، وصححه ووافقه الذهبي؛ وحسنه أحمد شاكر. **لا تجمروهم**: لا تجمعوهم في الثغور وتحبسوهم عن العود إلى أهلهم. **الغياض**: الشجر الملتف ، فإذا نزلوها تفرقوا فيها فتمكّن منهم العدو.

أو ظُلم مَظْلِمة أو عَتَبَ علينا في خُلق؛ فليؤذنِّي ، فإنما أنا رجل منكم. فعليكم بتقوى الله في سرِّكم وعلانيتِكم ، وحُرماتكم وأعراضِكم ، وأعطوا الحقَّ من أنفسكم ، ولا يَحمل بعضكم بعضاً على أن تحاكموا إليَّ ، فإنه ليس بيني وبين أحد من الناس هوادة ، وأنا حبيب إليَّ صلاحكم ، وعزيزٌ عليَّ عَتَبُكم. وأنتم أناس عامتكم حَضَرٌ في بلاد الله ، وأهلُ بلد لا زرعَ فيه ولا ضَرْع إلا ما جاء الله به إليه ، وإن الله عز وجل قد وعدكم كرامةً كثيرة. وأنا مسؤول عن أمانتي وما أنا فيه ، ومطَّلِعٌ على ما بحضرتي بنفسي إن شاء الله ، لا أَكِلُه إلى أحد ، ولا أستطيع ما بَعُدَ منه إلا بالأمناء وأهل النصح منكم للعامة ، ولست أجعل أمانتي إلى أحدٍ سواهم إن شاء الله)[1].

ـ ومن خُطبه بعد الفتوحات وامتداد دولة الإسلام:

(إن الله سبحانه وبحمدِه قد استوجَبَ عليكم الشكر ، واتخذ عليكم الحجج فيما آتاكم من كرامة الآخرة والدنيا ، عن غير مسألةٍ منكم له ، ولا رغبةٍ منكم فيه إليه. فخلقكم تبارك وتعالى ولم تكونوا شيئاً لنفسه وعبادته ، وكان قادراً أن يجعلكم لأهونِ خلقِه عليه ، فجعل لكم عامَّة خلْقِه ، ولم يجعلكم لشيء غيره ، و﴿ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾ [لقمان: ٢٠] ، وحملكم في البر والبحر ، ﴿ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [الأنفال: ٢٦] ، ثم جعل لكم سمعاً وبصراً. ومن نِعم الله عليكم نِعَمٌ عَمَّ بها بني آدم ، ومنها نِعمٌ اختصَّ بها أهلَ دينكم ، ثم صارت تلك النعم خواصها وعوامها في دولتكم

(١) تاريخ الطبري: ٤/ ٢١٥.

وزمانكم وطبقتكم ، وليس من تلك النعم نعمة وصلت إلى امرئ خاصة إلا لو قسم ما وصل إليه منها بين الناس كلهم أتعبَهم شكرُها ، وفَدَحهم حقُّها ، إلا بعون الله مع الإيمان بالله ورسوله.

فأنتم مستخلَفون في الأرض ، قاهرون لأهلها ، قد نصر الله دينكم ، فلم تصبح أمة مخالفة لدينكم إلا أمتان : أمة مستعبَدة للإسلام وأهله ، يجزون لكم(١) ، تستصفون معايشَهم وكدائحهم ورشْحَ جباهِهم ، عليهم المؤونة ولكم المنفعة . وأمة تنتظر وقائع الله وسطواته في كل يوم وليلة ، قد ملأ الله قلوبهم رُعْباً ، فليس لهم مَعْقِلٌ يلجؤون إليه ، ولا مهربٌ يتقون به ، قد دَهَمْتهم جنودُ الله عز وجل ونزلت بساحتهم . مع رَفَاغَةِ(٢) العيش ، واستفاضة المال ، وتتابع البعوث ، وسدِّ الثغور بإذن الله ، مع العافية الجليلة العامة التي لم تكن هذه الأمة على أحسن منها مذ كان الإسلام ، والله المحمود ، مع الفتوح العظام في كل بلد . فما عسى أن يبلغ مع هذا شكرُ الشاكرين ، وذِكْرُ الذاكرين ، واجتهادُ المجتهدين ؛ مع هذه النعم التي لا يُحصى عددُها ، ولا يُقْدَر قدرُها ، ولا يُستطاع أداء حقها ، إلا بعون الله ورحمته ولطفه! فنسأل الله الذي لا إله إلا هو الذي أبلانا هذا ، أن يرزقنا العملَ بطاعته ، والمسارعةَ إلى مرضاته .

واذكروا عبادَ الله بلاءَ الله عندكم ، واستتِمُّوا نعمةَ الله عليكم وفي مجالسكم مثنى وفرادى ، فإن الله عز وجل قال لموسى : ﴿ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ﴾ [إبراهيم : ٥] ، وقال

---

(١) يدفعون الجزية .

(٢) سعة العيش .

لمحمد ﷺ: ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ مُّسۡتَضۡعَفُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأنفال: ٢٦].
فلو كنتم إذ كنتم مستضعفين محرومين خيرَ الدنيا على شعبة من الحق تؤمنون بها، وتستريحون إليها، مع المعرفة بالله ودينه، وترجون بها الخير فيما بعد الموت؛ لكان ذلك، ولكنكم كنتم أشدَّ الناس معيشة، وأثبتَهم بالله جهالةً. فلو كان هذا الذي استشلاكم[1] به لم يكن معه حظ في دنياكم، غير أنه ثقة لكم في آخرتكم التي إليها المعاد والمنقلب، وأنتم من جهد المعيشة على ما كنتم عليه ـ كنتم أَحْرِياءَ[2] أن تَشِحُّوا على نصيبكم منه، وأن تظهروه على غيره؛ فَبَلْهَ ما إنه قد جمع لكم فضيلة الدنيا وكرامة الآخرة، أو لمن شاء أن يجمع له ذلك منكم. فأذكِّركم الله الحائلَ بين قلوبكم، إلا ما عرفتم حقَّ الله فعملتم له، وقَسَرتم أنفسكم على طاعته، وجمعتم مع السرور بالنِّعَم خوفاً لها ولانتقالها، ووجلاً منها ومن تحويلها، فإنه لا شيءَ أسلبُ للنعمة من كُفرانها، وإن الشكرَ أمنٌ للغِيَر، ونماءٌ للنعمة، واستيجابٌ للزيادة، هذا لله عليَّ من أمركم ونهيكم واجب)[3].

وللفاروق رسائل وكتب ووصايا وتوجيهات للأمة والولاة وقادة الفتوحات، ستأتي في مباحث خلافته، مع خطب أخرى كذلك.

* * *

---

(١) أي: استنقذكم به من الهلكة.

(٢) جمع حَرِيّ، وهو الخَليق والجدير.

(٣) تاريخ الطبري: ٤/٢١٦ ـ ٢١٨؛ شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد: ٣/ ١٢٥؛ حياة الصحابة: ٣/ ٤٤٥ ـ ٤٤٧.

الفصل الثاني

عبادته

مثلما كان عمر صلباً في مواقفه ، شديداً في آرائه ، قويّاً في جسمه ، حازماً في معاملاته وجميع أموره . . . كذلك كان عمر في عبادته وتدينه وشؤون آخرته .

فعمرُ هو عمرُ تراه في كل شأن وأمر بكل طاقاته وحزمه وعزمه وشموخه ، فكان في الصلاة إلى الغاية القصوى محافظةً عليها في الجماعات وإحياءً لليل والتضرُّع الخاشع إلى الله ، يَسرد الصوم ، ويوالي الحج ، نديّ اليد ، سخي النفس ، واسع الصدقات ، تلاَّء لكتاب الله ، منقطع النظير في الخشوع والإنابة ، وكان نقش خاتمه: (كفى بالموت واعظاً يا عمر)! .

ومن بارع الأدلة على ذلك وصفُ النبي ﷺ له ، فيما رواه أبو سعيد الخُدْري رضي الله عنه قال: (سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**بَيْنا أنا نائمٌ رأيتُ الناسَ عُرِضُوا عليَّ وعليهم قُمُصٌ ، فمنها ما يَبْلُغ الثُّدِيَّ ، ومنها ما يَـبْلغ دونَ ذلك ، وعُرِضَ عليَّ عمرُ وعليه قميصٌ اجترَّهُ**» قالوا: فما أَوَّلْـتَـه يا رسولَ الله؟ قال: «**الدِّينَ**»)[1] .

---

(١) أخرجه البخاري (٢٣ ، ٣٦٩١)؛ ومسلم (٢٣٩٠)؛ والنسائي في الكبرى (٧٥٩٨) ، وغيرهم. **الثُّدِي**: جمع ثَدْي.

وقال النبي ﷺ: «**إيهاً يا ابنَ الخطاب ، والذي نَفْسي بيده ، ما لَقِيَك الشيطانُ سالِكاً فَجّاً قطُّ إلاَّ سَلَكَ فجّاً غيرَ فَجِّك**»[١]!.

قال النووي: (وهذا الحديث محمول على ظاهره أن الشيطان متى رأى عمرَ سالكاً فجّاً ، هربَ هيبةً من عمر ، وفارَقَ ذلك الفجَّ ، وذهب في فجٍّ آخر؛ لشدّة خوفه من بأس عمر أن يفعل فيه شيئاً!)[٢].

وقال الحافظ: (فيه فضيلة عظيمة لعمر تقتضي أن الشيطان لا سبيلَ له عليه ، لا أنَّ ذلك يقتضي وجودَ العصمة... وفي حديث حفصة عند الطبراني في «الأوسط» بلفظ: «**إن الشيطان لا يَلْقى عمرَ منذ أسلم إلا خَرَّ لوجهه**»! وهذا دالٌّ على صلابته في الدين ، واستمرار حاله على الجدّ الصِّرْف والحق المحض)[٣].

أولاً: صلاته:

●● من نافلة القول أن ننبِّه على عظيم محافظة الفاروق على الصلاة ، وشدة اهتمامه بها ، ووصاة المسلمين بالمحافظة عليها...

ومن أبرز الأدلة على ذلك ما رواه المِسْوَر بن مَخْرَمَة: (أنه دخل على عمر بن الخطاب من الليلة التي طُعِنَ فيها ، فأيقظَ عمر[٤] لصلاة الصبح ، فقال عمرُ: نعم ، ولا حَظَّ في الإسلام لمن ترك الصلاة. فصلَّى عمر وجُرْحُه يَـثْعَبُ دماً!)[٥].

---

(١) تقدم: ص٩٢ حاشية (١) في هذا الكتاب.

(٢) شرح صحيح مسلم: ٨/ ١٨٠.

(٣) الفتح: ٨/ ٦٢٥ (٣٦٨٣).

(٤) أي: من إغماءته بسبب الطعنة التي طُعنها.

(٥) موطأ مالك: ١/ ٣٩ ـ ٤٠ ، وإسناده صحيح. **يثعب**: يتفجر ويسيل منه الدم!.

وفي رواية عن المِسْوَر: (أنَّ عمر لمَّا طُعن جَعل يُغمى عليه، فقيل: إنكم لن تُفْزِعوه بشيء مثل الصلاة إنْ كانت به حياة! فقال: الصلاةَ يا أمير المؤمنين، الصلاة قد صُلِّيَتْ، فانتبه فقال: الصلاة هاءَ الله إذاً، ولا حَظَّ في الإسلام لمن ترك الصلاة. قال: فصلَّى وإن جُرْحَه لَيَثْعَبُ دماً)[1].

وذكر ابن عباس وغيره ممن احتملوه إلى بيته وهو مطعون: أن عمر أفاق من غَشيته، (فنظر في وجوهنا فقال: أصلَّى الناسُ؟ فقلت: نعم، فقال: لا إسلامَ لمن ترك الصلاة. ثم دعا بوَضُوءٍ فتوضأ، ثم صلى)[2].

●● عن عروة بن الزبير: (أنه سمع عبدَ الله بنَ عامر بن ربيعة يقول: صلَّينا وراءَ عمر بن الخطاب الصبحَ، فقرأ فيها بسورة يوسف وسورة الحج، قراءةً بطيئة. فقلت: والله إذاً لقد كان يقومُ حين يَطلُع الفجر، قال: أَجَلْ)[3].

ومعنى (**لقد كان يقوم**): أي إلى الصلاة يبتدئها حين يطلع الفجر.

وعن أبي رافع الصائغ قال: (كان عمر يقرأ في صلاة الصبح بمئةٍ من (البقرة) ويُتْبِعها بسورة من المَثَاني أو من صدور المُفَصَّل، ويقرأ بمئة من (آل عمران) ويُتْبعها بسورة من المَثَاني أو من صدور المُفَصَّل)[4].

---

(١) أخرجه ابن سعد: ٣/ ٣٥٠؛ وإسناده صحيح. وسيأتي: ص٧١٧ في هذا الكتاب.
(٢) ابن سعد: ٣/ ٣٤٦؛ تاريخ المدينة، لابن شبة: ٣/ ٩٠٢، وإسناده حسن.
(٣) أخرجه مالك: ١/ ٢٨؛ وصححه عبد القادر الأرنؤوط في جامع الأصول: ٥/ ٣٣٧.
(٤) علقه البخاري قبل الحديث (٧٧٤م)؛ ووصله ابن أبي شيبة: ١/ ٣٩٠. =

وعن عبد الرحمن بن حاطب قال: (ثُوِّبَ بالصلاةِ ، صلاةِ العشاء ، فدخلتُ المسجد ، فإذا عمر بن الخطاب ، فصلَّيتُ خلفه ، فقرأ (آل عمران) ، فقلتُ: يقرأ عشر آيات ، فقرأ حتى قرأ مئة آية فركع ، فلما قام من سجوده قرأ ما بقي في الركعة الثانية)[1] .

●● عن عبد الله بن عمر قال: (خرج عمر إلى حائطٍ له ، فرجع وقد صلى الناس العصر ، قال: إنما خرجتُ إلى حائطي فرجعت وقد صلى الناس ، حائطي صدقةٌ على المساكين! قال الليث: إنما فاتته الجماعة)[2] .

وعن أبي مسلم الأَزْدي: (أنه صلَّى مع عمر المغرب ، فمسَّى بها ، أو شَغَلَه بعضُ الأمر حتى طَلَع نجمان ، فلما فرغ من صلاته تلك أعتق رقبتين)[3] .

●● وكان عمر في قيام الليل مضربَ المثل للعبَّاد القائمين المستغفرين بالأسحار ، وشعارُه في ذلك ما كتبه لعَمْرو بن العاص قائلاً:

(يا عَمْرو! إذا نمتُ بالنهار ضَيَّعتُ رعيتي ، وإذا نمتُ بالليل ضيَّعتُ أمر ربي)[4]! .

= **المثاني**: ما لم يبلغ مئة آية. المفصل: من سورة (قٓ) إلى آخر القرآن.

(١) المصاحف ، لابن أبي داود (١٥٠) ، وإسناده حسن لغيره.

(٢) محض الصواب: ٢/ ٦٣٦. **الحائط**: البستان.

(٣) مختصر ابن عساكر: ١٨/ ٣٣٤ ـ ٣٣٥؛ محض الصواب: ٢/ ٦٣٦.

(٤) مختصر ابن عساكر: ١٨/ ٣١٨.

وعن أبي قتادة: (أن النبي ﷺ خرج ليلةً، فإذا هو بأبي بكر يصلي يَخْفِضُ من صوته، قال: ومرَّ بعمر بن الخطاب وهو يصلي رافعاً صوته. قال: فلما اجتمعا عند النبي ﷺ، قال النبي ﷺ: «**يا أبا بكر! مررتُ بك وأنت تصلي تَخفِضُ صوتك**» قال: قد أسمعتُ من ناجيتُ يا رسول الله. قال: وقال لعمر: «**مررتُ بك وأنت تصلي رافعاً صوتك**»، قال: فقال: يا رسول الله! أُوقِظُ الوَسْنانَ، وأَطْرُدُ الشيطانَ. فقال النبي ﷺ: «**يا أبا بكر! ارفَعْ من صوتك شيئاً**» وقال لعمر: «**اخْفِضَ من صوتك شيئاً**»)[1].

وعن أسلم مولى عمر: (أن عمر بن الخطاب كان يصلي من الليل ما شاء الله، حتى إذا كان من آخر الليل أيقظَ أهلَه للصلاة، يقول لهم: الصلاةَ الصلاةَ. ثم يتلو هذه الآية: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [طه: ١٣٢])[2].

وقال سعيد بن المسيِّب: (كان عمر بن الخطاب يحب الصلاة في كَبِد الليل. يعني وسط الليل)[3].

ولقوته في إيمانه وعبادته وهيمنته على نفسه؛ أخذها بالعزائم، كما شهد له بذلك النبي ﷺ.

عن أبي قتادة: (أن النبي ﷺ قال لأبي بكر: «**متى تُوتر؟**» قال: أُوتر

(١) أخرجه أبو داود (١٣٢٩)؛ والترمذي (٤٥٠)؛ وصححه ابن حبان (٧٣٣)؛ والحاكم: ١/ ٣١٠ ووافقه الذهبي.
(٢) أخرجه مالك: ١/ ١١٩، وإسناده صحيح.
(٣) طبقات ابن سعد: ٣/ ٢٨٦.

من أول الليل. وقال لعمر: «**متى توتر؟**» قال: آخِرَ الليل. فقال لأبي بكر: «**أخذ هذا بالحَذَر**»، وقال لعمر: «**أخذ هذا بالقوة**»)[1].

●● وكان في خشوعه على هدي رسولِ الله ﷺ:

عن عبد الله بن شداد قال: (سمعتُ نَشيج عمر وأنا في آخر الصفوف في صلاة الصبح، وهو يقرأ: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦])[2].

وقال عَلْقمة بن وقاص: (كان عمر بن الخطاب يقرأ في العشاء الآخِرة (سورة يوسف)، قال: وأنا في مؤخَّر الصفوف، حتى إذا ذكر يوسف سمعتُ نَشِيجَه وأنا في مؤخر الصفوف)[3].

وعن عُبيد بن عُمير قال: (صلى بنا عمر بن الخطاب صلاة الفجر، فافتتح (سورة يوسف) فقرأها، حتى إذا بلغ: ﴿وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [يوسف: ٨٤]، بكى حتى انقطع، فركع)[4].

وقال العباس بن عبد المطلب: (كنتُ جاراً لعمر بن الخطاب، فما رأيتُ أحداً من الناس كان أفضَلَ من عمر؛ إن ليلَه صلاةٌ، ونهاره صيام وفي حاجات الناس)[5].

---

(١) أخرجه أبو داود (١٤٣٤)؛ والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٤٤٩٩)؛ وصححه الألباني وشعيب الأرنؤوط.

(٢) علقه البخاري قبل الحديث (٧١٦)؛ ووصله ابن أبي شيبة: ١/ ٣٩١، ٨/ ٢٩٧؛ وعبد الرزاق (٢٧١٦).

(٣) أخرجه عبد الرزاق (٢٧٠٣)؛ وابن أبي شيبة: ١/ ٢٩٧، ٨/ ٢٩٧؛ وصححه مع سابقه الحافظ في تغليق التعليق: ٢/ ٣٠٠ ـ ٣٠١.

(٤) حياة الصحابة: ٢/ ٦٢٣.

(٥) الحلية: ١/ ٥٤؛ محض الصواب: ٣/ ٨٧١.

ثانياً: حجه:

حج عمر مع النبي ﷺ حجة الوداع سنة (١٠هـ).

وفي أول سنة من خلافته سنة (١٣هـ) استعمل على الحج عبد الرحمن بن عوف فحجَّ بالناس، ثم لم يَزَل عمر يحج بالناس في كل سنة خلافته كلها، فحج بهم عشر سنين ولاءً، وحَجَّ بأزواج النبي ﷺ في آخر حجَّة حَجَّها بالناس سنة (٢٣هـ)(١).

واعتمر مع رسول الله ﷺ عامَ الحديبية، وعمرة القضاء، وعمرة الجِعْرانة، واعتمر في خلافته ثلاث مرات في شهر رجب من سنة (١٧هـ) و(٢١هـ) و(٢٢هـ)(٢).

عن عابس بن ربيعة: أنه سمع عمر يقول وهو يخطب: (إذا وضَعْتُم السّروج فشدُّوا الرِّحال إلى الحج والعمرة، فإنه أحدُ الجهادَيْن)(٣). ومعناه: إذا فرغتم من الغزو فحجوا واعتمروا.

وعن عبيد بن عُمير قال: كان عمر يكبِّر في قـبَّتِهِ بِمنًى، فيسمعُه أهل المسجد فيكبِّرون، ويكبِّر أهلُ الأسواق، حتى ترتجَّ منًى تكبيراً(٤).

---

(١) طبقات ابن سعد: ٣/ ٢٨٣؛ تاريخ خليفة، ص ١٢٥، ١٢٩.
(٢) طبقات ابن سعد: ٣/ ٢٨٣ ـ ٢٨٤.
(٣) علقه البخاري قبل الحديث (١٥١٧)، ووصله عبد الرزاق (٨٨٠٨)؛ انظر: الفتح: ٥/ ١٠.
(٤) علقه البخاري قبل الحديث (٩٧٠)، ووصله سعيد بن منصور والبيهقي؛ انظر: الفتح: ٣/ ٥٢٧؛ تغليق التعليق: ٢/ ٣٧٩.

ثالثاً: صومه:

قال زياد بن حُدير: رأيتُ عمر أكثَرَ الناسِ صياماً، وأكثرهم سواكاً[1].

وعن أسلم قال: كان عمر بن الخطاب يصوم الدهر[2].

وعن عبد الله بن عمر: أن عمر سَرَد الصوم قبل موته بسنتين[3].

وعن عبد الله بن عمر أيضاً قال: كان عمر يَسْرد الصيام، إلا يوم الأضحى ويوم الفطر وفي السفر[4].

رابعاً: صدقاته ونفقاته وسخاؤه:

كان الفاروق من أغنياء الصحابة وأحدَ الأجواد الأسخياء، قد أَهْلَكَ مالَه في الصدقة والنفقة، وكان يُسابق أبا بكر في هذا المضمار فلم يسبقه!.

●● عن أسلم مولى عمر قال: (سألَني ابنُ عمر عن بعض شأنه، يعني عمرَ، فأخبرتُه، فقال: ما رأيتُ أحداً قطُّ بعدَ رسول الله ﷺ من حينِ قُبِض كان أَجَدَّ وأجودَ حتى انتهى من عمر بن الخطاب)[5].

و(**أجود**): أفعلُ من الجُود، أي: لم يكن أحدٌ أجدَّ منه في الأمور ولا أجودَ في الأموال، وهو محمول على وقت مخصوص وهو مدة

(١) طبقات ابن سعد: ٣/ ٢٩٠.
(٢) محض الصواب: ٢/ ٦٣٥.
(٣) مصنف ابن أبي شيبة: ٢/ ٤٩٢.
(٤) سنن البيهقي: ٤/ ٣٠١؛ محض الصواب: ٢/ ٦٣٥.
(٥) أخرجه البخاري (٣٦٨٧).

خلافته ، ليخرج النبي ﷺ وأبو بكر من ذلك[(١)] .

ومن دلائل جوده وسخائه قولُه أيام هجرته لعياش بن أبي ربيعة : (إنك لتعلمُ أني لمن أكثر قريش مالاً ، فَلَكَ نصفُ مالي . . .)[(٢)] .

وأنفق في غزوة تبوك قرابة (١٢كغ) من الذهب[(٣)] ! .

وعن أسلم قال : سمعت عمر بن الخطاب يقول : (أَمَرنا رسولُ الله ﷺ يوماً أن نتصدَّقَ ، فوافَقَ ذلك مالاً عندي ، فقلتُ : اليوم أَسْبِقُ أبا بكر إنْ سبقتُه يوماً! فجئتُ بنصف مالي ، فقال رسول الله ﷺ: «**ما أبقيتَ لأهلك؟**» قلت : مثلَه . قال : وأتى أبو بكر بكلِّ ما عنده ، فقال له رسول الله ﷺ : «**ما أبقيتَ لأهلك؟**» قال : أبقيتُ لهم الله ورسولَه! فقلتُ : لا أُسابِقُكَ إلى شيء أبداً)[(٤)] .

وعن مجاهد قال : (كتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري أن يبتاع له جارية من سَبْي جَلُولاء ، يوم فتح مدائن كسرى في قتال سعد بن أبي وقاص ، فدَعَا بها عمر فأعجبتْه ، فقال : إن الله عز وجل يقول : ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ﴾ [آل عمران : ٩٢] ، فأعتقها عمر رضي الله عنه)[(٥)] .

●● عن ابن عمر قال : (أصابَ عمرُ أرضاً بخيبرَ ، فأتى النبيَّ ﷺ

---

(١) الفتح : ٨/ ٦٢٨ شرح الحديث (٣٦٨٧) .
(٢) تقدم : ص٧٢ ـ ٧٣ في هذا الكتاب .
(٣) تقدم : ص١٣٠ في هذا الكتاب .
(٤) أخرجه أبو داود (١٦٧٨)؛ والترمذي (٤٠٠٦) وقال : حسن صحيح؛ والحاكم : ١/ ٤١٤ وصححه ووافقه الذهبي .
(٥) تفسير القرطبي : ٤/ ١٢٩ ـ ١٣٠ ؛ حياة الصحابة : ٢/ ١٥٥ .

يستأمِرُه فيها ، فقال: يا رسول الله! إنِّي أصبتُ أرضاً بخيبرَ ، لم أُصِبْ مالاً قطُّ هو أنفَسُ عندي منه ، فما تأمرني به؟ قال: «**إنْ شئتَ حَبَسْتَ أصلَها وَتَصدَّقتَ بها**» قال: فتصدَّقَ بها عمرُ ، أنه لا يُـبَاع أصلُها ، ولا يُبتاعُ ، ولا يُورَثُ ، ولا يُوهَبُ. قال: فتصدَّق عمر في الفقراء وفي القربى وفي الرِّقاب وفي سبيل الله وابن السبيل والضَّيْف ، ولا جُنَاحَ على مَن وَليها أن يأكل منها بالمعروف ، أو يُطْعِم صديقاً ، غيرَ متموِّل فيه).

وفي رواية: (أنَّ عمر تَصدَّق بمالٍ له على عهد رسول الله ﷺ ، وكانَ يُـقال له: ثَمْغٌ، وكان نَخْلاً، فقال عمر: يا رسول الله! إني استفدتُ مالاً وهو عندي نفيسٌ فأردت أن أتصدَّقَ به، فقال النبي ﷺ: «**تَصَدَّقْ بأَصْلِهِ ، لا يُباع ولا يُوهب ولا يُورَث ، ولكن يُنْفَق ثمرُه**» فتَصَدَّق به عمرُ)[1].

وضَمَّ عمرُ إلى هذه الأرض المئةَ السهم التي كانت نصيبه من الغنيمة يوم خيبر. وقام عمر على هذا (الوقف) حياته ، ثم كتب كتاب الوقف في أيام خلافته ، كتبه كاتبه مُعَيقيب ، وجعل القيام عليه من بعده لابنته حفصة وذوي الرأي من آل عمر[2].

قال عبد الله بن عمر: (أوّلُ صدقة تُصُدِّقَ بها في الإسلام ثَمْغٌ ، صدقةُ عمر بن الخطاب)[3].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٦٤)؛ ومسلم (١٦٣٢)؛ والنسائي في الكبرى (٦٣٩٣) ، وغيرهم. **غير متمول فيه**: أي غير متخذ منها مالاً ، أي ملكاً ، والمراد أنه لا يتملك شيئاً من رقابها.

(٢) انظر الحديث عند: أبي داود (٢٨٧٩)؛ والدارقطني (٤٤٢٥)؛ والفتح: ٧/ ٣٢٣ ـ ٣٢٤.

(٣) طبقات ابن سعد: ٣/ ٣٥٨؛ مسند أحمد: ٢/ ١٥٦ ـ ١٥٧.

فكان هذا (الوقف العمري) هو الأصل لنظام الوقف الإسلامي في مشارق الأرض ومغاربها.

خامساً: تلاوته القرآن الكريم وحبه مجالس الذكر:

●● عن ابن عباس قال: (كان عمر بن الخطاب إذا دخل البيت نشر المصحف فقرأ فيه)[١].

وقال قَبيصة بن جابر: (صحبتُ عمر بن الخطاب، فما رأيتُ رجلاً أقرأَ لكتاب الله ولا أفقهَ في دين الله ولا أحسنَ مدارسة منه)[٢].

وقال الحسن البصري: (كان عمر بن الخطاب يمرُّ بالآية في وِرْدِه فتخنقُه، فيبكي حتى يَسقط، ثم يَـلزم بيته حتى يُعاد، يَحْسبونه مريضاً!)[٣].

●● عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: (كان عمر بن الخطاب إذا رأى أبا موسى قال: ذكِّرنا ربنا يا أبا موسى. فيقرأُ عنده)[٤].

وعن أبي سعيد مولى أبي أسيد قال: (كان عمر بن الخطاب يَعُسُّ المسجدَ بعد العشاء، فلا يرى فيه أحداً إلا أخرجه، إلا رجلاً قائماً يصلي. فمرَّ بنفر من أصحاب رسول الله ﷺ فيهم أُبيُّ بن كعب، فقال: من هؤلاء؟ قال أُبيّ: نَفَر من أهلك يا أمير المؤمنين، قال: ما خَلَّفكم بعد الصلاة؟ قال: جلسنا نَذكر الله، قال: فجلس معهم، ثم قال

---

(١) حياة الصحابة: ٣/ ٢٨٥.

(٢) تقدم: ص١٤١ حاشية (٤) في هذا الكتاب.

(٣) مصنف ابن أبي شيبة: ٨/ ١٤٩؛ الزهد، لأحمد (٦٢٩).

(٤) سنن الدارمي (٣٤٩٣، ٣٤٩٦)؛ الحلية: ١/ ٢٥٨.

لأدناهم إليه: خُذْ. قال: فَدَعَا. فاستقرأَهُم رجلاً رجلاً يدعون، حتى انتهى إليَّ وأنا إلى جنبه، فقال: هاتِ، فَحُصِرتُ وأخذني من الرِّعْدة أَفْكَلٌ، حتى جعل يجدُ مَسَّ ذلك منِّي، فقال: ولو أن تقول: اللهم اغفِرْ لنا، اللهم ارحمنا! قال: ثم أخذ عمر، فما كان في القوم أكثرَ دمعة ولا أشدَّ بكاء منه. ثم قال: إيهاً الآن فتفرَّقوا)[1].

سادساً: من أدعيته:

ـ عن الحسن البصري: أن عمر كان يقول: (اللهم اجعل عملي صالحاً، واجعله لك خالصاً، ولا تجعل لأحد فيه شيئاً)[2].

ـ وعن أبي عثمان النَّهْدي: أن عمر بن الخطاب كان يطوف بالبيت وهو يبكي ويقول: (اللهم إنْ كنتَ كتبتني في أهل السعادة فأَثْبِتني فيها، وإنْ كنتَ كتبتني في أهل الشقاوةِ والذنب فامْحُني وأثبتني في أهل السعادة والمغفرة؛ فإنك تمحو ما تشاء وتُثْبِتُ، وعندك أمُّ الكتاب)[3].

ـ وروى عَمْرو بن ميمون، عن عمر: أنه كان يقول في دعائه الذي يدعو به: (اللهم توفَّني مع الأبرار، ولا تُخَلِّفْني في الأشرار، وقِني عذابَ النار، وأَلْحِقْني بالأخيار)[4].

ـ وعن عمر أنه كان يقول: (اللهم إني أعوذُ بك أن تأخذني على

---

(١) طبقات ابن سعد: ٣/ ٢٩٤؛ محض الصواب: ١/ ٣٩٦ ـ ٣٩٧، وإسناده صحيح. **أفكل**: رعدة تكون من الخوف والبرد.

(٢) الزهد، لأحمد (٦١٧).

(٣) أصول اعتقاد أهل السنة، للالكائي (١٢٠٧)؛ تفسير القرطبي: ٩/ ٢٨٠؛ محض الصواب: ٢/ ٦١٥.

(٤) طبقات ابن سعد: ٣/ ٣٣١؛ الأدب المفرد (٦٢٩).

غِرَّة ، أو تذَرَني في غفلة ، أو تجعلَني من الغافلين)[1] .

ـ وكان إذا قام من الليل قال: (قد ترى مقامي ، وتعرف حاجتي ، فأرجِعْني من عندك يا الله بحاجتي مُفْلِجاً مُنجِحاً مستجيباً مستجاباً لي ، قد غفرتَ لي ورحمتني) .

فإذا قضى صلاته قال: (اللهم لا أرى شيئاً من الدنيا يدوم ، ولا أرى حالاً فيها يستقيم ، اللهم اجعلْني أَنْطِق فيها بِعلْم ، وأَصْمُت بِحُكْم ، اللهم لا تُكْثِر لي من الدنيا فأطغى ، ولا تُقِلّ لي منها فأنسى ، فإن ما قلَّ وكفَى خيرٌ مما كَثُر وأَلْهى)[2] .

* * *

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة: ٧/ ٨٢؛ الحلية: ١/ ٥٤ .

(٢) مصنف ابن أبي شيبة: ٧/ ٨٢ . **مفلجاً**: ظافراً. **بحكم**: بحكمة وفقه وعلم .

الفصل الثالث

أخلاقه وشمائله

لقد أدهش عمر بأخلاقه معاصريه من الصحابة الكرام وأكابر التابعين ، كما أدهش كلَّ محبيه ومؤرِّخيه وقارئي سيرته على مرِّ السنين. . . فأخلاقُه وهديُه وخصاله وشمائله قبسٌ من ضياء النبوة ، وثمرةٌ من أطايب ثمارها.

وبمقدار ما رأَيْنا الفاروق ـ وسنراه ـ في حزمه وعزمه وصلابته وقوة إيمانه ونصرته للحق. . . كان بموازاة ذلك تتسامى فيه شمائله إلى غايتها وبنفسِ الوضوح في التقوى والتواضع والورع والزهد والرقة والخشية والحِلْم والوقوف عند حدودِ الله تعالى.

ونذكر في هذا الفصل شذرات من ذلك ، وسيأتي مزيد منه عند حديثنا عن خلافته وهديه وسيرته مع الرعية.

أولاً: تواضعه:

كان عمر في تواضعه ينظر إلى المثل الأعلى في التواضع وهو الرسول ﷺ ، ويعرف أن اللحاق به أمرٌ لا يُطال! وكلما شعر من نفسه اعتدادَها بمزاياها وتفوقها ، وكلما اعتزَّ مَنْ حوله من خاصة أهلِه وخُلصاء رعاياه بما يرونه فيه من بَسْطة السلطان وعلوِّ الكلمة ـ غَضَّ من اعتزازهم وأحضر

في أذهانهم ما ينسيهم السلطان المبسوط والكلمة العالية[١].

●● قال لأصحابه يوماً وقد مرَّ ببعض الشِّعاب على مقربة من مكة: (لا إلٰه إلا الله العظيم العليّ، المعطي ما شاء من يشاء، كنتُ أرعى إبل الخطاب بهذا الوادي في مِدْرعة صوف، وكان فظّاً يُتعبني إذا عملتُ ويضربني إذا قصَّرت، وقد أمسيت وليس بيني وبين الله أحد!)[٢].

ـ وقال عبد الله بن عمر: (صعد عمر المنبر فجلس، ونودي: الصلاة جامعة، فما زالوا يَرِدون حتى امتلأ المسجد، فقام عمر فقال: أحمدُ الله إليكم، إني كنت أؤجر نفسي، ثم أصبحتُ يَضرب الناس بجنبتيَّ ليس فوقي أحد. ونزل! فقال له ابن عمر: يا أمير المؤمنين! ما دعاك إلى ما قلتَ؟ قال: إن أباك أعجبتْه نفسُه فأحبَّ أن يَضَعها)[٣].

ـ ولقيه عروة بن الزبير مرة، وهو يحمل قِربة على عاتقه، فقال له: يا أمير المؤمنين! لا ينبغي لك هذا! فقال له عمر: لمّا جاءتني الوفود سامعين مطيعين، دخلتْ نفسي نخوةٌ، فأردتُ إذلالها. ومضى بالقربة إلى دار امرأة من الأنصار فملأ بها آنيتها[٤]!.

ـ وعن أنس بن مالك قال: (سمعت عمر بن الخطاب يوماً وخرجتُ معه حتى دخل حائطاً، فسمعتُه يقول ـ وبيني وبينه جدارٌ وهو في جوف

---

(١) عبقرية عمر، ص١٣٩.

(٢) تقدم: ص٤١ في هذا الكتاب.

(٣) محض الصواب: ٢/ ٥٩٥.

(٤) مدارج السالكين: ٢/ ٣٣٠؛ عمر بن الخطاب، لعبد الكريم الخطيب، ص ٢٢٢ ـ ٢٢٣.

الحائط ـ: عمر بنُ الخطاب أميرُ المؤمنين ، بَخٍ والله بُنَيَّ الخطاب ، لتتقينَّ الله أو ليُعَذِّبَنَّك!)[1].

ـ وقال أبو مَحْذُورةَ: (كنت جالساً عند عمر ، إذ جاء صفوان بن أمية بِجَفْنة يحملها نَفَر في عباءة ، فوضعوها بين يدي عمر ، فدَعَا عمر ناساً مساكين وأرقاءَ من أرقاء الناس حوله ، فأكلوا معه. ثم قال عند ذلك: فَعَلَ الله بقوم ـ أو قال: لَحَى الله قوماً ـ يرغبون عن أرقائهم أن يأكلوا معهم! فقال صفوان: أَمَا والله ما نرغب عنهم ، ولكنا نستأثر عليهم ، ولا نجدُ والله من الطعام الطيب ما نأكل ونطعمهم)[2].

ـ وعن أنس بن مالك: (أن الهُرمزان رأى عمر بن الخطاب مضطجعاً في مسجد رسول الله ﷺ ، فقال: هذا والله المُلك الهَنِيء)[3].

●● عن طارق بن شهاب قال: (لمَّا قدِم عمر الشام عَرَضَتْ له مخاضة ، فنزل عن بعيره ، ونزع مُوقَيْه فأمسكهما بيده ، وخاض الماء ، ومعه بعيره ، فقال له أبو عبيدة: صنعتَ اليوم صنيعاً عظيماً عند أهل الأرض ، صنعتَ كذا وكذا! فَصَكَّ عمرُ في صدره وقال: لو غيرُكَ يقولها يا أبا عبيدة! إنكم كنتم أذلَّ الناس ، وأحقَرَ الناس ، وأقلَّ الناس ، فأعزَّكُم الله بالإسلام ، فمهما تطلبوا العز بغيرِهِ يُذِلكم الله عز وجل).

وفي رواية: (فقال عمر: أَوَّهْ! لو يقل ذا غيرُك أبا عبيدة جعلتُه نكالاً

---

(١) أخرجه مالك: ٢/ ٩٩٢؛ وابن سعد: ٣/ ٢٩٢.
(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٢٠١). **لَحَى الله فلاناً**: قبَّحه.
(٣) طبقات ابن سعد: ٣/ ٢٩٣.

لأمة محمد ﷺ ، إنَّا كنا أذَلَّ قومٍ فأعَزَّنا الله بالإسلام ، فمهما نطلب العزَّ بغيرِ ما أَعَزَّنا الله به أَذَلَّنا الله)[1] .

وقال قيس بن أبي حازم: (لمَّا قدِم عمر الشامَ ، استقبله الناس وهو على بعيره ، فقالوا: يا أمير المؤمنين ، لو ركبتَ بِرْذَوناً ، يلقاك عظماء الناس ووجوههم! قال: فقال عمر: لا أَراكم ههنا ، إنما الأمر من ههنا ـ وأشار بيده إلى السماء ـ خَلُّوا سبيل جملي)[2] .

وعندما فتح بيت المقدس ، تقدَّم فصلَّى حيث صلى النبي ﷺ ، ثم جاء فَبَسط رداءه ، فكَنَس الكُنَاسَة عن الصخرة في ردائه ، وكَنَس الناس[3] .

ثانياً: خشيته من الله تعالى وتأديبه نفسه:

الذي يتلو صحائف سيرة عمر يجدُ الترجمةَ الحية لآثار التربية النبوية لذلك الرعيل الذي صنعه رسول الله ﷺ؛ إنهم أناسٌ لو لم يكن للإثم عقوبة ، ما فكروا في أن يأثَموا ، إعظاماً لجلال الله تعالى! ولو قال الله لهم: اعملوا ما شئتم فقد غفرتُ لكم ، ما خَطَر ببالهم قطُّ أن يعملوا إلا ما يحب ربهم ويرضى؛ خشيةً منه ومحبةً له! .

وفي ميدان الخشية بل الخشية الضاغطة قد تبوأ عمر ذروة ذراه .

●● عن الحسن البصري قال: (كان عمر ربما يوقِد النار ، ثم يُدني

---

(١) الحلية: ١/ ٤٧؛ مختصر ابن عساكر: ١٨/ ٢٦٢؛ المستدرك: ١/ ٦٢ وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. مُوقَيْه: خُفَّيْه.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة: ٨/ ١٤٦؛ الحلية: ١/ ٤٧ ، وإسناده صحيح.

(٣) مسند أحمد (٢٦١)؛ البداية والنهاية: ٧/ ٥٨ ، وقال ابن كثير: إسناده جيد.

يده منها ، ثم يقول: ابنَ الخطاب ، هل لك على هذا صبر؟!)[1].

وقال طارق بن شهاب: (قلتُ لابن عباس: أيُّ رجلٍ كان عمر؟ قال: كان الطير الحَذِر الذي كأنَّ له بكل طريق شَرَكاً)[2].

وروى عمر بن شَبَّة بإسناده: (أن عمر زار أبا الدرداء ، فقال له أبو الدرداء: أتذكُر حديثاً حدثناه رسول الله ﷺ؟ قال: أيُّ حديث؟ قال: «**ليكنْ بلاغ أحدِكم من الدنيا كزاد الراكب**»! قال: نعم ، قال: فماذا فعلنا بعده يا عمر؟! قال: فما زالا يتجاوبان بالبكاء حتى أصبحا)[3].

وعن عبد الله بن عيسى قال: (كان في وجه عمر بن الخطاب خطَّان أسودان من البكاء)[4].

●● عن أبي سعيد مولى أبي أسيد قال: (كان عمر إذا صلى ـ العشاء ـ أخرج الناس من المسجد ، فأخذ إلينا ، فلما رأى أصحابه ألقى الدِّرَّة وجلس ، فقال: ادْعُوا ، فدَعَوا. قال: فجعل يدعو ويدعو ، حتى انتهت الدعوة إليَّ ، فدعوتُ وأنا مملوك ، فرأيتُه دعا وبكى بكاءً ولا تبكيه الثَّكْلى ، فقلتُ في نفسي: هذا الذي تقولون: إنَّه غليظ!)[5].

وخرج يَعُسُّ بالمدينة ليلةً ، ومعه غلام له وعبد الرحمن بن عوف ، فمرَّ بدار رجل من المسلمين ، فوافقه وهو قائم يصلي ، فوقف يسمع

---

(١) محض الصواب: ٢/ ٦٢٣.
(٢) مختصر ابن عساكر: ١٨/ ٣٣٦؛ محض الصواب: ٢/ ٦٢٢.
(٣) محض الصواب: ٢/ ٦١٦. والحديث المرفوع صحيح عن سلمان: ابن حبان (٧٠٦)؛ وابن ماجه (٤١٠٤).
(٤) الزهد ، لأحمد (٦٣٨)؛ الحلية: ١/ ٥١.
(٥) مصنف ابن أبي شيبة: ٨/ ٢٩٦.

لقراءته ، فقرأ : ﴿وَالطُّورِ﴾ حتى بلغ : ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ۝ مَا لَهُۥ مِن دَافِعٍ﴾ [الطور] ، فقال عمر : قسمٌ وربِّ الكعبة حق ، امضِ لحاجتك ، فاستسند إلى حائط ، فمكث مليّاً ، فقال له عبد الرحمن : امضِ لحاجتك ، فقال : ما أنا بفاعل الليلة إذ سمعتُ ما سمعتُ . قال : فرَجَع إلى منزله ، فمرض شهراً ، يَعُودُه الناس لا يدرون ما مرضه!)[1] .

وعن أشياخ من الأنصار قالوا : (أتانا عمر بن الخطاب بقُباء ، فأُتي بشربة من عسل ، فقال : ائتني بشَرْبة هي أهونُ عليَّ في المسألة من هذه يوم القيامة)[2] .

●● عن يحيى بن أبي كثير ، عن عمر قال : (لو نادى منادٍ من السماء : أيها الناس ، إنكم داخلونَ الجنة كلكم أجمعون إلا رجلاً واحداً؛ لَخِفتُ أنا أكون أنا هو . ولو نادى منادٍ : أيها الناس ، إنكم داخلون النار إلا رجلاً واحداً ، لرجوتُ أن أكون أنا هو)[3] .

وفي حديث استشهاده قال للصحابة الذين زَكَّوه ومنهم ابن عباس : (واللهِ لو أن لي طِلَاعَ الأرضِ ذهباً ، لافتديتُ به من عذابِ الله عز وجل قبل أن أَراه)[4] .

ومعنى **(طِلَاعَ الأرض)** : أي مِلْؤها . **(قبل أن أَراه)** : أي العذاب . وإنما قال ذلك لغلبةِ الخوفِ الذي وقع له في ذلك الوقت من خشية

---

(١) مختصر ابن عساكر : ١٨/ ٣٣٤ .

(٢) الزهد ، لأحمد (٦٢٨)؛ محض الصواب : ٢/ ٥٨٣ ، ومن طرق أخرى : ٢/ ٥٧٠ ، ٥٧٣ .

(٣) الحلية : ١/ ٥٣؛ حياة الصحابة : ٢/ ١١٠ .

(٤) البخاري (٣٦٩٢) .

التقصير فيما يجبُ عليه من حقوق الرعية ، أو من الفتنة بمدحهم[1].

وفي ساعاته الأخيرة قال: (وَيْلي وويلُ أمّي إنْ لم يغفر الله لي. حتى فاضَتْ نفسُه)[2].

ثالثاً: زهده:

كان زهدُ عمر ، وكذا الصحابة ومَنْ سار على هديهم من صالحي الأمة ، زهدَ القادرين على الدنيا وزخارفها ومتاعها ، فسخَّرها لخدمة الإسلام والمسلمين ، وأَخذ منها ما يعيشُ به كآحاد الناس عزيزاً كريماً ، لا زهدَ العاجزين والكسالى الذين خَلَتْ أيديهم من الأموال والمتاع ، وقصُرت هِمَمُهم عن تحصيلها ، فعكفوا على أنفسهم وقالوا: نحن نسّاك زاهدون!.

لقد كان أبو حفص يقوم على سياسة دولة مترامية الأطراف ، ويُمسك بيديه مقاليد الأمور فيها ، فرداً فرداً ، وجماعة جماعة ، وقطراً قطراً ، والمال يجري من بين يديه ، فيدخل كلَّ بيت من بيوت المسلمين ، ومفاتنُ الدنيا كلها معروضة عليه ، وحياةُ الأكاسرة والأباطرة مشهودة لـه... ثم هو مع ذلك يكون على تلك الصورة الفريدة في دنيـا الناس[3]!.

كان رضي الله عنه مع النبي ﷺ يقتدي به في زهده وخشونة عيشه ، مع أنه من الأغنياء... ثم هاهو الآن في خلافته وقد تفتَّحت عليه

---

(١) الفتح: ٨/ ٦٣٣ (٣٦٩٢).

(٢) طبقات ابن سعد: ٣/ ٣٦٠ ، وإسناده صحيح.

(٣) عمر بن الخطاب ، لعبد الكريم الخطيب ، ص٢٢٣.

مصاريعُ الكنوز ، فغصَّت بها خزائنُ الدولة ، فما اهتزَّتْ له شعرة! بل كان في طعامه وشرابه ولباسه ومركبه وجميع نفقاته على قَدْر أدنى المسلمين حياة وعيشاً وإنفاقاً ، وذلكم والله هو الزاهد حقّاً! .

والأعجبُ من ذلك أنه حمَلَ أهلَ بيته جميعاً ليكونوا في مستواه من الزهد والتقشف والعيش الخشن! .

ولنذكر في هذا الفصل نماذجَ من زهده ، وسيأتي مزيدُ بيان لها في مباحث خلافته[1] .

●● سمع عبد الله بن عمر سائلاً يقول: أينَ الزاهدون في الدنيا والراغبون في الآخرة؟ فأخذ بيده وانطلق به إلى قبر رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر ، فقال: سألتَ عن هؤلاء ، فهم هؤلاء[2] .

وقال طلحة بن عبيد الله: (ما كان عمر بن الخطاب بأَوَّلِنا إسلاماً ، ولا أقدمِنا هجرةً ، ولكنه كان أزهدَنا في الدنيا ، وأرغَبَنا في الآخرة)[3] .

وقال مثلَه سعد بن أبي وقاص[4] .

وقال معاوية بن أبي سفيان: (أما أبو بكر فلم يُرِدِ الدنيا ولم تُرِدْه ، وأما عمر فأرادَتْه ولم يُرِدْها)[5] .

---

(١) انظر: ص ٢٩٣ ـ ٣٠٥ في هذا الكتاب.
(٢) مختصر ابن عساكر: ١٨/ ٣٢٣.
(٣) المرجع السابق نفسه، أسد الغابة: ٤/ ٦٠.
(٤) مصنف ابن أبي شيبة: ٨/ ١٤٩.
(٥) مختصر ابن عساكر: ١٨/ ٣٢٣.

●● عن عمر قالَ: (كان النبي ﷺ يُعطيني العطاء ، فأقول: أَعْطِه أفقرَ إليه منِّي . . .) الحديث[1] .

وعن عمر قال: (لا يُنْخَلُ لي الدقيقُ بعدما رأيتُ رسولَ الله ﷺ يأكل)[2] .

وعن يسار بن نُمير قال: (والله ما نخلتُ لعمر الدقيق إلا وأنا له عاصٍ)[3] .

وقال أنس بن مالك: (رأيتُ عمر بن الخطاب ، وهو يومئذٍ أمير المؤمنين ، يُطرح له صاعٌ من تمر فيأكلُه حتى يأكلَ حَشَفَها)[4] .

وعن الأحوص بن حكيم ، عن أبيه قال: (أُتي عمر بلحمٍ فيه سمن ، فأبَى أن يأكلهما ، وقال: كل واحد منهما أُدْمٌ)[5] .

●● عن حُميد بن هلال: (أن حَفْص بن أبي العاص كان يَحضُر طعامَ عمر ، فكان لا يأكل ، فقال له عمر: ما يمنعُك من طعامنا؟ قال: إن طعامك جَشْبٌ غليظ . . .) الخبر ، وفي آخره: (فقال عمر: والذي نفسي بيده ، لولا أن تُنتقص حسناتي لشاركتكم في لين عيشكم)[6] .

---

(١) تقدم بتمامه: ص٩٤ ـ ٩٥ في هذا الكتاب.
(٢) الزهد ، لأحمد (٦٤٩)؛ طبقات ابن سعد: ١/ ٣٩٤.
(٣) مصنف ابن أبي شيبة: ٨/ ١٤٨؛ طبقات ابن سعد: ٣/ ٣١٩.
(٤) موطأ مالك: ٢/ ٩٣٣؛ طبقات ابن سعد: ٣/ ٣١٨. **حشف التمر**: اليابس الرديء منه.
(٥) طبقات ابن سعد: ٣/ ٣١٩.
(٦) المرجع السابق: ٣/ ٢٨٠.

وعن الحسن البصري قال: (دخل عمر على ابنه عبد الله بن عمر، وإذا عندهم لحمٌ، فقال: ما هذا اللحم؟ فقال: اشتهيتُه، قال: أو كلما اشتهيتَ شيئاً أكلته! كفى بالمرء سَرَفاً أن يأكل كل ما اشتهاه)[1].

وقال حذيفة بن اليمان: (أقبلتُ فإذا الناس بين أيديهم القِصَاع، فدعاني عمر، فأتيته، فدَعَا بخبزٍ غليظ وزيت، قال: قلت له: أمنعتني أن آكل من الخبز واللحم، ودعوتني على هذا؟! قال: أنا دعوتك على طعامي، فأما هذا فطعام المسلمين!)[2].

وقال أنس بن مالك: (رأيت عمر بن الخطاب وهو يرمي جمرة العقبة، وعليه إزارٌ مرقوعٌ بفَرْوٍ، وهو يومئذٍ والٍ)[3].

رابعاً: ورعــه:

كما كان عمر مقدماً في التواضع والخشية والزهد، فهو كذلك كان رأساً في الورع إماماً فيه، حتى كان الصحابة والتابعون يلزمونه فيتعلمون منه الورع!.

قال المِسْوَر بن مَخْرَمة: (كنا نَلزم عمر بن الخطاب نتعلم منه الورع)[4].

●● عن زيد بن أسلم قال: (شرب عمر بن الخطاب لبناً فأعجبه،

---

(١) الزهد، لأحمد (٦٥١). وانظر: سنن ابن ماجه (٣٣٦١).

(٢) الزهد، لأحمد (٦٤٠).

(٣) طبقات ابن سعد: ٣/ ٣٢٧.

(٤) المرجع السابق: ٣/ ٢٩٠.

فسأل الذي سقاه: من أين هذا اللبنُ؟ فأخبره أنه وردَ على ماء، قد سمَّاه، فإذا نَعَمٌ من نَعَمِ الصدقة، وهم يَسقون، فحَلَبوا لي من ألبانها، فجعلتُه في سِقائي، فهو هذا. فأدخل عمر بن الخطاب يده، فاسْتَقَاءَه!)[1].

وعن عبد الرحمن بن نجيح قال: (نزلتُ على عمر، فكانت له ناقة يحلِبُها، فانطلق غلامه ذات يوم، فسقاه لبناً أَنكره، فقال: وَيْحَكَ! من أين هذا اللبن لك؟ قال: يا أمير المؤمنين! إن الناقة انفلتَ عليها ولدُها فشَرِبها، فحلبتُ لك ناقة من مال الله. فقال: ويحكَ، تسقيني ناراً؟! واستحلَّ ذلك اللبن من بعض الناس، فقيل: هو لك حلالٌ يا أمير المؤمنين، ولحمُها)[2].

وعن ابن للبراء بن مَعْرُور: (أن عمر خرج يوماً حتى أتى المنبر، وقد كان اشتكى شكوى له، فَنُعِتَ له العسلُ، وفي بيت المال عُكَّة، فقال: إنْ أَذِنْتم لي فيها أخذتُها، وإلا فإنها عليَّ حرام! فأَذِنوا له فيها)[3].

•• ومن بارع الأمثلة ما رواه إسماعيلُ بن محمد بن سعد بن أبي وقاص قال: (قَدِمَ على عمر مِسْكٌ وعنبرٌ من البحرين، فقال عمر: والله لَوَددتُ أني وجدتُ امرأة حسنة الوزن تزِنُ لي هذا الطِّيب، حتى أقسمَه بين المسلمين. فقالت له امرأته عاتكةُ بنت زيد: أنا جيدة الوزن، فَهَلُمَّ أَزِن لك، قال: لا، قالت: لِمَ؟ قال: إني أخشى أن تأخذيه

---

(١) موطأ مالك: ١/ ٢٦٩.

(٢) تاريخ المدينة، لابن شبة: ٢/ ٧٠٢.

(٣) طبقات ابن سعد: ٣/ ٢٧٦ ـ ٢٧٧؛ مختصر ابن عساكر: ١٨/ ٣٣١.

فتجعلينه هكذا ـ أدخَلَ أصابعَه في صدغيه ـ وتمسحين به عنقكِ ، فأُصيب فَضْلاً على المسلمين)[1] .

وعندما دَوَّنَ الدواوينَ ، هُرِعَ إليه رجال من قبيلته بني عدي ليقدِّمَهم في العطاء ، فأبى وقال : لا والله حتى تأتيكم الدعوة ، وإنْ أُطْبِق عليكم الدفتر! يعني : ولو أن تُكتبوا آخرَ الناس[2] .

وعندما سمَّى الستَّةَ أصحابَ الشورى للخلافة استَبْعَدَ ابنَه عبد الله وابنَ عمه وصهره سعيد بن زيد أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وعندما قال له أحدُهم : يا أمير المؤمنين! أينَ أنت من عبد الله بن عمر؟ فقال له : قاتلك الله ، والله ما أردتَ الله بهذا[3]! .

خامساً: حلمه ووقوفه عند أوامر كتاب الله وهديه:

كان عمر يقول : (إنه لا حلمَ أحبُّ إلى الله من حلمِ إمام ورفقِه ، ولا جهلَ أبغضُ إلى الله من جهلِ إمام وخُرْقه)[4] .

وقال عبد الله بن عمر : (ما رأيتُ عمرَ غَضبَ قطُّ فذُكِر اللهُ عنده أو خُوِّفَ أو قرأ عنده إنسان آيةً من القرآن ـ إلا وقف عما كان يريد)[5] .

وعن ابن عباس قال : (قَدِمَ عُيَيْنَةُ بن حِصْن بن حُذيفة فنزل على ابن

---

(١) الزهد ، لأحمد (٦٢٣)؛ وتاريخ المدينة ، لابن شبة : ٢/ ٧٠٣؛ محض الصواب : ٢/ ٦٠٨ .
(٢) طبقات ابن سعد : ٣/ ٢٩٥ .
(٣) المرجع السابق : ٣/ ٣٤٣ .
(٤) محض الصواب : ٢/ ٦٨٤ . **الخُرْق** : الجهل والحمق .
(٥) طبقات ابن سعد : ٣/ ٣٠٩ .

أخيه الحُرِّ بن قيس ، وكان من النَّفَر الذين يُدْنِيهم عمر ، وكان القرَّاء أصحابَ مجالس عمر ومشاورته كهولاً كانوا أو شباناً ، فقال عُيينة لابن أخيه : يا ابنَ أخي! لكَ وجهٌ عند هذا الأمير ، فاستأذِنْ لي عليه ، قال : سأستأذِنُ لك عليه. قال ابن عباس : فاستأذَنَ الحرُّ لِعُيينة ، فأَذِنَ له عمر ، فلما دخل عليه قال : هِيْ يا ابنَ الخطابِ ، فواللهِ ما تُعطينا الجَزْل ، ولا تَحكُمُ بيننا بالعدلِ! فغضِب عمرُ حتى هَمَّ به ، فقال له الحرُّ : يا أمير المؤمنين! إن الله تعالى قال لنبيِّه ﷺ : ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف : ١٩٩] ، وإنَّ هذا من الجاهلين. واللهِ ما جاوزها عمرُ حين تلاها عليه ، وكان وقَّافاً عند كتاب الله)[١].

وهذا الموقف من عُيينة فيه الكثير من الجَفَاء والجَوْر في الحكم والاتهام بالباطل؛ فمن جفائه قوله لابن أخيه : (لك وجه عند هذا الأمير) ، وكان من حقه أن ينعته بأمير المؤمنين ، ولكنه لا يعرف منازل الأكابر. وقوله : (هِيْ يا ابن الخطاب) : و(هِيْ) : هنا تفيد الزجر. وقوله : (يا ابن الخطاب) : فلم يخاطبه بالخلافة وإمرة المؤمنين[٢]. ثم تمادى عيينة فاتَّهم الفاروق بأنه لا يعطي العطاء الجَزْل الكثير ، ويَجور فلا يحكم بالعدل! وكل ذلك باطـل يعرفه القاصي والداني. وعمرُ مع ذلك كله صفح وعفا عنه ، التزامـاً بتوجيه الآية الكريمة واقتداءً بالمثل الأعلى ﷺ.

وعن أسلم مولى عمر قال : (جاء بلال يريد أن يَسـتأذن على عمر ،

---

(١) أخرجه البخاري (٤٦٤٢).
(٢) انظر : الفتح : ١٧/ ٧٢ ـ ٧٤ ، شرح الحديث (٧٢٨٦).

فقلت: إنه نائم. فقال: يا أسلم! كيف تجدون عمر؟ فقلتُ: خيرَ الناس، إلا أنه إذا غَضبَ فهو أمرٌ عظيم، فقال بلال: لو كنتُ عنده إذا غَضب قرأتُ عليه القرآنَ حتى يَـذهب غضبُه!)[1].

وقال مالك الدار ـ وكان خازن عمر ـ: (صاحَ عليَّ عمرُ يوماً وعَلاَني بالدِّرَّة، فقلتُ: أُذَكِّرُك بالله، قال: فطَرحها وقال: لقد ذكَّرتَني عظيماً!)[2].

سادساً: رغبته في الأجر وحرصه على تحصيله:

عن أُسَيْر بن جابر قال: (كان عمر بن الخطاب إذا أتى عليه أمدادُ أهل اليمن سألَهم: أفيكم أُوَيْس بن عامر؟ حتى أتى على أويسٍ فقال: أنتَ أُويس بن عامر؟ قال: نعم. قال: من مُرادٍ ثم من قَرَنٍ؟ قال: نعم. قال: فكان بكَ بَرَصٌ فبَرأْتَ منه إلا موضعَ درهم؟ قال: نعم. قال: لك والدةٌ؟ قال: نعم. قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يأتي عليكم أويسُ بن عامر مع أمدادِ أهل اليمن، من مُراد ثم من قَرَنٍ، كان به بَرَصٌ فبَرَأَ منه إلا موضعَ درهم، له والدةٌ هو بها بَرٌّ، لو أَقسمَ على الله لأَبَـرَّهُ، فإن استطعتَ أن يستغفرَ لك فافعلْ**»! فاستغفِرْ لي، فاستغفَرَ له)[3].

وعن قيس بن أبي حازم قال: (قَدِمنا على عمر بن الخطاب فقال: مَن

---

(١) طبقات ابن سعد: ٣/ ٣٠٩؛ مختصر ابن عساكر: ١٩/ ٢٣.
(٢) طبقات ابن سعد: ٣/ ٣٠٩.
(٣) أخرجه مسلم (٢٥٤٢)، وأحمد (٢٦٦)، وغيرهما. وللحديث تتمة، وقد شرحته مفصلاً في كتابي: نبوءات الرسول ﷺ، رقم (١٩). قوله: (**أمداد أهل اليمن**): هم الجماعة الغزاة الذين يُمِدّون جيوش الإسلام في الغزو، واحدهم مدد.

مؤذِّنُوكم؟ فقلنا: عبيدُنا ومو الينا، فقال بيدِه يقلِّبُها: عبيدنا وموالينا! إن ذلك بكم لنقصٌ شديد، لو أَطقتُ الأذانَ مع الخلافة لأَذَّنْتُ)[١].

وقال عبد الله بن بُريدة: (ربما أخذ عمر بيد الصبي، فيجيء به فيقول: ادعُ لي، فإنك لم تُذنب بعدُ!)[٢].

سابعاً: غيرته:

من خلائق عمر المتأصِّلة فيه غَيْرته الشديدة، وقد أشار إليها النبي ﷺ في ملأ من الصحابة. والغيرة بمفهومها العميم وليست مقصورة على (الغيرة على المرأة)، بل كان يغار على العقيدة وحدود الشريعة وأخلاق الناس ودمائهم وحقوقهم، وعلى الأعراض والحرمات، حتى إنه كان يُعاقِب في أبيات من الشعر يلوح له فيها تغزُّل بامرأةٍ أو امتداحٌ للخمر!.

وأخباره في هذا الباب كثيرة، نذكر هنا شذرات منها، وسيأتي المزيد في حديثنا عن «خلافته».

عن أبي هريرة: (عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**بَيْنَا أنا نائمٌ إذْ رأيتُني في الجنة، فإذا امرأةٌ تَوضَّأُ إلى جانب قَصْرٍ، فقلتُ: لِمن هذا؟ فقالوا: لعمر بن الخطاب، فذكرتُ غَيْرةَ عمرَ، فولَّيتُ مُدْبِراً**».

قال أبو هريرة: فبَكى عمر، ونحن جميعاً في ذلك المجلس مع

---

(١) أخرجه عبد الرزاق (١٨٦٩ ـ ١٨٧١)؛ وابن أبي شيبة: ١/ ٢٥٤، ٢٥٥، وغيرهما؛ وهو في محض الصواب: ٢/ ٦٨٦.
(٢) محض الصواب: ٢/ ٦٩٣.

رسـول الله ﷺ ، ثـم قـال عمـر: بـأبـي أنـتَ يـا رسـول الله ، أعليـكَ أغارُ؟!)[1].

وعن ابن عمر قال: (كانت امرأةٌ لعمرَ تشهدُ صلاةَ الصبح والعشاء في الجماعة في المسجد ، فقيلَ لها: لِمَ تَخْرُجِينَ وقد تعلمينَ أن عمر يَكره ذلك ويَغارُ؟ قالت: وما يَمنعُه أن ينهاني؟ قيل: يَمنعُه قولُ رسول الله ﷺ: «**لا تَمنعُوا إماءَ الله مساجِدَ الله**»)[2].

وهذه المرأة هي عاتكة بنت زيد[3].

وحسبك من غَيْرته أنه أشار على النبي ﷺ بحجاب أمهات المؤمنين ، ونزل القرآن بموافقته[4].

تقول عائشة في حديثها: (قال عمر: لو أُطَاعُ فيكنَّ ما رأتْكُنَّ عينٌ! فنَزَلَ الحِجاب)[5].

* * *

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٤٢)؛ ومسلم (٢٣٩٥) ، وغيرهما.

(٢) أخرجه البخاري (٩٠٠).

(٣) سماها عبد الرزاق (٥١١١)؛ وأحمد (٢٨٣).

(٤) تقدم: ص ١١٦ ـ ١١٧ في هذا الكتاب.

(٥) السنن الكبرى ، للنسائي (١١٣٥٥).

الفصل الرابع

اتباعه هدي النبي ﷺ وأبي بكر واقتداؤه بهما

منذ اللحظة التي دخل عمر فيها الإسلام علمَ أن الرسول الأعظم ﷺ هو المَثَل الأعلى والقدوة المثلى ، فكان قوّاماً على نفسه لتنهجَ سبيلَه وتقتفي أثره ، وبقي على العهد حتى فارق الدنيا .

بل إنه حاكى النبيَّ ﷺ في زهده وخشونة عيشه، وكان إذا جاءته السنن لبَّاها في مبناها ومعناها ، ولربما كانت أمور وأحكام لها علّتُها ، فتحدِّثه نفسه بأن العلة قد زالت ، فيأبى إلا أن يفعلها ما دام النبي ﷺ قد فعلها .

وكذلك رأى الخليفة الأول أبا بكر على أرفع هَدْي مع السنن النبوية ، التزاماً واقتداءً ، فكان له المثلَ الثاني ، وكثيراً ما كان يقول: (هما المرآن أقتدي بهما) .

عن عَبْد خَير قال: (قامَ عليٌّ على المِنبر، فذكرَ رسول الله ﷺ، فقال: قُبض رسول الله ﷺ واستُخلِف أبو بكر، فعمل بعمله وسار بسيرته، حتى قبضه الله عز وجل على ذلك. ثم استُخْلِف عمر على ذلك، فعمل بعملهما وسار بسيرتهما، حتى قبضه الله عز وجل على ذلك)(١) .

---

(١) أخرجه عبد الله بن أحمد في زياداته على المسند (١٠٥٥)؛ وصححه أحمد شاكر .

روى عبد الله بن سَرْجِس وغيره، قال: (رأيتُ الأَصْلَع، يعني عمر بنَ الخطاب، يُقبِّل الحجرَ ويقول: والله إني لأُقَبِّلُكَ، وإني أعلمُ أنك حجرٌ، وأنك لا تضرُّ ولا تنفعُ، ولولا أنِّي رأيتُ رسولَ الله ﷺ قَبَّلَكَ ما قَبَّلْتُك)[1].

وعن أسلم قال: سمعتُ عمر بن الخطاب يقول: (فيمَ الرَّمَلان اليوم، والكشفُ عن المَناكِب؟ وقد أَطَّأَ الله الإسلامَ، ونَفَى الكفرَ وأهله! مع ذلك لا نَـدَعُ شيئاً كُنَّا نفعلُه على عهد رسولِ الله ﷺ)[2].

وعن أبي وائل شَقيق بن سَلَمة قال: (جلستُ مع شَيْبة[3] على الكرسي في الكعبة، فقال: لقد جلسَ هذا المجلسَ عمر رضي الله عنه، فقال: لقد هممتُ أَنْ لا أَدَعَ فيها صفراءَ ولا بيضاءَ[4] إلا قَسَمْتُه، قلتُ: إن صاحبَيْكَ لم يفعلا! قال: هما المرآن أقتدي بهما)[5].

وعن حارثة بن مُضَرِّب قال: (جاء ناسٌ من أهل الشام إلى عمر، فقالوا: إنا قد أَصَبْنا أموالاً وخيلاً ورقيقاً، نحبُّ أن يكون لنا فيها زكاةٌ وطهورٌ؟ قال: ما فعله صاحباي قبلي فأفعله. واستشار أصحابَ

---

(١) أخرجه البخاري (١٥٩٧)؛ ومسلم (١٢٧٠)؛ والنسائي في الكبرى (٣٩٠٤)، وغيرهم.

(٢) أخرجه أبو داود (١٨٨٧)، وابن ماجه (٢٩٥٢)؛ وبنحوه عند البخاري (١٦٠٥). **أَطَّأَ**: مهَّدَ وثبَّت. **الرَّمَل**: سرعة المشي والهرولة.

(٣) هو شيبة بن عثمان العَبْدريّ الحَجَبيّ، صحابي.

(٤) يريد الكنز الذي في الكعبة.

(٥) أخرجه البخاري (١٥٩٤)؛ وأبو داود (٢٠٣١)، وغيرهما.

محمد ﷺ وفيهم علي ، فقال علي: هو حسنٌ إنْ لم يكن جزيةً راتبةً يؤخَذون بها من بعدك)[1].

وعن سعيد بن المسيِّب قال: (قضَى عمر بقضاءٍ في الأصابع ، ثم أُخبِر بكتاب كتبه النبيُّ ﷺ لابن حزم ، فأَخَذَ به ، وترك أمرَه الأول)[2].

عن مصعب بن سعد قال: (قالت حفصة بنت عمر لأبيها: يا أمير المؤمنين! إنه قد أوسعَ الله الرزق ، وفَتح عليك الأرض ، وأَكْثَرَ من الخير ، فلو طَعمت طعاماً ألينَ من طعامك ، ولَبِسْتَ لباساً ألينَ من لباسك! فقال: سَأُخاصِمك إلى نفسك؛ أما تذكرين ما كان رسول الله ﷺ يَلْقى من شدة العيش؟! قال: فما زال يذكِّرها حتى أبكاها. ثم قال: إني قد قلتُ لكِ ، إني والله لئن استطعتُ لأشارِكَنَّهما في عيشهما الشديد لعلي ألقى معهما عيشَهما الرخي. يعني: رسول الله ﷺ وأبا بكر).

وفي رواية: (إنه كان لي صاحبان سَلَكا طريقاً ، وإني إنْ سلكتُ غيرَ طريقهما ، سُلِكَ بي غيرُ طريقهما ، وإني والله لأُشاركنّهما في مثل عيشِهما ، لَعلِّي أن أدرك معهما عيشَهما الرخيَّ)[3].

والشواهد في هذا الباب كثيرة مبثوثة في ثنايا الكتاب.

* * *

---

(١) أخرجه أحمد (٨٢ ، ٢١٨) ، وصححه أحمد شاكر.

(٢) السنن الكبرى ، للبيهقي: ٨/ ٩٣؛ محض الصواب: ٢/ ٥٣٠؛ وإسناده صحيح.

(٣) طبقات ابن سعد: ٣/ ٢٢٧ ـ ٢٧٨؛ الزهد ، لأحمد (٦٦٠)؛ النسائي في الكبرى (١١٨٠٦)؛ الحلية: ١/ ٤٨ ـ ٤٩.

الفصل الخامس

مؤهلاته ومكونات شخصيته المتفردة

●● حَبَا الله الفاروقَ عمر جملة ضخمة من الصفات الباهرة ، كل واحدة منها تجعل الرجل متفرداً فيها بين أنداده ، فكيف إذا اجتمعت جميعُها في شخصية واحدة كما اجتمعت في أمير المؤمنين عمر؟! .

وكانت تلك الصفات والمؤهلات والمزايا أصيلةً في تكوين عمر ، وثابتةً في كيانه ، وشديدة البروز في أقواله وأفعاله ومواقفه ، دائمة دائبة سائرة معه في عهد النبوة وأيام الصديق وفي سني خلافته .

وكان من تمام فضل الله تعالى على عمر وعلى المسلمين وعامة الناس أن تلك المزايا قد صِيغَت في محضن النبوة ، فكان المربي الأعظم ﷺ يُمضيها أو يهذِّبها ويوجِّهها وينمِّيها ويُعْليها ، ويُكفكِف منها أحياناً لتأخذ مسارها الصحيح . . . فكان منها ذلك المثل الشَّرود في التاريخ ، والذي ملأ سمع الناس والدنيا والتاريخ، وهو عمر بن الخطاب، الذي هو صنعة الإسلام بقدرته البانية المنشئة الخلاقة ، والوثيقة الخالدة للدين الخالد! .

وبرزت خصائص عمر ومزاياه ومؤهلاته وسماتُ شخصيته أشدَّ البروز في سني خلافته الطويلة المباركة ، وتركت آثارها الضخمة في

الحياة العقلية والاجتماعية والتاريخية والعسكرية والتنظيمية لدولة الخلافة . . .

والذي يَنتظم خصائصَه ومزاياه أن شخصيته المدهشة هي خط واحد ولون واحد ، أشبه بالنهر العظيم الذي استقام مجراه على وجه واحد . إنه (رجلٌ جميعٌ) تتحرك كل قدراته في دقة واتساق؛ فليس لذرة واحدة في كيانه فرصة للتخلف أو للتلكؤ أو للنشاز . قد طُبع على أنه إذا ذهب مذهباً أَوْغَل فيه ، وإذا نصر حزباً أو أيد فكرة بذل في ذلك جهده كله ، وإذا اتخذ موقفاً بلغ فيه المدى استجابةً لإمكاناته الحافلة[١] ! .

و(محور المحاور) في شخصية عمر هو (الحق) ، فليس عند ابن الخطاب ما هو أعظم من الحق ، ولا يَـقبل فيه مهادنة ، ولا يُـقيم في الانحراف عنه عُذراً لمعتذر ، ولا يرحم أحداً عَثَرت به قدم على طريق الحق[٢] . . . هكذا كان عمر ، وبهذا وصفه الصادق المصدوق ﷺ فقال : «**إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه**» .

●● ومَلَكات عمر ومواهبُه ومؤهلاته وفرائدُ مكونات شخصيته؛ ضخمة جليلة كثيرة متزاحمة ، قد جَعلتْ منه أنموذجاً فذّاً بين (طفرات العبقريين) ، وقد شارك عظماءَ التاريخ في فرائد صفات العظمة عندهم ، فتكونت شخصيته من تلاحم خصائص العظماء المتفرقة في أفذاذهم! .

ولقد تحدث المؤرخون والباحثون والنقاد عن خصائص عمر وصفاته

---

(١) عمر بن الخطاب ، لعبد الكريم الخطيب ، ص ١٣ ـ ١٤؛ أخبار عمر ، ص١٢؛ خلفاء الرسول ، ص ١٥١ ـ ١٥٣ .

(٢) عمر بن الخطاب ، للخطيب ، ص ١٢ .

ومكونات شخصيته التي من أبرزها: الإيمان الراسخ، والعلم الواسع، والفقه العميق، والفطنة والفراسة، والقوة والشجاعة والهيبة، والحزم والعزم، والشدة والغلظة، والرقة والرحمة، وسياسة الناس وقيادة الأمة على أرفع صور القيادة.

ويصرِّح العقاد ـ وهو أحدُ نوابغُ الفكر والأدب في القرن العشرين ـ فيقول عن عمر: (إن هذا الرجلَ العظيم أصعبُ من عرفتُ من عظماء الرجال نقداً ومؤاخذة!)[١].

ويؤكد ريحانةُ الشام وأديبها وفقيهها علي الطنطاوي على تفرُّد عمر في خصائصه وسيرته فيقول: (ولقد قرأتُ سِير آلاف العظماء من المسلمين وغير المسلمين، فوجدتُ فيهم من هو عظيم بفكره، ومن هو عظيم ببيانه، ومن هو عظيم بخُلقه، ومن هو عظيم بآثاره. ووجدت عمر قد جمع العظمة من أطرافها؛ فكان: عظيم الفكر، والأثر، والخلق، والبيان)[٢].

ونحن نشير في هذا الفصل إلى صفاته ومكونات شخصيته، مما تبدَّى لنا من الدراسة الطويلة السابِرة لسيرته الطاهِرة، والصحبةِ الأثيرة لمسيرته الزكية المباركة منذ دخل الإسلام وإلى أن لَحِق بربه ودُفن بجوار حبيبه ﷺ، وقد بنينا هذا الفصل على (عشرة محاور كبرى) نتحدث عنها بإيجاز مع ضرب الأمثال عليها.

---

(١) عبقرية عمر، ص ١٧.

(٢) أخبار عمر، ص ٦.

أولاً: عبقريته:

العبقرية: هي السبق والتفرد والابتكار.

والذي وَصف عمرَ (بالعبقري) وأثنى عليه وعلى خلافته هو النبيُّ ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى!.

عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**بينما أنا على بئرٍ أنْزِعُ منها، جاءني أبو بكر وعمر، فأَخذ أبو بكر الدَّلْوَ فنَزَع ذَنوباً أو ذَنُوبَيْن، وفي نزعِه ضَعْفٌ، واللهُ يغفرُ له. ثم أَخذها ابنُ الخطاب من يدِ أبي بكر فاستحالَتْ بيده غَرْباً، فلم أرَ عبقريّاً من الناس يَفْرِي فَرِيَّـهُ، فَنَزَع حتى ضَرَب الناسُ بعَطَنٍ**»[1].

ومعنى «**فلم أرَ عبقريّاً يفري فريه**»: أي لم أرَ سيداً يعمل عمله، ويقوى قوته، ويقطع قطعه، ويجيد إجادته مثله.

وأوضح ما يترجِمُ هذا الحديثَ ما تجلَّت به عبقريةُ الفاروق في بناء الدولة وتشييد مؤسساتها على أفضل الأسس التي تقوم عليها الدولة المعاصرة. وكذلك سياسته مع ولاة الأمصار وقادة الفتوحات وزعماء القبائل، ورعاية الناس عامة على اختلاف طبقاتهم وأجناسهم وأعراقهم، في دولة اتسع سلطانها في المشرق والمغرب.

ولا يقلُّ عن ذلك بروزُ عبقريته في فقهه واجتهاداته في القضايا

(١) أخرجه البخاري (٣٦٧٦)؛ ومسلم (٢٣٩٣)؛ والنسائي في الكبرى (٧٥٨٩)، وغيرهم.

المستجدة الكثيرة ، وكذلك أولياته التي سبق بها الأفذاذ ودوَّنها التاريخ شاهداً على عبقريته.

وأعجبُ من ذلك عبقريته الإدارية في مختلِف مؤسسات الدولة ، وكذلك عبقريته العسكرية الفذة حيث كان يدير حركات الفتوحات على جبهات ثلاث: الشام ، والعراق ، ومصر!.

ثانياً: إلهامه وفراسته:

مفتاح هذه الخَصِيصة عند عمر وأساسها ومصدرها أنه (رَجُلٌ مُحدَّث) كما وصفه الصادق المَصدوق ﷺ بقوله: «**لقد كانَ فيما قَبْلَكم من الأُمم ناسٌ محدَّثونَ ، فإنْ يكنْ في أمتي أحدٌ فإنه عمرُ**»[1].

والمحدَّث من يُهمس في خاطرِه من عالَم الغيبِ بحديثٍ ، كأنما يتنزَّل عليه من السماء ، فتُشرِق به جوانبُ نفسه ، ويجدُ منه بَرْدَ السَّكينة والطمأنينة في قلبه ، وهو فوق الإلهام... وهو واردٌ من عالَم الحق ، فكل ما يحمله من معانٍ وأخبار وأحكام على الوقائع والأحداث ـ كل هذا حق صريح ، لا يخالطه باطل أبداً.

وقد أَيَّد هذه المزيةَ وحماها ورعاها منحةٌ ربانية جعلتْ عمرَ محفوظاً من أباطيل الشيطان الذي كان يَفْرَق من عمر ويهرب من طريقه ، فليس لديه إلى عمر من حيلة ، ولا له عليه من سبيل!.

قال النبي ﷺ: «**إيهاً يا ابنَ الخطاب ، والذي نفسي بيده ، ما لَقِيَكَ الشيطانُ سالِكاً فَجّاً قطُّ إلا سَلَكَ فَجّاً غيرَ فَجِّك**»[2].

---

(١) تقدم الحديث بتمامه وتخريجه وبيان معناه: ص١١٢ ـ ١١٤ في هذا الكتاب.

(٢) انظر الحديث بتمامه: ص٩٢ في هذا الكتاب.

ومن (إلهامات عمر) نبعت (فِراستُه) التي لم تكن تخطئ ، **والفِراسة**: هي ضرب من استيحاء الغيب ، واستنباط الأسرار ، وكشف الخفايا ، واستيضاح البواطن واستخراج المعاني التي تَدقّ عن الألباب. وهي قرينة من قرائن العبقريـة في حاشية عمر الذي كان رأس الدهاة العبقريين.

ويدخل في مضمون هذه (الخَصِيصة العمرية) شبيهاتُها من الخِصال التي أُثرت عنه في مواقف عديدة ، وهي: التفاؤل بالشيء فيقع ، والشعور عن بعد أو (التلباثي) ، والمكاشفة أو الرؤيا ، كما يسميها النفسانيون المعاصرون[١].

●● **ومن عيون إلهاماته**: موافَقَاتُه ، ففي حديث عبد الله بن عمر قال: (ما سمعتُ عمرَ لشيءٍ قطُّ يقول: إني لأظنُّه كذا ، إلا كان كما يَظنُّ)[٢]. وقد فصلنا القول في ذلك[٣].

●● **ومن إلهاماته وفراسته**:

ـ ما جرى له مع عياش بن أبي ربيعة وقد حذَّره من غدر أبي جهل والحارث بن هشام ، فكان كما أُلهمه عمر وتفرَّسه من نيَّة الغدر عندهما[٤].

ـ وموقفه من عُمير بن وَهْب عندما قدِم المدينة ليغتال النبي ﷺ ، فرآه عمر ينيخ على باب المسجد ، فهجس في خاطره أنه ما جاء إلا

---

(١) عبقرية عمر ، ص ٣٠ ، ٣١.

(٢) هو طرف من حديث تقدم: ص٥٣ ـ ٥٤ حاشية (١) في هذا الكتاب.

(٣) انظر: ص١١٠ وما بعدها في هذا الكتاب.

(٤) تقدمت القصة بتمامها: ص٧٢ ـ ٧٣ في هذا الكتاب.

لشرٍّ ، فكان الأمر كما ظن عمر ، ولكن الله حمى نبيَّه ﷺ ، وأسلم عمير[1].

ـ وكان لا يأذَنُ للسَّبْي أن يدخلوا المدينة المنورة ويقيموا فيها ، ولما ألحَّ عليه بعض الصحابة أن يأذَنَ لبعض السبي ، فُتح باب من الشر ، وكان الفاروق أولَ ضحاياه ، حيث اغتيل على يدي المجوسي الخبيث أبي لؤلؤة.

ـ ومن ذلك: فراسته في الصحابة الستة أصحاب الشورى[2] ، وإلهامه بأن المسلمين سيختارون أحدَ اثنين: عثمان أو عليّاً! وجاء في رواية المدايني: قال عمر: (وما أَظُنُّ أن يلي هذا الأمر إلا عليٌّ أو عثمان ، فإن وَلي عثمان فرجلٌ فيه لينٌ ، وإنْ وَلي عليٌّ فستختلف عليه الناس ، وإن ولي سعدٌ وإلا فليستعنْ به الوالي)[3].

وأكد ذلك بنصيحة ووصية خاصة لعثمان وعلي[4]!.

●● يروي طارق بن شهاب فيقول: (إنْ كان الرجلُ لَيحدِّثُ عمر بن الخطاب بالحديث ، فيَكْذِب الكِذْبة ، فيقول: احْبِسْ هذه ، ثم يُحدِّثه بالحديث ، فيقول: احبسْ هذه ، فيقول: كلُّ ما حدَّثْتُكَ به حقٌّ إلا ما أَمرتَني أَن أحبِسَه!)[5].

---

(١) انظر ما تقدم: ص٨٠ ـ ٨١ في هذا الكتاب.
(٢) سيأتي حديث عمر معهم: ص٧١٨ وما بعدها في هذا الكتاب.
(٣) الفتح: ٢/ ٦٥٧ شرح الحديث (٣٧٠٠).
(٤) مصنف ابن أبي شيبة: ٨/ ٥٧٧؛ الفتح: ٨/ ٦٥٧.
(٥) مساوئ الأخلاق ، للخرائطي (١٧١)؛ مختصر ابن عساكر: ١٨/ ٣٣٢؛ منهاج السنة: ٣/ ٥٥٦ ورجاله ثقات.

ـ وعن يحيى بن سعيد: (أن عمر بن الخطاب كان يَحمل في العام الواحد على أربعين ألف بعير، يَحمل الرجلَ إلى الشام على بعير، ويحمل الرجلين إلى العراق على بعير. فجاءه رجلٌ من أهل العراق، فقال: احمِلْني وسُحَيماً، فقال له عمر بن الخطاب: نَشدتُكَ الله، أَسُحَيمٌ زِقٌّ؟ قالَ له: نعم)[1].

ـ وعن طارق بن شهاب: (أنَّ امرأة متعبِّدة، يعني قالوا: زَنَتْ! فقال عمر: أُراها كانت تصلي بالليل، فخَشَعتْ فركَعَتَ وسجدَتْ، فأتاها غاوٍ من الغُواة فتجشَّمها. فأَرسل إليها، فقالت كما قال عمر، فخلَّى سبيلها)[2].

ـ ومن إلهاماته في أحداث الفتوحات: قصته مع سارية بن زنيم في فتح «فسا»، وهي مدينة شهيرة ببلاد فارس.

عن عبد الله بن عمر قال: (كان عمر يَخطُب يوم الجمعة، فعَرَضَ في خطبته أن قال: يا ساريةُ الجبلَ، مَن استرعَى الذئبَ ظَلَم! فالتفت الناسُ بعضُهم إلى بعض، فقال لهم عليٌّ: ليخرجنَّ مما قال. فلما فرغ سألوه، فقال: وقع في خَلَدي أن المشركين هَزَموا إخوانَنا وأنهم يَمرُّون بجبلٍ، فإن عَدَلوا إليه قاتلوا من وجه واحد وإن جاوزوا هلكوا، فخرج مني ما تزعمون أنكم سمعتموه! قال: فجاء البشيرُ بعد شهر، فذَكَر أنهم

---

(١) أخرجه مالك: ٢/ ٤٦٤؛ وابن سعد: ٣/ ٣٠٢. وهو منقطع.
(٢) أخرجه عبد الرزاق (١٣٦٦٤)، وإسناده صحيح؛ وانظر: موافقات عمر، ص٣٣٩.

سمعوا صوت عمر في ذلك اليوم، قال: فعَدَلْنا إلى الجبل، ففتَح الله علينا!)[1].

ـ ومن أجلِّ إلهاماته وفراسته: منهجُه في اختيار الولاة والقادة والقضاة الذين شهد لهم تاريخُهم الماجد بصدقِ فراسة الفاروق فيهم وأنها لم تخطئ في واحدٍ منهم.

ثالثاً: صلابته وصرامته:

●● وهذه الخَصِيصة من أبرز خلائق عمر التي طُبع عليها، وقد عُرِف بها بين القاصي والداني، فكانَ على طبيعة واحدة مع الحق لا يعرف فيه هوادة ولا ليناً، ولا يقبل مهادنة أو موادعة! وقد أوتي من شجاعة القلب وثبات الجنان ما يجعله يجهر بكلمة الحق ولو كانت مُـرَّة، ولو أثارت عليه العداوة والبغضاء. وكان يُبغض الضعف والظهور به، ولو بالكلمة الخافتة أو الخطوة الوئيدة مما يتظاهر به بعض من يدَّعون التنسُّكَ... فكان له في قلب رسول الله ﷺ وعامة المسلمين مكان أي مكان!.

ومفتاح هذه المزية الباهرة ومحورها وعمودها هو ما يشير إليه قول النبي ﷺ، الذي خَبَرَ أصحابه وعَلِمَ شمائلهم وخصائصهم وبخاصة أكابرهم المقربين إليه، وذلك فيما رواه أنس قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) أخرجه ابن مردويه؛ وأبو نعيم في الدلائل؛ واللالكائي في شرح السنة؛ والبيهقي في الاعتقاد؛ والطبري في تاريخه، وغيرهم؛ وحسنه ابن كثير في البداية والنهاية: ٧/ ١٣١ ـ ١٣٢؛ والحافظ في الإصابة: ٢/ ٣؛ والسخاوي في المقاصد الحسنة (١٣٣٣)؛ والألباني في الصحيحة (١١١٠).

«أَرْحَمُ أمتي بأمتي أبو بكر ، وأَشَدُّهم في أمر الله عمرُ». وفي رواية: «وأشدُّهم في دين الله عمر»[1].

والصرامة والصلابة والشدة في خلق عمر وتكوينه ليست نزوة ولا تعدياً، بل هي متلازمة مع الحق والواجب، فلا نرى هذا الإمام الصارم الحازم قاسياً شديداً إلا باسم حق أو في سبيل واجب، وما نذكر أننا وقفنا على رواية من روايات شدته إلا لمحنا الحق إلى جانبها يزكيها ويسوغها.

وهذه المزية هي خط عريض مستقيم مستمر في حياة عمر وشخصيته ، في كل أحواله وأطواره ، وهي (منهج عمري) مضَى فيه ما تنكَّبه لحظة ، ولا يَحفِل بغير الجدّ الذي لا عبثَ فيه.

●● ولو تدبرتَ مسيرة حياته لوجدتَ مصداق ذلك واضحاً لا عناءَ في استكشافه. . فقبل إسلامه كان صلباً صارماً شديداً في مجابهة الدعوة وتعذيب المؤمنين! ويوم أسلم ارتجت مكة لإسلامه ، وخرج مع النبي ﷺ والسابقين متحدياً جبابرة قريش ، ثم واجههم وجهر بإسلامه فضارَبَهم وضاربوه حتى أَعْيَى. وفعل مثلَ ذلك عندما هاجر جهاراً نهاراً.

وعلى هذه السبيل كانت سيرته ومواقفه في بدر حيث أشار على النبي ﷺ بقتل أسرى المشركين. وفي صلح الحديبية وقد قال لرسول الله ﷺ: (أَلَسْنا على الحق وعدوُّنا على الباطل؟ . . . فلِمَ نعطي الدنيَّة في ديننا؟!). ويوم فتح مكة عندما جاء أبو سفيان إليه ليشفع له عند الرسول ﷺ ، قال له عمر: (والله لو لم أجدْ إلا الذَّرَّ لجاهدتُكم به!). واستأذَن النبيَّ ﷺ أن

---

(١) أخرجه النسائي في الكبرى (٨١٨٥)؛ والترمذي (٤١٢٥) وقال: حسن صحيح ، وغيرهما.

يقتل: عبد الله بن أُبيّ، وحاطب بن أبي بَلْتعة، وذا الخُويصرة...
عندما لمحَ أنهم أساؤوا للإسلام وللنبي ﷺ.

●● ولمّا وَلي الخلافة شمَّر عن ساعد جدّه، وكظَمَ عن هوى نفسه، وحمل في الله فوق طاقته، وتلألأت صلابته وصرامته في الحق على أهل بيته وعشيرته، وكذلك مع الولاة والقادة والفاتحين وجميع المسؤولين.

متيقِّظ العَزَماتِ مُذْ نَهَضَتْ به عَزماتُه نحو العُلَى لم يقعدِ[1]

والذي يتتبع سياسته في خلافته يراه محلِّقاً في صلابته وصرامته مع كبار مسؤولي الدولة وأعيانها من الولاة والأمراء والقادة والقضاة... من حيث اختيارُهم وتعيينُهم ومحاسبتُهم ومتابعتهم في بلدانهم، وتسليط الرعية عليهم، ومقاسمتهم أموالهم، واستقدامهم في مواسم الحج للمحاسبة العلنية!.

وصرامته مع أهله وقبيلته بني عدي كانت من أعاجيبه، وعنوانُ ذلك قوله لهم: (إنِي قد نَهيتُ الناسَ عن كذا وكذا، وإن الناس ينظرون إليكم كما ينظرِ الطير إلى اللحم، فإنْ وقعتم وقعوا، وإنْ هِبْتُم هابوا. وإني والله لا أُوتى برجل وقع فيما نَهيتُ الناس عنه إلا أَضعفت له العذاب لمكانه مني، فمن شاء منكم أن يتقدّم، ومن شاء منكم فليتأخَّر)[2].

وصلابته مع نفسه وشدته عليها في قسوة العيش قد بَلَغ فيه مبلغاً لامَهُ عليه أعيانُ الصحابة ورجال مجلس الشورى وابنتُه حفصة وولاةُ الأمصار... ورأوا فيه رجلاً لا يستطيع أن يعمل عمله أحد!.

---

(١) محض الصواب: ٣/ ١٠٠٤.

(٢) المرجع السابق: ٣/ ٨٩٣. وسيأتي تفصيل ذلك.

وانظُر إليه وهذه الخصلة لم تفارِقْه وهو مطعون ، وجرحُه يتفجَّر دماً ، وقد سمَّى أصحابَ الشورى الستة ، قال رضي الله عنه وأرضاه:

(فإنْ عَجِلَ بي أمرٌ؛ فالخلافةُ شورى بين هؤلاء الستة الذين توفِّي رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ. وإنِّي قد عَلِمتُ أَن أقواماً يَطْعَنُون في هذا الأمر ، أنا ضربتُهم بيدِي هذه على الإسلام ، فإنْ فَعلوا ذلك فأولئك أعداءُ الله الكَفَرَة الضُّلاَّل!)[1].

رابعاً وخامساً: شجاعته وجرأته ، وجدّه في الأمور:

هاتان الخَصْلتان من مستلزمات صلابته وصرامته وشدته ، وتتممان عملَها في بناء شخصية عمر وتفرده في هديه ومواقفه.

وشجاعته الجريئة وقوته الجادة في كل أموره وشؤون حياته مع نفسه وأهله ورعيته وتدينه ـ كانت هي النبرة الواضحة العالية في (الشخصية العمرية) ، ونعني بذلك الشجاعة والجرأة والقوة (التي يَبسُط بها الإنسان سلطانه على الأمور التي تهجم عليه من داخل نفسه أو خارجها ، فيحتويها بشخصيته ، ويستولي عليها بكيانه ، ويَملِك زمامها برأيه وحزمه؛ تلك هي قوة عمر ، وهي مِلاَك عظمته وسرُّ هذا الإعجاب الذي حَظي منه بأوفر نصيب عند المسلمين وغير المسلمين)[2].

وحياته العريضة مليئة بدلائل هذه الخِلال والشمائل التي خالَطَتْ لحمَه ودمَه ومُشَاش عَظْمه ، وكانت معه في كل مواقفه ، كما رأيْنا ذلك: في إسلامه ، واعتزاز الإسلام به ولياذِ ضَعَفة المسلمين بِحماه

---

(١) صحيح مسلم (٥٦٧).

(٢) عمر بن الخطاب ، لعبد الكريم الخطيب ، ص٢٧.

ومجاهرتهم بالصلاة عند الكعبة. وهكذا فعل عند هجرته وصَحِبَه ركبٌ من المسلمين. وفي (غزوة أُحد) وقد انتفج الشرك ونادى أبو سفيان بأن محمداً ﷺ وأبا بكر وعمر قد ماتوا! فلم يملك الفاروق نفسه فقال: (كذبتَ واللهِ يا عدوَّ الله، إن الذين عَدَدْتَ لأحياءٌ كلُّهم، وقد بقي لك ما يَسوءُكَ)!.

والمواقف الشاهدة كثيرة مبثوثة في هذا الكتاب.

وقِفْ ساعة تأمُّل عند قول النبي ﷺ: «**إيهاً يا ابنَ الخطاب، والذي نفسي بيده ما لَقيكَ الشيطانُ سالكاً فَجّاً قطُّ إلا سَلَكَ فَجّاً غيرَ فَجِّكَ**»!.

لقد بلغَتْ بعمر الجرأة والشجاعة والجِدّ، والقوة في كل ذلك؛ أن الشيطان لا يجرؤ أن يلتقي معه في طريق! بل في بعض روايات الحديث: «**إنَّ الشيطانَ لا يَلقى عمرَ منذُ أسلَمَ إلا خرَّ لوجْهِهِ**»! وهذا دالٌّ على صلابته في الدين، واستمرار حاله على الجِدِّ الصِّرْف والحق المَحض[1].

وبَلَغَ من قوَّة تديُّنه وجدِّه في كل شيء، أن ابنَه عبد الله ـ وهو من أخبر الناس به ـ وصفه فقال: (ما رأيتُ أحداً قطُّ بعدَ رسول الله ﷺ من حين قُبِضَ كان أجَدَّ وأجودَ حتى انتهى من عمر بن الخطاب)[2].

أي: لم يرَ بعد النبي ﷺ وأبي بكر أكثرَ من عمر جدّاً واجتهاداً وتشميراً في الأمور، وبقي على ذلك حتى انتهى به أجله[3].

---

(١) الفتح: ٨/ ٦٢٥ شرح الحديث (٣٦٨٣).
(٢) أخرجه البخاري (٣٦٨٧).
(٣) الفتح: ٨/ ٦٢٨.

بل إن النبي ﷺ وصفَه بذلك ، عندما سأل أبا بكر وعمر عن وقتِ وتْرِهما ، فذكر عمر أنه يوتر من آخر الليل ، فقال ﷺ: «**وأَمَّا أنتَ يا عمرُ فأخذتَ بالقوة**»[1] .

ولقد بقي الفاروق على جِدّه في حياته حتى الرَّمَق الأخير ، ففي حديث استشهاده عزم على ابنه عبد الله أن يحصي دَيْنَه ويقضيه ، وفي بعض الروايات قال له:

(يا عبد الله! أقسمتُ عليك بحقِّ اللهِ وحقِّ عمر إذا متُّ فدَفَنتني؛ أن لا تغسلَ رأسك حتى تبيع من رِباع آل عمر بثمانين ألفاً فتضعَها في بيت مال المسلمين)[2] .

سادساً: صراحته المطلقة:

تشكِّل الصراحةُ المطلقة في حياة عمر الخطَّ الواضحَ في شخصيته ، وهي مظهرُ القوة النفسية والشجاعة القلبية لعمر ، ولمواقفه الرائعة التي لا تقبل شيئاً من الهوادة أو اللِّين فيما هو حق ، أو فيما يراه هو أنه حق؛ سواء أكان في سلطان رسول الله ﷺ ، أو في إمرة أبي بكر ، أو كان هو صاحب السلطان[3] .

إن باطنَ عمر وظاهرَه شيءٌ واحد وصفحةٌ واحدة ، لا التواءَ عنده ولا غموض ، وإن لسانَه وقلبه وقولَه وفعله على نسق واحد. . . صراحة

---

(1) ابن ماجه (١٢٠٢). وانظر ما تقدم: ص١٧٦ ـ ١٧٧ حاشية (١) في هذا الكتاب.

(2) الفتح: ٨/ ٦٥٤ شرح الحديث (٣٧٠٠).

(3) انظر: عمر بن الخطاب ، للخطيب ، ص ٩٧ .

سامقة لا تداري ولا تداهن؛ فليس من شأن العبقري الصلب الحازم الجريء القوي أن يُداهِن ، ولا حاجة به إلى ذلك ، كان هذا دأبَ عمر في مواقفه مع رسولِ الله ﷺ وكبار أصحابه وأهله ورعيته والناس أجمعين.

●● عن عبد الله بن هشام قال: (كنَّا مع النبيِ ﷺ وهو آخِذٌ بيدِ عمر بن الخطاب ، فقال له عمر: يا رسولَ الله! لأنتَ أَحَبُّ إليَّ من كل شيء إلا من نفسي! فقال النبي ﷺ: «**لا والذي نفسي بيده ، حتى أكونَ أحَبَّ إليك من نفسك**» فقال له عمر: فإنه الآن واللهِ لأنتَ أحبُّ إليَّ من نفسي! فقال النبي ﷺ: «**الآنَ يا عمرُ**»)[1].

أية صراحة أجل وأخطر من هذه (الصراحة العمرية)؟!.

ـ في قصة (صلح الحديبية) وقد توقف في امتثال أمر النبي ﷺ ، يقول الفاروق في حديثه: (فعملتُ لذلك أعمالاً). أي عَمِل الأعمالَ الصالحة ليكفِّر عنه ما مضى من التوقف في الامتثال ابتداءً[2].

ـ وعن عبد الله بن عمر قال: قال عمر: (ما تعرَّضْتُ لإمارة قطُّ أحبَّ إليَّ أن أكونَ عليها إلا مرة واحدة؛ فإن قوماً أتوا النبيَّ ﷺ يَشكُون عاملَهم ، فقال: «**لأبعثنَّ إليكم رجلاً أميناً حَقَّ أمين**» قال: فتعرَّضتُ أن تُدرِكَني دعوةُ النبي ﷺ ، فأمَّر أبا عبيدة وتركني)[3].

ـ ولمَّا جاءته أموالُ الفتوحات الكثيرة؛ بكى وحمد الله ، وتلا قوله تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ

(١) أخرجه البخاري ، وقد تقدم مع شرحه: ص٧٧ ـ ٧٨ في هذا الكتاب.
(٢) انظر ما تقدم: ص١٠٣ ـ ١٠٤ في هذا الكتاب.
(٣) أخرجه الفسوي: ١/ ٤٨٨.

مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [آل عمران: ١٤] ، وقال: (اللهمَّ إنا لا نَستطيعُ إلاَّ أن نفرحَ بما زَيَّنته لنا ، اللهم إني أسألُك أن أُنْفِقَه في حقه)[١] .

●● وتبهرك صراحة عمر كذلك مع كبار إخوانه من الصحابة ومع غيرهم من الناس ، فمن ذلك:

ـ لما تأيَّمت ابنتُه حفصة، عَرض زواجها على عثمان بن عفان، فاعتذر إليه. ثم عرضها على أبي بكر، فصَمَت ولم يَرْجِع إليه بشيء. وخطبها رسول الله ﷺ فتزوجها ، فحَظِيت بأن كانت من سيدات بيت النبوة.

(قال عمر: فلقِيَني أبو بكر فقال: لعلك وَجَدتَ عليَّ حين عرضتَ عليَّ حفصة فلم أَرْجِع إليك شيئاً؟ قال عمر: قلت: نعم! قال أبو بكر: فإنه لم يمنعني أن أرجع إليك فيما عرضتَ عليَّ إلا أني كنتُ علمتُ أن رسول الله ﷺ قد ذكرها ، فلم أكن لأُفشيَ سرَّ رسول الله ﷺ ، ولو تركها رسول الله ﷺ قبِلْتُها)[٢] .

ـ ووفد إليه الربيع بن زياد من العراق ، فرأى طعامه الخشن ، فقال له: يا أمير المؤمنين! إنَّ أحقَّ الناس بطعام لَيِّنٍ ومركب ليِّن وملبس ليِّن لأنتَ. فرفع عمر جَريدة معه فضرب بها رأسه ، وقال: أمَا والله ما أَراك أردتَ بها الله ، وما أردتَ بها إلا مُقاربتي[٣]!.

---

(١) علَّقه البخاري قبل الحديث (٦٤٤١)؛ ووصله الدارقطني في «غرائب ابن مالك»؛ الفتح: ١٤/ ٣٩٧ ـ ٣٩٨؛ تغليق التعليق: ٥/ ١٦٤.

(٢) أخرجه البخاري (٥١٢٢)؛ والنسائي في الكبرى (٥٣٤٣).

(٣) طبقات ابن سعد: ٣/ ٢٨٠.

ـ وقال يوماً لأبي مريم الحَنَفِيِّ ، الذي قَتَل أخاه زيد بن الخطاب يوم اليَمامة: أنتَ قاتلُ زيد؟ فقال: أكرمه الله بيدي ، ولم يُهِنِّي بيده! قال: لا أحبُّك حتى تحبّ الأرضُ الدمَ المسفوح! قال: أَوَيمنعني ذَاك حقي عندك؟ قال: لا ، قال: فلا ضَيْرَ إذاً ، إنما يأسَى على الحب النساء[1].

سابعاً: هيبته في النفوس:

هيبة عمر في صدور الرجال لم تفارقه في حال من الأحوال حتى في مجلسه ومواقفه بين يدي الرسول الأعظم ﷺ ولم تكن هيبة مصطنعة ولا متكلَّفة ، وليست واردة عليه من ثوب الخلافة الذي لبسه ، وإنما هي محضُ منحةٍ ربانية جعلها الله تعالى له في قلوب الناس وعيونهم ، يهابونه على القُرب وعلى البُعد على السواء. وزاد من هيبته تلكم الصفات الفذة التي طُبع عليها والتي عرفه الناس بها وعرفوها به ، في كل حادث وموقف جليل أو دقيق.

وقد كان النبي ﷺ يَغتبِط بتلك (الهيبة العمرية) ، ويَسعد بأثرها في نصرة الحق وهزيمة الباطل. وقد أعلن ﷺ ذلك على الملأ في غير موقف تظهر فيه هيبة الناس لعمر.

ـ عن عبد الله بن عباس قال: (مكثتُ سنةً أُريد أن أسألَ عمر بن الخطاب عن آية فما أستطيع أن أسألَه هيبةً له!)[2].

ـ وفي حديث استشهاده الذي يرويه عَمْرو بن ميمون ، يقول:

---

(١) طبقات ابن سعد: ٣/ ٣٧٧ ـ ٣٨٧؛ أخبار القضاة: ١/ ٢٧١.

(٢) أخرجه البخاري (٤٩١٣) ، وقد تقدم الحديث بتمامه: ص ٨٨ ـ ٩٢ في هذا الكتاب.

(شهدتُ عمرَ يومَ طُعن ، فما مَنَعَني أن أكون في الصف المُقدَّم إلا هيبتُه ، وكان رجلاً مَهيباً ، فكنتُ في الصف الذي يليه)[1].

ـ وقال قَبيصة بن جابر: (ما رأيتُ رجلاً أهيبَ في صدور الرجال من عمر)[2].

●● عن سعد بن أبي وقاص قال: (استأذَنَ عمر بن الخطاب على رسول الله ﷺ ، وعنده نسوةٌ من قريشٍ يُكلِّمْنَه ويَستكْثِرْنَه ، عاليةً أصواتُهن على صوته ، فلما استأذنَ عمر بن الخطاب ، قُمْنَ فبادَرْنَ الحجابَ ، فأَذِنَ له رسول الله ﷺ ، فدخل عمر ورسول الله ﷺ يضحك ، فقال: أَضْحَكَ الله سِنَّكَ يا رسولَ الله! فقال النبي ﷺ: «**عجبتُ من هؤلاء اللاتي كنَّ عندي ، فلما سمعنَ صوتك ابتدرنَ الحجاب!**» قال عمر: فأنت أَحقُّ أن يَهَبْنَ يا رسول الله. ثم قال عمر: يا عدوَّاتِ أنفسهنَّ ، أَتَهَبْنَنَي ولا تَهبنَ رسول الله ﷺ؟! فقلنَ: نعم ، أنت أفظُّ وأغلظُ من رسول الله ﷺ. فقال رسول الله ﷺ: «**إيهاً يا ابنَ الخطاب ، والذي نفسي بيده ما لَقِيَكَ الشيطانُ سالكاً فجّاً قطُّ إلا سَلَكَ فجّاً غيرَ فَجِّك**»)[3].

لقد شهد النبي ﷺ لعمرَ بأن هيبتَه قد استوعبت قلوبَ الناس ، وتعدَّتْهم إلى الشيطان الذي مُلئَ منه رُعباً فكان يهرب من طريقه ، وإذا لقيه في سبيل خرَّ لوجهه!.

---

(١) طبقات ابن سعد: ٣/ ٣٤٠. وسيأتي الحديث بطوله: ص٧٠٧ ـ ٧١٠ في هذا الكتاب.

(٢) مختصر ابن عساكر: ١٨/ ٣٢٣؛ أسد الغابة: ٤/ ٦٠.

(٣) تقدم: ص٩٢ في هذا الكتاب.

وعن عائشة قالت: (كان رسول الله ﷺ جالساً، فسمعنا لَغَطاً وصوتَ الصبيان، فقام رسول الله ﷺ، فإذا حبشيَّةٌ تَزْفِنُ والصبيان حولها، فقال: **«يا عائشة! تعالَي فانظري»**، فجئتُ، فوضعتُ ذَقَني على مَنْكِب رسول الله ﷺ، فجعلتُ أنظر إليها ما بين المنكِب إلى رأسه، فقال لي: **«أَمَا شبعتِ»**، فجعلت أقول: لا، لأنظرَ منزلتي عنده، إذ طلَع عمرُ، فارفَضَّ الناس عنها، فقال رسول الله ﷺ: **«إنِّي لأنظرُ إلى شياطينِ الجن والإنس قد فَرُّوا من عمر»**! قالت: فرجعتُ)[1].

وعن الأسود بن سَرِيع قال: (أتيتُ النبي ﷺ فقلت: قد حَمِدتُ ربي بمحامدَ ومِدَحٍ، وإيَّاكَ، فقال: **«إن ربَّك يحبُّ الحمدَ»** فجعلتُ أُنشِدُه، فاستأذَن رجلٌ طُوال أصلع، فقال لي رسول الله ﷺ: **«اسكُتْ»**، فدخل فتكلَّم ساعة ثم خرج، فأنشدتُه، ثم جاء، فَسكَّتَني النبي ﷺ، ثم خرج، ففعل ذلك مرتين أو ثلاثاً، فقلت: يا رسول الله! مَن هذا الذي أَسْكَتَّني له؟! فقال: **«هذا عمر، هذا رجلٌ لا يحبُّ الباطلَ!»**)[2].

وهذه الحوادث تُكْبِر عمرَ مرة وتُكْبِر النبيَّ ﷺ مرات، فما كان ﷺ يرضى اللغو أو الباطل، حاشاه! بل هو الإمام المربي الذي يَسَع بأخلاقه الناس كلَّهم، وتتسع نفسه الشريفة لطبقاتهم وتصرفاتهم؛ فيأذَنُ لهم باللهو المباح. أما عمر فقد طُبع على الجِدّ والصرامة، ولا يستطيع كل

---

(١) أخرجه النسائي في الكبرى (٨٩٠٨)؛ والترمذي (٤٠٢٣) وقال: حسن صحيح غريب. تَزْفِن: ترقص.

(٢) أخرجه أحمد: ٣/ ٤٣٥؛ وأبو نعيم في الحلية: ١/ ٤٦، وغيرهما، وهو حديث حسن لغيره. وانظر: محض الصواب: ١/ ١٩٥ ـ ١٩٦.

الناس أن يسيروا على هديه وطريقته. وفي الوقت نفسه أعلى النبي ﷺ من شأن الفاروق وهديه، وزرع في نفوس الناس هيبته، وأثنى على صرامته وصلابته في الحق.. وتلكم هي أخلاق النبوة وهديها التي لا يدانيها أفذاذ العظماء.

ومن الطرائف ما حدَّث به عِكرمة: (أن حجَّاماً كان يقصُّ عمرَ بن الخطاب، وكان رجلاً مَهيباً، فتنحنح عمر، فأَحْدَث الحجَّام! فأمر له عمر بأربعين درهماً)[١].

●● وهذه المزيَّة قد لازَمتْ عمرَ في أيام خلافته، حتى خشي الناسُ من شدته وبأْسِه، وكلَّمه في ذلك عِلْيةُ الصحابة وأعيانُ مجلس الشورى في عهدِه: (فاجتمع عليٌّ وعثمان وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد، وكان أجرأَهم على عمر عبدُ الرحمن بن عوف، فقالوا: يا عبد الرحمن! لو كلَّمتَ أميرَ المؤمنين للناس، فإنه يأتي الرجل طالبُ الحاجة فتمنعُه هيبتُك أن يكلِّمَكَ في حاجته حتى يرجعَ ولم يقضِ حاجته! فدخل عليه، فكلَّمه فقال: يا أميرِ المؤمنين! لِنْ للناس؛ فإنه يَقْدَمُ القادم فتمنعُه هيبتُك أن يكلِّمَكَ في حاجته حتى يرجع ولم يُكلِّمْك! قال: يا عبد الرحمن! أَنَشُدُك الله أعليٌّ وعثمان وطلحة والزبير وسعد أَمَرُوك بهذا؟! قال: اللهم نعم، قال: يا عبد الرحمن! والله لقد لِنْتُ للناس حتى خشيتُ الله في اللِّين، ثم اشتددتُ عليهم حتى خشيتُ الله في الشدة فأينَ المخرجُ؟! فقام عبد الرحمن يبكي يجرُّ رداءه، يقول: أفٍّ لهم بعدك، أفٍّ لهم بعدك!)[٢].

---

(١) طبقات ابن سعد: ٣/ ٢٨٧؛ محض الصواب: ١/ ٢٧١ ـ ٢٧٢.

(٢) طبقات ابن سعد: ٣/ ٢٨٧ ـ ٢٨٨؛ مختصر ابن عساكر: ١٨/ ٣١٦.

وعن عُمر بن مرة قال: (لقي رجلٌ من قريش عمرَ ، فقال: لِنْ لنا فقد ملأتَ قلوبنا مهابة! فقال: أفي ذلك ظلمٌ؟ قال: لا ، قال: فزادني الله في صدوركم مهابة)[1] .

ثامناً: يقظة مستمرة وشعور عجيب بالمسؤولية:

وهذه الصفة في عمر تدهش المرءَ وتلحُّ عليه بالسؤال: كيف كان الفاروق على هذا النمط الفذ من اليقظة الدائمة والإحساس المرهف والشعور العجيب بالمسؤولية؟! ولن يجد جواباً إلا أن يقول: إنه كان يقسو على نفسه ويحمِّلها فوق ما تحتمل النفس البشرية ، إذ كان يرى أنه مسؤول عن كل حدث يحدث في الدولة الإسلامية من صغير الأمور وكبيرها. وإن ضميره مثقلٌ بالالتزامات التي فرضها عليه دينه ، وأوجبها عمر على نفسه.

كان عمر يقول: (لو مات جمل ضَيَاعاً على شطّ الفرات لخشيتُ أن يسألَني الله عنه)[2] .

وكان يُدخِل يده في دَبَرة البعير ويقول: إني لخائفٌ أن أُسأل عما بك[3]! .

إنه يرى نفسه مسؤولاً عن هذا الجمل أو تلك البغلة ، فكيف بظلم إنسان أو جماعة؟ كيف بهلاك إنسان أو جماعة جوعاً؟ وكيف بضياع أرامل وأيتام بمكان قريب أو بعيد منه؟ وهل هذا مما يمكن أن يقوم به

---

(١) محض الصواب: ١/ ٢٧٣.

(٢) طبقات ابن سعد: ٣/ ٣٠٥.

(٣) المرجع السابق: ٣/ ٢٨٦.

إنسان ، أو تحتمله طاقة؟ وهل يمكن أن يحمل الفاروق كل هذا الحمل ، ويقدر على الوفاء به؟![1] هذا ما كان عمر يحمله في مشاعره ويقيمه في وجدانه ، ويسعى ليلاً ونهاراً إلى القيام به! والمتأمل لسيرته وهديه وسياسته في خلافته يرى ذلكم الرجل القوي الأمين الذي قام بأعباء المسؤولية حقَّ القيام ، على أكملِ وجه وأتمِّه وأشملِه.

ـ وقدِم عليه خالد بن عُرْفُطة من العراق ، فسأله عما وراءه ، فقال: (يا أميرالمؤمنين! تركتُ مَنْ ورائي يسألون الله أن يزيد في عمرك من أعمارهم!) ، فذكر عطاءَ عمر الجزيلَ للناس ، فنصحه عمر ثم قال: (إِنَّ نصيحتي لك وأنت عندي جالس كنصيحتي لمن هو بأقصى ثغر من ثغور المسلمين ، وذلك لِما طوّقني الله من أمرهم ، قال رسول الله ﷺ: «مَن مات غاشّاً لرعيَّتِهِ لم يَرَحْ رائحة الجنة»)[2].

ـ وقبل استشهاده بأيام وقف على حذيفة بن اليمان وعثمان بن حُنَيف فقال لهما: (كيف فعلتُما ، أتخافان أن تكونا قد حَمَّلتُما الأرضَ ما لا تُطيق؟ قالا: حمَّلناها أمراً هي له مُطِيقةٌ)[3]. وكان قد بعثهما إلى أرض السَّواد يضربان عليها الخَراج وعلى أهلها الجزية ، فخشي أن يكونا قد فَرضا ما لا تحتمِلُه الأرض!.

والشواهد على هذه المزية كثيرة ، وسنفرد لها مبحثاً مستقلاً[4].

---

(١) انظر: عمر بن الخطاب ، لعبد الكريم الخطيب ، ص٢٥٢.

(٢) طبقات ابن سعد: ٣/ ٢٩٨ ـ ٢٩٩.

(٣) البخاري (٣٧٠٠).

(٤) انظر: ص٣١٢ ـ ٣١٧ في هذا الكتاب.

تاسعاً: سرعة تفاعله مع الأحداث واستجابته لها وعلاجها:

ما تقدم من خصائص ومزايا يستوجب صفة أخرى مكملة في بناء شخصية عمر الفذة، وهي أن يكون سريعَ التفاعل مع الأحداث، تامَّ الاستجابة لها، ماضياً في علاجها بأنجع الأساليب وأفضل الطرق.. وهكذا كان عمر.

إن الفاروق لا يعرف التسويفَ ولا التأخير، ولا يَقبل التهاون والمهادنة، ويأبى التخفُّفَ من المسؤوليات بالتعلاَّت الباطلة، ويرفض التفريق بين أمور كبار وأمور صغار... فكل ما يجري للإسلام وأهله ودياره جديرٌ بالنهوض له في عزمات الكبار، وبأسرع استجابة ممكنة، ويَحشد له كل قواته ومن يلي هذا الأمر أو ذاك.

هكذا كان في عصر النبوة، وفي عهد الصديق، وأتمَّ المسيرة على أنصع طرائقها إبان خلافته المباركة، حيث رأى نفسه المسؤول الأول عن كل شيء.

- رأى امرأة تُرِيض طِفلَها لتفطِمَه فتنال عطاء المولود، فعجَّل في الصباح وأمر مناديه فنادى: لا تُعجِلوا صبيانكم عن الفِطام؛ فإنا نَفرض لكل مولود في الإسلام. وكتب بذلك إلى الآفاق.

- وكان يَعسُّ ذات ليلة، فسمع امرأةً تقول الشعر في زوجها وقد غاب عنها مع الجيش وقد اشتاقت إليه، فأمر بردِّه إليها، وَكتب أمراً بأن لا تُحبس الجيوش فوق أربعة أشهر.

- وخرج ومعه مولاه أسلم ليلاً، فوجد امرأة مع صبيتها يَتَضاغَوْن

من الجوع ، فأسرع إلى (بيت الدقيق) ، وجاء بما يَـلزمهم ، وطبخ لهم وأطعمهم ، ومكث حتى رآهم يلعبون ويضحكون.

- وفي موقف آخر يمرُّ بامرأةٍ قد ضَربها المخاضُ ، فهبَّ ملبياً ومسرعاً إلى زوجته ، فجاءت بما يلزم المرأة حتى ولّدتها ، وبشَّر أمير المؤمنين زوجَها بغلام.

- وعَلِمَ أن أحدَ الرعية طلَّق نساءَه في مرضه ليحرمهنَّ الميراثَ ، فأَنَّبه عمر ، وأمره بمراجعتهن ، وقال له: وايمُ الله ، لئنْ مِتَّ قبل أن تُراجع نساءك وترجع مالك ، لأورثنَّ نساءك من مالِك ، ثم لأرجمنَّ قبرَك حتى أجعل عليه مثل ما على قبر أبي رِغال! فراجَعَ نساءه.

- وفي جبهة فارس علم عمر أن أحدَ قادة الجيش أمر جنديّاً أن يخوض الماء ليلاً لينظر مخاضة للجيش يَعبُر منها ، وكان الجو بارداً ، ففعل الرجل ، فمات. فعزل عمر هذا القائد وقال له: لولا أن تكون سنة لأقَدْتُ منك ، لا تعمل لي على عمل أبداً.

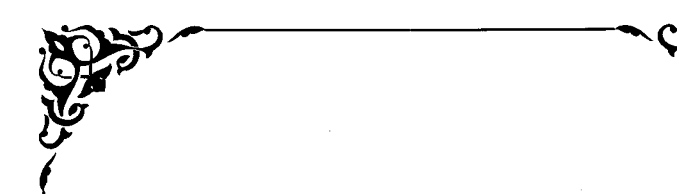
وسيأتي تفصيل ذلك وزيادة عليه ، والأمثلة تفوت الحصر.

عاشراً: خصائص وصفات أخرى جليلة:

وثَمَّة خَصائص جليلة أسمهت بوضوح في تكوين شخصية عمر ، قد أشرنا إليها في غير موضع ، وهي تتكامل مع ما فصَّلنا القولَ فيه في هذا الفصل ، وهي: الزهد والورع والإخلاص والتواضع والحلم والرقة والرحمة ومحاسبة النفس والغيرة على العرض والدين والمال ، والعلم الباهر والنظام الدقيق ، وكل مزايا القيادة الفذة!.

* * *





الباب الخامس

فضائل الفاروق ومكانته

- المبشَّر بالجنة .
- مناقبه وفضائله .
- مكانته عند النبي ﷺ .
- مكانته عند الصحابة والتابعين وعامة المسلمين .

* * *



الفصل الأول

المبشر بالجنة

اشْتَهَر جمعٌ من الصحابة بأنهم مبشَّرون بالجنة بأعيانهم والنصِّ على أسمائهم ، وفي مقدمة هؤلاء العشرةُ المبشرون الكبار الذين انتظَم أسماءَهم حديثٌ واحد في نسق واحد ، وفي غُرَّتهم الخلفاء الراشدون الأربعة ، ويأتي الفاروق في المرتبة الثانية بعد الصِّدِّيق الأكبر.

وقد ثبتت أحاديث كثيرة تحمل إلى عمر البشرى بالجنة ، نشير إلى طائفة منها:

١ ـ عن أبي موسى الأشعري قال: (كنتُ مع النبي ﷺ في حائطٍ من حيطان المدينة ، فجاء رجلٌ فاسْتَفْتَحَ ، فقال النبي ﷺ: **«افتَحْ له وبَشِّرْه بالجنة»** ، ففتحتُ له فإذا أبو بكر ، فبشَّرْتُه بما قال رسول الله ﷺ ، فحمدَ الله. ثم جاء رجلٌ فاستَفْتَحَ ، فقال النبي ﷺ: **«افتَحْ له وبشِّره بالجنة»** ، ففتحتُ له فإذا هو عمر ، فأخبرته بما قال النبي ﷺ ، فحمدَ الله. ثم استَفْتَح رجلٌ ، فقال لي: **«افتَحْ له وبَشِّرْه بالجنة على بَلْوى تُصِيبُه»** ، فإذا عثمانُ ، فأخبرته بما قال رسول الله ﷺ ، فحمدَ الله ، ثم قال: اللهُ المستعانُ)[1].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٩٣)؛ ومسلم (٢٤٠٣)؛ والنسائي في الكبرى (٨٠٧٦) ، وغيرهم.

٢ ـ وعن عبد الرحمن بن عوف قال: قال النبيُّ ﷺ: «**عَشَرَةٌ في الجنة: أبو بكر في الجنة، وعمرُ في الجنة، وعثمان في الجنة، وعليٌّ في الجنة، والزبيرُ في الجنة، وطلحةُ في الجنة، وابن عوفٍ في الجنة، وسَعْد في الجنة، وسعيد بن زيد في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة**»[(١)].

وروى مثلَه سعيد بن زيد، وهو في السنن وغيرها، وهو حديث صحيح.

٣ ـ وعن جابر بن عبد الله قال: (قال رسول الله ﷺ: «**أُرِيتُ أنّي دخلتُ الجنة، وإذا قصرٌ أبيضُ بفِنائه جاريةٌ، فقلت: لمن هذا يا جبريل؟ قال: هذا لعمر بن الخطاب، فأردتُ أن أدخلَه فأنظرَ إليه، فذكرتُ غَيْرَتَك**»! فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، أَوَ عليكَ أغارُ؟!)[(٢)].

٤ ـ وعن أبي سعيد الخُدْري: قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ أهلَ الدرجات العُلى لَيَراهم مَنْ تحتهم كما ترون النجم الطالع في أُفقِ السماء، وإن أبا بكر وعمرَ منهم، وأَنْعَمَا**»[(٣)].

---

(١) أخرجه النسائي في الكبرى (٨١٣٨)؛ والترمذي (٤٠٨٠)؛ وابن حبان (٧٠٠٢)؛ وصححه أحمد شاكر والألباني وشعيب الأرنؤوط.

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٧٩)؛ ومسلم (٢٣٩٤)؛ والنسائي في الكبرى (٨٠٧٠)، وغيرهم. وتقدم من حديث أبي هريرة: ص١٩٩ ـ ٢٠٠ في هذا الكتاب. قوله: (**أو عليك أغار؟**): هو من قلب الكلام، والأصل: (أعليها أغار منك؟).

(٣) أخرجه أبو داود (٣٩٨٧)؛ والترمذي (٣٩٨٧)؛ وأحمد: ٣/٢٦، ٢٧، ٥٠، ٦١، وغيرهم. وحسنه الترمذي والبغوي وصححه الألباني. قوله «**وأنعما**»: أي زادا على تلك الرتبة والمنزلة.

٥ ـ وعن علي بن أبي طالب قال: (كنتُ مع رسول الله ﷺ، إذ طَلَع أبو بكر وعمر، فقال رسول الله ﷺ: **«هذانِ سيِّدا كهولِ أهلِ الجنة من الأولين والآخِرين، إلا النبيين والمرسلين، يا عليّ لا تُخْبِرْهما»**)[1].

وثمة أحاديث أخرى.

* * *

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٩٩٥، ٣٩٩٦)؛ وابن ماجه (٩٥)؛ وعبد الله بن أحمد في زياداته على المسند (٦٠٢)، وصححه أحمد شاكر والألباني.

الفصل الثاني

مناقبه وفضائله

شهد النبي ﷺ لسيدنا عمر بكثرة فضائله وعلو مكانته وجلالة أعماله ومواقفه، وأعلن ذلك على الأشهاد في مكة والمدينة، وفي سفره وحضره، ومجالسه ومشاهده، وأثنى على هديه وسيرته، وحض الأمة على الاقتداء به، وانتهاج سبيله.

١ ـ عن عُقْبة بن عامر الجُهَنيِّ: أن رسول الله ﷺ قال: «**لو كانَ بَعْدي نبيٌّ لكانَ عمرَ بنَ الخطاب**»[١].

٢ ـ وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**لقد كان فيما قَبْلَكم من الأُمم ناسٌ مُحَدَّثون، فإنْ يكُ في أمتي أحدٌ فإنَّه عمرُ**»[٢].

وقوله: «**فإن يك في أمتي**»: لم يورده مورد الترديد، وإنما أورده موردَ التأكيد؛ كما يقول الرجل: إنْ يكن لي صديقٌ فإنه فُلان، يريد اختصاصَه بكمالِ الصداقة لا نفيَ الأصدقاء[٣].

---

(١) أخرجه الترمذي (٤٠١٨) وقال: حسن غريب؛ والفسوي: ١/ ٤٦٢، والحاكم: ٣/ ٨٥ وصححه ووافقه الذهبي؛ وهو في صحيح الجامع (٥٢٨٤).

(٢) تقدم مع شرحه: ص١١٢ ـ ١١٣ في هذا الكتاب.

(٣) الفتح: ٨/ ٦٣٠ شرح الحديث (٣٦٨٩).

٣ ـ وعن عبد الله بن عمر: أن رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ اللهَ جعلَ الحقَّ على لسانِ عمرَ وقَلْبِه**»[(١)].

٤ ـ وعن أبي هريرة: (أنَّ رسول الله ﷺ كان على جبل حِرَاءٍ، فتحرَّك، فقال رسول الله ﷺ: «**اسكُنْ حِراءُ، فما عليكَ إلا نبيٌّ أو صِدِّيقٌ أو شهيدٌ**». وعليه: النبي ﷺ، وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهم)[(٢)].

٥ ـ وعن أنس: (أنَّ نبيَّ الله ﷺ صَعِد أُحداً، ومعه أبو بكر وعمر وعثمان، فرَجَفَ بهم، فضَربَه برِجْلِه، وقال: «**اثْبُتْ، فإنما عليك نبيٌّ وصِدِّيقٌ وشهيدان**»)[(٣)].

٦ ـ وعن أبي بَكْرة: (أنَّ النبيَّ ﷺ قال ذاتَ يوم: «**مَن رأى منكم رؤيا؟**» فقال رجل: أنا، رأيتُ ميزاناً نزل من السماء، فَوُزِنْتَ أنت وأبو بكر فرجحتَ أنت بأبي بكر، ثم وُزِنَ عمرُ وأبو بكر فرَجَح أبو بكر، ثم وُزِن عمر وعثمان فرَجَح عمر، ثم رُفِعَ الميزانُ! فرأيتُ الكراهيةَ في وجه رسول الله ﷺ)[(٤)].

٧ ـ وعن عبد الله بن عمر قال: (خرج علينا رسول الله ﷺ ذات غداةٍ

---

(١) تقدم: ص١١١ ـ ١١٢ في هذا الكتاب.

(٢) أخرجه مسلم (٢٤١٧)؛ والنسائي في الكبرى (٨١٥٠)؛ والترمذي (٤٠٢٩)، وغيرهم.

(٣) أخرجه البخاري (٣٦٧٥)؛ والنسائي في الكبرى (٨٠٧٩)، وغيرهما.

(٤) أخرجه النسائي في الكبرى (٨٠٨٠)؛ وأبو داود (٤٦٣٤، ٤٦٣٥)؛ والترمذي (٢٤٤٠) وحسنه؛ والحاكم: ٣/ ٧١ وصححه وأقره الذهبي.

بعد طلوع الشمس ، فقال: «**رأيتُ قُبيل الفجر كأني أُعطيت المقاليدَ والموازينَ ، فأما المقاليدُ فهذه المفاتيحُ ، وأما الموازينُ فهي التي تَزِنُون بها فَوُضِعتُ في كِفَّة ووُضِعَتْ أمتي في كِفَّة فَوُزِنتُ بهم فرجحتُ ، ثم جيء بأبي بكر فَوُزِنَ بهم فَوَزَن ، ثم جيء بعمرَ فوُزِن فوَزَنَ ، ثم جيء بعثمان فوَزَنَ بهم ، ثم رُفِعَتْ**»[1] .

٨ ـ وعن جابر بن عبد الله : أنه كان يُحدِّث : (أن رسول الله ﷺ قال : «**أُرِيَ الليلةَ رجلٌ صالحٌ أن أبا بكر نِيطَ برسول الله ﷺ ، ونِيطَ عمرُ بأبي بكر ، ونِيطَ عثمانُ بعمرَ**». فلما قُمنا من عند رسول الله ﷺ ، قلنا : أمَّا الرجلُ الصالح فرسولُ الله ﷺ ، وأمَّا ما ذَكَر من نَوْط بعضهم بعضاً؛ فَهم ولاةُ هذا الأمر الذي بَعَث الله عز وجل به نبيَّه ﷺ)[2] .

٩ ـ وعن أبي سعيد الخُدْري قال : (سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : «**بَيْنا أنا نائمٌ رأيتُ الناسَ عَرِضُوا عليَّ وعليهم قُمُصٌ ، فمنها ما يَبْلُغ الثُّدِيَّ ، ومنها ما يَـبْلُغ دونَ ذلك ، وعُرِضَ عليَّ عمرُ وعليه قميصٌ اجْتَرَّهُ**»! قالوا : فما أَوَّلْتَهُ يا رسول الله؟ قال : «**الدِّينَ**»)[3] .

١٠ ـ وعن أنس : أن النبي ﷺ قال : «**أرحمُ أمتي بأمتي أبو بكر ،**

---

(١) أخرجه أحمد : ٢/ ٧٦ حديث (٥٤٧١)؛ وابن أبي عاصم في السنة (١١٣٨) وصححه أحمد شاكر والألباني .

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٣٦)؛ وأحمد (١٤٨٢١)؛ وابن أبي عاصم في السنة (١١٣٤)؛ وابن حبان (٦٩١٣)؛ والحاكم : ٣/ ٧١ ـ ٧٢ وصححه ووافقه الذهبي . **نِيط** : عُلِّق . **والنَّوْط** : التعليق .

(٣) تقدم : ص١٧٢ في هذا الكتاب .

وأشدُّهم في أمرِ الله عمر ، وأصدقُهم حياءً عثمانُ. . . » الحديث[1] .

١١ ـ وعن حذيفة بن اليمان قال : (كنَّا جلوساً عند النبي ﷺ فقال : **«إنِّي لا أدري ما قَدْرُ بقائي فيكم؛ فاقتَدُوا باللَّذَيْنِ من بعدي»** ، وأشار إلى أبي بكر وعمر ، **«واهْتَدوا بهَدْي عَمَّار ، وما حَدَّثكم ابنُ مسعود فَصَدِّقُوه»**)[2] .

١٢ ـ وعن أبي قتادة قال : قال رسول الله ﷺ : **«إنْ يُطِعِ الناسُ أبا بكر وعمرَ ، قد أَرْشَدُوا»**[3] .

وهناك أحاديث أخرى كثيرة مرَّت وستمرُّ في ثنايا الكتاب .

* * *

---

(١) أخرجه النسائي في الكبرى (٨١٨٥)؛ والترمذي (٤١٢٥) وقال : حسن صحيح؛ وابن ماجه (١٥٤) ، وغيرهم. وانظر ما تقدم : ص٢١٢ وما بعدها في هذا الكتاب .

(٢) أخرجه الترمذي (٣٩٩١) وحسنه؛ وابن ماجه (٩٧)؛ والطحاوي في شرح مشكل الآثار (١٢٢٤)؛ وابن حبان (٦٩٠٢) وصححه الألباني وشعيب الأرنؤوط .

(٣) أخرجه ابن حبان (٦٩٠١) ، وهو قطعة من حديث طويل عند مسلم (٦٨١) .

الفصل الثالث

مكانته عند النبي ﷺ

أبو بكر وعمر أشهرُ من الشمس في حياة رسول الله ﷺ ، والصديق أولاً والفاروق ثانياً هما أفضلُ أصحاب النبي ﷺ وأحبُّهما من الرجال إلى قلبه ، وأقربُهما إليه ، وأجلُّهما عنده ، كانا منه بمنزلة السمع والبصر ، يحبُّهما ويجلّهما ويُكرمهما ويقربهما منه ويدنيهما إليه ، ويثني عليهما في شهودهما وغَيبتهما ، وحضَّ الأمة على توليهما والاقتداء بهما وإطاعة أمرهما ، وأَشْهَرَ ذلك في المواقف والمشاهد. وأضحت منزلتهما من قلبه مشهَّرة معروفة عند العامة والخاصة ، وسائرةً بين المسلمين منذ عهد الرسالة وإلى يومنا وإلى ما شاء الله ، لا يجادل في ذلك إلا مكابِر معانِد مبغِض مذمومٌ من الله ورسوله وعامة المسلمين.

١ ـ عَن عَمْرو بن العاص قال: (استعملَني رسول الله ﷺ على جيش ذات السَّلاسِل ، فأتيتُه ، فقلتُ: يا رسول الله! أيُّ الناس أحبُّ إليك؟ قال: «**عائشةُ**» ، قلت: من الرِّجال؟ قال: «**أبوها**» ، قلت: ثم مَنْ؟ قال: «**ثم عمرُ**». فَعَدَّ رجالاً)[1].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٦٢)؛ ومسلم (٢٣٨٤)؛ والنسائي في الكبرى (٨٠٦٣) ، وغيرهم.

٢ ـ وعن أبي هريرة قال: (صلَّى رسولُ الله ﷺ صلاةَ الصبح، ثم أقبلَ على الناس فقال: «**بَيْنا رجلٌ يَسوق بقرةً إذ ركِبَها فضَرَبَها، فقالت: إنَّا لم نُخلَقْ لهذا، إنما خُلقنا للحَرْث**»! فقال الناس: سبحانَ الله! بقرة تَكلَّمُ؟! فقال: «**فإني أُومِنُ بهذا أنا وأبو بكر وعمر**»، وما هما ثَمَّ. «**وبينما رجلٌ في غنمِه إذ عَدَا الذئبُ فذَهَب منها بشاة، فطلَبَ حتى كأنه استنقذَها منه، فقال له الذئب: هذا استنقذتَها منِّي، فمن لها يوم السَّبُع، يوم لا راعيَ لها غيري؟!**» فقال الناس: سبحانَ الله! ذئبٌ يتكلم؟! قال: «**فإني أُومِن بهذا أنا وأبا بكر وعمر**»، وما هما ثَمَّ)[1].

وقوله: (**وما هما ثَمّ**): قال العلماء: إنما قال النبي ﷺ ذلك ثقةً بصاحبيه أبي بكر وعمر؛ لعلمه بصدقِ إيمانهما، وقوة يقينهما، وكمالِ معرفتهما لعظيم سلطان الله وكمال قدرته[2].

٣ ـ وفي حديث علي بن أبي طالب قال: (كنتُ أُكَثِّرُ أسمعُ رسول الله ﷺ يقول: «**جئتُ أنا وأبو بكر وعمر، ودخلتُ أنا وأبو بكر وعمر، وخرجتُ أنا وأبو بكر وعمر**»).

وفي رواية: «**كنتُ وأبو بكر وعمر، وفعلتُ وأبو بكر وعمر، وانطلقتُ وأبو بكر وعمر**»[3].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٧٤١)؛ ومسلم (٢٣٨٨)؛ والنسائي في الكبرى (٨٠٥٧)، وغيرهم.

(٢) شرح مسلم، للنووي: ٨/ ١٧٠.

(٣) أخرجه البخاري (٣٦٧٧)، وغيره، وسيأتي بتمامه: ص٧١٢ في هذا الكتاب.

٤ ـ وعن عبد الله بن هشام قال: (كنا مع النبي ﷺ وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب. . .) الحديث[١].

٥ ـ وعن عبد الله بن حَنْطَب قال: (كنتُ مع رسول الله ﷺ، فنَظَر إلى أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فقال: «**هذانِ السمعُ والبصرُ**»)[٢].

٦ ـ وعن ابن أبي مُلَيْكَة قال: (سمعتُ عائشةَ وسُئلت: مَن كان رسول الله ﷺ مُستخلِفاً لو استَخْلَفَه؟ قالت: أبو بكر. فقيل لها: ثم مَن بعد أبي بكر؟ قالت: عمر. ثم قيل لها: مَن بعد عمر؟ قالت: أبو عبيدة بن الجراح. ثم انتهت إلى هذا)[٣].

٧ ـ وعن عبد الرحمن بن غَنْم الأشعريِّ: أن النبي ﷺ قال لأبي بكر وعمر: «**لو اجتمعتُما في مشورة ما خالفتُكما**».

وفي رواية: «**لو أنكما تتفقانِ على أمرٍ واحدٍ ما عصيتُكما في مشورة أبداً**»[٤].

* * *

(١) تقدم بتمامه: ص٧٧ في هذا الكتاب.

(٢) أخرجه الترمذي (٤٠٠٢)؛ والحاكم: ٣/ ٦٩ وصححه، وقال الذهبي: حسن. وصححه الألباني في صحيح الترمذي: ٣/ ٢٠١؛ وصحيح الجامع (٧٠٠٤)؛ وأطال وأجاد الكلام عليه في الصحيحة (٨١٤). وقصَّر الشيخ شعيب في تخريجه وأخطأ في تضعيفه في تعليقه على الترمذي.

(٣) أخرجه مسلم (٢٣٨٥)؛ والنسائي في الكبرى (٨١٤٥)، وغيرهما.

(٤) أخرجه أحمد: ٤/ ٢٢٧؛ وأسد بن موسى في «فضائل الصحابة»؛ والفسوي في «المعرفة» كما ذكر الحافظ وقال: بسند لا بأس به؛ انظر: الفتح: ١٧/ ١٩٧، الاعتصام، باب قوله تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾.

الفصل الرابع

مكانته عند الصحابة والتابعين
وعامة المسلمين

تواترت أقوال الصحابة رضي الله عنهم في سيدنا عمر بما يُشيد بفضله ، ويشهد بعلوِّ قدره ، ويُنزِله بالمنزلة السامقة اللائقة به. وهم شهداء الله في أرضه ، الذين زكَّاهم في مُحكَم كتابه ، وأثنى عليهم النبي ﷺ في صحيح سنَّته؛ أولئك صحابة نبينا ﷺ الذين لهم عقيدة راسخة ، وحلوم راجحة ، وألسنة صادقة ، وقلوب لا تهاب أن تقول الحق في إنسان. وعلى هديهم الرشيد سار التابعون لهم بإحسان ، وأكابر علماء الأمة وعامة المسلمين. و كذلك شهادة الواقع عبر التاريخ الطويل ، الذي لا يمكن معاندته ، لأن إنكاره كإنكار المحسوس الذي تقع عليه الأيدي ولا تغمض عنه العيون.

عن أنس بن مالك: (أن رجلاً سأل النبيَّ ﷺ عن الساعة فقال: متى الساعةُ؟ قال: «**وماذا أعددتَ لها؟**» قال: لا شيءَ إلا أني أُحبُّ اللهَ ورسولَه ﷺ ، فقال: «**أنت مع مَن أحببتَ**». قال أنس: فما فَرِحْنا بشيء ، فَرَحَنا بقول النبي ﷺ: «**أنت مع مَن أحببتَ**». قال أنس: فأنا

أحبُّ النبي ﷺ وأبا بكر وعمر ، وأرجو أن أكون معهم بِحُبِّي إياهم ، وإنْ لم أعملْ بمثلِ أعمالِهم)[1].

فهذا أنس الصحابي الجليل الذي صحِب رسول الله ﷺ عشر سنين ، وخدمه خدمة تامة ، وتربى في حَجْره ، واقتبس من أنوار هديه ـ يرجو أن يُحشر مع أبي بكر وعمر ، وإن كان عمله يَـقصر عن ذلك! فاللهمَّ إنا نُشهدك أنا نحبُّ الصحابة عامة وأبا بكر وعمر خاصة ، ونحبُّ من أحبَّهما ، ونُسالِم من سالمهما ، ونُبغِض فيك من أبغضهما ، ونُعادي من عاداهما.

وقد كان رأيُ عامة الصحابة في الفاروق الثناءَ والحمد والإجلال والإكبار ، ومع طول مدة خلافته لم يتغير رأي المسلمين فيه ، إذ الحكم يَخلق العدوان ويفتق أسباب التباعد في الظنون والآراء ، لكن شهادة الواقع تُثبت وتنطق بأن الذين كانوا يخشون شدة عمر وغلظته وقسوته قد تلاشت ظنونهم[2].

وأجمعت الأمة على إطرائه والثناء عليه في مدة حكم زادت على عشر سنوات ، في أمة ضمت أجناساً وأعراقاً متنوعة وآراء متباينة ، في رقعة مترامية بين المشرق والمغرب. وشهادة الواقع هذه تدفع كل أفَّاك أثيم ، وتكشف سوءات كل مُبغِض قد أكل الحقدُ قلبه وأعمى الهوى بصره وبصيرته.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٨٨)؛ ومسلم (٢٦٣٩).
(٢) انظر: عبقرية عمر ، ص ١٦٤.

أولاً: من أقوال علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

١ ـ عن محمد بن علي المعروف بابن الحَنَفِيَّة قال: (قلتُ لأبي: أيُّ الناسِ خيرٌ بعد رسول الله ﷺ؟ قال: أبو بكر. قلتُ: ثم مَنْ؟ قال: ثم عمر. وخشيتُ أن يقول: عثمانُ، قلتُ: ثم أنت؟ قال: ما أنا إلا رجلٌ من المسلمين)[١].

٢ ـ وعن أبي جُحَيْفَةَ وَهْب السُّوَائي قال: (خطبنا علي رضي الله عنه فقال: مَن خيرُ هذه الأمة بعد نبيِّها؟ فقلتُ: أنت يا أمير المؤمنين، قال: لا، خيرُ هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر، ثم عمر رضي الله عنهما، وما نُبْعِدُ أن السكينة تنطِقُ على لسان عمر رضي الله عنه)[٢].

وفي رواية عن أبي جُحيفة قال: قال علي: (وَيْحَكَ يا أبا جُحيفة! لا يجتمعُ حُبِّي وبغضُ أبي بكر وعمر في قلب مؤمن، ويحكَ يا أبا جحيفة! لا يجتمعُ بُغضي وحبُّ أبي بكر وعمر في قلب مؤمن)[٣].

وعن حَبيب بن أبي ثابت، عن (عَبْدِ خَيْر الهَمْداني قال: سمعت علياً رضي الله عنه يقول على المِنْبر: أَلا أُخبركم بخير هذه الأمة بعد نبيِّها؟ قال: فذَكَرَ أبا بكر. ثم قال: أَلاَ أُخبركم بالثاني؟ قال: فذَكَر عمَر. ثم قال: لو شئتُ لأنبأتكم بالثالث، قال: وسكت. فرأَيْنا أنه يعني نفسَه.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٧١)؛ وأبو داود (٤٦٢٩)، وغيرهما.

(٢) أخرجه عبد الله بن أحمد في زياداته على المسند: ١/١٠٦ (٨٣٤)؛ وصححه أحمد شاكر.

(٣) أخرجه ابن عساكر في ترجمة أبي بكر، ص ٤٧٠.

فقلت: أنتَ سمعتَه يقول هذا؟ قال: نعم وربِّ الكعبة، وإلا صُمَّتا)[1].

ورواه عن علي أيضاً جماعة من التابعين، منهم: عَلْقمة بن قيس، وزِرُّ بن حُبيش، وسُويد بن غَفَلَة، وآخرون.

ورواه عنه من الصحابة: أبو جُحيفة كما تقدم، وأبو هريرة، وابن عباس، وأنس بن مالك، وعَمْرو بن حُريث.

وثَبَتَ عن عَبْد خَيْر: أن عليّاً قال هذا بعد موقعة الجمل سنة (٣٦هـ)[2].

قال ابن تيمية: تواتر عن أمير المؤمنين علي من الوجوه الكثيرة أنه قاله على منبر الكوفة[3].

وذكر الذهبي هذا الحديث، ثم قال: (هذا والله العظيم قالَه عليٌّ! وهو متواترٌ عنه، لأنه قالَه على مِنبر الكوفة، فقاتَلَ الله الرافضةَ ما أَجْهَلَهم!)[4].

٣ـ وعن عَلْقمة بن قيس قال: سمعتُ عليّاً على المِنْبر ـ فضَرب[5] بيده على منبر الكوفة ـ يقول: (بَلَغني أن قوماً يُفضِّلوني على أبي بكر

(١) أخرجه أحمد (٨٧٩، ٩٠٩)؛ وابن أبي عاصم في السنة (١٢٠٨)؛ وصححه أحمد شاكر والألباني.
(٢) أخرجه عبد الله بن أحمد في زياداته على المسند (١٠٣١)؛ وصححه أحمد شاكر.
(٣) منهاج السنة: ١/ ٨، ٩، ٣/ ٥٩٩.
(٤) تاريخ الإسلام ـ عهد الخلفاء الراشدين، ص ١١٥.
(٥) أي: علقمة، كما بينَتْه رواية المسند.

وعمر! ولو كنتُ تقدَّمتُ في ذلك لعاقبتُ فيه ، ولكنِّي أكره العقوبة قبل التقدمة ، مَنْ قال شيئاً من هذا فهو مفترٍ ، عليه ما على المفتري . إنَّ خيرَ الناسِ رسولُ الله ﷺ ، وبعد رسول الله ﷺ أبو بكر ، ثم عمر ، وقد أَحْدَثْنَا أحداثاً يقضي الله فيها ما أحَبَّ)[1] .

وثمة أقوال أخرى لعلي سيأتي بعضها، ومنه ثناؤه عليه يوم استشهاده .

ثانياً: طرف من أقوال الصحابة رضي الله عنهم:

٤ ـ عن عبد الله بن عمر قال : (كنَّا نُخَيِّر بين الناس في زمن النبي ﷺ ، فنُخَيِّر أبا بكر ، ثم عمر بنَ الخطاب ، ثم عثمانَ بن عفان ، رضي الله عنهم)[2] .

٥ ـ وقال أبو عبيدة بن الجراح : (إنْ مات عمر رَقَّ الإسلام ، ما أُحِبَّ أن لي ما تطلُع عليه الشمس أو تغرب وأني أبقى بعد عمر)[3] .

٦ ـ وعن زيد بن وَهْب قال : (أتينا ابنَ مسعود فذكر عمر ، فبكى حتى ابتلَّ الحصى من دموعه ، وقال : إن عمر كان حِصْناً حَصيناً للإسلام يَدخلون فيه ولا يَخرجون منه ، فلما مات عمر انثَلَمَ الحِصْن فالناس يخرجون من الإسلام)[4] .

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٩٩٣) وحسنه الألباني؛ وبأخصر منه في زوائد عبد الله بن أحمد على المسند (١٠٥١) وصححه أحمد شاكر .

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٥٥)؛ وأبو داود (٤٦٢٧ ، ٤٦٢٨)؛ والترمذي (٤٠٤٠) ، وغيرهم .

(٣) طبقات ابن سعد : ٣/ ٣٧٢ .

(٤) المرجع السابق : ٣/ ٣٧١؛ مصنف ابن أبي شيبة : ٧/ ٤٧٩ ، ٤٨٤؛ المستدرك : ٣/ ٩٣ .

وقال ابن مسعود أيضاً: (إذا ذُكِر الصالحون فَحَيَّهَلا بعمرَ ، إنَّ إسلامه كان فتحاً ، وإن هجرته كانت نصراً ، وإن إمارته كانت رحمة. وايمُ الله ما أعلمُ على الأرض شيئاً إلا وقد وَجَدَ فَقْدَ عمر حتى العِضَاه! وايمُ الله إني لأحسبُ بين عينيه مَلَكاً يسدِّده ويُرشِده! وايمُ الله لو أعلمُ كلباً يحبُّه عمرُ لأحببتُه!)[1].

٧ـ وقال حذيفة بن اليمان: (كان الإسلام في زمن عمر كالرجلِ المُقْبِل لا يزدادُ إلا قُرْباً ، فلما قُتِل عمر كان كالرجلِ المُدْبِر لا يزدادُ إلا بُعداً)[2].

نقول: قول ابن مسعود وحذيفة وما يشبههما إنما يُراد به بيانُ عِظَم الفجيعة بموت عمر رضي الله عنه ، والإسلامُ في حِصن حَصين إلى يوم الدين.

٨ـ وقال ابن عباس: (أَكْثِروا ذِكْرَ عمر ، فإن عمر إذ ذُكر ذُكر العدلُ ، وإذا ذُكر العدل ذُكر الله!)[3].

وكان ابن عباس يخدم الفاروقَ في السفر ، يقول: (خرجتُ معه حاجّاً ، فلما كنَّا بظَهْرانَ ذهبَ عمر لحاجتِه ، فقال: أَدْرِكْني بالوَضُوء ، فأدركتُه بالإداوة ، فجعلتُ أسكُبُ عليه. . .) الحديث[4].

وسيأتي ثناؤه عليه في خبر استشهاده.

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة: ٧/ ٤٨٠ ، طبقات ابن سعد: ٣/ ٢٧٠ ، ٣٧٢.

(٢) طبقات ابن سعد: ٣/ ٣٧٣؛ المستدرك: ٣/ ٨٤.

(٣) محض الصواب: ٣/ ٩١٣.

(٤) البخاري (٤٩١٥).

٩ ـ وقال عمار بن ياسر: (مَن فَضَّل على أبي بكر وعمر أحداً من أصحاب النبي ﷺ، فقد أَزْرَى بالمهاجرين والأنصار، وطَعَن على أصحاب النبي ﷺ)[١].

١٠ ـ وعن أم المؤمنين عائشة قالت: (مَن رأى ابنَ الخطاب عَلِمَ أنه خُلِقَ غَناءً للإسلام، كان والله أَحْوَذِيّاً نسيجَ وحْدِهِ، قد أَعَدَّ للأمور أقرانها)[٢].

وعن جابر بن عبد الله قال: (قيل لعائشة: إن ناساً يتناولون أصحابَ رسولِ الله ﷺ، حتى إنهم ليتناولون أبا باكر وعمر! فقالت: أتعجبون من هذا؟ إنما قُطِع عنهم العملُ، فأحَبَّ الله أن لا يَقطع عنهم الأجرَ!)[٣].

ثالثاً: شذرة من أقوال التابعين فمن بعدهم:

١ ـ قال مسروق: (حبُّ أبي بكر وعمر ومعرفةُ فضلهما من السنّة)[٤].

٢ ـ وقال محمد بن سيرين: (ما أَظنُّ رجلاً يَنتقِصُ أبا بكر وعمر يحبُّ النبيَّ ﷺ)[٥].

٣ ـ وقال عبد العزيز بن جعفر اللؤلؤي: (قلتُ للحسن البصري: حبُّ

---

(١) مختصر ابن عساكر: ١٩/ ٢١.

(٢) المعرفة، لأبي نعيم: ١/ ٢١٢؛ محض الصواب: ٣/ ٨٥٢ ـ ٨٥٣.
الأَحْوذي: المشمِّر للأمور القاهر لها.

(٣) مختصر ابن عساكر: ١٩/ ٢٥.

(٤) المعرفة والتاريخ: ٢/ ٨١٣؛ جامع بيان العلم: ٢/ ٢٢٩.

(٥) أخرجه الترمذي (٤٠١٧) وقال: حسن غريب.

أبي بكر وعمر سُنَّة؟ قال: لا ، فريضة)[1].

٤ ـ وقال أبو عثمان النَّهْديُّ: (والذي لو شاء أن تَنطِقَ قناتي نَطَقتْ؛ لو كان عمر بن الخطاب ميزاناً ما كان فيه مَيْطُ شَعْرة)[2].

٥ ـ وقال سفيان الثوري: (مَن زَعَم أن عليّاً كان أحقَّ بالولاية منهما ، فقد خَطَّأ أبا بكر وعمرَ والمهاجرين والأنصار ، وما أُراه يَرتفعُ له مع هذا عملٌ إلى السماء!)[3].

٦ ـ وقال مالك بن أنس: (قال لي أمير المؤمنين هارون الرشيد: يا مالك! كيف كانت منزلة أبي بكر وعمر من النبي ﷺ؟ قال: قلت: يا أمير المؤمنين! قربُهما منه في حياته كَقُرب مضجعهما بعد وفاته. قال: شفيتني يا مالك ، شفيتني يا مالك)[4].

* * *

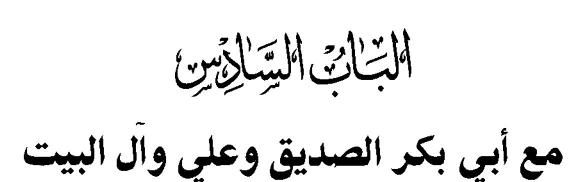
---

(١) ابن عساكر ـ ترجمة الصديق ، ص ٥١٣ ؛ محض الصواب: ١/ ٢٣٦.

(٢) طبقات ابن سعد: ٣/ ٢٩٣؛ مختصر ابن عساكر: ١٨/ ٣٣٩. **القناة**: الرمح الأجوف. **مَيْط**: مَيْل.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٦٣٠)؛ والفسوي: ١/ ٤٦٧ ، وصححه الألباني وشعيب الأرنؤوط.

(٤) مختصر ابن عساكر: ١٩/ ٢٤؛ منهاج السنة: ٤/ ٣٦٧؛ محض الصواب: ١/ ٢٣٨.



الباب السادس

مع أبي بكر الصديق وعلي وآل البيت

- يوم السقيفة والبيعة.
- مواقف كبرى في سياسة الدولة.
- مع علي بن أبي طالب وآل البيت وأمهات المؤمنين.

* * *



الفصل الأول

يوم السقيفة والبيعة

مثلما كان الفاروق في صدر كل حَدَث جليل ، كان كذلك (يوم السَّقيفة) قطبَ الحدث والمحرِّك له والعاملَ على سدِّ كل ثغرة من الخلاف فيه .

يروي عمر حديث السقيفة مطولاً ، مع عرض دقيق وتصوير بارع لصوره ومشاهده ومواقفه وما قيل فيه ، ويذكرُ أنه انطلق صحبةَ أبي بكر وأبي عبيدة إلى (سقيفة بني ساعدة) حيث اجتمع جمهور الأنصار رضي الله عنهم .

يقول عمر : (فانطَلَقْنا حتى أَتيناهم ، فإذا هم في سَقيفة بني ساعدة ، فإذا بين أَظْهُرِهم رجلٌ مُزَمَّلٌ[1] ، فقلتُ : من هذا؟ قالوا : سعد بن عُبادة ، قلت : فما لَهُ؟ قالوا : هو وَجِعٌ . فلما جلسنا تكلَّم خطيبُ الأنصار ، فأثنى على الله بما هو أهلُه ، ثم قال : أما بعدُ ، فنحنُ أنصار الله وكَتيبةُ الإسلام ، وأنتم يا معشرَ المهاجرين رَهْطٌ منَّا ، وقد دَفَّتْ دافَّةٌ[2] من قومِكم ، قال عمر : وإذا هم يريدون أن

---

(١) مُلَفَّف .

(٢) أي : جاء عدد قليل ، والمعنى : إنكم قوم غرباء مطرودون أقبلتم من مكة إلينا .

يَخْتَزِلونَا من أَصْلِنا ، وأن يَحْضُنُونا[1] من الأمر!.

قال: فلما قَضَى مقالَتَـهُ ، أردتُ أن أتكلَّم ، وكنتُ قد زَوَّرْتُ[2] مقالةً أعجبَتْني ، أريدُ أن أقومَ بها بين يَدَيْ أبي بكر ، وكنتُ أُدارِي من أبي بكر بعضَ الحِدَّة ، فلما أردتُ أن أتكلَّم ، قال أبو بكر: على رِسْلِكَ ، فكرهتُ أن أُغضبَه. فتكلَّم أبو بكر ، وهو كان أحلمَ مني وأوقَرَ ، والله ما تَرَكَ من كلمة أعجبَتْني في تزويري إلا تكلَّم بمثلِها أو أفضَلَ في بديهته حتى سَكَتَ.

فتشَهَّد أبو بكر ، وأثنَى على الله بما هو أهلُه ، ثم قال: أما بعدُ ، أيها الأنصارُ ، فما ذكرتُم فيكم من خيرٍ فأنتم أهلُه ، ولنْ تعرِفَ العربُ هذا الأمرَ إلا لهذا الحيِّ من قريشٍ؛ هم أوسطُ العرب نَسَباً وداراً ، وقد رَضِيتُ لكم أحدَ هذين الرجُلَيْن ، فبايعوا أَيَّهما شِئْتُم ، فأخذ بيدِي وبيدِ أبي عبيدة بن الجراح. فلم أَكره من مقالته غيرَها ، كان والله أنْ أُقَدَّمَ فتُضربَ عُنقي لا يُقَرِّبُني ذلك إلى إثمٍ؛ أحَبُّ إليَّ من أن أُؤَمَّرَ على قومٍ فيهم أبو بكر ، إلا أن تَغَيَّرَ نفسي عند الموت.

فلما قضَى أبو بكر مقالتَه ، قال قائلٌ من الأنصار: أنا جُذَيْلُها المُحَكَّكُ وعُذَيْقُها المُرَجَّبُ[3] ، مِنَّا أميرٌ ومنكم أميرٌ يا معشرَ قريشٍ! قال عمر: فكَثُرَ اللَّغَطُ ، وارتفعتِ الأصواتُ ، حتى أَشفقتُ الاختلافَ ،

---

(١) **يختزلونا**: يقتطعونا عن الأمر وينفردوا به دوننا. **يَحضنونا**: يُخرجونا من الإمارة ويستأثروا بها.

(٢) هَيَّأتُ وحَسَّنتُ.

(٣) أي: أنا داهية ، عالم في الأمور ، معظَّم في قومي.

قلتُ: ابْسُط يدَكَ يا أبا بكر، فبَسط أبو بكر يدَه، فبايَعتُه وبايَعَهُ المهاجرون والأنصار...) الحديث[1].

وأبانَ أبو بكر في ذلك الموقف عن علمٍ واسع وفهم عميق ونظر ثاقب وحجج واضحة، ناظرَ فيها الأنصارَ وبيَّن فضائلهم وذكَّرهم بأن النبي ﷺ نصَّ على أن الأئمة من قريش، فأقَروا وبايَعُوا.

وناظرهم أيضاً عمر، وأقام عليهم الحجة، فامتثلوا رضي الله عنهم.

عن سالم بن عُبيد الأَشْجَعيِّ ـ وكان من أهل الصُّفَّة ـ قال: (قالت الأنصار: منَّا أميرٌ ومنكم أميرٌ، قال عمر: سيفان في غِمْدٍ واحد! إذاً لا يَصْلُحان. ثم أخذ بيد أبي بكر فقال: مَنْ له هذه الثلاث: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ﴾ مَنْ صاحبُه؟ ﴿إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ﴾ مَن هما؟ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠] مع مَنْ؟! ثم بايَعَه، ثم قال: بايِعُوا، فبايَعَ الناس أحسنَ بيعةٍ وأجملَها)[2].

وعن عبد الله بن مسعود قال: (لما قُبض النبي ﷺ قالت الأنصار: مِنَّا أمير ومنكم أميرٌ، فأتاهم عمر فقال: يا معشرَ الأنصار! ألستُم تعلمون أن رسول الله ﷺ أَمَر أبا بكر أن يَؤمَّ الناسَ؟ قالوا: بلى، قال: فأيُّكم تطيبُ نفسه أن يتقدم أبا بكر؟ قالت الأنصار: نعوذُ بالله أن نتقدم أبا بكر).

وفي رواية: (كلُّنا لا تطيبُ أنفسُنا، نستغفر الله)[3].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٨٣٠)؛ وابن حبان (٤١٣، ٤١٤)، وغيرهما.

(٢) أخرجه النسائي في الكبرى (٨٠٥٥)؛ والترمذي في الشمائل (٣٧٩)، وصححه الألباني.

(٣) أخرجه النسائي في الكبرى (٨٥٥)؛ وأحمد (١٣٣)؛ والحاكم: ٣/ ٦٧ وصححه ووافقه الذهبي.

وروى الذُّهْلِيُّ في «الزُّهريات» ـ بسند صحيح كما قال الحافظ ـ عن ابن عباس ، عن عمر قال: (قلتُ : يا معشرَ الأنصار! إن أَوْلى الناسِ بأمرِ نبيِّ الله ﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ﴾ أبو بكر السبَّاق المُسنّ! ثم أخذتُ بيده ، وبَدَرني رجلٌ من الأنصار فضَرَب على يدِه قبل أن أضرِبَ على يدِه ، ثم ضَربتُ على يده ، وتتابَعَ الناس)[1].

كانت تلك البيعة في (سَقيفة بني ساعدة) في بقية يوم الإثنين حين توفي النبي ﷺ ، فلما كان الغدُ صبيحةَ يوم الثلاثاء ، اجتمع الناس في (المسجد النبوي) فتمت البيعة العامة من المهاجرين والأنصار قاطبة.

قال أنس بن مالك: (سمعتُ عمر يقول لأبي بكر يومئذٍ: اصْعَد المِنبَر. فلم يزَل به حتى صَعِد المنبر ، فبايَعَه الناس عامة)[2].

وتتابَعَ الناس على أبي بكر ، فبايعه (مئةُ ألف) من المهاجرين والأنصار جميعاً وعامة المسلمين[3].

وهذه (المواقف العمرية) من إلهاماته وعبقريته ويُمْنِ نَقيبته ونُصْحِه لله ولرسوله وللمسلمين ، وبهذا الدور البارع أَسهم الفاروق في اجتياز المسلمين محنة خطيرة ، واستقرت أمور الحكم والخلافة في برهة خاطفة ، ولابن الخطاب في هذا دور جليل وفضل كبير.

* * *

---

(١) البداية والنهاية: ٥/٢٤٧؛ الفتح: ١٥/٤٤٦.

(٢) البخاري (٧٢١٩) ، وغيره.

(٣) انظر: الإمامة ، لأبي نعيم ، ص٢٦٥.

الفصل الثاني

مواقف كبرى في سياسة الدولة

كان عمر هو الشخصية الأبرز بعد أبي بكر في مدة خلافته ، من حيثُ سياسةُ الدولة وأمورُ الإسلام وشؤونُ الرعية والقضايا المفصلية الكبرى ، حتى استهجن بعضُهم فقال لأبي بكر: آنتَ الخليفة أم هو؟!.

والفاروق في جميع مواقفه كان مخلصاً أتمَّ الإخلاص ، يسخِّر كل طاقاته فيما فيه مصلحة الإسلام والمسلمين. وهذا دأبُ سادة الرجال أصحاب النفوس العالية والعزائم الماضية ، يأبَون إلا أن يكونوا في صدر الأحداث ، ويتصدَّون لهموم الأمة وقضايا نصرة الدين الحنيف... هكذا كان عمر دوماً ، وهو مع الصديق الجندي الحارس ، والوزير الناصح ، والقوي الذي يحمل معه الأعباء الثقال.

أولاً: إنفاذ بعث أسامة:

كان رسول الله ﷺ قُبيل وفاته عَقد الرايةَ لأسامة بن زيد على رأس جيش ، وأمره أن يغزو جهة الشام إلى الأردن وجنوب فلسطين. وتأخَّر انطلاقُ الجيش بسبب وفاة النبي ﷺ.

وبعد فراغ الصحابة من دفنه ﷺ ، واستخلاف أبي بكر ، كان من أوائل أعماله إنفاذ (جيش أسامة) ، وكان في جيشه عِلْية الصحابة من عمر

فمن دونه. وطعن بعضهم في إمرة أسامة لأنه كان شابّاً.

وطلبت طائفة من الصحابة إلى عمر أن يكلِّم أبا بكر في أن يولي عليهم غيرَ أسامة، فجاءه عمر فقال: (إن الأنصار أمروني أن أبلغك، وإنهم يطلبون إليك أن تولِّي أمرَهم رجلاً أقدمَ سِنّاً من أسامة. فوثب أبو بكر ـ وكان جالساً ـ فأخذ بلحية عمر، فقال له: ثَكِلَتْكَ أمُّك وَعَدِمَتْك يا ابن الخطاب، استعمله رسول الله ﷺ وتأمرني أن أنزِعَه! فخرج عمر إلى الناس، فقالوا له: ما صنعتَ؟ فقال: امضُوا، ثكلَتْكم أمهاتكم، ما لقيتُ في سببكم من خليفة رسول الله!)[1].

وأمر أبو بكر أسامةَ أن يَمضي لوجهه، وأوصاه بوصايا جليلة، ثم قال له: (إنْ رأيتَ أن تأذَنَ لعمر بن الخطاب فأستشيره وأستعين به، فإنه ذو رأي ومناصحٌ للإسلام، فافعل. ففعل أسامة)[2].

ثانياً: في قتال مانعي الزكاة:

عن أبي هريرة قال: (لمَّا توفِّي النبي ﷺ واستُخْلِف أبو بكر، وكَفَر مَن كفر من العرب، قال عمر: يا أبا بكر! كيف تُقاتِلُ الناسَ وقد قال رسول الله ﷺ: «**أُمِرْتُ أن أقاتِلَ الناسِ حتى يقولوا: لا إلٰه إلا الله، فمن قال: لا إلٰه إلا الله، عَصَمَ مني مالَه ونفسَه إلا بحقِّه وحسابُه على الله**»؟!.

قال أبو بكر: واللهِ لأقاتلنَّ مَن فرَّق بين الصلاة والزكاة، فإنَّ الزكاة حقُّ المال. والله لو مَنَعْوني عَنَاقاً كانوا يؤدُّونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتُهم

---

(١) تاريخ الطبري: ٣/٢٢٦.

(٢) تاريخ ابن عساكر ـ ترجمة أبي بكر، ص ٤٢١ ـ ٤٢٥.

على منْعِها! قال عمر: فوالله ما هو إلا أنْ رأيتُ أنْ قد شَرحَ الله صدرَ أبي بكر للقتال ، فعرفتُ أنه الحق)[1].

وأما ما روي: أن أبا بكر قال لعمر: (رجوتُ نُصرتَكَ وجئتني بخذلانك! جبَّاراً في الجاهلية خوَّاراً في الإسلام؟!. . .) ، فهو خبر باطل فيه رجل مجهول ليس بثقة كما قال الحافظ الذهبي[2].

وحاشا الصديق أن يواجِه عمر بمثل هذا ، وحاشا فاروق الإسلام أن يكون خواراً!.

وإنما أراد عمر ومن معه من الصَّحابة الترفُّقَ في معاملة مانعي الزكاة ، والتفرغَ لأهل الردة الشاملة ممن عادوا إلى عبادة الأوثان أو اتبعوا أَدْعياء النبوة ، فرفض أبو بكر ذلك بصرامة لا تردد فيها ، وكان أن انشرحت صدور الصحابة للقتال وعرفوا أنه الحق.

قال عمر: (فوالله ما هو إلا أنْ رأيتُ أنْ قد شَرح الله صدر أبي بكر): أي فتح قلبه بالإلهام غيرةً على أحكام الإسلام.

(فعرفت أنه الحق): أي ظهر له من صحة احتجاجه ، لا أنه قلَّده في ذلك.

وهذا إنصاف من عمر ورجوعٌ إلى الحق عند ظهوره ، مع أنه مظهرُ نطقِ الحق ومنبعُ عين الصدق[3].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٩٢٤ ، ٦٩٢٥)؛ ومسلم (٢٠)؛ والنسائي في الكبرى (٢٢٣٥) ، وغيرهم. **العَنَاق**: الأنثى من ولد المعز.

(٢) تاريخ الإسلام ـ السيرة النبوية ، ص ٣٢١ ـ ٣٢٢.

(٣) انظر: فتح الباري: ١٦/ ٢٨؛ فتح الملهم: ١/ ٣٧٩.

ثالثاً: جمع القرآن الكريم:

تمخَّضت حروبُ الردَّة عن أحداثٍ جسام ، من أشدِّها خطراً على الإسلام موتُ حَفَظَة القرآن في (معركة اليمامة). ففزع عمر لذلك ، فالصحابة قد انتشروا في البلدان يبلِّغون الناسَ الدعوة ، والشهادةُ أمنية كل واحد منهم ، والقرآن محفوظ في صدورهم؛ مما يجعل موتهم سبباً في ذهاب كثير من القرآن! فأسرع عمر إلى أبي بكر يشاوره في جمع القرآن في مصحف.

عن زيد بن ثابت قال: (أَرسلَ إليَّ أبو بكر مقتَلَ أهل اليمامة ، فإذا عمر بن الخطاب عنده ، قال أبو بكر رضي الله عنه: إنَّ عمرَ أتاني ، فقال: إنَّ القتلَ قد اسْتَحَرَّ يوم اليمامة بِقرَّاءِ القرآن ، وإني أخشى أن يَسْتَحِرَّ القتلُ بالقُرَّاء بالمَوَاطن ، فيذهبَ كثيرٌ منَ القرآن ، إني أَرى أن تأمُرَ بجمعِ القرآن. قلتُ لعمر: كيف تفعلُ شيئاً لم يفعلْه رسول الله ﷺ؟ قال عمر: هذا والله خيرٌ ، فلم يَزَل عمر يُراجِعُني حتى شَرح الله صدري لذلك ، ورأيتُ في ذلك الذي رأى عمر. قال زيدٌ: قال أبو بكر: إنك رجلٌ شابٌّ عاقلٌ لا نتَّهِمُكَ ، وقد كنتَ تكتبُ الوحيَ لرسول الله ﷺ ، فَتَتَبَّعِ القرآنَ فاجْمَعْهُ. فوالله لو كلَّفوني نَقْلَ جبلٍ من الجبال ما كان أثقلَ عليَّ مما أَمرني به من جَمْع القرآن. قلتُ: كيفَ تفعلون شيئاً لم يفعلْه رسول الله ﷺ؟ قال: هو والله خيرٌ. فلم يَزَلْ أبو بكر يراجِعُني حتى شَرح الله صدري للذي شرح له صدرَ أبي بكر وعمر رضي الله عنهما. فتَتَبَّعْتُ القرآنَ أجمعُه من العُسُبِ واللِّخَافِ وصدور الرِّجال ، حتى وجدتُ آخرَ سورة التوبة مع أبي خُزيمة الأنصاريِّ ، لم أَجِدْها مع أحدٍ غيره: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ . . .﴾ حتى خَاتِمةِ

براءةٍ. فكانت الصُّحُفُ عند أبي بكر حتى توفاه الله ، ثم عند عمر حياتَهُ ، ثم عند حفصة بنتِ عمر رضي الله عنهم)[1].

فجزى الله خير الجزاء الصديقَ والفاروقَ على عملهما العظيم في حفظ كتاب الله تعالى في السطور ، فلقد كان ذلك من إلهامات عمر الفذة ، وهو محضُ منَّة من الله سبحانه الذي تكفَّل بحفظ كتابه الكريم!.

رابعاً: في سياسة الرعية وإدارة الدولة:

عن عبيدة السَّلْماني قال: (جاء عُيينة بن حِصْن والأقرع بن حابس إلى أبي بكر ، فقالا: يا خليفةَ رسولِ الله! إنَّ عندنا أرضاً سبخةً ليس فيها كَلأٌ ولا منفعة ، فإن رأيتَ أن تُقطِعناها لعلَّنا نحرثها ونزرعها ، فلعلَّ الله أن ينفعَ بها بعد اليوم؟ قال: فأقطعهما إياها ، وكتَبَ لهما كتاباً وأشهد فيه عمرَ ، وعمرُ ليس في القوم. فانطلقا إلى عمر ليُشْهِداه ، فوجداه قائماً يَهْنَأُ بعيراً له ، فقالا: إن أبا بكر قد أَشهدك على ما في هذا الكتاب ، أَفنقرأُ عليك أو تقرأُ؟ قال: أنا على الحال التي تَرَياني ، فإن شئتما فاقرأا ، وإن شئتما فانتظِرا حتى أفرغَ فأقرأ ، قالا: بل نقرؤه ، فقرأا ، فلما سمع ما في الكتاب تناوَلَه من أيديهما ، ثم تَفَل فيه فَمحاهُ! فتذمَّرا وقالا مقالةً سيئة ، فقال: إن رسول الله ﷺ كان يتألَّفكما والإسلام يومئذٍ ذليلٌ ، وإن الله عز وجل قد أعَزَّ الإسلامَ ، فاذْهَبا فاجْهَدا جَهدكما لا أَرعى الله عليكما إنْ رعيتما! قال: فأقبلا إلى أبي بكر وهما متذمِّرانِ ،

---

(1) أخرجه البخاري (٤٩٨٦)؛ والنسائي في الكبرى (٧٩٤١) ، وغيرهما. **استحر**: اشتد وكثر. **بالمواطن**: هي المواضع التي سيغزو فيها المسلمون ، والمعارك التي تكون بينهم وبين أعدائهم. **العُسُب**: جمع عَسيب ، وهو جريد النخل العريض. **اللِّخَاف**: جمع لَخْفَة؛ وهي حجارة بيضاء رقيقة.

فقالا: والله ما ندري أنت الخليفة أَمْ عمرُ؟! فقال: بل هو لو كان شاء! فجاء عمر مُغضَباً حتى وقف على أبي بكر، فقال: أخبِرْني عن هذه الأرض التي أقطعتَها هذين الرجلين، أرضٌ لك خاصة أم هي بين المسلمين عامة؟ قال: بل هي بين المسلمين عامة، قال: فما حَمَلَكَ على أن تَخُصَّ هذين بها دونَ جماعة المسلمين؟ قال: استشرتُ هؤلاء الذين حولي، فأشاروا عليَّ بذلك، قال: استشرتَ هؤلاء الذين حولك، أَكُلَّ المسلمين أوسعتَ مشورة ورضا؟! قال: فقال أبو بكر: قد كنتُ قلتُ لك: إنك أقوى على هذا الأمر مني، ولكنك غلبتني!)[(١)].

هذه صورة مشرقة لتطبيق مبدأ الشورى والنزول على الحق عندما يستبين الرأي الأوْلى، فأبو بكر نزل على رأي عمر لأنه رآه صواباً في تلك المسألة وذلك الوقت.

خامساً: مواقف أخرى:

وثمة مواقف أخرى كثيرة لعمرَ في سياسة الدولة: مثل تحديد راتب الخليفة وتولي القضاء بالمدينة، وتسيير شؤون الفتوحات، وكونه رأسَ مجلس الشورى، وغير ذلك.

* * *

(١) المعرفة والتاريخ: ٣/ ٣٧٢ ـ ٣٧٣؛ محض الصواب: ١/ ٢٦٠ ـ ٢٦٢؛ حياة الصحابة: ٢/ ٤٦، وبأخصر منه: التاريخ الأوسط، للبخاري: ١/ ١٤٣؛ السنن، للبيهقي: ٧/ ٢٠. **يَهْنأ**: هَنَأَ البعيرَ طلاه بالقَطِران. **فاجهدا**: كِيدا. **رعيتما**: رجعتما عن الكيد أو تهاونتما فيه.

الفصل الثالث

مع علي بن أبي طالب وآل البيت وأمهات المؤمنين

آل بيت النبي ﷺ وأزواجه الطاهرات ، هم وصية رسول الله ﷺ للأمة بمحبَّتِهم وموالاتهم والإحسان إليهم وغضِّ الطرْف عن هفواتهم.

وقد قامت الدولة من لدن الصحابة وإلى زماننا بهذا الفرض الواجب ، فأنزلوهم من قلوبهم وألسنتهم بالمكان الأرفع والمنزلة الأسمى ، حبّاً وتقديراً وإجلالاً وترضياً وتسمية بأسمائهم وكفّ اللسان عن التعريض بهم.

بيد أن الصحابة والتابعين لهم بإحسان وأهل السنة الذين على نهجهم - وضعوهم في المنزلة التي وضعهم فيها النبي ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى ، وأوصى الأمة من بعده أن يلزموا نهجه في ذلك... فلم يؤلِّهوهم ، ولم يُغالوا فيهم ، ولا ادعوا العصمة لواحد منهم ، ولا اعتقد أهل البيت الأطهار لأنفسهم ذلك ، ولا رضوا به!.

لكن طائفة من الأمة تنكّبت سبيلَ رسول الله ﷺ وأصحابه ، وَعَدوا على المنهج الحق ، فقالوا بعصمتهم من الخطأ والذنب واللَّمَم ، بل رفعوهم فوق الأنبياء والملائكة ، واعتقدوا فيهم عقائد باطلة تردُّها

نصوص الكتاب والسنة ، ويَـدحَضُها العقل والتاريخ وهَدْي أولئك السادة الأطهار.

يروي يزيد بن حيَّان أنه انطلق هو وحُصين بن سَبْرة وعُمر بن مسلم إلى زيد بن أرقم رضي الله عنه ، وطلبوا منه أن يحدِّثهم ما سمعه من النبي ﷺ. قال زيد: (قام رسول الله ﷺ يوماً فينا خطيباً ، بماءٍ يُدْعى خُمّاً بين مكة والمدينة ، فحمد الله وأثنى عليه ، ووعَظَ وذكَّر ، ثم قال: **«أما بعدُ ، ألا أيها الناس فإنما أنا بشرٌ يوشِكُ أن يأتيَ رسولُ ربي فأُجيبَ ، وأنا تاركٌ فيكم ثقَلَيْن: أوَّلُهما كتابُ الله فيه الهُدى والنور ، فخُذوا بكتاب الله واستمسِكوا به»**. فحثَّ على كتاب الله ورغَّبَ فيه. ثم قال: **«وأهلُ بيتي ، أُذَكِّرُكُم اللهَ في أهل بيتي ، أذكّركم الله في أهل بيتي ، أذكِّركم الله في أهل بيتي»**. فقال له حُصَيْنٌ: ومَن أهلُ بيتِهِ يا زيدُ؟ أليسَ نساؤه من أهل بيته؟ قال: نساؤه من أهل بيته ، ولكنْ أهلُ بيتِهِ مَن حُرِمِ الصدقةَ بعده. قال: ومَن هُمْ؟ قال: هم آلُ عليّ ، وآلُ عَقيل ، وآلُ جعفر ، وآل عبّاس. قال: كلُّ هؤلاءِ حُرِمِ الصدقةَ؟ قال: نعم)[1].

والذي يَهمُّنَا هنا توضيح العلاقة بين (عمر الخليفة) و(آل البيت) وعلى رأسهم علي والعباس وأمهات المؤمنين ، في طول مدة خلافته ، وما كانوا عليه من الإعزاز والتكريم في القول والفعل ، وكذلك شهادات آل البيت في أكثر من جيل بأمير المؤمنين فاروق الإسلام عمر رضي الله عنه وأرضاه.

والذي حَفِظه لنا التاريخ الصادق يَخلُص بنا إلى الخلاصة التي تَجمُل

---

(١) أخرجه مسلم (٢٤٠٨)؛ والنسائي في الكبرى (٨١١٩).

بعمر وتُحمد منه ، وهي الوفاء المحض لذكرى النبي ﷺ في آله وخاصة أهله ، وكذلك التبجيل المحض من آل البيت لعمر الصحابي ولعمر الخليفة.

أولاً: مع علي رضي الله عنه:

كان علي طيلة خلافة عمر أحَدَ الكبار الذي اعتمد عليهم في تسيير أمور الدولة وسياسة الرعية ، ومن مقدَّمي أصحاب الشورى ، ومن يَلجأ إليهم في المُعضلات. واستخلفه على المدينة أكثر من مرة ، عندما ذهب إلى الشام ، وعندما أراد غزوَ العراق بنفسه. وكان قاضيه على المدينة. بل قال سعيد بن المسيِّب: (كان عمر يتعوَّذ بالله من مُعْضلة ليس فيها أبو الحسن!)[١]. وعن ابن عباس قال: قال عمر: (أقرؤنا أُبيٌّ ، وأقضانا عليٌّ)[٢].

ولعليٍّ عشرات المواقف في (الشورى) التي برز فيها رأيه بين الأصحاب في مجالس عمر ، مثل: التاريخ الهجري ، والأرض المفتوحة ، وجلْد شارب الخمر ، وزكاة الخيل ، وتدوين الدواوين ، وغير ذلك مما سيأتي تفصيله.

وزاد عمر من توطيد العلاقة بعليٍّ ، فتزوَّج ابنتَه (أم كلثوم) ، واتصل به وبالنبي ﷺ بنَسَب ، وفرح بذلك وأعلنه على الملأ[٣].

ويكافئ ذلك منزلة عمر عند علي ، فقد ذكرنا الكثيرَ من ثنائه على

---

(١) طبقات ابن سعد: ٢/ ٣٣٩.

(٢) أخرجه البخاري (٤٨٨١)؛ وابن سعد: ٢/ ٣٣٩ ـ ٣٤٠.

(٣) تقدم الخبر: ص٣٤ ـ ٣٥ في هذا الكتاب.

الفاروق ، وإعلانه ذلك في دار إمارته (الكوفة). وحسبك موقفه يوم وفاة عمر وقد سُجِّي بالثوب ، فجاء عليٌّ وأعلَن تلك الشهادة الرفيعة[1] في منزلة عمر عند النبي ﷺ ، دونما تقيَّة يزعمها المتخرِّضون المفترون.

كذلك كان علي يَمحضُه النصيحة ، ويَضَنُّ به ويخاف عليه ، ومن ذلك موقفه في الفتوحات حيث أراد عمر أن يغزو العراق بنفسه ، وأيَّده في ذلك طائفة من أكابر الصحابة ، فخالَفَهم عليٌّ ونَصَحه نصيحة الخائف عليه الضَّنِين به ، خشيةَ أن تفتلت نفسه ، وأشار بأن يرسل جيشاً يقوده أحد أفذاذ الصحابة الخبراء بالحرب ، ويبقى عمر يدير الأمور من المدينة. فلو كان بينهما شيء من إِحَن أو أَثَارة من بغضاء ، أفما كان من المناسب جدّاً أن يؤيد علي الصحابة ، وتكون فرصة سانحة يتخلص بها من عمر؟!.

أين عقول الذين يَكذبون على التاريخ ويزوِّرون الحقائق؟! ولو كان علي يُبغض عمر ، فمن الذي يُجْبره أن يُصْهِر إليه ويزوِّجه ابنته ، وهو البطل الشجاع الذي لا يخاف جيشاً يقف أمامه؟! ثم من الذي يجبره أيضاً على أن يسمِّي ثلاثة من بنيه بأسماء الخلفاء الثلاثة قبله: أبو بكر وعمر وعثمان؟!.

ثانياً: مع الحسنين:

ـ عن الحسين بن علي رضي الله عنهما قال: (صعدتُ المِنبر إلى عمرَ فقلت: انزِلْ عن مِنبر أَبي[2] ، واذهب إلى منبر أبيك! فقال: إِنَّ أبي لم

---

(١) انظر: ص٧١٢ في هذا الكتاب.

(٢) يريد الحسين جدَّه ﷺ.

يكن له مِنبر! فأقعدني معه ، فلما نزل قال: أي بُنيَّ ، مَن علَّمكَ هذا؟! قلتُ: ما عَلَّمنيه أحدٌ. قال: أي بُنيَّ ، وهل أنبتَ على رؤوسنا الشعرَ إلا اللهُ ثم أنتم! ووضعَ يده على رأسه ، وقال: أيْ بنيَّ ، لو جعلتَ تأتينا وتغشانا)[1].

ـ وعن الحسين قال: (قال عمر: يا بنيَّ! لو جعلتَ تغشانا. قال: فأتيتُه يوماً وهو خالٍ بمعاويةَ ، وابنُ عمر بالباب: فرجَع ابنُ عمر ورجعتُ معه. فلَقِيني بعدُ ، فقال: لم أَرَكَ؟! فقلتُ: يا أمير المؤمنين! إني جئتُ وأنتَ خالٍ بمعاوية ، وابنُ عمر بالباب ، فرجع ابن عمر ورجعتُ معه ، فقال: أنت أحَقُّ بالإذن من ابن عمر! وإنما أنبت ما ترى في رؤوسنا الله ، ثم أنتم)[2].

ـ وعن محمد بن علي بن الحُسين ، المعروف بالباقر قال: (قدِم على عمر حُلَلٌ من اليمن ، فكَسَا الناسَ ، فراحوا في الحُلل وهو بين القبر والمنبر جالس ، والناس يأتونه فيسلِّمون عليه ويَدْعون له ، فخرج الحسن والحسين رضي الله عنهما من بيت أمهما فاطمة رضي الله عنها يتخطَّيان الناس ، وليس عليهما من تلك الحُلل شيء ، وعمر قاطِبٌ صارٌّ بين عينيه! ثم قال: والله ما هنأ لي ما كَسوتُكم ، قالوا: يا أمير المؤمنين! كسوتَ رعيتك فأحسنتَ ، قال: من أجل الغلامين يتخطيان الناس وليس

---

(١) تاريخ بغداد: ١/ ١٤١؛ سير أعلام النبلاء: ٣/ ٢٨٥؛ وقال الذهبي: إسناده صحيح.

(٢) تاريخ بغداد: ١/ ١٤١؛ محض الصواب: ٢/ ٦٩٣ ـ ٦٩٤؛ حياة الصحابة: ٢/ ٤٥٢؛ وذكرهُ الحافظ في الإصابة: ١/ ٣٣٢ وصححه. قوله: (وهل أنبت. . .): هو كناية عن الإيمان.

عليهما منها شيء ، كَبُرت عنهما وصغرا عنها[1] . ثم كتب إلى اليمن : أن ابعثْ بِحُلَّتين لحسنٍ وحسينٍ وعجِّل . فبعث إليه بحلَّتين ، فكساهما)[2] .

ـ ولما دَوَّن الدواوينَ وفَرض الأعطيات ، ابتدأ بقرابة النبي ﷺ ، وأعطى أبناء البدريين ألفين ألفين ، إلا الحسنَ والحسينَ فإنه ألحقهما بفريضة أبيهما لقرابتهما برسول الله ﷺ ، ففَرض لكل واحد منهم خمسةَ آلاف درهم[3] .

ثالثاً: مع العباس عم النبي ﷺ ، وابنه عبد الله بن عباس:

●● ومنزلة العباس عند عمر كانت في المحل الأسمى منذ عهد الرسالة وإلى آخر الخلافة العمرية .

ـ ومن ذلك موقفه الفذ من الذين أرادوا البطش بالعباس عندما كان في أسرى بدر[4] .

ـ وكذلك قولُ عمر للعباسِ يوم فتح مكة : والله لإسلامُك يوم أسلمتَ أحبُّ إليَّ من إسلامِ أَبي لو أسلَم ، وما بي إلا أني قد عرفتُ أن إِسلامَك كان أَحبَّ إلى رسول الله ﷺ من إسلام الخطاب[5] ! .

ـ وحسبك من منزلته عند عمر في خلافته أنه كان يستسقي به! .

ـ ولمَّا أراد عمر وضْعَ الدواوين ، قال له علي وعبد الرحمن بن

---

(١) أي : الحلل .

(٢) حياة الصحابة : ٢/٢٠٦ ـ ٢٠٧ .

(٣) طبقات ابن سعد : ٣/٢٩٦ ـ ٢٩٧ .

(٤) تقدم : ص١٢٠ ـ ١٢١ في هذا الكتاب .

(٥) انظر ما تقدم : ص١٢٧ في هذا الكتاب .

عوف: ابدأ بنفسك، قال: لا، بل أبدأُ بعمِّ رسول الله ﷺ، ثم الأقرب فالأقرب. ففرَض للعباس وبدأ به[1].

●● وكان يُدني منه عبد الله بنَ عباس، ويُدخِله مجلس الشورى مع مشيخة أهل بدر، ويرفع منزلته حيث يوجِّه إليه سؤالات دقيقة، ليريهم فهمه وتقدمه، ويقول له: غُصْ غوَّاص!.

رابعاً: آل علي يثنون على الفاروق ثناء جليلاً:

ـ قال أبو حازم المدني الأعرج: (ما رأيتُ هاشميّاً أفقهَ من علي بن الحُسين، سمعتُه وقد سُئل: كيف كانت منزلةُ أبي بكر وعمر عند رسول الله ﷺ؟ فأشار بيده إلى القبر، ثم قال: بمنزلتهما منه الساعة!)[2].

ـ وروى محمد بن فُضَيْل، عن سالم بن أبي حَفْصَة قال: (سألت أبا جعفر وابنَه جعفراً عن أبي بكر وعمر، فقالا لي: يا سالم! تولَّهُما وابرَأْ من عدوِّهما، فإنهما كانا إمامَيْ هُدًى!)[3]. أبو جعفر هو الباقر، وابنه جعفر الصادق.

ـ وقال عيسى بن يونس: (جاءت الرافضةُ زيدَ بن علي بن الحسين، فقالوا: تبرَّأْ من أبي بكر وعمرَ حتى نَنْصُرَكَ، قال: بل أتولاهما! قالوا:

---

(١) تاريخ الطبري: ٣/ ٦١٤؛ محض الصواب: ٢/ ٤٩٧.

(٢) مختصر ابن عساكر: ١٩/ ٢٤؛ محض الصواب: ١/ ٢٣٨ ـ ٢٣٩؛ سير أعلام النبلاء: ٤/ ٣٩٤ ـ ٣٩٥.

(٣) محض الصواب: ١/ ٢٣٧؛ سير أعلام النبلاء: ٤/ ٤٠٢ ـ ٤٠٣؛ تاريخ الإسلام (وفيات ١٤١ ـ ١٦٠هـ)، ص ٩٠ ـ ٩١، وقال هنا: هذا إسناد صحيح.

إذاً نرفُضُكَ. فمن ثَمَّ قيل لهم: الرافضة. وأما الزَّيدية فقالوا بقوله وحاربوا معه)[1].

خامساً: مع أمهات المؤمنين الطاهرات:

يرى كل من يتتبع سيرة الفاروق إجلالَه وإعزازَه لأمهات المؤمنين وغيرَتَه الشديدة عليهن ورسول الله ﷺ حيٌّ، وبقي كذلك بعد وفاته ﷺ. وكان في خلافته يُجزل لهن العطاء، ويقدِّمهن على غيرهن، ويرسِل لهن الأطعمة وسواها، وإذا أردن الحج بعث عِلْيَة الصحابة لحفظهن ورعاية عرض النبي ﷺ.

ـ عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف قال: (أَذِنَ عمرُ رضي الله عنه لأزواج النبي ﷺ في آخر حَجَّةٍ حَجَّها، فبَعَث معهن عثمانَ بن عفان وعبدَ الرحمن بن عوف)[2].

ـ وعن مصعب بن سعد: (أن عمر فَرض لأهل بدر والمهاجرين والأنصار ستة آلاف ستة آلاف، وفرض لأزواج النبي ﷺ، ففَضَّل عليهن عائشةَ فرض لها في اثني عشر ألفاً، ولسائرهنَّ عشرة آلاف عشرة آلاف، غيرَ جويرية وصفية فرض لهما في ستة آلاف ستة آلاف).

وفي رواية: (فَرض عمر لأزواج النبي ﷺ في اثني عشر ألفاً)[3]. وهذا أصح.

---

(١) سير أعلام النبلاء: ٥/ ٣٩٠؛ منهاج السنة: ١/ ٤٠٤.

(٢) البخاري (١٨٦٠).

(٣) طبقات ابن سعد: ٣/ ٣٠٠، ٣٠٤؛ الأموال، لأبي عبيد (٥٥٣، ٥٥٤).

وكان يرسل لأزواج النبي ﷺ بالرؤوس والأكارع والورس والزعفران[1].

ـ وعن أسلم قال: (كان عند عمر صِحَافٌ تسعٌ، فلا تكون فاكهةٌ ولا طُرَيْفَةٌ إلا جعل منها في تلك الصِّحَاف، فبَعَث بها إلى أزواج النبي ﷺ، ويكونُ الذي يَبعث به إلى حفصةَ ابنتِهِ من آخِرِ ذلك، فإذا كان فيه نقصانٌ كان في حظِّ حفصة!)[2].

* * *

---

(١) طبقات ابن سعد: ٣/ ٣٠٢ ـ ٣٠٣؛ الأموال، لأبي عبيد (٦٠٦).

(٢) الموطأ: ١/ ٢٧٩؛ الزهد، لأحمد (٦٠٦). طُريفة: تصغير طرفة، أي: ما يُستطرف ويُستملح.



الباب السابع

دولة الخلافة
أسسها وأركانها ومؤسساتها
وسياسة عمر فيها

- استخلاف أبي بكر عمرَ من بعده .
- استقباله الخلافة ومعالم سياسته .
- سياسته مع الرعية .
- أركان الدولة وأسسها .
- مؤسسات الدولة .
- أوليات عمر وسوابقه .

* * *



الفصل الأول

استخلاف أبي بكر عمرَ من بعده

أولاً: الاستخلاف:

●● رأى أبو بكر رضي الله عنه أن النبي ﷺ لم ينصَّ صراحة على أحدٍ بعينه في الخلافة ، ومع ذلك اجتهد ذاك الاجتهاد باستخلاف عمر رضي الله عنه. لكنه لم يستبدَّ برأيه في مثل هذا الأمر الجَلَل ، فهو كان يستشير الصحابة فيما هو دون ذلك خطورة ، فمن البداهة أن يَلزم هنا هديَ القرآن والنبوة في الشورى.

أخرج ابن عساكر وابن الجوزي من مرسَل الحسن البصري قال :

(لمَّا ثقُل أبو بكر رضي الله عنه استبان له في نفسه[1] ، جمع الناس إليه فقال لهم: إنه قد نزل بي ما قد ترون ، ولا أظنني إلا لمماتي ، وقد أطلق الله تعالى أيمانكم من بيعتي ، وحَلَّ عنكم عَقْدي ، وردَّ عليكم أمرَكم ، فأمِّروا عليكم مَن أحببتم ، فإنكم إنْ أمَّرْتُم في حياة مني كان أجدرَ أن لا تختلفوا بعدي. فقاموا في ذلك وخَلَّوه تخلية فلم تستقم لهم ، فرجعوا إليه فقال: رَهْ لنا يا خليفة رسول الله ، قال: فلعلكم

---

(١) أي: ظهر له أنه سيموت.

تختلفون! قالوا: لا ، قال: فعليكم عهدُ الله على الرضا؟ قالوا: نعم ، قال: فأمْهِلوني أنظر لله ولدينه ولعباده. فأرسل أبو بكر إلى عثمان فقال: أَشِرْ عليَّ برجل ، فوالله إنك عندي لها[1] لأهلٌ وموضع ، فقال: عمر ، فقال: اكتب ، فكتب حتى انتهى إلى الاسم فغُشي عليه فأفاق ، فقال: اكتب عمر)[2].

●● ثم وسَّع الصديق دائرة الشورى ، فاستمع لآراء جماعة من أكابر الصحابة:

عن أبي سلمة بن عبد الرحمن وغيره: (أن أبا بكر الصديق لمَّا استُعِزَّ به[3] ، دعا عبد الرحمن بن عوف فقال: أخبرني عن عمر بن الخطاب؟ فقال عبد الرحمن: ما تسألُني عن أمر إلا وأنت أعلمُ به مني ، فقال أبو بكر: وإنْ ، فقال عبد الرحمن: هو والله أفضَلُ مَنْ رأيُـكَ فيه[4]. ثم دعا عثمانَ بن عفان ، فقال: أخبرني عن عمر؟ فقال: أنت أخبرُنا فيه ، فقال: على ذلك يا أبا عبد الله ، فقال عثمان: اللهمَّ عِلْمي به أن سريرته خيرٌ من علانيته ، وأنه ليس فينا مثلُه! فقال أبو بكر: يرحمك الله ، والله لو تركتُه ما عَدَوْتُكَ. وشاور معهما سعيد بن زيد أبا الأعور ، وأُسَيْد بن الحُضَيْر ، وغيرهما من المهاجرين والأنصار. فقال أُسَيْد: اللهمَّ أعلمُه الخَيْرةَ بعدَك ، يَرْضَى للرضا ، ويَسْخَط للسُّخْط ، الذي يُسِرُّ خيرٌ من

---

(١) أي: للمشورة.
(٢) مناقب عمر بن الخطاب ، لابن الجوزي ، ص ٥٢ ؛ حياة الصحابة: ٢/٢٨ ؛ عصر الخلافة الراشدة ، ص٥٥.
(٣) أي: اشتدّ به المرض وأشرف على الموت.
(٤) أي: هو أفضل من تراهم أهلاً للخلافة.

الذي يُعلن ، ولم يلِ هذا الأمر أحدٌ أقوى عليه منه .

وسمع بعضُ أصحاب النبي ﷺ بدخول عبد الرحمن وعثمان على أبي بكر وخَلْوَتِهما به ، فدخلوا على أبي بكر ، فقال له قائل منهم : ما أنت قائلٌ لربِّك إذا سألك عن استخلافِك عمرَ علينا وقد ترى غِلْظتَه؟! فقال أبو بكر : أَجْلِسوني ، أبالله تُخَوِّفوني؟! خابَ مَن تَزوَّدَ من أمركم بظُلْم! أقول : اللهم استخلفتُ عليهم خيرَ أهلك . أَبْلِغْ عني ما قلتُ لك مَن وراءَك . ثم اضطجع ، ودعا عثمانَ بن عفان فقال : اكتب :

بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما عَهِد أبو بكر بن أبي قحافة في آخر عهده بالدنيا خارجاً منها ، وعند أول عهده بالآخرة داخلاً فيها ، حيث يُؤمن الكافر ، ويُوقِن الفاجر ، ويَصْدُق الكاذب : إني استخلفتُ عليكم بعدي عمر بن الخطاب ، فاسمعوا له وأطيعوا ، وإني لم آلُ[1] اللهَ ورسولَه ودينَه ونفسي وإياكم خيراً ، فإنْ عَدَلَ فذلك ظني به وعلمي فيه ، وإنْ بدَّل فلكل امرئ ما اكتسب من الإثم ، والخير أردتُ ، ولا أعلمُ الغيب ، ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء : ٢٢٧] ، والسلام عليكم ورحمة الله .

ثم أمر عثمانَ بن عفان فخرج بالكتاب مختوماً ، ومعه عمر بن الخطاب وأُسَيْد بن سَعْيَة القُرظي ، فقال عثمان للناس : أتبايعون لمن في هذا الكتاب؟ فقالوا : نعم ، وقال بعضهم : قد عَلِمْنا به ـ قال ابن سعد : عليٌّ القائلُ ـ وهو عمر! فأقرُّوا بذلك جميعاً ، ورضوا به وبايَعوا .

ثم دعا أبو بكر عمر خالياً فأوصاه بما أوصاه ، ثم خرج من عنده ،

---

(١) أي : لم أقصِّر .

فرفع أبو بكر يديه مَدّاً فقال: اللهم إني لم أُرِدْ بذلك إلا صلاحَهم، وخِفتُ عليهم الفتنة، فعملتُ فيهم بما أنت أعلم به، واجتهدتُ لهم رأيي، فولَّيتُ عليهم خيرَهم، وأقواهم عليهم، وأحرصَهم على ما أرشدهم. وقد حضرني من أمرك ما حضر، فاخلُفْني فيهم، فهم عبادك ونواصيهم بيدك، أصلِحْ لهم واليهم، واجعله من خلفائك الراشدين، يتبعْ هَدْي نبي الرحمة وهَدْي الصالحين بعده، وأصلِحْ له رعيَّته)[١].

والروايات في هذا الباب كثيرة، وهي ضعيفة، لكنها جاءت من طرق متعددة يشدّ بعضها بعضاً ويحصل من مجموعها قوة[٢]، ويؤيدها إجماع الصحابة على بيعة عمر، فلم يمتنع من بيعته أحد ولله الحمد.

وفي رواية: (أن أبا بكر قال: يا أيها الناس! إني قد عَهِدتُ عهداً، أفترضون به؟ فقام الناس فقالوا: قد رضينا، فقام عليٌّ فقال: لا نرضى إلا أن يكون عمر بن الخطاب، فكان عمر)[٣].

وأما ما نقله الدكتور علي محمد الصلابي من (أن عمر دخل على أبي بكر، فعرَّفَه أبو بكر بما عزم، فأبى أن يَقبل، فتهدَّده أبو بكر

---

(١) طبقات ابن سعد: ٣/ ١٩٩ ـ ٢٠٠؛ تاريخ الطبري: ٣/ ٤٢٨ ـ ٤٢٩؛ مصنف ابن أبي شيبة: ٨/ ٥٧٤؛ الإمامة، لأبي نعيم: ٢٧٤ ـ ٢٧٧؛ ثقات ابن حبان: ٢/ ١٩١ ـ ١٩٣؛ تاريخ المدينة، لعمر بن شبة: ٢/ ٦٦٥ ـ ٦٦٩؛ ابن عساكر، ترجمة الصديق، ص ٥٣٤ ـ ٥٣٦.

(٢) وقد جاءت رواية مختصرة بإسناد صحيح عند أحمد (٢٥٩)؛ وابن أبي شيبة: ٨/ ٥٧٥.

(٣) مصنف ابن أبي شيبة: ٧/ ٤٨٦.

بالسيف ، فما كان أمام عمر إلا أن يقبل)[1]! .

فرواية باطلة يردُّها كلُّ ما قدَّمناه ، ونَرْبَأ بالصاحبين العظيمين أن يَصلا إلى هذا المستوى ، وسيرتُهما العطرة تنقضُ هذا الكلام الغَثّ! .

ثانياً: وقفات وإيضاحات:

١ ـ إن ولاية العهد من قِبَل الخليفة القائم بالسلطة إنما هو حق ترشيحٍ فحسب ، وليس حقّاً بتعيين الإمامِ رئيسَ الدولة الذي سيأتي بعده.

ويرى ابن تيمية أن عمر إنما صار إماماً بمبايعة الناس له بعد موت أبي بكر ، لا بمجرد عهد أبي بكر إليه بالخلافة.

فالعبرة في تعيين (رئيس الدولة) إنما هو في اختيارِ أهل الحَلّ والعَقْد ومبايعتهم له وليس في ولاية العهد ، ولو أنهم خالَفُوا الرأيَ في ولي العهد واختاروا غيره لكان لهم ذلك[2].

وهذا هو الحق الذي يتفق مع روح الإسلام وهَدْيه في الحكم وتأصيلِه مبدأَ الشورى ، ويؤكِّده واقع التاريخ وما جرَّت أحداثُه على المسلمين من كوارث وبلاءات وخلل وخروق وفتوق بسبب ولاية العهد ، وبخاصة للأولاد أو الإخوة.

٢ ـ تمَّ عقدُ الخلافة لعمرَ بالترشيح ثم بالشورى فالاتفاق وإجماع الأمة ، وقد أكّد ذلك الواقعُ التاريخي المشهود ، فلم يذكر التاريخ وقوعَ أي خلاف على عمر طيلة مدة خلافته ، ولا نهوضَ أحدٍ ينازعه الخلافة ،

---

(١) انظر كتابه: عمر بن الخطاب ، ص٩٦.

(٢) نظام الإسلام ـ الحكم والدولة ، لمحمد المبارك ، ص ٧٥ ـ ٧٦؛ وانظر: منهاج السنة: ١/ ٣٢٩.

بل استمر الأمر على الطاعة التامة له ، وبقي المسلمون لُحمة واحدة .

ومن أبرعِ الأدلة على اتفاق المسلمين على الفاروق ما رواه حبر الأمة ابن عباس ، وهو أحدُ الشهود على ذلك العهد من مبتدئه إلى منتهاه ، قال ابن عباس: (دخلتُ على عمر حين طُعِن ، فقلت: أبشِرْ بالجنة يا أمير المؤمنين؛ أسلمتَ حين كفر الناس ، وجاهدتَ مع رسول الله ﷺ حين خَذَله الناس ، وقُبض رسول الله ﷺ وهو عنك راضٍ ، ولم يَختلِفْ في خلافتك اثنان ، وقُتلت شهيداً)[1] .

وقال ابن تيمية: (وأما عمر فإن أبا بكر عَهِدَ إليه وبايعه المسلمون بعد موت أبي بكر ، فصار إماماً لما حصلت له القدرة والسلطان بمبايعتهم له)[2] .

وقال الذهبي في أحداث سنة (١٣هـ) من كتابه «العِبر»: (وولي الخلافة عمرُ بنصٍّ من أبي بكر ، فلم يختلف عليه اثنان. فوالله لو نَصَّ لهم النبي ﷺ على علي بن أبي طالب ، كما تفتري الرافضة ، لمَا اختَلَفَ عليه اثنان أيضاً)[3] .

وقال ابن أبي العز: (ونُثْبِت الخلافةَ بعد أبي بكر لعمرَ رضي الله عنهما، وذلك بتفويض أبي بكر الخلافةَ إلَيه ، واتفاقِ الأمة بعده عليه)[4] .

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة: ٨/ ١٥٥ ، والحاكم: ٣/ ٩٢؛ والبيهقي في الاعتقاد ، ص ١٨٨ ، وإسناده صحيح.

(٢) منهاج السنة: ١/ ٣٣٠.

(٣) العبر في خبر من عبر: ١/ ١٣ .

(٤) شرح العقيدة الطحاوية ، ص ٧١٠.

٣ـ ولقد أحسَنَ أبو بكر للأمةِ أيَّما إحسان بعمله هذا ، وكان من يُمنِ رأيه وبركاته على الإسلام أن اختار العَبقريَّ الملهم ليستلم الخلافة من بعده.

قال ابن مسعود: (أَفْرَسُ الناس ثلاثةٌ : أبو بكر حين استخلف عمر ، وصاحبة موسى حين قالت: استأجِرْه ، والعزيز حين تفرَّس في يوسف فقال لامرأته: أكرمي مثواه)[١].

وقال الإمام أبو بكر بن العربي يمتدح فعل الصديق هذا: (ثم استَخْلَف عمر ، فظهرت بركة الإسلام)[٢].

وقال النووي ـ وهو يعدِّد أعمالَ الصديق الجليلة ـ: (ثم خَتم ذلك بمهمٍّ من أحسن مناقبه وأجلِّ فضائله وهو استخلافُه على المسلمين عمرَ بنَ الخطاب رضي الله عنه ، وتفرسُه فيه ووصيتُه له واستيداعُه اللهَ الأمةَ ، فخَلَفَه الله عز وجل فيهم أحسنَ الخلافةِ ، وظهر لعمر الذي هو حسنة من حسناته وواحدة من فعلاته: تمهيدُ الإسلام ، وإعزازُ الدين ، وتصديقُ وعد الله تعالى بأن يظهره على الدين كله)[٣].

ثالثاً: الإشارة في السنة النبوية إلى خلافة عمر:

وردت في الأحاديث الصحيحة إشارات كثيرة وقوية إلى خلافة عمر ، وأنها بعهد من أبي بكر ، ومن ذلك:

---

(١) طبقات ابن سعد: ٣/ ٢٧٣؛ المستدرك: ٢/ ٣٤٥.
(٢) العواصم من القواصم ، ص ٦٨.
(٣) تهذيب الأسماء واللغات: ٢/ ١٨٢.

١ ـ عن أبي هريرة قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**بَيْنَا أنا نائمٌ رأيتُني على قَلِيبٍ، عليها دَلْوٌ، فنَزَعتُ منها ما شاء الله، ثم أخذها ابنُ أبي قُحافة فنَزَعَ بها ذَنُوباً أو ذَنُوبين، وفي نزعِه ـ والله يغفرُ له ـ ضَعْفٌ. ثم استحالَتْ غَرْباً، فأَخذها ابنُ الخطاب، فلم أَرَ عَبقريّاً من الناس يَنْزِعُ نَزْعَ عمر بنِ الخطاب، حتى ضَرَبَ الناس بِعَطَنٍ**»[1].

ففي هذا الحديث إعلام بخلافة أبي بكر وعمر، وصحة ولايتهما، وكثرة الانتفاع بهما[2].

٢ ـ ومن حديث ابن عمر: «**ثم أَخذَها ابنُ الخطاب من يدِ أبي بكر فاستحالَتْ في يده غَرْباً**»[3].

وقوله ﷺ: «**ثم أخذها ابن الخطاب من يد أبي بكر**» فيه إشارة إلى أن عمر ولي الخلافة بعهد من أبي بكر إليه[4]. ورؤياه ﷺ حق، وقوله حق، وقد أَخبر الناس به، ورضي به ولله الحمد!.

٣ ـ وعن سَمُرة بن جُنْدُب: (أَن رجلاً قال: يا رسول الله! رأيتُ كأَنَّ دلْواً دُلِّيَ من السماء، فجاءَ أبو بكر، فأَخذَ بعَرَاقَيْها فشَرِبَ شُرْباً ضعيفاً، ثم جاء عمرُ فأخذ بعَرَاقَيْها فشَرِب حتى تَضَلَّعَ، ثم جاء عثمان فأخذ بعَرَاقِيها فشرب حتى تضلَّع، ثم جاء عليٌّ فأخذ بعَرَاقيها،

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٦٤)؛ ومسلم (٢٣٩٢)؛ والنسائي في الكبرى (٧٥٨٨)، وغيرهم.

(٢) شرح مسلم، للنووي: ٨/ ١٧٨؛ الفتح: ١٦/ ٢٣٤ (٧٠١٩).

(٣) تقدم: ص٢٠٧ في هذا الكتاب.

(٤) الفتح: ١٦/ ٢٣٣. وانظر ما سيأتي: ص٥٤٣ وما بعدها في هذا الكتاب.

فانْـتَشَطَتْ ، وأنْتُضحَ عليه منها شيءٌ!)[1].

ومعنى **تَضَلَّع**: الاستيفاء في الشُّرب حتى روِي فتمدَّد جنبه وضلوعه.

وقوله في أبي بكر: شرب شرباً ضعيفاً ، إنما هو إشارة إلى قِصر مدة أيام خلافته. وأما عمر فبقي أكثر من عشر سنين ، وهذا معنى تضلُّعِه.

٤ ـ وحديث جابر: (أن رسول الله ﷺ قال: «**أُرِي الليلةَ رجُلٌ صالحٌ أن أبا بكر نِيط برسول الله ﷺ ، ونِيطَ عمرُ بأبي بكر ، ونِيطَ عثمان بعمرَ**»...) الحديث[2].

ونَوْطُ بعضهم ببعض معناه أنهم ولاة الأمر بعد النبي ﷺ ، كما فسَّره الصحابة الذين سمعوا القصة منه ﷺ ، وهم أدرى وأعلم.

* * *

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٣٧)؛ وأحمد (٢٠٢٤٢) ، وغيرهما؛ وحسنه شعيب الأرنؤوط. قوله: (بعراقيها): العَرَاقان: خشبتان تُجعلان على فم الدلو متخالفتان لربط الدلو.

(٢) تقدم بتمامه: ص٢٣٦ في هذا الكتاب.

الفصل الثاني

استقباله الخلافة ومعالم سياسته

أولاً: خطته في الحكم:

توفي أبو بكر (مساء الإثنين ٢١ جمادى الآخرة ١٣هـ - ٢٢/ ٨/ ٦٣٢م) ، فاستقبل عمر بخلافته يوم الثلاثاء صبيحة موت أبي بكر رضي الله عنه .

وبايعه المسلمون جميعاً في مسجد رسول الله ﷺ ، فقام فيهم خطيباً يبين سياسته ويحدِّد معالم مسيرته ، ويزيل ما عَلِق في أذهان كثيرين عن قسوته وخشونته ، وأنه قبِل الخلافة غير راغب فيها ، وأنه أصبح المسؤول المباشر عن الدين والأمة والدولة .

وقد نقلت الأخبار لنا عدة خُطب للفاروق في هذا الموقف ، نرى أنها تشكل لحمة واحدة ، لأنها بمثابة (البيان الرئاسي) ، فلابد أن تكون متكاملة وشاملة .

●● روى عروة بن الزبير : أن عمر خَطب فحمدَ الله وأثنى عليه بما هو أهلُه ، ثم قال : (يا أيها الناس! إني قد وُلِّيت عليكم ، ولولا رجاءُ أن

أكونَ خيرَكم لكم وأقواكم عليكم ، وأشدَّكم استضلاعاً بما ينوب من مُهِمّ أمورِكم؛ ما توليت ذلك منكم)[1].

وروى سعيد بن المسيِّب والقاسم بن محمد ، عن عمر قالَ: (ليعلَمْ من وَلي هذا الأمر من بعدي أن سيريدُه عنه القريب والبعيد ، إني لأقاتلُ الناسَ عن نفسي قتالاً ، ولو علمتُ أن أحداً من الناس أقوى عليه مني لكنتُ أُقدَّمُ فتُضربُ عنقي أحبُّ إليَّ من أن أَلِيَه)[2].

وعن الأسود بن هلال المُحاربي قال: (لمَّا وَلي عمر بن الخطاب قام على المنبر ، فحمدَ الله وأثنى عليه ، ثم قال: أيها الناس! أَلا إني داع فَهَيْمِنوا: اللهمَّ إني غليظٌ فَلَيِّنِّي ، وشحيحٌ فسَخِّنِي ، وضعيفٌ فَقوِّني!)[3].

وروى حُميد بن هلال قال: (أخبرنا مَن شهد وفاة أبي بكر الصديق ، فلما فَرغ عمر من دفنه نَفَض يدَه عن تراب قبره ، ثم قام خطيباً مكانه فقال: إن الله ابتلاكم بي ، وابتلاني بكم ، وأبقاني فيكم بعد صاحبيَّ ، فوالله لا يَحضُرني شيء من أمركم فيليه أحدٌ دوني ، ولا يتغيَّب عني فآلُو فيه عن الجَزْء والأمانة ، ولئِنْ أحسنوا لأُحسننَّ إليهم ، ولئن أساؤوا لأُنكِّلَنَّ بهم. قال الرجل: فوالله ما زاد على ذلك حتى فارق الدنيا)[4].

●● وأَوْجَزَ بكلماتٍ عبقريةٍ ما كان عليه عندما كان وزيراً للنبي ﷺ ثم

---

(١) تاريخ الطبري: ٤/ ٢١٤.
(٢) طبقات ابن سعد: ٣/ ٢٧٥ ، ٢٨٧.
(٣) المرجع السابق: ٣/ ٢٧٤ ـ ٢٧٥؛ الحلية: ١/ ٥٣. **هَيْمِنوا**: قولوا: آمين.
(٤) طبقات ابن سعد: ٣/ ٢٧٥؛ مختصر ابن عساكر: ١٨/ ٣١٤. **الجزء**: الكفاية.

لأبي بكر ، وكيف ستكون سياسته وقد آلت الأمور إليه ، ويريهم بالسلوك العملي من أول لحظة مكان الخليفة السابق عنده ، وأنه امتداد لعهده المبارك .

قال الشعبي : (لما ولي عمر بن الخطاب صعد المنبر ، فقال : ما كان الله ليراني أن أرى نفسي أهلاً لمجلس أبي بكر . فنزل مِرْقاة)[1] . فجلس على المنبر حيث كان أبو بكر يضع قدميه! .

وقال سعيد بن المسيِّب : (لمّا ولي عمر بن الخطاب خَطَبَ الناس على منبر رسول الله ﷺ ، فحمد الله تعالى وأثنى عليه بما هو أهلُه وصلى على النبي ﷺ ، ثم قال :

بَلَغَني أن الناس هابوا شدتي ، وخافوا غلظتي ، وقالوا : قد كان عمر يشتد علينا ورسول الله ﷺ بين أظهُرِنا ، ثم اشتدَّ علينا وأبو بكر والينا دونه ، فكيف وقد صارت الأمور إليه؟! ومن قال ذلك فقد صدق! .

فقد كنتُ مع رسول الله ﷺ فكنت عبدَه وخادمه ، وكان مَنْ لا يَـبْلُغُ أحدٌ صِفَتَه من اللِّينِ والرحمة ، وكان كما قال الله بالمؤمنين رؤوفاً رحيماً ، فكنت بين يديه سيفاً مسلولاً حتى يُغمِدني أو يَـدَعني فأمضي . فلم أزَلْ مع رسول الله ﷺ على ذلك حتى توفاه الله وهو عني راضٍ ، والحمد لله على ذلك كثيراً وأنا به أسعد .

ثم وَلي أمر المسلمين أبو بكر ، فكان من لا تنكرون دَعَتَه وكرمه ولِينَه ، فكنتُ خادمه وعونَه ، أخلط شدتي بلينه ، فأكون سيفاً مسلولاً حتى يُغمدني أو يَدَعني فأمضي . فلم أزَلْ معه كذلك حتى قبضه الله عز

---

(١) مختصر ابن عساكر : ١٨/ ٣١٤.

وجل وهو عني راضٍ ، والحمد لله على ذلك كثيراً وأنا به أسعد .

ثم إني قد وَليت أموركم أيها الناس ، فاعلموا أن تلك الشدة قد أُضْعِفت[1] ، ولكنها إنما تكون على أهل الظلم والتعدي على المسلمين ، فأما أهل السلامة والدين والقصد ، فأنا أَليَنُ لهم من بعضهم لبعض. ولست أَدَعُ أحداً يظلم أحداً أو يتعدى عليه حتى أضَع خَدَّه على الأرض ، وأضع قدمي على الخدِّ الآخر حتى يُذعن للحق! وإني بعد شدتي تلك أضع خدي على الأرض لأهل العفاف وأهل الكفاف! .

ولكم عليَّ أيها الناس خصالٌ أذكُرها لكم فخُذوني بها[2] : لكم عليَّ أن لا أجتبي شيئاً من خَراجكم ولا مما أفاء الله عليكم إلا من وجههِ. ولكم عليَّ إذا وقع في يديَّ ألا يخرج مني إلا في حقه. ولكم عليَّ أن أزيد عطاياكم وأرزاقكم إن شاء الله تعالى ، وأسدَّ ثغوركم. ولكم عليَّ ألا ألقيكم في المهالك ، ولا أُجَمِّركم[3] في ثغوركم ، وإذا غِبْتُم في البعوث فأنا أبو العيال حتى ترجعوا إليهم .

فاتقوا الله عباد الله ، وأعينوني على أنفسكم بكفِّها عني ، وأعينوني على نفسي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وإحضاري النصيحة فيما ولاني الله من أمركم. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

قال ابن المسيب: فوالله لقد وفى بما قال ، وزاد في موضع الشدة

---

(١) وفي رواية: (ازدادت أضعافاً)! .

(٢) أي: حاسبوني عليها .

(٣) **التجمير**: إبقاء الجنود في الجبهة مدة طويلة .

على أهل الريب والظلم ، والرفق بأهل الحق من كانوا)[1].

●● لقب أمير المؤمنين:

لما توفي النبي ﷺ واستُخلِف أبو بكر الصديق كان يُقال له: خليفةُ رسول الله ، فلما توفي أبو بكر ، واستُخلف عمر بن الخطاب قيل لعمر: خليفة خليفة رسول الله. فقال المسلمون: فمن جاء بعد عمر قيل له: خليفة خليفة خليفة رسول الله ، فيطول هذا ، ولكن أجْمِعُوا على اسم تَدْعُون به الخليفة يُدعى به مَن بعده من الخلفاء[2].

وكان اختيار اللقب بطريق التوفيق الإلٰهي للأمة عامة وللخليفة خاصة ، فروى أبو بكر بن سليمان بن أبي حَثْمة قال: حدثتني جدّتي الشفاء ـ وكانت من المهاجرات الأُوَل ـ: (أن عمر بن الخطاب كتب إلى عامل العراق بأن يبعث إليه رجلين جَلْدَيْن يسألهما عن العراق وأهله ، فبعث عامل العراق بلَبيد بن ربيعة وعدي بن حاتم. فلما قدِما المدينة أناخا راحلتَيْهما بفِناء المسجد ، ثم دخلا المسجد ، فإذا هما بعَمْرو بن العاص ، فقالا: استأذِنْ لنا يا عمرو على أمير المؤمنين! فقال عمرو: أنتما والله أصبتُما اسمَه؛ هو الأمير ونحن المؤمنون! فوثب عمرو فدخل على عمر ، فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين! فقال عمر: ما بدا لك في هذا الاسم يا ابنَ العاص ، ربي يعلمُ لتخرجنَّ مما قلتَ! قال: إن لبيد بن ربيعة وعدي بن حاتم قدِمَا ، فأناخا راحتيهما بفناء المسجد ، ثم

(١) الخراج ، لأبي يوسف ، ص ١٤٠؛ مختصر ابن عساكر: ١٨/ ٣١٤ ـ ٣١٥؛ محض الصواب: ١/ ٣٨٤ ـ ٣٨٥.

(٢) طبقات ابن سعد: ٣/ ٢٨١.

دخلا عليَّ فقالا لي: استأذِنْ لنا يا عمرو على أمير المؤمنين ، فَهُما والله أصابا اسمك ، نحن المؤمنون وأنت أميرنا. قال: فمضَى به الكتاب من يومئذٍ)[1].

ثانياً: تحديد معالم سياسته من خلال خطبه:

أدرك عمر بألمعيته وعبقريته وإلهاماته المعهودة ما في خواطر قَبِيل من الناس عنه ، وقد رأوا مسلكه في عهد النبوة وأيام أبي بكر ، فبيَّن لهم ذلك في الأيام الأولى من استقباله الخلافة وأوضح للناس عامة سياسته ، في تلك الكلمات الموجزة المبنى الرفيعة المعنى.

وبالتأمل في تلك الخطب الجليلة التي ألقاها أمير المؤمنين في الأيام القليلة الأولى من خلافته؛ يمكن تحديد المعالم الرئيسة في خطته وسياسته:

١ ـ الخلافة ورئاسة الدولة وما دونها من المناصب هي ابتلاء واختبار ومسؤولية أمام الله تعالى والدين والأمة؛ (إن الله ابتلاكم بي ، وابتلاني بكم) ، وليست تشريفاً واستعلاء ومحسوبية وجاهاً.

٢ ـ الولاية على الناس وسياستهم تتطلب قوة جبارة تمتاز بالخير والبر والحزم ، للقيام بالأعباء الجسام ، لتدبير شؤون الرعية ومؤسسات الدولة ، ومتابعة كل أمر صغير أو كبير ، قريب أو بعيد؛ (ولو علمتُ أن أحداً من الناس أقوى عليه مني لكنتُ أُقَدَّمُ فتُضرب عنقي أَحَبُّ إليَّ من أن أَلِيَه).

---

(١) التاريخ الأوسط: ١/ ١٤٠ (١٦٦)؛ الاستيعاب: ٢/٤٥٨؛ المستدرك: ٣/ ٨١ ـ ٨٢ ، وقال الذهبي: صحيح؛ محض الصواب: ١/ ٣١١ ـ ٣١٢.

٣ ـ الحزم والصلابة وعدم الهوادة والملاينة مع الأقارب والأصحاب والمقربين والأحباب ، لأن فيهم مَن قد يتزلّف إلى الحاكم بمودَّةٍ قرابة أو صلة رحم أو صداقة حميمة؛ لينال منصباً أو مكرمة أو ما ليس له بحق. . . وهذا ما يحدث كثيراً ، مما يضيع الحقوق وينذر بانهيار الدول. ولقد كان عمر في ذروة الإلهام في قوله: (ليعلم مَن وَلي هذا الأمر من بعدي أنْ سيريده عنه القريب والبعيد ، إني لأقاتل الناس عن نفسي قتالاً!). فكم قرأنا وسمعنا وشاهدنا عن هذا الصنف من الحكام والناس ، وما جَرُّوه على العباد والبلاد من أضرار وأخطار! .

٤ ـ الخليفة والإمام الأعظم ورئيس الدولة مسؤول مسؤولية مباشرة عن كل ما يليه من أمور وما يتناهَى إلى علمه من أخبار الدين والدولة والرعية ، فما حَضَره من ذلك تولاه بنفسه دونما تأجيل أو توكيل ، وما غاب عنه وخفِيَ عليه نصَّبَ له الأمراء الأكفاء من أهل القوة والأمانة ، ليتعاهدوه ويسيروا فيه على هدي الخليفة: (فوالله لا يَحضُرني شيءٌ من أمرِكم فيَلِيه أحدٌ دوني ، ولا يتغيَّبُ عني فآلُو فيه عن الجَزْء والأمانة).

٥ ـ من أبرز صفات الخليفة والوالي وأي مسؤول في الدولة: أن يكون قويّاً في عمله ، هيِّناً ليِّناً في سياسة الناس ، سخيّاً كريماً في البذل والعطاء لعامة الرعية دون محسوبية ، وفي الوجوه المشروعة؛ (اللهم إني غليظ فليِّنّي ، وشحيحٌ فسَخِّنِي ، وضعيف فقوِّني).

٦ ـ الحاكم الذي يتبوأ منصب رئاسة الدولة والخلافة بالطريقة الصحيحة الشرعية، وبإرادة الأمة، يسلك هَدْي مَن سبقوه، ولا ينتقض عليهم ، ولا ينتقص منهم. ولقد كانت سيرة عمر مع رسول الله ﷺ

وخليفته من بعده أبي بكر ، على جانب من الشدة والصرامة ، ذلك أنه كان يشير ويقترح ولا ينفذ ، ويرى منهما الرفق واللِّين ويأخذان من شدته بمقدار الحاجة ويُمضيان الأمور على ما فيه رضا الله ومصلحة الناس؛ (فكنتُ بين يديه ﷺ سيفاً مسلولاً حتى يُغمِدني أو يَـدَعني فأمضي) ، ومع أبي بكر (أخلط شدتي بلينِه).

٧ـ إن شدة عمر وصلابته وقسوته التي عَهِدها الناس هي الآن على حالين ، لأنه أضحى هو المرجع في كل الأمور؛ فهو الذي يَستشير ويُشير ، وهو كذلك يُمضي وينفذ: فشدّتُه ستكون نكالاً على أهل الظلم والتعدي ، حتى يُرغِم أنوفهم ويأخذَ منهم الحق صاغرين ، (ولستُ أَدَعُ أحداً يظلم أحداً أو يتعدَّى عليه حتى أَضَعَ خدَّه على الأرض ، وأَضَع قدمي على الخدِّ الآخر حتى يُذعِن للحق!). وفي الجهة المقابلة فإن هذه الشدة قد ضَعُفَت ولانَتْ حتى استحالَتْ رقةً ورحمة وتواضعاً لأصحاب الحقوق والضعفاء والمظلومين وأهل العفاف والكفاف ، (فأما أهل السلامة والدين والقَصْد ، فأنا أَليَنُ لهم من بعضهم لبعض. . . وإني بعد شدتي تلك أَضَعُ خدِّي على الأرض لأهل العفاف وأهل الكفاف!).

٨ـ وحدَّد الخط العام الذي سيجري عليه في سياسته المالية: (لكم عليَّ أن لا أجتبي شيئاً من خَراجكم ولا مما أفاء الله عليكم إلا من وجهه ، ولكم عليَّ إذا وقع في يديَّ ألا يَخرج مني إلا في حقه ، ولكم علي أن أزيد عطاياكم وأرزاقكم إن شاء الله تعالى).

فمواردُ خزينة الدولة من الحلال الخالص ، ومصارف الأموال في الوجوه المشروعة ، ويهيمن على ذلك جهاز بارع لضبط الأداء المالي للدولة ، مع مراعاة أحوال الناس ومعاشهم وتطور الحياة ومتطلباتها

بزيادة الأعطيات والأرزاق والمرتبات.

٩ ـ حماية حدود الدولة الإسلامية من العدوان في الخارج، ورعاية شؤونها في الداخل، (ولكم عليَّ أن أسدَّ ثغورَكم، وألا أُلقِيكم في المهالك، ولا أُجَمِّركم في ثغوركم، وإذا غِبتم في البعوث فأنا أبو العيال حتى ترجعوا إليهم).

فالجيش الذي يجاهد في الثغور ويتولى شؤون الفتوحات، لا يبقى بعيداً مدداً طويلة عن أهله وذويه، بل له أجل مضبوط يطيقه، ولا يقبل أمير المؤمنين أن يغامر بهم أحد في معارك ووجوه هي مظنة الخطر والهلاك. وعند غياب الجند تتولى الدولة الحماية الأدبية والرعاية المادية لأسرهم وأولادهم، فأمير المؤمنين (أبو العيال).

١٠ ـ تأسيس جهاز الرقابة على الخليفة والدولة.

فالأمة والرعية عامة لها دور أساسي وخطير في توجيه سياسة الدولة، والمشاركة الجريئة المخلصة في سيرورتها، وحفظِها بتقديم المشورة والنصيحة والتوجيه والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دونما وجلٍ ولا مداراة (فاتقوا الله عبادَ الله، وأعينوني على أنفسكم بكفِّها عني، وأعينوني على نفسي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإحضاري النصيحة فيما ولاني الله من أمركم).

١١ ـ الجِدّ في الأمور كلها والاجتهاد فيها، والاستمرار على هذا النهج حتى فارق الدنيا، ويبين ذلك عبد الله بن عمر في حديثه فيقول:

(ما رأيتُ أحداً قَطُّ بعد رسول الله ﷺ من حين قُبِض كان أجَدَّ وأجودَ حتى انتهى من عمر بن الخطاب)[1].

وقد مشى الفاروق في طول مدة خلافته على سنن واضحة ومنهج محدد ومسيرة واحدة ، من الحزم والصلابة والجد في كل أمر صغير أو كبير ، حتى انتهى أجله ولقي وجه ربه.

وقد جاء في خطبة أخرى له: (إنما مَثَل العرب مَثل جملٍ أُنف اتبع قائده ، فلينظر قائده حيث يقوده ، فأما أنا فوربِّ الكعبة لأحملنَّهم على الطريق)[2].

فالأمة الإسلامية سهلة مطيعة في المعروف ، وواجب القائد أن يرتادَ لها أقومَ السُّبل وأنجعها وأزكاها ، وهكذا كان منهج عمر (لأحملنَّهم على الطريق) الأقوم الذي لا عوجَ فيه ولا هوادةَ مع الانحراف عنه.

١٢ ـ وأعظمُ ما في تلك الخُطب وأرفعُه وأجلُّه وأفضَلُه أنها لم تكن استعراضية ولا كلاماً يلقى ، أو وعوداً معسولة وابتزازاً للشعوب ، وشراءً للضمائر ، واستكثاراً من المؤيدين والهتَّافين! بل كانت منهجاً قيماً وواقعاً صادقاً ، صدَّقَتْه الأيام الخالدة وزيَّنَتْه الأعمال الماجدة ، وذلك ما عبَّر عنه سعيد بن المسيب بقوله: (فوالله لقد وفى بما قال ، وزاد في موضع الشدة على أهل الريب والظلم ، والرفق بأهل الحق من كانوا).

ثالثاً: هديه مع نفسه وأسرته وعشيرته:

تجلَّت طبيعة عمر في صلابته وحزمه وشدته: في سلوكه مع نفسه

---

(١) البخاري (٣٦٨٧)؛ وانظر: ما تقدم ص ٢١٦ في هذا الكتاب.
(٢) تاريخ الطبري: ٣/٤٣٣ ، ٤/٢٠١.

وأسرته وعشيرته طيلة مدة خلافته؛ فوضع له أولاً ولهم ثانياً دستوراً قاسياً في العيش والمحاسبة والمراقبة والمتابعة الدؤوبة اليقظة... فكان يقنع بالخشن من الطعام والغليظ الرخيص من الثياب، ويأبى أن ينوِّع الطعام أو يعدِّد الكساء حتى يستوعب ذلك جميعَ الأمة! ويحاسب نفسه وذويه قبل أن تحاسبه الرعية، فكانت حياته أرفع من تقشف النسَّاك! وهو كان أعلمَ الناس بأن الطيبات حلال وأن النهي عن المباح تنطع في الدين يأباه الإسلام.

ولقد كان مسلكُ أمير المؤمنين في عيشه مسلكَ الجندي الصارم الذي ينتظر موقف الحساب بين يدي سيده، فكان عمر يَستحضر دوماً الوقوفَ بين يدي الله تعالى وهو شديد الحساب ورؤوف رحيم، لكن (الطبيعة الفاروقية) الجادة حملَتْه على الوفاء بالأمر وقضاء الواجب في أدق تفاصيله؛ ليبرأ في الحساب من العهدة، وليؤدي الأمانة على وجهها، وينتظر مع ذلك من الله تعالى الرحمة والصفح والغفران.

ثم هو كذلك يَفِي بحقِّ القدوة والأسوة بالنبي الأكرم ﷺ وخليفته الأول أبي بكر، وقد رأى منهما أنهما لم يأخذا من الدنيا إلا ما يسدُّ الرَّمَق ويُقيم الأَوَد ويستر الجسد. وكثيراً ما توسَّل إليه أكابر الصحابة واستعانوا عليه بابنته أم المؤمنين حفصة؛ أن يرفِّه من عيشه، فقال لهم: (تركتُ صاحبيَّ على جادة فإن تركتُ جادتهما لم أدركهما في المنزل)، وقال لحفصة: (سأُخاصِمك إلى نفسك، كيف كان عيش النبي ﷺ؟!). فكان يحمل نفسه على أن لا يعيش خيراً من عيش النبي ﷺ، ولا يمنح نفسه وذويه ما لم يمنحه رسول الله ﷺ لنفسه وآله الطاهرين.

وهو أيضاً جعل نفسه قدوة لولاة الأمصار ورؤوس الناس ليرفعوا من

سلوكهم ويحاكوه فيه ، ولا يميلوا إلى الدنيا ، حتى لا يرتع الناس فيهلكوا ، وقد فاضت الخيرات وفُتحت مصاريع الدنيا وسالت الكنوز بين أيديهم.

وهو أخيراً سَلْوة لذوي الحاجة والمَتْربة ومن قلَّت حيلتُهم وضاق معاشهم ، فلا يتبرمون بالأقدار ، ولا يَشكُون الخليفة إلى الله سرّاً وجهراً. . . فها هو ذا يعيش كآحادِ فقراء المسلمين ، وتتوقد بين جوانحه همومهم وأعباء المسؤولية عنهم.

تلكم هي نظرة عمر وهذه فلسفته في معاشه ولباسه ونفقاته ، فلا ضَيْر عليه في هذا المسلك الصعب الذي لا يستطيعه إلا من كان مثله ، وأين مثل أبي حفص؟!.

ولسنا نطلب من الناس ـ حكاماً أو رعية ـ أن يكونوا في هذا السبيل من الشظف ، ولا يطمع أحد أن يجد لهذا مثيلاً ، لكننا كذلك لا نلوم عمر ، ولا نقلِّب الأكفَّ مستغربين ، ولا نتوقف في قبول الأخبار مستريبين ، فذلك (سلوك عمري) قد رضي به وحمل أهله عليه. . . لا نلومه فيه لأننا أوضحنا مبرراته ، ثم لا نلومه ثانية وقد كانت الرعية كلها في مدة خلافته المباركة تعيش في الرغد والرفاه والنعيم ، وقال في إنفاقه الأموال على الناس: لأَحثونَّه لهم حثواً!.

١ ـ نفقات الخليفة وطعامه ولباسه:

أ ـ تحديد حقوقه من بيت المال:

●● لما ولي عمر الخلافة مكث زماناً لا يأخذ من بيت مال المسلمين شيئاً ، حتى دخلت عليه في ذلك خَصَاصة ، وأَرسل إلى أصحاب

رسول الله ﷺ فاستشارهم فقال: قد شغلتُ نفسي في هذا الأمر، فما يَصلح لي منه؟ فقال عثمان بن عفان: كُلْ وأَطْعِمْ، وقال ذلك سعيد بن زيد، وقال لعليٍّ: ما تقول أنت في ذلك؟ قال: غداء وعشاء، فأخذ عمر بذلك[1].

وزاد عمر الأمر دقة وتحديداً وورعاً، فبيَّن لهم ما يحق له من بيت المال:

عن حارثة بن مُضَرِّب قال: قال عمر بن الخطاب: (إني أنزلتُ نفسي من مال الله منزلةَ مال اليتيم، إن استغنيتُ استعففتُ، وإن افتقرتُ أكلتُ بالمعروف)[2].

وعن الأحنف بن قيس: أنهم كانوا في مجلس عمر، فقالوا: (ماذا يحلُّ لأمير المؤمنين من مال الله؟ فقال: أنا أُخبركم بما أستحِلُّ منه: يَحِلُّ لي حُلَّتان، حُلّة في الشتاء وحلَّة في القيظ، وما أحجُّ عليه وأعتمِرُ من الظَّهر، وقوتي وقوتُ أهلي كقوت رجل من قريش ليس بأغناهم ولا بأفقرهم، ثم أنا بعدُ رجل من المسلمين يُصيبني ما أصابهم)[3].

ومع هذا فإن أمير المؤمنين كان يتورع عن مال المسلمين، حتى رَقَّ له أعيانُ الصحابة وتحايلوا عليه ليزيدوا في (راتبه)، واستشفعوا لديه بابنته حفصة!.

---

(١) طبقات ابن سعد: ٣/ ٣٠٧.

(٢) علقه البخاري قبل الحديث (٧١٦٣)؛ ووصله ابن أبي شيبة: ٧/ ٦٢٤؛ وابن سعد: ٣/ ٢٧٦؛ وصححه الحافظ في الفتح: ١٦/ ٥١٩.

(٣) طبقات ابن سعد: ٣/ ٢٧٥ ـ ٢٧٦؛ مصنف عبد الرزاق (٢٠٠٤٦)؛ وصححه الحافظ في الفتح: ١٦/ ٥١٩.

عن الحسن البصري قال: (إن عمر بن الخطاب أبى إلا شدة وحَصْراً على نفسه، فجاء الله بالسعة، فجاء المسلمون فدخلوا على حفصة فقالوا: أبى عمر إلا شدة على نفسه وحصراً، وقد بَسط الله في الرزق، فَلْيَبْسطْ في هذا الفيء، فيما شاء منه، وهو في حِلٍّ من جماعة المسلمين. فكأنها قاربَتْهم في هواهم، فلما انصرفوا من عندها، دخل عليها عمر فأخبرتْه بالذي قال القوم، فقال لها عمر: يا حفصة بنت عمر، نصحتِ قومك وغششتِ أباك، إنما حق أهلي في نفسي ومالي، فأما في ديني وأمانتي فلا!)[1].

وقد بينت رواية الطبري أن الذين دخلوا على حفصة وأمروها بذلك هم نفر من المهاجرين، منهم: عثمان وعلي وطلحة والزبير[2].

وعن مصعب بن سعدٍ قال: (قالت حفصة بنت عمر لأبيها: يا أمير المؤمنين! إنه قد أوسع الله الرزق وفَتح عليك الأرض وأكثَر من الخير، فلو طَعِمْتَ طعاماً ألينَ من طعامك، ولبستَ لباساً ألينَ من لباسك! فقال: سأُخاصمكِ إلى نفسكِ؛ أما تذكرين ما كان رسول الله ﷺ يَلقى من شدة العيش؟! قال: فما زال يذكِّرها حتى أبكاها. ثم قال: إني قد قلت لكِ: إني والله لئن استطعتُ لأشاركنَّهما في عيشهما الشديد، لعلّي ألقى معهما عيشهما الرخي. يعني: رسول الله وأبا بكر)[3].

(١) طبقات ابن سعد: ٣/ ٢٧٨؛ محض الصواب: ٢/ ٥٧٣ ـ ٥٧٤.
(٢) تاريخ الطبري: ٣/ ٦١٦.
(٣) أخرجه النسائي في الكبرى (١١٨٠٦)؛ وأحمد في الزهد (٦٦٠)؛ وابن سعد: ٣/ ٢٧٧ ـ ٢٨٧.

وربما قصَّر (راتب) عمر ـ على قلَّته ـ عن نفقاته ونفقات أهله ، فكان يستدين من بيت المال ما يكمل به معاشه إلى آخر الشهر ، ثم يوفي الخازن حقه! فإن لم يجد بدّاً من التأجيل استقرض من أغنياء الصحابة ليسدَّ دَينه! .

روى ابن سعد وغيره: (أن عمر بن الخطاب كان إذا احتاج أتى صاحبَ بيت المال فاستقرضه ، فربما عَسُر ، فيأتيه صاحبُ بيت المال يتقاضاه فيَلْزَمه فيحتالُ له عمر ، وربما خرج عطاؤه فقضاه)[1].

وعن زيد بن وَهْب قال: (أرسل عمر إلى عبد الرحمن بن عوف يَستسلِفُه أربع مئة درهم ، فقال عبد الرحمن: أتستسلِفُني وعندك بيت المال ، ألا تأخذُ منه ثم تردُّه؟! فقال عمر: إني أتخوف أن يُصيبني قدري ، فتقول أنت وأصحابك: اتركوا هذا لأمير المؤمنين ، حتى يؤخَذ من ميزاني يوم القيامةِ ، ولكني أتسلّفُها منك لِما أعلم من شُحِّك ، فإذا مِتُّ جئتَ فاستوفيتَها من ميراثي!)[2].

ب ـ طعامه:

●● كان أمير المؤمنين يأكل الخبز والزيت أحياناً ، والخبز والسمن أحياناً أخرى ، ويشتري من اللحم كل شهر بمبلغ زهيد ، وقَلَّ أن يَجمع أُدْمين في وجبة واحدة ، ليبقى على عهده مع رسول الله ﷺ ، وليقتدي به

---

(١) طبقات ابن سعد: ٣/ ٢٧٦؛ تاريخ الطبري: ٤/ ٢٠٨. **يحتال**: يسعى في تدبير المال.

(٢) الأموال ، لأبي عبيد (٦٦٤)؛ طبقات ابن سعد: ٣/ ٢٧٨.

المسؤولون في الأمة ، ويكون سلوةً للفقراء ، ويبرأ من أدنى تفريط بمال المسلمين.

عن عاصم بن عمر قال: (قال عمر: لا أجِدُ يَحلُّ لي أن آكلَ من مالكم هذا إلا كما كنت آكلٍ من صُلب مالي: الخبز والزيت والسمن. قال: فكان ربما أُتي بالجَفْنة قد صُنِعت بزيت ، فيعتذر إلى القوم ، فيقول: إني رجل عربي ، ولستُ أستمرئ هذا الزيت)[1].

وعن الأحوص بن حكيم قال: (أُتي عمر بلحمٍ فيه سَمْن ، فأبى أن يأكلهما ، وقال: كل واحد منهما أُدْمٌ)[2].

وعن أبي حازم قال: (دخل عمر بن الخطاب على حفصة ابنتِه ، فقدَّمتْ إليه مَرَقاً بارداً وخبزاً وصَبَّت في المرق زيتاً ، فقال: أُدْمانِ في إناء واحد ، لا أَذوقه حتى ألقى الله)[3].

وعن ابن البراء بن معرور: (أن عمر رضي الله عنه خرج يوماً حتى أتى المنبر ، وقد كان اشتكى شكوى له ، فَنُعِتَ له العسل ، وفي بيت المال عُكَّة ، فقال: إنْ أَذِنْـتُم لي فيها أخذتُها ، وإلا فهي عليَّ حرام! فأذِنوا له فيها)[4].

وقال ابن عباس ـ وكان يحضر طعام عمر ـ: (كانت له كل يوم إحدى

---

(١) مختصر ابن عساكر: ١٨/ ٣٣١؛ محض الصواب: ٢/ ٤٩٣ ـ ٤٩٤.
(٢) طبقات ابن سعد: ٣/ ٣١٩.
(٣) المرجع السابق نفسه.
(٤) تقدم: ص١٩٥ في هذا الكتاب ، ومن طريق آخر عند ابن أبي شيبة في تاريخ المدينة: ٢/ ٧٠٥؛ محض الصواب: ٢/ ٤٩٥.

عشرة لقمة ، إلى مثلها من الغد!)[1] .

وقال ابن أبي نَجيح : (كان لعمر كل شهر ثلاثة دراهم لحم)[2] .

وقد تقدمت أخبار أخرى في هذا الباب[3] .

●● ورأى الناس منه ذلك ، وكذا كبارُ الصحابة وولاة الأمصار ورؤساء الوفود ، وقد فاضت الأموال وكثُرت الخيرات ، وأرادوه على العيش الرخي والتوسع في الطعام ، فما زاده ذلك إلا صلابة ، ولا حرَّكَ منه شعرة! .

عن الربيع بن زياد الحارثي البصري : (أنه وفد إلى عمر بن الخطاب فأعجبته هيئته ونحوه ، فشكا عمرُ وجعاً به من طعام غليظ يأكلُه ، فقال الربيع : يا أمير المؤمنين! إن أحقَّ الناس بطعام لَيِّنٍ ومركب لين وملبس لين لأنت! فرفع عمر جَريدة معه فضرب بها رأسه ، وقال : أما والله ما أراك أردتَ بها الله وما أردتَ بها إلا مقاربتي ، إنْ كنتُ لأحسِبُ أن فيك خيراً ، هل تدري ما مَثَلي وَمَثَلُ هؤلاء؟ قال : وما مَثَلك ومثلهم؟ قال : مَثَلُ قوم سافروا فدفعوا نفقاتهم إلى رجل منهم ، فقالوا له : أَنْفِقْ علينا ، فهل يحلُّ له أن يستأثر منها بشيء؟ قال : لا يا أمير المؤمنين ، قال : فكذلك مثلي ومثلهم)[4] .

وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال : (قدِمَ على عمر ناسٌ من أهل

---

(١) محض الصواب : ٢/ ٥٧٢ ـ ٥٧٣ .
(٢) المصدر السابق : ٢/ ٥٨٣ .
(٣) انظر : ص١٩٤ ـ ١٩٦ في هذا الكتاب .
(٤) طبقات ابن سعد : ٣/ ٢٨٠ ـ ٢٨١ ؛ مختصر ابن عساكر : ١٨/ ٣٢٩ .

العراق ، فرأى كأنهم يأكلون تعذيراً ، فقال: ما هذا يا أهل العراق! لو شئتُ أن يُدَهْمَقَ لي كما يُدهمق لكم لفعلتُ ، ولكنا نستبقي من دنيانا كيما نجده في آخرتنا ، أما سمعتم الله تعالى قال: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾ [الأحقاف: ٢٠])[1].

وعن أبي عثمان النَّهْدي قال: (لمَّا قدِمَ عتبةُ بن فَرْقَد أَذْرَبِيجان أُتي بالخَبِيص، فذاقه فوجده حلواً، فقال: لو صنعتم لأمير المؤمنين من هذا. قال: فجعل له سَفطين عظيمين ، ثم حملهما على بعير مع رجلين فبعث بهما إليه ، فلما قدِما على عمر قال: أي شيء هذا؟ قال: هذا خَبيصٌ ، فذاقه فإذا هو حلو ، فقال: أكلُّ المسلمين يشبع من هذا في رحله؟ قالوا: لا ، قال: فردَّهما. ثم كتب إليه: أما بعد ، فإنه ليس من كَدِّكَ ولا من كدِّ أبيك ولا من كدِّ أمك ، أَشْبِعِ المسلمين مما تشبع منه في رَحْلِك!)[2].

●● ولم يكُ عمر يَجهل أطايبَ الطعام والشراب ، وليس بغافل عما تشتهيه النفس ، لكنه زَهِد بذلك اقتداءً بسيد الزاهدين ﷺ ، وطلباً لما عند الله.

روى سالم بن عبد الله بن عمر: أن عمر كان يقول: (والله ما نعبأ بلذات العيش ، بأن نأمر بصغار المعزى فتُسمط لنا ، ونأمر بلباب الحِنْطة فيخبز لنا ، ونأمر بالزبيب فيُنتبذ لنا في الأَسْعان ، حتى إذا صار مثلَ عين

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة: ٨/ ١٥١؛ الحلية: ١/ ٤٩. **دَهْمَقَ الطعام**: طَيَّبه ورقَّعه ولَيَّنه.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة: ٧/ ٦٢٤ ـ ٦٢٥؛ الزهد ، لأحمد (٦٣٩) ، وثمة روايات أخرى عند ابن عساكر ـ مختصره: ١٨/ ٣٢٧ ـ ٣٢٨؛ والفصل الأخير عند مسلم (٢٠٦٨). **والخبيص**: حلوى تعمل من التمر والسمن.

اليعقوب أكلنا هذا ، وشربنا هذا! ولكنا نريد أن نستبقي طيباتنا لأنا سمعنا الله تعالى يذكر قوماً فقال: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾ [الأحقاف: ٢٠])[1].

وجاء نحوه عن حفص بن أبي العاص وكان يحضر طعام أمير المؤمنين[2].

وروى الأحنف بن قيس والحسن البصري: أن أبا موسى الأشعري قدِمَ في وفد أهل البصرة على عمر ـ وكان الأحنف في الوفد ـ قال: (فقالوا: كنا ندخل عليه كل يوم وله خُبَزٌ ثلاث ، فربما وافقناها مأدومةً بزيت ، وربما وافقناها بسَمْنٍ ، وربما وافقناها باللبن ، وربما وافقناها بالقدائد اليابسة قد دُقَّت ثم أُغلِي بها ، وربما وافقنا اللحم الغَريض وهو قليل. فقال لنا يوماً: أيها القوم! إني والله لقد أرى تعذيرَكم وكراهيتَكم لطعامي ، وإني والله لو شئتُ لكنتُ أطيبَكم طعاماً وأرفغَكم عَيْشاً ، أما والله ما أجهلُ عن كَراكر وأسنمة ، وعن صِلاءٍ وصِنابٍ وصلائق ، ولكني سمعتُ الله جل ثناؤه عَيَّر قوماً بأمرٍ فعلوه فقال: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا﴾ [الأحقاف: ٢٠])[3].

---

(١) الحلية: ١/ ٤٩؛ مختصر ابن عساكر: ١٨/ ٣٢٩ ـ ٣٣٠. **تسمط**: تشوى. **الأسعان**: جمع سُعْن وهو القِربة. **اليعقوب**: الذكر من الحَجَل والقَطا.

(٢) طبقات ابن سعد: ٣/ ٢٨٠.

(٣) المرجع السابق: ٣/ ٢٧٩ ، مختصر ابن عساكر: ١٨/ ٣٢٨؛ الحلية: ١/ ٤٩. **القدائد**: اللحوم المجففة. **الغريض**: الطري. **أرفغكم**: أرفهكم. **الكراكر**: جمع الكِرْكِرة: وهي زَوْر البعير الذي إذا برك أصاب الأرض. **صلاء**: شواء. **الصِّناب**: الخردل. **الصلائق**: الخبز الرقاق.

والآية التي استشهد بها الفاروق هي نص في الكفار ، ومع ذلك فهم عمر منها الزجر عما يناسب أحوالهم بعض المناسبة ، ولم ينكر عليه أحد من الصحابة[1] .

ج ـ لباسه :

وليس أعجب من عمر في طعامه غير هديه في لباسه المتواضع الذي قهر به الدنيا وضرب للحكام أبرع الأمثلة في الزهد والورع .

●● قال أنس بن مالك : (رأيتُ عمر بن الخطاب ، وهو يومئذٍ أمير المؤمنين ، وقد رَقَع بين كتفيه برقاعٍ ثلاث لَبَّد بعضَها فوق بعض)[2] .

وقال أنس أيضاً : (رَأيتُ عمر بن الخطاب يرمي جمرة العقبة وعليه إزارٌ مرقوع بفَرْو ، وهو يومئذٍ والٍ)[3] .

وعن أبي عثمان النَّهْدي قال : (رأيتُ عمر بنَ الخطاب يَطوف بالبيت عليه إزارٌ فيه اثنتا عشرة رقعة إحداهنَّ بأديمٍ أحمر)[4] .

وجاء مثله عن ابن عباس وزيد بن وهب وعبيد بن عمير وغيرهم ، وكلها أخبار صحيحة[5] .

●● وحدَّث يَنَّاق بن سلْمان ـ دِهْقان إحدى القرى ـ قال : (مرَّ بي عمر بن الخطاب فألقى إليَّ قميصه فقال : اغسل هذا بالأُشْنـان . فَعَمَدتُ

---

(١) تفسير القرطبي : ٨/ ٨٥ .
(٢) موطأ مالك : ٢/ ٩١٨ ؛ طبقات ابن سعد : ٣/ ٣٢٧ .
(٣) طبقات ابن سعد : ٣/ ٣٢٧ .
(٤) المرجع السابق : ٣/ ٣٢٨ .
(٥) انظر : المرجع السابق : ٣/ ٣٢٧ ـ ٣٢٨ .

إلى قِطْرِيَّين فقطعتُ من كل واحدة منهما قميصاً ثم أتيته ، فقلت : البَسْ هذا فإنه أجملُ وألْيَنُ ، قال : أمِنْ مالك؟ قلت : من مالي ، قال : هل خالطه شيء من الذمّة؟ قلت : لا إلا خياطه ، قال : اعْزُب ، هلُمَّ إليَّ قميصي . قال : فلبسه وإنه لأخضَرُ من الأُشنان)[١] .

وعن عطاء الخُراساني قال : (احتبَس عمر بن الخطاب على جلسائه ، فخرج إليهم من العشيِّ ، فقالوا : ما حبسك؟ فقال : غسلتُ ثيابي ، فلما جفّت خرجت إليكم)[٢] .

وعن عبد العزيز بن أبي جميلة الأنصاري قال : (أبطأ عمر بن الخطاب جمعةً بالصلاة ، فخرج ، فلما أنْ صعد المنبر اعتذر إلى الناس فقال : إنما حَبَسني قميصي هذا لم يكن لي قميص غيره)[٣] .

وقال عبد الله بن عمر : (لبس عمر قميصاً جديداً ، ثم دعاني بشفرة فقال : مدَّ يا بنيَّ كُمَّ قميصي ، والْزَقْ يديك بأطراف أصابعي ، ثم اقطع ما فَضَل عنها . قال : فقطعت الكمين من جانبيه جميعاً ، فصار فمُ الكُمّ بعضه فوق بعض ، فقلت له : يا أبَتَهْ ، لو سوَّيْتَه بالمِقص! فقال : دَعْه يا بني ، هكذا رأيت رسول الله ﷺ يفعل . فما زال عليه حتى تقطع ، وكان ربما رأيتُ الخيوط تساقط على قدميه)[٤] .

---

(١) طبقات ابن سعد : ٣/ ٣٣٠ ؛ وبنحوه في الزهد ، لأحمد (١١٩) . والقِطْري : نوعٌ من البرود له أعلام .

(٢) مصنف ابن أبي شيبة : ٨/ ١٥١ .

(٣) طبقات ابن سعد : ٣/ ٣٢٩ . ومثله عن قتادة عند : أحمد في الزهد (٦٥٥) .

(٤) الحلية : ١/ ٤٥ ؛ محض الصواب : ٢/ ٥٧٠ .

هكذا كان أبو حفص في لباسه وطعامه ، قد كسا ظاهره القميص المرقع ، وأكل الطعام الخشن ، ونام على الأرض. . . أما نفسه وقلبه وروحه فقد صيغت من الإيمان والتقوى والزهد والعدل والرحمة ، فأضفت عليه الجلالة والمهابة ، وأمتُه وأمم الأرض أهيبُ له مما تُهاب الملوك في أُبّهتها وتيجانها وقصورها ! .

د ـ نفقاته :

مثلما كان أمير المؤمنين في طعامه ولباسه ، كذلك كان في نفقاته على نفسه في حضره وسفره وحجِّه واعتماره وسائر أحواله ، مع أنه كان يحكم دولة مترامية الأطراف ، والمال يجري بين يديه ، ومفاتن الدنيا كلها معروضة عليه ، وحياة الأكاسرة والأباطرة قد سيقت إليه. . . فبقي على تلك السيرة التي أدهش بها الدنيا ، حتى لحق بربه.

●● يصف مالك بن أوس بن الحَدَثان (أثاث بيت أمير المؤمنين عمر) فيقول : (بينما أنا جالسٌ في أهلي حين مَتَع النهارُ ، إذ رسولُ عمر بن الخطاب يأتيني فقال : أجِبْ أميرَ المؤمنين. فانطلقتُ معه حتى أدخلَ على عمر ، فإذا هو جالسٌ على رِمالِ سريرٍ ليس بينَه وبينَه فِراشٌ ، متكئٌ على وِسادةٍ من أَدَم ، فسلَّمتُ عليه ثم جلستُ. . .) الحديث[1].

رِمالُ سرير : هو ما يُنسج من سَعَف النخل ! .

اقرأ هذا الخبر وتذكَّر ما تقدم من قصة عمر وقد دخل على سيدنا رسول الله ﷺ في بيته فوجده قد جلس على حصير أَثَّر في جنبه الشريف ،

---

(١) هذا طرف من حديث طويل أخرجه البخاري (٣٠٩٤). **متع النهار** : تعالى وارتفع.

ثم سَلْ: أليس هذا من ذاك؟ أليست حياة الفاروق هي صورة مستمرة لهدي النبوة في قمة زهدها؟!.

وكان عمر يقول: (اللهم إنك تعلمُ أني لا آكلُ إلا وجبتي، ولا ألبَس إلا حُلَّتي، ولا آخُذُ إلا حصّتي)[1].

وعن عبد الله بن عامر بن ربيعة قال: (صحبتُ عمر بن الخطاب من المدينة إلى مكة في الحج، ثم رجعنا، فما ضَرب فُسطاطاً ولا كان له خِباءٌ، يستظلُّ به، إنما كان يُلقي نِطْعاً أو كساء على شجرة فيستظل تحته)[2].

ويقول خازنه يسار بن نُمير: (سألني عمر: كم أنفقنا في حجّتنا هذه؟ قلت: خمسة عشر ديناراً)[3].

وعن ابن عمر: (أن عمر أنفق في حجَّته ستة عشر ديناراً، فقال: يا عبد الله بن عمر، أسرفنا في هذا المال!)[4].

وعن أبي صالح الغِفاري قال: (كتب عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب: إنا قد خَطَطْنا لك داراً عند المسجد الجامع. فكتب إليه عمر:

---

(١) الأموال، لابن زنجويه: ٢/٦٠٢؛ تاريخ المدينة، لابن شبة: ٢/٦٩٨، وإسناده صحيح.
(٢) طبقات ابن سعد: ٣/٢٧٩؛ أسد الغابة: ٤/٧٢؛ وإسناده صحيح. **النطع**: بساط من جلد.
(٣) طبقات ابن سعد: ٣/٢٧٩ وإسناده صحيح.
(٤) المرجع السابق: ٣/٣٠٨.

أنَّى لرجل من الحجاز تكون له دار بمصر! وأمره أن يجعلها سوقاً للمسلمين)[1].

٢ ـ سياسة عمر مع أسرته وأقاربه وعشيرته:

من المعالم البارزة في سياسة الفاروق وهو خليفة المسلمين أنه حمل نفسَه وآل بيته على مركب خشنٍ ، وحاسبهم حساباً شديداً ، وعامَلَهم بالمراقبة الدؤوبة والمحاسبة المستمرة في كل شؤونهم ، يستوي في ذلك المناصب والعطاء والنفقة ورفاه العيش. . . ذلك لأن منابر الحكم وأموال المسلمين أمانة في عنقه سيُسأل عنها صغيرها وكبيرها ، هذا أولاً. وثانياً: إن القيادة قدوة ، والقيادة أول ما تشمل الحاكم وأسرته وأقاربه ، فإذا كانوا على مستوى رفيع ، ضَرب للناس في ذلك المثلَ الأعلى والقدوة المثلى ، وقطع ألسنة المرتابين والطاعنين ، وسَدَّ البابَ أمام ضعاف النفوس من أن يرتعوا في مال الله. وثالثاً: كان يتوخَّى من ذلك أن يكون قدوة للولاة والأمراء والقادة وزعماء الناس ، حتى إذا قال قولاً أو أمر أمراً ، وجد الطاعة التامة السريعة من هؤلاء ، لأنه هو أول من عمل بما قال ، وامتثل بما أمر.

يحدث عمرو بن العاص فيقول: (ما رأيتُ أحداً بعد نبي الله ﷺ وأبي بكر أخوفَ لله من عمر ، لا يبالي على من وقع الحق على ولد أو والد)[2].

ويقول عباس محمود العقاد: (وإن أعسرَ شيء أن تُحاسِب رجلاً كان

---

(١) فتوح مصر ، ص٦٩؛ حياة الصحابة: ٢/ ٨٠.
(٢) مختصر ابن عساكر: ١٨/ ٣٤٣.

أشدُّ أعدائه لا يبلغون من عُشْر محاسبته بعضَ ما كان يبلُغه هو من محاسبة نفسِه وأحبِّ الناس إليه... وأقولها بعد تمحيص لا مزيدَ عليه في مقدوري: إن هذا الرجل العظيم أصعبُ مَن عرفتُ من عظماء الرجال نقداً ومؤاخذة!)[1].

والذي يتتبع مواقف عمر في محاسبته أهلَه وعشيرته، ومراقبته لهم، وشدته عليهم؛ تُحرِجه الشواهد الكثيرة، ماذا يُثبت منها ويشيع، وماذا يترك، فكل منها يرفع لأبي حفص راية الرضا والتسليم والإجلال، بتفوقه وتفرده وسبقه في كل ميدان، إنه يمسك (الميزان) في رهبة لا تماثلها رهبة، وإنه ليضطر أهلَه وأقاربه إلى أن يعيشوا معه فوق صراط أحدّ من الشفرة وأدقّ من الشعرة، حتى لكأنهم رُزِئوا بقرابة عمر، بدل أن يهنؤوا بها ويتبذخوا فيها[2]!.

●● عن ابن عمر قال: (كان عمر إذا نهى الناسَ عن شيء، دخل على أهله فقال: إني قد نَهيتُ الناس عن كذا وكذا، وإن الناس ينظرون إليكم كما ينظر الطير إلى اللحم، فإنْ وقعتم وقعوا، وإن هِبتُم هابوا. وإني والله لا أوتى برجل وقع فيما نَهيتُ الناس عنه إلا أَضعفتُ له العذاب، لمكانه مني، فمن شاء منكم أن يتقدم، ومن شاء منكم فليتأخر)[3].

وقال عبد الله بن عمر: (اشتريتُ إبلاً وارتجعتُها إلى الحِمى، فلما

---

(١) عبقرية عمر، ص١٧.

(٢) انظر: خلفاء الرسول، ص٢٠٠.

(٣) تاريخ المدينة، لابن شبة: ٣/ ٧٥١؛ وإسناده حسن، وبنحوه عند ابن سعد: ٣/ ٢٨٩ وإسناده صحيح.

سَمِنتْ قدِمتُ بها ، قال: فدخل عمر السوق فرأى إبلاً سِماناً ، فقال: لمن هذه الإبل؟ فقيل: لعبد لله بن عمر ، فجعل يقول: يا عبد الله بن عمر! بخٍ بخٍ ابن أمير المؤمنين! قال: فجئتُه أسعى ، فقلتُ: ما لَكَ يا أمير المؤمنين؟ قال: ما هذه الإبل؟ قلت: إبل اشتريتُها وبَعثتُ بها إلى الحمى أبتغي ما يبتغي المسلمون ، قال: ويُقال: ارعوا إبل ابن أمير المؤمنين ، اسقوا إبل ابن أمير المؤمنين! يا عبد الله بن عمر ، اغدُ على رأسِ مالكَ ، واجعل باقيه في بيت مال المسلمين)[1].

وشهد عبد الله بن عمر (فتح جَلُولاء) ، وابتاع من المغانم بأربعين ألفاً ، فأخذها عمر وباعها للتجار بأربع مئة ألف ، فأعطى ابنه ثمانين ألفاً ، وأَمر بردِّ الباقي على من شهد الوقعة[2]!.

وعن أسلم مولى عمر قال: (خَرجِ عبد الله وعبيد الله ابنا عمر بن الخطاب في جيش إلى العراق ، فلما قَفَلا مرَّا على أبِي موسى الأشعري وهو أمير البصرة ، فرحَّبَ بهما وسَهَّل ، ثم قال: لو أقدِرُ لكما على أمر أنفعُكما به لفعلتُ ، ثم قال: بلى ، هاهنا مالٌ من مال الله أريدُ أن أبعثَ به إلى أمير المؤمنين فأُسْلِفُكُماه ، فتبتاعان به متاعاً من متاع العراق ، ثم تبيعانِه بالمدينة ، فتؤدِّيانِ رأسَ المال إلى أمير المؤمنين ، ويكون الربح لكما ، فقالا: وَدِدْنا ذلك. ففعلِ ، وكَتَبَ إلى عمر بن الخطاب أن يأخذ منهما المال. فلما قدِما باعا فأُرْبِحا ، فلما دفعا ذلك إلى عمر ، قال:

---

(١) مناقب عمر ، لابن الجوزي ، ص ١٥٩ ؛ السنن ، للبيهقي: ٦/ ١٤٧ ؛ محض الصواب: ٢/ ٦٠٦ ؛ مختصر ابن عساكر: ١٨/ ٣٤٢.

(٢) مختصر ابن عساكر: ١٨/ ٣٤١ ؛ محض الصواب: ٢/ ٦٠٦ ـ ٦٠٧.

أَكُلُّ الجيش أَسْلَفَه مثلَ ما أَسْلَفَكُما؟ قالا: لا ، فقال عمر بن الخطاب: ابنا أمير المؤمنين ، فأَسْلَفَكُما! أَدِّيَا المالَ وربحَه. فأما عبد الله فسكت ، وأما عُبيد الله فقال: ما ينبغي لك يا أمير المؤمنين هذا ، لو نَقَص هذا المال أو هَلَكَ لَضَمِنَّاه. فقال عمر: أدِّياه ، فسكت عبد الله ، وراجَعَه عُبيد الله. فقال رجل من جلساء عمر: يا أمير المؤمنين ، لو جعلتَه قِراضاً ، فقال عمر: قد جَعلتُه قراضاً ، فأخذ عمر رأسَ المال ونصفَ ربحه ، وأخذ عبد الله وعبيد الله ابنا عمر بن الخطاب نصف ربح المال!)[1].

●● عندما كان ابنه عاصم غلاماً صغيراً التقط درهماً من حجرة كان فيها مال جديد أمر عمر بإدخاله إلى بيت المال ، ثم رأى درهماً بيدِ عاصم فحقق معه وانتزعه منه وأرسله إلى بيت المال[2].

ولما كبر عاصم وتزوج أنفق عمر عليه شهراً من بيت المال ، ثم قطع ذلك عنه وأعطاه من ماله ، وأمره أن يتجر ويتكسب بنفسه.

روى عاصم بن عمر فقال: (أَرسل إليَّ عمر يَرْفَأ ، فأتيتُه وهو في مصلَّاه عند الفجر ، أو عند الظهر ، فقال: والله ما كنتُ أَرى هذا المال يَحلُّ لي من قبلِ أن أَلِيَه إلا بحقه ، وما كان قطُّ أحرمَ عليَّ منه إذ وَليتُه فعادَ أمانتي ، وقد أنفقتُ عليك شهراً من مال الله ، ولستُ بزائدِك ولكني مُعينك بثُمن مالي بالغابة ، فاجْدُدْه فبِعْه ، ثم ائتِ رجلاً من قومك من

---

(١) موطأ مالك: ٢/ ٦٨٧ ـ ٦٨٨؛ السنن الكبرى ، للبيهقي: ٦/ ١١٠ ـ ١١١ ، وإسناده صحيح.

(٢) تاريخ المدينة ، لابن شبة: ٢/ ٧٠٢؛ عصر الخلافة الراشدة ، ص ٢٥٧ ، والأثر صحيح.

تجارهم فقم إلى جنبه ، فإذا اشترى شيئاً فاستشرِكْه ، فاستنفِقْ وأَنْفِقْ على أهلك)[1].

وعن أسلَم مولى عمر قال: (أُتي عمر بن الخطاب بغنائم من غنائم جَلُوَلاء فيها ذهب وفضة ، فجعل يَقسمها بين الناس ، فجاء ابنٌ له يُقال له: عبد الرحمن ، فقال: يا أمير المؤمنين ، اكسُني خاتماً ، فقال: اذهَبْ إلى أمِّك تَسقيك شربةً من سَوِيق! قال: فوالله ما أعطاه شيئاً)[2].

وروى الحسن البصري: (أن عمر بن الخطاب رأى جارية تطيش هُزالاً ، فقال عمر: من هذه الجارية؟ فقال عبد الله بن عمر: هذه إحدى بناتك! فقال: وأي بناتي هذه؟ قال: ابنتي ، قال: ما بَلَغ بها ما أرَى؟ قال: عَمَلُك ، لا تنفِقُ عليها! فقال: إني والله ما أَغرُّك من ولدِك ، فأوْسِعْ على ولدِك أيها الرجل!)[3].

●● ولم يكتفِ الفاروق بأن ارتقى بآل بيته إلى سمائه في الزهد والورع ، بل حفظ أهلَه وأسرته من أن تمتد إليهم من خارج دائرتهم يدٌ بشبهةِ عطية أو محاباة ولو كانوا يستحقونها ، وأوقع العقوبة الأليمة بمن تسوِّل له نفسه بذلك.

وأَمعن في الجلالة والبراءة من الشبهة ، فأَشْرَكَ أهلَه بالعطاء ، لكنه

---

(١) طبقات ابن سعد: ٣/ ٢٧٧؛ الأموال ، لأبي عبيد (٥٦٦)؛ الزهد ، لأحمد (٦٠٤)؛ محض الصواب: ٢/ ٤٩١ ، وإسناده صحيح.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة: ٧/ ٦٣٤؛ وبأطول منه عند أحمد في الزهد (٥٩٩)؛ ومختصر ابن عساكر: ١٨/ ٣٤٠.

(٣) طبقات ابن سعد: ٣/ ٢٧٧؛ مصنف ابن أبي شيبة: ٨/ ١٤٩؛ محض الصواب: ٢/ ٤٩٠ ـ ٤٩١.

فَضَّل عليهم أصحابَ الفضل والسابقة ، مع أن آلَه يساوون أولئك في السابقة والفضل ونصرة الإسلام منذ بزغ فجره ! .

عن ابن عمر قال : (أهدى أبو موسى الأشعري لامرأة عمر عاتكة بنت زيد طُنفسة ، أراها تكون ذراعاً وشبراً ، فدخل عليها عمر فرآها ، فقال : أنى لكِ هذه؟ فقالت : أهداها لي أبو موسى الأشعري ، فأخذها عمر فضرب بها رأسها حتى نَغَضَ رأسَها ، ثم قال : علي بأبي موسى الأشعري وأَتْعِبُوه! قال : فأُتي به قد أُتْعِب وهو يقول : لا تعجَلْ عليَّ يا أمير المؤمنين ، فقال عمر : ما يحملك على أن تهدي لنسائي؟! ثم أخذها عمر فضرب بها فوق رأسه ، وقال : خذها ، فلا حاجة لنا فيها)[1] .

وروى محمد بن سيرين : (أن صِهراً لعمر بن الخطاب قدِمَ على عمر فعرَّض له أن يعطيه من بيت المال ، فانتهره عمر وقال : أردتَ أن ألقى اللهَ ملكاً خائناً! فلما كان بعد ذلك أعطاه من صُلْب ماله عشرة آلاف درهم)[2] .

وقال الحسن البصري : (جيء إلى عمر بمالٍ ؛ فبلَغَ ذلك حفصةَ بنت عمر أم المؤمنين ، فجاءت فقالت : يا أمير المؤمنين ، حَقُّ أقربائك من هذا المال قد أوصى الله عز وجل بالأقربين من هذا المال ، فقال : يا بُنيَّة ، حق أقربائي في مالي ، وأما هذا ففيءُ المسلمين ، غششتِ أباك ، ونصحتِ أقرباءك ، قومي! فقامت والله تجرُّ ذيلَها)[3] .

---

(١) طبقات ابن سعد : ٣/ ٣٠٨ ؛ مختصر ابن عساكر : ١٨/ ٣٤٢ . نَغَض : حرَّك .

(٢) طبقات ابن سعد : ٣/ ٣٠٣ ـ ٣٠٤ ؛ مختصر ابن عساكر : ١٨/ ٣٤٥ .

(٣) الزهد ، لأحمد (٦٠٥) ؛ الأموال ، لابن زنجويه : ١/ ٥١٧ ؛ محض الصواب : ٢/ ٤٦٨ .

●● روى الزهري عن ثعلبة بن أبي مالك قال: (إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قَسَم مُرُوطاً بين نساء من نساء المدينة ، فبقي مِرْطٌ جيدٌ ، فقال له بعضُ مَن عنده: يا أمير المؤمنين! أَعطِ هذا ابنةَ رسولِ الله ﷺ التي عندك ـ يريدون أمَّ كلثوم بنت عليٍّ ـ فقال عمر: أمُّ سَليطٍ أحقُّ! وأم سَليط من نساء الأنصار ممَّن بايعَ رسول الله ﷺ ، قال عمر: فإنها كانت تَزْفِرُ لنا القِرَبَ يومَ أُحُد!)[1].

وفي حديث أسلم: (أن عمر كان عنده صِحافٌ تسعٌ ، فلا تكون فاكهةٌ ولا طُريفة إلا جعل منها في تلك الصِّحَافِ ، فبَعَثَ بها إلى أزواج النبي ﷺ ، ويكون الذي يَبعثُ به إلى حفصةَ ابنتِه من آخرِ ذلك ، فإنْ كان فيه نقصانٌ كانَ في حظِّ حفصة!)[2].

لله درُّ عمر! فما ضَرَّ السيدةَ المبجلة حفصةَ وهي من عِلْية أمهات المؤمنين؛ إلا أنها بنت الخليفة! وأمير المؤمنين في هذا يعلِّم الناسَ والدنيا معنى مسؤولية الحكم ، ووجوبَ الارتفاع بطهارةِ السيرة فوق أدنى شبهة.

وفعل عمر مثلَ ذلك مع ابنه عبد الله وهو من جِلَّة الصحابة ، فعندما قَسَمَ غنائم جَلُولاء أعطى عبد الله بن عمر دون نظرائه ، فَقال عبد الله: يا أمير المؤمنين ، تضرب لي دون نظرائي! قال: يا عبد الله ، إن لك أسوةً في عمر ، لا يسألُني الله يوم القيامة أني مِلْتُ إلى أحد![3].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٨١). مرط: كساء من صوف أو حرير. تزفر: تحمل.

(٢) تقدم: ص٢٦٩ في هذا الكتاب.

(٣) محض الصواب: ٢/ ٦٢٧.

وعندما دَوَّنَ (الدواوين) فَرض لأسامة بن زيد أربعةَ آلاف ، فقال عبد الله بن عمر: فرضتَ لي في ثلاثة آلاف ، وفرضتَ لأسامة في أربعة آلاف ، وقد شهدتُ ما لم يشهدْ أسامة؟! فقال عمر: زِدْتُه لأنه كان أحَبَّ إلى رسول الله ﷺ منك ، وكان أبوه أحَبَّ إلى رسول الله ﷺ من أبيك[1]؟!.

هذا تواضع عمري وعدل عمري فوق الطاقة!.

وأمر عمر الذين دوَّنوا الديوان أن يبدؤوا بـالأقرب فالأقرب من رسول الله ﷺ ، فجاءه قومه بنو عدي فقالوا: (لو جعلتَ نفسك حيث جعلك هؤلاء القوم ، فقال: بخٍ بخٍ بني عديّ! أردتُم الأكلَ على ظهري ، لأنْ أُذْهِبَ حسناتي لكم؟! لا واللهِ حتى تأتيكم الدعوة وإنْ أُطْبق عليكم الدفتر ، يعني ولو أن تُكتبوا آخرَ الناس! إن لي صاحبين سَلَكاً طريقاً ، فإنْ خالفتُهما خُولف بي)[2].

رابعاً: حساسيته المرهفة بالمسؤوليات:

الحكم أمانة جليلة ومسؤولية جسيمة ، هذه هي حقيقته ، وهكذا فهمه عمر.

فالحاكم مسؤول عن نفسه ، وعن ولده وأهل بيته ، وعن أعوانه وحاشيته ، وعن ولاته الذين تحت سلطانه ، وعن الرعية كلها. مسؤول عن إقامة موازين العدل ، وتطبيق حدود الله ، وعن حماية دار الإسلام ،

---

(١) فتوح البلدان ، ص٤٠٠.

(٢) طبقات ابن سعد: ٣/ ٢٩٥؛ فتوح البلدان ، ص٣٩٩.

وعن سياسة الدولة في السلم والحرب ، وفي الشدة والرخاء.

هذا ما كان يلازم عمرَ في كل لحظة منذ استقبل الخلافة وصعد المنبر وألقى على الناس (خطبة العرش).

بل إنه ليرى أنه مسؤولٌ عن كل حَدَث يحدث في الدولة الإسلامية ، حتى الدواب والأنعام لو تعثّرت في أطراف العراق ، أو أن الناس حمَّلوها ما لا تطيق أو قصَّروا في عَلَفها وراحتها!.

فكيف بظلم إنسان أو جماعة؟! كيف بهلاك إنسان أو جماعة جوعاً؟! وكيف بضياع أرامل وأيتام بمكان قريب أو بعيد منه؟!.

فهل هذا مما يمكن أن يقوم به إنسان ، وهل يمكن أن يحمل عمر كل هذا الحمل ، ويقدر على الوفاء به؟!.

نعم! من يستقرئ التاريخ والواقع الشاهد يعلم حق العلم أن (فاروق الإسلام) قد وفى ذلك أتم الوفاء.

ولقد كان خوف عمر من التقصير في الوفاء بالمسؤوليات الجسام يزعجه ويؤرِّقه ويصوِّر له المظالمَ كلَّها قائمةً على رأسه ، والمظلومين كلَّهم متعلقين به يوم القيامة في معرِض الحساب والجزاء يطالبون بما وقع عليهم من ظلم منه أو من أحد ولاته!.

هذا الخوف المتسلِّط على عمر كان يطارده دائماً ويَطرقه في يقظته ومنامه ، فلم يَدَع له لحظة يجدُ فيها بَرْدَ الطمأنينة والعافية ، فكلما أحس بشيء من هذا طلع عليه هذا الخوف الرابض في أعماقه ، فيفزع له

ويضطرب ، ويهبّ مذعوراً كأنما نهشته حيَّة[1]!.

في ضوء هذا الفهم الدقيق المرهَف للمسؤولية نسير مع أمير المؤمنين في بعض مواقفه الكبار ـ وما أكثَـرَها وأرفَعَها ـ ونعذره في التشديد على نفسه في حملها على أرفع المعالي وأشقها ، لأن ذلك مذهبُه؛ فما اعتاد في كل أمر إلا أن يأخذ بذروة سنامه ويُغْرِق فيه.

ومع إعذارنا لعمر ، وإشفاقنا عليه من ذلك الشعور المرهِق بالمسؤولية والمحاسبة بين يدي الله تعالى ، فإننا نقرِّر أيضاً أن ما جاء في سيرته من هذا هو حقائق واقعة وأمثلة شاهدة ، لا أسماء تُحكى وأساطير تُروى ، فقد تواترت أخبار (الدولة العمرية) من حاضرة الخلافة وأطرافها ، وأجمعت إجماعاً لاريب فيه على أن سياسة عمر كانت مثلاً لا يُبارى في هَدْي الحاكم المسلم الذي قام بواجباته على أرفع ما تطمح إليه النفس البشرية ، وتحضّ عليه مبادئ الحق والعدل والمساواة والورع.

●● روى أسلم مولى عمر قال: (كنا نبيتُ عند عمر أنا ويَرْفأ ، فكانت له ساعة من الليل يصليها ، وكان إذا استيقظ قرأ هذه الآية: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ [طه: ١٣٢]. حتى إذا كان ذات ليلة قام فصلى ثم انصرف ، ثم قال: قُوما فصلِّيا ، فوالله ما أستطيع أن أصلي ولا أستطيع أن أرقد ، وإني لأفتتح السورة فما أدري في أولها أنا أم في آخرها! قلنا: ولِمَ يا أمير المؤمنين؟ قال: من همِّي بالناس مذ جاءني هذا الخبر)[2].

---

(١) انظر: عمر بن الخطاب ، لعبد الكريم الخطيب ، ص ٢٠٨ ـ ٢٠٩ ، ٢٥١ ـ ٢٥٣.
(٢) محض الصواب: ١/ ٣٦٧.

وقدم خالد بن عُرْفُطة من العراق على عمر ، فسأله عمر عن الناس هناك ، ثم قال له : (إنَّ نصيحتي لك وأنت عندي جالس كنصيحتي لمن هو بأقصى ثَغْر من ثغور المسلمين ، وذلك لِما طَوّقني الله من أمرهم ، قال رسول الله ﷺ : **«مَن مات غاشّاً لرعيَّتِه لم يَـرَحْ رائحةَ الجنة»**)[1] .

وقال مالك الدار : (غدوتُ على عمر ، فقال : كيف أصبح الناس؟ قلت : بخير ، قال : سمعتَ شيئاً؟ قلت : ما سمعتُ إلا خيراً)[2] .

وقال أسلم : (كنا نقول : لو لم يَرفع الله المحْلَ عام الرَّمادة ، لظَنَنَّا أن عمر يموت همّاً بأمر المسلمين)[3] .

●● يروي ابن عمر : أن أمير المؤمنين خرج ليلة مع عبد الرحمن بن عوف ، فوجدا رُفْقة من التجار قد نزلوا عند المصلّى ، فقاما يحرسانهم ، وسمع عمر صوت صبي يبكي وأمه تروِّضه على الفِطام ، فنبَّهها غيرَ مرة ، ثم قالت له وهي لا تعرفه : يا عبد الله! قد أَبْرَمْتني منذُ الليلة ، إني أُرِيغُه عن الفِطام فيأبَى ، قال : ولِمَ؟ قالت : لأن عمر لا يَفْرِض إلا للفُطُم ، قال : وكم له؟ قالت : كذا وكذا شهراً ، قال : ويحكِ لا تُعْجِليه! فصلى الفجر وما يَستبينُ الناس قراءته من غلبة البكاء! فلما سلَّم قالَ : يا بُؤْساً لعمرَ كم قتل من أولاد المسلمين! ثم أَمَرَ منادياً فنادى : ألا لا تُعْجِلوا صبيانَكم عن الفِطام ، فإنا نَفْرِض لكل مولود في

---

(١) طبقات ابن سعد : ٣/ ٢٩٩ .

(٢) تاريخ المدينة ، لابن شبة : ٢/ ٧٧٨؛ محض الصواب : ٢/ ٦٣١ ـ ٦٣٢ .

(٣) طبقات ابن سعد : ٣/ ٣١٥ .

الإسلام. وكَتَب بذلك إلى الآفاق)[١].

وجاءه جنود من العراق، فرأى تغيُّر ألوانهم، فاستنكر ذلك وسألهم عنه، فأجابوه بأن سبب ذلك وخومةُ تلك البلاد، فأمر سعد بن أبي وقاص أن يُمصِّر لهم الكوفة، ففعل[٢].

وعن أسلم: (أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه استعمل مولًى له يُدعى هُنَيّاً على الحِمى، فقال: يا هُنَيُّ! اضْمُمْ جَناحَك عن المسلمين، واتَّقِ دعوةَ المظلوم فإنَّ دعوةَ المظلوم مُستجابة، وأَدْخِل رَبَّ الصُّرَيْمَةِ وربَّ الغُنَيْمَةِ، وإيَّايَ ونَعَمَ ابن عوف ونَعَمَ ابنِ عفَّان، فإنهما إنْ تَهْلِك ماشيتُهما يَرْجِعا إلى نخلٍ وزرعٍ، وإن ربَّ الصُّريمة وربَّ الغُنَيمة إنْ تَهلِك ماشيتُهما يأتِني ببيِّنةٍ فيقولُ: يا أمير المؤمنين! أَفَتارِكُهم أنا لا أَبَا لكَ؟! فالماءُ والكلأُ أيسرُ عليَّ من الذهب والورِق. وايمُ الله إنهم لَيَرْوْنَ أني قد ظلمتُهم، إنها لَبلادُهم، قاتَلُوا عليها في الجاهلية وأسلَمُوا عليها في الإسلام. والذي نفسي بيدِهِ لولا المالُ الذي أَحمِلُ عليه في سبيل الله ما حَمَيْتُ عليهم من بلادهم شِبْراً)[٣].

وفي حديث طويل يقول عمر: (فإنْ أعِشْ إن شاء الله، لم يبقَ أحدٌ

---

(١) طبقات ابن سعد: ٣/ ٣٠١.

(٢) تاريخ الطبري: ٤/ ٤٠.

(٣) أخرجه البخاري (٣٠٥٩)؛ ومالك: ٢/ ١٠٠٣. **اضمم جناحك عن المسلمين**: أي اكفف يدك عن ظلمهم. **أدخل**: أي في الرعي. **الصريمة**: القطعة القليلة من الإبل نحو الثلاثين. **الغُنيمة**: تصغير غنم، أي القليل منها. **المال الذي أحمل عليه**: أي الإبل والخيل التي كان يحمل عليها من لا يجد ما يركب.

من المسلمين إلا سيأتيه حقُّه ، حتى الراعي بسروات حمير يأتيه حقُّه ولم يَعرقْ فيه جبينُه)[1] .

وكان يقول: (لو مات جملٌ ضَياعاً بشاطئ الفرات ، لخشيتُ أن يسألَني الله عنه)[2] .

وخطب الناس فقال: (إنِّي لم أستعملْ عليكم عمَّالي ليضربوا أبْشَارَكم ويَشتموا أعراضكم ويأخذوا أموالكم ، ولكني استعملتُهم ليعلِّموكم كتابَ ربكم وسنَّةَ نبيِّكم ، فمن ظلَمَه عاملُه بمظلمة فلا إِذْنَ له عليَّ ، ليرفَعْها إليَّ حتى أُقِصَّه منه!)[3] .

●● وتلحظُ الإحساسَ المرهَف بتحمل أعباء المسؤولية والخشية من تبعاتها حتى وهو مطعون ، وجرحه يسيل دماً ، وليس بينه وبين الآخرة إلا ساعات ، ومع هذا تراه يوصي الخليفة من بعده فيقول: (أوصي الخليفة من بعدي بالمهاجرين الأولين. . . وأوصيه بالأنصار خيراً. . . وأوصيه بأهل الأمصار خيراً. . . وأوصيه بالأعراب خيراً. . . وأوصيه بذمَّةِ الله وذمَّةِ رسوله ﷺ)[4] .

* * *

---

(١) طبقات ابن سعد: ٣/ ٣٠٢؛ السنن الكبرى ، للبيهقي: ٦/ ٣٥٢.

(٢) طبقات ابن سعد: ٣/ ٣٠٥؛ مصنف ابن أبي شيبة: ٨/ ١٥٣؛ تاريخ الطبري: ٤/ ٣٠٢ ـ ٣٠٣.

(٣) أخرجه ابن سعد في حديث طويل: ٣/ ٢٨١؛ وأبو داود مختصراً (٤٥٣٧)؛ وحسَّنه شعيب الأرنؤوط.

(٤) سيأتي بتمامه: ص٧٢٠ ـ ٧٢١ في هذا الكتاب.

الفصل الثالث

سياسته مع الرعية

أولاً: افتتاحية وتمهيد «شدة اهتمامه بالرعية»:

ذهب عمر في إرضاء الرعية وترفيهها مذهباً لم يحلم به الغُلاة من المطالبين بحقوق الشعوب في هذا العصر ، فتراه يشتد على المسؤولين والولاة وقادة الجيش ، ويميل إلى جانب الرعية ، ويسعَد برضا الناس وراحتهم وسلامتهم ورفاه عيشهم وقضاء مصالحهم. وعلى قدر ما كان عليه عمر من الشدة على ولاته كانت رقته ورأفته على عامة الناس من رعيته والاهتمام بما يصلحهم.

ويَعجب المرء من شدة اهتمام أمير المؤمنين بأمور المسلمين وأحوال أهل الأمصار والفتوحات وغيرها من شؤون الدولة ، حتى إنها كانت تُغالِبه في بعض الأحيان وهو في صلاته ، فيذهَل عن القراءة وهو يؤمُّ المسلمين! .

عن أبي عثمان النَّهْديِّ قال: قال عمر: (إني لأجهِّزُ جيوشي وأنا في الصلاة)![1].

---

(١) علَّقه البخاري قبل الحديث (١٢٢١)؛ ووصله ابن أبي شيبة: ٢/ ٣١٤؛ بإسناد صحيح كما قال الحافظ في الفتح: ٤/ ١٤٧.

وعن عروة بن الزبير قال: قال عمر: (إني لأحسب جِزية البحرين وأنا في الصلاة)[1].

وروى صالح بن أحمد بن حنبل في «كتاب المسائل» عن أبيه من طريق همَّام بن الحارث: (أن عمر صلَّى المغرب فلم يقرأ، فلما انصرف قالوا: يا أمير المؤمنين! إنك لم تقرأ، فقال: إني حدَّثتُ نفسي وأنا في الصلاة بِعيرٍ جهزتُها من المدينة حتى دخلت الشام! ثم أعاد وأعاد القراءة).

وساق الحافظ آثاراً أخرى، وقال: رجالها ثقات[2].

وكان يأرق في الليل فلا يستطيع أن يصلي ولا أن يرقد من همِّه بشؤون الناس والدولة[3].

وذكر ابن عباس هَدْيَ عمر مع الرعية فقال: (كان عمر بن الخطاب كلما صلى صلاة جلس للناس، فمن كانت له حاجة نظر فيها)[4].

ثانياً: تأديبه الرعية وخشيته من الله في ذلك:

وضع أمير المؤمنين منهجاً واضحاً تسير عليه الرعية ويلتزمه هو في سياستها، يتلخَّص لُبابه: في حملِه الناسَ على جادة الإسلام وآدابه، ومحاسبتهم بما يظهر منهم ويعلنوه بأعمالهم وأقوالهم. ويحرس ذلك

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة: ٢/ ٣١٣.
(٢) الفتح: ٤/ ١٤٧ ـ ١٤٨؛ تغليق التعليق: ٢/ ٤٤٨.
(٣) تقدم: ص٣١٤ في هذا الكتاب.
(٤) طبقات ابن سعد: ٣/ ٢٨٨.

مبدأ ثانٍ؛ هو خشية الله تعالى ومراجعة النفس في كل موقف، خوفَ وقوعِ الحَيْفِ من الخليفة، وكثيراً ما كان عمر يلوم نفسه ويؤنّبها، ويعلن ذلك أمامَ الناس، ويطلب إليهم القصاص أو الصفح.

عن عبد الله بن عُتْبة قال: (سمعتُ عمر بنَ الخطاب رضي الله عنه يقول: إن أُناساً كانوا يُؤخَذون بالوحي في عهد رسول الله ﷺ، وإنَّ الوحيَ قد انقطعَ، وإنما نأخذُكم الآن بما ظَهر لنا من أعمالِكم: فمن أَظْهَرَ لنا خيراً أَمِنَّاه وقرَّبْنَاه، وليس إلينا من سَريرته شيءٌ، الله يحاسِبُ سريرتَه. ومَن أَظهَر لنا سُوءاً لم نأمَنْه ولم نُصدِّقْه، وإنْ قال: إنَّ سريرَتَهُ حسنةٌ!)[1].

●● يحدث الأحنف بن قيس: أنه قدِم في وفد على عمر، قال: (فلقيه رجل فقال: يا أمير المؤمنين! انطلِقْ معي فأَعْدِني على فلان فإنه قد ظَلَمني، قال: فرفع الدِّرَّة فخفق بها رأسَه، فقال: تَدَعُون أمير المؤمنين وهو مُعْرِض لكم، حتى إذا شُغل في أمر من أمور المسلمين أتيتموه: أَعْدِني أَعْدِني! قال: فانصرف الرجل وهو يتذمَّر. قال: عَلَيَّ الرجلَ، فألقى إليه المِخْفَقة وقال: امتثِلْ، فقال: لا والله ولكن أَدَعُها لله ولك، قال: ليس هكذا، إما أن تدعها لله إرادة ما عنده، أو تَدَعها لي فأعلم ذلك، قال: أدَعُها لله، قال: فانصرف. ثم جاء يمشي حتى دخل منزله ونحن معه، فصلى ركعتين، وجلس فقال: يا ابنَ الخطاب، كنتَ وضيعاً فرفَعَك الله، وكنتَ ضالاً فهداك الله، وكنت ذليلاً فأعَزَّك الله، ثم حَمَلَك على رقاب الناس، فجاءك رجلٌ يَستعديك فضربْتَه، ما تقول

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٤١).

لربِّك غداً إذا أتيتَهُ؟! قال: فجعل يُعاتِب نفسه في ذلك معاتبةً حتى ظنَنَّا أنه خيرُ أهل الأرض)[1].

وعن سَلَمة بن الأَكْوع قال: (مرَّ عمر وأنا في السوق، وهو مارٌّ في حاجة ومعه الدِّرَّة، فقال هكذا أَمِطْ عن الطريق يا سلمة، قال: ثم خَفَقني بها خفقة فما أصاب إلا طرف ثوبي، فَأَمَطْتُ عن الطريق. فسكتَ عني حتى كان في العام المقبل، فلقيني في السوق، فقال: يا سلمة! أردتَ الحجَّ العام؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين، فأخذ بيدِي، فما فارقتْ يدي يدَه حتى دخل في بيته، فأخرج كيساً فيه ست مئة درهم، فقال: يا سلمة! استعِنْ بهذه، واعلَمْ أنها بالخفقة التي خففتُك عامَ أول! قلتُ: والله يا أمير المؤمنين ما ذكرتُها حتى ذكّرتنيها، قال: والله ما نسيتُها بعد!)[2].

وعن راشد بن سعد: (أن عمر بن الخطاب أُتي بمالٍ، فجعل يَقسمه بين الناس، فازدحموا عليه، فأقبل سعد بن أبي وقاص يُزاحم الناسَ حتى خَلَص إليه، فعَلاَه عمر بالدِّرَّة وقال: إنك أقبلتَ لا تهابُ سلطانَ الله في الأرض، فأحببتُ أن أُعلّمك أن سلطان الله لن يَهابك)[3].

وعن عبد الرحمن بن حاطب قال: (قدِمنا مكة مع عمر، فأقبل أهل مكة يَسْعَون: يا أمير المؤمنين! أبو سفيان حَبَس مسيلَ الماء ليهدمَ

---

(١) أسد الغابة: ٤/ ٦١؛ مختصر ابن عساكر: ١٨/ ٣٢٤ _ ٣٢٥؛ محض الصواب: ٢/ ٥٠٢. **والدرة**: السوط يضرب به. **والمخفقة** بمعناها. **امتثل**: أي اخفقني كما خفقتك.

(٢) تاريخ الطبري: ٤/ ٢٢٤؛ محض الصواب: ٢/ ٥٠٣. **أمِطْ**: تنحَّ.

(٣) طبقات ابن سعد: ٣/ ٢٨٧؛ تاريخ الطبري: ٤/ ٢١٢.

منازلنا. فأقبل عمر ومعه الدرَّة، فإذا أبو سفيان قد نصب أحجاراً، فقال: ارفَعْ هذا، فرفعه، ثم قال: وهذا، حتى رفع أحجاراً كثيرة، خمسة أو ستة. ثم استقبل عمر الكعبة فقال: الحمد لله الذي جعل عمر يأمر أبا سفيان ببطن مكة فيطيعه!)[1].

وعن الحسن البصري قال: (كان عمر قاعداً ومعه الدِّرَّة والناس حوله، إذ أقبل الجارود[2]، فقال رجل: هذا سيد ربيعة، فسمعها عمر ومَن حوله، وسمعها الجارود، فلما دنا منه خَفَقه بالدرَّة، فقال: ما لي ولكَ يا أمير المؤمنين، ما لي ولك؟! قال: ويلَك أما سمعتَها[3]؟! قال: سَمِعْتُها، فَمَهْ! قال: خشيتُ أن يخالِط قلبَك منها شيء، فأحببتُ أن أُطَاطِئَ منك)[4].

وعن حماد بن يحيى المكي، عن أبيه قال: (قدِمتُ المدينةَ أنا وأهلي، فانطلقتُ إلى قبر رسول الله ﷺ فسلَّمتُ عليه، ثم أقبلتُ فلقيتني المرأة في بعض الطريق، فقمتُ معها أسألها عن بعض الأمر، فبينا أنا أكلِّمها إذا ضربةٌ على رأسي، فالتفتُّ فإذا عمر بن الخطاب، فقلت: يا أمير المؤمنين ظلمتني، هذه والله امرأتي! قال: أفلا كلَّمتَها خلف باب أو ستر؟! قلت: يا أمير المؤمنين، لقيتني فسألتها عن بعض الأمر، فألقى إليَّ الدرة، وقال: اقتص، قلت: لا)[5].

---

(١) مناقب عمر، لابن الجوزي، ص ٩٧؛ محض الصواب: ٢/ ٤٧٠.

(٢) هو الجارود بن المعلى، صحابي.

(٣) أي: ما قال الرجل من أنك سيد ربيعة.

(٤) مناقب عمر، لابن الجوزي، ص٢٠٧؛ محض الصواب: ٢/ ٧٣٢.

(٥) محض الصواب: ٢/ ٥٠٧ ـ ٥٠٨، وله تتمة.

وكان يطوف في السوق ويأمر الناس بتقوى الله ، يُـقبِل فيه ويُدبِر[1] .

ثالثاً: آداب عامة يحمل الرعية عليها:

يَعجب الباحث في تاريخ أمير المؤمنين عمر أنه يجدُه في كل موقف وأمر وشأن من شؤون الإسلام والمسلمين والدولة ، ويجدُه مع رعيته في كل أمورهم وقضايا دينهم وحياتهم ، في الآداب والأخلاق والمباح والحلال والحرام والواجب ، مع الفرد والأسرة ، والذكر والأنثى ، وغير ذلك . . . وتقدَّم من هذا أمثلة كثيرة متنوعة ، ونزيد الأمر بياناً في هذا المبحث الذي أفردناه هنا ، ونجلِّيه بالشواهد والمواقف الجليلة .

●● عن أبي سلامة الحَبيبي قال: (رأيتُ عمر بن الخطاب أتى حياضاً ، عليها الرجال والنساء يتوضؤون جميعاً ، فضَربهم بالدرّة ، ثم قال لصاحب الحوض: اجعل للرجال حياضاً وللنساء حياضاً. ثم لقي عليّاً ، فقال: ما ترى[2]؟ فقال: أرى إنما أنت راعٍ فإن كنتَ تضربهم على غير ذلك فقد هلكتَ وأهلكتَ)[3] .

وعن كَهْمَس الهلالي ، وله صحبة ، قال: (بينما نحن جلوس عند عمر ، إذ جاءت امرأة فجلست إليه ، فقالت: يا أمير المؤمنين! إنَّ زوجي قد كَثُر شَرُّه وقلَّ خيرُه ، فقال لها عمر: ومن هو زوجك؟ قالت: أبو سلمة ، قال: إن ذاك الرجل رجل له صحبة وإنه لرجل صِدْقٍ ، ثم قال عمر لرجل عنده جالس: أليس كذلك؟ فقال: يا أمير المؤمنين!

---

(١) محض الصواب: ٢/ ٦٠٢ .

(٢) أي: فيما أدَّبهم عمر عندما ضربهم بالدرة .

(٣) مصنف عبد الرزاق (٢٤٦)؛ محض الصواب: ٢/ ٦٢٢ .

لا نعرفُه إلا بما قلتَ. فقال عمر لرجل: قُمْ فادْعُه لي ، وقامتِ المرأة حين أَرسل إلى زوجها فقعدت خلف عمر. فلم يَلبث أن جاءا معاً ، حتى جلسا بين يدي عمر ، فقال عمر: ما تقول في هذه الجالسة خلفي؟ قال: ومَن هذه يا أمير المؤمنين؟ قال: هذه امرأتُك ، قال: وتقول ماذا؟ قال: تزعمُ أنه قد قَلّ خيرُك وكثُر شرُّك! فقال: بئسَ ما قالتْ يا أمير المؤمنين! إنها لمن صالحِ نسائها؛ أكثرهنَّ كسوةً ، وأكثرهن رفاهيةً ، ولكن فَحْلَها بَكِيءٌ! فقال عمر: ما تقولين؟ قالت: صدَقَ. فقام إليها عمر بالدرَّة فتناولها بها ، ثم قال: أيْ عدوَّةَ نفسِها! أكلتِ مالَه ، وأفنيتِ شبابَه ، ثم أتيتِ تخبرين بما ليس فيه؟! فقالت: يا أمير المؤمنين! لا تعجَلْ ، فوالله لا أجلِسُ هذا المجلس أبداً. ثم أمر لها بثلاثة أثواب ، فقال: خُذي هذا لِما صنعتُ بكِ ، وإياكِ أن تشتكي هذا الشيخ. قال: كأني أنظر إليها قامت ومعها الثياب. ثم أقبلَ على زوجها فقال: لا يمنعُكَ ما رأيتَني صنعتُ بها أن تُحسِن إليها ، انصرفا ، فقال الرجل: ما كنتُ لأفعلَ)[1].

وكان سِيرين والد الإمام الشهير محمد بن سيرين من سَبْي (عين التَّمر) زمن أبي بكر ، فاشتراه أنس بن مالك ، وأراد سيرين مكاتبةَ سيده ، فأبَى ، فاشتكاه إلى أمير المؤمنين عمر.

روى موسى بن أنس بن مالك: (أن سِيرينَ سأل أنساً المُكاتَبةَ ـ وكان كثيرَ المال ـ فأبَى ، فانطَلَقَ إلى عمر رضي الله عنه ، فقال: كاتِبْهُ ،

(١) مسند الطيالسي ، ص ٧ ـ ٨ ، وذكره الحافظ في المطالب العالية: ٢/ ٥٠ ـ ٥١ ، ٤/ ١٥١ ـ ١٥٢ وعزاه للطيالسي؛ وقال البوصيري: رواته ثقات. بَكِيءٌ: كناية عن العجز عن الجماع ، بَكَأتِ الناقةُ: قَلَّ لَبَنُها.

فأبَى ، فضَرَبَه عمرُ بالدرَّة ، ويتلو عمرُ: ﴿ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ﴾ [النور: ٣٣] ، فكاتَبَهُ!)[١] .

هكذا فهِم العبقري الملهم عمر هذه الآية الكريمة التي تحضُّ على الحرية والإحسان ، حيث يأمر الصحابي الجليل أنس بن مالك بتحرير عبده ، ويعلوه بالدرّة على وجه التأديب والنصح. إنه دين يُعلي كرامة الإنسان ، وحاكم فذ يقف مع الضعيف وينفذ رغبته!.

●● عن خَرَشة بن الحرّ قال: (رأيتُ عمر بن الخطاب ومرَّ به فتًى قد أسبَلَ إزاره وهو يجرُّه ، فدعاه فقال له: أحائضٌ أنت! قال: يا أمير المؤمنين! وهل يحيض الرجل؟ قال: فما بالُكَ قد أسبلتَ إزارك على قدميك؟! ثم دعا بشفرة ، ثم جمع طرف إزاره فقطع ما أسفل الكعبين. قال خَرشة: كأني أنظر إلى الخيوط على قدميه)[٢] .

ونظر عمر إلى رجل مظهِر للنُّسْك متماوِت ، فَخَفَقه بالدرّة ، وقال: لا تُمِتْ علينا ديننا ، أماتك الله[٣]! .

وأمر الناس بملازمة الجِدّ والنشاط والقوة والخشونة وعدم الإخلاد للتنعُّم والرفاهية ، وكتب إلى الأمصار بذلك ، فقال: (عليكم بالشمس فإنها حمَّام العرب ، وتَمعْدَدُوا ، واخشَوْشِنوا ، واخْلَولِقوا ، وانْزُوا على

---

(١) علقه البخاري قبل الحديث (٢٥٦٠)؛ ووصله عبد الرزاق (١٥٥٧٨)؛ انظر: الفتح: ٦/ ٧٠٠.

(٢) حياة الصحابة: ٢/ ٧١٢.

(٣) أخبار عمر ، ص١٩٠.

ظهور الخيل نزواً ، وارموا الأغراض)[1].

وكَتب إلى أبي عبيدة بن الجراح: (أنْ علِّموا غِلمانَكم العَوْمَ ، ومُقاتِلتَكم الرميَ)[2].

وعن يحيى بن عُمارة المازنيِّ: (أن الضَّحاك بن خليفة ساق خَليجاً له من العُرَيْض ، فأراد أن يَمُرَّ به في أرض محمد بن مَسْلَمة ، فأبى محمد ، فقال له الضحاك: لِمَ تمنعُني ، وهو لك منفعةٌ تَشْرب به أولاً وآخراً ، ولا يَضرُّكَ؟! فأبى محمد. فكلَّم فيه الضحاكُ عمر بنَ الخطاب ، فدعا عمر بن الخطاب محمد بن مسلمة ، فأمره أن يُخلِّيَ سبيلَه ، فقال محمد: لا ، فقال عمر: لِمَ تمنعُ أخاك ما ينفعُه ، وهو لك نافعٌ تسقي به أولاً وآخراً ، وهو لا يضرُّك؟! فقال محمد: لا والله ، فقال عمر: والله لَيَمُرَّنَّ به ولو على بَطْنِكَ! فأَمَره عمرُ أن يمرَّ به ، ففعل الضحاك)[3].

وقال ابن عمر: (كان عمر يأتي مجزرة الزبير بن العوام بالبَقيع ، ولم يكن بالمدينة مجزرة غيرها ، فيأتي معه بالدرَّة ، فإذا وجد رجُلاً اشترى لحماً يومين متتابعين ضربه بالدرة ، وقال: أَلاَ طويتَ بطنك لجارِكَ أو ابن عمِّكَ!)[4].

وعن المسيّب بن دارم قال: (سمع عمر سائلاً وهو يقول: مَن يُعَشِّي السائل؟ فقال عمر: عَشّوا السائل. ثم تحوَّل إلى دار الإبل ، فسمع صوته

---

(١) تقدم بأتم منه: ص١٦٧ في هذا الكتاب؛ وانظر: حياة الصحابة: ٢/ ٧١٢.

(٢) مسند أحمد (٣٢٣)؛ وصححه أحمد شاكر.

(٣) موطأ مالك: ٢/ ٧٤٦؛ وإسناده صحيح. **العريض**: واد بالمدينة.

(٤) مناقب عمر ، لابن الجوزي ، ص٧٩؛ محض الصواب: ١/ ٣٧٧.

وهو يقول: من يعشي السائل؟ فقال عمر: ألم آمُرْ أن تعشوا السائل؟! قالوا: قد عشيناه. قال: فأرسل إليه، فإذا معه جِراب مملوء خبزاً، فقال: إنك لستَ سائلاً، أنت تاجر تجمع لأهلك! قال: ثم أخذ بطرف الجراب ثم نبذه بين الإبل، وأحسبها كانت إبل الصدقة)[1].

وكتب إلى أبي موسى الأشعري: (إنَّ كاتبَك الذي كَتب إليَّ لَحَنَ، فاضرِبْه سَوطاً)[2].

رابعاً: مواساته الناس وعونه الضعفاء ونحوهم:

الأيتام والأرامل والعجائز والمرضى والمساكين والأطفال وأصحاب العاهات والزَّمْنَى واللقطاء وأضرابهم من الضعفاء الذين لا يُؤْبَه لهم ـ هؤلاء جديرون بالرأفة والرحمة والعناية والرعاية والعطف والتنقيب عليهم، لتفريج كرباتهم وإعلاء كرامتهم ووضعهم في نسيج المجتمع، حتى لا تغتالهم الضَّيعة ولا يكونوا مصدر خطر وشرّ على المجتمع.

وقد جاء التوجيه النبوي الكريم يقول: «**ابْغُوني الضعفاءَ، فإنكم إنما تُرزقون وتُنصرون بضعفائكم**»[3]!.

ولقد كان سيدنا عمر في سياسته مع هؤلاء كالأب الشفيق والأم الرؤوم والأخ الكريم والابن البار، وكانت مواقفه تتألق في كل مكان، وتؤكد أن

---

(١) الثقات، لابن حبان: ٥/ ٤٣٧؛ محض الصواب: ٢/ ٧١١.

(٢) محض الصواب: ٢/ ٥٤٩.

(٣) أخرجه النسائي في الكبرى (٤٣٧٣)؛ وأبو داود (٢٥٩٤)، وغيرهما، وصححه الألباني وشعيب الأرنؤوط.

هذه الخليفة العظيم هو من فيض رحمات الله على البشرية!.

●● روى الأَوزاعيُّ: (أن عمر بن الخطاب خرج في سواد الليل فرآه طلحة، فذهب عمر فدخل بيتاً ثم دخل بيتاً آخر، فلما أصبح طلحة ذهب إلى ذلك البيت فإذا بعجوز عمياء مقعدة، فقال لها: ما بال هذا الرجل يأتيك؟ قالت: إنه يتعاهَدني منذ كذا وكذا، يأتيني بما يُصلِحني، ويُخرِج عني الأذى. فقال طلحة: ثَكِلتْك أمك يا طلحة، أعثراتِ عمر تتبَّع!)[١].

وعن سِنان بن سَلَمة الهُذلي قال: (خرجتُ مع الغلمان ونحن بالمدينة نلتقط البلح، فإذا عمر بن الخطاب معه الدرَّة، فلما رآه الغلمان تفرَّقوا في النخل، قال: فقمتُ وفي إزاري شيء قد لقطتُه، فقلت: يا أمير المؤمنين! هذا ما تُلقي الريح، قال: فنظر إليه في إزاري، فلم يضربني. فقلت: يا أمير المؤمنين! الغِلمان الآن بين يديَّ وسيأخذون ما معي! قال: كلا، امشِ، قال: فجاء معي إلى أهلي!)[٢].

وعن زيد بن أسلم، عن أبيه قال: (خرجتُ مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى السوق، فلَحِقَتْ عمرَ امرأةٌ شابَّةٌ، قالت: يا أمير المؤمنين! هَلَكَ زوجي وترك صبيةً صغاراً والله ما يُنْضِجونَ كُراعاً ولا لَهْم زرْعٌ ولا ضَرْعٌ وخشِيتُ أن تأكلَهُم الضَّبُعُ، وأنا بنتُ خُفَاف بن إِيْماءَ الغِفاريِّ وقد شهدَ أَبي الحُديبية مع النبي ﷺ! فوقف معها عمر ولم يمضِ، ثم قال: مرحباً بنَسبٍ قريبٍ. ثم انصرف إلى بعيرٍ ظَهيرٍ كان

---

(١) الحلية: ١/ ٤٨؛ صفة الصفوة: ١/ ٢٨١.

(٢) طبقات ابن سعد: ٧/ ١٢٤.

مربوطاً في الدار فحَمل عليه غِرَارتين ملأَهما طعاماً ، وحمل بينهما نفقةً وثياباً ، ثم ناولها بخِطامه ، ثم قال: اقتاديه ، فلن يَفْنى حتى يأتيَكُم الله بخير. فقال رجلٌ: يا أمير المؤمنين! أكثرتَ لها! قال عمر: ثَكِلَتْك أمُّك ، والله إني لأَرى أبا هذه وأخاها قد حاصرا حِصناً زماناً فافتتحاه ، ثم أصبحنا نَستفِيءُ سُهمانَهما فيه)[1].

وعن عُمير بن سَلَمة الدُّؤَلي قال: (بينا عمر نصف النهار قائلٌ في ظلِّ شجرة ، وإذا أعرابية فتوسَّمت الناسَ ، فجاءته فقالت: إني امرأة مسكينة ولي بنون ، وإن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب كان بعث محمد بن مَسْلمة ساعياً ، فلم يُعْطِنا ، فلعلَّك يرحمك الله أن تشفَعَ لنا إليه! فصاح بيرفأ أن ادْعُ لي محمد بن مسلمة ، فقالت: إنه أنجحُ لحاجتي أن تقوم معي إليه ، فقال: إنه سيفعل إن شاء الله! فجاءه يَرْفأ فقال: أجِبْ ، فجاء فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ، فاستحيتِ المرأة! فقال عمر: والله ما آلُو أن أختار خيارَكم ، كيف أنت قائل إذا سألك الله عز وجل عن هذه؟ فدمعت عينا محمد ، ثم قال عمر: إن الله بعث إلينا نبيَّه ﷺ ، فصدّقناه واتبعناه ، فعمل بما أمر الله به ، فجعل الصدقة لأهلها من المساكين حتى قبضه الله على ذلك. ثم استخلف الله أبا بكر ، فعمل بسنَّتِه حتى قبضه الله. ثم استخلَفَني فلم آلُ أن أختار خيارَكُمْ ، إنْ بعثتُك فأدِّ إليها صدقة العام وعام أول ، وما أدري لعلي لا أبعثُكَ! ثم دعا لها بجمل فأعطاها دقيقاً وزيتاً ، وقال: خُذي هذا حتى تَلْحقينا بخيبرَ ، فإنا

---

(١) أخرجه البخاري (٤١٦٠ ، ٤١٦١). الكُراع: ما دون الكعب من الشاة. الضَّبُع: السنة المجدِبة. بعير ظَهير: قوي الظهر معدّ للحاجة. الغِرارة: وعاء من خيش ونحوه يوضع فيه القمح ونحوه.

نريدها. فأتته بخيبر، فدَعَا لها بجملَيْن آخرين وقال: خُذي هذا فإن فيه بلاغاً حتى يأتيكم محمد بن مسلمة، فقد أمرتُه أن يُعطيك حقَّك للعام وعام أول!)[1].

وقبل أن يُطْعَن بأربعة أيام قال الفاروق رضي الله عنه وأرضاه: (لَئِنْ سَلَّمَني الله لأَدَعنَّ أراملَ أهلِ العراق لا يَحْتجنَ إلى رجلٍ بعدي أبداً!)[2].

ومن بارع الأخبار ما ذكروه (في قصة الصحابي أميّة بن الأَسْكَر الكِناني، وكان من سادات قومه، وكان له ابن اسمه (كِلاب) هاجر إلى المدينة في خلافة عمر، واكتتب في الجند الغازي إلى فارس مع أبي موسى الأشعري، فاشتاقه أبوه وكان قد أُضِرَّ، فأخذ بيدِ قائده ودخل على عمر وهو في المسجد، فأنشده:

أعاذل قد عذلتِ بغير قدري	ولا تَدْرينَ عاذِلَ ما أُلاقي
فإمَّا كنتِ عاذِلَتي فرُدِّي	كِلاباً، إذ توجَّه للعراقِ
فتى الفتيان في عُسْرٍ ويُسْرٍ	شديدُ الرّكنِ في يوم التلاقي
فلا وأبيكَ! ما باليتَ وجْدي	ولا شَغَفي عليك ولا اشتياقي
وإيقادي عليك إذا شَتَوْنا	وضَمَّك تحت نحري واعتناقي
فلو فَلَقَ الفؤادَ شديدُ وجْدٍ	لهَمَّ سوادُ قلبي بانْفلاقِ
سأستعدي على الفاروق ربّاً	له عَمَدَ الحجيجُ إلى بُساقِ

(١) الأموال، لأبي عبيد (١٩٢٠)؛ محض الصواب: ٢/ ٥٢٢ ـ ٥٢٣. قائل: من القيلولة وهي نومة الظهيرة. ما آلو: ما أقصر ولا أتهاون.

(٢) البخاري (٣٧٠٠) في حديث طويل.

وأدعـــو الله ، محتسبـــاً عليـــه ببَطْــنِ الأخشَبَيْــن إلــى دُفــاقِ
إنِ الفــاروقُ لــم يَــردُدْ كِــلابــاً علــى شيخيــن ، هــامُهُمــا زَواقِ

فبكى عمر ، وكتب إلى أبي موسى الأشعري في ردِّ (كلاب) إلى المدينة. فلما قدم دخل عليه ، فقال له عمر: ما بَلَغ من برِّكَ بأبيك؟ فقال: كنتُ أُوثِره وأكفيه أمرَه ، وكنت إذا أردتُ أن أحلب له لبناً أجيءُ إلى أغزرِ ناقة في إبله ، فأُسَمِّنها وأُريحها وأتركها حتى تستقِرَّ ، ثم أغسل أخلافَها حتى تبرُدَ ، ثم أحتلب له فأسقيه!.

فبعث عمر إلى أبيه فجاءه ، فدخل عليه وهو يتهادى وقد انحنى ، فقال له: كيف أنت يا أبا كلاب؟ فقال: كما ترى يا أمير المؤمنين ، فقال: هل لك من حاجة؟ قال: نعم ، كنتُ أشتهي أن أرى كلاباً فأشمّه شمّةً وأضمّه ضمةً قبل أن أموت! فبكى عمر وقال: سَتَبلُغ في هذا ما تحب إن شاء الله تعالى. ثم أمر كلاباً أن يحتلِبَ لأبيه ناقة كما كان يفعل ويبعث بلبنها إليه ، ففعل ، وناوله عمر الإناء ، وقال: اشرَبْ هذا يا أبا كلاب! فأخذه ، فلما أدناه من فمه قال: والله يا أمير المؤمنين إني لأشُمُّ رائحة يَدَيْ كلاب! فبكى عمر وقال: هذا كلابٌ عندك حاضر وقد جئناك به. فوثب إلى ابنه وضَمّه إليه وقبّلَه ، فجعل عمر والحاضرون يبكون ، وقالوا لكلاب: الزَمْ أبويك. فلم يَزَل مقيماً عندهما إلى أن ماتا)[1].

---

(١) معجم البلدان: ١/ ٤١٣ (بساق)؛ نكت الهميان ، ص١٢١ ـ ١٢٢؛ الإصابة: ١/ ٧٨ ـ ٧٩؛ الأغاني: ١٥٧/١٨. بساق: جبل بعرفات. أُضِرّ: عَمي. الأخشبان: جبلان بمكة متقابلان هما أبو قُبيس وقُعيقعان. دُفاق: موضع بمكة.

●● عمر أبو العيال:

كان عمر أبا العيال، وكان يمشي إلى المُغِيبات اللواتي غاب أزواجهن فيقف على أبوابهن ويقول: أَلَكُنَّ حاجة؟ وأيتكنَّ تريد أن تشتري شيئاً؟ فإني أكره أن تُخدعن في البيع والشراء. فيرسلن معه بجواريهن، فيدخل السوق ووراءه من جواري النساء وغلمانهن ما لا يُحصى، فيشتري لهن حوائجهن، ومن ليس عندها شيء اشترى لها من عنده.

وإذا قدِمَ الرسول من بعض الثغور يتبعهنّ بنفسه في منازلهنَّ بكتُبِ أزواجهن، ويقول: أزواجكن في سبيل الله، وأنتن في بلاد رسول الله ﷺ، إن كان عندكن من يقرأ، وإلا فاقربْنَ من الأبواب حتى أقرأ لكُنَّ! ثم يقول: الرسول يخرج كل يوم كذا وكذا، فاكتبْنَ حتى نبعث بكتبكن. ثم يدور عليهن بالقراطيس والدواة، يقول: هذه دواة وقِرطاس، فادنين من الأبواب حتى أكتب لكُنَّ، ويمرُّ إلى المُغِيبات فيأخذ كتبهن فيبعث بها إلى أزواجهن[1].

وبَيْنا أمير المؤمنين يَعُسّ في المدينة بالليل أتى على امرأة من الأنصار تحمل قِرْبة، فسألها عن شأنها، فذكرتْ أن لها عيالاً، وأنْ ليس لها خادم، وأنها تخرج في الليل فتسقيهم الماء، وتكره أن تخرج بالنهار، فحمل عمر عنها القِرْبة حتى بَلَغ منزلها، وقال: اغدي على عمر غدوةً يُخدِمك خادماً! قالت: لا أصِلُ إليه، قال: إنك ستجدينه إن شاء الله تعالى. فغَدَتْ عليه فإذا هي به، فعرفَتْ أنه الذي حمل قِربتها فذهبت

---

(١) الرياض النضرة: ٢/ ٤؛ سراج الملوك، ص١٠٩؛ أخبار عمر، ص٣٣٩.

تولّي! فأرسَل في أثرها، وأمر لها بخادم ونفقة[1].

وأقبل قومٌ غزاة من الشام يريدون اليمنَ، وكان لعمر جَفنات يضعُها إذا صلى الغداة، فجاء رجل منهم فجلس يأكل، فجعل يتناول بشماله، فقال له عمر ـ وكان يتعهد الناس عند طعامهم ـ: كُلْ بيمينك، فلم يُجبْه، فأعاد عليه، فقال: هِي، يا أمير المؤمنين مشغولةٌ! فلما فرغ من طعامه، دعا به فقال: ما شَغَلٍ يدك اليمنى؟ فأخرجها، فإذا هي مقطوعةٌ! فقال: ما هذا؟ فقال: أُصيبت يدي يوم اليرموك، قال: فمن يوضِّئك؟ قال: أتوضأ بشمالي ويعين الله، قال: فأين تريد؟ قال: اليمن، إلى أم لي لم أرَها منذ كذا وكذا سنة، قال: أَوَ بِرٌّ أيضاً! فأمر له بخادم وخمسة أباعر من إبل الصدقة، وأَوْقَرها له[2].

والأمثلة والشواهد كثيرة جدّاً، سيأتي ذِكر جملة منها.

خامساً: مع المسلمين في عقيدتهم وعباداتهم:

من حق الأمة على الحاكم أن يحرس عقيدتها، ويعلِّمها دينها، ويتعاهدها في أخلاقها، وينصح لها في شعائرها من حلال وحرام وآداب حضَّت عليها السنن الشريفة.

ولقد كان الفاروق على يقظة تامة مستمرة في هذا الباب؛ يعلِّم ويفقِّه، وينصح ويوجِّه، ويؤنِّب ويؤدِّب، فيحفظ صفاء العقيدة، ويقطع دابر الانحراف، ويرشد في العبادات والفرائض والمندوبات،

---

(١) سراج الملوك، ص١٠٧؛ الرياض النضرة: ٢/ ٤٩؛ أخبار عمر: ٣٤٠ ـ ٣٤١.

(٢) الشيخان أبو بكر وعمر، للبلاذري، ص ١٧٤ ـ ١٧٥.

ويُلاحِق كل أمر ، ويقوِّم الخطأ ، ويستوعب في تلك الميادين الكبار والصغار ، والأفراد والجماعات. . . وله في هذا مواقف هي مضرب المثل للحاكم والأمير والعالم وعامة الناس.

●● عن نافع قال: (كان الناس يأتون الشجرةَ التي يُقال لها: شجرة الرضوان ، فيصلُّون عندها ، قال: فبَلَغ ذلك عمرَ بن الخطاب ، فأَوْعَدهم فيها ، وأمر بها فقُطِعت)[1].

وعن المَعْرور بن سُويد قال: (كنتُ مع عمر بين مكة والمدينة ، فصلَّى بنا الفجر فقرأ ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ﴾ و﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾ ، ثم رأى أقواماً ينزلون فيصلُّون في مسجد ، فسأل عنهم ، فقالوا: مسجدٌ صلَّى فيه النبيُّ ﷺ ، فقال: إنما هَلَكَ من كان قبلكم أنهم اتخذوا آثار أنبيائهم بِيَعاً ، من مرَّ بشيء من المساجد فحضرتِ الصلاة فليصلِّ ، وإلا فليمضِ)[2].

ومن مواقف عمر الشهيرة في حراسة الدين موقفه من خوض الناس في متشابِه القرآن:

ـ عن السائب بن يزيد قال: (أتى رجلٌ عمر بنَ الخطاب فقال: يا أمير المؤمنين! إنا لقينا رجلاً يسأل عن تأويل القرآن! فقال: اللهم أَمكِنِّي منه. فبينا عمر ذات يوم جالساً يغدِّي الناسَ ، إذ جاءه وعليه ثياب وعمامة ، حتى إذا فرغَ قال: يا أمير المؤمنين: ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا ۝١

---

(١) أخرجه ابن سعد: ٢/ ١٠٠؛ وصححه الحافظ في الفتح: ٩/ ٤٥٧ شرح الحديث (٤١٦٤).

(٢) أخرجه عبد الرزاق (٢٧٣٤) ، وإسناده صحيح.

﴿فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا﴾ [الذاريات]؟ فقال عمر: أنت هو؟ فقام إليه وحَسَر عن ذراعيه، فلم يزل يجلده حتى سقطت عمامته، فقال: والذي نفس عمر بيده لو وجدتُك مَحْلوقاً لضربت رأسك[1]! ألبسوه ثيابه، واحملوه على قِتْب، ثم اخرجوا حتى تقدَمُوا به بلاده، ثم ليقمْ خطيباً ثم ليقلْ: إن صَبِيغاً ابتغَى العلمَ فأخطأه. فلم يَزَل وضيعاً في قومه حتى هلك).

وفي رواية: عن أبي عثمان النَّهْدي: أن عمر سيَّره إلى البصرة، وكتب إلى أهلها: أن لا تُجالِسوه. قال أبو عثمان: فكان لو أتانا ونحن مئة لتفرَّقْنا عنه.

وقد تاب الرجل وبرأ من ضلالته، وأذن عمر للناس بمجالسته[2].

ـ وعن خالد بن عُرْفُطة قال: (كنت جالساً عند عمر، إذ أُتي برجل من عبد القيس مسكنه بالسُّوس[3]، فقال له عمر: أنت فلان بن فلان العبدي؟ قال: نعم، فضربه بعصاً معه، فقال الرجل: ما لي يا أمير المؤمنين؟! فقال له عمر: اجلس، فجلس، فقرأ عليه: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ

---

(١) اتهمه عمر برأي الخوارج، وسيماهم التحليق. وهذا الرجل اسمه صَبِيغ بن عِسْل.

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة، للالكائي: ٣/ ٦٣٤ ـ ٦٣٥؛ الإصابة: ٢/ ١٩١؛ تفسير القرطبي: ١٧/ ٢٩ ـ ٣٠؛ محض الصواب: ٢/ ٥٣٢ـ٥٣٥؛ حياة الصحابة: ٣/ ٢٢٨ ـ ٢٢٩. وقد روي الخبر من طرق، صحح الحافظ في الإصابة الرواية الأولى، والباقي فيها ضعف ويحصل بمجموعها قوة.

(٣) مدينة بالأحواز شمال الخليج العربي.

تَعۡقِلُونَ ۝٢ نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ﴾ [يوسف] ، فقرأها عليه ثلاثاً وضربه ثلاثاً ، فقال الرجل: ما لي يا أمير المؤمنين؟! فقال: أنت الذي نسختَ كتب دانيال[1]! قال: مُرْني بأمرك أتبعْه ، قال: انطلِقْ فامْحُه بالحَميم والصوف الأبيض ، ثم لا تقرأه أنت ولا تُقرِئْه أحداً من الناس ، فلَئِنْ بَلَغني عنك أنك قرأتَه أو أقرأتَهُ أحداً من الناس لأنهكَنَّكَ عقوبةً)[2].

ثم ذكر عمر قصته التي قدمناها عندما رآه النبي ﷺ يقرأ صحيفة من التوراة[3].

●● عن أبي بكر بن سُلَيمان بن أبي حَثْمَة: (أن عمر بن الخطاب فَقَد سليمانَ بن أبي حَثْمة في صلاة الصبح ، وأن عمر بن الخطاب غدا إلى السوق ، ومَسْكنُ سليمان بين السوق والمسجد النبوي ، فمرَّ على الشِّفاء أمِّ سليمان ، فقال لها: لم أرَ سليمان في الصبح! فقالت: إنه بات يصلي ، فَغَلَبَتْه عيناه ، فقال عمر: لأَنْ أشهدَ صلاة الصبح في الجماعة أحَبُّ إليَّ من أن أقوم ليلةً)[4].

وعن عبد الرحمن بن عبدٍ القارِيِّ: (أنه سمع عمرَ بنَ الخطاب وهو

---

(١) يذكر العهد القديم أن (دانيال) نبي من أنبياء اليهود.
(٢) أخرجه عبد الرزاق (١٠١٦٦)؛ وأبو يعلى كما في مجمع الزوائد: ١/ ١٨٢ ، وأبو نصر المقدسي في: الحجة ، رقم (٦٦١)؛ والبلاذري في: الشيخان أبو بكر وعمر ، ص ٢٧٣؛ وغيرهم ، وهو أثر حسن لغيره؛ وانظر: محض الصواب: ٢/ ٥٣١ ـ ٥٣٢؛ حياة الصحابة: ٣/ ١٦٧ ـ ١٦٨.
(٣) تقدم: ص٩٣ في هذا الكتاب.
(٤) أخرجه مالك: ١/ ١٣١؛ وإسناده صحيح.

على المنبر يُعلِّم الناسَ التشهدَ ، يقول: قولوا: التحيَّاتُ لله ، الزاكياتُ لله. . .) الحديث[1].

وعن قُرَّة بن إياس المُزَنيّ قال: (رآني عمر وأنا أصلي بين أُسْطُوانتين ، فأَخذ بقفاي ، فأَدْناني إلى سُتْرة ، فقال: صَلِّ إليها)[2].

وعن عبد الله بن عمر: (أن عمر بن الخطاب بينما هو قائمٌ في الخطبة يومَ الجمعة ، إذ دخلَ رجلٌ من المهاجرين الأولين من أصحاب النبي ﷺ ، فناداه عمر: أيَّـةُ ساعةٍ هذه؟ قال: إني شُغِلتُ فلم أَنقلِبْ إلى أهلي حتى سمعتُ التأذينَ ، فلم أَزِدْ أن توضأتُ ، فقال: والوضوءُ أيضاً؟! وقد علمتَ أن رسول الله ﷺ كان يأمرُ بالغُسْل!)[3].

وهذا الصحابي هو عثمان بن عفان! فانظُرْ إلى أمير المؤمنين كيف قطع الخطبة وخاطب عثمان معاتباً له على تأخُّره في شهود الجمعة ، ثم لامَهُ على ترك سنة الاغتسال يوم الجمعة. وهذا درس بليغ من الفاروق إذ يجعل من عِلْية الصحابة مكان الأسوة والقدوة للناس في التزام السنن النبوية.

قال الحافظ: في هذا الحديث من الفوائد: تَفَقُّدُ الإمام رعيتَه ، وأمرُه لهم بمصالح دينهم ، وإنكارُه على من أخَلَّ بالفضل وإن كان عظيم المَحلّ ، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في أثناء الخطبة

---

(١) أخرجه مالك: ١/ ٩٠؛ والفسوي: ٢/ ٧٢٣؛ وإسناده صحيح.
(٢) علقه البخاري قبل الحديث (٥٠٢)؛ ووصله ابن أبي شيبة: ٢/ ٢٦٤.
(٣) أخرجه البخاري (٨٧٨)؛ ومسلم (٨٤٥)؛ وغيرهما.

لا يُفسِدها ، وسقوطُ منعِ الكلام عن المخاطَب بذلك[1] . . .

●● عن عبد الله بن أبي الهُذَيل : (أنَّ عمر بن الخطاب أُتي برجلٍ شَرِب الخمر في رمضان ، فلما دنا منه جعل يقول : للمنخرينِ والفم ، هَا وإِنَّ صِبيانَنا لصيامٌ! ثم أَمر به فضُرب ثمانين سوطاً ، ثم سيَّره إلى الشام)[2].

وعن سعيد بن المسيِّب ، عن أبيه قال : (كنتُ جالساً عند عمر ، إذ جاءه ركْبٌ من الشام فطَفِق عمرُ يستخبِر عن حالِهم فقال : هل يُعجِّل أهل الشام الفطرَ؟ قال : نعم ، قال : لن يزالوا بخير ما فعلوا ذلك ، ولم ينتظروا النجوم انتظار أهل العراق)[3].

●● عن يعلى بن أمية قال : (طفتُ مع عمر بن الخطاب ، فلما كنتُ عند الركن الذي يلي البابَ مما يلي الحَجَر أخذتُ بيده ليستلم ، فقال : أمَا طفتَ مع رسول الله ﷺ؟ قلتُ : بلى ، قال : فهل رأيتَه يستلِمُه؟ قلتُ : لا ، قال : فانْفُذْ عنك ، فإن لك في رسول الله أسوةً حسنةً)[4].

وعن الحسن البصري : (أن عمران بن حُصَيْن أَحرم من البصرة ، فقدِمَ على عمر ، فأَغلَظَ له ونهاه عن ذلك ، وقال : يتحدثُ الناس أن

---

(١) الفتح : ٣/ ٣٧١.

(٢) علقه البخاري قبل الحديث (١٩٦٠) ، ووصله سعيد بن منصور وغيره؛ الفتح : ٥/ ٧٢٣ ، ٧٢٤؛ تغليق التعليق : ٣/ ١٩٦.

(٣) أخرجه عبد الرزاق (٧٥٨٩) وإسناده صحيح.

(٤) أخرجه أحمد (٢٥٣) وصححه أحمد شاكر؛ وهو في المعرفة والتاريخ : ٢/ ٢٠٥.

رجلاً من أصحاب محمد ﷺ أحرم من مِصْرَ من الأمصار)[1].

وعن ابن أبي مُلَيْكة: (أن عمر بن الخطاب مرَّ بامرأة مَجْذُومةٍ وهي تطوف بالبيت، فقال لها: يا أمةَ الله، لا تؤذي الناسَ، لو جلستِ في بيتك، فجلستْ. فمرَّ بها رجل بعد ذلك فقال لها: إن الذي كان قد نَهاكِ قد مات، فاخرُجي، فقالت: ما كنتُ لأطيعَه حيّاً وأَعْصِيه ميِّتاً)[2].

●● عن ابن عمر قال: (لمَّا وَلي عمر بن الخطاب خَطَبَ الناسَ فقال: إِنَّ رسول الله ﷺ أَذِنَ لنا في المُتعةِ ثلاثاً، ثم حَرَّمها. والله لا أعلمُ أحداً يتمتَّع وهو مُحْصَنٌ إلا رجمتُه بالحجارة، إِلاَّ أن يأتيني بأربعةٍ يَشهدون أن رسول الله أحلَّها بعد إِذْ حَرّمها)[3].

وأخرج ابن المنذر والبيهقي: من طريق سالم بن عبد الله بن عمر، عن أبيه قال: (صعِد عمر المنبر، فحمدَ الله، وأثنى عليه، ثم قال: ما بالُ رِجالٍ ينكحون هذه المُتعة بعد نَهْيِ رسول الله ﷺ عنها!).

وهذا من الأدلة على تحريم المتعة إلى الأبد، فأميرُ المؤمنين عمر ينهى عنها في خلافته، ويُعلن ذلك على المنبر، وأقرَّه الصحابة عليه، وقد عُلم أنهم ما كانوا يُقرُّون على منكر، وأنهم كانوا يراجعونه إذا

---

(١) مجمع الزوائد: ٣/ ٢١٦ ـ ٢١٧؛ وعزاه للطبراني في «الكبير»؛ محض الصواب: ٢/ ٥٣٦.

(٢) موطأ مالك: ١/ ٤٢٤، وفيه انقطاع.

(٣) أخرجه ابن ماجه (١٩٦٣)؛ وحسنه الألباني.

أخطأ. وقول الرافضة: إنهم سكتوا تقيَّةً؛ فِريةٌ على الله ورسوله والصحابة أجمعين[1]!.

سادساً: متابعة مدهشة لكل شيء في الدولة، وحرصه على أرواح الناس:

تراحبت جلالة المسؤولية في عقل عمر وقلبه وروحه حتى ملأت جوانحه ونفسه في نهاره وليله، وسِرِّه وجهره، وحضره وسفره، وعُسْرِه ويُسْرِه، وهَيمنَتْ على كل كيانه فجيَّش لها جميع طاقاته، وتصدى لها بعزمات العُصبة أولي القوة من أفذاذ العباقرة... فأكرمه الله تعالى بهمم تليق بضخامة مسؤولياته الكبار، وتكافئ ورعه الفذ، وعزماته الغلَّابة، وحسَّه المرهف، ووفَّقه تمام التوفيق للوفاء بجميع ما حَمَله على نفسه ووَعَد به المسلمين عند استقباله الخلافة.

وإنك أيها القارئ لَتعجبُ ويأخذُك البُهْرُ وأنت تتلو صحائف هذه السيرة؛ كيف تسنَّى لأمير المؤمنين أن يُتابِع كل هاتيك الأمور في أطراف الدولة، ويؤدي حقها على أكمل وجه!.

فتراه قد فتح عينيه وأَصغى سمعه وأَعمل قلبه وأَجهد عقله وأَطْلَق لسانه ويده، في تتبع الصغير والكبير، والغني والفقير، والذكر والأنثى، والحاضر والباد، والقاعد والمجاهد، والطائع والمذنب، والقائد والجندي، والوالي والرعية، والقضاة وأئمة المساجد، ومرافق الدولة، وشؤون المال والأرض، و... و... حتى الحيوانات، فله في كل مسألة رأي، وفي كل قضية حكم، وفي كل نازلة قضاء، وفي

(١) انظر: فتح الملهم: ٦/ ٣٤٠.

كل ناد شاهد. . . إنه ـ باختصار ـ كما وصفه الصادق المصدوق ﷺ: **«فلم أرَ عَبقرياً يفْرِي فَرِيَّه»**!.

ولنذكر بعض الشواهد والدلائل على ما نقول:

●● عن قتادة قال: (كان مُعَيْقيب على بيت مال عمر، فكَسَح بيتَ المال يوماً فوجد فيه درهماً، فدفعه إلى ابنٍ لعمر. قال معيقيب: ثم انصرفتُ إلى بيتي، فإذا رسول عمر جاء يدعوني، فجئتُ فإذا الدرهم في يده، فقال: وَيْحكَ يا معيقيب! أَوَجدتَ عليَّ في نفسك شيئاً ـ أو: ما لي ولكَ؟! قلتُ: وما ذاكَ؟ قال: أردتَ أن تخاصمَني أمةُ محمد ﷺ في هذا الدرهم يوم القيامة؟!)[1].

وعن قَطَن بن وَهْب، عن عمِّه: (أنه كان مع عمر بن الخطاب في سفر، فلما كان قريباً من الرَّوْحَاء، سمع صوتَ راعٍ في جبل، فعَدَل إليه فلما دنا منه صاح: يا راعيَ الغنم! فأجابه الراعي فقال: يا راعيها، فقال عمر: إني قد مررتُ بمكان هو أخصبُ من مكانك، وإنَّ كل راعٍ مسؤول عن رعيته. ثم عَدَل صدورَ الركاب)[2].

وعن بُرَيْدة بن الحُصَيْب قال: (كنتُ جالساً عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذ سمع صائحة، فقال: يا يَرْفأ! انظر ما هذا الصوت؟ فانطلق فنظر، ثم جاء فقال: جارية من قريش تُباعُ أمُّها، قال: فقال عمر: ادْعُ لي ـ أو قال: عليَّ ـ بالمهاجرين والأنصار.

---

(١) مناقب عمر، لابن الجوزي، ص ١٠٦؛ محض الصواب: ٢/ ٤٩٢.
(٢) طبقات ابن سعد: ٣/ ٢٩١ ـ ٢٩٢. الروحاء: محطة على الطريق بين المدينة ومكة، تبعد عن المدينة (٧٤كم).

قـال: فلم يمكث إلا سـاعة حتى امتلأت الدار والـحجرة. قـال: فحمدَ اللهَ عمرُ وأثنى عليه، ثم قال: أما بعدُ، فهل تعلمونَه كان مما جاء به محمد ﷺ القطيعة؟! قالوا: لا، قـال: فإنها قد أصبحت فـيكم فـاشيـةً! ثم قـرأ: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ [محمـد: ٢٢]، ثم قـال: وأيُّ قطيعـةٍ أقطَعُ من أن تُبـاع أمُّ امرئٍ فيكم وقد أوسَعَ الله لكم؟! قـالوا: فاصنَعْ مـا بـدا لك. قال: فكَتَبَ في الآفاق: أن لا تُباع أمُّ حرٍّ فإنها قطيعـة، وإنه لا يَحلُّ)[١].

●● عن أبي أُمامة بن سَهْل قال: (كَتَبَ عمر إلى أبي عُبيدة بن الجراح: أنْ علِّموا غِلمانكم العَوْمَ، ومقاتِلتَـكم الرمْيَ. فكانوا يختلِفون إلى الأغراض، فجاء سَهْمُ غَرْبٍ إلى غلام فقتَلَه، فلم يُوجد له أصلٌ، وكان في حَجْرِ خالٍ له، فكتب فيه أبو عبيدة إلى عمر: إلى مَن أدفَعُ عَقْلَه؟ فكتب إليه عمر: إن رسول الله ﷺ كان يقول: «**الله ورسوله مولى من لا مولى له، والخالُ وارثُ من لا وارثَ له**»)[٢].

وعن محمد بن عبد الله بن عبدٍ القارِيِّ قال: (قدِمَ على عمر بن الخطاب رجلٌ من قِبَل أبي موسى الأشعري، فسأله عن الناس، فأخبره. ثم قال له عمر: هل فيكم من مُغَرِّبةِ خبرٍ؟ فقال: نعم؛ رجلٌ كفَرَ بعد إسلامه، قال: فما فعلتُم به؟ قال: قرَّبْنَاه، فضربنا عنقَه، فقال عمر: أفلا حَبَستُموه ثلاثاً، وأَطعَمتُموه كلَّ يوم رغيفاً، واستَتَبتُموه لعلَّه

---

(١) أخرجه الفسوي: ٣/ ٣٩٢؛ والحاكم: ٢/ ٤٥٨ وصححه ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه أحمد (٣٢٣)، وتقدمت رواية أخرى: ص١٥٥ حاشية (٢) في هذا الكتاب. **الأغراض**: الأهداف التي يُرمى إليها. **سهم غَرْب**: طائش لا يُعرف راميه. **عقله**: دِيته.

يتوبُ ويُراجِعُ أمرَ الله؟! ثم قال عمر: اللَّهمَّ إني لم أَحضُرْ، ولم آمُرْ، ولم أرضَ إذْ بَلَغَني!)[1].

وعن الحسن البصري: (أنَّ رجلاً استَسقى على باب قوم، فأبَوا أن يُسقوه، فأدركه العطش فمات، فضَمَّنَهم عمرُ الدِّيَةَ)[2].

وعن زيد بن وَهْب قال: (خَرج جيش في زمن عمر نحو الجَبَل[3]، فانتهوا إلى نهر ليس عليه جسر، فقال أمير ذلك الجيش لرجلٍ من أصحابه: انزل وانظر في مخاضة نَجُوزُ فيها، وذلك في يوم شديد البرد، فقال ذلك الرجل: إني أخاف إنْ دخلتُ الماء أن أموت! فأكرهه، فدَخَلَ، فقال: يا عُمراه، يا عمراه! ثم لم يَلبثْ أن هَلَك. فبَلَغَ ذلك عمرَ وهو في سوق المدينة، فقال: يا لَبيكاه! وبعث إلى أمير ذلك الجيش فنزَعه، وقال: لولا أن يكون سنة بعدي لأَقَدْتُ منك، لا تعمل لي عملاً أبداً).

زاد في رواية: (لا تَبرحْ حتى تؤدّي دِيته)[4].

وعن أنس بن مالك: (أن عمر بن الخطاب سأله: إذا حاصرتم

---

(١) أخرجه مالك: ٢/ ٧٣٧؛ وابن أبي شيبة: ٦/ ٥٨٤، وغيرهما. **هل من مغربة خبر**: أي هل من خبر جديد جاء من بلد بعيد.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة: ٦/ ٤٢٧؛ وهو عند عبد الرزاق (١٨٣١٨)، لكن فيه (امرأة) بدل (رجل).

(٣) في العراق.

(٤) تاريخ المدينة، لابن شبة: ٣/ ٨١٢؛ السنن الكبرى، للبيهقي: ٨/ ٣٢٣؛ محض الصواب: ١/ ٣٧١، ٢/ ٥٢١.

المدينة كيف تصنعون؟ قال: نبعث الرجل إلى المدينة ، ونصنع له هَنَةً من جلود ، قال: أرأيتَ إن رُمي بحجر؟ قال: إذاً يُقتل! قال: فلا تفعلوا ، فوالذي نفسي بيده ما يسرُّني أن تفتتحوا مدينة فيها أربعة آلاف مقاتل بتضييع رجل مسلم)[١].

وكتب إلى النعمان بن مُقَرِّن قائدِ الجيوش في «وقعة نهاوند»: (إذا أتاك كتابي هذا فَسِرْ بأمر الله وبعون الله وبنصر الله ، بمن معك من المسلمين ، ولا تُوطِئهم وعْراً فتؤذيهم ، ولا تمنعْهم حقهم فتكفِّرهم ، ولا تُدخِلنَّهم غَيْضة فإن رجلاً من المسلمين أحبُّ إليَّ من مئة ألف دينار ، والسلام عليك)[٢].

ومنع المسلمين من الغزو في البحر طيلة خلافته خشيةً من المغامرة بأرواح الناس ، وروى نافع قال: قال عمر: (لا يَسألُني الله عن ركوب المسلمين البحرَ أبداً)[٣].

●● عندما فتح المسلمون جنوبَ العراق ، كتب القائد عُتبة بن غَزْوان إلى أمير المؤمنين أنه لابدَّ للمسلمين من منزل يَشْتون به إذا شَتَوْا ، ويَكنسون فيه إذا انصرفوا من غزوهم. فكتب إليه: اجمع أصحابك في موضع واحد ، وليكن قريباً من الماء والمرعى ، واكتب إليَّ بصفتِه. فكتب عتبة إليه: إني وجدتُ أرضاً كثيرة القَصَب في طرف البر إلى

---

(١) السنن الكبرى ، للبيهقي: ٩/ ٤٢؛ حياة الصحابة: ٢/ ٤٠٨. هنة: قطعاً متفرقة.

(٢) تاريخ الطبري: ٤/ ١١٥؛ البداية والنهاية: ٧/ ١٠٨.

(٣) طبقات ابن سعد: ٣/ ٢٨٤.

الريف ، ودونها مناقع ماء . فلما قرأ عمر الكتاب قال : هذه أرض نَضرة قريبة من المشارب والمراعي والمحتطَب . وكتب إليه أن أنزلها الناس ، فأنزلهم إياها . وهي (البصرة)[1] .

ولما كان فتح جَلُولاء وحُلوان وتكريت ، وقدِمت الوفود على عمر ، فرأى تغيُّر ألوانهم ، وسألهم عن ذلك ، فأخبروه أن السبب وخومة تلك البلاد ورطوبتها ، فأمر سعد بن أبي وقاص فابتنى لهم (الكوفة)[2] .

وروى عروة بن رُوَيْم : (أن عمر بن الخطاب تصفَّح الناس[3] ، فمرَّ به أهلُ حمص ، فقال : كيف أميركم؟ قالوا : خيرُ أمير إلا أنه بنى عِليَّة يكون فيها! فكتَبَ كتاباً وأرسل بريداً ، وأمره أن يُحرِّقها)[4] .

●● عن مجالد بن سعيد قال : (لمّا أتى عمرَ بن الخطاب نزولُ رستم القادسية ، كان يستخبر الركبان عن أهل القادسية من حين يُصْبح إلى انتصاف النهار ، ثم يرجع إلى أهله ومنزله . فلما لقي البشير سأله : من أين؟ فأخبره ، فقال : يا عبد الله حدِّثْني ، قال : هزم الله العدو ، وعمر يَخُبُّ معه ويَستخبِره ، والآخر يسير على ناقته ولا يعرفه ، حتى دخل المدينة ، فإذا الناس يسلِّمون عليه بإمرة المؤمنين ، فقال الرجل : فهلاَّ

---

(١) فتوح البلدان ، ص٣١٩؛ وانظر : تاريخ الطبري : ٣/ ٥٩٠ . يكنسون : يستترون .

(٢) تاريخ الطبري : ٤/ ٤٠ ـ ٤١ .

(٣) أي : تفقدهم في موسم الحج .

(٤) حياة الصحابة : ٢/ ٨١ ، وللخبر تتمة ستأتي : ص٦٧٠ ـ ٦٧١ في هذا الكتاب .

أخبرتني رحمك الله أنك أمير المؤمنين! وجعل عمر يقول: لا عليك يا أخي!)[١].

وفي وقعة نهاوند أمَّر الفاروق النعمانَ بن مقرِّن قائداً عامّاً ، وكان عمر بالمدينة يستنصر الله ويدعوه مثل الحُبْلى! ولما جاءه الرسول بالبشارة والنصر ، حمدَ الله تعالى ثم قال: آلنعمانُ بعثك؟ قال: احتسِب النعمان يا أمير المؤمنين! فبكى عمر واسترجَع ، وقال: ومَن ويحك؟! قال: فلان وفلان ، حتى عَدَّ له ناساً كثيراً ، ثم قال: وآخرين يا أمير المؤمنين لا تعرفُهم ، فقال عمر وهو يبكي: لا يَضرُّهم ألا يعرفهم عمر ، ولكنّ الله يعرفهم[٢]!.

والأمثلة والشواهد كثيرة في تتبُّع أمير المؤمنين أحوالَ الناس في شتى البلدان[٣].

وكان يَخرج بين الحين والآخر من عاصمة الخلافة إلى الأمصار يتفقد أحوال الرعية بنفسه ، وهو يحدِّث نفسه أنْ قد يكون في الناس من لا يَصِل إليه ولا تبلُغه حاجته. جاء عن عمر أنه قال:

(لَئِنْ عِشتُ إن شاء الله لأَسيرنَّ في الرعيَّة حَوْلاً ، فإني أعلمُ أن للناس حوائجَ تُقطع دوني؛ أمَّا عمالُهم فلا يرفعونها إليَّ ، وأما هم فلا يَصِلون إليَّ: فأسير إلى الشام فأقيم بها شهرين ، ثم أسير إلى الجزيرة فأقيم بها

(١) تاريخ الطبري: ٣/ ٥٨٣؛ محض الصواب: ٢/ ٥٨٦ ـ ٥٨٧. يَخُبّ: الخَبَب: ضَرْب من العَدْو.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة: ٨/ ٢٤؛ تاريخ الطبري: ٤/ ١٢٠.

(٣) انظر خبراً طريفاً في فتح بلاد الأكراد: تاريخ الطبري: ٤/ ١٨٦ ـ ١٨٨.

شهرين ، ثم أسير إلى مصر فأقيم بها شهرين ، ثم أسير إلى البحرين فأقيم بها شهرين ، ثم أسير إلى الكوفة فأقيم بها شهرين ، ثم أسير إلى البصرة فأقيم بها شهرين؛ واللهِ لنعمَ الحَوْلُ هذا!)[١].

●● بل إن الفاروق قد استوعب بجميل سياسته الحيوانات العجماء ، وسجَّل في التاريخ أمثلة رائعة تبين هدي الإسلام مع كل مخلوق ، وتلك فلسفة باهرة سبق الإسلامُ بها القوانينَ المعاصرة منذ قرون.

عن المسيّب بن دارم قال: (رأيتُ عمر بن الخطاب يضرب جمَّالاً ، يقول: حمَّلتَ جملك ما لا يُطيق)[٢].

وروى الأحنف بن قيس قال: (وفدنا إلى عمر بفتح عظيم ، فقال: أين نزلتم؟ فقلت: في مكان كذا وكذا ، فقال: أرِني يدَك ، فقام معنا إلى مُنَاخ رِكابنا ، فجعل يتخلَّلُها ببصره ، ثم قال: أَلاَ اتقيتُم الله في ركابكم هذه؟! أمَا علمتم أن لها عليكم حقّاً؟ ألا تقصَّدتم بها في المسير؟ ألا حَلَلتُم عنها فأكلتْ من نبت الأرض؟!)[٣].

ومرَّ على رجل أَضجع شاة ليذبحها ، وجعل يحدُّ الشفرةَ ، فعَلاَه بالدرَّة وقال: هَلاَّ حَددتَها أولاً[٤]!.

وعن الأحنف بن قيس: (أنه قدِم على عمر بن الخطاب في وفد من

---

(١) تاريخ الطبري: ٤/ ٢٠١ ـ ٢٠٢؛ تاريخ المدينة ، لابن شبة: ٣/ ٨٢١؛ محض الصواب: ٢/ ٥٢١.

(٢) محض الصواب: ٢/ ٤٦٩؛ الحسبة في الماضي والحاضر: ١/ ١٣٩.

(٣) مختصر ابن عساكر: ١٨/ ٣٢٤؛ محض الصواب: ٢/ ٥٠٢.

(٤) الحسبة في الماضي والحاضر: ١/ ١٣٩.

العراق ، فقدِموا عليه في يوم صائف شديد الحرّ ، وهو مُعتجِرٌ بعباءة يَهْنَأُ بعيراً من إبل الصدقة)[1] .

وعن أسلم : (أن عمر اشتهى السمك الطري ، قال : فارتحل يَرْفأ ، فسار ليلتين إلى الجارِ مُدبِراً وليلتين مقبِلاً ، واشترى مِكْتلاً فجاءه به. قال : وعمد يرفأ إلى الراحلة فغسلها ، فأتى عمر وقال : انطلِق حتى أنظرَ إلى الراحلة ، فنظر ثم قال : نسيتَ أن تغسِلَ هذا العرق الذي تحت أذنها ، عذّبتَ بهيمةً من البهائم في شهوة عمر؟! لا والله لا يذوق عمر مِكتلك!)[2] .

سابعاً: رقابة الأمة على سياسة الخليفة:

رفع الفاروق في سماء الحرية حقَّ الأمة في رقابة الحاكم ومحاسبته ومحاكمته ومراجعته ومناقشته ومساءلته ومشاركته في سياسة الدولة.

وكما كان أمير المؤمنين صارماً في إقامة شرع الله وتطبيقِ أحكام الإسلام وحدوده ، وكما كان حازماً شديداً في حراسةِ الأخلاق وإطفاءِ المنكرات وتشديد الخِنَاق على أي أثارة من ظُلم أو بَغْي أو فسادٍ في الأرض. . . كان كِفاءَ ذلك صرامةً وصلابةً وحزماً في إطلاق حق الرعية في النصح والمشورة والرقابة والمحاسبة في شؤون الدين والدولة والأمة ، العامة والخاصة ، الكبيرة والصغيرة؛ فكان يُسعِده ويَشرح

---

(١) مناقب عمر ، لابن الجوزي ، ص٧٣؛ محض الصواب: ١/ ٣٦٦. **معتجر**: متعمِّم. **يهنأ بعيراً**: يطليه بالقطران.

(٢) مختصر ابن عساكر: ١٨/ ٣٣٠ ـ ٣٣١. **الجار**: ميناء قديم على البحر الأحمر.

صدره ويُريح نفسَه ويُزيل همَّه أن يسمع رجلاً يقول له: لو رأَيْنا فيك عوجاً لقوّمناك ، وآخر يقول: لو مِلْتَ هكذا لقُلنا لك بسيوفنا هكذا ، وثالث يقول وقد ظَنَّ منه جَوْراً: لا سمعَ ولا طاعة ، ورابع يقول له: اتقِ الله يا عمر ، وامرأة تقول له في اجتهاد رآه: ليس ذلك لك!.

إن عمر الشجاع الصلب الصريح الواضح يريد الأمة أن تكون على سَنَنه شجاعةَ قلبٍ وصلابةَ رأيٍ وصراحةَ نُصحٍ ووضوحَ موقفٍ ، لا جبن في قلوبها ولا ضعف ولا مخاتلة ولا غموضٌ ، كلها تسير على المحجة الواضحة بقلوب ثابتة وعيون مبصرة ورأي ناضج وعزيمة صلبة...

إنه يريد أمة من الآساد التي تحرس الدين والدولة ، لتكون كذلك في كل ميادين الحياة ، وتقود الأمم التي تفتح بلادها وتنشر فيها دينها بقوة وحزم وقلوب على قلب رجل واحد.

إن هذه الأمة لا تكون كذلك إلا عندما يرى أدنى رجل في المسلمين أن له من الحق في وطنه ودولته ونفسه وماله مثل ما لأكبر مسؤول ، لا حَيْفَ ولا شططَ ، ولا قهرَ ولا جبرَ.

إنها أمة رباها رسول الله ﷺ على العزة والكرامة والحرية والصدق والإخلاص والعدل والمرحمة ، وعلى خطاه مشى صِدِّيقه الأكبر وفاروقُ الإسلام الأول ، وما كان لابن الخطاب أن يَميط عن هذا الهدي قِيد أُنملة.

●● قال في خطبته عندما استَقبل الخِلافة: (فاتقوا الله عبادَ الله ، وأَعينوني على أنفسكم بكَفِّها عني ، وأعينوني على نفسي بالأمر

بالمعروف والنهي عن المنكر ، وإحضاري النصيحةَ فيما ولأَني الله من أمركم)[1] .

وعن الحسن البصري قال: (كان بين عمر بن الخطاب وبين رجلٍ كلامٌ في شيء ، فقال له الرجل: اتَّقِ الله يا أمير المؤمنين! فقال له رجل من القوم: أَتقولُ لأمير المؤمنين: اتقِ الله؟! فقال له عمر: دَعْه فَلْيَقُلْها لي ، نِعمَ ما قال. ثم قال عمر: لا خيرَ فيكم إنْ لم تقولوها ، ولا خيرَ فينا إن لم نَقبلها منكم!)[2] .

وروى ابن عُيينة وغيره ، عن عمر قال: (أَحَبُّ الناسِ إليَّ مَن أهدى إليَّ عيوبي)[3] .

●● قال حذيفة بن اليمان: (دخلتُ على عمر وهو قاعد على جذع في داره وهو يحدث نفسَه ، فدنوتُ منه فقلت: ما الذي أَهَمَّكَ يا أمير المؤمنين؟ فقال هكذا بيده وأشار بها ، قال: قلتُ: الذي يَهُمُّك والله لو رأَيْنَا منك أمراً نُنكِره لقوَّمناكَ! قال: آللهِ الذي لا إلٰه إلا هو لو رأيتم منِّي أمراً تُنكِرونه لقوَّمتُموه؟! فقُلتُ: آللهِ الذي لا إلٰه إلا هو لو رأينا منك أمراً ننكره لقوَّمناكَ ، قال: ففَرِحَ بذلك فرحاً شديداً ، وقال: الحمدُ لله الذي جعل فيكم أصحابَ محمد مَن الذي إذا رأى مني أمراً يُنكره قوَّمني)[4] .

---

(١) تقدمت مطولة: ص٢٨٤ ـ ٢٨٦ في هذا الكتاب.

(٢) تاريخ المدينة ، لابن شبة: ٢/ ٧٧٣؛ محض الصواب: ٢/ ٦٠١؛ تاريخ القضاء في الإسلام ، ص٩٨.

(٣) طبقات ابن سعد: ٣/ ٢٩٣؛ محض الصواب: ٢/ ٥٩٣.

(٤) مصنف ابن أبي شيبة: ٨/ ١٥٤.

وقام عمر يوماً على المنبر فقال: (يا معشرَ المسلمين! ماذا تقولون لو مِلْتُ برأسي إلى الدنيا كذا ـ وميَّلَ رأسَه ـ؟! فقام إليه رجل فقال: أَجَلْ، كنا نقول بالسيف كذا ـ وأشار إلى القطْع ـ! فقال: إيايَ تعني بقولك؟ قال: نعم إياك أعنِي بقولي. فقال عمر: رحمك الله، الحمدُ الله الذي جعل في رعيتي من إذا تعوَّجتُ قوَّمني!)[1].

وجاءت عمرَ بُرودٌ من اليمن، ففرَّقها على الناس بُرداً بُرداً، ثم صعد المنبر وعليه حُلَّة[2] منها، فقال: (اسمعوا رحمكم الله، فقام إليه سلمان الفارسي، فقال: والله لا نسمع، والله لا نسمع! فقال: ولِمَ يا أبا عبد الله؟ فقال: يا عمر! تفضَّلتَ علينا بالدنيا، فرَّقتَ علينا بُرداً بُرداً، وخرجتَ تخطب في حُلَّة منها! فقال: أين عبد الله بن عمر؟ فقال: ها أنذا يا أمير المؤمنين، قال: لمن أحدُ هذين البردين اللذين عليَّ؟ قال: لي. فقال لسلمان: عجلتَ عليَّ يا أبا عبد الله، إني كنت غسلت ثوبي الخَلَق، فاستعرت ثوب عبد الله! قال: أما الآن فقل نسمعْ ونُطِع)[3].

وعن قتادة قال: (خرج عمر من المسجد ومعه الجارود العَبْدي، فإذا امرأة بَرْزَةٌ على ظهر الطريق، فسلَّم عليها عمر بن الخطاب، فردَّتِ السلامَ وقالت: إيْهاً يا عمر! عهدتُك وأنت تسمى عُميراً في سوق عكاظ تذعر الصبيان بعصاك، فلم تذهب الأيام حتى سُمِّيتَ عمر، ولم تذهب

---

(١) الرياض النضرة: ٢/ ٥٠؛ أخبار عمر، ص٣٣٢.

(٢) أي: بردان، **والحُلَّة**: ثوبان من جنس واحد.

(٣) عيون الأخبار: ١/ ٥٥؛ الرياض النضرة: ٢/ ٥٦؛ محض الصواب: ٢/ ٥٧٩.

الأيام حتى سُمِّيت أمير المؤمنين؛ فاتقِ الله في الرعية ، واعلَمْ أنه من خاف الوعيد قَرُبَ عليه البعيد ، ومن خاف الموت خشي الفوت! فقال الجارود: أكثرتِ أيتها المرأة على أمير المؤمنين! فقال عمر: دَعْها ، أما تعرف هذه؟ هذه هي خولة بنت ثعلبة التي سمع الله قولَها من فوق سبع سموات ، فعمُر أَحَقُّ أن يسمع لها)[1].

●● عن مَسْروق قال: (ركب عمر بن الخطاب منبرَ رسول الله ﷺ ، ثم قال: أيها الناس! ما إكثارُكم في صُدُق النساء ، وقد كان رسول الله ﷺ وأصحابه وإنما الصَّدُقاتُ فيما بينهم أربعُ مئة درهم فما دون ذلك. ولو كان الإكثارُ في ذلك تقوًى عند الله أو كرامةً لم تسبِقوهم إليها. فلا أَعرفنَّ ما زاد رجل في صَدَاق امرأة على أربع مئة درهم ـ زاد في رواية: وإنه لا يَبْلُغني عن أحدٍ ساق أكثرَ من شيءٍ ساقه رسول الله ﷺ أو سِيقَ إليه ، إلا جعلتُ فضْلَ ذلك في بيت المال ـ ثم نزل. فاعتَرضَتْه امرأةٌ من قريش ، فقالت: يا أمير المؤمنين! نَهَيْتَ الناس أن يزيدوا النساءَ في صَدُقاتِهِنَّ على أربع مئة درهم؟ قال: نعم ، فقالت: أما سمعتَ ما أنزل الله في القرآن؟ قال: وأي ذلك؟ فقالت: أما سمعتَ الله يقول: ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا﴾ [النساء: ٢٠]؟ قال: فقال: اللهم غَفْراً ، كلُّ الناسِ أفقهُ من عمر! ثم رجع فركب المنبر ، فقال: إني كنتُ نهيتكم أن تزيدوا النساءَ في صَدُقاتهنَّ على أربع مئة درهم ، فمن شاء أن يُعطي من ماله

---

(١) تاريخ المدينة ، لابن شبة: ٢/ ٧٧٣ ـ ٧٧٤؛ الاستيعاب: ٤/ ٢٨٣ ـ ٢٨٤؛ الإصابة: ٤/ ٢٨٣ ، وقال ابن عبد البر: رويت القصة من وجوه. امرأة بَرْزَة: أي كَهْلة لا تحتجِب احتجابَ الشوابّ ، وهي مع ذلك عفيفة عاقلة تجلس للناس وتحدِّثهم ، من البُروز وهو الظهور والخروج.

ما أَحَبَّ وطابَتْ به نفسه فليفعل)[1].

ومن الروائع المدهشة في هذا الباب ما رواه الصحابي الجليل جرير بن عبد الله البجلي: (أن رجلاً كان مع أبي موسى الأشعري، وكان ذا صوتٍ ونِكايةٍ في العدو، فغنموا مغنماً، فأعطاه أبو موسى بعضَ سَهْمِه، فأبى أن يقبَلَه إلا جميعاً، فجَلَده أبو موسى عشرين سوطاً وحَلَقه!.

فجمع الرجل شعره ثم ترحَّل إلى عمر بن الخطاب حتى قدِمَ عليه. فدخل على عمر بن الخطاب، قال جرير: وأنا أقربُ الناس من عمر، فأدخل يدَه فاستخرج شعره ثم ضَرب به صدرَ عمر، ثم قال: أمَا والله لولا النار! فقال عمر: صدق والله، لولا النار! فقال: يا أمير المؤمنين! إني كنتُ ذا صوت ونِكاية، فأخبره بأمره، وقال: ضربني أبو موسى عشرين سوطاً، وحَلَق رأسي، وهو يرى أنه لا يُقتصّ منه! فقال عمر: لأَنْ يكون الناسُ كُلُّهم على صرامة هذا؛ أَحَبُّ إليَّ من جميع ما أفاءَ الله علينا! فكتب عمر إلى أبي موسى: السلام عليك، أما بعدُ: فإن فلاناً أخبرني بكذا وكذا، فإنْ كنتَ فعلتَ ذلك في ملأٍ من الناس، فعزمتُ عليك لَما قعدتَ له في ملأ من الناس حتى يَـقتصَّ منك، وإنْ كنتَ فعلتَ ذلك في خَلاءٍ من الناس، فاقعد له في خلاء من الناس حتى يقتص منك!

---

(١) أخرجه سعيد بن منصور والبيهقي وأبو يعلى وغيرهم، وقال ابن كثير في (تفسيره: ١/ ٥٧١): إسناده جيد قوي؛ وانظر: تفسير القرطبي: ٥/ ٩٥ ـ ٩٦؛ محض الصواب: ٢/ ٥٨٧ ـ ٥٨٨؛ حياة الصحابة: ٢/ ٦٧٦ ـ ٦٧٧. وأخرجه بدون قصة المرأة: أبو داود (٢١٠٦)؛ والترمذي (١١٤١)؛ وأحمد (٢٨٥) وغيرهم.

فقدِمَ الرجل ، فقال له الناس : اعفُ عنه ، فقال : لا والله لا أَدَعُه لأحدٍ من الناس. فلما قعد له أبو موسى ليقتصَّ منه ، رفع الرجل رأسه إلى السماء ثم قال : اللهمَّ إني قد عفوتُ عنه!)[1] .

فانظُرْ إلى قول أمير المؤمنين : (لأَنْ يكون الناس كلهم على صرامة هذا . . .) ، إنه يريد أمةً من الأُسود ، لا قطيعاً من الأغنام! .

ثم قِفْ أمام قول ذلك الرجل الجَلْد : (اللهمَّ إني قد عفوتُ عنه)! إن الرعية هي التي تصدِر العفوَ عن الأمراء لكثرة حقوقها عليهم لا كما يتشدَّق دعاةُ الديمقراطية وحقوق الإنسان أن ذلكم الأمير أو الحاكم قد أصدر عفواً عن بعض الناس! .

●● وسلَّط أمير المؤمنين الأمةَ كلها على الأمراءِ والولاة ، لمراقبتهم ورفعِ الشكاوى إلى الخليفة نفسه ، والوفود إلى الاجتماع العام في كل موسم حج .

كذلك أمر الولاة والقادة بمناصحته شِفاهاً وبإرسالِ الرسائل مع البريد . . . فجعل الأمة كلها بجميع فئاتها حارسة أمينة لمسيرة الحكم .

هذا مجلس الشورى يجتمع ويقف مناصحاً لأمير المؤمنين ومرشداً ومنبهاً ومحذِّراً ومخوِّفاً ، ويدخل عبد الرحمن بن عوف ـ أحد أكابر أهل الشورى ـ على عمر ، فيقول له : (يا أمير المؤمنين! لِنْ للناس ، فإنه

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة : ٨/ ٣٣ ـ ٣٤؛ محض الصواب : ٢/ ٤٦٦ ـ ٤٦٧ ؛ حياة الصحابة : ٢/ ٩٩ . وإسناده حسن .

يَـقْدَمِ القادِمُ فتمنعُه هيبتُك أن يُـكلِّمَك في حاجته حتى يرجعَ ولم يُـكلِّمْـكَ!)[1].

ولنختم هذا الفصل بتلك الرسالة الرائعة التي أرسلها إلى عمر اثنان من أجلاء الصحابة ، ومن الولاة القادة في الشام:

قال محمد بن سُوقة: أتيت نُعيم بن أبي هند ، فأَخرج إليَّ صحيفة فإذا فيها:

(من أبي عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل إلى عمر بن الخطاب ، سلامٌ عليك ، أما بعد: فإنّا عهِدناك وأمرُ نفسِك لك مهمٌّ ، فأصبحتَ قد وُلِّيتَ أمرَ هذه الأمة أحمرِها وأَسْوَدِها ، يجلس بين يديك الشريف والوضيع ، والعدو والصديق ، ولكلٍّ حصته من العدل ، فانظر كيف أنت عند ذلك يا عمر. فإنا نحذِّرك يوماً تَعْنَا فيه الوجوه ، وتجفُّ فيه القلوب ، وتنقطع فيه الحجج لحجَّةِ ملك قهرهم بجبروته؛ فالخلق داخِرون له ، يرجون رحمته ، ويخافون عقابه. وإنَّا كنا نُحدَّث أن أمرَ هذه الأمة سيرجع في آخر زمانها إلى أن يكونوا إخوانَ العلانية ، أعداءَ السريرة. وإنا نعوذ بالله أن ينزل كتابنا إليك سوى المنزل الذي نزل من قلوبنا ، فإنما كتبنا به نصيحةً لك ، والسلام عليك).

فردَّ أمير المؤمنين عليهما بكلام جليل قال في آخره:

(كتبتُما تعوِّذاني بالله أن أُنزل كتابَكما سوى المنزل الذي نَزل من قلوبكما ، وأنكما كتبتما به نصيحة لي ، وقد صَدقتُما ، فلا تَدَعا الكتابَ

---

(١) تقدم الخبر بتمامه: ص٢٢٣ في هذا الكتاب.

إليَّ ، فإنه لا غِنى بي عنكما ، والسلام عليكما)[1] .

* * *

(١) الحلية : ١/ ٢٣٧ ـ ٢٣٨ ، مصنف ابن أبي شيبة ؛ وقال الهيثمي في (المجمع : ٥/ ٢١٤): رواه الطبراني ورجاله ثقات إلى هذه الصحيفة. **تعنا** : تخضع وتذلّ . **داخِرون** : أذلاَّء .

الفصل الرابع

أركان الدولة وأسسها

وصف رسول الله ﷺ عمرَ ودولته وأعمالَه فيها بالعبقرية؛ فقال: «**ثم أَخذَها ابنُ الخطاب من يدِ أبي بكر فاستحالَتْ بيده غَرْباً ، فلم أرَ عبقريّاً من الناسِ يَفْري فَرِيَّـه ، فنَزَع حتى ضَرب الناس بعَطَنٍ**»[1] .

وهذه الكلمة الجامعة تلخص جوانب العظمة والجلالة في أسس دولة الخلافة في عهد عمر ، وتُضفي عليها مزايا الإبداع والسبق والتفوق في أهم القواعد والأركان التي تشاد بها دولة فذة كانت أنموذجاً في زمانها وسبقاً مبدعاً تضارع به الدول العصرية في أهم ركائزها ، وتزيد عليها في مميزات وخصائص تتفرد بها عن غيرها في كونها إسلامية المنبع والأساس والأهداف والوسائل والأعمال .

وشخصية عمر وملكاته وخصائصه ومزاياه ومذهبه قد ظهرت بصورة بارزة في تأسيس أركان الدولة وتشييد بنيانها ، فهو بحق الخليفة الذي أسس (الدولة الإسلامية) ووسَّع رقعتها وثبَّت دعائمها وأقام مؤسساتها ووضع أنظمتها .

وكان عمر في بناء الدولة كعالم الرياضيات والحساب لا يقبل إلا بلغةِ

---

(١) تقدم بتمامه : ص٢٠٧ ، ٢٨٠ في هذا الكتاب .

الأرقام ، حيث لا سبيلَ عنده إلى المغالطة أو التهاون أو الترخص أو التسويف والتأجيل والتجاوز والمجازفة . . . ولقد استطاع بعقله وصلابته وجميع شمائله أن يَحمل الناس مدة خلافته على الطريق الذي كانوا عليه في عهد النبوة ، وفي خلافة أبي بكر ، ولقد وقف كالجبل الراسخ في وجه الزمن وما يحمل من تقلبات الأيام وتحوُّل الأحوال[1] .

ويمكننا تلخيص أسس (الدولة العمرية) في سبع ركائز وأركان محورية :

أولاً: الشورى:

الشورى من قواعد الدولة الإسلامية التي رسخها القرآن العظيم وطبقها الرسول ﷺ في حياته ، وخليفته أبو بكر من بعده ، واقتفى عمر أثرهما؛ تنفيذاً لقوله تعالى : ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران : ١٥٩] ، ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى : ٣٨] .

وكانت الشورى في عهد عمر ـ كما هي من قبله ـ قاعدة أصيلة ومبدأ ثابتاً ، لا فلتة عارضة أو استعراضاً ودعاية ومظاهر جوفاء! .

●● كان (مجلس الشورى) يضمُّ نُخبة رجال الأمة من الأعيان والكهول والشبان .

قال عبد الله بن عباس : (كان القرَّاء أصحابَ مجلسِ عمر ومشاورته ، كهولاً كانوا أو شباناً)[2] . **والقراء** : هم العلماء بالقرآن والسنة والعُبَّاد .

---

(١) انظر : عمر بن الخطاب ، لعبد الكريم الخطيب ، ص٢٩٣ .

(٢) البخاري (٧٢٨٦) ، وهو طرف من حديث تقدم بتمامه : ص١٩٦ ـ ١٩٧ في هذا الكتاب .

لقد كان عمر (عبقري الشورى) الذي لا يُجارى ، وكان من بِدعه المُلهَمة في هذا الفن العسير أنه لم يلتمس الرأيَ عند أهل الحِنكة والخبرة وكفى ، بل كان يلتمسه كذلك عند أهل الحِدَّة والنشاط ممن يناقضون أولئك في الشعور والتفكير(١).

قال ابن عباس: كان عمر بن الخطاب إذا دعا الأشياخَ من أصحاب محمد ﷺ دعاني معهم.

وكان عمر يستشير ابن عباس في الأمر إذا أَهمَّه ، ويقول: غُصْ غوَّاص! قال سعد بن أبي وقاص: ولقد رأيتُ عمر بن الخطاب يدعوه للمعضلات ، ثم يقول: قد جاءتك معضلة(٢)!.

قال الإمام الزُّهري لغِلمان أحداثٍ: (لا تَحْقِروا أنفسَكُم لحداثةِ أسنانكم ، فإن عمر بن الخطاب كان إذا نزل به الأمرُ المعضل دعا الفتيانَ فاستشارهم ، يبتغي حِدَّة عقولهم)(٣).

وقال محمد بن سيرين: (إنْ كان عمر رضي الله عنه ليستشير في الأمر ، حتى إن كان ليستشير المرأة فربما أبصَرَ في قولها الشيء يَستحسنُه ، فيأخذ به)(٤).

ويروي مَيْمون بن مِهْران: أن عمر بن الخطاب إذا وردَ عليه

---

(١) عبقرية عمر ، ص١٠٢.

(٢) المعرفة والتاريخ: ١/٥١٩؛ طبقات ابن سعد: ٢/٣٦٥ ، ٣٦٩؛ حياة الصحابة: ٢/٤٨ ـ ٤٩.

(٣) السنن الكبرى ، للبيهقي: ١٠/١١٣؛ سير أعلام النبلاء: ٨/ ٣٧٢ ـ ٣٧٣.

(٤) السنن الكبرى ، للبيهقي: ١٠/١١٣؛ عصر الخلافة الراشدة ، ص ١٠١.

الخَصْم ، التمس ما يقضي به من القرآن والسنة ، (فإنْ أعيَاهُ أن يجِدَ في القرآن والسنة ، نَظر هل كان لأبي بكر فيه قضاء ، فإن وجد أبا بكر قضَى فيه بقضاء ، قضَى به ، وإلا دعا رؤوسَ المسلمين فإذا اجتمعوا على أمر قضى به)[1].

وقد توسع نطاق الشورى في خلافة الفاروق ، لكثرة المستجدات والأحداث وامتداد رقعة الإسلام إلى بلاد ذات حضارات وتقاليد ونظم متباينة ، فنشأت مشكلات جديدة احتاجت إلى الاجتهاد الواسع[2].

ـ ومذهب عمر في الشورى يضاهي الأنظمة الدستورية في كثير من الدول المتقدمة التي تمارس (الديمقراطية) في عصرنا ، فهو يستشير مجلس الشورى وأهل الرأي (البرلمان ـ أو مجلس الشيوخ) ، ويستشير الخواص وذوي العقول الحادة وهم بمثابة المستشارين ، ويوسع الدائرة فيستشير العامة حتى النساء ، وكثيراً ما كان يرجع عن رأي رآه إذا جاءه ما هو أحسنُ منه وأقوى دليلاً وأهدى سبيلاً .

ـ ومن أعيان مجلس الشورى: عثمان وعلي وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف والعباس وابنه عبد الله . ورؤوس الأنصار مثل: أُبيّ بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت ، وأضرابهم .

ـ ومجالات الشورى متعددة: وتشمل الأمور الإدارية والعسكرية وسياسة الرعية واختيار الولاة وشؤون المال ، وغير ذلك .

---

(١) تاريخ ابن عساكر ، ترجمة أبي بكر ، ص٤٤١؛ تاريخ الخلفاء ، ص٤٢؛ تاريخ القضاء ، ص١١٨ .

(٢) عصر الخلافة الراشدة ، ص١٠٠ .

ـ ومن **ملامح الشورى في عهده**: تقليبُ وجوه الرأي ، والاستماعُ إلى وجهات نظر فئات متعددة من المسلمين ، والتريُّث في البتّ بالقضية حتى يَستبين لـه الوجه الأفضل والأسلم في نتـائجه وتجنّب سلبيـاتـه ، وقد جاء عن الإمام عامر الشعبي أنه قال: (كانت القضية تُرفَعُ إلى عمر رضي الله عنه ، فربما يتأمل في ذلك شهراً ، ويستشير أصحابه)[1].

●● أمثلة وشواهد للشورى في الأمور الكبرى:

١ ـ دخول أرض الطاعون في الشام:

عن ابن عباس: (أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج إلى الشام ، حتى إذا كان بسَرْغ لقيه أمراءُ الأجناد ـ أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه ـ فأخبروه أن الوباءَ قد وقع بأرض الشام. قال ابن عباس: فقال عمر: ادْعُ لي المهاجرين الأولين. فدعاهم ، فاستشارهم وأخبرهم أن الوباء قد وقع في الشام ، فاختلَفوا: فقال بعضُهم: قد خرجنا لأمر ولا نَرى أن ترجع عنه ، وقال بعضهم: معك بقيّةُ الناس وأصحابُ رسول الله ﷺ ولا نَرى أن تُقْدِمَهم على هذا الوباء. فقال: ارتفِعُوا عنِّي. ثم قال: ادْعُوا لي الأنصار ، فدعوتُهم. فاستشارهم ، فسَلَكوا سبيلَ المهاجرين ، واختلَفُوا كاختلافهم ، فقال: ارتفِعُوا عني. ثم قال: ادْعُ لي مَنْ كان هاهنا من مَشيخة قريش من مُهَاجِرة الفتح ، فدعوتهم ، فلم يختلِفْ منهم عليه رجلان فقالوا: نَرى أن ترجِعَ بالناس ولا تُقدِمَهم على هذا الوباء. فنادى عمر في الناس: إنِّي مُصَبِّحٌ على ظَهْرٍ ، فأَصْبِحوا عليه. قال أبو عبيدة بن الجراح: أَفِراراً من قَدَر الله! فقال عمر: لو غيرُك قالَها

---

(١) تاريخ القضاء ، ص١٢٥.

يا أبا عبيدة! نعم نَفِرُّ من قَدَرِ الله إلى قدر الله؛ أرأيتَ لو كانت لك إبلٌ هَبَطَتْ وادياً له عُدْوَتان: إحداهما خَصْبةٌ والأخرى جَدْبةٌ، أليس إنْ رعيتَ الخصبةَ رعيتَها بقدرِ الله، وإنْ رعيتَ الجَدْبَة رعيتها بقدر الله؟!.

قال: فجاءَ عبد الرحمن بن عوف ـ وكان متغيِّباً في بعض حاجته ـ فقال: إِنَّ عندي في هذا عِلماً؛ سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: **«إذا سمعتُم به بأرضٍ فلا تَقْدَمُوا عليه، وإذا وَقَع بأرضٍ وأنتم بها فلا تخرجوا فِراراً منه»**. قال: فحمد اللهَ عمرُ، ثم انصرف)[1].

٢ ـ حد الخمر:

عن أنس بن مالك: (أنَّ النبي ﷺ جَلَد في الخمر بالجَريد والنِّعال، وجَلَدَ أبو بكر أربعينَ، فلما ولي عمر دعا الناسَ فقال لهم: إن الناس قد دَنَوا من القُرى والريف، فما ترون في حَدِّ الخَمر؟ فقال له عبد الرحمن بن عوف: نَرى أن تجعلَه كأخَفِّ الحدود، فجَلَد فيه ثمانين)[2].

٣ ـ ميراث الجد:

عن عَمْرو بن مَيْمون: (أنَّ عمر جَمعَ أصحابَ رسولِ الله ﷺ في شأن

---

(١) أخرجه البخاري (٥٧٢٩)؛ ومسلم (٢٢١٩). سرغ: هي (المدورة) اليوم، مركز الحدود بين الأردن والسعودية من طريق حالة عمار. **مصبح**: مسافر في الصباح. **عدوتان**: طرفان، والعدوة طرف الوادي المرتفع منه.

(٢) أخرجه البخاري (٦٧٧٣)؛ ومسلم (١٧٠٦)؛ وأبو داود (٤٤٧٩) واللفظ له؛ وانظر: السنن الكبرى، للنسائي (٥٢٥٠ ـ ٥٢٧٠)؛ والفتح: ١٥/ ٣٢٠ ـ ٣٢١ شرح الحديث (٦٧٧٩)؛ وسنن أبي داود (٤٤٨٩).

الجَدِّ ، فنَشَدهم: مَنْ سمعَ رسولَ الله ﷺ ذَكر في الجدِّ شيئاً؟ فقام مَعْقِل بن يَسار المُزني فقال: سمعتُ رسول الله ﷺ أُتي بفريضةٍ فيها جَدٌّ ، فأعطاه ثُلثاً أو سُدساً ، فقال له عمر: ما الفريضةُ؟ قال: لا أدري ، فرَكَله عمرُ بقدمِه ، ثم قال: لا دريتَ)[1].

ـ واستشار الناس في إملاص المرأة[2].

ـ واستشارهم في أخذ زكاة الخيل والرقيق[3].

ـ وجمعَ المهاجرين والأنصار لاستشارتهم في بيع أمهات الأولاد[4].

ـ ونَشَد الناسَ بمنًى في ميراث المرأة من دية زوجها[5].

والشواهد كثيرة على استشارته الصحابة وعلماء الناس في الأحكام والسنن.

●● ومن الأخبار في استشارته الناس في شؤون الدولة وسياسة الرعية:

ـ عن جُبير بن الحويرث: أن عمر استشار المسلمين في تدوين الديوان[6].

ـ وكان أول من وضع العشور في الإسلام ، وقد شاور في ذلك

---

(١) أخرجه النسائي في الكبرى (٦٢٩٩)؛ وابن ماجه (٢٧٢٢)؛ ومن طرق أخرى عند أبي داود (٢٨٩٨) وغيره. وحسنه شعيب الأرنؤوط.

(٢) تقدم: ص١٤٧ ـ ١٤٨ حاشية (١) في هذا الكتاب.

(٣) تقدم: ص٢٠٢ ـ ٢٠٣ حاشية (١) في هذا الكتاب.

(٤) تقدم: ص٣٤١ ـ ٣٤٢ حاشية (١) في هذا الكتاب.

(٥) تقدم: ص١٤٦ حاشية (٣) في هذا الكتاب.

(٦) طبقات ابن سعد: ٣/ ٢٩٥ ، وسيأتي مطولاً.

أصحاب النبي ﷺ ، فأجمعوا على ذلك.

- واستشار الصحابة في عدم توزيع الأرض المفتوحة على الفاتحين.

- وجمع وجوه الصحابة واستشارهم في وضع (التاريخ الهجري).

- وأراد أن يغزو العراق بنفسه على رأس الجيش ، فأشاروا عليه بأن يقيم هو في المدينة ، ويبعث قائداً خبيراً ، وأشاروا بسعد بن أبي وقاص ، فأخذ بذلك.

- وعندما حاصر المسلمون بيت المقدس وأجاب أهله إلى الصلح ، واشترطوا أن يَقدم عليهم أمير المؤمنين عمر ، فاستشار عمر الناس ، فتكلم عثمان وعلي وغيرهما ، ثم خرج عمر بالناس.

- وعند إرادة غزو المسلمين نهاوند ، عقد عمر مجلس الشورى لاختيار قائد يؤمِّره على الجيوش ، فقال أولو الرأي رأيهم ، وأمَّر عمر النعمان بن مقرِّن.

وكان رضي الله عنه يستشير في اختيار الولاة ، وتعيين قادة الفتوحات ، والتوسع فيها ، وتوزيع الأموال... وغير ذلك مما سيأتي تفصيله.

●● **ولم يقتصر أمير المؤمنين في الشورى على (عاصمة الدولة) وأعيان الأمة الذين يكوِّنون (مجلس الشورى) في المدينة** ، بل عمَّم مبدأ الشورى وأمر ببسطِ سلطانه في الأمصار ، وكتب إلى الولاة والقادة والقضاة يأمرهم بالتزامه.

لمّا بعث أبا عُبيدة الثقفي لمحاربة الفرس بالعراق ، قال له: (اسمَعْ

وأطِعْ أصحاب النبي ﷺ وأشرِكْهم في الأمر ، خاصة من كان منهم من أهل بدر)[١] .

وكتب إلى سعد بن أبي وقاص : (شاور فلاناً وفلاناً في أمر حربك ، ولا تولِّهما من الأمر شيئاً ، فإن كل صانع هو أعلم بصنعته)[٢] .

وكتب إلى أبي موسى الأشعري وهو بالبصرة : (بَلَغَني أنك تأْذَنُ للناس جمّاً غَفيراً ، فإذا جاءك كتابي هذا فأذَنْ لأَهلِ الشرف وأهل القرآن والتقوى والدين ، فإذا أخذوا مجالسهم فأذَنْ للعامة)[٣] .

وكتب إلى شريح : (واستشِرْ أهلَ العلم والصلاح)[٤] .

فكان للولاة والأمراء مجالس شورى من أعيان الناس وأشرافهم ، وكذلك كان قادة الفتوحات يستشيرون ذوي الرأي والبأس والمكيدة .

ثانياً: العدالـــة:

تظاهرت على وجوب هذا المبدأ الجليل آيات الكتاب العزيز ونصوص السنة الشريفة وفعل النبي ﷺ؛ فهو من أركان الحكم الإسلامي ، ومن أقدس الواجبات التي يتحتم إقامتها بين الناس عامة ، ولا يترك لمزاج حاكم أو هوى أمير .

وقد اشتهر عمر بالعدل حتى أصبح العدل واسم عمر متلازمين ،

---

(١) تاريخ الطبري : ٣/ ٤٤٥ ؛ مروج الذهب : ٢/ ٣١٥ .

(٢) مناقب عمر ، لابن الجوزي ، ص ١١٨ ؛ الولاية على البلدان ، ص٢٠٧ .

(٣) أخبار القضاة : ١/ ٢٨٦ ؛ محض الصواب : ٢/ ٥٥٠ .

(٤) تاريخ القضاء ، ص١١٩ .

وكانت العدالة في عهده مضرب الأمثال السائرة في الدنيا مسير الضياء ووجود الهواء.

وقد أشار حبر الأمة ابن عباس إلى ذلك فقال: (**أكثِروا ذِكْر عمرَ فإنكم إذا ذكرتُموه ذكرتم العدل، وإذا ذكرتم العدل ذكرتم الله تبارك وتعالى**)[1]! لأن (العدل) من الأسماء الحسنى.

وقال أبو عثمان النهدي: (لو كان عمر بن الخطاب ميزاناً ما كان فيه مَيْطُ شَعْرة)[2].

والذي يتأمل حياة عمر وسيرته وهَدْيه مع نفسه وآل بيته والولاة والقادة والأقوياء والضعفاء وعامة المسلمين وغير المسلمين ـ يرى أن العدل عنده هو طبيعةُ حياة، فكأنه لا يأكل ولا يشرب إلا ليعدل، وكأنه لا يصحو ولا ينام إلا ليعدل، وكأنه لا يتنفس الهواء إلا ليمنع الظلم بين الناس... وكأنما العدل دَيْنٌ عليه تطالبه به كل الرعية!.

والعدل يتطلب الشجاعةَ والشرفَ والسلطانَ، وثلاثتُها عند الفاروق في قبة السماء علوّاً، فليمضِ بالعدل إلى مراده حيث يُرضي الله ورسوله والمؤمنين، وليأخذ كل ذي حق حقه غير مُتعتَع!.

لقد كان يضع بين عينيه ذلكم الشعار الضخم الذي تتزلزل له القلوب، وهو ما رواه عبد الرحمن بن غَنْم، عن عمر قال: (**ويلٌ لديَّانِ الأرضِ من ديَّانِ السماء يوم يلقَونه، إلا مَن أمر بالعدل، وقضَى بالحق،**

---

(١) أسد الغابة: ٤/ ٦٥؛ مختصر ابن عساكر: ١٩/ ٢٢.

(٢) تقدم: ص٢٤٨ في هذا الكتاب.

ولم يقضِ بهواه ، ولا لقرابةٍ ولا لرغبةٍ ولا لرهبةٍ ، وجعل كتابَ الله مرآتَه بين عينيه)[١] .

١ ـ إقامته العدل على نفسه:

●● مع صلابة عمر وحزمه وبأسِه وهيبتِه التي تروِّع قلوبَ الرجال ، كان يُذهِب الخوفَ منه ثقةُ الرعية التامة بعدله وتقواه وورعه ووقوفه عند حدود الله! .

ـ عن حَبيب بن صُهْبان قال: (سمعتُ عمر يقول: ظهورُ المسلمين حمى الله لا تَحِلُّ لأحد ، إلا أن يُخرجها حَدٌّ. قال: ولقد رأيتُ بياضَ إبطِه قائماً يُقِيد من نفسه)[٢] .

ـ وعن الشعبي: (أن عمر بن الخطاب أَخذ من رجل فرساً على سَوْم[٣] ، فحمل عليه رجلاً ، فعَطب الفرس ، فخاصَمَه الرجل ، فقال عمر: اجعلْ بيني وبينك رجلاً ، فقال الرجل: إني أرضَى صاحباً بيني وبينك: شُرَيْحاً العراقيَّ. فأتَيَا شُريحاً ، فقال: يا أمير المؤمنين! أخذتَه صحيحاً سليماً على سَوْم ، فعليك أن تردَّه سليماً كما أخذتَه. قال: فأَعجبه ما قال: ثم بَعثَه قاضياً ، ثم قال: ما وجدتَ في كتاب الله فالزَمِ السنة ، فإنْ لم يكن في السنة ، فاجتهدْ رأيك)[٤] .

وفي رواية ابن سعد: أن عمر أُعجب بحكمِ شريح فقال: وهل القضاء

---

(١) تقدم: ص١٦٦ ـ ١٦٧ في هذا الكتاب.

(٢) أخرجه عبد الرزاق (١٨٠٣٦).

(٣) سوم السلعة: ذكر ثمنها وطلب ابتياعها.

(٤) أخبار القضاة: ٢/ ١٨٩؛ تاريخ القضاء ، ص١٤٤.

إلا هكذا. ثم كافأه على ذلك فقال: سِرْ إلى الكوفة. فبعثه قاضياً عليها، وإنه لأول يوم عرفه فيه[1]!.

ـ واختصم أمير المؤمنين عمر مع أُبيٍّ بن كعب في ملكية بستان نخل، فحكَّما الصحابي الجليل زيد بن ثابت.

روى مسروق قال: (قال أُبيّ بن كعب لعمرَ: يا أمير المؤمنين! أنصِفْني من نفسك، اجعل بيني وبينك حكَماً، فقال: بيني وبينك زيد بن ثابت، فانطَلَقا إلى زيد بن ثابت، فقال عمر: في بيته يُؤتى الحَكَم. فقال زيد: هاهنا يا أمير المؤمنين، قال: بدأتَ بالجَوْر، إني جئتُ مخاصِماً! قال: فهاهنا، فقعدا بين يديه. فقال لأبي بن كعب: شاهدين ذَوَي عَدْل، قال: ليست لي بيِّنة، قال: فَيَمينَك يا أمير المؤمنين، ثم أقبل على أُبيّ فقال: اعفِ أميرَ المؤمنين! فقال عمر: أهكذا تقضي بين الناس كلِّهم؟! قال: لا، قال: فاقضِ بيننا كما تقضي بين الناس! قال: احلِفْ يا أمير المؤمنين، فقال عمر: لأَتحرَّج من أكلِ شيء أتحرَّجُ أن أحلِفَ عليه، ثم قال: والله الذي لا إلٰه إلا هو، ما لأبيٍّ في أرضي هذه حق).

وفي رواية: (والذي لا إلٰه إلا هو إن النخل لَنخلي، وما لأبيٍّ فيه حق. فلما خرجا وَهَب النخلَ لأبيّ، فقيل له: يا أمير المؤمنين، هَلَّا كان هذا قبل اليمين؟! فقال: خِفتُ أن لا أحلفَ، فلا يحلف الناس على حقوقهم بعدي، فتكون سنة)[2].

---

(١) طبقات ابن سعد: ٦/ ١٣٢.

(٢) أخبار القضاة: ١/ ١٠٩ ـ ١١٠؛ تاريخ المدينة، لابن شبة: ٢/ ٧٥٥؛ =

وقد مرت أمثلة أخرى في : (مبحث : تأديبه الرعية)[1] .

٢ ـ إقامته العدل على أسرته:

●● وكان في إقامة العدل على أسرته مثلما هو في تطبيقه على نفسه.

وقد أسلفنا الحديث عن تشديده على أهل بيته وعشيرته ، وحملِهم معه على مركب خشن ، ومحاسبتهم حساباً قاسياً إذا سوَّلَتْ لأحدٍ منهم نفسُه بالحَيْدة عن جادة الحق. وارتقى بذلك إلى سماء العدالة فأرسل إلى ولاة الأمصار بعدم ملاينة آل عمر في أي شيء! .

عن سالم ، عن ابن عمر قال : (شَرِب أخي عبد الرحمن بن عمر[2] وشرب معه أبو سِرْوَعة عُقْبة بن الحارث ، وهما بمصر في خلافة عمر ، فسَكِرا. فلما أصبحا انطلَقا إلى عَمْرو بن العاص وهو أمير مصر ، فقالا : طهِّرْنا ، فإنا قد سَكِرنا من شراب شربناه. فقال عبد الله : فذكر لي أخي أنه سَكِر ، فقلتُ : ادخل الدار أُطهِّرْك ، ولم أشعر أنهما أتيا عَمْراً ، فأخبرني أخي أنه قد أخبر الأميرَ بذلك. فقال عبد الله : لا يُحلَق القوم على رؤوس الناس ، ادخل الدار أَحلِقْكَ ـ وكانوا إذْ ذاك يَحلِقون مع الحدود ـ فدخل الدار ، قال عبد الله : فحلَقْتُ أخي بيدي ، ثم جَلَدهم عَمْرو. فسمع بذلك عمر ، فكتَبَ إلى عَمْرو أن ابعثْ إليَّ بعبد الرحمن على قَتَبٍ[3] ، ففعل ذلك. فلما قدِم على عمر جَلَده وعاقبه لمكانِه منه ،

= موسوعة فقه عمر ،ص ٧٣٢؛ عصر الخلافة الراشدة ، ص١٦١ ـ ١٦٢ .

(١) انظر : ص٣١٩ ـ ٣٢٣ في هذا الكتاب .

(٢) هو عبد الرحمن الأوسط ، ويكنى أبا شحمة .

(٣) هو الرحل الصغير على قدر سنام البعير .

ثم أرسَلَه. فلبث شهراً صحيحاً، ثم أصابه قَدَرُه فمات، فيحسِب عامة الناس أنما مات من جلْدِ عمر، ولم يمت من جلد عمر)[1].

وعبد الرحمن بن عمر لم يشرب الخمر بل شرب النَّبيذ متأوِّلاً فسكِر منه، فأُقيم عليه الحد مثل عامة الناس. ولما علِم أبوه الفاروق بفَعْلته استقدمه من مصر إلى المدينة، وضربه ضربَ تأديب وتعزير لا ضربَ حدٍّ، لأن الحد لا يُعاد كما قال البيهقي، ومن أدلة ذلك أنه لم يُوقِع مثلَ تلك العقوبة بأبي سِرْوَعة، وكذلك منطوق حديث عبد الله بن عمر: (جلده وعاقبه لمكانه منه!). وهذا من حق الوالد على ولده في تربيته، وإقامته على النهج الذي ارتقى إليه هذا الخليفة العظيم، وليكون عبرةً لعامة الرعية وأسوةً لكل أمير ومسؤول في عدم المداهنة في العدل وإقامة الحدود على الأمراء ومن في معناهم!.

وفي رواية مطوَّلة لهذا الخبر عن أسلم، عن عَمْرو بن العاص قال: (كتَبَ إليَّ عمر: إياكَ أن يَـقْدَم عليك أحدٌ من أهل بيتي، فتَحبُوه بأمرٍ لا تصنعُه لغيره، فأفعلُ بك ما أنتَ أهلُه!)[2].

٣ ـ من أمثلة العدل في عهده:

أ ـ عن عبد الله بن عباس قال: (كان للعباس دارٌ إلى جنب المسجد

---

(١) أخرجه عبد الرزاق (١٧٠٤٧) وهذا لفظه، وإسناده صحيح؛ وابن شبة في تاريخ المدينة: ٣/ ٨٤١؛ والبيهقي في السنن: ٨/ ٣١٢ ـ ٣١٣، وغيرهم؛ انظر: محض الصواب: ٣/ ٨٩٤ ـ ٨٩٨. وقد جاءت في هذا الخبر روايات أخرى فيها زيادات من صناعة القصاص؛ انظر: الموضوعات، لابن الجوزي: ٣/ ٢٦٩ ـ ٢٧٥.

(٢) مختصر ابن عساكر: ١٨/ ٣٤٣؛ محض الصواب: ٣/ ٨٩٤.

في المدينة ، فقال له عمر بن الخطاب: بِعْنِيها أو هَبْها لي حتى أُدخِلها في المسجد ، فأبى . فقال: اجعل بيني وبينك رجلاً من أصحاب النبي ﷺ ، فجعلا بينهما أُبيَّ بن كعب ، فقضى للعباس على عمر. فقال عمر: ما أحدٌ من أصحاب النبي ﷺ أجرأَ عليَّ منك ، فقال أُبيّ: أو أنصحَ لك مني! ثم قال: يا أمير المؤمنين ، أمَا بَلَغَك حديثُ داود: أن الله عز وجل أمره ببناء بيتِ المقدس ، فأَدخَلَ فيه بيتَ امرأة بغير إذنها ، فلما بلَغ حُجَرَ الرجال مَنَعه الله عز وجل بناءَه! فقال داود: أيْ ربِّ ، إنْ منعتني بناءه فاجعله في خَلَفي. فقال العباس: أليس قد قضيتَ لي بها وصارت لي؟ قال: بلى ، قال: فإني أُشهِدُكَ أني قد جعلتُها لله عز وجل)[1].

ب ـ وعن سعيد بن المسيِّب: (أن عمر بن الخطاب اختصم إليه مسلمٌ ويهوديّ ، فرأى عمر أن الحق لليهودي فقَضَى له ، فقال له اليهودي: والله لقد قضيتَ بالحق ، فضربه عمر بن الخطاب بالدرّة ، ثم قال: وما يُدريك؟ فقال له اليهودي: إنا نجد[2] أنه ليس قاضٍ يقضي بالحق ، إلا كان عن يمينه مَلَكٌ وعن شماله مَلَك يُسدِّدانه ويوفِّقانه للحقِّ ، ما دام مع الحق ، فإذا تَرَكَ الحق عَرَجا وتركاه!)[3].

ج ـ وعن ابن عباس قال: (جاءت جارية إلى عمر بن الخطاب فقالت: إن سيدي اتَّهمني فأقعدني على النار حتى احترق فرجي! فقال لها عمر: هل رأى ذلك عليك؟ قالت: لا ، قال: فهل اعترفتِ له بشيء؟

---

(١) أخرجه الفسوي: ١/ ٥١٢؛ وابن سعد: ٤/ ٢٢. وجاءت القصة مطولة من وجوه أخرى ، انظر: ابن سعد: ٤/ ٢١ ـ ٢٢؛ حياة الصحابة: ٢/ ٩٤ ـ ٩٥.

(٢) أي: في التوراة.

(٣) موطأ مالك: ٢/ ٧١٩؛ الترغيب والترهيب: ٣/ ١٧٢.

قالت: لا ، فقال عمر: عليَّ به! فلما رأى عمر الرجلَ قال: أتعذِّبُ بعذاب الله؟! قال: يا أمير المؤمنين ، اتهمتُها في نفسها ، قال: رأيتَ ذلك عليها؟ قال: لا ، قال: فاعترفتْ لك به؟ قال: لا ، قال: والذي نفسي بيده ، لو لم أسمع رسول الله ﷺ يقول: «**لا يُقاد مملوكٌ من مالكه ، ولا ولدٌ من والده**» لأقدتُها منك. فبرَّزَه ، وضربه مئة سوط ، وقال للجارية: اذهبي فأنتِ حرة لوجه الله ، وأنت مولاة الله ورسوله؛ أشهدُ لسمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**مَن حُرق بالنار أو مُثِّلَ به؛ فهو حرٌّ ، وهو مولى الله ورسوله**»)(١).

٤ ـ نشره العدل في الأمصار:

●● وسَّعَ أمير المؤمنين دائرة العدل إلى أقصاها ليستغرق كافة الرعية في جميع أمصار دولة الخلافة ، وكتب بذلك إلى الولاة والقادة والقضاة والوجهاء ، وأعلن في العامة أن من ظُلم ولم يستطع أن يأخذ حقه؛ فليوافِ موسم الحج ليستوفيه على رؤوس الأشهاد.

عن أبي فراس النَّهدي قال: (**خطب عمر فقال: ألا إني والله ما أُرسِل عمالي إليكم ليضربوا أَبشَارَكم ، ولا ليأخذوا أموالكم ، ولكن أُرسِلُهم إليكم ليعلِّموكم دينَكم وسنتكم ، فمن فُعِل به شيء سوى ذلك فليرفَعْه إليَّ ، فوالذي نفسي بيده إذنْ لأُقِصَّنَّه منه!** فوثب عمرو بن العاص فقال: يا أمير المؤمنين ، أوَ رأيتَ إنْ كان رجل من المسلمين على رعية فأدَّبَ بعض رعيته ، أئِنَّكَ لَمُقتَصُّه منه؟! قال: إي والذي نفس عمر بيده ، إذن

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط والبيهقي وابن عساكر؛ انظر: مجمع الزوائد: ٦/ ٢٨٨ ؛ حياة الصحابة: ٢/ ١٠٠ ـ ١٠١.

لأُقِصَّنَّه منه ، وقد رأيتُ رسولَ الله ﷺ يُقِصُّ من نفسه! **ألا لا تضربوا المسلمين فتُذِلُّوهم ، ولا تُجمِّروهم فتفتِنوهم ، ولا تمنعوهم حقوقهم فتكفِّروهم ، ولا تُنزِلوهم الغِيَاض فتضيِّعوهم**).

وفي رواية: (فمن ظلمه عامله بِمَظْلِمة فلا إِذنَ له عليَّ ، ليرفعْها إليَّ حتى أُقصَّه منه).

وفي رواية أخرى: (وكان يقتصُّ من عماله ، وإذا شُكي إليه عامل له، جمع بينه وبين من شكاه، فإن صَحَّ عليه أمرٌ يجب أخذُه به، أخذَه به)[1].

أ ـ عن أنس بن مالك قال: (كنا عند عمر بن الخطاب إذ جاءه رجل من أهل مصر ، فقال: يا أمير المؤمنين ، هذا مقام العائذ بك! قال: عُذْتَ مَعَاذاً! ما لكَ؟ قال: سابقتُ محمدَ بن عَمْرو بن العاص ، فسبقتُه ، فجعل يَضربني بالسوط ويقول: أنا ابن الأكرمين! فكتب عمر إلى عمرو يأمره بالقُدوم ، ويَـقْدَم بابنِه معه. فقدم ، فقال عمر: أينَ المصري؟ قال: ها أنذا ، قال: دونكَ الدِّرَّة فاضرِبْ ابنَ الأكرمين! قال: فضربه حتىٰ أَثْخَنَه. ثم قال: أَجِلْها على صلْعة عَمْرو ، فوالله ما ضربك إلا بفَضْل سُلطانه ، فقال: يا أمير المؤمنين ، قد ضربتُ من ضربني ، قال: أما والله لو ضربتَه ما حُلْنا بينَك وبينه ، حتى تكون أنت الذي تَدَعُه. وقال عمر لعمرو: يا عَمْرو ، **متى استعبدتُم الناسَ وقد ولدتْهم أمهاتُهم أحراراً؟!** قال: يا أمير المؤمنين ، لم أعلَمْ ولم يأتِني! ثم التفتَ عمر إلى

---

(١) أخرجه أحمد (٢٨٦)؛ وابن سعد: ٣/ ٢٨١؛ والطبري في تاريخه: ٤/ ٢٠٣ ـ ٢٠٤؛ وابن أبي شيبة: ٧/ ٦٢٦؛ وأخرجه أبو داود (٤٥٣٧) مختصراً ، وحسنه أحمد شاكر وشعيب الأرنؤوط. وإسناد ابن سعد صحيح.
التجمير: إبقاء الجنود في الجبهة مدة طويلة.

المصري فقال: انصرِف راشداً، فإنْ رابَك ريبٌ فاكتب إليَّ)[1].

ب ـ وقال عبد الله بن عمر: (كنا مع عمر في مسير، فأبصر رجلاً يُسرع في سيره، فقال: إن هذا الرجل يريدنا، فأناخ ثم ذهب لحاجته، فجاء الرجل فبكى! وبكى عمر وقال: ما شأنك؟ فقال: يا أمير المؤمنين، إني شربتُ الخمر، فضربني أبو موسى وسوَّدَ وجهي وطاف بي ونَهى الناس أن يجالسوني، فهممتُ أن آخذَ سيفي فأضربَ به أبا موسى، أو آتيك فتحوِّلني إلى بلد لا أُعرف فيه، أو أَلحق بأرض الشرك! فبكى عمر وقال: ما يَسرُّني أنك لحقتَ بأرض الشرك وأن لي كذا وكذا! وقال: إن كنتَ ممن يشرب الخمر، فلقد شرب الناسُ الخمر في الجاهلية. ثم كتب إلى أبي موسى: إن فلاناً أتاني فذكر كذا وكذا، فإذا أتاك كتابي هذا فَمُرِ الناسَ أن يجالسوه وأن يخالِطوه، وإنْ تاب فاقْبَلْ شهادته، وكساه، وأَمر لَه بمئتي درهم)[2].

ج ـ ومن ذلك قصة ذلك الرجل المجاهد الذي كان يُنكي العدوَّ بشجاعته، وعند توزيع الغنيمة لم يوفِّه أبو موسى حقَّه، وضربه وحَلَق شعره، فشكاه إلى أمير المؤمنين، فأنصفه[3].

د ـ وعن عطاء قال: (كان عمر بن الخطاب يأمر عمالَه أن يوافوه

---

(١) أخرجه ابن عبد الحكم؛ وابن الجوزي، وقد جمعت بين الروايتين؛ انظر: مناقب عمر، ص٩٨ ـ ٩٩؛ محض الصواب: ٢/ ٤٧٢ ـ ٤٧٣؛ حياة الصحابة: ٢/ ٩٧ ـ ٩٨. **عذتَ معاذاً**: لجأتَ إلى ملجأ يحميك.

(٢) السنن الكبرى، للبيهقي: ١٠/ ٢١٤؛ محض الصواب: ٢/ ٥٥٢؛ وإسناده حسن.

(٣) تقدم الخبر: ص٣٥٣ ـ ٣٥٤ في هذا الكتاب.

بالموسم ، فإذا اجتمعوا قال: أيها الناس ، إني لم أبعث عمالي عليكم لِيُصِيبوا من أبشاركم ولا من أموالكم ، إنما بعثتُهم ليحجزوا بينكم ، وليقسموا فَيْئَكم بينكم ، فمن فُعل به غير ذلك فلْيَقُمْ. فما قام أحد ، إلا رجل واحد قام فقال: يا أمير المؤمنين ، إن عاملك فلاناً ضربني مئة سوط! قال: فيمَ ضربتَهُ؟ قم فاقتصَّ منه. فقام عمرو بن العاص فقال: يا أمير المؤمنين ، إنك إنْ فعلتَ هذا يَكْثر عليك ، ويكون سنةً يأخذ بها من بعدك! فقال: أنا لا أُقِيد وقد رأيتُ رسول الله ﷺ يُقِيد من نفسه؟! قال: فدَعْنا فلْنُرْضِه ، قال: دونَكم فأرْضُوه. فافتدى منه بمئتي دينار ، كل سوط بدينارين)[1].

هـ ـ وضَرب للناس المثل الأعلى في قسمة الأموال وتوزيع العطاء ، وأخذِ الجزية والخراج ، ومن ذلك: ما رواه أبو يوسف في «الخراج»:

(أن عمر كان يُجبى إليه كل سنة من العراق مئة ألف ألف أوقية ، ثم يَخرج إليه عشرة من أهل الكوفة ، وعشرة من أهل البصرة ، يَشهدون أربع شهادات بالله على أنه طيب ، ما فيه ظُلمُ مسلمٍ أو مُعَاهَد!)[2].

روى أنس بن مالك: (أن الهُرْمُزانَ رأى عمر بن الخطاب مُضطجِعاً في مسجد رسول الله ﷺ ، فقال: هذا واللهِ المُلك الهَنيء)[3].

---

(١) طبقات ابن سعد: ٣/ ٢٩٣ ـ ٢٩٤.
(٢) الخراج ، ص ١٢٤؛ الولاية على البلدان ، ص٢١١.
(٣) طبقات ابن سعد: ٣/ ٢٩٣.

ثالثاً: المساواة:

المساواة صِنْو العدالة في الإسلام ومن مبادئه الكبرى التي ترسخت معالمها في الكتاب الكريم والسنة النبوية ، وآتت أُكلَها في صدر الإسلام ، وكانت في (العهد العمري) امتداداً طبيعيّاً واستمراراً ناصعاً لعصر الرسالة.

وأول ما طبَّق عمر (هذا الركن) على نفسه وأسرته وعشيرته ، ثم على الولاة والزعماء ، ومن ثم على عامة الرعية.

- ومن ذلك ما كتبه إلى عَمْرو بن العاص واليه الكبير على مصر ، فقال: (إياكَ أن يَـقْدَم عليك أحدٌ من أهل بيتي فتحبُوه بأمرٍ لا تصنعُه لغيره ، فأفعلُ بك ما أنت أهلُه!)[1].

- ومما قاله في خُطبه الأولى عندما استقبل الخلافة: (وإني لا آبَى إنْ كان بيني وبين أحدٍ منكم شيءٌ من أحكامكم ، أن أمشي معه إلى مَن أحببتُم منكم فلينظرْ فيما بيني وبينه أحدٌ منكم)[2].

- وعندما اعترض عليه سلمان الفارسي في أنه أخذ لنفسه ثوبين ، ووزع على المسلمين ثوباً ثوباً ، أخبره بأن ما يلبسه هو نصيبه ونصيب ابنه عبد الله بن عمر[3].

- ولمَّا ذَهَب مع أُبيّ بن كعب إلى زيد بن ثابت ليقضي بينهما في

---

(١) مناقب عمر ، لابن الجوزي ، ص ٢٤٠؛ محض الصواب: ٣/ ٨٩٤.

(٢) حياة الصحابة: ٢/ ٣٩.

(٣) تقدم: ص٣٥١ حاشية (٣) في هذا الكتاب.

خصومة ، وناداه زيد: هاهنا يا أمير المؤمنين ، لم يرضَ من زيد أن يميِّزه بشيء ، وقال له: بدأتَ بالجَوْر ، إني جئتُ مخاصِماً! فقعدا بين يدي زيد[1]!.

ـ ومن يتأمل ما قدمناه في هديه مع نفسه وآل بيته في المأكل والملبس والنفقة والمركب ـ يتحقق المدى الفذ الذي بلغه أمير المؤمنين في المساواة مع أفراد الرعية.

ـ ولو نظرتَ إلى عمر في (عام الرَّمَادة) لرأيتَه كيف حلَّق بنفسه وأهلِه في سماء المساواة ، بل قدَّم الرعية على نفسه. ومن ذلك أنه ذَبح جَزوراً ذات يوم ليُطعم المُقْفِرين ، فَقُدِّم إليه جزء من سَنَامها ، فقال: (بخٍ بخٍ! بئسَ الوالي أنا إن أكلتُ طيِّبَها ، وأطعمتُ الناسَ كَراديسَها ، ارفَعْ هذه الجَفْنة ، هاتِ لنا غير هذا الطعام. فأُتي بخبزٍ وزيت!)[2].

ـ ولمَّا سألَ رُسْتُم رِبْعيَّ بن عامر ـ وقد خَلَب لُبَّه بموقفه ومنطقه ـ فقال له: أسيِّدُهم أنت؟ فقال: رِبْعي: لا ، ولكن المسلمين كالجسد الواحد بعضهم من بعض ، يُجير أدناهم على أعلاهم[3].

ـ وقدِمَ عمر حاجّاً ، فقدَّم له صفوان بن أمية طعاماً ، فأَخذ القوم يأكلون وقام الخَدَم ، فقال عمر: ما لي أَرى خدّامكم لا يأكلون معكم ، أترغبون عنهم؟ فقالوا: لا والله يا أمير المؤمنين ، ولكنّا نستأثِر عليهم. فغضب غضباً شديداً ، ثم قال: ما لقومٍ يستأثرون على خدامهم ، فَعَل الله

---

(١) تقدم: ص٣٦٨ حاشية (٢) في هذا الكتاب.

(٢) طبقات ابن سعد: ٣/ ٣١٢.

(٣) تاريخ الطبري: ٣/ ٥٢٠.

بهم وفعل! ثم قال للخدم: اجلسوا فكُلوا. فقعد الخدم يأكلون، ولم يأكل أمير المؤمنين![1].

- وعندما أرسل له عُتبة بن فَرْقد من أَذْرَبيجان بسَفَطين من (الخَبِيص)، ردَّهما، وكتب إليه: (أما بعدُ، فإنه ليس من كَدِّكَ ولا من كدِّ أبيك ولا من كدِّ أمك، فأشبعِ المسلمين مما تشبع منه في رَحْلِك)[2].

- وعن الحسن البصري: (أن قوماً قدِموا على عامل لعمر بن الخطاب، فأعطى العرب وترك الموالي، فكتب إليه عمر: أما بعدُ، فبحَسْبِ المرءِ من الشرِّ أن يَحْقِر أخاه المسلم، ألا سوَّيْتَ بينهم!)[3].

رابعاً: الربانيـــة:

وهذه الركيزة الأصيلة من أسس وأركان الدولة في عهد الفاروق تعني نشرَ مبادئ الإسلام وأركانه وشعائره، وحفظها وحراستها، وترسيخها في الأعمال والأقوال والواقع، والالتزامَ بأخلاقه وأوامره وهَدْيِه في كل شيء، وإضفاءَ مظاهر الرأفة والرحمة والإنسانية على جميع الناس، وإعلاءَ كرامتهم، وحراسة حقوقهم، والوفاءَ لهم بكل ما يحفظ مروءتهم ويؤمِّن رَوْعاتِهم ويَنفي عنهم غوائلَ الخوف والظلم والتعدي، ويُسبغ عليهم الطمأنينة على أرواحهم ودمائهم وعيالهم وأموالهم.

وقد أعلن الفاروق هذا المبدأ الضخم الخطير في أول خطبة له حيث

---

(١) محض الصواب: ٢/٤٦٨ ـ ٤٦٩؛ وتقدم نحوه: ص١٨٧ في هذا الكتاب.
(٢) انظر الخبر بتمامه: ص٢٩٩ في هذا الكتاب.
(٣) الأموال، لأبي عبيد (٥٧٤، ٥٧٥).

قال : (وإني بعد شدتي تلك أضَعُ خدِّي على الأرض لأهل العفاف وأهل الكفاف) .

وميزة الربانية والرحمة كانت بارزة كبيرة إلى جانب صفة العدل ، وموازية وموازنة ومكافئة لها ، وكل منهما كانت من البروز والوَثاقة وعمقِ القرار بمثابة العنوان الذي يدل على صاحبه ، أو بمثابة العنصر الأصيل الذي يلازمه ويلابسه ولا يفارقه في جملة أعماله[1] .

●● لقد كان من البارز الواضح في مدة خلافة عمر كلها ، وفي طول البلاد وعرضها وعمقها؛ الاهتمامُ التام بنشر الدين الإسلامي ، وحفظ أصوله وعقائده وشعائره ، والرعاية التامة لإقامة الصلوات وتخطيط المساجد وتعيين الأئمة وتخريج حفظة القرآن ، وتسيير الدعاة والمعلمين وفرض الرواتب لهم ، وتيسير أمور الحج ، والسهر على إقامة الحدود الشرعية ، والحرص على دخول الناس في دين الله طائعين مختارين محبين لِما يرونه من فضائل الإسلام وكريم أفعال حَمَلته والدعاة إليه .

وظهرت الربانية كذلك في الولاة والفاتحين والدعاة والقضاة وعامة المسلمين؛ في أخلاقهم ومعاملتهم واستقامتهم وزهدهم وعدلهم وقوَّتهم في تنفيذ والتزام ما يدعون إليه ويحملونه من هُدى وخير .

والذي يتأمل ما سيأتي من وصايا عمر وكتبه وأوامره ، وسِيَر الولاة في بلدانهم والقادة الفاتحين في فتوحاتهم والقضاة في أحكامهم ـ يعلم المستوى الرفيع الذي بلَغوه في الربانية والرحمة والاستقامة .

●● عن عبد الرحمن بن عوف قال : (حرستُ مع عمر ذاتَ ليلة ،

---

(١) انظر : عبقرية عمر ، ص٤٧ .

فشَبَّ لنا سِراج ، فأتيناه فإذا باب مُجَاف وأصوات ولَغَط ، قال: فقال لي: هذا بيتُ ربيعة بن أمية بن خَلَف ، وهم الآن شَرْبٌ ، فما ترى؟ قال: أرى أنْ قد أَتينا الذي نُهينا عنه: التجسس ، قال: فانصرف ، وانصرفت معه!)[1].

وعن الشعبي قال: (أتى عمر بن الخطاب رجلٌ فقال: إن ابنةً لي كنتُ وأدتها في الجاهلية فاستخرجناها قبل أن تموت ، فأدركَتْ معنا الإسلامَ فأسلمتْ. ثم أصابها حدٌّ من حدود الله ، فأخذتِ الشفرة لتذبحَ نفسها ، وأدركناها وقد قَطعت بعضَ أوداجها ، فداويتُها حتى برأَتْ ، ثم تابت بعدُ توبة حسنة ، وهي تُخطب إلى قوم ، أفأخبرهم بالذي كان؟ فقال عمر: أتعمِدُ إلى ما سَتَره الله فتبديه؟! والله لئن أخبرتَ بشأنها أحداً لأجعلنَّكَ نكالاً لأهل الأمصار! أنكِحْها نكاحَ العفيفة المسلمة)[2].

وبعث عمر أميراً على رأس جيش ، فنزل بمن معه منزلاً ، فقال: عزمتُ عليكم لَما أخبرتموني بكل ذَنْب أذنبتُموه ، فجعلوا يعترفون بذنوبهم ، فبَلَغ ذلك عمرَ فقال: ما لَه لا أُمَّ له! يَعْمِد إلى ستر ستره الله فيهتكه؟! والله لا يعملُ لي أبداً[3].

●● عن الحسن البصري: (أن شابين كانا متآخيين على عهد عمر بن الخطاب ، فأغزى أحدَهما فأوصى أخاه بأهله. فانطلَق في ليلة ذات ريح

---

(١) المعرفة والتاريخ: ١/٣٦٨؛ وإسناده صحيح. شَبَّ: أضاء. شَرْب: القوم يشربون ويجتمعون على الشراب.

(٢) الزهد ، لهنّاد: ٢/٦٤٧؛ مصنف عبد الرزاق (١٠٦٩٠)؛ وإسناده صحيح إلى الشعبي؛ وانظر: محض الصواب: ٢/٧٠٩؛ حياة الصحابة: ٢/٤٢٢.

(٣) تاريخ المدينة ، لابن شبة: ٣/٨١٨.

وظلمة إلى أهل أخيه يتعهدهم ، فإذا سِراج في البيت يَزْهَر ، وإذا يهودي في البيت مع أهله! فرجع الشاب إلى أهله ، فاشتمل على السيف ، حتى دخل على أهل أخيه فقتله ، ثم جرَّده وألقاه في الطريق. فأصبح اليهود وصاحبُهم قتيل لا يَدرون من قتله ، فأتوا عمر بن الخطاب فدخلوا عليه وذكروا ذلك له ، فنادى عمر في الناس: الصلاة جامعة ، فاجتمع الناس ، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال: أَنشدُ اللهَ رجلاً عَلِم من هذا القتيل علماً إلا أخبرني به ، فقام الشاب فأخبره خبره ، فقال عمر: لا يَقطَعُ الله يدَكَ! وهدر دمه).

ورواه أيضاً عامر الشعبي[1].

وعن عُبيد بن عُمير: (أن رجلاً ضاف إنساناً من هُذيل ، فذهبتْ جارية منهم تحتطِب ، فأرادها على نفسها ، فرمتْه بفِهْرٍ فقتلَتْه. فرُفِع إلى عمر بن الخطاب ، فقال: ذلك قتيلُ الله لا يُودَى أبداً)[2].

●● وكانت الرأفة والرحمة مهيمنة على إقامة الحدود ، فلا تعسف في إمضائها ، ولا قسوة في تطبيقها ، بل الوسطية والاعتدال أسها وقاعدتها.

عن أبي عثمان النَّهدي قال: (أُتي عمر برجلٍ في حدّ ، فأُتي بسَوْط ، فقال: أريد ألينَ من هذا ، فأتي بسوط فيه لِين ، فقال: أريد أشدَّ من

---

(١) عيون الأخبار: ١١٦/٤؛ مصنف ابن أبي شيبة: ٦/ ٤٢٢ ـ ٤٢٣؛ مصنف عبد الرزاق (١٧٩٢٠) وفيه انقطاع ويتقوى أحدهما بالآخر.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة: ٦/ ٤٠٧ ، وعبد الرزاق بأطول منه (١٧٩١٩)؛ وإسناده صحيح. فِهْر: حجر.

هذا ، فأتي بسوط بين السوطين ، فقال : اضرب ولا يُرى إبطُك ، وأعطِ كل عضو حقه)[1].

وعن حَنْظلة السَّدوسي قال : سمعتُ أنس بن مالك يقول : (كان يُؤمر بالسَّوط فتُقطع ثمرته ثم يُدقّ بين حجرين حتى يَلين ، ثم يُضرب به. فقلت لأنس : في زمان من كان هذا؟ قال : في زمان عمر بن الخطاب)[2].

وعن حُصين بن حُدير قال : سمعت عمر يقول : (لا قَطْعَ في عِذْقٍ ولا في عام سَنَةٍ)[3].

وحمى أمير المؤمنين أعراض الناس وحقوقهم بالتنكيل بشهود الزور :

روى مكحول والوليد بن أبي مالك قالا : (كتب عمر بن الخطاب في شاهد الزور : يُضرب أربعين سوطاً ، ويُسَخَّم وجهُه ، ويُحلَق رأسه ، ويُطاف به ، ويُطال حبسُه!)[4].

●● وتأمل ما يلي من آداب وأخلاق وهَدْي ونُبل وسماحة وفضل قد قعَّدها عمر في دولته ، وأمر بها ولاته وأمراء جنده وعامة الناس ، وحَمَلهم عليها ، وتتبّع هدْيَهم فيها ، وحاسبهم عليها :

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة : ٦/ ٥٣٨ ؛ وإسناده صحيح.
(٢) أخرجه ابن أبي شيبة : ٦/ ٥٣٩ ؛ وفيه ضعف.
(٣) أخرجه ابن أبي شيبة : ٦/ ٥٢٧. **العِذق** : هو من النخل كالعنقود من العنب. سَنَة : جَدْب وقحط.
(٤) أخرجه ابن أبي شيبة : ٦/ ٥٣٤ ، ٥٤٣. **يُسَخَّم** : يُسَوَّد.

ـ قال أبو وائل: (جاءنا كتابُ عمر بن الخطاب ونحن محاصِرو قصر فارس، فقال: إذا حاصرتم قصراً فلا تقولوا: انزلوا على حكم الله، فإنكم لا تدرون ما حكم الله! ولكن أنزلوهم على حكمكم، ثم اقضُوا فيهم ما شئتم. وإذا لقي الرجلُ الرجلَ فقال: لا تخفْ، فقد أمَّنَه. وإذا قال: مَتَرْسْ[١]، فقد أمَّنَه، إن الله يعلمُ الألسنة كلها!)[٢].

ـ وعن عبد الله بن أبي حَدْرَد الأَسْلَمي قال: (لمّا قدِمنا مع عمر بن الخطاب الجابية، إذا هو بشيخ من أهل الذمة يَستطعم، فسأل عنه، فقال: هذا رجل من أهل الذمة كبر وضَعُف. فوضع عنه عمر الجزية التي في رقبته، وقال: كلفتموه الجزية حتى إذا ضعُف تركتموه يستطعم؟! فأجرى عليه من بيت المال عشرة دراهم، وكان له عيال)[٣].

ـ ولمَّا جمع هرقلُ للمسلمين الجموعَ، وبَلَغ المسلمين إقبالُهم إليهم لوقعة اليرموك، ردوا على أهل حمص ما كانوا أخذوا منهم من الخَراج، وقالوا: قد شُغِلنا عن نصرتكم والدفع عنكم، فأنتم على أمركم. فقال أهلُ حمص: لولايتكم وعدلُكم أحبُّ إلينا مما كنا فيه من الظلم والغَشْم، ولندفعنَّ جندَ هرقل عن المدينة مع عاملكم.

وقال اليهود والنصارى للمسلمين: ردَّكُم الله إلينا، ولعنَ الذين كانوا يملكوننا من الروم! ولكنْ والله لو كانوا هم ما ردوا علينا، بل غَصَبوا

(١) كلمة فارسية معناها: لا تَخَفْ.

(٢) علَّقه البخاري، كتاب الجزية، باب (١١)؛ ووصله عبد الرزاق (٩٤٢٩)؛ وصححه الحافظ في تغليق التعليق: ٣/ ٤٨٣.

(٣) الأموال، لأبي عبيد (١١٩)؛ حياة الصحابة: ٢/ ١٠٤ ـ ١٠٥.

وأخذوا مع هذا ما قدروا عليه من أموالنا[1].

وفعل المسلمون الفاتحون مثل ذلك مع أهل دمشق[2].

ـ وكان عمر يأمر جُباة الجزية أن يرفقوا بالناس في جبايتها ، وعندما أُتي بمالٍ كثير ، قال: إني لأظنّكم قد أهلكتم الناس! قالوا: لا والله ، ما أخذنا إلا عَفْواً صفواً ، قال: بلا سَوْط ولا نَوْط؟ قالوا: نعم ، فقال: الحمد لله الذي لم يجعل ذلك على يديَّ ولا في سلطاني[3].

ـ وبلَغت (الربانية في سياسته) أوجاً سامقاً ، فكان يَعُسُّ في الليل ومعه بعض أكابر الصحابة أو أحد مواليه ، يفتش عن الكروب المخبوءة ، فيُعين أرملة ، أو يطعم جياعاً ، أو يُسعف منقطعاً ، أو يَهدي ضالًّا أو يحرس ركباً ، أو يؤدِّب متعدياً ، ويتخذ لساعته القرارات والقوانين المناسبة ، ويعمِّم ذلك على الأمصار ، وله في هذا الميدان مواقف تخلب البصائر ، وتدهش الأبصار.

ـ بل إنه حرص على استمرار (الربانية) بعده ، فأوصى هو في ساعاته الأخيرة وجرحه ينزف الدم الزكي ، وكتب موجِّهاً الخليفةَ من بعده: (أوصي الخليفة من بعدي بالمهاجرين الأولين... وأوصيه بالأنصار خيراً... وأوصيه بأهل الأمصار خيراً... وأوصيه بالأعراب خيراً...

---

(١) فتوح البلدان ، للبلاذري ، ص ١٣٣ ـ ١٣٤ ؛ مجموعة الوثائق السياسية ، ص٤٧٠.

(٢) مجموعة الوثائق السياسية ، ص٤٧٢.

(٣) الأموال ، لأبي عبيد (١١٤). **بلا سَوْط ولا نَوْط**: أي بلا ضَرْب ولا تَعْليق.

وأوصيه بذمة الله وذمة رسول الله ﷺ)[1].

خامساً: الحريات:

الحرية هي الرئة التي تتنفس فيها المبادئ والأخلاق والقلوب والعقول والأفكار والأفعال والأقوال ، وتنمو في سمائها المَلَكات وتتوقد الهمم وتتفجر الطاقات ، وتتنامى الإبداعات والعطاءات.

ولقد تأصَّل هذا المبدأ الضخم والركن الجليل وترسَّخ في قلب عمر وروحه ، وهيمن على جوارِحه وأعماله منذ عهد النبوة ، كما تبدى ذلك في مواقفه في آرائه واقتراحاته وموافَقَاته ، واستمر في عهد الصدّيق ، وأخذ مداه في دولته الراشدة.

وكان شعاره الذي سار مسير الشمس ، وأضحى مضرب المثل ، ويعرفه كل أحد. . . ذلكم قوله: **متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟!** وهي كلمة من وحي العبقرية ومتنزَّل الإلهام!.

وقد كفل الإسلام الحرية للناس في أوسع معانيها ومدلولاتها ، وكان ذلك سبباً في انتشار دعوته إبان الفتوحات واتساع رقعة دولته خلال عهد الراشدين ، حيث كانت تهيمن على معظم البلدان دولتا فارس والروم ، وتمارسان ألواناً من القهر والطغيان والعَسْف والظلم وإلغاء حقوق الإنسان والعبث بكرامته ، وتقسيم الناس إلى فئات وطبقات ، ويستعبدون فيها طبقات عريضة من الشعوب التي وجدت الرحمة والعدالة والكرامة في عقائد الإسلام وتشريعاته ومعاملاته.

---

(١) البخاري (٣٧٠٠).

ولنشِرْ إلى بعض جوانب (الحريات) في عهد الفاروق:

١ ـ حرية النفس والعقيدة:

الأصل في الناس الحرية في أنفسهم وعقيدتهم، قد خَطّ الإسلام ذلك المبدأ الكبير بقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، وقوله: ﴿ فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظًاۖ إِنۡ عَلَيۡكَ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ ﴾ [الشورى: ٤٨].

وقد شهد التاريخ الصادق أن المسلمين في عهد عمر ـ وقبله وبعده ـ قد أقروا أهل الكتاب وغيرهم على أديانهم، وعقدوا معهم المعاهدات، وأخذوا منهم الجزية وحَمَوا دماءهم وأموالهم وحفظوا لهم حرية عبادتهم ومعابدهم، ولم يهدموها ولا تعدوا عليها.

ومن مشهور المعاهدات (العُهدة العمرية) لأهل بيت المقدس، وفيها: (بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهلَ إيليا من الأمان: أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم، ولكنائسهم وصُلبانهم وسقيمها وبريئها وسائر ملّتها. إنه لا تُسكَن كنائسُهم ولا تُهدم، ولا يُنتقص منها ولا من حيِّزها، ولا من صليبهم، ولا من شيء من أموالهم، ولا يُكرهون على دينهم، ولا يضارَّ أحد منهم، ولا يَسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود)[١].

ومعاهدة خالد مع أهل دمشق:

(بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب من خالد بن الوليد لأهل

---

(١) مجموعة الوثائق السياسية، ص٤٨٨.

دمشق: إني قد أَمَّنْتُهم على دمائهم وأموالهم وكنائسهم وسُور مدينتهم لا يُهدم، ولا يُسكَن شيء من دورهم، لهم بذلك عهد الله وذمة رسوله ﷺ والخلفاء والمؤمنين! لا يعرض لهم إلا بخير إذا أعطوا الجزية.

شهد أبو عبيدة بن الجراح، وشُرَحْبيل بن حَسَنة، وقُضاعي بن عامر، وكتب سنة ثلاث عشرة)[1].

ومن المعاهدات ما كتبه حذيفة بن اليمان مع بعض بلاد فارس، ومعاهدة عمرو بن العاص مع أهل عين شمس[2].

ـ ومن الأمثلة الفردية: أن أمير المؤمنين عمر كان له مملوك نصراني هو (أُسّق الرومي)، وكان يَعرض عليه الإسلامَ، فيأبى، وعمر يقول له: لا إكراه في الدين. ثم أعتقه وهو نصراني، وأسلم فيما بعد[3].

ـ وقال عمر رضي الله عنه: (اللَّقيطُ حرٌّ)[4].

ـ وعن ابن شهاب الزُّهري، عن سُنَيْنٍ أبي جميلة: (أنه وَجَد مَنْبُوذاً في زمان عمرِ بن الخطاب، قال: فجئتُ به إلى عمر بن الخطاب، فقال: ما حَمَلَكَ على أخذِ هذه النَّسَمَةِ؟ فقال: وجدتُها ضائعةً فأخذتُها. فقال له عَريفُه: يا أميرَ المؤمنين، إنه رجلٌ صالحٌ، فقال له عمر:

---

(١) مجموعة الوثائق السياسية، ص٤٥٧.

(٢) المرجع السابق، ص٤٤١، ٥٠٢. وقد جمع مؤلف هذا الكتاب نصوصاً مُعْجِبة في هذا الباب.

(٣) تقدمت قصته: ص٣٩ في هذا الكتاب.

(٤) علَّقه البخاري قبل الحديث (٦٧٥١).

أكذلكَ؟ قال: نعم ، فقال عمر بن الخطاب: اذهَبْ فهو حرٌّ ، ولك ولاؤه ، وعَلَينا نفقتُه)[1] .

وسُنَين هذا وَجَد (مَنبوذاً) أي: شخصاً منبوذاً ، أي لَقيطاً ، فأخذه وجاء به إلى عمر ، فكأنَّ عمر اتهمه أن يكون اللَّقيط ولده ، فأتى به ووضعه على هيئة اللقيط ، فقام عريفُه وزكَّى سُنيناً ، فقال الفاروق: هو حرٌّ ، ولك ولاؤه ونفقتُه من بيت المال.

ـ وفي عِتْق أمهات الأولاد: يروي عبد الله بن عمر: أن عمر بن الخطاب قال: (أَيُّما وليدةٍ وَلَدَتْ من سيِّدها؛ فإنه لا يَبيعُها ولا يَهبُها ولا يُورِّثُها ، وهو يستمتعُ بها ، فإذا مات فهي حرَّة)[2] .

٢ ـ حرية الرأي وسلطة الرعية على الدولة:

●● أعلى الإسلام من حرية الرأي ، وكفل للناس حقوقهم كاملة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومناصحة ولاة الأمر.

وفي عهد الفاروق عمَّق هذا الاتجاه وسلَّط الرعية على الخليفة فمن دونه ، وكان هو مضرب المثل في ذلك فقال: أعينوني على نفسي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وإحضاري النصيحة فيما ولاَّني الله من أمركم. وأعلَن أن أحبَّ الناس إليه من بيَّن له عيوبه ، وفرح عندما قال الصحابة له: لو رأينا فيك عوجاً لقوَّمناه بسيوفنا.

كذلك سلط الرعية على الولاة ، ورُفعت إليه الشكاوى صغيرها

---

(١) علقه البخاري قبل الحديث (٢٦٦٢) ، ووصله مالك: ٢/ ٧٣٨ ، وصححه الحافظ في تغليق التعليق: ٣/ ٣٩٠ ـ ٣٩١.

(٢) أخرجه مالك: ٢/ ٧٧٦ ، وإسناده صحيح.

وكبيرها ، وكان يلاحقها ويحقق فيها ، ويجمع الناس في مواسم الحج مع الأمراء ، وتُنشر الآراء والمشكلات على الملأ بحريَّـة تامة لم يشهد لها التاريخ مثيلاً ، حتى إن المرأة عارضته بشأن الصَّدَاق فرجع إلى قولها.

روى عبد الرزاق في (باب من أفزَعَه السلطان): عن الحسن البصري قال: (أَرسل عمر بن الخطاب إلى امرأة مُغِيبَةٍ كان يُدخل عليها ، فأنكر ذلك فأرسَلَ إليها ، فقيل لها: أَجيبي عمر ، فقالت: يا ويلَها ما لها ولعمر! قال: فبينا هي في الطريق فزعَتْ فضَرَبَها الطَّلْق ، فدخلت داراً فألقت ولدها ، فصاح الصبي صيحتين ثم مات! فاستشار عمر أصحابَ النبي ﷺ ، فأشار عليه بعضهم أن ليس عليك شيء ، إنما أنت والٍ ومؤدِّب. قال: وصَمَت عليٌّ ، فأقبل عليه فقال: ما تقول؟ قال: إنْ كانوا قالوا برأْيهم فقد أخطأ رأيُهم ، وإنْ كانوا قالوا في هواكَ فلم يَنصحوا لك! أَرى أن دِيتَه عليك ، فإنك أنت أفزعتها وألقت ولدها في سَبَبِك. قال: فأمر عليّاً أن يَقسم عَقْلَه على قريش. يعني يأخذ عقلَه من قريش لأنه خطأ)[1].

هؤلاء صحابة كبار يجتهدون في مسألة ، ويخالفهم عليٌّ فيوجِّه الحكمَ على أمير المؤمنين ، فيركن عمر لاجتهاده ويعمل برأيه.

●● بَيْدَ أن الحرية ليست مطلقةً ، فهذه لا تكون إلا للحيوانات ، بل لابدَّ لها من ضوابط تحفظ دين الأمة وعقيدتها وشعائرها وأخلاقها ، وتحفظ على الناس دماءهم وأعراضهم وأموالهم.

---

(١) مصنف عبد الرزاق (١٨٠١٠) ، والحسن لم يسمع من عمر. مغيبة: غاب عنها زوجها. عقله: ديته.

ـ من ذلك ما قدَّمناه من موقف عمر من (صَبيغ بن عِسْل) الذي كان يخوض في المتشابهات ، فأدَّبه عمر حتى رجع إلى الحق[1] .

ـ وكذلك سَيَّر (نَصْر بن حجَّاج) إلى البصرة ، وقد رأى تغزُّلَ النساء به وافتتانهن بجماله[2] .

ـ وسَجَنَ الحُطيئة الشاعر لهجائه الناس ، ولاحَقَ الشعراء الذين يقولون باطلاً ، وعزل عامله على (مَيْسَان) لأبيات قالها في الخمر ، وقصته مع أبي مِحْجَن وسجنه له مشهورة[3] لقوله :

إذا مُـتُّ فادْفِنِّـي إلى أصـلِ كَرْمـةٍ — تُروِّي عظـامي بعـدَ مَوْتي عروقُهـا
ولا تَـدْفِنَنِّـي بـالفَـلاةِ فـإنـنـي — أخـافُ إذا ما مُتُّ أن لا أذوقهـا!

٣ ـ حق الأمن وحرمة المسكن وحرية الملكية:

●● من حق كلِ فرد في الأمة أن يكون آمناً في سِرْبِهِ على نفسه وعرضه وماله ، ولقد تجلَّت مسؤولية عمر في هذا الباب على أروع مظاهرها ؛ حيث كان هو يتولى حراسة الناس والعَسَس في الليل ، وله في ذلك مواقف في غاية الروعة .

وكتب إلى الأمصار : (إني لم أبعثْ عمالي إليكم ليضربوا أبشاركم ويشتموا أعراضكم ويأخذوا أموالكم) . وكان حسابه عسيراً لكل من تسوِّل له نفسه تجاوزَ هذه الحدود أو التعدي عليها أو الإغضاءَ منها .

---

(١) انظر : ص٣٣٤ ـ ٣٣٥ في هذا الكتاب .
(٢) محض الصواب : ١/ ٣٩٢ ـ ٣٩٦ .
(٣) الأدب الإسلامي : ١٧٢ ـ ١٧٦ ؛ عمر بن الخطاب ، للدكتور علي الصلابي ، ص ٢٦٦ ـ ٢٦٧ .

ومما كتبه للقضاة في الحفاظ على حقوق الناس وخاصة الضعفاء، كتابه إلى معاوية: (إذا حضَر الخَصْمان فالبيِّنَةُ العُدُول، والأَيْمان القاطعة، أَدْن الضعيفَ حتى يجترئَ قلبُه وينبسطَ لسانُه، وتعاهَد الغريبَ؛ فإنه إنْ طال حَبْسُه ترَك حقَّهُ وانطلَق إلى أهله، وإنما أَبْطَل حقَّه مَن لم يرفَعْ به رأساً، واحْرِصْ على الصلح بين الناس ما لم يَسْتَبِنْ لك القضاء)[1].

●● وحرمةُ البيوت ومنعُ التجسس على الناس وكشفِ عوراتهم قَد كَفلها القرآن والسنة، ولا يحق لأحد أنَ ينقِّب على أهلها ولو كانوا على باطل ما لم يُجاهروا به.

ومن الروائع في هذا ما رواه ثَوْر الكِنْدي: (أن عمر بن الخطاب كان يَعُسّ بالمدينة من الليل، فسمع صوت رجل في بيت يتغنَّى[2]، فتسوَّر عليه فقال: يا عدوَّ الله! أظننتَ أن الله يسترك وأنت في معصية؟! فقال: وأنت يا أمير المؤمنين لا تَعْجَل عليَّ، إنْ أكن عصيتُ الله واحدة، فقد عصيتَ الله في ثلاث! قال: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا۟﴾ [الحجرات: ١٢]، وقد تجسستَ! وقال: ﴿وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا﴾ [البقرة: ١٨٩]، وقد تسوَّرْتَ عليَّ! ودخلتَ عليَّ بغير إذْنٍ؛ وقال الله تعالى: ﴿لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [النور: ٢٧]! قال عمر: فهل عندك من خير إن عفوتُ عنك؟ قال: نعم. فعفَا عنه، وخرج وتركه)[3].

---

(١) أخبار القضاة: ١/ ٧٤ ـ ٧٥؛ تاريخ القضاء، ص١١٣ ـ ١١٤.

(٢) في رواية: (فإذا شيخ جالس، وبين يديه شراب وقَيْنَة تغنِّيه)!.

(٣) حياة الصحابة: ٢/ ٤٢٠ ـ ٤٢١؛ محض الصواب: ١/ ٣٩٧ ـ ٣٩٨.

●● وحرية الملكية لا يجوز لأحد العدوان عليها ، حتى ولو كان ذلك لصالح بيوت الله تعالى.

ولقد أبرز أمير المؤمنين هذا المَعلم في أروع المواقف عندما أراد توسعة المسجد النبوي ، وطلب إلى العباس عمِّ النبي ﷺ أن يبيعه داره أو يهبها المسلمين ليضمَّها للمسجد ، فأبى العباس ، وقضى أُبيّ بن كعب بينهما وحكم للعباس ، فانتهى عمر ، فتصدق العباس بها بعد ذلك[1].

ولما أجلَى نصارى نَجْران ، عوَّضَهم عن أرضهم ، وجاء في كتابه: (أما بعدُ: فمن مرُّوا به من أمراء الشام وأمراء العراق فليوسعهم من حَرْث الأرض ، فما اعتملوا من ذلك فهو لهم صدقة لوجه الله ، وعُقْبَة لهم مكان أرضهم ، لا سبيل عليهم فيه لأحدٍ ولا مَغرم ، ومن حضرهم من رجل مسلم فلينصرهم على من ظلمهم)[2].

سادساً: الجهاد والقوة (الجيش):

وهذا الركن في بنيان الدولة الإسلامية كان واضحاً وراسخاً ، وقد أَوْلاَه أمير المؤمنين عناية فائقة ، ومتابعة دائبة ، وتطويراً مستمرّاً ، ودعماً متواصلاً ماديّاً ومعنويّاً؛ ذلك أنه يقع على عاتقه واجبان جليلان: الأول: حراسة الدين وحماية البَيْضة ، وحفظ الأرواح والأعراض والأموال. والثاني: نشر الإسلام وإبلاغ الدعوة ، وذلك بإزالة العقبات من طريق الناس وتحريرهم من رِبْقة الجبابرة والطواغيت.

وقد كان عمر بمثابة (القائد الأعلى للجيش) ، يعين القادة

---

(١) تقدم الخبر: ص٣٧٠ ـ ٣٧١ في هذا الكتاب.

(٢) الخراج ، لأبي يوسف ، ص ٨٧ ـ ٨٨؛ أخبار عمر ، ص ١٦٧.

وأعوانهم ، ويوصيهم ويوجِّههم ، ويسيِّر الجيوش ويدعمهم بالأمداد ، ويرسم الخطط ، ويسير البريد ، ويتابع الفتوحات ، ويتلقى الأخبار ، ويوزع الأنفال ، ويتعاهد عائلات المجاهدين . . .

وقد بنى هذه المؤسسة الضخمة على نمط فذ ، فكان يأمر الناس بتدريب غِلْمانهم على فنون الفروسية ، وأساليب القتال ، وكَتَب إلى عماله : أن علِّموا صبيانكم العَوْم ، ومقاتلتكم الرمي ، ومُرُوهم فلْيَثِبوا على الخيل وثباً .

واعتنى بتربية الخيل وإنتاجها وإكثارها ، وأقطع أناساً أراضي بالكوفة والبصرة ومصر وغيرها كي يعملوا فيها بإنتاج الخيل ، فكان يحمل عليها المجاهدين في سبيل الله .

قال عمر : (إنَّ ناساً يأخذون من هذا المال ، يجاهدون في سبيل الله ، ثم يُخالِفون ولا يجاهدون ، فمن فعل ذلك منهم فنحن أحقُّ بمالِه ، حتى نأخذَ منه ما أخذ)[1] .

وكان يَحمل في العام الواحد على (٤٠٠٠٠) بعير[2] .

ودَوَّن دواوين الجند ، وأمر أن لا تُحبس الجيوش فوق أربعة أشهر ، وأن لا يغزو مَن له أبوان شيخان أو أحدهما إلا بإذنهما ، وشَحن الثغور بالمسالح والقواعد العسكرية ، وأنشأ فيها المساجد والأسواق ، وحَمى

---

(١) علقه البخاري قبل الحديث (٢٩٧٠)؛ وأخرجه في التاريخ الكبير: ٦/ ٣٦٤ ـ ٣٦٥؛ ووصله ابن أبي شيبة: ٧/ ٦٠٨؛ وصححه الحافظ في الفتح: ٧/ ٥٤٢ .

(٢) طبقات ابن سعد: ٣/ ٣٠٢ .

الحِمى لرعي خيل وإبل المجاهدين ، وأقام الثُّكْنات في الأمصار ، وأنشأ فيها الحصون لحمايتها من الغارات المفاجئة .

وأَعَدَّ خيولاً احتياطية في كل بلد استعداداً للحروب المفاجئة ، فكان في الكوفة ـ مثلاً ـ أربعة آلاف فارس . وأنشأ نظام الصوائف والشواتي ، وكان يُعْقِب الجيوش[1] فيبعث في أثر المقيمين في الثغور جيشاً يقيمون مكانهم وينصرف أولئك .

وسيأتي مزيد من القول في هذا عند حديثنا عن (المؤسسة العسكرية)[2] .

سابعاً: الأمانـــة:

هذا الركن صِنْو القوة ومتمِّم لها ، وقد أشار القرآن الكريم إلى أهميته على لسان ابنة الرجلِ الصالح عندما وصفَتْ موسى عليه السلام: ﴿ قَالَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا يَـٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦] .

ونقصد بالأمانة هنا معناها الرحيب الواسع الشامل العميق؛ وهي القيام بأمانة الحكم والمسؤولية على أتم وجه .

وهذه الركيزة في دولة عمر بدتْ ظاهرةً سامقةً مثلَ سابقاتها ، وشملت أمير المؤمنين والولاة والقادة والقضاة والعلماء والفاتحين والرعية ومؤسسات الدولة .

وقد نهض الفاروق بهذا العبء الثقيل ، وبَلَغ به أَوْجاً لا تطمح الإنسانية أن تصل إليه فضلاً عن أرفع منه . وبَلَغت به الأمانة إلى حدّ أنه

---

(١) انظر: سنن أبي داود (٢٩٦٠).

(٢) انظر: ص٥٣٢ ـ ٥٣٥ في هذا الكتاب.

كان يقسو على نفسه وآله وولاته ، حتى خرجوا بُرآءَ من العيب .

وسار على هَدْيه ولاة الأمصار في سيرتهم ، وسياستهم للناس ، وحفظهم الأرواح والأعراض والأموال ، ودفاعهم عن الدين ونشرهم له وحراسة مبادئه وشعائره .

وهكذا كان القضاة وأمناء بيت المال وموظفو العطاء والديوان وقادة الفتوحات وأمراء الجهاد بل وعامة الرعية وآحاد الأجناد ، حتى أدوا الأمانة على وجهها .

وعندما جاءت الغنائم والكنوز إلى المدينة ، وفيها ما يدهش الألباب ، قال أمير المؤمنين : إِنَّ قوماً أَدَّوا هذا لأمناء! فقال له عليّ : لقد عففتَ فعَفُّوا ، ولو رتعتَ لرتعوا! .

هذه ـ فيما نحسب ـ أهم أسس الدولة وأركانها التي قامت عليها دولة الخلافة الراشدة ، وكانت واضحة السمات ظاهرة المعالم في عهد أمير المؤمنين عمر ، وعليها شُيِّدت المؤسسات الكثيرة الضخمة ، وهي أشبه ما تكون بالوزارات في عصرنا .

فلنبحث فيها بشيء من التفصيل والبيان في الفصل التالي .

* * *

الفصل الخامس

مؤسسات الدولة

نمت الدولة والأمة الإسلامية في عهد عمر نموّاً هائلاً عجيباً ، يتدفق فيضُها الحيوي في جميع عناصرها وأعضائها ومؤسساتها؛ تدفقاً يُنعش كل جزء من أجزائها ، وينمي ذلك الجسم الجديد المتين نموّاً سريعاً آذَنَ بانقلاب ضخم وجذري في العالم ، اهتزت له دول الأرض العظمى وتناول أهل المشارق والمغارب. واندفعت الأمة بما أحدثه الدين الجديد فيها من وحدة وقوة وربانية فكانت الأمة الوارثة للأمم ، وكان القيِّمون عليها هم أئمة الدنيا وكانوا هم الوارثين[1].

وظهرت (العبقرية) التي أشار إليها رسول الله ﷺ بقوله: «**فلم أرَ عبقريّاً من الناس يَفْرِي فَرِيَّه**»؛ في بناء تلك الدولة المدهشة الشامخة ، فاستطاع الفاروق أن يشيد دولة نافست كبرى الدول في عصرها بالمناكب ، وبزَّتْها وتفوقت عليها ، وكَنَست جبروتها!.

ولقد استطاع هذا (السيد العبقري) أن يضع الأسس المتينة ويشيد البناء القوي المتكامل في كل جوانب (الدولة النموذج): في شؤون الدين وشعائره ، والتعليم ، والمال والاقتصاد ، وتمصير الأمصار ، وتخطيط

---

(١) انظر: الخلفاء الراشدون، للنجار، ص ١٧٩.

المدن والعمران ، والمواصلات ، واختيار الولاة والقادة والقضاة ، وحركة الجهاد والفتوحات وتوسعات الدولة ، وشؤون الإدارة والمحاسبة ، وإقامة منارات الحق والعدل في مناحي الحياة. . . وندر في الدولة الإسلامية من نظام لم يكن له أولية فيه.

ويزداد المرء إعجاباً بعمر وإجلالاً له بأنه لا يراه قانعاً بالإشراف والمراجعة في كل ذلك ، بل يكدح بيده ويحمل على ظهره ويتعقب بعينه ، فله في كل ميدان رأي ، وفي كل مجال اجتهاد ، وفي كل مصر قول وفعل وكتاب ورسالة وأمر وتوجيه ، فلا يَدَع أحداً من خدّام الدولة الواسعة إلا وهو شريك له فيما تولاه[1].

إننا لسنا نبالغ في هذا ، ولا نحب التألّي على الحقيقة ولا المجازفة في القول ، بل نسجل ما تعاضدت عليه أخبار التاريخ وأجمعت عليه ألسنة الشهود لذلك العهد المبارك الميمون.

لقد نُسبت إلى عمر وعهده ودولته أخبار قد يَعْسُر على العقل المجرد قبولُها ، لكننا نجد المؤرخين قد تضافروا على روايتها تضافرَ تواترٍ يدعو إلى النزول على حكمهم فيها[2].

ولا نشك كذلك بأن الخليفة الكبير عمر قد أعانَتْه وشاركت معه كوادر كثيرة ضخمة فاعلة قادرة مخلصة مبدعة خلّاقة في كل جوانب الدولة ومؤسساتها؛ فإن أي رجل مهما أوتي من مواهب عبقرية وإخلاص وتوفيق؛ لن يستطيع أن يكون محورَ التاريخ ومؤسسَ الدولة بمفرده ،

---

(١) عبقرية عمر، ص ١٠١، ١٢١.

(٢) انظر: الفاروق عمر، ص ١٣ ـ ١٤.

وهذا ما نؤكده في كل ما نسطره من (تاريخ الرجال الكبار).

لكننا نؤكد من جديد أن تلك (الدولة العبقرية) كان فيها (للرجل العبقري) (دور عبقري)، كما أخبر الصادق المصدوق ﷺ.

إن كل عمل من الأعمال التي أنجزها في (دولة الخلافة) سهل على القرطاس، صعب عند تصورنا إياه وإحاطتنا بما يستدعيه من تدبير وإنجاز وخلق وهيبة؛ فكم بين (المدينة) وتلك الأطراف في زمن أسرعُ وسائله بعير سريع؟! وكم عَمِل عمر لملاحقة كل جيش يسير، وكل بلد يُفتح، وكل أمة تحكم، وكل عارض يطرأ على غير توقع ولا سابق خبرة؟![1].

جاء عمر بعد الصديق فأتمَّ عملَه وأقام الأساس ثم أقام عليه البناء، وكانت قدرتُه على التأسيس آيةَ الآيات فيه، وفي ذلك العصر من البداوة الظاهرة؛ لأنه التفتَ إلى مواضعه الجديرة بالاهتمام والتقديم، كأنه راجع تاريخ عشرين دولة مستفيضة المُلك راسخةِ العمران؛ وهي قدرةٌ تروِّعنا وتدهِشنا لو شهدناها من مَلِكٍ تربّى على المُلك، وسلَفه على عرشه سلالةٌ من الملوك! وأَوْلَى أن تروِّعنا وتُدهِشنا من (رجل البادية) الذي يُقدِم على أمر جديد، لم تُعِنْه فيه السوابق، ولم يهتدِ فيه إلا بما اختار هو أن يهتدي إليه[2]!.

ولنبسط القول في مؤسسات الدولة ومرافقها وملامح العظمة والسبق فيها.

---

(١) عبقرية عمر، ص ١٢٠.

(٢) المرجع السابق، ص ١٠٠ ـ ١٠١.

المبحث الأول

مؤسسة الشعائر الإسلامية

(وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف)

من أسس هَدْي عمر في إدارة شؤون الدولة الاقتداءُ بالنبي ﷺ وأبي بكر ، ويشير إلى ذلك فعلُه عندما أراد أن يُنفِق (كنز الكعبة) ، فقال له شيبة بن عثمان العَبْدريُّ : (إن صاحبيك لم يفعلا) فقال عمر : (هما المرآن أقتدي بهما)[1] .

وقد أولى شعائرَ الإسلام الكبرى اهتماماً كبيراً ، وقام عليها بنفسه ، وأمر الولاة بإعطائها كل ما يليق بها من عناية واهتمام وحراسة ، وبذل لها الأموال ورتّب الموظفين وأنشأ ما يلزمها من مرافق وخدمات .

●● كان هو بنفسه يعلِّم الناس على المنبر وفي مجالسه : أمور الصلاة والصيام والزكاة والحج .

يحدث عبد الرحمن بن عبدٍ القاريُّ : أنه سمع عمر وهو على المنبر يعلِّم الناس التشهد .

ودخل عثمان بن عفان المسجد لصلاة الجمعة وعمر يخطب ، فقطع الخطبة وعاتبه على ذلك .

وافتقد أحدَهم في صلاة الصبح فمرَّ على بيته وسأل أمه عنه .

---

(١) تقدم الخبر بتمامه : ص ٢٠٢ في هذا الكتاب .

ورأى رجلاً يصلي إلى غير سُتْرة فأخذ بقفاه وأدناه إلى سُترة[1].

وكان إذا أُقِيمت الصلاة يوكِّل رجالاً بإقامة الصفوف ، ولا يُكبِّر حتى يُخْبَر أن الصفوف قد استوت[2].

وكتب إلى الولاة على الأمصار أن يأمروا الناس بالمحافظة على الصلاة ، وبيِّنَ لهم في كتبه أوقاتها[3].

وكتب إلى أبي موسى الأشعري بالبصرة: أن اقرأْ في الصبح بطِوال المُفَصَّل ، وفي الظهر بأوساط المُفصَّل ، وفي المغرب بقِصار المفصَّل[4].

ويخطب الناس في العيدين ، ويحدِّثهم بما حفِظ عن النبي ﷺ من هدي فيهما ، ويَنهى عن صيام يومي العيد[5].

وأوضح للمسلمين في جميع الأمصار أن من أُولى واجبات الأمراء إقامةَ شعائر الدين وتعليم الناس مبادئه وأحكامه وهديه ، فكتب: (إني لم أستعمل عليكم عمالي ليضربوا أبشاركم . . . ولكني استعملتُهم ليعلِّموكم كتابَ ربكم وسنّةَ نبيكم).

---

(١) انظر تفصيل ذلك: ص٣٣٦ ـ ٣٣٧ في هذا الكتاب.

(٢) مصنف عبد الرزاق (٢٤٣٧ ـ ٢٤٣٩)؛ وابن أبي شيبة: ١/ ٣٨٧ ـ ٣٨٨؛ والترمذي ، عقب الحديث (٢٢٤)، وكلها صحيحة.

(٣) موطأ مالك: ١/ ٦ ـ ٨؛ مصنف ابن أبي شيبة: ١/ ٣٦٣.

(٤) مصنف عبد الرزاق (٢٦٧٢)؛ الترمذي ، عقب الأحاديث (٣٠٦ ـ ٣٠٨). المفصل: من سورة ﴿قٓ﴾ إلى آخر المصحف الشريف.

(٥) الترمذي (٧٨٢).

وقال في وصيته ـ وجرحُه يسيل دماً ـ: (اللهمَّ إني أُشهِدك على أمراء الأمصار؛ فإني إنما بَعثْتُهم ليعلِّموا الناس دينَهم وسنَّةَ نبيِّهم).

●● ومن هذه السبيل اهتمامه الكبير بجمع المسلمين في (صلاة التراويح) على إمام واحد ، وهذا من أعماله الخالدة وسننه الراشدة.

عن عبد الرحمن بن عبدٍ القارِيِّ قال: (خرجتُ مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليلةً في رمضان إلى المسجد ، فإذا الناسُ أوزاعٌ متفرِّقون: يصلِّي الرجل لنفسِه ، ويصلي الرجل فيصلي بصلاته الرَّهْطِ. فقال عمر: إني أرى لو جمعتُ هؤلاء على قارئ واحد لكان أمثَلَ. ثم عزم فجمعهم على أُبيٍّ بن كعب. ثم خرجتُ معه ليلة أخرى والناس يصلون بصلاة قارئهم ، قال عمر: نعمَ البدعةُ هذه ، والتي يَنامون عنها أفضَلُ من التي يقومون ـ يريد آخرَ الليل ـ وكان الناس يقومون أوَّلَه)[١].

وكانوا يقومون بعشرين ركعة ويوترون بثلاث ، والحديث في ذلك صحيح صححه غير واحد من الأئمة[٢].

●● وتوجَّهت عناية الفاروق إلى المسجدين الشريفين: فوسع المسجد النبوي بإضافة دار العباس وغيرها ، وفَرش أرضه بالحصى بعد أن كانت من تراب ، ووسع المسجد الحرام بمكة فأضاف إليه الدور المحيطة به ، وضَرب عليه سوراً ، وكَسى الكعبة القَبَاطيّ[٣].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٠١٠)؛ ومالك: ١/ ١١٤ ـ ١١٥.

(٢) انظر: الفتح: ٦/ ١٠ ـ ١١ (٢٠١٠)؛ فتح الملهم: ٤/ ١٧٢ ـ ١٧٥؛ سنن الترمذي ، بتحقيق شعيب الأرنؤوط: ٢/ ٣٢٧ ـ ٣٢٩ (٨١٧).

(٣) ثياب من كَتّان بِيض رقاق تُنسج بمصر.

وكتب إلى أبي موسى الأشعري ، وهو على البصرة ، يأمره أن يتخذ للجماعة مسجداً ، ويتخذ للقبائل مساجدَ ، فإذا كان يوم الجمعة انضموا إلى مسجد الجماعة وشهدوا الجمعة. وكتب إلى سعد بن أبي وقاص ، وهو على الكوفة ، بمثل ذلك. وكتب إلى عمرو بن العاص ، وهو على مصر ، بمثل ذلك. وكتب إلى أمراء أجناد الشام: لا يتبدَّوا إلى القُرى ويتركوا المدائن ، وأن يتخذوا في كل مدينة مسجداً واحداً ، ولا يتخذوا للقبائل مساجد كما اتخذ أهل الكوفة والبصرة ومصر[1].

أراد عمر أن يُتخذ في المدينة الواحدة (المسجد الأعظم) الذي تُقام فيه الجمعة؛ لأنه أَدْعى لوحدة المسلمين ، وما أراد النهي عن تعدد مساجد الجماعة.

وكَثُر بناء المساجد في عهد عمر ، وتذكر بعض الإحصاءات أنه أُنشئ في عهده (٤٠٠٠) مسجد في بلاد العرب وحدها ،ووصل عدد المساجد التي تُصلى فيها الجمعة في (الدولة العمرية) إلى (اثني عشر ألف منبر)[2]. كذلك بنيت المساجد في الثغور والمسالح والقواعد العسكرية[3].

ومن بدائع الفاروق أنه نوَّر المساجد ، تيسيراً على المسلمين في أداء عباداتهم ، وتعارفهم على بعضهم عندما يحلّ الليل.

عن أبي إسحاق السَّبِيعِي قال: (خرج عليٌّ أولَ ليلة من شهر رمضان ،

---

(١) مختصر ابن عساكر: ١/ ٢٧٦؛ عصر الخلافة الراشدة ، ص ٢٩٩.

(٢) الولاية على البلدان، ص ٤٠٦ ـ ٤٠٧؛ التراتيب الإدارية: ٢/ ٢٦٢.

(٣) عمر بن الخطاب، للدكتور علي الصلابي، ص ٦٥٠.

فسمع القراءة في المسجد ، ورأي القناديل تَزْهَر ، فقال: نوَّرَ الله لعمر بن الخطاب في قبرِه كما نوَّر مساجدَنا بالقرآن!)[1] .

وعيَّنَ في الأمصار الأئمة والمؤذِّنين وفَرض لهم الرواتب[2] .

●● وأُقيمت في خلافته استراحِات للحجَّاج توفر الماء والظلّ على الطريق بين المدينة ومكة[3] .

وولاة الأمصار مسؤولون عن تيسير أمور الحج في ولاياتهم ، ويعيِّنون الأمراءَ على قوافل الحجاج ، لمرافقتِهم في سفرِهم ، وتأمين سلامتهم ، وتعليمهم أداء مناسكهم[4] .

ووُضِع نظامٌ دقيق لتحصيل الزكوات وغيرها من موارد مالية ، وأُقيم عليها العمال والموظفون والمُصَدِّقون ، كما وُضع لها ديوان مركزه في عاصمة الخلافة وله فروع في الأمصار ، كما سيأتي تفصيله عند حديثنا عن (المؤسسة المالية) .

●● وكان علماءُ الناس وقراؤهم ومفسِّروهم وفقهاؤهم ومُفتوهم في عهد عمر: أكابر الصحابة ، في المدينة ومكة وبقية الأمصار ، كما سنفصل ذلك في المبحث التالي .

* * *

---

(١) محض الصواب: ١/ ٣٤٩؛ حياة الصحابة: ٣/ ١٤٩، وعند ابن عساكر من طريق آخر ـ مختصره: ١٨/ ٣٢١.

(٢) تاريخ بغداد: ٢/ ٨١؛ محض الصواب: ٢/ ٤٩٠ .

(٣) طبقات ابن سعد: ٣/ ٢٨٣ ، ٣٠٦ .

(٤) انظر: الأحكام السلطانية ، للماوردي، ص ١٩٤ فما بعدها .

المبحث الثاني

المؤسسة التعليمية (وزارة التربية والتعليم)

أعاد الإسلام صياغة الإنسان وبناء شخصيته على الإيمان والعلم ، كما تجلَّى ذلك في توجيهات القرآن وعملِ النبي ﷺ ، حتى إذا جاء عصر الراشدين وخاصة عهد عمر؛ اتسع نطاق التعليم وامتد رُوَاقه ليشمل الكتاتيب وحلقات العلم ومجالسه في المساجد وفي دور العلماء.

وظهرت جذورُ المدارس الفكرية والعلمية المتنوعة ، متمثلة بمدرسة أبي موسى الأشعري في (القراءات) في البصرة ، ومدرسة عبد الله بن مسعود في (الفقه) في الكوفة ، ومدرسة عبد الله بن عباس في (التفسير) في مكة ، والمدرستين البصرية والكوفية في النحو[(١)].

واتسم التعليم في ذلك العهد بسمات راقية وبارزة تتجلى في: (حرية التعليم)، وكان دور الدولة هو الإشراف والرعاية والدعم والنفقات، وثانياً (مجانية التعليم)، وثالثاً (التعليم للجميع). واستمرت هذه المبادئ قروناً طويلة، كان التعليم خلالها شعبيّاً بما تحمله هذه الكلمة من معنى ، يناله الغني والفقير ، بل إن حظَّ الفقراء فيه أعظمُ من حظ الأغنياء[(٢)].

أولاً: موضوعات التعليم:

انتشرت القراءة والكتابة في عصر عمر وما بعده بصورة واسعة ، وقد

---

(١) عصر الخلافة الراشدة ، ص ٢٧١ .

(٢) المرجع السابق نفسه.

كانت الوسيلة الغالبة لنشر العلم هي السماع والمشافهة والاعتماد على الذاكرة التي اشتهر بها العرب.

وعرف المسلمون أنماطاً عالية وتخصصات دقيقة من العلوم المختلفة والتي تمثلت موضوعاتها في: القرآن وعلومه، والحديث، والفقه، واللغة العربية، والتاريخ، والأنساب، والشعر، والقصص، والحِكم، والأمثال[1].

وأسهمتْ جماهير غَفيرة من الصحابة والتابعين في نشر العلم وتفتيح العقول وتثقيفِ عامة المسلمين والشعوب التي دخلت أفواجاً في دين الله تعالى.

١ ـ وقد تمَّ **جمعُ القرآن الكريم** في عهد أبي بكر بإشارة من عمر، وتناقله المسلمون طبقة عن طبقة شفاهاً، وأصبح محفوظاً في الصدور ومسطوراً في السطور، وتخرجت أجيال إثر أجيال تحمل بين جوانحها كتاب الله.

٢ ـ واعتنى المسلمون بالمصدر الثاني للإسلام وهو **السنة النبوية**، وبرز أئمة أعلام من رواة الحديث في عهد عمر من الصحابة والتابعين. وانتشر ما في (الصحف المدوَّنة) بين الناس، مثل: الصحيفة الصادقة لعبد الله بن عَمْرو، وكتب أبي هريرة مثل صحيفة همَّام، وصحيفة جابر بن عبد الله، وغيرهم.

وقد اعتنى عمر برواية الحديث ونقلِه للناس، وحضَّ الصحابة على نشره، مع الاحتياط والتثبت في روايته ونقله وتحمُّلِه.

---

(١) عصر الخلافة الراشدة، ص ٣٠٤.

٣ـوكذلك تنامى **النشاط الفقهي** ، وبرز في الفقه أعلام كبار من الصحابة ثم التابعين ، وخَلَّفوا ثروة فقهية ضخمة ، وقد صنَّف ابن حزم وغيره (أسماء الصحابة الذين حُفِظت عنهم الفتوى) ، فبلَغوا مئة ونيفاً وثلاثين صحابيّاً ، منهم سبعة مكثرون ، وعمر أحدُ هؤلاء المكثرين ، ويمكن أن يُجمع من فتاوى كل واحد منهم سِفْر ضخم[١] .

وقد نُقِلت تلك الثروة الفقهية الضخمة عبر الأجيال ، وهي محفوظة في مدوَّنات الفقه الكبيرة .

٤ ـوظَهرت في عهد الفاروق **العناية باللغة العربية** لأهميتها في فهم نصوص القرآن والسنة ، وكذلك لأهميتها الذاتية . وقد نَقلت المصادر عدة توصيات لعمر بتعلم العربية ورواية الشعر والتأديب على اللحن : كتب إلى أبي موسى الأشعري : (مُرْ مَن قِبَلَك بتعلم العربية فإنها تدلُّ على صواب الكلام ، ومُرْهُم برواية الشعر فإنه يدل على معالي الأخلاق)[٢] .

وقال عمر : (عليكم بديوانِكم لا تَضلُّوا ، فقال له سامعوه : وما ديوانُنا؟ قال : شعرُ الجاهلية؛ فإن فيه تفسيرَ كتابكم ومعاني كلامكم)[٣] .

---

(١) إعلام الموقعين : ١/ ١٢ .

(٢) كنز العمال : ١/ ٣٠٠؛ عصر الخلافة الراشدة، ص ٣١٣ ـ ٣١٤؛ الأدب الإسلامي ، ص ١٧٠ .

(٣) المعجم الكبير ، للطبراني : ٧/ ١٢٩ ؛ الأدب الإسلامي، ص ١٧١ .

وكَتب إلى أبي موسى الأشعري: (إن كاتبك الذي كَتب إليَّ لَحَن، فاضرِبْه سَوْطاً!)[1].

٥ ـ وأما علم التاريخ فقد انصبَّت العناية على **السيرة النبوية ومغازي رسول الله ﷺ**؛ يقول إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص: (كان أَبي يعلِّمنا مغازي رسول الله ﷺ، ويَعدُّها علينا، وسَراياه، ويقول: يا بَنيَّ، هذه مآثِرُ آبائكم، فلا تضيِّعوا ذِكرها).

ويقول زين العابدين علي بن الحُسين: (كنَّا نُعَلَّم مغازي رسول الله ﷺ وسَراياهُ كما نُعَلَّم السورةَ من القرآن)[2].

٦ ـ وثَمَّة علوم أخرى انتشرت في ذلك العهد، وظهر اعتناء أمير المؤمنين بها، منها **الأنساب**:

فقد كلَّف عمر ثلاثةً من نسَّابي قريش وهم: عَقيل بن أبي طالب ومَخْرمة بن نوفل وجُبير بن مطعم عملَ جدول بالأنساب، وذلك عندما دوَّنَ الدواوين[3].

وكذلك **الشعر**: وقد كان في عهد عمر زاهراً، وكان الفاروق كثيرَ العناية به، والتشجيع عليه، لكنه ضَبطَ مشاربَه وميادينَه، وشدَّد على

---

(١) تقدم: ص ٣٢٧ في هذا الكتاب، وانظر: الجامع لأخلاق الراوي (١٠٧٣)؛ مجموعة الوثائق السياسية، ص ٥٢١.
(٢) الجامع لأخلاق الراوي (١٦٤٨، ١٦٤٩).
(٣) طبقات ابن سعد: ٣/ ٢٩٥ ـ ٢٩٩؛ عصر الخلافة الراشدة، ص ٣١٦.

تجنُّب المجون فيه وامتداح الخمر وهجاء الناس ونحو ذلك مما يَقْبُح[1].

وعني عمر بطرق أخرى لنشر العلوم الإسلامية:

ـ عندما فُتحت البلدان ومُصِّرت الأمصار، عيَّن عليها الولاة من الصحابة، وجعل من أولى مهماتهم وواجباتهم تعليمَ الناس الكتاب والسنة.

ـ وبعث إلى البوادي مَن يعلِّم الناسَ القرآن في منازلهم[2].

ـ وكان إذا اجتمع إليه جيش، بعث عليهم رجلاً من أهل العلم والفقه، ليعلِّم الجند أمور دينهم، وما قد يَعرِض لهم من الأمور والأحكام[3].

وسَنّ قوانين بشأن العلم وناشريه:

ـ فرض الرواتب والعطاء من بيت المال للمعلمين والمفتين والذين يعلِّمون الأطفال، ومن ذلك أنه كان بالمدينة ثلاثة معلمين يعلمون الصبيان، وقد عيَّن لهم عمر خمسة عشر درهماً كل شهر[4].

ـ إنشاء المساجد التي قامت بدور كبير في نشر علوم الإسلام، وقد ذكرنا أنه بلغ عددها في الدولة آنذاك (١٢٠٠٠) منبر!.

---

(١) انظر ما تقدم: ص ١٦٠ ـ ١٦٤ في هذا الكتاب.

(٢) عصر الخلافة الراشدة، ص ٢٩٦.

(٣) عمر بن الخطاب، للدكتور علي الصلابي، ص ٢٤٧.

(٤) السنن الكبرى، للبيهقي: ٦/ ١٢٤.

ـ أمر ببناء المكاتب (الكتاتيب) وفصلها عن المساجد ، وأقام عليها الرجال لتعليم الصبيان.

ـ صرف المكافآت المالية التشجيعية والجوائز للمتفوقين وحفظة القرآن ، ومن ذلك ما جاء في كتابه إلى سعد بن أبي وقاص بإعطاء هؤلاء من بيت المال[(١)].

ثانياً: مدارس العلم ومناراته الكبرى:

١ ـ مدرسة المدينة المنورة:

هي أهم مراكز الحركة العلمية والفكرية في عصر النبوة والخلافة الراشدة ، فهي دار السنَّة ومجتمع الصحابة ومنها انبعث العلم وانتشر العلماء إلى كافة الأمصار.

وفيها شاع ثم انتشر علمُ الخلفاء الأربعة وكبار علماء الصحابة من المكثرين في الحديث والفقه والفتوى ، وظهرت آثارها على جميع المدارس في البلدان الإسلامية كلها.

ومن أشهر الشخصيات: **زيد بن ثابت** كاتب الوحي وإمام كتّاب المصحف وأعلم الناس بالفرائض. **وعبد الله بن عُمر** وقد رحل إليه الناس من الأقطار. **وأبو هريرة** أكثر الصحابة رواية للحديث ، وقد أخذ عنه العلم زهاء (٨٠٠) نفس. والسيدة الجليلة **عائشة أم المؤمنين** وكانت تضارع أئمة علماء الصحابة. وجاء بعدهم **الفقهاء السبعة** الذين ملؤوا الأرض علماً.

---

(١) أشهر مشاهير الإسلام: ٢/ ٥٤٠ ـ ٥٤١.

٢ ـ مدرسة مكة المكرمة:

وكان دورها أقلَّ أثراً وشأناً من المدينة ، وبرز أكثر في عصر التابعين. وقد عَظُم دورها لأن مكة مركز ديني وفيها اجتماع العلماء في مواسم الحج.

ويعتبر أبرز معالمها وجود **عبد الله بن عباس** ومدرسته في (التفسير والفقه والحديث واللغة) ، وقد تركَتْ آثارَها الواضحة في جميع المدارس بسببه رضي الله عنه.

ومن مشاهير علمائها: **عبد الله بن عمر** ، وكان يجلس مع ابن عباس يفتون الناس في المواسم.

٣ ـ مدرسة البصرة:

بُنيت البصرة سنة (١٤هـ) ، مصَّرها عُتْبة بن غَزْوان عن أمرِ أمير المؤمنين عمر ، وكانت تنافس الكوفة في مختلِف العلوم.

وقد نزلها أكثر من (١٠٠) صحابي ، من مشاهيرهم: **أبو موسى الأشعري** ، **وعمران بن حُصين** ، **وبُريدة بن الحُصَيْب** ، **وأنس بن مالك** ، **وعتبة بن غزوان**.

وقام هؤلاء الصحابة بنشر علوم الإسلام في أهل البصرة ، وكان الوالي في مقدمة ناشري العلم ، يقول أبو موسى حين قدِم البصرة والياً: (بَعثني إليكم عمر بن الخطاب أعلِّمكم كتاب ربكم وسنتكم)[1].

وحسبك أن تعلم أنه قد بَلَغ عددُ الذين حفِظوا القرآن على

---

(١) سنن الدارمي (٥٦٠).

أبي موسى ثلاثَ مئة وبضعة رجال[1] .

بل إن أمير المؤمنين كان يرسل العلماءَ للأمصار ، ومن ذلك أنه بعث عشرة من الصحابة ليفقِّهوا الناسَ بالبصرة ، منهم : **عبد الله بن مُغَفَّل ، وعمران بن حُصين**[2] .

وقد سرد الإمام المِزِّي أسماءَ الذين حملوا الحديث عن أنس فبَلغوا (٢٣٠) نفساً[3] ! .

٤ ـ مدرسة الكوفة:

مُصِّرَت الكوفة بعد البصرة سنة (١٧هـ) ، مصَّرها سعد بن أبي وقاص عن أمرِ عمر .

نشأت فيها مدرسة ضخمة هي من أبرز مدارس العلم ومناراته في الإسلام ، وكانت تنافس مدرسةَ المدينة وتضاهيها ، وقد نزلها (٣٠٠) صحابي من أصحاب الشجرة وسبعون من أهل بدر ! .

ومن رؤوس هؤلاء : **علي بن أبي طالب ، وابن مسعود ، وسعد بن أبي وقاص ، وحذيفة بن اليمان ، وأبو موسى الأشعري ، وسلمان الفارسي ، والمغيرة بن شعبة ، وعمار بن ياسر** .

وعلى أيدي هؤلاء نشأت أجيال ضخمة من أئمة التابعين في مختلِف علوم الإسلام ، وكان لابن مسعود أكبر الأثر فيها ، وهو صاحب مدرسة مشهورة على مر التاريخ .

---

(١) أعلام الحفاظ والمحدثين : ١/ ٥٧٦ .
(٢) سير أعلام النبلاء : ٢/ ٤٨٤ ؛ طبقات ابن سعد : ٧/ ١٠ ، ١٤ .
(٣) تهذيب الكمال : ٣/ ٣٥٤ ـ ٣٦٢ .

وقد افتخر أمير المؤمنين عمر بالكوفة وأهلها فقال: (هم رمحُ الله، وكنزُ الإيمان، وجمجمةُ العرب، يُجزون ثغورهم ويمدّون الأمصار). وعندما بعث إليهم الصحابي الإمام ابن مسعود، امتنَّ عليهم فقال: (وقد آثرتكم بعبد الله بن مسعود على نفسي)[1].

٥ ـ مدرسة الشام:

وهذه المدرسة كانت كذلك من كبريات مدارس العلم في الإسلام، وكثُرت مدنها التي كانت مصادر لنشر العلم. ونزلها كثير من الصحابة، وقد ترجم ابن سعد في «طبقاته» لـ (١٠٧) أنفس من الصحابة الذين استوطنوا مدن الشام، كدمشق وحمص وفلسطين وسواها، ومن أعلامهم: **أبو عبيدة، وأبو الدرداء، ومعاذ بن جبل، وبلال بن رباح، وعبادة بن الصامت، وخالد بن الوليد، ومعاوية بن أبي سفيان.**

وقد كتب يزيد بن أبي سفيان إلى عمر كتاباً جاء فيه: (إن أهل الشام قد كثروا ورَبَلوا وملؤوا المدائن، واحتاجوا إلى من يعلِّمهم القرآن ويفقِّههم؛ فأَعِنِّي يا أمير المؤمنين برجالٍ يعلِّمونهم)، فأرسَل إليه معاذ بن جبل وعبادة بن الصامت وأبا الدرداء[2].

ومن الصور الرائعة في نشاط هذه المدرسة: ما يرويه عالم الشام سويد بن عبد العزيز فيقول: (كان أبو الدرداء إذا صلى الغَدَاة في جامع دمشق اجتمع الناس للقراءة عليه، فكان يجعلهم عشرةً

---

(١) طبقات ابن سعد: ٦/ ٥، ٨.

(٢) التاريخ الأوسط، للبخاري: ١/ ١٢١؛ طبقات ابن سعد: ٢/ ٣٥٧. رَبَلوا: كَثُروا.

عشرةً ، وعلى كل عشرة عريفاً ، ويقف هو في المحراب يَرْمُقُهم ببصره ، فإذا غَلِط أحدُهم رجَعَ إلى عريفه ، فإذا غَلِط عريفُهم رجع إلى أبي الدرداء يسأله عن ذلك).

وعن سعيد بن عبد العزيز ، عن مسلم بن مِشْكَم: (قال لي أبو الدرداء: اعدُدْ من في مجلسنا ، قال: فجاؤوا ألفاً وست مئة ونيِّفاً. فكانوا يقرؤون ويتسابقون عشرة عشرة ، فإذا صلى الصبح انفتَل وقرأ جزءاً ، فيُحْدِقون به يسمعون ألفاظه)[1].

٦ ـ مدرسة مصر:

كان في الجيش الذي فتح مصر طائفة من جِلَّة الصحابة وعلمائهم ، وقد نشروا علوم الإسلام هناك ، ومن أشهرهم: **عبد الله بن عمر** ، **وعبد الله بن عمرو** ، **وعقبة بن عامر**.

وكان عقبة مقرئاً محدِّثاً فقيهاً شاعراً كاتباً ، روى عنه أهل مصر حديثاً كثيراً ، مثلما روى أهل الكوفة عن ابن مسعود[2]. وبث ابن عمر بمصر حديثاً كثيراً ، وحمل عنه أكثر من أربعين نفساً[3].

* * *

---

(١) سير أعلام النبلاء: ٢/ ٣٤٦؛ أعلام الحفاظ والمحدثين: ١/ ٣٨٧؛ عصر الخلافة الراشدة، ص ٢٩٨.

(٢) أعلام الحفاظ والمحدثين: ٢/ ٢٩١.

(٣) المرجع السابق: ٣/ ٥٧.

المبحث الثالث

المؤسسة المالية (وزارات المالية والتجارة والاقتصاد)

أولاً: أركان السياسة المالية:

تعتبر المؤسسة المالية في (الخلافة العمرية) من أبرز أركان الدولة في مصادرها ومصارفها ودقة نظامها وطُهر مسيرتها وشمول عطائها وحيوية مبادئها ورحمة أهدافها وسموٍّ غاياتها ، وهي تضاهي حركة الفتوحات في غناها واتساعها وعموم آثارها .

وسياسة عمر في هذه (المؤسسة العملاقة) مذهلة مدهشة لم يَجُدْ تاريخ الإنسانية بمثلها ، وقد أتى في هذا الباب بما يُعَدّ آيةً من آيات الله تعالى ، وتصرَّف في تلك الأموال التي وقعت تحت يده تصرفاً عبقريّاً لن يلحقه فيه أحد .

وهذا المبحث جدير بأن يُفرد في كتاب مستقل .

١ ـ توسُّع الموارد المالية:

●● لقد توسعت الموارد المالية من زكوات وصدقات وفَيْء وخَراج وعُشور وغنائم ، وتدفقت الأموال والكنوز وخيرات الأراضي المفتوحة وفاضت من العراق وفارس والشام والبحرين واليمن ومصر ، وترادفت سيولها الدفاعة وصَبَّت في خزائن المسلمين ، فقام القوي الأمين أمير المؤمنين وحوَّلها من حوله إلى أقاصي البلاد من حَضَر ومَدَرٍ ، ووضعها حيث أمر الله تعالى أن توضع .

٢ ـ العمل بهدي النبي ﷺ في إدارة الأموال:

●● وعمل بهدي النبي ﷺ وأبي بكر في تلك الأموال الهائلة:

عن عبد الله بن عمر: (أن رسول الله ﷺ كَتب كتابَ الصدقة، فلم يُخْرِجْه إلى عمّاله حتى قُبِض، فقَرَنه بسيفِه، فلما قُبض عَمِل به أبو بكر حتى قُبض، وعمر حتى قبض) الحديث[١].

٣ ـ تطوير النظام المالي:

●● وقام عمر بتطوير النظام المالي في الدولة؛ سواء في الموارد أو المصارف أو ترتيب حقوق الناس، من خلال العطاء ونظام الدواوين. واجتهد في القضايا وفق مقاصد الشريعة التي وُضِعت لمصالح العباد، معتمداً في هذا على نُخبة من ذوي الرأي وأهل الاجتهاد ومجلس الشورى.

والدراسة الفاحصة المدققة لسياسة عمر في تلك الأموال؛ توضح النظام البارع والتطوير الفذ الذي تحقق في عهده، وإن أحدَثَ الأساليب وأدق النظريات الاقتصادية في عصرنا، والتي تعنى برسم السياسة المصرفية للدولة، لا يمكن أن ترتفع إلى هذا المستوى المحكَم في ضبط مصارف المال الذي تفتّقت عنه عبقرية عمر، حيث وضع كل درهم منه موضعه الذي يَسدُّ به خللاً، أو يُشبع به جائعاً، أو يكسو به عارياً، أو يجهِّز به غازياً، أو يُعدّ به جيشاً، أو يحمي به ثغراً، أو يؤمِّن به

---

(١) أخرجه أبو داود (١٥٦٨)؛ والترمذي (٦٢٦) وحسنه، وصححه الألباني وشعيب الأرنؤوط.

مصالح المسلمين في الأجيال القادمة[1].

والعجبُ منَّا لا ينقضي عندما نعلم أن ذلك (النظام المالي العبقري) نشأ وتكامل في بيئة الصحراء وفي الأمة التي عاشت حياة البادية ، والتي لم تسمح طبيعتها إلا بالقليل الذي يُمسك الرَّمَق أو يكاد! ولم يَعِشْ الخليفة في الحواضر الكبرى ، ولا درس الأنظمة الاقتصادية في الدول السالفة! .

٤ ـ الحرص على تداول الأموال وتشغيلها:

●● ومن ركائز سياسة عمر المالية: حرصه على تداول الأموال وتشغيلها؛ لئلا تذهب بها الزكاة مع تعاقب الأعوام[2].

كان عنده مال ليتيم ، فأعطاه للحَكَم بن أبي العاص الثقفي ليتَّجِر به[3] ، وعندما صار الربح وفيراً ـ من عشرة آلاف درهم إلى مئة ألف درهم ـ شكَّ عمر في طريقة الكسب ، ولمَّا عَلِم أن التاجر استغل صلة اليتيم بعمر رفض جميع الربح واستردَّ رأسَ المال حيث اعتبر الربح خبيثاً[4]. فهو يعمل بمبدأ فرضه على ولاته وهو رفض استغلال مواقع المسؤولية في الدولة[5].

---

(١) انظر: عمر بن الخطاب، لعبد الكريم الخطيب، ص ٢٤٤.
(٢) الأموال، لأبي عبيد (١٣٠١، ١٣٠٢).
(٣) الأموال، لابن زنجويه: ٣/ ٩٩٠، وإسناده صحيح.
(٤) مصنف عبد الرزاق (٦٩٨٧)؛ الأموال ، لأبي عبيد (١٣٠٣) والأثر صحيح.
(٥) عصر الخلافة الراشدة، ص ٢١٤.

٥ ـ توفير مورد ثابت للرعية:

●● ومن المبادئ العبقرية في سياسته المالية: توفير مورد ثابت للرعية واستمراره للأجيال القادمة: وتجلى ذلك في موقفه من (الأرض المفتوحة) وعدم قسمتها على المجاهدين، وقال في ذلك كلمته العبقرية: (لولا آخِرُ المسلمين ما فَتحتُ قريةً إلا قَسَمْتُها بين أهلها كما قسمَ النبي ﷺ خيبرَ). وفي رواية: (أَمَا والذي نفسي بيدِه، لولا أن أَتْرُكَ آخِرَ الناس بَبَّاناً ليس لهم شيءٌ، ما فُتِحتْ عليَّ قريةٌ إلا قسَمْتُها كما قَسَم النبي ﷺ خيبر، ولكنِّي أتركُها خِزانةً لهم يقتسِمونها)[١].

البَبَّان: المُعْدَم الذي لا شيءَ له. **أتركها خِزانة لهم يقتسمونها**: أي يقتسمون خَراجها.

والأرض التي أبقاها عمر بغير قسمة ذهب الجمهور إلى أنه وَقَفَها لنوائب المسلمين، وأجرى فيها الخَراج، ومنَعَ بيعَها[٢]. فوثب عقلُه إلى المستقبل (وثبة عمرية)! ونظر لصالح الأجيال القادمة، فأَمَّنَ لهم رغد العيش لينعموا كما نَعِم أسلافهم من الفاتحين.

٦ ـ المال أمانة:

●● ومن الأسس في النظام المالي: أن المال أمانة في عنق أمير المؤمنين والولاة وخزنة بيت المال وكل القائمين على شؤونه. والصراطُ الذي يمشون عليه هو قولُ عمر: (والله ما كنتُ أَرى هذا المال يَحلُّ لي

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٢٥)، (٤٢٣٥).

(٢) الفتح: ٧/ ٧٠٠ شرح الحديث (٣١٢٥).

من قبلِ أن أَلِيَهُ إلا بحقِّه ، وما كان قطُّ أحرمَ عليَّ منه إذْ وَليتُه فعادَ أمانتي!)[1] .

٧ ـ تجنب كرائم أموال الناس:

●● وسَنَّ للمُصَدِّقين وأشباهِهم مبدأ رفيعاً فأمرهم أن لا يأخذوا كرائم أموال الناس؛ من ذلك ما روته عائشة أم المؤمنين قالت: (مرَّ عمر بن الخطاب بغَنمٍ من الصدقة ، فرأى فيها شاة حافلاً ذاتَ ضَرْع عظيم ، فقال عمر: ما هذه الشاة؟! فقالوا: شاة من الصدقة ، فقال عمر: ما أَعطى هذه أهلُها وهم طائعون ، لا تفتِنوا الناس ، لا تأخذوا حَزَراتِ المسلمين ، نكِّبوا عن الطعام)[2] .

٨ ـ تقديم الفقراء على الأغنياء:

●● وكان يعطي الأولوية والتقديم للفقراء والمقلين ، ويقدمهم على الأغنياء ، ومن أدلة ذلك قوله لعامله على الحمى: (يا هُنَيّ. . . أَدْخِل ربَّ الصُّرَيْمة ورَبَّ الغُنَيْمة ، وإيايَ ونَعَمَ ابنِ عوف ونَعَمَ ابن عفَّان!)[3] .

ثانياً: المحافظة على أموال الأمة:

بلغ عمر في محافظته على (المال العام) شأواً لا يُلحق ، وضَرب المثل الأعلى لكل مسؤول عن أموال الناس ، وأقامَ الحجة على المتخبِّطين في (أموال الأمة) والنهَّابين لها! .

---

(١) تقدم: ص ٣٠٨ ـ ٣٠٩ حاشية (١) في هذا الكتاب.

(٢) أخرجه مالك: ١/ ٢٦٧ ، وإسناده صحيح. **حزرات المسلمين**: خيار أموالهم. **نكبوا عن الطعام**: أي ذوات الدرِّ.

(٣) تقدم بتمامه: ص ٣١٦ في هذا الكتاب.

ـ عن علي بن أبي طالب قال:

(رأيتُ عمر بن الخطاب على قَتَب يعدو، فقلت: يا أمير المؤمنين! أين تذهب؟ قال: بعيرٌ نَدّ من إبل الصدقة أطلبه! فقلت: لقد أذللتَ الخلفاء بعدك! فقال: يا أبا الحسن! لا تَلُمْني فوالذي بعث محمداً بالنبوة لو أن عَنَاقاً أُخِذت بشاطئ الفرات لأُخذ بها عمر يوم القيامة!)[1].

ـ وقال مولى لعثمان بن عفان:

(بينا أنا مع عثمان في مالٍ بالعالية في يوم صائف، إذ رأى رجلاً يسوق بَكْرين، وعلى الأرض مثلُ الفراش من الحرّ، فقال: ما على هذا لو أقام بالمدينة حتى يُبرِد، ثم يروح! ثم دنا الرجل، فقال: انظر من هذا؟ فنظرت فقلتُ: أرى رجلاً معمَّماً بردائه يسوق بكرين، ثم دنا الرجل، فقال: انظر، فنظرت فإذا عمر بن الخطاب، فقلت: هذا أمير المؤمنين! فقام عثمان فأخرج رأسه من الباب فآذاه لفحُ السَّمُوم، فأعاد رأسَه حتى حاذاه، فقال: ما أخرجك هذه الساعة؟ فقال: بكران من إبل الصدقة تخلَّفا، وقد مُضي بإبل الصدقة، فأردتُ أن أُلحِقهما بالحِمى، وخشيتُ أن يضيعا فيسألَني الله عنهما! فقال عثمان: يا أمير المؤمنين! هَلُمَّ إلى الماء والظلِّ ونكفيك، فقال: عُدْ إلى ظِلِّك، فقلت: عندنا من يكفيك، فقال: عُدْ إلى ظلك، ومضى. فقال عثمان: مَن أحبَّ أن ينظر إلى القوي الأمين فلينظر إلى هذا. وعاد إلينا فألقى نفسه)[2].

---

(١) مناقب عمر، لابن الجوزي، ص ١٦١؛ محض الصواب: ٢/ ٦٢١.

(٢) مختصر ابن عساكر: ١٨/ ٣١٨، أسد الغابة: ٤/ ٧١؛ محض الصواب: ٢/ ٦٣٣ ـ ٦٣٤، وبأخصر منه في تاريخ الطبري: ٤/ ٢٠١.

ـ وعن الفَضْل بن عَميرة: (أن الأَحنف بن قيس قدِم على عمر بن الخطاب في وفد من العراق ، فقدِمُوا عليه في يوم صائف شديد الحرِّ ، وهو مُعتجِرٌ بعباءة يَهْنَأُ بعيراً من إبل الصدقة ، فقال: يا أحنف! ضَعْ ثيابك وهَلُمَّ فأعِنْ أمير المؤمنين على هذا البعير؛ فإنه من إبل الصدقة ، فيه حق اليتيم والأرملة والمسكين! فقال رجل من القوم: يغفر الله لك يا أمير المؤمنين ، فهلاَّ تأمر عبداً من عبيد الصدقة فيكفيك؟ فقال عمر: وأيُّ عبدٍ هو أعبدُ مني ومن الأحنف؟! إنه من ولي أمر المسلمين يجب عليه لهم ما يجب على العبد لسيده في النصيحة وأداء الأمانة)[1].

ـ وجاء عنه من طرق أنه قال: (لو مات جملٌ ضياعاً بشاطئ الفرات؛ لخشيتُ أن يسألني الله عنه)[2].

والشواهد في هذا كثيرة[3].

ثالثاً: المسؤولون والموظفون على بيت المال والخزائن ونحوها:

في كثير من الحالات كان الولاة مسؤولين عن بيت المال في أمصارهم ، لكن مع استمرار الفتوحات وتوسع الدولة وتدفق الأموال وكثرة الخزائن ـ عمد الخليفة إلى تخصيص موظفين وأمناء ومشرفين مهمتهم القيام على بيوت المال والخزائن وتدبير شؤونها وإحصاء الوارد إليها والصادر منها ، فلا يُفَرَّط بشيء ولا يَضيع حق.

---

(١) مناقب عمر ، لابن الجوزي، ص ٧٣؛ محض الصواب: ١/ ٣٦٦. **معتجر:** متعمم. **يهنأ:** يطليه بالقطران.

(٢) طبقات ابن سعد: ٣/ ٣٠٥؛ مصنف ابن أبي شيبة: ٨/ ١٥٣، الحلية: ١/ ٥٣.

(٣) انظر ما قدمناه: ص ٢٩٣ ـ ٣٠٥ في هذا الكتاب.

مسؤولو الزكاة والصدقات: أنس بن مالك، حارثة بن مُضَرِّب العبدي، عبد الله بن الساعدي، سَهْل بن أبي حَثْمة، سعيد بن أبي ذُباب على السَّراة، مَسْلَمة بن مُخَلَّد الأنصاري، معاذ بن جبل على بني كلاب، سعد الأعرج على اليمن، سفيان بن عبد الله الثقفي، كان والياً على اليمن وكان يجبي زكاتها[1].

ومن أشهر الموظفين على (الجزية والخراج): حذيفة بن اليمان، وعثمان بن حُنيف، وسعيد بن عامر بن حِذْيَم[2]، وولاة الأمصار: كعمرو بن العاص، ومعاوية بن أبي سفيان.

والعشارون الذين يأخذون ضريبة (العُشر) من تجار أهل الذمة، ومن هؤلاء: زياد بن حُدير، والسائب بن يزيد، وعبد الله بن عتبة بن مسعود، وعثمان بن حُنيف[3].

وممن تولى إدارة بيت المال: عبد الرحمن بن عبدٍ القاريُّ، وعبد الله ابن الأرقم، ومُعَيْقيب بن أبي فاطمة. وكان أنس على بيت المال بالبصرة، وابن مسعود على بيت مال الكوفة. في حين استمر عدد من الولاة أمناءَ على بيت المال والخَراج في عدة أقاليم، مثل: شُرَحْبيل بن حَسَنة في الأردن، ومعاوية في الشام، وعمرو بن العاص في مصر[4].

---

(١) عصر الخلافة الراشدة، ص ٢١٥ ـ ٢١٦.
(٢) البخاري (٣٧٠)؛ الأموال، لأبي عبيد (١١٥، ١٣٤).
(٣) موطأ مالك: ١/ ٢٨١؛ مصنف ابن أبي شيبة: ٣/٨٨ ـ ٨٩؛ عصر الخلافة الراشدة، ص ٢١٧ ـ ٢١٨.
(٤) عصر الخلافة الراشدة، ص ١١٨، ٢٣٠؛ الولاية على البلدان، ص ٤٤١ ـ ٤٤٢.

رابعاً: الدستور العريض (طهارة المال ولكل فيه حق):

هيمنت سيرة الفاروق الطاهرة وسيطر ورعه الفذ على جميع مؤسسات الدولة لا سيما أخطرها وهو المال... وكانت (اللافتة العريضة) التي وضعت على أبواب بيوت المال وخزائنه: المال هو مال الأمة، ولكل إنسان ـ بل للبهائم ـ فيه حق، يأخذه ولو كان بأقاصي البلاد ورؤوس الجبال.

ـ قال في أول خطبه وهو يستقبل الخلافة: (ولكم عليَّ أيها الناس خِصالٌ أذكُرها لكم فَخُذوني بها: لكم عليَّ أن لا أجتبي شيئاً من خَراجكم ولا مما أفاءَ الله عليكم إلا من وجهه. ولكم عليَّ إذا وقع في يدي ألا يَخرج مني إلا من حقِّه)[1].

ـ وعن أبي سلَمة: (عن أبي هريرة: أنه قدِمَ على عمر من البحرين، قال أبو هريرة: فلقيتُه في صلاة العشاء الآخرة فسلَّمتُ عليه، فسألني عن الناس، ثم قال لي: ماذا جئتَ به؟ قلت: جئتُ بخمس مئة ألف درهم، قال: هل تدري ما تقول؟ قلت: جئتُ بخمس مئة ألف درهم! قال: ماذا تقول؟ قلت: مئة ألف، مئة ألف، مئة ألف، مئة ألف، مئة ألف، حتى عددتُ خمساً. قال: إنك ناعس، فارجع إلى أهلك فنَمْ، فإذا أصبحتَ فأْتِني! قال أبو هريرة: فغدوتُ إليه، فقال: ماذا جئتَ به؟ قلت: جئتُ بخمس مئة ألف درهم، قال عمر: أَطيِّبٌ؟! قلت: نعم، لا أعلم إلا ذلك)[2].

---

(١) انظر ما تقدم: ص ٢٨٤ ـ ٢٨٦ في هذا الكتاب.
(٢) أخرجه ابن سعد: ٣/ ٣٠٠، وابن أبي شيبة: ٧/ ٦١٣، وإسناده صحيح.

ـ وجاءه عمال الجزية بمالٍ كثير ، فقال لهم : (إني لأظنكم قد أهلكتُم الناس! قالوا: لا والله ما أخذنا إلا عَفْواً صفواً ، قال: بلا سَوْط ولا نَوْط ، قالوا: نعم)[1].

ـ وزاد الجزية على أهل العراق بعد أن سأل عامله عثمان بن حُنيف عن قدرتهم المالية ، وتأكد من عدم الإضرار بهم ، فقال لعثمان بن حنيف : (لئن زدتَ على كل رأس درهمين ، وعلى كل جَريب من الأرض درهماً وقَفيزاً من طعام؛ لا يَضرُّهم ذلك ولا يُجهدهم؟ قال: نعم. قال: فكان على كل رأس ثمانية وأربعون فجعلها خمسين)[2].

ـ وكان يأمر الولاة أن يرسِلوا مع الخَراج أناساً من أهل البلد ليتأكد عمر من عدم وقوع الظلم ، فكان يَخرج إليه مع خراج الكوفة عشرة من أهلها ، ومع خراج البصرة مثلهم ، فإذا حضروا أمامه شهدوا بالله أنه مال طيِّب ، ما فيه ظلم مسلم ولا معاهَد[3].

ـ وعن مالك بن أوس بن الحَدَثان قال: (كان عمر يَحلف على أيمانٍ ثلاثٍ؛ يقول: والله ما أحدٌ أحَقَّ بهذا المال من أحدٍ ، وما أنا بأحقَّ به من أحدٍ ، والله ما من المسلمين أحدٌ إلا وله في هذا المال نصيبٌ إلا عبداً مملوكاً ، وكلّنا على منازلنا من كتاب الله تعالى وقَسْمنا من رسول الله ﷺ ، فالرجلُ وبلاؤه في الإسلام ، والرجل وقَدَمُه في

(١) تقدم: ص ٣٨٤ في هذا الكتاب.
(٢) مصنف ابن أبي شيبة: ٧/ ٥٩٢؛ الأموال ، لأبي عبيد (١٨١)؛ عصر الخلافة الراشدة، ص ١٨٦ . **الجريب** = ١٣٦٦ متر مربع. **القفيز** = ٢٦,١١٢ كيلو جرام.
(٣) انظر ما تقدم: ص ٣٧٥ حاشية (٢) في هذا الكتاب.

الإسلام ، والرجل وغَناؤه في الإسلام ، والرجل وحاجتُه. ووالله لئن بقيتُ لهم ليأتينَّ الراعيَ بجبل صنعاء حظُّه من هذا المال وهو يَرْعى مكانَه)[1].

خامساً: الموارد المالية:

١ ـ الزكاة:

سار عمر على نهج النبي ﷺ وأبي بكر في إرسال المُصَدِّقين لجمع الزكاة من أرجاء الدولة ، وقد أسلمَ الكثير من أهل البلدان المفتوحة ، ونمت رؤوس أموال المسلمين بسبب مكاسب الفتح والتجارة ، مما أدى إلى زيادة عظيمة في مقادير الزكاة. ولم يكن موعدُ جباية الزكاة متفقاً مع موعد دفع العطاء ، إذ لا يَحول الحَوْل على أموال الرعية في وقت العطاء ، لذلك لم تكن الدولة تأخذ الزكاة من العطاء.

وكان العدل في الجباية ظاهراً دون الإخلال بحقوق بيت المال ، فعندما سأل سفيان بن عبد الله الثقفي ـ وكان مُصَدِّقاً ـ عمرَ: كيف يأخذ زكاة الغنم؟ دَلَّه على أخذ الغنم المتوسطة دون سِخالها ولا خيارها[2]. وقد أنكر عمر على عاملِ الصدقة إذ أخذ شاة عظيمة الضَّرْع كثيرة اللبن وقال: (ما أعطى هذه أهلُها وهم طائعون ، لا تفتِنوا الناس!)[3].

ـ وقد توسعت ملكية الرقيق والخيل في أيدي المسلمين ، فاقترح

---

(١) أخرجه أحمد (٢٩٢)؛ وأبو داود (٢٩٥٠)، وغيرهما، وصححه أحمد شاكر.

(٢) الأموال ، لأبي عبيد (١١٣٠)، ولابن زنجويه: ٣/ ٩٢٠؛ مصنف عبد الرزاق (٦٨٠٦ ، ٦٨١٦)؛ عصر الخلافة الراشدة، ص ٢١٢.

(٣) تقدم: ص ٤١٨ في هذا الكتاب.

الصحابة فرض الزكاة على الرقيق والخيل[١] ، فعَدَّ عمر الرقيق والخيلَ من أموال التجارة ، وفرض على الرقيق الصبيان والكبار عشرةَ دراهم ، وعلى الخيل العربية عشرة دراهم ، وعلى البراذين ـ الخيل غير العربية ـ خمسة دراهم ، ولم يفرض زكاة على رقيق الخدمة والخيل المعدة للجهاد[٢] .

ـ وأخذ من الرِّكَاز ـ المال المدفون ـ الخمس[٣] .

ـ وأخذ زكاة الزروع العشر فيما سقَتْه الأمطار والأنهار ، ونصف العشر فيما سُقي بالآلة[٤] .

ـ وأخذ زكاة عُشرية من العسل إذا حمت الدولة وادي النحل لمستثمره[٥] .

ـ وقد كَثُرت الحِنْطة في خلافته، فسمح بإخراج زكاة الفطر من الحنطة بنصف وزن ما كانوا يؤدونه قبل خلافته من الشعير أو التمر أو الزبيب[٦] .

٢ ـ الجزية:

الجزية هي مقدار من المال يُفرض على أهل الكتاب الذين يعيشون في المجتمع الإسلامي كاليهود والنصارى ومن يُلحق بهم ممن لهم

---

(١) موطأ مالك: ١/ ٢٧٧؛ مسند أحمد (٨٢)؛ الأموال ، لأبي عبيد (١٣٦٥و ١٣٦٦)، وإسناده صحيح.

(٢) عصر الخلافة الراشدة، ص ٢١٣ .

(٣) مصنف ابن أبي شيبة: ٣/ ١١٣ ؛ مصنف عبد الرزاق (٩٤٤٧).

(٤) مصنف عبد الرزاق (٧٢٣٥)؛ عصر الخلافة الراشدة ، ص ٢١٤ .

(٥) أخرجه أبو داود (١٦٠٠) ، وغيره.

(٦) أخرجه أبو داود (١٦١٤) ، وغيره.

شبهة كتاب كالمجوس. وتؤخذ من البالغين من الرجال دون النساء والأطفال.

وتتسم سياسة عمر في فرض الجزية بالعدل والتسامح ومراعاة أحوال الناس، فقد أعفَى منها النساء والصبيان غير البالغين، والرجال غير القادرين، وزاد الجزية على أهل الشام أكثر من أهل اليمن مراعياً غنى بلاد الشام بالنسبة لليمن[1].

وتَسقط الجزية عن دافعها في حال إسلامه، كما تسقط في حال عجزه لأنه لا يُكلَّف ما لا يطيق، كذلك فإن دافع الجزية لا يدفع الزكاة من أمواله لأن الزكاة فريضة دينية وفي أدائها معنى تعبدي. كما أن دافع الجزية لا يشترك في الجيش الإسلامي[2].

وكانت عوائد الجزية على بيت المال ضخمة، ومع أنها لا تُعرف على وجه الدقة، فقد رويت تقديراتٌ عن بعض المناطق تدل على ضخامة واردات الجزية. يذكر الفقيه أبو يوسف أن جباية منطقة السواد (جنوب العراق) من الجزية والخراج بلغت في خلافة عمر: مئة ألف ألف (أي مئة مليون درهم)، وذكر غيره أنها بلغت (١٢٠ مليون درهم) أو (١٢٨ مليون درهم)، ولعل هذا كان في سنين مختلفة[3].

---

(١) مصنف عبد الرزاق (١٠٠٩٠، ١٠٠٩٤ ـ ١٠٠٩٦)؛ عصر الخلافة الراشدة، ص ١٨٥ ـ ١٨٦.

(٢) الأموال، لأبي عبيد (١٢٢)؛ مصنف عبد الرزاق (١٠١١١)؛ عصر الخلافة الراشدة، ص ١٨٧.

(٣) طبقات ابن سعد: ٣/ ٢٨٢؛ عصر الخلافة الراشدة، ص ١٩٣.

٣ ـ الغنائم:

الغنائم هي ما غَلَب عليه المسلمون من أموال أهل الحرب حتى يأخذوه عَنْوة. فلا يدخل فيها (الفَيْء) وهو ما أُخِذ من أموال أهل الحرب دون قتال[١].

وقد توسعت الفتوحات أيام عمر ، وفُتحت الشام والعراق ومصر وقسم كبير من بلاد فارس ، وفُتحت مدائن عظيمة ، وكثُرت الغنائم جدّاً ، لِما كانت تتمتع به تلك البلاد من ازدهار اقتصادي وثراء ، وما كان عليه الأكاسرة والقياصرة وكبار القوم من ترفٍ مذهل ، وما احتوته خزائن ملكهم من كنوز الذهب والفضة واللآلئ والجواهر والتحف.

ومن أمثلة ذلك ما يذكره ابن كثير أن المسلمين لمَّا فتحوا (المدائن) كان في خزائن كسرى (ثلاثة آلاف ألف ألف ألف ـ ثلاث مرات ـ دينار) أي (ثلاثة ترليونات!). وكان في جملة ما استحوذ عليه المسلمون: تاج كسرى وهو مكلَّل بالجواهر النفيسة ، ومِنْطَقته وسيفُه وسِوَاره وقَبَاؤه ، وبساط إيوانه ومساحته (٣٦٠٠ ذراع مربعة) أرضُه مفروشة بالذهب وموشى بالفُصوص وفيه رسوم ثمار بالجواهر ، وورقها بالحرير ، وفيه رسوم للماء الجاري بالذهب! وعندما غَنِمه المسلمون بِيعت قطعة صغيرة منه بعشرين ألف درهم[٢].

---

(١) الخراج ، لأبي يوسف، ص ١٩ ؛ الأموال ، لأبي عبيد (٧٦٣)؛ عصر الخلافة الراشدة، ص ٢٠٢.

(٢) تاريخ الطبري: ٤/ ٢١ ـ ٢٢ ؛ البداية والنهاية: ٧/ ٦٦ ؛ محض الصواب: ٢/ ٤٩٩ ـ ٥٠٠.

وكانت غنائم وقعة (جَلُولاء) ثلاثين ألف ألف (ثلاثين مليون درهم)[1].

وخُمس هذه الغنائم تصبُّ في خزينة الدولة.

ويصوِّر ابن عباس طرفاً من ضخامة تلك الأموال فيقول: (دخلنا على عمر وبين يديه صُبَرٌ ـ أكوام ـ من مال، على كل صُبْرة منها غطاء!). ويقول: (دعاني عمر بن الخطاب، فأتيتُه فإذا بين يديه نِطْع ـ بِساط ـ عليه الذهب منثور حَثّاً)[2].

٤ ـ الفيء:

الفيء هو ما أُخِذ من العدوِّ صُلحاً بلا حرب ولا قتال.

وهو حق للمسلمين جميعاً غنيهم وفقيرهم، فيكون منه الإنفاق على مرافق الدولة، ورواتب الجند والموظفين[3].

٥ ـ الخَراج:

الخراج ضريبة على الأراضي التي فتحها المسلمون عَنْوة، وأوقفها الإمام لمصالح المسلمين على الدوام[4].

وهو بخلاف الجزية المفروضة على الأفراد، لا يَسقط بإسلام صاحب

---

(١) البداية والنهاية: ٧/ ٧٠؛ محض الصواب: ٢/ ٦٢٧.

(٢) سيأتي تفصيلها: ص ٤٤٦ في هذا الكتاب.

(٣) أخبار عمر، ص ١٠٠ ـ ١٠١.

(٤) الخراج، لأبي يوسف، ص ٢٤ ـ ٢٥.

الحق في استثمار الأرض ، سواء كان رجلاً أو امرأة ، عبداً أو حرّاً[1].

والمعروف أن الغنائم التي تتمخض عنها الفتوحات من أموال وأراض يكون للدولة خمسها وللمجاهدين أربعة أخماس.

أ ـ كيف عالج الفاروق مشكلة سواد العراق:

وعندما فتح (سواد العراق) حدثت بشأن توزيعه مشكلة كبيرة بين عمر وكثير من الصحابة ، فرأى الفاروق أن مِثل هذا الفتح لا يكون كل يوم ، ولو أن هذه الأراضي الزراعية والمدن بما عليها قُسمت بين الفاتحين؛ لم يتبقَّ لمن يأتي بعدهم شيء ، ولم يكن لبيت المال مورد يُنفَق منه على الجيوش والحصون والثغور وغيرها.

فرأى عمر أن تُوقف الأرض المفتوحة عَنوة ، ويَضرب عليها خراجاً يدوم نفعه للمسلمين[2].

والفاتحون يخالفونه الرأي ، ويَعدُّون كل البلاد التي يفتحونها بما فيها غنيمةً لهم.

وطال الجدال بينهم وبين أمير المؤمنين ، وكان أشد المخالفين له: بلال بن رباح والزبير بن العوام.

ولم يكن بين يدي عمر نص قرآني أو حديث نبوي أو سابقة من الخليفة قبله؛ يقيم من أي منها حجته على مخالفيه. وبقي عمر أياماً على رأيه ، والمخالفون له على رأيهم ، **حتى فتح الله على عمر بما يقيم به حجته على**

---

(١) الأموال ، لأبي عبيد ، ص ٧٨؛ عصر الخلافة الراشدة، ص ١٩٨ ـ ١٩٩.

(٢) الفتح: ٦/ ٤٣١ شرح الحديث (٢٣٣٤)؛ عمر بن الخطاب ، لعبد الكريم الخطيب، ص ٢٨٩.

مخالفيه ، وذلك بما وجد في كتاب الله ، فطلع على المخالفين فقال لهم : إني وجدت في كتاب الله حكماً وحجة ! :

قال الله تعالى : ﴿ وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الحشر: ٦] ، حتى فرغ من شأن بني النضير .

ثم قال : ﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [الحشر: ٧] ، فهذه عامة في القرى كلها .

ثم قال : ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾ [الحشر: ٨] .

ثم لم يرضَ حتى خَلَط بهم غيرَهم ؛ قال : ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر: ٩] ، فهذا في الأنصار خاصة .

ثم لم يرضَ حتى خَلَط بهم غيرَهم ؛ قال : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحشر: ١٠] ، فكانت هذه عامةً لمن جاء بعدهم ، فما من أحدٍ من المسلمين إلا له في هذا الفَيْءِ حقٌّ .

قال عمر : فلئنْ بقيتُ ليبلغنَّ الراعيَ بصنعاء نصيبُه من هذا الفيء ، ودمه في وجهه .

وفي رواية أخرى: قال عمر: فكيف بمن يأتي من المسلمين، فيجدون الأرض بعُلُوجها قد اقتُسِمت، ووُرِّثتْ عن الآباء وحِيزَتْ، ما هذا برأيٍ! فقال له عبد الرحمن بن عوف: فما الرأيُ؟ ما الأرضُ والعُلوج إلاّ مما أفاءَ الله عليهم! فقال عمر: ما هو إلا كما تقول، ولستُ أرى ذلك، والله لا يُفتح بعدي بلدٌ فيكون فيه كبير نَيْل، بل عسى أن يكون كلاًّ على المسلمين؛ فإذا قسمت أرض العراق بعُلوجِها، وأرض الشام بعُلوجها، فما يُسَدُّ به الثغور؟ وما يكون للذرية والأرامل بهذا البلد وبغيره من أهل الشام والعراق؟! فأكثَروا على عمر، وقالوا: أتَقِفُ ما أفاءَ الله علينا بأسيافنا على قومٍ لم يحضروا ولم يشهدوا، ولأبناءِ القوم ولأبناء أبنائهم ولم يحضروا؟! فكان عمر لا يزيدُ على أن يقول: هذا رأيٌ. قالوا: فاستشِرْ.

فأرسل إلى عشرة من الأنصار من كبراء الأوس والخزرج وأشرافِهم، فخطَبَهم، وكان مما قال لهم: إني واحدٌ كأحدِكم، وأنتم اليوم تُقِرّون بالحق، خالفني من خالفني، ووافقني من وافقني، ولستُ أريد أن تتبعوا هذا الذي هوايَ، ثم قال: قد سمعتم كلام هؤلاء القوم الذين زعموا أني أظلمُهم حقوقَهم، وإني أعوذ بالله أن أَركب ظلماً، لئن كنتُ ظلمتُهم شيئاً هو لهم وأعطيتُهم غيره لقد شقيتُ! ولكنْ رأيتُ أنه لم يبق شيء يُفتح بعد أرض كسرى، وقد غنَّمَنا الله أموالَهم وأرضَهم وعلوجَهم، فقَسمت ما غَنِموا من أموال بين أهله، وأخرجتُ الخمس فوجَّهتُه على وجهه وأنا في توجيهه، وقد رأيتُ أن أحبِس الأرضينَ بعلوجها وأضَعَ عليهم فيها الخَراج وفي رقابهم الجزية يؤدونها فتكون فيئاً للمسلمين: المقاتلة والذرية ولمن يأتي من بعدهم. أرأيتُم هذه الثغور

لا بدَّ لها من رجال يَلزمونها؟ أرأيتُم هذه المدن العِظام كالشام والجزيرة والكوفة والبصرة ومصر ، لا بدَّ مِن شَحْنِها بالجند ، وإدرار العطاء عليهم ، فمن أين يُعطى هؤلاء إذا قُسمت الأرضون والعلوج؟! فقالوا جميعاً: الرأيُ رأيك ، فنِعْمَ ما قلتَ وما رأيتَ ، إنْ لم تُشحن هذه الثغور وهذه المدن بالرجال ، وتجري عليهم ما يتقوَّوْنَ به ، رَجَعَ أهل الكفر إلى مدنهم[1].

وأكَّد الفاروق رأيَه العبقريَّ هذا في غير موقف ، وجاء عنه من غير وجه.

عن أسلم أنه سمع عمر يقول: (أمَا والذي نفسي بيدِه ، لولا أن أتركَ آخِرَ الناسِ بَبَّاناً ليس لهم شيءٌ؛ ما فُتحت علَيَّ قريةٌ إلا قسمتُها كما قَسَم النبي ﷺ خيبَر ، ولكني أتركُها خِزانةً لهم يقتسِمونها)[2]. أي يقتسمون خراجها.

ب ـ واستقر الأمر على رأي أمير المؤمنين وأيده في ذلك أكابر الصحابة:

عن حارثة بن مضَرِّب: (عن عمر: أنه أراد أن يقسم السَّواد بين المسلمين ، فأمر أن يُحْصَوا ، فوَجَد الرجلَ يُصيبه ثلاثة من الفلاحين ، فشاوَرَ في ذلك ، فقال له علي بن أبي طالب: دَعْهم يكونوا مادة

---

(١) الخراج ، لأبي يوسف، ص ٢٩ ـ ٣١؛ الأموال ، لأبي عبيد (١٤٣ ـ ١٥٦)؛ مصنف ابن أبي شيبة: ٧/٦٣٣؛ الفتح: ٧/٦٩٨ ـ ٧٠٠ شرح الحديث (٣١٢٥)؛ أخبار عمر، ص ٨٦ ـ ٨٩؛ عصر الخلافة الراشدة، ص ١٩٦ ـ ١٩٨.

(٢) تقدم: ص ٤١٧ حاشية (١) في هذا الكتاب.

للمسلمين ، فتركَهم . وبَعث عليهم عثمان بن حُنيف فوضع عليهم ثمانية وأربعين ، وأربعة وعشرين ، واثني عشر)[1] .

أي على الغني (٤٨ درهماً) ، وعلى الوسط (٢٤ درهماً) ، وعلى الفقير (١٢ درهماً)[2]! .

ومن طريق آخر: (أراد عمر قسْمَ الأرض بين المسلمين ، فقال له معاذ بن جبل: والله إذنْ ليكوننَّ ما تكرهُ؛ إنك إن قسمْتَها صار الرَّيعُ العظيم في أيدي القوم ، ثم يَبيدون ، فيَصير ذلك إلى الرجل الواحد أو المرأة! ثم يأتي من بعدهم قوم يَسدُّون من الإسلام مَسَدّاً ، وهم لا يجدون شيئاً ، فانظر أمراً يَسَعُ أوَّلهم وآخرَهم)[3] .

وهذه الآراء كانت ـ والله أعلم ـ في مدة النقاش والحوار وتقليب وجوه الرأي .

ج ـ وعَمَّمَ أمير المؤمنين هذا على الأمصار:

عن سفيان بن وَهْب الخَوْلانيِّ قال: (لمَّا افتُتحت مصر بغير عهد[4] ، قام الزبير فقال: يا عمرو بن العاص ، اقسِمْها ، فقال عمرو: لا أَقْسِمُها ، فقال الزبير: لتقسمنَّها كما قسم رسول الله ﷺ خيبَر ، فقال عمرو: لا أَقسمُها حتى أكتبَ إلى أمير المؤمنين ، فكتب إلى عمر ، فكتب إليه عمر: أنْ دَعْها حتى يغزوَ منها حَبَلُ الحَبَلة) .

---

(١) الأموال ، لأبي عبيد ، رقم (١٥١)، وإسناده صحيح، وانظر: (١٧٤)؛ فتوح البلدان، ص ٢٥٠ ـ ٢٥٢ .

(٢) طبقات ابن سعد: ٣/ ٢٨٢ .

(٣) الأموال ، لأبي عبيد (١٥٢)، وإسناده صحيح، وذكره الحافظ في الفتح: ٧/ ٦٩٨ ـ ٦٩٩ (٣١٢٥) .

(٤) أي: عَنْوة بغير صلح .

قال أبو عبيد: أراه أراد أن تكون فَيْئاً موقوفاً للمسلمين ما تناسَلوا ، يرثه قَرْن بعد قرن ، فتكون قوة لهم على عدوِّهم[1] .

وكتب إلى سعد بن أبي وقاص لما افتتح العراق: (واترك الأَرَضين والأنهار لعمَّالها ، ليكون ذلك في أَعْطيات المسلمين ، فإنّا لو قَسَمناها بين مَن حَضر ، لم يكن لمن بعدهم شيءٌ)[2] .

وكتب بمثل ذلك إلى أبي عبيدة بالشام ، قال: (فأقِرَّ ما أفاء الله عليك في أيدي أهله ، واجعل الجزية عليهم بمقدار طاقتهم تقسمها بين المسلمين ، ويكونون عُمَّار الأرض فهم أعلمُ بها وأقوى عليها ، ولا سبيلَ لك عليهم ولا للمسلمين معك أن تجعلهم فَيْئاً. . . أرأيتَ لو أخذنا أهلَها فاقتسمناهم ، ما كان يكون لمن يأتي من بعدِنا من المسلمين؟! والله ما كانوا يجدون إنساناً يكلمونه ولا ينتفعون بشيء من ذات يده)[3] .

د ـ وقفات مع هذا القرار الفذ:

وقفة متأنية أمام هذه (المشكلة الطارئة) وكيفية تعامل الخليفة ومجلس الشورى ورجال الفتح وعامة المسلمين إزاءها؛ تُظهِر للباحث أموراً جليلة يجب إبرازها وإكبارها والتنبيه عليها:

١ ـ إن الشورى ركن ركين في سياسة الدولة وترشيدِ مسيرتها وتجنيبها المغامرات ، وفيها استخراج طاقات عقول أولي الألباب ، ممن

(١) الأموال ، لأبي عبيد (١٤٩)؛ الخراج ، لأبي يوسف، ص ٣٢.
(٢) الأموال ، لأبي عبيد (١٥٠).
(٣) الخراج ، لأبي يوسف ، ص١٦٧؛ أخبار عمر، ص ٨٩ ـ ٩٠.

يحرصون على مصلحة الدين والأمة والرعية ، ولا ينافقون ويزوِّرون آراءهم لتوافق هوى الحاكم .

٢ ـ إن رئيس الدولة رجل كبَير في الأمة له مكانته ، ولرأيه وجاهته ، بيد أنه ليس الحاكم بأمره ، يتعنت ويغامر ويفرض ما يراه ، وفي هذا قال عمر : (إني لم أزعجكم إلا لأن تشتركوا في أمانتي فيما حُمِّلت من أموركم ، فإني واحد كأحدكم ، أنتم اليوم تقِرُّون بالحق ، خالَفَني من خالفني ، ووافَقَني من وافقني ، ولستُ أريد أن تتبعوا هذا الذي هوايَ)[١] .

٣ ـ كتاب الله وسنة نبيه ﷺ هما الفَيْصل في القضايا والمرجع في الأمور والمستند في سياسة الدولة والأمة ، ولابدَّ مع وجودهما من إعمال العقل وبذل الطاقة في الاجتهاد ، واستنباط القرارات في ضوئهما ، وهذا ما فعله عمر حينما احتج بآيات سورة الحشر وقال للصحابة : (ولستُ أريد أن تتبِعوا هذا الذي هواي ، معكم من الله كتاب ينطق بالحق ، فوالله لئن كنت نطقت بأمر أريده ما أريد به إلا الحق) .

٤ ـ المتأمل لطريقة أمير المؤمنين وموقف الصحابة من هذه المشكلة وعرضها ومناقشتها ، يرى الأسلوبَ العالي في العرض والعمقَ الشديد في الفهم والإخلاصَ في إيجاد الحل ، والأدبَ الرفيع بين الجميع .

٥ ـ من حقوق الأمة على رئيس الدولة حيث وَضعت المسؤولية في عنقه : أن يجتهد لها ، وينصح لها ، وينظر في مصالحها ، ويُفني عمره وعقله وطاقاته في تحقيق الخير لها في الدنيا والآخرة ، وهذا الذي أَقلَق

---

(١) أخبار عمر، ص ٨٨.

عمر في هذه المسألة الكبرى ، كما هي حاله دائماً في مسؤولياته! لذا تراه يقلِّب الفكر ويتأمل ويديم النظر ويطيل المناقشة ، حتى أوصله إخلاصه وفهمه إلى أحسن النتائج .

٦ ـ كذلك فإن الأجيال اللاحقة من المسلمين لها الحق في ثروات الأمة وخيرات الأرض الكامنة ، ولا يجوز البتة غفلة أو تفريط الحاكم ومستشاريه عن مصالح من يأتي بعدهم من المسلمين . فكيف يُقبل إذن التخبط في الأموال العامة وتبديدها بأيدي السفهاء دون النظر إلى مستقبل الأيام؟! .

هـ ـ ولقد آتى هذا القرار أطيب الثمار[1]:

١ ـ القضاء على نظام الإقطاع ، حيث ألغى عمر الأنظمة الإقطاعية الظالمة التي احتكرت الأرض لصالحها ، واستعبدت الفلاحين للعمل بها ، وأصبحت أرض السواد ومصر والشام بأيدي فلاحيها يزرعونها مقابلَ خَراج عادل يطيقونه يدفعونه كل عام .

وكذلك الحدّ من نشوء الملكيات الإقطاعية الكبيرة مما يولِّد تبايناً اقتصاديّاً شاسعاً ويَحصر تداولَ الثروة بأيدٍ قليلة . وهذا ما وعاه عمر من الآيات القرآنية ، مما يوضح دقة فهمه وعمق بصيرته وأثر القرآن في توجيه سياسته .

٢ ـ فتحُ قلوب أهل تلك البلاد للدين الجديد ، واغتباطُهم بالمعاملة الإسلامية الإنسانية الرفيعة ، فتغيَّرت قلوبُهم على بني جنسهم من

---

(١) انظر: عصر الخلافة الراشدة، ص ١٩٨، ٣٦١؛ حركة الفتح الإسلامي ، لشكري فيصل، ص ١٠٠ ـ ١٠٥ .

فرس وروم ، وازدادت كراهيتُهم لهم ، ومالوا إلى المسلمين فقدَّموا لهم التسهيلات والمساعدات لاستمرارهم في فتوحاتهم.

٣ ـ سارعَ أهل البلاد المفتوحة للدخول في الإسلام ، وتدفَّقوا إليه بصورة مذهلة ، حيث وجدوا فيه العدالة والرحمة والكرامة الإنسانية ، وهَيْمَن الإسلام على قلوبهم فأصبحوا ركائزَ تنطلق منها الدعوة كما شهد بذلك التاريخ.

٤ ـ ربطَ ذلك القرار الفلاحين بأرضهم ، وكَسب ولاءَهم ، وساعد على استمرار ازدهار الزراعة في السَّواد وغيرِه ، إذ ما كان بوسع الفاتحين استثمار تلك الأراضي لنقص الخبرة الزراعية لديهم.

٥ ـ الموارد الضخمة التي أتت بها (الأموال الخَراجية) يسَّرت السبل لشحن الثغور بالجنود والمسالح وتأمين العتاد وتجييش المجاهدين وتوفير رواتبهم ونفقاتهم ، كما در الخير على عامة المسلمين وارتفع المستوى المعيشي عموماً.

٦ ـ تفرُّغ بال الفاتحين للاستمرار في نشر الدعوة وتوسيع دائرة الفتوحات ، وعدم الارتباط بالأرض وإصلاحها والإخلاد إلى الراحة والانشغال بالدنيا وتثمير الأموال.

و ـ مسح أرض السواد ومقدار الأموال التي درت منه:

بعث عمر عثمان بن حُنَيف يمسح أرض السواد ويضرب عليها الخراج ، فقام بالمهمة على أعدل وجه ، وبلَغت المساحة

(٣٦٠٠٠٠٠٠) ستة وثلاثين ألف ألف جَريب ، والجريب (١٣٦٦ متر مربع)[١] .

ووضعَ الخَراج حسب نوع المحصولات الزراعية من النخل والعنب والخضراوات والقمح والشعير ، فبلغ خراج السواد والجبل أكثر من (١٢٠ مليون درهم)[٢] .

وعوملت أراضي الشام ومصر مثل أرض السواد ، ولم أقف على تقدير وارداتها ، لكنها كبيرة بلا ريب .

٦ ـ العشور:

هي ضرائب تُفرض على تجارة التجار غير المسلمين الذين يَمرُّون بتجارتهم بأرض الدولة الإسلامية ، وهي تشبه (الرسوم الجمركية) في عصرنا ، والموظف الذي يقوم بتحصيلها يسمى : (العاشر) .

ولم تُفرض العشور في عصر النبوة وخلافة أبي بكر ، وفرضها عمر لأول مرة على التجار غير المسلمين إذا دخلوا ببضائعهم ديار المسلمين ، وذلك لأن دولهم كانت تأخذ (ضريبة عُشْرية) من التجار المسلمين ، فاتبع سياسة المعاملة بالمثل ، وتؤخذ من التاجر مرة واحدة في السنة[٣] .

قال زياد بن حُدَيْر : (أنا أول عاشرٍ عشَّر في الإسلام) .

وقال عبد الرحمن بن مَعْقِل : (سألت زياد بن حُدير : مَن كنتم

---

(١) الأموال ، لأبي عبيد (١٧٥)؛ عصر الخلافة الراشدة، ص ٢٠٠ .

(٢) طبقات ابن سعد : ٣/ ٢٨٢ ؛ عصر الخلافة الراشدة، ص ١٩٣ ، ٢٠٠ .

(٣) انظر : الأموال ، لأبي عبيد ، ص ٥٢٦ ـ ٥٣٤ ؛ عصر الخلافة الراشدة، ص ٢١٧ .

تعشِّرون؟ قال: ما كنَّا نُعشِّر مسلماً ولا معاهَداً ، قلت: فمن كنتم تعشرون؟ قال: تجار الحرب ، كما كانوا يعشروننا إذا أتيناهم)[١] .

وقال زياد بن حُدَير: (استعملَني عمر على العشر ، فأَمرني أن آخذَ من تجار المسلمين ربع العشر)[٢] . أي (٢,٥٪) وهذا مقدار زكاة عروض التجارة.

وعيَّن عمر (العشارين) لهذا المصدر ، وضبط موارده ، وراقب تنفيذه ، وسنَّ سياسة واضحة محددة في (العشور): فكانت تؤخذ من التاجر مرة واحدة في السنة ويُعطى إيصالاً بذلك ، ونبَّه زياد بن حُدير أن لا يعشِّر كل مَن أقبل وأدبر. ومقدار الضريبة هو (١٠٪). وقد شمل ذلك تجار النَّبط ، لكنه جرى التخفيف عليهم إذا جَلَبوا الحِنطة والزيت فأخذ منهم نصف العشرة (٥٪) لحاجة الناس إليهما ، فإذا جلبوا العدس والحمص واللوبيا وما شاكلها مما لا تشتد الحاجة إليه لتوفره محليّاً فكان يؤخذ منهم العُشر[٣] .

وهذه (الاستراتيجية) العادلة المنضبطة المرنة من أمير المؤمنين؛ شجعت حركةَ التجارة ، وسيولةَ المال ، وكثرةَ التبادلات التجارية ، وتحسُّنَ الحالة الاقتصادية ، وتأمينَ سهولة استيراد وتصدير المواد الأساسية والحاجات الضرورية للمسلمين ، كما وَفرت دخولاً جديدة لخزينة الدولة.

---

(١) الأموال ، لأبي عبيد ، رقم (١٦٣٥ ، ١٦٣٦).

(٢) المرجع السابق (١٦٥٨).

(٣) موطأ مالك: ١/ ٢٨١؛ مصنف عبد الرزاق (١٠١٢٦)؛ عصر الخلافة الراشدة، ص ٢١٧.

سادساً: بيوت المال والخزائن والحِمَى:

١ ـ بيوت المال:

نتيجة ضخامة الأموال الواردة إلى خزائن الدولة ، وزيادة النفقات زيادة عظيمة؛ كان لا بد من تنظيم الواردات والمصروفات ، والاحتفاظ بفائض المال لمدة طويلة ، فاتخذ عمر (بيت المال) في المدينة ، وممن تولى إدارته **مُعيقيب** وغيره. كذلك استُحدِثت (بيوت الأموال) في الأمصار ، وكان **ابن مسعود** ـ مثلاً ـ يتولى بيت مال الكوفة[1].

وبيت المال: هو المكان الذي ترِد إليه جميع الموارد التي ذكرناها ، وتُصرف منه جميع مصروفات الدولة: من أَعطيات الخلفاء ، ورواتب الجند والقضاة والولاة ، ونفقات المرافق العامة ، وغير ذلك.

٢ ـ دار الدقيق:

وهي دار يُجعل فيها الدقيق والسَّويق والتمر والزَّبيب وما يُحتاج إليه ، يُعِين عمرُ به المنقطعَ والضيفَ ينزل به[2].

وهي لون من (مخازن الوقف الخيري) على الوجه الذي نراه الآن في الدولة العصرية ، وقد سبق عمر بذلك الدنيا بأربعة عشر قرناً.

وقد كان لهذه الدار دورٌ رائدٌ في إغاثة المحتاجين وذوي المَسْغَبة ، وبخاصة في أوقات الأزمات كما حدث عام الرَّمَادة.

---

(١) تاريخ المدينة ، لابن شبة: ٢/٧٠٢؛ مصنف عبد الرزاق (١٠١٢٨)؛ عصر الخلافة الراشدة، ص ٢٣٠.

(٢) طبقات ابن سعد: ٣/٢٨٣.

٣ ـ دار الأَهْراء:

الأهراء: جمع الهُرْي ، وهو بيت ضخم يُجمع فيه طعام السلطان[١] .

وقد أُنشِئت هذه الدار لتموين الجيش ، وكان الصحابي **عَمرو بن عَبَسة** أول موظف عُيِّن لإدارتها[٢] .

٤ ـ الحِمى[٣]:

وهي أراضٍ خُصصت لرعي الإبل والخيل التي تملكها الدولة ، وتشمل ما كان للصدقات أو المعدَّة للجهاد.

وكان النبي ﷺ قد حَمى (وادي النَّقيع) ، واستمرت حمايته في خلافة أبي بكر وعمر ، وطوله (٨٠ كم) ، ويبدأ جنوب المدينة بـ (٤٠ كم).

وقد كثرت المناطق المحميَّة في خلافة عمر لكثرة ما تملكه الدولة من الإبل والخيل المعدَّة للجهاد ، ومن ذلك (حِمى الرَّبذَة) لنَعَم الزكاة ، وعيَّن عليه مولاه (هُنَيّاً) وأمره بتقديم أصحاب الإبل والأغنام القليلة على أصحاب الكثير منها كابن عوف وعثمان[٤].

وحمى أرضاً في ديار بني ثعلبة فاحتج أهلها على ذلك فقال لهم عمر: (البلاد بلاد الله تحمى لنَعَم مال الله). وحمى كذلك (ضريّة) و(الشَّرَف).

---

(١) لسان العرب (هري)؛ المعرَّب؛ ص ١١٥ .

(٢) تاريخ الطبري: ٤/ ٦٧ .

(٣) الفتح: ٦/ ٤٧٣ (٤٣٧٠)؛ الأموال ، لأبي عبيد ، ص ٣٠٩ ـ ٣١١؛ عصر الخلافة الراشدة، ص ٢٤٥ ـ ٢٤٦ .

(٤) تقدم الحديث بتمامه: ص٣١٦ في هذا الكتاب.

سابعاً: المصارف والنفقات:

بمقابل تنوُّعِ مصادر الأموال وكثرةِ الموارد التي وردتْ إلى خزائن الدولة ، فقد اتَّسَعت الإنفاقات وكثُرتْ مصارف الأموال والاستحقاقات المتوجبة على الدولة ، وتبلورت مؤسسات جديدة عديدة تستوجب القيامَ بحقوقها ومطالبها. كذلك ابتدع الفاروق أنظمةً جديدة سَبق بها الدنيا لتأمين حوائج فئات مختلفة من الرعية فضلاً عن توفير الرعاية والرفاهية للناس ، زِدْ على هذا الأحجامَ الضخمة من الإنفاقات على الجيوش والعتاد ونشر الدعوة.

١ ـ مصارف الزكاة:

قُصِرت على الأصناف الثمانية الذين حدَّدَهم القرآن في قوله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴾ [التوبة: ٦٠].

وقد أَخذت هذه الأصناف حظَّها في زمن رسول الله ﷺ وخليفته من بعده ، ومن أهم ما حدث من تغيير في توزيع هذه الصدقات في خلافة عمر: إسقاطُ سَهْم المؤلفة قلوبهم ، حيث كانوا يُتأَلَّفون بالمال على عهد النبي ﷺ وأبي بكر[١] ، وأما في عهد عمر فإن الإسلام قوي الجانب فلا حاجة للإنفاق من أموال الزكاة على هذا الصنف[٢]. ووافقه الصحابة على ذلك.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٣١٣)؛ والترمذي (٦٧٢)، وغيرهما.

(٢) سنن الترمذي: ٢/ ٢٠٤؛ تفسير ابن كثير: ٢/ ٤٥١ ـ ٤٥٢.

وهذا من السياسة الشرعية ، ويختلف الأمر حسب الزمن وقوة الإسلام ، وفي عصرنا مجالات كثيرة لإعمالِ سَهْمِ المؤلَّفة قلوبهم في الدعوة ونشر الإسلام.

ومن المصارف الضخمة للزكاة: (الجهادُ في سبيل الله) ، حيث كثُرت الفتوحات وازداد عدد المجاهدين وهم أحدُ الأصناف الثمانية الذين يستحقون الزكاة حتى لو كانوا أغنياء.

ويدخل في مصاريف الزكاة: دار الدقيق ، ودار الأَهْراء.

وقد كان للزكاة ديوان خاص بها في عاصمة الخلافة (المدينة) ، وله فروع في الأمصار.

٢ ـ مصارف الخراج والجزية والعشور:

أقام أمير المؤمنين لها نظاماً ضخماً دقيقاً هو (نظام الدواوين) ، وهو يعتبر من سوابق عمر ومن مفاخر دولة الخلافة في عهده ، وسنتحدث عنه مفصلاً.

والعنوان الرئيس لهذه المصارف هو قول الفاروق: (والذي لا إلٰه إلا هو ـ ثلاثاً ـ ما من الناس أحدٌ إلا له في هذا المال حقٌّ أُعْطِيَه أو مُنِعَه)[١].

٣ ـ تجهيز الجيوش والمجاهدين:

وهو مصرف ضخم وتكاليفه باهظة ، وكان له ديوان خاص به كما سيأتي ، وقد نبَّه عليه عمر عند مناظرته الصحابة بشأن (الخراج).

وحسبك أنه كان يَحمل كل سنة على (٣٠ ألف بعير) ، وفي رواية

---

(١) طبقات ابن سعد: ٣/ ٢٩٩.

على (٤٠ ألف بعير)[١] ، وهذا فيما نحسب أنه يختلف من سنة لأخرى.

وكان عمر يقول: (لئِنْ كَثُر المال لأفرضَنَّ لكلِ رجل أربعة آلاف درهم: ألف لسفَرِه ، وألف لسلاحِه ، وألف يُخَلِّفُها لأهلِه ، وألف لفرسه وبغله!)[٢].

٤ ـ رواتب الموظفين ونحوهم:

وهؤلاء هم: الولاة ، والقضاة ، وأئمة المساجد ، والمؤذنون ، والمعلمون ، والدعاة ، وحفظة القرآن ، وغيرهم.

ومن ذلك أن عمر كتب إلى أمراء الأجناد: (أن ارفَعُوا إليَّ كلَّ من حمل القرآن ، حتى أُلحِقَهم في الشرف من العطاء ، وأرسِلَهم في الآفاق يعلمون الناس)[٣].

٥ ـ المواصلات والطرق:

خَصَّص عمر عدداً ضخماً من الجِمال ـ وهي وسيلة المواصلات المتاحة آنذاك ـ لتيسير انتقال مَن ليس عنده ما يركبه بين الجزيرة والشام والعراق[٤].

كذلك أُنفِقت أموال جزيلة في حفر الأقنية والأنهار والخُلْجان ،

---

(١) طبقات ابن سعد: ٣/ ٣٠٥؛ الأموال ، لأبي عبيد (٧٤٣).
(٢) طبقات ابن سعد: ٣/ ٢٩٧.
(٣) حياة الصحابة: ٣/ ٢٣٣.
(٤) عمر بن الخطاب، للدكتور علي الصلابي، ص ٢٦٩.

وإصلاح الطرق وبناء الجسور والسدود. كما سيأتي تفصيله في (مؤسسة التخطيط والعمران).

٦ ـ أَعْطيات جزيلة:

وهذه كانت قبل تدوين الدواوين، وبقيتْ كذلك حيث تُنفق في أوقات مختلفة وظروف معينة ولأشخاص لهمْ أوضاع خاصة، سنتكلم عنها عند حديثنا عن (الدواوين).

وكان أمير المؤمنين يقول: (لأَزيدَنَّهم ما زاد المال، لأَعُدَّنَّه لهم عَدّاً، فإنْ أَعْيَاني لأَكِيلَنَّه لهم كَيْلاً، فإنْ أعياني حَثَوْتُه بغيرِ حساب!)[1].

٧ ـ مصارف أخرى متنوعة:

منها أنه فَرض المرتبات و(الضمان الاجتماعي) للمواليد، والموالي، واللُّقَطاء، وفكاك الأسير، بل جعل رضاعة الصغار ونفقتهم على بيت مال المسلمين!.

ثامناً: هَدْي عمر في الأَعْطيات وتوزيع الأموال:

●● كان عمر في أول خلافته يعجِّل بقسمة الأموال، ويأمر الولاة باكتساح بيوت المال وتوزيعها حتى لا يبقى منها شيء، ثم بعد ذلك دوَّنَ (الدواوين) وسَنَّ القوانين وفرض الأَعْطيات لكل فرد في الأمة.

ـ عن ابن عمر قال: (قدِمَ على عمر مالٌ من العراق، فأقبل يَقسِمه، فقام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين، لو أبقيتَ من هذا المال لعدوٍّ إنْ

---

(١) طبقات ابن سعد: ٣/ ٣٠٣.

حضَر ، أو نائبةٍ إن نَزلتْ؟ فقال عمر: ما لكَ قاتلَك الله ، نَطَق بها على لسانك شيطان! لَقَّاني الله حجَّتَها ، والله لا أعصيَنَّ الله اليومَ لغدٍ ، لا ولكنْ أُعِدُّ لهم ما أَعدّ لهم رسول الله ﷺ)[1].

ـ وعن ابن عباس قال: (دعاني عمر بن الخطاب ، فأَتيتُه فإذا بين يديه نِطْعٌ عليه الذهبُ منثورٌ حَثاً ، قال: هلُمَّ فاقسِمْ هذا بين قومك ، فالله أعلمُ حيث زَوَى هذا عن نبيِّه ﷺ وعن أبي بكر ، فأُعطِيتُه ، لخير أُعطيته أو لشرٍّ! قال: فأكببتُ عليه أَقْسِم وأُزَيِّل ، قال: فسمعتُ البكاء ، قال: فإذا صوتُ عمر يبكي ويقول في بكائه: كلا والذي نفسي بيده ما حَبَسه عن نبيه ﷺ وعن أبي بكر إرادةَ الشرِّ لهما ، وأعطاه عمر إرادةَ الخير له!)[2].

ـ وعن ابن عباس: (أنه دخل هو وعثمانُ بن عفان على عمرَ ، وبين يديه صُبَرٌ من مال ، على كل صُبْرة منها كِنْفٌ ، فقال: إني نظرتُ فلم أجدْ بالمدينة أكثر عشيرةً منكما ، خُذا هذا المال فاقْسِماه بين الناس ، فإن فَضَل فَضْلٌ فرُدّا)[3].

ـ ولمَّا أُتي بكنوز كسرى قال عبد الله بن الأَرْقم الزُّهْري: ألا تجعلها في بيت المال حتى نقسمها؟ قال: لا أَظلَّها سقفُ بيت حتى أُمضيها[4].

---

(١) الحلية: ١/ ٤٥؛ وبنحوه في مختصر ابن عساكر: ١٨/ ٣٥٠.

(٢) طبقات ابن سعد: ٣/ ٣٠٣؛ مختصر ابن عساكر: ١٩/ ٧. **الحَثَا**: دُقَاق التِّبْن. **أزيِّل**: أُفرِّق.

(٣) أخرجه الحميدي (٣٠)؛ وابن سعد: ٣/ ٢٨٨؛ والفسوي: ١/ ٥٢١ ـ ٥٢٢. وللخبر تتمة. صبر: أكوام. **كِنْف**: وعاء من جلد ونحوه لحفظ الأشياء.

(٤) مختصر ابن عساكر: ١٨/ ٣٤٩ ـ ٣٥٠؛ وانظر: مسند أحمد (٩٣).

ـ وعن الحسن البصري قال: قال عمر بن الخطاب: (السنة ثلاث مئة وستون يوماً، وإن حقّاً على عمر يَكسح بيتَ المال في كل سنة يوماً، عُذراً إلى الله عز وجل أني لم أَدَعْ فيه شيئاً)[1].

ـ وقال عمر لعبدِ الله بن الأَرْقم: (اقْسِمْ بيتَ مال المسلمين في كل شهرة مرة، اقسمْ بيت مال المسلمين في كل جمعة مرة، ثم قال: اقسِمْ بيت مال المسلمين في كل يوم مرة)[2].

ـ وكتب عمر إلى حُذيفة: (أن أَعْطِ الناسَ أَعْطِيتَهم وأرزاقَهم، فكتب إليه: إنَّا قد فعلنا، وبقي شيء كثير! فكتب إليه عمر: إنه فَيْئُهم الذي أفاءَ الله عليهم، ليس هو لعمر ولا لآل عمر، اقسِمْه بينهم)[3].

ـ وكَتب إلى أبي موسى الأشعري: (أما بعدُ؛ فأَعْلَمُ يوماً من السنة لا يبقى في بيت المال درهمٌ حتى يكتَسحَ اكتساحاً، حتى يعلمَ الله أني قد أدّيتُ إلى كل ذي حقٍّ حقَّه)[4].

تاسعاً: تدوين الدواوين:

●● لما كَثُرت الأموال الواردة إلى (بيوت المال)، نظر أمير المؤمنين إلى المستقبل وفكر في تأمين وسائل المعاش للمسلمين ومصادر التمويل للجيوش والمجاهدين والمؤسسات الخيرية. فاستشار الناس، وكذلك تواردت اقتراحات من عدد من الصحابة، اتفقت جميعُها على إنشاء الدواوين، فكان توفيق الله تعالى، وكانت سابقة فذة سُطِّرت في

---

(١) محض الصواب: ٢/ ٤٩٠.
(٢) السنن الكبرى، للبيهقي: ٦/ ٣٥٧.
(٣) طبقات ابن سعد: ٣/ ٢٩٩.
(٤) المرجع السابق: ٣/ ٣٠٣. **فأعلم**: أي أريد أن أعلم.

(أوليات عمر) وأعماله في خلافته المباركة.

والديوان هو السِّجلات والدفاتر التي تُسجَّل فيها أسماء الجيش وأهل العطاء. ويُطلق أيضاً على المكان الذي يجتمع فيه الكتّاب والموظفون العاملون بتلك السجلات[1].

وفي تلك السجلَّات تمَّ إحصاءُ الرعية في الدولة الإسلامية كأدقّ إحصاء وعاه المُوكَّلون بالتجنيد في العالم الحديث؛ فما من رجلٍ أو امرأةٍ أو طفلٍ إلا عُرف اسمه وعرف مكانه وعُرِفتْ حصتُه من بيت مال المسلمين، وما من مجاهد إلا عُرفت له رتبتُه من السبق والتقديم على حسب المراتب التي يمتاز بها الجنود[2]!.

ويعتبر تدوين الدواوين وتحديد الأعطيات مفخرة من مفاخر تاريخنا، فالعطاء ليس رواتب موظفين، ولا هو صدقة على محتاجين، ولكنه (**نوع من الضمان الاجتماعي**) يأخذه صاحبه على أنه حق له في بيت المال، ليس عليه فيه منَّة لأحد[3].

١ ـ بداية فكرة تدوين الديوان وسببه:

●● عن أبي هريرة: أنه قدِم على عمر من البحرين، وجاء معه بخمس مئة ألف درهم، قال أبو هريرة: (قال عمر: أَطَيِّبٌ؟ قلت: نعم،

---

(١) المعرب، ص ٣١٧؛ النهاية في غريب الحديث: ٢/ ١٥٠؛ مقدمة ابن خلدون، ص ٢٤٣؛ دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية، ص ٢٩ ـ ٣٠، ٣٢.
(٢) عبقرية عمر، ص ٦٨.
(٣) أخبار عمر، ص ٩٢.

لا أعلمُ إلا ذلك. فقال للناس: إنه قدِمَ علينا مالٌ كثير، فإنْ شئتُم أن نَعُدَّ لكم عَدّاً، وإن شئتم أن نكيلَه لكم كيلاً! فقال له رجل: يا أمير المؤمنين، إني قد رأيتُ هؤلاء الأعاجم يدوِّنون ديواناً يُعطون الناسَ عليه. قال: فَدَوَّن الديوانَ، وفرض للمهاجرين الأولين في خمسة آلاف خمسة آلاف، وللأنصار في أربعة آلاف أربعة آلاف، ولأزواج النبي ﷺ في اثني عشر ألفاً).

وفي رواية عن أبي هريرة: (أنه جاء بثمان مئة ألف)[1].

وما كان عمر ليترك هذا الحدث الجليل دون أن يستشير الناس وبخاصة أهل الشورى وذوي الرأي: عن جُبير بن الحُوَيْرث: (أن عمر بن الخطاب استشار المسلمين في تدوين الديوان، فقال علي بن أبي طالب: تقسِمُ كل سنة ما اجتمع إليك من مال ولا تُمسِكُ منه شيئاً. وقال عثمان بن عفان: أرى مالاً كثيراً يَسَعُ الناسَ، وإنْ لم يُحْصَوا حتى تعرف من أخذ ممن لم يأخذ؛ خشيتُ أن ينتشر الأمر. فقال له الوليد بن هشام بن المغيرة: يا أمير المؤمنين، قد جئتُ الشام فرأيتُ ملوكها قد دَوَّنوا ديواناً وجَنَّدوا جنوداً، فدَوِّنْ ديواناً وجَنِّدْ جنوداً. فأخذ بقوله، فدعا عَقيل بن أبي طالب ومَخْرمة بن نوفل وجُبير بن مُطْعِم، وكانوا من نُسَّاب قريش، فقال: اكتبوا الناس على منازلهم. فكتبوا، فبدؤوا ببني هاشم، ثم أتبعوهم أبا بكر وقومَه، ثم عمر وقومَه، على الخلافة. فلما نظر إليه عمر قال: وددتُ والله أنه هكذا، ولكنْ ابدؤوا بقرابة النبي ﷺ

---

(١) طبقات ابن سعد: ٣/ ٣٠٠؛ مصنف ابن أبي شيبة: ٧/ ٦١٣؛ المعرفة والتاريخ: ١/ ٤٦٥ ـ ٤٦٦. وتقدم طرف من أوله: ص٤٢٢ حاشية (٢) في هذا الكتاب.

الأقرب فالأقرب ، حتى تضعوا عمرَ حيث وضعه الله!)[1].

٢ ـ كان تدوين الدواوين سنة (١٥هـ):

قال الطبري في أحداث سنة (١٥هـ): (وفي هذه السنة فَرض عمر للمسلمين الفروض، ودَوَّن الدواوين، وأعطى العطايا على السابقة)[2].

ونقل ذلك عن الشعبي والحسن البصري وسعيد بن المسيب وغيرهم من الأئمة المتقدمين.

وذهب الواقدي والبلاذري إلى أن (تدوين الديوان) كان سنة (٢٠هـ)[3].

والذي نراه أن ما ذهب إليه الطبري هو الصحيح؛ وذلك: لأن أبا هريرة كان والياً على (البحرين) سنة (١٥هـ) في رواية البلاذري نفسه[4] ، وخبره هو الذي كان بداية فكرة تدوين الديوان ومناقشتها والاتفاق عليها.

وهذا التاريخ هو ما يقتضيه النظر الصحيح أيضاً: وذلك لأن كثيراً من البلدان قد فُتحت: دمشق وحمص والأردن وغيرها من بلاد الشام ، وكذلك العراق ومن أهمها المدائن والقادسية والسَّواد ، وقد تدفقت

---

(١) طبقات ابن سعد: ٣/ ٢٩٥؛ تاريخ الطبري: ٤/ ٢٠٩ ـ ٢١٠؛ فتوح البلدان ، ص ٣٩٨.
(٢) تاريخ الطبري: ٣/ ٦١٣.
(٣) طبقات ابن سعد: ٣/ ٢٩٦؛ فتوح البلدان، ص ٣٩٩.
(٤) فتوح البلدان ، ص٨٣.

الأموال الهائلة التي لا يحيط بها الحساب ، والسواد كان من أهم مصادر العطاء كما تقدم.

وثالثاً: إنه لا يُعقل أن يتمادى الأمر بعمر إلى سنة عشرين وقد فُتحت معظم الأمصار: الشام والعراق ومصر وفارس. . . ثم يترك الأموال توزع بدون قانون ولا نظام يضبطها ، وما عَهِدنا ذلك من عمر البتة!.

٣ ـ طريقة ترتيب الديوان وتسجيل الأسماء وتقديمها أو تأخيرها:

●● لما أراد عمر وضْعَ الديوان ، قال له علي وعبد الرحمن بن عوف: (ابدأ بنفسك ، قال: لا ، بل أبدأُ بعمِّ رسول الله ﷺ ، ثم الأقرب فالأقرب. ففَرض للعباس وبدأ به ، ثم فرض لأهل بدر خمسة آلاف خمسة آلاف ، ثم فرض لمن بعد بدر إلى الحديبية أربعة آلاف أربعة آلاف ، ثم فرض لمن بعد الحديبية إلى أن أقلع أبو بكر عن أهل الردة ثلاثة آلاف ثلاثة آلاف ، في ذلك مَن شهد الفتح وقاتل عن أبي بكر ، ومن وَلي الأيام[١] قبل القادسية؛ كل هؤلاء ثلاثة آلاف ثلاثة آلاف. ثم فرض لأهل القادسية وأهل الشام ألفين ألفين ، وفرض لأهل البلاء[٢] البارع منهم ألفين وخمس مئة ألفين وخمس مئة. . . وألحق بأهل بدر أربعة من غير أهلها: الحسن والحسين وأبا ذر وسلمان. وأعطى نساءَ النبي ﷺ عشرة آلاف عشرة آلاف، إلا من جرى عليها الملك، فقال نسوة رسول الله ﷺ: ما كان رسول الله ﷺ يفضِّلنا عليهنَّ في القِسمة ، فسوٍّ بيننا ، ففعل. وجعل نساء أهل بدر في خمس مئة خمس مئة ، ونساءَ من

---

(١) الوقائع والمشاهد أيام الفتوحات.

(٢) الاجتهاد والنكاية في العدو.

بعدهم إلى الحُديبية على أربع مئة أربع مئة ، ونساء من بعد ذلك إلى الأيام ثلاث مئة ثلاث مئة ، ونساء أهل القادسية مئتين مئتين ، ثم سوَّى بين النساء بعد ذلك ، وجعل الصبيان سواء على مئة مئة)[1] .

(ولم يُفضِّل أحداً على أهل بدر إلا أزواجَ النبي ﷺ ، فإنه فرض لكل امرأة منهن اثني عشر ألف درهم . وفرض لمن هاجر قبل الفتح لكل رجل ثلاثة آلاف درهم ، وفرض لِمُسْلِمة الفتح لكل رجل منهم ألفين ، وفرض لغِلمان أحداثٍ من أبناء المهاجرين والأنصار كفرائض مُسْلِمة الفتح. وفرض لعمر بن أبي سلمة أربعة آلاف درهم ، فقال محمد بن عبد الله بن جحش : لِمَ تفضِّلْ عمرَ علينا فقد هاجر آباؤنا وشهدوا؟ فقال عمر : أُفَضِّله لمكانه من النبي ﷺ ، فليأتِ الذي يَستعتِب بأمٍّ مثل أم سلمة أُعْتِبْه! وفرض لأسامة بن زيد أربعة آلاف درهم ، فقال عبد الله بن عمر : فرضتَ لي ثلاثة آلاف وفرضتَ لأسامة في أربعة آلاف ، وقد شهدتُ ما لم يشهدْ أسامة؟ فقال عمر : زِدْتُه لأنه كان أحَبَّ إلى رسول الله ﷺ منك ، وكان أبوه أحَبَّ إلى رسول الله ﷺ من أبيك! .

ثم فرض للناس على منازلهم وقراءتهم للقرآن وجهادهم ، ثم جعل من بقي من الناس باباً واحداً ، فألحق من جاءهم من المسلمين بالمدينة في خمسة وعشرين ديناراً لكل رجل ، وفرض للمحرَّرين معهم . وفرض لأهل اليمن وقيس بالشام والعراق ، لكل رجل ألفين إلى ألف إلى تسع مئة إلى خمس مئة إلى ثلاث مئة ، لم يُنْقِص أحداً من ثلاث مئة .

---

(١) تاريخ الطبري : ٣/ ٦١٤ ـ ٦١٥ ، باختصار . وانظر في هذا الموضوع : مصنف ابن أبي شيبة : ٧/ ٦١٥ ـ ٦٢١ ؛ الأموال ، لأبي عبيد ، ص ٢٣٥ ـ ٢٣٩ ؛ المعرفة والتاريخ : ١/ ٤٦٣ ـ ٤٦٤ ؛ طبقات ابن سعد : ٣/ ٢٩٦ ـ ٣٠٤ .

وقال: لئن كثر المال لأَفْرِضنَّ لكل رجل أربعة آلاف درهم: ألف لسَفَره، وألف لسلاحه، وألف يُخَلِّفها لأهله، وألف لفرسه وبَغْله.

وفرض لنساء مهاجرات، فرض لصفية بنت عبد المطلب ستة آلاف درهم، ولأسماء بنت عُميس ألف درهم، ولأم كلثوم بنت عُقْبة ألف درهم، ولأم عبد الله بن مسعود ألف درهم. وأمر عمر فكُتِب له عيالُ أهل العوالي فكان يُجري عليهم القوت.

وكان عمر يفرض للمنفوس مئة درهم، فإذا ترعرع بَلَغ به مئتي درهم، فإذا بلغ زاده. وكان إذا أُتي باللَّقيط فرض له مئة درهم، وفرض له رزقاً يأخذ وليُّه كل شهر ما يُصْلِحه، ثم ينقله من سنة إلى سنة، وكان يوصي بهم خيراً ويجعل رضاعهم ونفقتهم من بيت المال)[١].

٤ ـ ومن روائعه في هذا الباب:

ـ كيفية تقدير حاجة الفرد: روى حارثة بن مُضَرِّب (أن عمر أَمَر بِجَريبٍ من طعام فَعُجِن ثم خُبِز ثم ثُرِد، ثم دعا عليه ثلاثين رجلاً فأكلوا منه، ثم فعل في العشاء مثل ذلك. ثم قال: يكفي الرجلَ جَريبان كل شهر! فرَزَق الناسَ جريبين كل شهر، المرأة والرجل والمملوك جريبين جريبين كل شهر)[٢].

ـ وكان ربما حمل العطاء بنفسه فأوصله إلى مستحقيه[٣].

---

(١) طبقات ابن سعد: ٣/ ٢٩٧ ـ ٢٩٨.

(٢) طبقات ابن سعد: ٣/ ٣٠٥ وإسناده صحيح. والجَريب: من الطعام نحو (١٠٠) كيلو جرام.

(٣) طبقات ابن سعد: ٣/ ٢٩٨؛ تاريخ الطبري: ٤/ ٢١٠ ـ ٢١١.

ـ وكان يقول: (لئِنْ بقيتُ لَيبلغَنَّ الراعيَ نصيبُه من هذا الفيء في جبال صنعاء)[1].

ـ وقبل أن يُستشهد بأيام قليلة قال: (لئنْ سَلَّمني الله لأَدَعنَّ أراملَ أهلِ العراق لا يَحْتَجْنَ إلى رجلٍ بعدي أبداً)[2].

٥ ـ ومن المبادئ التي وضعها أمير المؤمنين في توزيع العطاء:

أ ـ تقديم أصحاب السابقة والفضل وعدم المساواة بين الناس:

روى سعيد بن المسيِّب وغيره قالوا: (فَرض عمر لأهل الديوان، فَفَضَّل أهلَ السوابق والمشاهد في الفرائض، وكان أبو بكر الصديق قد سوَّى بين الناس في القَسْم، فقيل لعمر في ذلك، فقال: لا أجعلُ مَن قاتَلَ رسولَ الله ﷺ كمن قاتل معه! فبدأ بمن شهد بدراً...)[3].

وقال عمر رضي الله عنه: (واللهِ ما أحدٌ أحَقَّ بهذا المال من أحدٍ... ولكنَّا على منازلنا من كتاب الله تعالى وقَسْمنا من رسول الله ﷺ؛ فالرجلُ وبلاؤه في الإسلام، والرجل وقَدَمُه في الإسلام، والرجل وغَنَاؤه في الإسلام، والرجل وحاجتُه)[4].

ومن المهم أن نتبين وجهة نظر الفاروق في عدم المساواة بين المسلمين في العطاء، واعتناؤه الشديد بقرابة النبي ﷺ وكبار الصحابة

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة: ٧/ ٦٣٣، وبنحوه عند ابن سعد: ٣/ ٣٠٢؛ ومسند أحمد (٢٩٢).

(٢) البخاري (٣٧٠٠).

(٣) طبقات ابن سعد: ٣/ ٢٩٦؛ مصنف ابن أبي شيبة: ٧/ ٦١٥.

(٤) تقدم الحديث تامّاً: ص ٤٢٣ ـ ٤٢٤ في هذا الكتاب.

من المهاجرين والأنصار ، واعتباره السابقة في الإسلام والبلاء في الجهاد. . . فلا شك أن الفئة الكريمة التي فضلها عمر بالعطاء هي التي أقامت صرح الدولة الإسلامية ، كما أنها أكثر فقهاً والتزاماً بالشرع ومقاصده ، وأكثر صلاحاً وورعاً في التعامل مع المال واستخدامه لتحقيق المقاصد الاجتماعية عن طريق الإنفاق[1] .

وليس كما زعم (هيكل) من أن عمر كان يميل بتفكيره إلى نظام الطبقات[2]! .

ب ـ تعديل نظام الديوان إذا اقتضت مصلحة المسلمين :

عن عبد الله بن عمر قال: (قدِمَتْ رُفقةٌ من التجار فنزلوا المصلى ، فقال عمر لعبد الرحمن بن عوف: هل لك أن نحرسَهم الليلة من السَّرَق؟ فباتا يحرسانهم ويصلِّيان ما كتب الله لهما. فسمع عمر بكاءَ صبيٍّ ، فتوجَّه نحوه فقال لأمِّه: اتقي الله وأحسني إلى صَبيِّك ، ثم عاد إلى مكانه ، فسمع بكاءه فعاد إلى أمه فقال لها مثل ذلك ، ثم عاد إلى مكانه ، فلما كان في آخر الليل سمع بكاءه فأتى أمه فقال: ويحكِ! إني لأَراكِ أمَّ سَوءٍ ، ما لي أرى ابنك لا يقَرُّ منذُ الليلة؟ قالت: يا عبد الله! قد أَبْرَمْتَني منذُ الليلة ، إني أُرِيغُه عن الفِطام فيأبى ، قال: ولمَ؟ قالت: لأن عمر لا يَفْرِضُ إلا للفُطُم ، قال: وكم له؟ قالت: كذا وكذا شهراً ، قال: ويحكِ لا تُعْجِليه! فصلى الفجر وما يَستبينُ الناسُ قراءتَه من غَلَبَةِ البكاء! فلما سَلَّم قال: يا بُؤساً لعمر كم قتل من أولاد المسلمين! ثم أمر منادياً

---

(١) عصر الخلافة الراشدة، ص ٢٣٥ ـ ٢٣٦ .

(٢) الفاروق عمر، ص ٧٥.

فنادى: ألا لا تُعْجِلوا صبيانكم عن الفِطام ، فإنا نَفْرِضُ لكل مولود في الإسلام. وكتب بذلك إلى الآفاق: إنا نفرض لكل مولود في الإسلام)[1].

ج ـ تعميم العطاء:

عن جَهْم بن أبي جهم قال: (قدِمَ خالد بن عُرْفُطة العُذْرِيُّ على عمر ، فسأله عما وراءه ، فقال: يا أمير المؤمنين ، تركتُ مَن ورائي يسألون الله أن يزيد في عمرك من أعمارهم! ما وطئَ أحدٌ القادسيَّةَ إلا عطاؤه ألفان أو خمسَ عشرة مئة ، وما من مولود يُولد إلا أُلْحِقَ على مئةٍ وجَريبين كل شهر ذكراً كان أو أنثى ، وما يَبلغ لنا ذَكَرٌ إلا أُلحق على خمس مئة أو ست مئة ، فإذا خرج هذا لأهل بيت؛ منهم من يأكل الطعام ومنهم من لا يأكل الطعام ، فما ظنُّك به؟! فإنه لَيُنفِقُه فيما ينبغي وفيما لا ينبغي! قال عمر: فالله المستعان ، إنما هو حقُّهم أُعطوه ، وأنا أسعدُ بأدائه إليهم منهم بأخذه ، فلا تَحمدنِّي عليه ، فإنه لو كان من مال الخطاب ما أُعطيتموه ، ولكنِّي قد علمتُ أن فيه فضلاً ولا ينبغي أن أحبسَه عنهم)[2].

د ـ تقديم ذوي الحاجات:

عن عدي بن حاتم قال: (أتيتُ عمر بنَ الخطاب في أُناسٍ من قومي ، فجعل يَفْرِضُ للرجل من طيِّئ في ألفين ويُعرض عني ، قال:

---

(١) طبقات ابن سعد: ٣/ ٣٠١؛ مختصر ابن عساكر: ١٩/ ١٥ ـ ١٦؛ الأموال ، لأبي عبيد (٥٨٣)؛ محض الصواب: ١/ ٣٥٦ ـ ٣٥٧. **أريغه عن الفطام**: أي أريده منه وأراوده عليه.

(٢) طبقات ابن سعد: ٣/ ٢٩٨ ـ ٢٩٩؛ مختصر ابن عساكر: ١٩/ ١٥.

فاستقبلتُه ، فأعرض عني ، ثم أتيته من حِيَال وجهه فأعرض عني! قال: فقلت: يا أمير المؤمنين! أتعرفني؟ قال: فضحك حتى استلقى لقفاه ، ثم قال: نعم والله إني لأَعرِفُكَ ، آمنتَ إذْ كفروا ، وأقبلتَ إذ أدبَروا ، ووفَيْتَ إذ غَدَروا ، وإنَّ أولَ صدقةٍ بيَّضَتْ وجهَ رسول الله ﷺ ووجوهَ أصحابه صدقةُ طيِّئَ جئتَ بها إلى رسول الله ﷺ ، ثم أخذ يعتذر ، ثم قال: إنما فَرضتُ لقومٍ أَجْحَفَتْ بهم الفاقةُ وهم سادة عشائرهم لِما يَـنوبهم من الحقوق)[1].

٦ ـ لغـــــة الدواويـــــن:

عمل الفاروق سجل الديوان (باللغة العربية بالمدينة المنورة) على أيدي ثلاثة من نَسّابي قريش ، وأما في الأمصار الإسلامية فكُتبت الدواوين بلغة البلاد المفتوحة ، فكُتب ديوان الشام (بالرومية) ، وديوان العراق (بالفارسية).

واستمر الحال كذلك إلى خلافة بني أمية حيث قام عبد الملك بن مروان بتعريب الدواوين بالشام ، وأمر عامله على العراق الحجاج بن يوسف فنقل الدواوين بالعراق إلى العربية[2].

عاشراً: أمور أخرى في السياسة المالية:

١ ـ النقـــود:

تعتبر النقود من المعادن الثمينة من الذهب والفضة وسيلة ضرورية

---

(١) أخرجه أحمد (٣١٦) وصححه أحمد شاكر.

(٢) انظر: صبح الأعشى: ١/ ٨٩؛ دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية، ص ٤١ ـ ٤٦؛ الولاية على البلدان، ص ٢١٤ ـ ٢١٥.

للتعاملات بين الأفراد في الدولة ، وبين الدول بعضها مع بعض.

وقد بقيت النقود المتداولة في عصر النبوة وخلافة أبي بكر هي (البيزنطية) بما عليها من نقوش هِرَقْلِيَّة فيها نقوش مسيحية كالصُّلبان ، أو (كِسروية) رُسم عليها معبد النار.

وفي عهد الفاروق ، وقد اتسعت الدولة وتطورت التعاملات المالية ، فأراد إبرازَ الشخصية الإسلامية ووَضْعَ بصماتها على العملات ، وحَرَص على إضافة نقوش عربية إسلامية في العملات المتداولة.

وبدأت الخطوات الأولى (لتعريب النقود) حيث ضَرب عمر الفلوس على طراز عملة هِرَقْل سنة (١٧هـ) ، مسجِّلاً عليها اسمَه بحروف عربية ، وهو أقدمُ فَلْس وصلنا حتى الآن ، وقد ظهر في قِنَّسْرِين[١]. كما أضاف على نقوش الفلوس البرونزية المضروبة في دمشق كلمةَ (جايز) ، وعلى الفلوس المضروبة في حِمْص كلمة (طيب) أو (واف) إشارة إلى الوزن الصحيح.

وفي سنة (١٨هـ) ضرب الخليفة عمر الدراهمَ على نقش الكِسْروية ، وكانت تصنع من الفضة وعليها معبد النار، وأضاف الفاروق عبارات عربية؛ من بينها: الحمدُ لله، محمد رسول الله، لا إلٰه إلا الله وحده، عمر.

ومن المعروف أن عمر ضَرب هذه العملات الإسلامية ذات الطابع البيزنطي أو الفارسي أو الحِمْيَري؛ لأن العملات الجديدة كانت تساهم

---

(١) بلدة في شمال سورية جنوب مدينة حلب.

في توفير كميات النقد اللازمة لإجراء المعاملات والنشاطات الاقتصادية المتعددة.

ويعتبر الفاروق أولَ من ضرب النقود في الإسلام[1].

وهو الذي حدَّد قيمةَ الدرهم الإسلامي في ستة دوانق[2].

وراقب عمر النقودَ، فنَهى عن بيع النقود الرديئة (الزُّيوف) بأخرى جيدة دون وزنها، وكان يرى أنه يوقد عليها حتى يذهب ما فيها من النحاس أو الحديد حتى تخلص الفضة ثم تباع بوزنها، وهذا منعاً للغَرر[3].

وكانت القيمة الشرائية للنقود عالية:

حيث كان (العطاء السنوي) يكفل مستوى معيشيّاً جيداً لأصحابه، بل كان شرف العطاء يَفيض عن حاجة الناس، ويوضح ذلك أسعار بعض الحاجيات، مثلاً:

قميص: أربعة دراهم.

قَبَاء حريري منسوج بالذهب: ثلاث مئة درهم. والقَبَاءُ ثوب يُلبس فوق الثياب.

دية الطفل وهو حمل: (٥٠٠ درهم، أو فرس، أو عشرون ومئة شاة).

---

(١) دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية، ص ١٠٣ ـ ١٠٥.
(٢) الأحكام السلطانية، للماوردي، ص ٢٧٣.
(٣) المعرفة والتاريخ، للفسوي: ١/ ٤٤٠؛ عصر الخلافة الراشدة، ص ٢٥٣.

بعير: (٤٠٠ درهم)[1].

٢ ـ إقطاع الأراضي وإحياء الموات:

الإقطاع: نوعٌ من إحياء المَوَات، ذلك أن الأرض الميتة التي لم يُحيها أحد، ولم يملكها مسلم ولا معاهَد، وليست أرضَ جزية، ولا يُجرّ إليها ماء جزية؛ يكون للإمام أن يُقْطِعَها شخصاً بعينه، أي أن يخصَّه بحق إحيائها واستثمارها.

وقد أقطَعَ الرسول ﷺ وأبو بكر وعمر، والإقطاع ومقداره متروك لرأي الإمام[2].

وإحياءُ الأرض يكون بالسقي أو الزرع أو الغرس أو البناء، فتصير بذلك ملكَه سواء كانت فيما قَرُبَ من العمران أم بَعُدَ.

وكان عمر يشجع الناسَ على استقطاع الأرض الفَلاَة بغية إعمارها؛ فعن محمد بن عُبيد الله الثقفي قال: (خرج رجل من أهل البصرة يُقال له: أبو عبد الله، إلى عمر، فقال: إن بأرض البصرة أرضاً لا تضرُّ بأحد من المسلمين وليست بأرض خَراج، فإنْ شئت أن تُقطِعَنيها أتخذها قَضْباً وزيتوناً. فكتب عمر إلى أبي موسى: إن كانت كذلك فأَقْطِعْها إياه)[3].

وعن عبد الله بن عمر قال: (كان عمر بن الخطاب يخطب على هذا

---

(١) عصر الخلافة الراشدة، ص ٢٥٤.
(٢) أخبار عمر، ص ١٠٧؛ وانظر: الأموال، لأبي عبيد، ص ٢٨٦ ـ ٢٩٥.
(٣) الأموال، لأبي عبيد (٦٨٩)؛ والطحاوي كما في الفتح: ٦/ ٤٣٥ شرح الحديث (٢٣٣٥).

المنبر يقول: يا أيها الناس! مَن أحيا أرضاً مَيْتةً فهي له ، وذلك أن رجالاً كانوا يَحْتَجِرون من الأرض ما لا يَعْمُرون)[1].

وقد ثَبَت إقطاعُ عمر للزبير بن العوام ، ولعلي بن أبي طالب ، ولخَوَّات بن جُبير ، ولآخرين من الصحابة.

وتعتضد آثارٌ ضعيفة لتؤكِّد انتزاعَ عمر ملكيةَ الأرض المُقْطَعة إذا لم يتم استصلاحُها[2].

* * *

---

(١) علقه البخاري: الحرث والمزارعة ، باب (١٥)؛ ووصله مالك: ٢/ ٧٤٤؛ وأبو عبيد في الأموال (٧١٤) وهذا لفظه.

(٢) فتوح البلدان، ص ١٦ ـ ١٨، الأموال ، لابن زنجويه: ٢/ ٦٢٦، ٦٤٥؛ الفتح ٦/ ٤٣٥؛ عصر الخلافة الراشدة، ص ٢٤٢.

المبحث الرابع

المؤسسة القضائية (وزارة العدل)

أولاً: تطور القضاء واستقلاله:

●● يعتبر القضاء في العهد النبوي في بداياته ومنطلقاته الأساسية ، لكنه يحتل أهمية خاصة في تاريخ القضاء في الإسلام: لأنه وضَع الأسس والأركان والقواعد لتنظيم القضاء وأحكامه وآدابه ، كما أنه كان تطبيقاً عمليّـاً كاملاً ودقيقاً وأميناً للآيات القرآنية والسنة القولية ، وهو جزء من السنة النبوية الشريفة المصدر الثاني للتشريع.

وتميز القضاء في عهده ﷺ بمزايا رفيعة تحدَّث عنها العلماء ، من أجلِّها: أنه قائم على الحق والعدل ، ومرتبط بالرقابة الإلٰهية وحراسة الوحي له.

وكان النبي ﷺ هو القاضي الأول ، وهو أشهرُ القضاة وأعظمُهم وأعدَلُهم[١].

واتسعت دائرة القضاء قليلاً في عهد أبي بكر الصديق ، وكان الخليفة يقضي بنفسه بين الناس ، كما كان الولاة هم المسؤولين عن القضاء في الأمصار.

●● حتى إذا جاء عهد الفاروق واتسعت الدولة الإسلامية جدّاً ، وكثُرت الأجناس والأمم التي دخلت في الإسلام ، وزادت الخصومات

---

(١) انظر: تاريخ القضاء في الإسلام، ص ٤٠ ـ ٤١، ٧٥ ـ ٧٨.

بين الناس ـ فتطوَّرت هذه المؤسسة وأصبحت ضخمة عملاقة وتفرعت أصولها. فعيَّن أمير المؤمنين القضاة في الأمصار ، وفرض لهم الرواتب والعطاء ، وأرسل لهم الكتب والتوجيهات ووضع فيها القواعد الفذة ، وتابع مجرياتها بنفسه.

والولاة لا سلطانَ لهم على القضاة في المدن الكبرى التي تمَّ فيها تعيين القضاة بجانب الولاة ، وبذلك فَصَلَ عمرُ (السلطةَ القضائية) عن سلطة الولاة ، وبهذا يتعزز موقع القاضي؛ حيث إنه يرتبط بالخليفة مباشرة.

هذا في الوقت الذي ظهرت فيه نظرية (استقلال السلطة القضائية عن السلطة التنفيذية) في الفكر الغربي في كتابات (مُنتسكيو) التي مهَّدت للثورة الفرنسية عام (١٧٨٩م).

وبهذا يكون أمير المؤمنين عمر ـ وقد توفي (٢٣هـ/ ٦٤٤م) ـ سَبَق أوروبة في هذا التشريع بأكثر من أحد عشر قرناً ، وطبَّق هذه النظرية على أرفع وجه لا تحلم به البشرية في عصرنا الحاضر!.

ثانياً: دستور عمر في القضاء ورسائله وتوجيهاته إلى القضاة:

في عهد سيدنا عمر بلغ التنظيم الموضوعي للقضاء قمته نظريّاً وعمليّاً ، وذلك من خلال الكتب والرسائل الخالدة التي سطَّرها لتنظيم القضاء وإرشاد القضاة لتحقيق العدل وحماية الحقوق ومنع الاعتداء والظلم.

وكانت كتبه ورسائله متنوعة وشاملة للتنظيم الإداري ، والإجراءات القضائية ، ولبيان الأحكام الشرعية ، وتقديم النصائح لتحري العدل ،

وبيان المنهج القويم للحق. وكانت كتبه ورسائله مستخلَصة من القرآن والسنة، ومستمدة منهما، ومغطية للتطور الجديد، والتوسع الكبير في الفتوحات الإسلامية، ودخول الشعوب في دين الله أفواجاً[1].

- **ويعتبر (الكتاب) الذي أرسله عمر إلى أبي موسى الأشعري (في القضاء) أشهرَ وأجَلَّ وأعظمَ كتاب في تاريخ القضاء الإسلامي**، أوجز فيه (دستور القضاء)، وبيَّن قواعده وأسسه وشروطه ومحاذيره، وصفات القاضي وأعماله وواجباته.

كتب عمر إلى أبي موسى:

(أما بعد، فإن القضاءَ فريضةٌ مُحْكَمة، وسنَّةٌ متَّبَعةٌ، فافْهَمْ إذا أُدْليَ إليك بحجَّة، وأَنْفِذ الحقَّ إذا وَضَح؛ فإنه لا يَنفعُ تكلُّمٌ بحقٍّ لا نفاذَ له.

آسِ[2] بين الناس في مجلسك وفي وجهك وقضائك، حتى لا يطمعَ شريفٌ في حَيْفِك، ولا يَيْئَس ضعيف من عَدْلك.

البيِّنةُ على المدَّعي واليمينُ على من أنكر.

والصلحُ جائزٌ بين المسلمين، إلا صُلحاً أحَلَّ حراماً أو حَرَّم حلالاً.

ومن ادَّعى حقّاً غائباً أو بيِّنةً، فاضرِبْ له أمَداً ينتهي إليه، فإنْ بيَّنَه أَعطيتَه بحقِّه، وإنْ أعْجَزَه ذلك استَحْللتَ عليه القضية، فإن ذلك هو أبلغُ في العُذْر وأجلَى للعَمَاء.

---

(١) تاريخ القضاء في الإسلام، ص ١٠٧ ـ ١٠٩.

(٢) أي: سَوِّ.

ولا يمَنعنَّكَ قضاءٌ قضيتَ فيه اليوم ، فراجعتَ فيه رأيَـكَ ، فهُدِيتَ فيه لرُشْدك ، أن تُراجِع فيه الحقَّ؛ فإن الحقَّ قديمٌ لا يُـبْطِله شيءٌ ، ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل.

والمسلمون عدولٌ بعضُهم على بعض ، إلا مجرَّباً عليه شهادة زور ، أو مَجْلُوداً في حدٍّ ، أو ظَنيناً في ولاءٍ أو قرابة؛ فإن الله تعالى تولَّى من العباد السرائر ، وسَتَر عليهم الحدودَ إلا بالبيِّنات والأَيْمان.

ثم الفهمَ الفهمَ فيما أُدْلي إليك مما ورَدَ عليك ، مما ليس في قرآن ولا سُنَّة ، ثم قايِس الأمورَ عند ذلك واعرف الأمثال ، ثم اعمِدْ فيما ترى إلى أحبِّها إلى الله وأشبهها بالحق.

وإيَّاكَ والغضَبَ والقلقَ والضَّجَر والتأذيَ بالناس والتنكُّرَ عند الخصومة ـ أو: الخصوم ـ فإن القضاءَ في مواطن الحق مما يُوجِب الله به الأجرَ ، ويُحْسِن به الذِّكْر ، فمن خَلَصتْ نيتُه في الحق ولو على نفسه كَفَاه الله ما بينه وبين الناس ، ومن تَزيَّنَ بما ليس في نفسه شانَهُ الله ، فإن الله تعالى لا يَـقبلُ من العباد إلا ما كان خالصاً ، فما ظَنُّكَ بثواب عند الله في عاجل رزقه وخزائن رحمته! والسلام عليك ورحمة الله)[1].

قال ابن القيمِ بعد أن روى هذا الكتاب: (هذا كتاب جليل تلقَّاه العلماء بالقبول ، وبَنَوْا عليه أصولَ الحكم والشهادة ، والحاكمُ والمفتي

---

(١) سنن الدارقطني (٤٤٧١، ٤٤٧٢)؛ المعرفة ، للبيهقي: ١٤/ ٢٤٠ ـ ٢٤١؛ أخبار القضاة: ١/ ٧٠ ـ ٧٣، ٢٨٣ ـ ٢٨٤؛ الأحكام السلطانية ، للماوردي، ص ١٣٩ ـ ١٤٠؛ إعلام الموقعين: ١/ ٨٥ ـ ٨٦؛ محض الصواب: ٢/ ٥٥ ـ ٥٥٦.

أحوجُ شيء إليه وإلى تأمله والتفقه فيه). وأطنب في شرحه بنحو (٤٨٠) صفحة!.

وقال العلاَّمة علي الطنطاوي ـ وهو من مشاهير قضاة الشام ـ: (وقد جَمعتْ هذه الرسالة العجيبة آدابَ القاضي، وأصولَ المحاكمة، وقد شَغلت العلماء بشرحها والتعليق عليها هذه القرون الطويلة، ولا تزال موضعَ دهشة وإكبار لكل من يطلع عليها. ولو لم يكن لعمر من الآثار غيرها، لَعُدَّ بها من كبار المفكرين والمشترعين)[1].

ـ وكتب إلى أبي عبيدة بن الجراح فقال:

(أما بعدُ، فإني كتبت إليك في القضاء بكتاب لم آلُكَ فيه ونفسي خيراً، الزم خمسَ خصال يسلَمْ لك دينُك وتحظَ بأفضل حظِّك: إذا حَضَرك الخصمان فعليك بالبيِّنات العدول والأَيْمان القاطعة، ثم أَدْنِ الضعيف حتى ينبسطَ لسانه ويجترئَ قلبُه، وتعاهَد الغريبَ فإنه إذا طال حبسُه ترك حاجته وانصرف إلى أهله، وإن الذي أبطَلَ حقَّه من لم يرفَعْ به رأساً، واحْرِص على الصلح ما لم يتبيَّن لك القضاء، والسلام عليك)[2].

وورد كتابٌ مماثل بَعث به عمر إلى معاوية بن أبي سفيان[3]، ولا مانع من تكرار الكتاب بنفس المعاني لاثنين من الولاة، فالهدف واحد.

---

(١) أخبار عمر، ص ١٧٣.

(٢) الخراج، لأبي يوسف، ص ٦٧؛ مختصر ابن عساكر: ١٨/ ٣٢٠ ـ ٣٢١؛ مجموعة الوثائق السياسية، ص ٤٣٨.

(٣) أخبار القضاة: ١/ ٧٤ ـ ٧٥.

ـ وأكثرَ من الكتب والرسائل إلى القاضي الشهير شُرَيح بن الحارث الكِنْدي .

من ذلك ما رواه شريح نفسه : أن عمر كتب إليه : (إذا جاءك أمرٌ فاقضِ فيه بما في كتاب الله ، فإنْ جاءك ما ليس في كتاب الله فاقضِ بما سنَّ رسول الله ﷺ ، فإن جاءك ما ليس في كتاب الله ولم يَسُنَّه رسول الله ﷺ فاقضِ بما أجمع عليه الناس ، فإن جاءك ما ليس في كتاب الله ولم يَسنَّه رسول الله ﷺ ولم يتكلم به أحد فاختر أيَّ الأمرين شئتَ : فإنْ شئتَ فتقدَّمْ واجتهِدْ رأيَـكَ ، وإن شئتَ فأخِّره ، ولا أرى التأخيرَ إلا خيراً لك) .

وفي رواية : (وإنْ شئتَ أن تُؤامِرَني ، ولا أَرى في مؤامرتك إيايَ إلا أسلمَ لك)[1] .

ـ وحصر عمر الموافقةَ على تنفيذ (حدِّ القتل) بالخليفة وحده :

عن النزَّال بن سَبْرة : (أن عمر كَتَب إلى الآفاق أن لا تقتلوا أحداً إلا بإذني)[2] .

ثالثاً: مميزات القضاء في عهد عمر:

للقضاء في عهد عمر مميزات رفيعة يمكن إجمالها فيما يلي :

(١) أخبار القضاة: ٢/١٨٩ ـ ١٩٠؛ جامع بيان العلم: ٢/٧٠؛ سنن الدارمي (١٦٧).

(٢) مصنف ابن أبي شيبة: ٦/٥١٥؛ السنن الكبرى، للبيهقي: ٨/٢٣٦؛ مجموعة الوثائق السياسية، ص ٥٢١.

١ ـ كان عمر يستشير ويأمر القضاة بأن يستشيروا:

قال عامر الشعبي: (مَن سَرَّه أن يأخذ بالوثيقة من القضاء، فليأخُذْ بقضاء عمر فإنه كان يستشير)[١].

وكتب عمر إلى شُريح: (واستشِرْ أهلَ العلم والصلاح)[٢].

٢ ـ التأنِّي الشديد في القضاء والبتِّ في الأحكام:

ويشير إلى هذا قول الشعبي: (كانت القضية تُرفَع إلى عمر، فربما يتأمل في ذلك شهراً، ويستشير أصحابه)[٣].

٣ ـ العدل الفذ:

وهو أمر اشتَهَر عمرُ به وأضحى عَلَماً عليه، وحمل قضاته عليه بعد أن اختبرهم ورأى منهم ما يَسرُّه، واستبانَ عدمَ ملاينتهم لأحدٍ ولو كان الخليفة نفسه.

وكان يدعو الله قائلاً: (اللهم إنْ كنتَ تعلمُ أني أُبالي إذا قعد الخصمان بين يديَّ على مَن كان الحق، من قريب أو بعيد، فلا تُمهِلْني طرفةَ عينٍ!)[٤].

---

(١) المعرفة والتاريخ: ١/ ٤٥٧؛ السنن الكبرى، للبيهقي: ١٠/ ١٠٩؛ وبنحوه عند ابن سعد: ٢/ ٣٣٦.

(٢) تاريخ القضاء في الإسلام، ص ١١٩؛ إعلام الموقعين: ١/ ٨٤.

(٣) تاريخ القضاء في الإسلام، ص ١٢٥.

(٤) الحلية: ٦/ ١٤٠؛ وبنحوه عند ابن سعد: ٣/ ٢٩٠.

٤ ـ الحرص على الستر على الناس:

لقد كان من سياسة عمر في دولته أن لا يشجِّع الناسَ على الاعتراف بخطاياهم ، بل يريد الستر لهم والتوبة فيما بينهم وبين الله تعالى .

من ذلك: أن شُرَحْبيل بن السِّمْط كان يتولى مَسْلَحة[1] دون المدائن ، فقال لجيشه: (إنكم نزلتم أرضاً كثيرة النساء والشراب ـ يعني الخمر ـ فمن أصاب منكم حدّاً فليأتنا فنطهِّره ، فأتاه ناس. فَبَلغ ذلك عمرَ بنَ الخطاب ، فكتب إليه: أنت لا أُمَّ لك الذي يأمر الناس أن يهتِكوا سِتْرَ الله الذي سترهم به؟!)[2] .

ومن هذا القبيل قوله لرجل بشأن ابنته: (أَنكِحْها نكاحَ العفيفة المسلمة)[3] .

٥ ـ لا يكون الحكم إلا إذا اتضحت المسألة كالشمس:

عن قتادة: (أن أبا موسى الأشعري قال: لا ينبغي للقاضي أن يقضي حتى يتبيَّن له الحق كما يتبين الليل من النهار. فبلَغ ذلك عمرَ ، فقال: صدق أبو موسى)[4] .

---

(١) قوم مسلحون في الثغر يسكنونه ويراقبون العدو لئلا يباغتهم، ويتكفلون بصده عمن وراءهم .

(٢) مصنف عبد الرزاق (٩٣٧١)؛ كنز العمال: ٥/ ٥٦٩ ـ ٥٧٠ . وتقدمت قصة مشابهة: ص ٣٨٠ في هذا الكتاب .

(٣) انظر الخبر بتمامه: ص ٣٨٠ في هذا الكتاب .

(٤) طبقات ابن سعد: ٢/ ٣٤٥ .

٦ ـ تخير القضاة الذين يتصفون بالورع والنبل والفهم الثاقب وقول الحق والقضاء به:

عن الشعبي وقتادة قالا: (جاءت امرأة إلى عمر فقالت: زوجي خيرُ الناس؛ يقوم الليل ويصوم النهار! فقال عمر: لقد أحسنت الثناءَ على زوجك. فقال كعب بن سُوْر: ما رأيتُ كاليوم شكوى أشدّ، ولا عدوى أجملَ! فقال عمر: ما تقول؟ قال: تزعمُ أنه ليس لها من زوجها نَصيبٌ، قال: فإذا فهمتَ ذلك فاقضِ بينهما. قال: يا أمير المؤمنين، أَحَلَّ الله من النساء مثنى وثُلاثَ ورُبَاعَ، فلها من كلِّ أربعة أيام يومٌ يفطِر ويُقيم عندها، ومن كل أربع ليالٍ ليلة يَبيت عندها).

زاد في رواية: (فقال عمر لكعب بن سُوْر: اذهَبْ فأنت قاضٍ على أهل البصرة)[(١)].

رابعاً: تعيين القضاة ورواتبهم ومكان قضائهم:

●● يعتبر عمر أولَ من عيَّن رجالاً مخصوصين للقضاء، وحدَّد لهم راتباً معيناً يتقاضونه من بيت مال المسلمين مباشرة أو من أحد فروعه أو أحد موارده في الأمصار، وذلك لقاء تفرُّغِهم لهذا العمل الجليل في الفصل بين الناس والحكم بينهم، حتى لا تضيع حقوق الناس إذا ما انشَغَل القضاة بطلب الرزق في عمل آخر[(٢)].

وكان رضي الله عنه يَرغب بالتوسعة على القضاة لِما في ذلك من

(١) مصنف عبد الرزاق (١٢٥٨٦ ـ ١٢٥٨٨)؛ طبقات ابن سعد: ٧/ ٩٢؛ أخبار القضاة: ١/ ٢٧٥ ـ ٢٧٦.

(٢) تاريخ القضاء في الإسلام، ص ١٠٣.

المصالح العامة ، وقد كتب إلى أبي عبيدة ومعاذ بن جبل حين بعثهما إلى الشام: (أن انظروا رجالاً صالحين من قِبَلكم فاستعملوهم على القضاء ، وأَوْسِعوا عليهم ، وارزقوهم من مال الله)[1].

ومن أمثلة ما فرضه عمر من رواتب القضاة:

ـ سلمان بن ربيعة الباهلي (الكوفة): (٥٠٠ درهم) كل شهر.

ـ شريح القاضي (الكوفة): (١٠٠ درهم) كل شهر.

ـ عبد الله بن مسعود (الكوفة): (١٠٠ درهم) كل شهر ، وربع شاة كل يوم.

ـ قيس بن أبي العاص السهمي: (٢٠٠ دينار)[2].

وتعيينُ القضاة أو عزلُهم من اختصاص الخليفة ، وقد يكون التعيين من الخليفة مباشرة كما حدث في تعيينه شُريحاً وكعبَ بن سور وغيرهما. أو يكون التعيين من قبل الوالي بتفويض من عمر، من ذلك كتابه إلى عمرو ابن العاص والي مصر بأن يعيِّن قيسَ بن أبي العاص السهمي قاضياً بها[3].

●● ولم يكن للقضاء مكان خاص (دار القضاء) في العهد النبوي ، واستمر الأمر كذلك في عهد أبي بكر وعمر. وكان القاضي ينظر الدعاوى ويَفصل الخصومة غالباً في (المسجد) أو في بيته أو في الأماكن العامة ، وحتى في الطريق أحياناً.

---

(١) سير أعلام النبلاء: ١/ ٤٥٥؛ تاريخ القضاء في الإسلام، ص ١٠٤.

(٢) عصر الخلافة الراشدة، ص ١٧٤؛ تاريخ القضاء في الإسلام، ص ١٠٣ ـ ١٠٤.

(٣) أخبار القضاة: ٣/ ٢٢٠ ـ ٢٢١؛ تاريخ القضاء في الإسلام، ص ٨٨ ـ ٨٩.

ولم يكن في ذلك غَضَاضةٌ: لقلَّة الدعاوى من جهة ، واتساع وظيفة المسجد من جهة ثانية ، وبقاء القضاء قريباً من الإفتاء والتحكيم وعدم المرافعة الطويلة والإجراءات الشكلية من جهة ثالثة[١].

●● ولم يكن (السِّجْن) معروفاً في العهد النبوي كمكان لحبس المتَّهم ، أو المحكوم عليه ، واستمر الأمر كذلك في عهد أبي بكر ، وشَطْر من عهد عمر ، حيث استحدث الفاروق داراً للحبس ، وكان القضاة والحكام والولاة يحبسون من يرون حبسهم في تلك الدار . وانتشر إنشاء السجون في بقية المدن بحسب الأحوال والظروف[٢].

عن نافع بن عبد الحارث ـ وهو عامل عمر على مكة ـ أنه اشترى داراً للسِّجْن بمكةَ من صفوان بن أميَّة ، على أنَّ عمرَ إنْ رضي فالبيعُ بيعُه ، وإنْ لم يرضَ عمر فلصفوانَ أربع مئة . فأخذها عمر[٣].

خامساً: مجمل أسماء القضاة وأماكن عملهم في عهد عمر[٤]:

١ ـ علي بن أبي طالب (المدينة).

---

(١) تاريخ القضاء في الإسلام، ص ١٠٥؛ عصر الخلافة الراشدة، ص ١٥٩ ـ ١٦٠؛ وانظر: الفتح: ١٦/ ٥٢٥ ـ ٥٢٧؛ البخاري: كتاب الأحكام ، باب (١٨).

(٢) تاريخ القضاء في الإسلام، ص ١٠٦.

(٣) علَّقه البخاري قبل الحديث (٢٤٢٣)، ووصله الحافظ في تغليق التعليق: ٣/ ٣٢٦؛ وعبد الرزاق في مصنفه (٩٢١٣)؛ والبيهقي في السنن: ٦/ ٣٤.

(٤) أخبار القضاة: ١/ ١٠٥ ـ ١٠٩، ٢/ ١٨٤ ـ ١٩٠؛ تاريخ القضاء في الإسلام، ص ١٢٦ ـ ١٢٨، ١٣٨ ـ ١٤٢؛ عصر الخلافة الراشدة، ص ١٧١ ـ ١٧٣.

٢ ـ زيد بن ثابت (المدينة).

٣ ـ أُبيّ بن كعب (المدينة).

٤ ـ يزيد ابن أخت النمر (المدينة).

٥ ـ أبو الدرداء (دمشق).

٦ ـ عبادة بن الصامت (الشام).

٧ ـ أبو موسى الأشعري (البصرة).

٨ ـ المغيرة بن شعبة (البصرة).

٩ ـ عمران بن حُصَيْن (البصرة).

١٠ ـ أبو مريم إياس بن صُبَيْح الحَنَفي (البصرة).

١١ ـ سعد بن أبي وقاص (الكوفة).

١٢ ـ عبد الله بن مسعود (الكوفة).

١٣ ـ عمار بن ياسر (الكوفة).

١٤ ـ جُبير بن مُطْعِم (الكوفة).

١٥ ـ شُريح بن الحارث الكِنْدي (الكوفة).

١٦ ـ عَبيدة السَّلْماني (الكوفة).

١٧ ـ جَبْر بن القَشْعَم بن يزيد (الكوفة).

١٨ ـ كعب بن سَوْر الأَزْدي (البصرة).

١٩ ـ أبو قرّة الكِنْدي (الكوفة).

٢٠ ـ سلمان بن ربيعة الباهلي (الكوفة ثم المدائن).

٢١ ـ عروة بن عياض البارقي (الكوفة).

٢٢ ـ خارجة بن حُذافة العدوي (مصر).

٢٣ ـ عثمان بن قيس بن أبي العاص (مصر).

٢٤ ـ قيس بن أبي العاص السهمي (مصر).

٢٥ ـ كعب بن يسار العبسي (مصر).

ومنهم من جمع عمر له (الولاية مع القضاء):

١ ـ نافع بن عبد الحارث الخزاعي (والي مكة).

٢ ـ يعلى بن أمية (والي صنعاء).

٣ ـ سفيان بن عبد الله الثقفي (والي الطائف).

٤ ـ المغيرة بن شعبة (والي الكوفة).

٥ ـ معاوية بن أبي سفيان (والي الشام).

٦ ـ عثمان بن أبي العاص الثقفي (والي البحرين).

٧ ـ عمير بن سعد (والي حمص).

٨ ـ عبد الله بن ربيعة (والي الجَنَد).

٩ ـ ١٠ ـ أبو عبيدة بن الجراح، ومعاذ بن جبل (من أمراء الأجناد بالشام).

وعمر أمير المؤمنين هو أحد قضاة الأمة المشاهير، وكان يقضي بنفسه في خلافته.

قال عامر الشعبي: (قضاة هذه الأمة أربعة: عمر، وعلي، وزيد،

وأبو موسى الأشعري). وقال نحوه قتادة ومسروق[1].

وعن الشعبي: (أن عمر كان يطوف في الأسواق، ويقرأ القرآن، ويقضي بين الناس حيث أدركه الخصوم)[2].

وانظر الأمثلة في الفقرة التالية:

سادساً: نماذج من أقضية الفاروق وأحكامه في الجرائم والجنايات:

١ ـ تزوير معن بن زائدة[3] خاتم بيت المال بالكوفة.

العقوبة: مئة سوط[4].

٢ ـ رجل سرق من بيت المال بالكوفة.

العقوبة: جلده تعزيراً مع دَرْء الحدِّ لأن له في بيت المال نصيباً[5].

٣ ـ رقيق حاطب بن أبي بَلتعة سرقوا ناقة فانتحروها وأكلوها.

العقوبة: دَرْء الحدِّ عنهم لأن سيدهم يُجيعهم، وتهديد مالكهم بعدم إجاعتهم وتغريمه ضعف ثمن الناقة (٨٠٠ درهم)[6].

٤ ـ مجنونة زنت.

---

(١) طبقات ابن سعد: ٢/ ٣٥١؛ أخبار القضاة: ١/ ١٠٤ ـ ١٠٥؛ تاريخ القضاء في الإسلام، ص ١٣٣.

(٢) تاريخ الطبري: ٤/ ٢١٣.

(٣) ليس هو الأمير المشهور.

(٤) عصر الخلافة الراشدة، ص ١٦٢؛ أخبار عمر، ص ١٨٦ ـ ١٨٧؛ وانظر ما سيأتي: ص٥١٢ حاشية (١) في هذا الكتاب.

(٥) مصنف ابن شيبة: ٦/ ٥٢٣؛ عصر الخلافة الراشدة، ص ١٦٢ ـ ١٦٣.

(٦) موطأ مالك: ٢/ ٧٤٨؛ مصنف عبد الرزاق (١٨٩٧٧).

العقوبة: أَسقط الحدَّ عنها للجنون[1].

٥ ـ ذمي استكره مسلمة على الزنى.

العقوبة: الصلب، لأنه خالف شروط العهد[2].

٦ ـ إكراه نساء على الزنى.

العقوبة: درء الحد عنهم للإكراه[3].

٧ ـ امرأة تزوَّجَتْ ولها زوج كَتَمتْه.

العقوبة: رجمُ المرأة، وجلدُ الزوج مئة سوط ولم يُرجم للجهالة[4].

٨ ـ امرأة أعجمية زنت ولا تعلم بالتحريم.

العقوبة: درء الحد[5].

٩ ـ شهادة ثلاثة على المغيرة بن شعبة بالزنى وعدم اكتمال الشهادة لتراجع الشاهد الرابع.

---

(١) البخاري: كتاب الحدود، باب (٢٢)، الفتح: ١٦/ ٣٩٥ ـ ٣٩٧؛ سنن أبي داود (٤٣٩٩).

(٢) المغني: ١٠/ ٦٠٩، ٦٣٤؛ عصر الخلافة الراشدة، ص ١٦٣.

(٣) البخاري (٦٩٤٩)؛ الفتح: ١٦/ ٩٢ ـ ٩٤؛ أخبار القضاة: ١/ ١٠١ ـ ١٠٢؛ عصر الخلافة الراشدة، ص ١٦٣.

(٤) الأم: ٧/ ٣١٥؛ نيل الأوطار: ٧/ ٨٨؛ عصر الخلافة الراشدة، ص ١٦٤.

(٥) المراجع السابقة نفسها.

العقوبة: إقامةُ حدِّ القذف على الشهود الثلاثة ثمانين جلدة[1].

١٠ ـ امرأة اتَّهمتْ زوجَها بجاريتها ثم اعترفتْ بأنها وهَبَتْها له.

العقوبة: إقامة حد القذف على المرأة ثمانين جلدة[2].

١١ ـ رجل راوَدَ جارية على نفسها فرَمَتْه بحجر فقتلَتْه.

العقوبة: أهدَرَ عمر دَمَه وديته، وقال: ذلك قتيل الله لا يُودَى أبداً[3].

١٢ ـ الرجل يَـقتله النَّفَر.

العقوبة: القتلُ لهم جميعاً.

عن ابن عمر: (أن عمر بن الخطاب قَتل سبعةً من أهل صنعاء برجل، وقال: لو اشترك فيه أهلُ صنعاءَ لقتلْتُهم!)[4].

١٣ ـ رجل قتل ولدَه عمداً.

العقوبة: الدِّيَـة[5].

---

(١) البخاري: كتاب الشهادات، باب (٨)؛ الفتح: ٧/ ٩٦، ٩٨ ـ ٩٩؛ سير أعلام النبلاء: ٣/ ٢٧، تاريخ الطبري: ٤/ ٦٩ ـ ٧٢.

(٢) موطأ مالك: ٢/ ٨٣١؛ الأم: ٧/ ١٦٩؛ عصر الخلافة الراشدة، ص ١٦٤ ـ ١٦٥.

(٣) تقدم: ص ٣٨١ في هذا الكتاب.

(٤) البخاري (٦٨٩٦)؛ مصنف ابن أبي شيبة: ٦/ ٣٩٢.

(٥) مسند أحمد (١٤٧، ١٤٨، ٣٤٦)؛ نيل الأوطار: ٧/ ١٢؛ وانظر: موطأ مالك: ٢/ ٨٦٧.

١٤ ـ شاب تنكَّر بثياب امرأة واغتصبَ امرأة نائمة فقتَلَتْه.

العقوبة: براءة المرأة[١].

١٥ ـ اتخاذُ رُوَيْشد الثقفي حانوتاً لبيع الخمر.

العقوبة: إحراق الحانوت[٢].

١٦ ـ رجلٌ طلَّق نساءه قبل الموت ليمنعهنَّ الميراث.

العقوبة: أَمره عمر بمراجعةِ نسائه، وهدَّده بأن يورّثَهنَّ منه ويَرجُم قبره![٣].

١٧ ـ شتم الرسول ﷺ.

العقوبة: القتل[٤].

وفي تضاعيف هذا الكتاب أمثلة كثيرة أخرى.

* * *

---

(١) الأم: ٦/ ٢٦، ١٢٣، ٧/ ١٦٩؛ عصر الخلافة الراشدة، ص ١٧٠.

(٢) الأموال، لأبي عبيد (٢٦٧، ٢٨٧)؛ محض الصواب: ٢/ ٦٩٤.

(٣) سنن الترمذي (١١٥٨)؛ صحيح ابن حبان (٤١٥٦).

(٤) عصر الخلافة الراشدة، ص ١٦٧.

المبحث الخامس

الحسبة ونظام العَسَس

أولاً: الحسبة:

●● يهدف نظام الحسبة إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لإقامة شرع الله ودينه ، وتطبيق الأحكام والآداب الإسلامية ، والمحافظة على الحقوق العامة[1].

والتعريف الأشمل للحسبة هو: (رقابة إدارية تقوم بها الدولة عن طريق موظفين خاصين على نشاط الأفراد في مجال الأخلاق والدين والاقتصاد وأي مجال من المجالات الاجتماعية بوجه عام ، تحقيقاً للعدل والفضيلة ، ووفقاً لمبادئ الدين المقررة في الشرع الإسلامي وللأعراف المألوفة في كل بيئة وزمن)[2].

ومع أن هذا النظام لم يكن موجوداً بصورة مستقلة وكيان خاص ، لكن نواته الأولى ظهرت في عهد النبوة ، وتطور في عهود الخلفاء الراشدين ، خاصة في خلافة عمر حيث قام به على خير وجه[3].

وتطور بشكل فذ في (الدولة الأموية) ، وكَثُرت فروعه وموظفوه ، وكتب فيه أئمة الإسلام ـ فيما بعد ـ كتباً جليلة ، ونقلَتْه أوروبة عن

---

(١) تاريخ القضاء في الإسلام، ص ٩٣.

(٢) الدولة ونظام الحسبة عند ابن تيمية، لمحمد المبارك، ص ٧٣.

(٣) تاريخ القضاء في الإسلام، ص ٩٤؛ دارسات في تاريخ الحضارة الإسلامية، ص ٦٤ ـ ٦٥.

المسلمين ، وامتدت آثاره إلى القوانين الوضعية المعاصرة[1].

●● وطولُ مدة خلافة عمر قد أعانَه على وضْع الأسس لنظام الحسبة ، وكان يباشر الحسبة بنفسه على الآداب والأخلاق ومراقبة الأسواق والأسعار ومنع الغش وتجاوز الحقوق . . .

ويمكن استنباط (معالم الحِسبة وأسسها في عهد عمر) من خلال خطبه التي استقبل بها خلافته ، وكذلك من أوامره لولاة الأمصار.

فمما قاله : (فوالله لا يحضُرني شيء من أمركم فيليَه أحدٌ دوني ، ولا يتغيَّب عني فآلو فيه عن الجَزْء والأمانة ، ولئِنْ أحسنوا لأُحسننَّ إليهم ، ولئن أساؤوا لأنكلنَّ بهم).

وقال : (ولستُ أدَعُ أحداً يَظلم أحداً أو يتعدَّى عليه حتى أضَعَ خدَّه على الأرض ، وأضع قدمي على الخدِّ الآخر حتى يُذعن للحق!)[2].

وأمر الوالي أبا موسى الأشعري أن يقوم بالمظالم ، فقال له : (فإنَّ للناس نفرةً عن سلطانهم . . . أقمِ الحدود ، واجلسْ للمظالم ولو ساعة من نهار)[3].

وقد شملت الحسبة في عهد الفاروق جوانب مختلفة ، كان في كثير منها يقوم عليها بنفسه ، وفي جوانب أخرى أمر الولاة وغيرهم أن يحتسبوا فيها .

---

(١) انظر خلاصة طيبة في : دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية، ص ٦٤ ـ ٩٠ .

(٢) تقدم : ص ٢٨٣ ـ ٢٨٦ في هذا الكتاب .

(٣) تاريخ القضاء في الإسلام ، ص ٩٦ .

ونشير فيما يلي إلى نماذج من ذلك :

١ ـ حماية العقيدة ومحاربة البدع والضلال:

ـ بلَغه أن الناس كانوا يأتون الشجرة التي كانت عندها بيعة الرضوان ، فأَمر بها فقُطِعت[١] .

ـ وفي فتح (تُسْتَر) ظهر للمسلمين قبر (دانيال)[٢] ، وكان الناس يستسقون بجسده ، فكتب أبو موسى الأشعري إلى عمر بشأنه ، فكتب إليه عمر يأمره بأن يحفر بالنهار ثلاثة عشر قبراً ، ويدفنه بالليل في واحد منها ، لئلا يفتتن الناس به[٣] .

ـ ورُفع إليه أن (صَبِيغ بن عِسْل) يسأل عن متشابه القرآن ، فظفر عمر به ، فعزَّره بالجلد ، ونفاه إلى البصرة ، حتى رجع عن بدعته[٤] .

ـ وكتب إلى الأمصار قبل موته بسنة : (أنِ اقتُلوا كل ساحرٍ وساحرة ، وفرِّقوا بين كل ذي مَحْرَم من المجوس ، وانْهُوهم عن الزَّمزَمة)[٥] .

ـ ولما فتح المسلمون مصر ، وجدوا الناس هناك على عادة سيئة حيث يقدِّمون لنهر النيل (عروساً) يرمونها به كل سنة ليفيض! فأمر عمر

---

(١) تقدم : ص ٣٣٤ في هذا الكتاب .

(٢) انظر ما كتبناه : ص ٣٣٥ ـ ٣٣٦ حاشية (١ ، ٢) في هذا الكتاب .

(٣) منهاج السنة النبوية : ١/ ٣٠٠؛ وانظر التفصيل في : تاريخ الطبري : ٤/ ٩٢ ـ ٩٣؛ فتوح البلدان، ص ٣٤٤؛ البداية والنهاية : ٢/ ٤٠ ـ ٤١ .

(٤) تقدم : ص ٣٣٤ ـ ٣٣٥ في هذا الكتاب .

(٥) مسند أحمد (١٦٥٧)؛ مصنف ابن أبي شيبة : ٧/ ٥٨٤؛ وصححه أحمد شاكر .
الزمزمة : كلام يقوله المجوس عند أكلهم بصوت خفي .

بإبطال ذلك، وكتب بطاقة أُلقيت في النيل، جاء فيها: (من عبد الله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب إلى نيل مصر، أما بعد: فإن كنتَ إنما تجري من قِبَل نفسك وبأمرِك فلا تجرِ، ولا حاجة لنا بك، وإن كنتَ إنما تجري بأمر الله القادر على كل شيء؛ فنسأل الله القادر على كل شيء أن يُجريك).

فأصبح في اليوم التالي وقد أجرى الله النيل وزاد (١٦ ذراعاً) في ليلة واحدة[١].

وقد مرت أمثلة أخرى[٢].

٢ ـ الحسبة على العبادات:

ـ كان يخطب يوم الجمعة، فدخل عثمان بن عفان متأخراً، فأنكر عمر عليه وذكَّره بهَدْي النبي ﷺ بالاغتسال يوم الجمعة والتبكير للصلاة.

ـ وافتقد أحدَ الصحابة في صلاة الفجر، فذهب إلى بيته وسأل أمه عنه.

ـ ورأى رجلاً يصلي بين أسطوانتين، فأدناه إلى سارية.

ـ وأحرم عمران بن حُصين من البصرة، فأغلَظَ عمر له ونهاه عن ذلك.

ـ ورأى امرأة مجذومة تطوف مع الناس، فأمرها أن تجلس في بيتها حتى لا تؤذي المسلمين[٣].

---

(١) مختصر ابن عساكر: ١٨/٣٤٨ ـ ٣٤٩؛ محض الصواب: ٢/٤٤٩، ٦٤٤ ـ ٦٤٥.

(٢) انظر: ص ٣٣٣ ـ ٣٣٦ في هذا الكتاب.

(٣) تقدمت هذه الأخبار بتمامها: ص ٣٣٦ ـ ٣٤٠ في هذا الكتاب.

ـ ودخل المسجد في رمضان فرأى الناس يصلون التراويح أفراداً وأوزاعاً ، فجمعهم على أبي بن كعب[(١)] .

ـ وسمع رجلين يرفعان صوتيهما في مسجد رسول الله ﷺ ، فزَبَرهُما ، وقال: من أين أنتما؟! قالا : من أهل الطائف ، قال: لو كنتُما من أهل البلد لأَوْجَعْتُكما ، ترفَعانِ أصواتكما في مسجد رسول الله ﷺ[(٢)]؟! .

ـ وبَلَغ عمرَ أن رجلاً يصوم الدهر ، فأتاه فعَلَاه بالدِّرَّة ، وجعل يقول: كُلْ يا دهريّ ، كلْ يا دهريّ[(٣)]! .

٣ ـ الحسبة على الأسواق والتجارة:

●● كان أمير المؤمنين شديد العناية بالأسواق لِما يقع فيها من الغش والكذب والاحتكار والغَرَر والمعاملات الباطلة ، فكان يطوف فيها بنفسه ، ويعين موظفين محتسبين لهذا العمل الجليل .

عن أنس بن مالك قال: (رأيتُ على عمر إزاراً فيه أربع عشرة رقعة إن بعضها لأَدَم ، وما عليه قميص ولا رداء ، مُعتَمّ ، معه الدِّرَّة يطوف في سوق المدينة)[(٤)] .

---

(١) تقدم: ص ٤٠١ في هذا الكتاب .
(٢) البخاري (٤٧٠) .
(٣) مصنف ابن أبي شيبة: ٢/ ٤٩٢ ، وصححه الحافظ في الفتح: ٥/ ٧٥٧ .
(٤) طبقات ابن سعد: ٣/ ٣٣٠ .

وقال قتادة: (كان عمر يطوف في الأسواق ، ومعه الدرَّة يؤدِّب بها الناس)[1].

وعيَّنَ موظفاً خاصّاً بالسوق ، فجعل السائب بن يزيد عاملاً على سوق المدينة ، وكذلك عبد الله بن عُتْبة ، وعيَّنَ عاملاً آخر على السوق هو سُليمان بن أبي حَثْمة[2].

بل واستعمل عمر الشفاء بنت عبد الله (أم سليمان بن أبي حثمة) على السوق[3].

●● ووضع قوانين بارزة في التجارة بالأسواق والعمل بها ، فأمر الناس بالتفقه في المعاملات ، ومَنَع الاحتكار والغش ، وتدخَّل في تحديد الأسعار ، وغير ذلك.

وهذه المبادئ ـ مع احتسابه بنفسه وتعيينه الموظفين على الأسواق ـ تشبه في أيامنا عمل غرفة التجارة والدائرة الاقتصادية وجمعيات حماية المستهلك ، وهذا من السوابق العمرية.

عن العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب ، عن أبيه ، عن جدِّه قال: (لا يَبِـعْ في سُوقنا إلا مَن تفقَّه في الدِّين)[4].

وكان يقول: (لا يقعدْ في سوقنا من لا يعرف الربا) ، (لا يَـبع في

---

(١) مختصر ابن عساكر: ١٨/ ٣٣٢.
(٢) الحسبة في الماضي والحاضر: ٢/ ٥٠٧؛ نسب قريش، ص ٣٧٤.
(٣) جمهرة أنساب العرب، ص ١٥٠؛ التراتيب الإدارية، للكتاني: ١/ ٢٨٥؛ الحسبة في الماضي والحاضر: ٢/ ٥٠٨.
(٤) أخرجه الترمذي (٤٩٣) وقال: حسن غريب.

سوقنا إلا من تفقه ، وإلا أكل الربا شاء أو أبى!)[1].

ـ وروي عنه من طُرق أنه قال: (لا حُكْرَةَ في سُوقِنا) ، (لا يَبعْ في سوقنا محتكِرٌ)[2].

ولمَّا بَلَغه أن أحدَ مواليه وفَرُّوخاً مولى عثمان قد احتَكَرا طعاماً ثم أتيا به ليبيعاه في سوق المدينة ، أنَّبهما ونَهاهما ، وحدَّثَهما بقول النبي ﷺ: «من احتكر على المسلمين طعامَهم ضَربه الله بالإفلاس أو بِجُذَام»[3].

وعن سعيد بن المسيِّب: (أن عمر بن الخطاب مرَّ بحاطب بن أبي بَلْتَعة وهو يبيع زَبيباً له في السوق ، فقال له عمر بن الخطاب: إما أن تزيدَ في السِّعر ، وإما أن تُرْفَع من سُوقنا)[4].

ورأى رجلاً قد شابَ اللبنَ بالماء للبيع ، فأراقه[5].

وعن مالك بن أَوْس بن الحَدَثَان: (أنه التَمس صَرْفاً بمئة دينار ، قال: فدعاني طلحة بن عُبيد الله ، فتراوَضْنَا حتى اصطَرَف منِّي ، وأَخذ الذهب يقلِّبُها في يده ، ثم قال: حتى يأتيني خازني من الغابة ، وعمر بن الخطاب يَسمع ، فقال عمر: والله لا تُفارِقْه حتى تأخذَ منه ، ثم قال: قال رسول الله ﷺ: **«الذهبُ بالوَرِق رباً إلا هاءَ وهاءَ ، والبُرُّ بالبرِّ رِباً إلا هاءَ**

---

(١) التراتيب الإدارية: ٢/ ١٧.
(٢) موطأ مالك: ٢/٦٥١؛ مصنف عبد الرزاق (١٤٩٠١ ـ ١٤٩٠٣)؛ عصر الخلافة الراشدة، ص ١٤٩.
(٣) مسند أحمد (١٣٥)، وصححه أحمد شاكر.
(٤) موطأ مالك: ٢/ ٦٥١؛ مصنف عبد الرزاق (١٤٩٠٥)، وإسناده صحيح.
(٥) الحسبة في الإسلام، لابن تيمية، ص ٦٠.

وهاءَ ، والتمر بالتمر رباً إلا هاءَ وهاءَ ، والشعير بالشعير رباً إلا هاء وهاء»[1].

وعن عبد الله بن ساعدة الهُذَلي قال: (رأيتُ عمر بن الخطاب يضرب التجار بالدرّة إذا اجتمعوا على الطعام بالسوق حتى يُخلوا السِّكَك ، ويقول: لا تقطعوا علينا سابِلتَنا)[2].

٤ ـ الحسبة على الولاة والموظفين:

اختيار الولاة والأمراء والقادة والموظفين الأكفاء ، وتعيينهم في الأماكن المناسبة ، وإلزامهم بقائمة من اللوائح والتعليمات والقوانين ـ من أهم وأخطر أعمال رئيس الدولة ورئيس الوزراء في عصرنا.

ولو دققنا النظر وأمعنّا الفكر في أعمال الفاروق؛ لرأيناه قد سَبق في هذا سبقاً بعيداً ، ووصل في دقته وورعه وشدته وصلابته واحتياطه إلى ما لم تصل إليه أرقى النظم الوضعية في هذا العصر! ولسوف يتضح ذلك بجلاء في مباحث الولاية والولايات والقادة والفتوحات.

فلقد كان رضي الله عنه وأرضاه يحدِّد صفات الولاة والقادة ، ويضع لهم دستوراً باهراً يأخذهم به ، وشَرَط عليهم شروطاً قاسية ، وتعاهَدَهُم بالكتب والرسائل والتوجيهات والنصائح ، وسلَّط الرعية لمراقبتهم ، وخَصَّص لجنة برئاسة محمد بن مَسْلَمة للتفتيش عليهم ، واختبرهم بالمال وسياسة الناس ، وأمرهم بالاجتماع العام العلني في موسم الحج

---

(١) أخرجه مالك: ٢/٦٣٦ ـ ٦٣٧؛ والبخاري (٢١٧٤)؛ ومسلم (١٥٨٦)؛ وغيرهم. **الغابة**: مكان شمال غرب المدينة على بعد (٦ كم) منها. **هاء وهاء**: خذ وهات.

(٢) في الحسبة في الماضي والحاضر: ١/١٣٩ ، ٢/٥٠٨.

كل عام لرفع المظالم وأخذ الحقوق لأهلها ، وكـان يعزل أحدهم لأدنى شبهة ، ولربما عزل دون شبهة ليقطع دابر الفتنة ، وكَتَب أموالَهم قبل الولاية وقاسمهم إياها بعدها ، لإبرائهم من أية شائبة وهم بُرآء أطهار ، وأنزل ببعضهم عقوبات متنوعة. . . وكل هذا سيأتي تفصيله.

٥ ـ الحسبة على الآداب العامة والأخلاق واللباس:

عن أبي سلامة الحَبيبي قال: (رأيتُ عمر بن الخطاب أتى حِياضاً عليها الرجال والنساء يتوضؤون جميعاً ، فضَربَهم بالدرَّة ، ثم قال لصاحب الحوض: اجعل للرجال حياضاً ، وللنساء حياضاً)[١].

ورأى عمر رجلاً يكلِّم امرأة في الطريق ، فخَفَقه بالدرَّة ، فقال الرجل: يا أمير المؤمنين! ظلمتَني ، هذه والله امرأتي! قال: أفلا كلَّمَتها خلف باب أو ستر؟! قلت: يا أمير المؤمنين! لقيتْني فسألتُها عن بعض الأمر ، فألقى إليَّ الدرَّة وقال: اقتص! فعفا عنه الرجل[٢].

وروى يحيى بن جَعْدة: (أن امرأة على عهد عمر خرجتْ متطيِّبةً ، فوجد ريحَها ، فعَلاها بالدرَّة ، ثم قال: تخرجْنَ متطيِّبات ، فيجدُ الرجال ريحكنَّ ، وإنما قلوب الرجال عند أنوفهم! اخرجْنَ تَفِلاَت)[٣].

وعن نافع: (أنَّ عمر كان يَنهى أن يُدْخَل من باب النساء)[٤].

وكان يَضرب من يتعرَّض للنساء بمعاكستهن عشرين سوطاً.

---

(١) تقدم بأطول منه: ص ٣٢٣ في هذا الكتاب.

(٢) تقدم: ص ٣٢٢ في هذا الكتاب.

(٣) مصنف عبد الرزاق (٨١٠٧). تفلات: تاركات للطِّيْب.

(٤) سنن أبي داود (٤٦٤).

وتقدَّم إلى الشعراء أنه لا يُشبِّب أحدهم بامرأة إلا جَلَده[١].

وروى خَرَشَة بن الحُرّ ـ وكان يتيماً في حَجْر عمر ـ: (أن عمر دعا بشَفْرة فرفَعَ إزار رجل عن كعبَيْه ، ثم قطع ما كان أسفل من ذلك . قال: فكأني أنظرُ إلى ذَباذِبِه تسيلُ على عقبيه)[٢].

بل لقد احتسب عمر في هذا الأمر وهو على فراش الموت وجرحه يسيل دماً ، فقد دخل عليه شابٌّ فأثنى عليه ثم خرج ، (فلما أَدْبَر إذا إزارُه يَمَسُّ الأرضَ ، قال: رُدُّوا عليَّ الغلامَ ، قال: يا ابنَ أخي ، ارفَعْ ثوبَكَ فإنه أَنْقى لثوبِك وأَتْقى لربِّك!)[٣].

قال ابن مسعود: (يا عَجباً لعمر! أَن رأى حقَّ الله عليه فلم يمنعْه ما هو فيه أن تكلَّم به)[٤].

وعن عوف بن مالك قال: (أتيتُ عمرَ وفي يدي خاتم من ذهب ، فضَرب يدي بعصا كانت معه)[٥].

وكان عبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام بهما حِكَّةٌ ، فأَذِنَ لهما النبيُّ ﷺ بلبس الحرير لتلك العلَّة[٦] ، فدَخَل ابنُ عوف يوماً على عمر ومعه ابنه أبو سلمة بن عبد الرحمن وعليه قميصٌ من حرير ، فقال عمر:

---

(١) الحسبة في الماضي والحاضر: ٢/ ٥١١.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة: ٦/ ٢٩، وإسناده صحيح. وتقدم بنحوه: ص ٣٢٥ في هذا الكتاب. **الذَّباذب**: أهداب الثوب.

(٣) البخاري (٣٧٠٠).

(٤) مصنف ابن أبي شيبة: ٦/ ٢٧؛ الفتح: ٨/ ٦٥٣ (٣٧٠٠).

(٥) مصنف ابن أبي شيبة: ٦/ ٦٦.

(٦) البخاري (٢٩١٩)؛ ومسلم (٢٠٧٦).

ما هذا؟! ثم أَدخل يده في جَيْب القميص فشَقَّه إلى سُفْله ، وقال: إن رسول الله ﷺ أَذِنَ لك ولم يأذن لغيرِك[1]!.

٦ ـ الحسبة على الحيوانات:

وقد نعمت الحيوانات في الدولة الإسلامية بالأمان والرأفة والرحمة ، وشهدت أيام الفاروق أنماطاً رائعة من الحسبة على الحيوانات ، وهو في ذلك يقتدي برسول الرحمة ﷺ.

قال المسيّب بن دارم: (رأيتُ عمر بن الخطاب يضرب جمَّالاً ، يقول: حمَّلتَ جملَك ما لا يُطيق)[2].

وقدِمَ عليه الأَحْنَف بن قيس في وفد العراق ، فرأى عمر أنهم قد أَتعبوا رواحلَهم وتركوها قياماً عليها أحمالها ، فنهاهم عن ذلك.

ورأى رجلاً قد أَضْجَع شاةً ليذبَحها وهو يحدُّ السكين أمامها ، فضَربه بالدرة[3].

ثانياً: نظام العَسَس:

العَسَسُ: هو الطواف بالليل.

وواجباته: الحرسُ الليلي لبيت المال والمسافرين ونحوهم ، وتفقدُ أحوال الرعية وكشفُ كرباتهم ، وتتبّعُ اللصوص وطلب أهل الفساد ومن يُخشى شرُّهم[4].

---

(١) طبقات ابن سعد: ٣/ ١٣٠؛ مصنف ابن أبي شيبة: ٦/ ٧.
(٢) تقدم: ص ٣٤٧ في هذا الكتاب.
(٣) انظر ما تقدم: ص ٣٤٧ في هذا الكتاب.
(٤) الولاية على البلدان، ص ٤٥٩ ـ ٤٦١؛ عصر الخلافة الراشدة، ص ١٤٧؛ =

وهو يعتبر نواة مؤسسة الشرطة والتحريات.

فالعسس لمصلحة الناس وراحتهم وتأمين روعاتهم، لا للتجسس عليهم وكشف عوراتهم وترويعهم.

و(عيونِ العسس) التي تحرس الناسَ وتحفظهم وتحرص على سلامتهم وأَمْنِهم؛ هي من العيون التي (باتت تحرس في سبيل الله). أما (العيون الخؤون) التي تسهر لتتجسسَ على الناس وتُثير الرعب في قلوبهم، وتُقلق أمنَهم وراحتهم، وتوقع بهم الريبة والأذى؛ فهي من (العيون التي أباح الشرع الحنيف فقأها)!.

ولقد كان أمير المؤمنين يَعسّ بالليل بنفسه ويصطحب معه مولاه أسلم، ولربما كان معه بعض أجلاء الصحابة مثل عبد الرحمن بن عوف.

لقد سلّط عمر على جوارحه ضميراً لا ينام ولا يُنيم، يعس بالليل يتسمع أخبار الناس ويكشف عن أحوالهم؛ فإذا سمع مستغيثاً أغاثه، وإذا رأى مكروباً أعانه وحمل عنه. ولِعُمر في هذا الباب مواقف خالدة يبيضُّ لها وجه الإنسانية كلها، ويشرق بها وجه الإسلام على الدنيا جميعاً[1].

وفي سيرته مواقف خالدة وأحداث غريبة لا يكاد يصدقها الناس، لأنها تقوم على غير مثال، وكأنها أسطورة أبدعها الخيال... لكننا وقد مشينا هذه الخطوات الطويلة الماتعة المحبورة مع (العبقري الذي لا يَفري أحد فريَّه)؛ فإننا قد علمنا يقيناً أن أمثال هذه الأعمال هي بعضٌ

= تاريخ القضاء في الإسلام، ص ٩٨؛ النهاية في غريب الحديث: ٣/ ٢٣٦.

(١) انظر: عمر بن الخطاب، لعبد الكريم الخطيب، ص ٢٩٥.

من عمر ، تتصل به اتصال الثمار اليانعة بشجرتها الطيبة! .

●● عن أسلم قال: (خرجنا مع عمر بن الخطاب إلى حَرَّة واقم[1] ، حتى إذا كنا بِصِرار[2] إذا نار ، فقال: يا أسلم! إني لأرى هاهنا رَكْباً قصَّرَ بهم الليل والبرد ، انطلِقْ بنا ، فخرجنا نُهرول حتى دنونا منهم ، فإذا بامرأة معها صبيانٌ صغار ، وقِدْر منصوبة على نار ، وصبيانها يَتَضَاغَوْن[3]! فقال عمر: السلام عليكم يا أصحاب الضَّوء ـ وكرِه أن يقول: يا أصحاب النار ـ ، فقالت: وعليك السلام ، فقال: أأدنو؟ فقالت: ادْنُ بخير أو دَعْ. قال: فدَنَا ، وقال: ما بالكم؟ قالت: قَصَّرَ بنا الليل والبردُ ، قال: وما بال هؤلاء الصِّبية يتضاغَون؟ قالت: الجوع ، قال: وأي شيء في هذه القِدْر؟ قالت: ماءٌ أسكِّتهم به حتى يناموا ، واللهُ بيننا وبين عمر! قال: أي رحمكِ الله ، وما يُدري عمرَ بكم؟ قالت: يتولى أمرنا ثم يغفل عنَّا! .

قال: فأقبل عليَّ ، فقال: انطلق بنا. فخرجنا نهرول حتى أتينا دار الدقيق ، فأخرج عِدْلاً من دقيق وكُبَّة شحمٍ ، فقال: احملْه عليَّ ، فقلت: أنا أحمله عنك ـ مرتين أو ثلاثاً ـ فقال: أنت تحمل وزري يوم القيامة لا أمَّ لك؟! فحملتُه عليه. فانطلق وانطلقتُ معه إليها نهرول ، فألقى ذلك عندها ، وأخرج من الدقيق شيئاً ، فجعل يقول لها: ذُرِّي عليَّ وأنا أُحرِّك لكِ ، وجعل يَنفخ تحت القِدْر ، وجعلتُ أنظر إلى الدخان من خَلَل لحيته ، ثم يَمْرُثُها حتى أنضَجَ وأدُمَ القدر ثم أنزلها ، وقال: ابغيني

(١) الحرة الشرقية في المدينة.
(٢) موضع تلقاء حرة واقم على بعد ثلاثة أميال من المدينة.
(٣) يصيحون ويبكون.

شيئاً ، فأَتَتْه بصَحْفَةٍ ، فأفرغها فيها ، ثم جعل يقول لها : أطعميهم ، وأنا أُسَطِّح لهم[1] .

فلم يزل حتى شبعوا ، وترك عندها فَضْلَ ذلك ، وقام وقمتُ معه ، فجعلَتْ تقول : جزاك الله خيراً ، كنتَ أولى بهذا الأمر[2] من أمير المؤمنين! فيقول : قولي خيراً ، إنكِ إذا جئتِ أمير المؤمنين وجدتِني هناك إن شاء الله .

ثم تنحَّى عنها ناحيةً ، ثم استقبلها فربَضَ مَرْبَضاً ، فقلتُ : ألكَ شأن غير هذا؟ فلم يكلمني ، حتى رأيتُ الصِّبية يصطرعون ويضحكون ، ثم ناموا وهدؤوا ، فقال : يا أسلم! إن الجوعَ أَسْهَرَهم وأبكاهم ، فأحببتُ أن لا أنصرف حتى أرى ما رأيتَ!)[3] .

●● وعن أنس بن مالك قال : (بينا عمر يَعُسُّ بالمدينة ، إذ مرَّ برَحْبَةٍ من رحابها ، فإذا هو ببيت من شعر لم يكن بالأمس ، فدنا منه فسمع أنينَ امرأة ، ورأى رجلاً قاعداً ، فدنا منه فسلَّم عليه ، ثم قال : مَن الرجل؟ فقال : رجل من أهل البادية جئتُ إلى أمير المؤمنين أُصيب من فَضْله ، فقال : ما هذا الصوت الذي أسمعه في البيت؟ قال : انطلِقْ يرحمك الله لحاجتك ، قال : على ذلك ما هو؟ قال : امرأة تَمْخَضُ[4] ، قال : عندها

---

(١) أي : أبسطه حتى يبرد .

(٢) تعني الخلافة .

(٣) فضائل الصحابة ، لأحمد : ١/ ٢٩٠ ـ ٢٩١ ؛ تاريخ الطبري : ٤/ ٢٠٥ ـ ٢٠٦ ؛ أسد الغابة : ٤/ ٦٧ ؛ مختصر ابن عساكر : ١٩/ ١٤ ـ ١٥ .

(٤) أي : أصابها الطلق .

أحد؟ قال: لا. فانطلَق حتى أتى منزلَه، فقال لامرأته أم كلثوم بنت علي: هل لكِ في أجر ساقه الله إليكِ؟ قالت: وما هو؟ قال: امرأة غريبة تمخض ليس عندها أحد، قالت: نعم إن شئتَ، قال: فخُذي معك ما يصلح المرأة لولادتها من الخِرَق والدُّهن، وجيئيني بِبُرْمة[1] وشحم وحبوب، قال: فجاءت به، فقال لها: انطلقي. وحمل البُرْمة، ومشت خلفه حتى انتهى إلى البيت، فقال لها: ادخُلي إلى المرأة. وجاء حتى قعد إلى الرجل، فقال له: أَوقِدْ لي ناراً، ففعل، فأوقد تحت البرمة حتى أنضَجَها، ووَلدتِ المرأة، فقالت امرأتُه: يا أمير المؤمنين! بَشِّرْ صاحبَكَ بغلام! فلما سمع الأعرابي بأمير المؤمنين كأنه هابَهُ فجعل يتنحَّى عنه! فقال له: مكانَك كما أنت. فحمل البُرمة فوضعها على الباب، ثم قال: أشبعيها، ففعلتْ، ثم أَخرجت البرمة فوضعتْها على الباب، فقام عمر فأخذها فوضعها بين يدي الرجل، وقال: كُلْ ويحكَ فإنك قد سهرتَ من الليل، ففعل. ثم قال لامرأته: اخرجي، وقال للرجل: إذا كان غداً فأتِنا نأمرْ لكم بما يُصلحك. ففعل الرجل، فأجازه وأعطاه وفرض لابنه في الذرية)[2].

●● وجاء عن عمر من غير وجهٍ أنه كان ذات ليلة يَعُسُّ، إذا بامرأة من نساء العرب مغلقةٍ عليها بابها وهي تقول:

تطاوَلَ هذا الليل واخضَلَّ[3] جانبُهْ وأَرَّقنـــي أن لا خليـــلَ أُلاعِبُـــهْ

---

(١) قِدْر.

(٢) مناقب عمر، ص ٨٥؛ التبصرة: ١/ ٤٢٧ ـ ٤٢٨؛ محض الصواب: ١/ ٣٩١ ـ ٣٩٢.

(٣) أي: أظلَمَ.

أُلاعِبُهُ طوراً وطوراً كأنما	بدا قمرٌ في ظلمة الليل حاجبُهْ
يُسَرُّ به مَن كان يلهو بقُربه	لطيفُ الحشى لا تجتويه أقاربُهْ
فوالله لولا اللهُ لا ربَّ غيرُه	لَحُرِّكَ من هذا السرير جوانبُهْ
مخافةَ ربي والحياءُ يَصدُّني	وأُكْرِمُ بَعْلي أن تُنال مراكبُهْ
ولكنني أخشى رقيباً موكَّلاً	بأنفسنا لا يفتر الدهرَ كاتبُهْ!

ثم تنفسَّتِ الصُّعداءَ وقالت: لَهَانَ على عمر بن الخطاب وحشتي وغيبةُ زوجي عني؟!.

وعمر واقف يسمع، فضَرب باب الدار، فقالت: من هذا الذي يأتي إلى امرأة مُغِيبةٍ[1] هذه الساعة؟ فقال: افتحي، فأبَتْ، فلما أكثَر عليها قالت: أَمَا والله لو بَلَغ أمير المؤمنين لعاقبك! فلما رأى عفافَها قال: افتحي أنا أمير المؤمنين، قالت: كذبتَ ما أنت أمير المؤمنين، فرفع بها صوته وجَهَر بها، فعرفتْ أنه هو ففتحت له.

فقال عمر: ما لكِ؟ قالت: أغزيتَ زوجي منذ أربعة أشهر وقد اشتقتُ إليه، فقال: أردتِ سُوءاً؟ قالت: معاذَ الله! قال: فاملكي عليك نفسك، فإنما هو البريد إليه، فبعث إليه. ثم دخل على حفصة فقال: إني سائلك عن أمر قد أهمَّني فأفرجيه عنِّي، كم تشتاق المرأة إلى زوجها؟ فخَفضَتْ رأسَها، فاستحيت، فقال: فإن الله لا يستحيي من الحق، فأشارت ثلاثة أشهر وإلا فأربعة. فكتب عمر أن لا تُحبس الجيوش فوق أربعة أشهر)[2].

---

(١) أي: غاب عنها زوجها.

(٢) مصنف عبد الرزاق (١٢٥٩٣)؛ مناقب عمر، لابن الجوزي، ص ٨٣ـ٨٤؛ محض الصواب: ١/ ٣٨٧ ـ ٣٩٠.

●● وعن عبد الله بن بُريدة الأَسلمي قال: (بَيْنا عمر بن الخطاب يَعُسُّ ذات ليلة، إذا امرأة تقول:

هل من سبيلٍ إلى خمرٍ فأشربُها   أَمْ هل سبيلٌ إلى نصرِ بن حَجَّاجِ؟

فلما أصبح سأل عنه، فإذا هو من بني سُليم، فأرسل إليه فأتاه، فإذا هو من أحسن الناس شعراً وأصبحهم وجهاً، فأمره عمر أن يَطُمَّ[1] شعره، ففعل، فخرجَتْ جبهتُه فازداد حُسناً، فأمره عمر أن يَعتمَّ، ففعل، فازداد حسناً! فقال عمر: لا والذي نفسي بيده لا تُجامِعُني بأرض أنا بها. فأمر له بما يُصلحه وسيَّره إلى البصرة)[2].

وهذا العمل من عمر هو من باب الحسبة وسدِّ الذرائع، وقد فعله النبي ﷺ عندما نفَى أحدَ المُخَنَّثين في المدينة إلى خارجها[3]. والمخنَّثون هم المتشبهون بالنساء لا من يُؤتى[4].

وثَمّة مواقف وقصص أخرى، وفي ثنايا الكتاب نماذج منها.

* * *

---

(١) أي: يجزّ.
(٢) طبقات ابن سعد: ٣/ ٢٨٥؛ محض الصواب: ١/ ٣٩٢ ـ ٣٩٥.
(٣) انظر: البخاري (٤٣٢٤، ٥٢٣٥)؛ الحسبة في الماضي والحاضر: ١/ ١٣٨.
(٤) الفتح: ١٥/ ٤٥٧ شرح الحديث (٦٨٣٤).

المبحث السادس

التخطيط والعمران والمواصلات

(وزارات التخطيط والأشغال والمواصلات)

اهتم أمير المؤمنين بشؤون التعمير وبناء المدن وتخطيطها ، وحفرِ الأقنية وإقامة الجسور على المعابر المائية ، وتأمينِ طرق المواصلات بين أطراف الدولة وبخاصة مكة والمدينة ، وإقامة المحطات وسُبل الراحة للمسافرين والحجاج ، وأَوْلَى المساجد العناية القصوى في جميع الأمصار لجلالتها وأهميتها.

أولاً: المساجد في عهد عمر:

أَوْلَى الفاروق المساجد عناية كبيرة وبخاصة الحرمين الشريفين ، وكان في ذلك متبعاً هدي النبي ﷺ في البعد عن الزينة والزخرفة التي تبدِّد الأموال وتصرف قلوب المسلمين عن الخشوع.

في «صحيح البخاري»: (أَمر عمرُ ببناءِ المسجد ، وقال: أَكِنَّ الناسَ من المَطَر ، وإيَّاكَ أن تُحمِّر أو تُصَفِّر ، فتَفتِنَ الناسَ)[1].

وعن عَمْرو بن دينار وعُبيد الله بن أبي يزيد قالا: (لم يكنْ على عهد النبي ﷺ حولَ البيت حائطٌ ، كانوا يُصلّون حول البيت ، حتى كان عمر فبنى حَوْلَه حائطاً)[2].

---

(١) علقه البخاري في الترجمة قبل الحديث (٤٤٦). **المسجد**: أي النبوي. **تحمر أو تصفر**: أي احذر طلي المسجد بالأحمر أو الأصفر.

(٢) البخاري (٣٨٣٠)، وهو مرسل.

وذكر الفاكهي أن المسجد ـ الحرام ـ كان محاطاً بالدور على عهد النبي ﷺ وأبي بكر وعمر ، فضاق على الناس ، فوسَّعه عمر واشترى دوراً فهَدَمها ، وأعطى من أبى أن يبيع ثمنَ داره ، ثم أحاط عليه بجدار قصير دون القامة ، ورفع المصابيح على الجَدْر[1] .

وكانت كسوة الكعبة في الجاهلية الجلود ، فكساها النبي ﷺ الثياب اليمانية ، ثم كساها عمر القَبَاطيّ[2] (وهي ثياب من كتّان بيض رقاق تُنسج بمصر) .

وأجرى عمر تعديلات يسيرة في المسجد الحرام ، فنقل (مقام إبراهيم) وكان مُلْصَقاً بالكعبة إلى مكانه اليوم بعيداً عنها[3] .

وأخرج البيهقي : عن عائشة : (أن المقام كان في زمن النبي ﷺ وفي زمن أبي بكر ملتصقاً بالبيت ، ثم أخره عمر)[4] .

قال الحافظ : (ولم تُنكر الصحابة فعلَ عمر ، ولا مَن جاء بعدهم ، فصار إجماعاً . وكأن عمر رأى أن إبقاءه يَلزم منه التضييق على الطائفين أو على المصلين ، فوضعه في مكان يرتفع به الحرج . وتهيأ له ذلك لأنه كان

---

(١) الفتح : ٨/ ٧٨٤ (٣٨٣٠)؛ فتوح البلدان ، ص ٤٨ .

(٢) فتوح البلدان ، ص ٤٩ ؛ عصر الخلافة الراشدة ، ص ٢٤٧ ـ ٢٤٨ .

(٣) مصنف عبد الرزاق (٨٩٥٣ ـ ٨٩٥٦) .

(٤) الفتح : ١٠/ ٢٦ شرح الحديث (٤٤٨٣)، وقوى الحافظ إسناده، وصحح آثار عبد الرزاق المتقدمة .

الذي أشار باتخاذه مصلى ، وأول من عمل عليه المقصورة الموجودة الآن)[1].

وزاد في مساحة المسجد النبوي ، وأدخَل فيه دار العباس ، وامتدت التوسعة (١٠ أذرع) من جهة القبلة و(٢٠ ذراعاً) من الناحية الغربية و(٧٠ ذراعاً) من الناحية الشمالية. وأعاد بناءه باللَّبِن والجَريد ، وجعل عَمَده من الخشب ، وجعل سقفه من الجريد وكساه ليحمي الناس من المطر ، ونهى عن زخرفته ، ورَصَف أرضه بالحصباء جِيء بها من العَقيق[2].

ونوَّر عمر هذين المسجدين وغيرَهما بالمصابيح.

وكتب إلى ولاة الأمصار ببناء المساجد للجماعة ، والمساجد الجامعة للجمعة ، فكتب إلى أبي موسى بالبصرة ، وإلى سعد بن أبي وقاص بالكوفة ، وإلى عمرو بن العاص بمصر ، وإلى أمراء الأجناد: أن يتخذوا في كل مدينة مسجداً.

وبنى الصحابة والناس معهم المساجد منذ أوائل أيام الفتوحات ، وكان بمصر وحدها من مساجد الصحابة (٢٣٣) مسجداً.

وتذكر بعض الإحصاءات أنه أُنشئ في عهد عمر (٤٠٠٠) مسجد في بلاد العرب وحدها. ووصل عدد المساجد التي تصلَّى فيها الجمعة في عموم الدولة إلى (١٢٠٠٠) منبر[3].

---

(١) الفتح: ١٠/ ٢٦.

(٢) البخاري (٤٤٦)، طبقات ابن سعد: ٣/ ٢٨٣، ٢٨٤؛ عصر الخلافة الراشدة، ص ٢٤٧.

(٣) انظر ما كتبناه: ص ٤٠١ ـ ٤٠٣ في هذا الكتاب.

ثانياً: بناء المدن الكبرى:

أهم الأمصار التي أُنشِئت في عهد عمر هي: البَصْرة والكُوفة والمَوْصل والفُسْطَاط والجِيزة وسُرْت.

وقد خُططت ووزِّعَتْ بين الجيوش بحسب قبائلهم وألويتهم، وأنشئت فيها المرافق العامة كالمساجد والأسواق، وأنشئ لكل مدينة (حِمى) لرعي خيل المجاهدين وإبلهم.

وشجع عمر المجاهدين على استقدام أهليهم وذراريهم من مدن الحجاز وأطراف الجزيرة العربية للإقامة في هذه المدن؛ لتكون قواعد عسكرية تنطلق منها تعبئة الجيوش وإمدادها للتوغل في أرض العدو، ونشر دعوة الإسلام فيها(١).

وأمر عمر قادة الجيوش عند تخطيط هذه المدن أن يكون الطريق بينها وبين عاصمة الخلافة سهلاً، وأن لا يَحول دونها أنهار أو بحار؛ لسرعة التواصل معهم، ولخشيته من جهل العرب حينئذ بركوب البحر.

ولاحَظَ أمير المؤمنين أن خطوط المواصلات بين المدينة (عاصمة الخلافة) وميادين الفتوحات في العراق وفارس والشام ومصر وإفريقية ـ قد أصبحت طويلة، فكان لابد من اتخاذ قواعد عسكرية داخل المناطق المفتوحة، تصلح لسكن المقاتلين، وتوفر لهم الخدمات الضرورية، وقد تم اختيار مواقع المدن الجديدة بعد مشاورات بين الخليفة عمر وقادة الميادين.

---

(١) انظر: عمر بن الخطاب، للدكتور علي الصلابي، ص ٢٧١ ـ ٢٧٢.

فابتنى عُتْبة بن غَزْوان (سنة ١٤ ـ ١٦هـ) البصرة ، وابتنى سعد بن أبي وقاص (سنة ١٧هـ) الكوفة ، وابتنى عمرو بن العاص الفسطاط . وقد تمَّ اختيار مواقع هذه المدن حسب توجيه عمر بحيث لا تفصلها عن الصحراء عوائق طبيعية من أنهار وجبال ، ليسهل انسحابُ المقاتلين منها إلى الصحراء عند الضرورة .

●● وقد استُخدم القصب المتوافر بكثرة في (بناء البصرة) ، وبُني المسجد وسط المدينة ، وقرب المسجد اختطَّ عتبةُ دار الإمارة ، وإلى جوارها السجن والديوان في الرحبة. وكان الناس في أول الأمر إذا خرجوا إلى الجهاد نزعوا ذلك القصب وحزموه ، ثم يُعيدون بناءَه إذا رجعوا من الجهاد .

ولما تولى أبو موسى الأشعري ولاية البصرة بنى دار الإمارة باللَّبِن والطين وسَقَفها بالعشب ، وزاد في المسجد ، وأخذ الناس بالبناء باللَّبِن ، خاصة بعد أن وقع الحريق بالبصرة[١] .

●● وأما (بناء الكوفة) فكان سنة (١٧هـ) ، وكان المسلمون يقيمون بالمدائن وقد اختطوا فيها وأقاموا المساجد لكنهم استوخموها ، فكتب سعد بن أبي وقاص إلى عمر بذلك ، فأمره ببناء مدينة لهم .

وقام بتخطيط الكوفة أبو الهياج الأسدي وفق توجيهات الخليفة العامة ، حيث جعل عرض الطرق الرئيسة (المناهج) أربعين ذراعاً ،

---

(١) انظر: تاريخ الطبري: ٣/ ٥٩٠ ـ ٥٩٦؛ فتوح البلدان، ص ٣١٩ ـ ٣٢٠؛ الولاية على البلدان، ص ١٥٣ ـ ١٥٦؛ عصر الخلافة الراشدة، ص ٢٤٨ ـ ٢٤٩.

وما يليها ثلاثين ذراعاً ، وما بينهما عشرين ذراعاً ، والأزقة سبعة أذرع ، ولا يخط طريق أضيق من ذلك. واعتبرت الطرق الرئيسة حدوداً فاصلة بين مخيمات القبائل الواقعة على جانبي الطريق.

وقد بُدئ ببناء المسجد الجامع وسط المدينة ، ثم ترك فراغ حول المسجد كالصحن ، ثم بنيت دار الإمارة وبيوت الأموال بجوار المسجد. وكان بين المسجد وبين دار سعد (٢٠٠ ذراع) ، وحفر خندق بعد صحن المسجد لئلا تمتد إليه بيوت الناس وسمح بإقامة السوق دون بنيان داخل صحن المسجد ، ويكون المكان من حق السابق إليه من الباعة.

وأنزلت القبائل حول صحن المسجد ، واختطت لها مكان إقامتها ، فكان لكل قبيلة مكان يعرف باسمها لا تنزل فيه القبائل الأخرى[(١)].

وأما (الفُسْطَاط) فقد اختطَّها عمرو بن العاص ، فابتنى مسجدها الجامع ، وحوله دار الإمارة وخُطط القبائل ، وبنى داراً له ، وكلَّف جماعة من الصحابة فجعلوا لكل قبيلة جهة لمنازلهم عرفت باسم (الخُطَط) ، وهي أشبه ما تُعرف (بالأحياء) في وقتنا الحاضر[(٢)].

ويلاحظ على بناء هذه الأمصار أنها كانت على طراز راقٍ من الهندسة والسعة وراحة الناس وتأمين سبل التواصل مع دار الإمارة ، والصلة

---

(١) انظر: تاريخ الطبري: ٤/ ٤٠ ـ ٤٦؛ فتوح البلدان، ص ٢٥٦ ـ ٢٥٨؛ الولاية على البلدان، ص ١٦٣ ـ ١٦٦؛ عصر الخلافة الراشدة، ص ٢٤٩ ـ ٢٥٠.

(٢) عصر الخلافة الراشدة، ص ٢٥٠؛ الولاية على البلدان، ص ١٠٤؛ عمر بن الخطاب ، للدكتور علي الصلابي، ص ٢٨٢.

الدائمة مع المسجد الذي هو موئل العبادة ومركز العلم ومقر الشورى ومنطلق جيوش الجهاد. لقد كانت مدناً إسلامية ، أبرز رمز فيها المسجد الذي يتوسط ساحتها ويستقر في قلبها.

ويلاحظ أيضاً أنه لم تُنشأ أمصار إسلامية في الشام ، لأنها كانت زاخرة بالعمران والدور التي جلا عنها الروم المستعمرون ، وأخذها المسلمون وأضْفَوا عليها بصماتهم العربية الإسلامية ، واتخذوها مقرّاً ومنطلقاً للفتوحات.

ثالثاً: وسائل المواصلات والنقل البري والبحري:

خصَّص أمير المؤمنين عدداً ضخماً من الجمال ـ بوصفها وسيلة النقل والمواصلات المعروفة والمتاحة آنذاك ـ لتيسير انتقال من لا ظَهْر له بين الجزيرة والشام والعراق.

قال السائب بن يزيد: (رأيت خَيْلاً عند عمر بن الخطاب رحمه الله ، موسومة في أفخاذها: حَبيسٌ في سبيل الله)[1].

هذا فضلاً عن (دواب البريد) التي كانت معدَّة للرسل الذين يحملون الرسائل والكتب والتوجيهات ونقل الأخبار من مركز الخلافة إلى مختلف أمصار الدولة وجبهات القتال ، ذهاباً وإياباً ، وهذه كانت لا تفتُر بل هي مستمرة دأبَ الليل والنهار ، فلقد كان الخليفة والولاة والقادة على تواصل دائم يبهر الألباب ، وأخبار ذلك شائعة مشهورة.

يحدث يزيد بن شَريك الفَزاري فيقول: (عقلتُ عمر بن الخطاب يَحمل على ثلاثين ألف بعيرٍ كل حَوْل في سبيل الله ، وعلى ثلاثِ مئة

---

(١) طبقات ابن سعد: ٣/٣٠٦؛ وانظر ما تقدم: ص ٤٤٣ ـ ٤٤٤ في هذا الكتاب.

فرس ، وكانت الخيل ترعى في النَّقيع)[1].

وثمة رواية تقول: إن عمر كان يحمل في كل عام على (أربعين ألفاً) من الظَّهْر[2].

وهذه تقابل (٤٠٠٠٠) سيارة في عرف اليوم تحمل الجنود والأقوات والعتاد.

وأنفقت الدولة أموالاً طائلة على عدة مشاريع ، بعضها لتحسين المواصلات البحرية؛ مثل (**خليج أمير المؤمنين**) **بين نهر النيل والبحر الأحمر** ، من الفُسْطاط إلى بحر القلزم (البحر الأحمر) ، وكان ذلك بإشارة من أمير المؤمنين عمر ، حيث كتب إلى عمرو بن العاص أن يقدَم عليه في جماعة من أهل مصر ، فقدِموا عليه ، فقال عمر: (قد أُلقي في رُوعي لِما أحببتُ من الرفق بأهل الحرمين والتوسع عليهم ، حين فَتح الله عليهم مصر وجعلها قوة لهم ولجميع المسلمين ـ أن أحفر خليجاً من نيلها حتى يسيل في البحر؛ فهو أسهلُ لما نريد من حمل الطعام إلى المدينة ومكة ، فإن حملَه على الظَّهْر يَبعد ولا نبلغ منه ما نريد)[3].

وحفَر والي مصر عمرو بن العاص هذا (الخليج) في سنة واحدة ، وبذلك أصبحت السفن المصرية تمخر البحر الأحمر تحمل المواد

---

(١) طبقات ابن سعد: ٣/ ٣٠٥ ـ ٣٠٦.
(٢) الأموال ، لأبي عبيد (٧٤٣).
(٣) فتوح مصر ، لابن عبد الحكم، ص ١٦٣ ـ ١٦٦؛ تاريخ المدينة ، لابن شبة: ٢/ ٧٤٥؛ معجم البلدان: ٢/ ٣٨٦؛ منتخب كنز العمال: ٤/ ٣٩٩؛ أخبار عمر، ص ١٢٦ ـ ١٢٧.

الغذائية وغيرها إلى (ميناء الجار) ميناء أهل المدينة.

وتتعاضد الروايات لتؤكد (الصحة التأريخية) لإنشاء هذه القناة المائية بين النيل والبحر الأحمر[1]!.

كذلك قام عَمْرو بإقامة الجسور وبناء القناطر، وعيَّن لذلك مجموعات كبيرة من العمال تقوم بتعقب هذه القناطر وإصلاحها، فكانوا لا يَدَعون ذلك صيفاً ولا شتاء[2].

وفي العراق تم حفر قناة مسافة ثلاثة فراسخ (١٦,٦ كم) من الخور إلى البصرة لإيصال مياه دجلة إلى البصرة[3].

وفي منطقة الأَنبار طلب دهاقينُها من سعد بن أبي وقاص أن يحفر لهم نهراً لصالح المزارعين في مناطقهم، فكتب سعد إلى عامله في المنطقة يأمره بحفر النهر، فجمع العمال وحفر النهر[4].

رابعاً: مرافق ومحطات وتسهيل السُّبل:

- اتخذ أمير المؤمنين (دار الدقيق) وهي بمثابة (مخازن المؤن) في عصرنا، فجعل فيها الدقيق والسَّويق والتمر والزبيب وما يُحتاج إليه، يُعين به المنقطع والضيف ينزل بعمر.

- و(دار الأَهْراء) لتموين الجيوش.

---

(١) الولاية على البلدان، ص ١٠٧؛ عصر الخلافة الراشدة، ص ٢٥٠. وبقي هذا الخليج إلى ما بعد عهد عمر بن عبد العزيز، ثم أُهمل فدفنته الرمال!.

(٢) فتوح مصر، ص ١٥١؛ الولاية على البلدان، ص ١٠٦.

(٣) تاريخ الطبري: ٣/ ٥٩٢؛ عصر الخلافة الراشدة، ص ٢٥٠.

(٤) فتوح البلدان، ص ٢٥٤؛ الولاية على البلدان، ص ١٦٦.

ـ ووضع في طريق السُّبُل ما بين مكة والمدينة ما يُصلح مَن ينقطع به ، ويحمل من ماء إلى ماء[1] .

ـ واستأذنه أهل الطريق أن يبنوا (استراحات) بين مكة والمدينة ، فأذن لهم ، وقال: ابن السبيل أحق بالماء والظل[2] .

وهذا فيه تسهيل لأمور الحج والعمرة وتقديم الخدمات للمسافرين ودوابهم من الماء والظل.

ـ وجاء في عهد حذيفة بن اليمان لأهل نَهاوند: أن يُرشِدوا ابن السبيل ، ويُصلحوا الطرق ، ويُـقْروا (يضيِّفوا) جنودَ المسلمين من مرَّ بهم فأوى إليهم يوماً وليلة[3] .

ـ وكان في كتاب عياض بن غَنْم لأهل الرُّها في الجزيرة الفراتية: وعليكم إرشاد الضال ، وإصلاح الجسور والطرق ، ونصيحة المسلمين[4] .

* * *

---

(١) طبقات ابن سعد: ٣/ ٢٨٣؛ وانظر ما تقدم: ص ٤٤٠ ـ ٤٤١ في هذا الكتاب.

(٢) طبقات ابن سعد: ٣/ ٣٠٦.

(٣) تاريخ الطبري: ٤/ ١٣٧؛ مجموعة الوثائق السياسية، ص ٤٤١ .

(٤) مجوعة الوثائق السياسية، ص ٤٩٥ .

المبحث السابع

الشؤون الإدارية والسياسة الداخلية

إن دولة بحجم دولة الخلافة في عهد الفاروق ، مؤسساتها المتعددة ونموها المطَّرِد وعلاقاتها المتنامية والشعوب المتنوعة التي تتكون منها . . . إن دولة كهذه تحتاج إلى إدارة فذة وأنظمة متطورة تستوعب جميع نسيجها الاجتماعي وتضبط شؤونها وتحدد سياستها وتدير حركتها ، وتتفاعل مع المتغيرات والأزمات ، وتحسن التعامل مع التحديات ، وتستجيب للآمال والطموحات . . . والعجيب أن الفاروق أجاد التعامل مع ذلك كله على وجه رفيع ، والأعجب أنه كان في إدارته مُنشِئاً مبدعاً ولم يقتدِ بمثال سابق! ولم يكن ذلك منه اعتباطاً ولا عفوَ الخاطر ، بل كان يسابق الأحداث والطوارئ والمتغيرات ، وكان كما وصفه المعصوم ﷺ : «**فلم أرَ عبقرياً يَفْرِي فَرِيَّه**» ، وهذه العبقرية في رأينا تشمل كل جوانب حياته وأعماله ، وكان أيضاً كما وصفته السيدة الألمعية أم المؤمنين عائشة : (كان أَحْوَذِيّاً نسيجَ وَحْدِه قد أعدَّ للأمور أقرانها) .

وكان مع عمر جماعة ضخمة من عباقرة الرجال وخُلَصائهم الذين حملوا معه العبءَ الثقيل ، وأضافوا إلى عبقريته عصارة آرائهم وتجاربهم وحنكتهم ـ فتكوّن من جهود الجميع (نظام إداري) ساسَ الدولة والرعية على أحسن وجه .

أولاً: الإدارة والموظفون:

كان أمير المؤمنين في عاصمة الخلافة (المدينة المنورة) قد أنشأ

مجلس الشورى الذي يتكون من رؤوس الصحابة وعِلْيتهم ، وأقام على كل مصرٍ من الأمصار والياً شهيراً استشار الناس في اختياره ، وأَلْزَم الولاة بأن يكون لكل واحد منهم (مجلس شورى) لإدارة شؤون إمارته ورعيته.

وقد اتضحت النظم الإدارية وصار التمييز واضحاً بين الوالي والقاضي وكاتب الديوان وغيرهم من الموظفين والعمال ، سواء في العاصمة أو الأمصار.

وكان الوالي يعتمد على عدد من الموظفين في تسيير أمور الولاية: مثل قائد الشرطة ، وعمال الخَراج ، وموظفي بيت المال ، وموظفي الدواوين ، وأحياناً يكون الموظف على بيت المال في الولاية مستقلاًّ عن الوالي ومرتبطاً بالخليفة مباشرة[1].

وهناك الموظفون المسؤولون عن (مؤسسة الزكاة) ، والمسؤولون عن (خزائن الدولة) في العاصمة وبقية البلدان ، والموظفون المشرفون على (مؤسسة الجزية) من حيث تقديرُها وجبايتُها ، و(العشارون) وهم بمرتبة موظفي الجمارك في عصرنا ، ورجال آخرون عملُهم مساحة أرض (الخَرَاج) وتقدير الأموال المترتبة عليها وتحصيلها ، وكذلك كتبة الدواوين وتوزيع العطاء ، ورجال الشرطة ، ومسؤولو الحِسْبة ، ومشرفون وظيفتهم مراقبة الأسواق وحركة البيع والشراء والأسعار والاحتكار ، والقضاة المتفرغون للقضاء أو الذين جمعوا بين الإمارة والقضاء ، والأمراء المسؤولون عن قوافل الحج وتسييرها من الأمصار إلى مكة والمدينة ، والعرفاء والنقباء (المدنيون والعسكريون) فالعريف

---

(١) الولاية على البلدان، ص ٤٣١ ـ ٤٣٢ ؛ عصر الخلافة الراشدة، ص ١٤٦.

مسؤول عن قبيلته أو عن جماعة من الناس ، وفي الجند يكون مسؤولاً عن فئة منهم .

ومن الموظفين كذلك ولهم ارتباط مباشر مع الخليفة : الرقباء على الولاة والقادة والجند ، وهو نمط فذّ من الرقابة الإدارية لمعرفة أحوالهم وسِيَرهم ، ومن ثَم تقديم تقرير للخليفة عنهم وثمة (لجنة الرقابة والتفتيش) العامة ، وكانت برئاسة محمد بن مَسْلَمة .

ومن الموظفين في الدولة : الأئمة والمؤذِّنون والمعلمون ، والكُتّاب والرسل ورجال البريد الذين يحملون الكتب والرسائل من الخليفة إلى الولاة والقادة والقضاة ، ومنهم إليه . وكذلك موظفو (الحِمى) الذي أُعِدَّ لإبل الصدقة وخيول المجاهدين .

بل إن عمر قد عيَّن (موظفي طوارئ) في الأزمة الاقتصادية عام الرَّمَادة ، لاستلام الإعانات القادمة من الأمصار ، ومن ثم توزيعها على الناس .

وكل أولئك قد ذكرنا أسماءهم في مواضعهم المناسبة ، كل واحد حسب عمله .

وهذه الخلاصة التي قدمناها توضح للقارئ حجم (**الهيكل الإداري الوظيفي**) الذي كان يقوم بأعباء دولة الخلافة في ذلكم العهد الراشد الميمون .

ثانياً: هيئة الترجمة:

ضمَّت الدولة الإسلامية شعوباً متنوعة لها لغات مختلفة ، ولا بد من التواصل فيما بينها ، فكانت (عملية الترجمة) من الوظائف الضرورية

المساعدة للولاة والقضاة وقادة الفتح في عصر الخلفاء الراشدين ، وبخاصة عهد عمر الذي توسعت فيه الدولة وتوطدت أركانها وتنوعت ألسنة شعوبها المسلمة .

وإذا علمنا أن دواوين الخَراج وغيرها كانت بغير اللغة العربية ، فإننا ندرك مدى الحاجة إلى وجود مترجمين في الولايات يتولون الترجمة في قضايا الخَراج وغيرها ، خصوصاً أن العمال الرئيسين على الخراج كانوا بالدرجة الأولى من العجم .

كما أن انتشار الموالي والداخلين الجدد في الإسلام في البلدان الإسلامية المختلفة جعل الحاجة إلى الترجمة مهمة جدّاً في كثير من الأمور المتصلة بالقضاء وغيره. كذلك فإن المفاوضات بين القواد الفاتحين وبين أهل البلاد المفتوحة تحتاج إلى وجود المترجمين .

ومن المرجح أن هؤلاء المترجمين ليسوا متفرغين لهذا العمل ؛ إذ إن المواقف التي تتطلب الترجمة محدودة ، وبالتالي فإن المترجمين كانوا غالباً من المتطوعين أو من شابههم[١] .

ثالثاً: أرشيف الخلافة:

كان أمير المؤمنين حريصاً كل الحرص على حفظ الأوراق الخاصة بالولايات وبالخلافة عموماً ، وكان أكثر حرصه على حفظ المعاهدات التي يجريها الولاة مع أهل البلاد المفتوحة منعاً لظلم أحد ، فقد ورد أنه كان هناك تابوت لعمر فيه كل عهد كان بينه وبين أحد ممن عاهده[٢] .

---

(١) الولاية على البلدان، ص ٤٥٢ ـ ٤٥٣ .
(٢) الخطط، للمقريزي: ١/ ٢٩٥ .

ويمكننا أن نطلق على هذا التابوت اسم (الأرشيف) أو (الملفات) الخاصة بأعمال الخلافة. ولعل الولاة أيضاً كانوا يحتفظون بأوراقهم ومكاتباتهم للعودة إليها عند الحاجة وحتى لا تلتبس عليهم الأمور[1].

رابعاً: أنظمة وقوانين:

ومما ميَّز الدولة الإسلامية وأَبرزَ شخصيتها المستقلة امتدادُ (التراتيب الإدارية) لتشمل وضْعَ الأنظمة وسَنَّ القوانين التي تواكب التطور وتستوعب المستجدات وتضبط حركة الشعوب والمجتمعات. ومن أبرز ذلك:

١ ـ وضع التأريخ الهجري:

وهو يُعتبر نقلة حضارية ميزت دولة الخلافة عن بقية الأمم ، فكما امتازت عنهم بعقيدتها ، كذلك استقلت بتاريخها الذي يطبع هويتها وحضارتها بسمةٍ مميزة لا تزال تعرف به إلى الآن ، مباينة في ذلك التأريخ المسيحي أو الفارسي وغيرهما.

وقد اتفق الصحابة على جعل ابتداء التأريخ الإسلامي من سنة الهجرة النبوية.

عن سَهْل بن سعد قال: (ما عَدُّوا من مبعثِ النبي ﷺ ولا من وفاتِه ، ما عَدُّوا إلا من مَقْدَمِه المدينةَ)[2].

وكان ذلك عن رأي عمر وفي عهده في السنة السابعة عشرة أو السادسة عشرة ، وذكروا في سبب عمل عمر التأريخ أشياء:

منها ما رواه الشعبي: (أن أبا موسى كَتب إلى عمر: إنه يأتينا منك

---

(١) الولاية على البلدان، ص ٢٢١.

(٢) البخاري (٣٩٣٤).

كُتبٌ ليس لها تاريخ! فجمع عمر الناس، فقال بعضهم: أَرِّخْ بالمبعث، وقال بعضُهم: أَرِّخ بالهجرة، فقال عمر: الهجرة فرَّقتْ بين الحق والباطل. فأرَّخُوا بها وذلك سنة سبع عشرة. فلما اتفقوا قال بعضهم: ابدؤوا برمضان، فقال عمر: بل بالمحرَّم فإنه مُنصَرَف الناس من حجِّهم. فاتفقوا عليه)[1].

وعن مَيْمون بن مِهْران قال: (رُفع لعمَرَ صَكٌّ محلُّه شعبان، فقال: أي شعبان؛ الماضي أو الذي نحن فيه أو الآتي؟ ثم جمع أصحابَ رسول الله ﷺ فقال لهم: ضَعُوا للناس شيئاً يعرفونه، فاجتمع رأيُهم على أن ينظروا كم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة، فوجدوه أقام عشرَ سنين، فكُتب التاريخ على هجرة رسول الله ﷺ)[2].

وقال سعيد بن المسيِّب: (جَمع عمر الناس فسألَهم: من أيِّ يوم نكتبُ التاريخ؟ فقال علي بن أبي طالب: من يوم هاجر رسول الله ﷺ وترك أرضَ الشرك. ففعله عمر)[3].

وثمة رواية تذكر أن عثمان بن عفان أشار بذلك أيضاً.

قال الحافظ: فاستفدنا من مجموع هذه الآثار أن الذي أشار بالمحرم عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم[4].

---

(١) الفتح: ٩/ ١٦٧ ـ ١٦٨ (٣٩٣٤).
(٢) الفتح: ٩/ ١٦٨؛ البداية والنهاية: ٧/ ٧٣ ـ ٧٤؛ محض الصواب: ١/ ٣١٦.
(٣) التاريخ الأوسط، للبخاري: ١/ ٨٧؛ تاريخ الطبري: ٤/ ٣٨ ـ ٣٩؛ المستدرك: ٣/ ١٤ وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.
(٤) الفتح: ٩/ ١٦٨.

٢ ـ واتخذ لديوان الخلافة خاتماً:

وقد وردت قصة تفيد أن رجلاً من أهل الكوفة يُقال له: معن بن زائدة زيّـفَ على (خاتم الخلافة) ، وأخذ بهذا التزييف مالاً من خَراج الكوفة ، فاستدعاه عمر إلى المدينة فأدَّبَه وحَبَسه ، وأخذ من ماله مقابل ما أخذه عن طريق التزييف من مال المسلمين[١] .

وهذا خاتم الخلافة ، وكان لكل ولاية خاتم خاص يختم به الولاة كتبهم .

٣ ـ نظام البريد ودار البريد:

وكان للبريد دور رائد في عهد عمر ، واتسم بالشمول والسرعة وكثرة المراسلين الذين يحملون الكتب إلى الولاة والقادة والرعية ، ومنهم إلى دار الخلافة[٢] .

وقد عُرف موضع في الكوفة زمن عمر بأنه (دار البريد) حيث كان من يحمل البريد من قِبَل الخلفاء أو الأمراء ينزل فيها[٣] .

٤ ـ مشروع تحرير الرقيق:

وضعت الدولة الإسلامية (برامج تحرير الرقيق) داخل المجتمع الإسلامي عن طريق الكفارات والمكاتبة والحث على عتق الرقيق طلباً للثواب الأخروي .

---

(١) ذكر القصة بتمامها البلاذري في فتوح البلدان، ص ٤٠٩ ـ ٤١٠؛ وانظر: الولاية على البلدان، ص ٤٥١ .

(٢) تاريخ المدينة ، لابن شبة: ٢/ ٧٦١؛ الولاية على البلدان، ص ٤٦٨ .

(٣) التراتيب الإدارية ، للكتاني: ١/ ١٩٢ .

وقد كثر المكاتَبون من الرقيق في عهد عمر ، فكانوا يساعَدون تنفيذاً لأمر الله تعالى ، كما أن الدولة كانت تفرض للعبيد من الغنائم والعطاء؛ ليكون لهم مال يعملون بتنميته حتى يتحرروا من الرق. وقد أُلزم سادتهم بتحريرهم إذا سدَّدوا ما تعهدوا به من مال ، وكان مقدار الفداء حسب مهارة العبد وقد يبلغ (٤٠٠٠٠ درهم) أحياناً.

ولما تحسنت موارد بيت المال في خلافة عمر قدَّم وصيته ـ قبل موته ـ بتحرير جميع الأرقاء المسلمين في الدولة[1]! ولكن المصادر لا تذكر تطبيقَ هذه (الوصية العمرية) في عصر الخلافة الراشدة ، ولعل ظروف الفتن التي أَعقبت خلافة عمر حالَتْ دون ذلك.

وهذه المبادرة العمرية هي أقدمُ محاولة في التاريخ الإنساني لتحرير الرقيق تحريراً شاملاً في نطاق دولة كبرى[2]!.

٥ ـ العناية باللقطاء والنفقة عليهم:

واعتنت الدولة باللُّقطاء ، وأَثبتت لهم الحرية ، والتزمت بالنفقة عليهم.

قال عمر رضي الله عنه: اللَّقيط حرٌّ.

ورأى رجلاً قد أخذ لَقيطاً ليكفله ويربيه ، فقال له: اذهَبْ فهو حرٌّ ، ولك ولاؤه ، وعلينا نفقتُه. فجعل نفقته من بيت مال المسلمين[3].

---

(١) مصنف عبد الرزاق: ٨/ ٣٨٠ ـ ٣٨٢، ٩/ ١٦٧ ـ ١٦٨؛ طبقات ابن سعد: ٣/ ٣٥٩، والخبر صحيح.

(٢) عصر الخلافة الراشدة، ص ٢٥١ ـ ٢٥٢.

(٣) انظر ما كتبناه: ص ٣٨٧ ـ ٣٨٨ في هذا الكتاب.

٦ ـ نظام العرفاء والنقباء:

هذا النظام ظهرت نواته وأصله منذ بيعة العَقَبة الثانية في عصر الرسالـة ، ثم توسع مفهومه واتسع نطاقـه وتنوعت أهدافه في خلافة عمر.

وقد نظَّم سعد بن أبي وقاص جنده في معركة القادسية وفقه: فأمَّر أمراءَ الأجناد وعرَّف العرفاء[1] ، فعرَّف على كل عشرة رجلاً. . . وعشَّر الناس (قسم إلى عشرة ومئـة وألف) ، وأمَّر على الأعشار رجالاً من الناس لهم وسائل في الإسلام. فكان العرفاء مسؤولين أمام سعد عن جندهم.

ثم شمل هذا النظام الأمصارَ المختلفة ، فصار العرفاء مسؤولين عن قبائلهم أمام الوالي.

وقد خضع هذا النظام لتعديلات بعد وقت قصير ، ففي سنة (١٧هـ) تم إعادة تعريف الناس ليشتمل النظام على النساء والصبيان، وعرَّفوا على مئة ألف درهم. فكانت كل عِرافة من القادسية خاصة: ثلاثة وأربعين رجلاً، وثلاثاً وأربعين امرأة ، وخمسين من العيال؛ لهم مئة ألف درهم. وكل عِرافة من أهل الأيام (الوقائع): عشرين رجلاً على ثلاثة آلاف ، وعشرين امرأة ، وكل عيِّل على مئة؛ على مئة ألف درهم. وكل عِرافة من الرادفة الأولى ستين رجلاً وستين امرأة وأربعين من العيال ممن كان رجالهم أُلحِقوا على ألف وخمس مئة؛ على مئة ألف درهم. ثم على هذا الحساب.

---

(١) **أمَّر فلاناً**: صيَّره أميراً. **عرَّف عَريفاً**: أقامه على الناس وعيَّنَه عليهم.

وقد صارت القبائل أسباعاً بدل الأعشار ، ودُمجت مجموعة قبائل في كل سبع .

وامتد التنظيم إلى أهل البصرة ، فكان العطاء يُدفع إلى أمراء الأسباع وأصحاب الرايات ، وهم عرب ، فيدفعونه إلى العرفاء والنقباء والأمناء ، فيدفعونه بدورهم إلى أهله في دورهم . وقد استمر هذا النظام في خلافة عثمان وعلي .

وكان نظام العرفاء والنقباء يساعد الوالي في ضبط المجتمع ، وتسليم المطلوبين للقضاء ، وتجنيد المقاتلين ، ومعرفة آراء الناس ، وتمثيلهم أمام الوالي[1] .

٧ ـ أنظمة في الشؤون المالية:

مع تضخم المؤسسة المالية ابتُكرت أنظمة كثيرة لضبط مواردها ومصارفها ، كما أوضحناه مفصلاً من حيث إدارة شؤون الزكاة والخَراج والجزية والغنائم والعشور ، وتدوين الدواوين وترتيب العطاء ، وإقامة خزائن الدولة وبيوت المال ، وما يستوجب ذلك من مسؤولين وموظفين . وكذلك العناية بضرب النقود وإضفاء الصبغة العربية الإسلامية عليها[2] .

٨ ـ نظام البيوع والتجارة:

كذلك وُضِعت في عهد عمر ضوابط للمعاملات التجارية ، ودخول

---

(١) تاريخ الطبري : ٣/ ٤٨٨ ، ٤/ ٤٨ ـ ٤٩ ؛ الولاية على البلدان ، ص ٤٥٣ ـ ٤٥٧ ؛ عصر الخلافة الراشدة ، ص ١٥٠ ـ ١٥١ .

(٢) انظر ما تقدم : ص ٤١٤ ـ ٤٦١ في هذا الكتاب .

البضائع والمواد الغذائية وغيرها ، وفُرضت العشور (الضرائب). وكذلك مراقبة حركة الأسواق ، ومنع الغش والاحتكار والتلاعب بالأسعار ، مما تقدم ذِكْره[1].

وثمة أنظمة كثيرة أخرى قد سبق الحديث عنها في ميادين: الشؤون الإسلامية ، والتعليم ، والقضاء ، والحسبة ، وغير ذلك.

خامساً: الرواتب والعطاء:

وهذا مَعْلم بارز في السياسة الداخلية للدولة وإدارة مؤسساتها ، حيث فُرض لكل مَن ولي عملاً راتبٌ مناسب يسدُّ الحاجة ويَفيض عنها ويَكفل العيش الكريم ، وشمل ذلك: الولاة ، وقادة الفتوحات ، والقضاة ، والمعلمين ، والأئمة والمؤذنين ، وموظفي الزكاة والخراج والجزية والعشور ، وخزنة بيوت المال ، ومسؤولي الحِمى. هذا فضلاً عن الدواوين والعطاءات التي عمَّت كل الرعية حتى المولود فقد فُرض له من بيت المال بمجرد أن يستهلَّ صارخاً ، وقد تقدم تفصيل ذلك كله.

* * *

---

(١) انظر: ص ٤٨٣ ـ ٤٨٦ في هذا الكتاب.

المبحث الثامن

إدارة الأزمات

سياسة أمير المؤمنين عمر في الأزمات من (الروائع العمرية) وما أكثرها! فلقد كان اضطلاعه بعلاج الأزمات وتنفيس الكربات، كاضطلاعه بإقامة الشورى وترسيخ العدل وتعيين القضاة ومحاسبة الولاة ومتابعة الفتوحات... حيث نهض عند وقوع القحط (عام الرمادة) وأيام اجتياح (الطاعون) في الشام على أحسن ما ينهض به مسؤول، وقام بأداء الأمانة على أتم وجه أمام الله والرعية والتاريخ.

فلننظر سياسة الفاروق في هاتين الأزمتين الجائحتين:

أولاً: الأزمة الاقتصادية (عام الرمادة):

١ ـ وقت الأزمة والتعريف بها[١]:

كان عام الرمادة سنة (١٨هـ)، وكان ابتداؤه عند صدور الحاج من مكة، ودام تسعة أشهر، وحصل ذلك القحط العظيم في المدينة والحجاز.

وسمِّي (عامَ الرَّمَادة) لِما حصل من شدة الجَدْب فاغبرت الأرض جدّاً من عدم المطر، وصارت سوداء فشُبِّهت بالرماد، وكانت الريح تسفي تراباً كالرماد، وهلكت فيه الناس والأموال. واشتد الجوع حتى جعلت الوحشُ تأوي إلى الإنس، وحتى جعل الرجل يذبح الشاة فيعافُها من

(١) طبقات ابن سعد: ٣/ ٢٨٣، ٣١٠، تاريخ الطبري: ٤/ ٩٦، ٩٨؛ البداية والنهاية: ٧/ ٩٠؛ الفتح: ٣/ ٥٨٥ شرح الحديث (١٠١٠)؛ أخبار عمر، ص ١٠٨.

قبحها وإنه لَمُقفِر ، وحتى كان الناس يَستفُّون الرِّمَّة ، ويحفرون نَفَق اليرابيع والجرذان يُخرجون ما فيها!.

٢ ـ وصف موجز لأحوال الناس في الحجاز ومواقف عمرية:

عن أسلم قال:

(لما كان عام الرمادة تحلَّبتِ العرب من كل ناحية فقدِموا المدينة ، فكان عمر بن الخطاب قد أمر رجالاً يقومون عليهم ويقسمون عليهم أطعمتهم وإدامهم. . . فسمعتُ عمر يقول ليلة وقد تعشى الناس عنده: أَحْصُوا من تعشَّى عندنا ، فأحصَوْهم من القابلة فوجدوهم سبعة آلاف رجل ، وقال: أَحْصوا العيالات الذين لا يأتون والمرضى والصبيان ، فأحصوا فوجدوهم أربعين ألفاً. ثم مكثنا ليالي ، فزاد الناس ، فأمر بهم فأُحصوا ، فوجدوا من تعشى عنده عشرة آلاف ، والآخرين خمسين ألفاً. فما بَرِحوا حتى أرسل الله السماء. . .)[١].

ويقول أبو هريرة:

(يرحم الله ابن حَنْتَمة[٢] ، لقد رأيتُه عام الرمادة وإنه ليحمل على ظهره جِرابين وعُكّة زيت في يده ، وإنه لَيعتقِب هو وأسلم ، فلما رآني قال: من أين يا أبا هَريرة؟ قلت: قريباً. قال: فأخذتُ أُعْقِبه ، فحملناه حتى انتهينا إلى صِرَار[٣] ، فإذا صِرْم[٤] نحوٌ من عشرين بيتاً من

---

(١) طبقات ابن سعد: ٣/٣١٦ ـ ٣١٧، مختصر ابن عساكر: ١٩/١٠ ـ ١١.
تَحلَّبت: سالتْ.

(٢) يعني عمر ، وحنتمة أمه.

(٣) موضع على ثلاثة أميال من المدينة.

(٤) الصِّرم: الأبيات المجتمعة المنقطعة من الناس.

محارب ، فقال عمر: ما أَقدَمَكم؟ قالوا: الجهد ، قال: فأخرجوا لنا جلد الميتة مشوياً كانوا يأكلونه ورِمَّة العظام مسحوقة يَستفُّونها! فرأيتُ عمر طرح رداءه ، ثم اتَّزَر ، فما زال يطبخ لهم حتى شبعوا. وأرسل أسلمَ إلى المدينة فجاء بأبعرة فحملهم عليها حتى أنزلهم الجبَّانة ، ثم كساهم. وكان يختلِف إليهم وإلى غيرهم حتى رفع الله ذلك!)[1].

وعن مالك بن أَوْس بن الحَدَثان ـ وهو من بني نَصْر ـ قال:

(لما كان عام الرمادة قـدِمَ على عمر قومي مئة بيت فنزلوا بالجبَّانة ، فكان عمر يُطعم الناسَ من جاءه ، ومن لم يأتِ أرسل إليـه بالدقيق والتمر والأُدْم إلى منزله. فكان يرسِـل إلى قومي بما يُصلحهم شهراً بشهر ، وكان يتعاهد مرضاهم وأكفانَ من مات منهم! ولقد رأيتُ الموت وقع فيهم حين أكلوا الثُّـفْل ، وكان عمر يأتي بنفسـه فيصلي عليهم ، لقد رأيتُه صلى على عشرة جميعاً. فلما أَحْيَوا قال: اخرجوا من القرية إلى ما كنتم اعتدْتُم من البرِّيَّـة. فجعل عمر يَحمل الضعيف منهم حتى لحقوا ببلادهم)[2].

وقال محمد بن يحيى بن حَبَّان:

(أُتي عمر بن الخطاب بخبزٍ مَفْتوتٍ بسمن عام الرمادة ، فدعا رجلاً بدويّاً فجعل يأكل معه ، فجعل البدوي يَـتَّبع باللقمة الودَكَ في جانب الصَّحْفة ، فقال له عمر: كأنك مُقْفِرٌ من الوَدَك! فقال: أَجَلْ ، ما أكلتُ سمناً ولا زيتاً ولا رأيتُ آكلاً له منذ كذا وكذا إلى اليوم. فحَلَف عمر

---

(١) طبقات ابن سعد: ٣/ ٣١٤؛ تاريخ الطبري: ٤/ ٢١١ ـ ٢١٢.

(٢) طبقات ابن سعد: ٣/ ٣١٧.

لا يَذوقُ لحماً ولا سمناً حتى يحيا الناس أول ما أَحْيَوْا!)[1].

٣ ـ أمير المؤمنين وآل بيته:

لقد فرض عمر على نفسه حياة الزهد والورع والتقشف، وحمل أهلَه وآل بيته على ذلك في أوقات الرخاء وكنوزُ الفتوحات تتدفق بين يديه، فمن نافلةِ القول أن نذكر أنه كان خشنَ العيش في هذه الأزمة الخانقة والقحط المُفْظِع! والذي يتلو صحائف تاريخ عام الرمادة يجد أن فاروق الإسلام قد سطر في جبين التاريخ أسمى الأمثلة على عدالة الحكم وأمانة الحكام وإحساسهم التام بالمسؤولية، وتمثلهم بأرفع مبادئ الإنسانية والمساواة، ولا يطمع أن يجدَ في مسيرة البشرية ما يُضارع ذلك الهدي العمري أو يدانيه.

إنْ جاعَ في شدَّةٍ قومٌ شَرِكْتَهُمُ ... في الجوعِ أو تَنْجلِي عنهم غَواشِيها

جوعُ الخليفةِ والدنيا بقبضتِه ... في الزهدِ منزلةٌ سبحانَ مُولِيها!

فمن يُبارِي (أبا حفصٍ) وسيرتَهُ ... أَوْ مَن يُحاوِلُ (للفاروقِ) تَشْبيها[2]؟!

عن أسلم قال: (كان عمر يصوم الدهر، فكان زمان الرمادة إذا أمسى أُتي بخبز قد ثُرِد بالزيت، إلى أن نحروا يوماً من الأيام جَزُوراً فأطعمها الناس، وغرفوا له طيِّبها فأُتي به، فإذا فِدَرٌ من سنام ومن كَبِد، فقال: أنى هذا؟ قال: يا أمير المؤمنين، من الجَزور التي نحرنا اليوم، قال: بخٍ

---

(١) طبقات ابن سعد: ٣/ ٣١٣؛ موطأ مالك: ٢/ ٩٣٢ ـ ٩٣٣. **الودك**: الدسم. **يحيا الناس**: يصيبهم الخصب والمطر.

(٢) ديوان حافظ إبراهيم، ص ٩٣.

بخٍ! بئسَ الوالي أنا إن أكلتُ طيِّبَها وأطعمتُ الناس كَرَاديسَها ، ارفَعْ هذه الجَفْنة ، هاتِ لنا غير هذا الطعام. قال: فأُتي بخبز وزيت ، قال: فجعل يَكسر بيده ويَـثْرُد ذلك الخبز ، ثم قال: ويحكَ يا يرفأ! احمل هذه الجَفْنَـة حتى تأتي أهلَ بيت بِثَمْغٍ فإني لم آتِهم منذ ثلاثة أيام ، وأحسبهم مُقْفِرين ، فضَعْها بين أيديهم)[1].

ونظر عمر عام الرمادة إلى بطيخة في يد بعض ولده ، فقال: بَخٍ بَخٍ يا ابنَ أميرِ المؤمنين! تأكلُ الفاكهة وأمة محمد هَزْلى؟ فخرج الصبي هارباً وبكى ، فأَسْكَت عمرُ بعدما سأل عن ذلك ، فقالوا: اشتراها بكفٍّ من نَوى)[2].

وعن أسلم: (أن عمر بن الخطاب حرَّم على نفسه اللحمَ عام الرمادة حتى يأكلَه الناس)[3].

وقال أنس بن مالك: (تَقَرْقَر بطنُ عمر بن الخطاب وكان يأكل الزيتَ عام الرمادة ، وكان حرَّمَ عليه السَّمْن ، فنَقَر بطنَه بإصبعه وقال: تقرقر تقرقرك ، إنه ليس لك عندنا غيره حتى يحيا الناس).

وفي رواية: (قال عمر: لَـتَمرنَنَّ أيها البطن على الزيت ما دام السمن يُباع بالأواقي!)[4].

---

(١) طبقات ابن سعد: ٣/ ٣١٢؛ صفة الصفوة: ١/ ٢٨٢ ـ ٢٨٣. فدر: قطع. **الكراديس**: رؤوس العظام. **ثمغ**: موضع وقف لعمر بالمدينة.

(٢) طبقات ابن سعد: ٣/ ٣١٥.

(٣) المرجع السابق: ٣/ ٣١٣.

(٤) طبقات ابن سعد: ٣/ ٣١٣؛ الزهد، لأحمد (٦٠٨، ٦٣٦)؛ الحلية: ١/ ٤٨.

واعتزل عمر نساءه فلم يقرب واحدة منهن ، وما أكل في بيت أحدٍ من ولده ولا بيت أحد من نسائه ذَواقاً زمان الرمادة إلا ما يتعشى مع الناس ، حتى أَحْيَا الله الناس أول ما أحْيَوْا[1].

واغتَمَّ أمير المؤمنين جدّاً وركبه الهمُّ الشديد ، حتى قال مولاه أسلم: (كنَّا نقول: لو لم يرفع الله المَحْلَ عامَ الرمادة لظننَّا أن عمر يموت همّاً بأمر المسلمين!)[2].

٤ ـ الاستعانة بأهل الأمصار:

وقام أمير المؤمنين بعمل آخر جليل ليستنقذ الناس من مخالب الجوع وبراثن الموت ، فاستصرخ أهلَ الأمصار الإسلامية ليُغيثوا إخوانهم في بلد رسول الله ﷺ وعامة بلاد الحجاز. فأصدر أوامره إلى ولاة مصر والشام والعراق ليسيِّروا إليه على أجنحة السرعة الأطعمة والأغذية والدقيق والأكسية والركائب... فوجد الخليفة وأهل الحجاز من إخوانهم هناك ما قرَّت به أعينُهم وسطره التاريخ الصادق من مواقف رائعة عن التكافل الاجتماعي بين المسلمين ، وأنهم كالجسد الواحد.

عن عبد الله بن عمر: (أن عمر بن الخطاب كتب إلى عَمْرو بن العاص عام الرمادة: بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى العاصي بن العاصي! سلام عليك ، أما بعد: أَفَتراني هالكاً ومن قِبَلي وتعيش أنت ومن قِبَلك؟ فيا غَوْثاه ، ثم يا غوثاه ، ثم يا غوثاه! قال: فكتب إليه عمرو بن العاص: بسم الله الرحمن الرحيم ، لعبدِ الله

---

(١) طبقات ابن سعد: ٣/ ٣١٥، ٣١٧. أحيوا: أخصبوا.

(٢) طبقات ابن سعد: ٣/ ٣١٥؛ مختصر ابن عساكر: ١٩/ ١١.

عمر أمير المؤمنين من عمرو بن العاص ، سلام عليك ، فإني أحمدُ إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد: أتاكَ الغَوْث ، فلَبِّثْ لَبِّث ، لأَبعثنَّ إليك بعِيرٍ أوَّلُها عندك وآخرها عندي! قال: فلما قدِمَ أول الطعام كلَّم عمر بن الخطاب الزبير بن العوام فقال له: تعترِض للعير فتُميلُها إلى أهل البادية فتقْسِمُها بينهم ، فوالله لعلك ألا تكون أصبتَ بعد صحبتك رسولَ الله ﷺ شيئاً أفضَلَ منه! قال: فأبى الزبير واعتلَّ. قال: وأقبل رجل من أصحاب النبي ﷺ ، فقال عمر: لكنَّ هذا لا يأبى ، فكلَّمه عمر ففعل وخرج ، فقال له عمر: أما ما لقيتَ من الطعام فمِلْ به إلى أهل البادية ، فأما الظروف فاجعلها لُحُفاً يلبَسونها ، وأما الإبل فانحرها لهم يأكلون من لحومها ويحملون من وَدَكها ، ولا تنتظر أن يقولوا: ننتظر بها الحَيَا ، وأما الدقيق فيصطنعون ويُحرزون حتى يأتي أمر الله لهم بالفرج. وكان عمر يصنع الطعام وينادي مناديه: من أَحَبَّ أن يحضر طعاماً فيأكل فليفعل ، ومن أحبَّ أن يأخذ ما يكفيه وأهلَه فليأتِ فليأخذه)[1].

وكتب إلى معاوية بن أبي سفيان بالشام بمثل ذلك ، فبعث إليه من يتلقاه بأفواه الشام ، يصنع به كالذي يصنع رسل عمر ، ويُطعمون الناس الدقيق وينحرون لهم الجُزُر ويَكسونهم العَباءَ.

وبعث إليه سعد بن أبي وقاص من العراق بمثل ذلك ، فأَرسل إليه من لقيه بأفواه العراق ، فجعلوا ينحرون الجُزر ويطعمون الدقيق ويكسونهم العباء ، حتى رفع الله ذلك عن المسلمين[2].

---

(١) طبقات ابن سعد: ٣/ ٣١٠ ـ ٣١١؛ حياة الصحابة: ٢/ ٢٠٤ ـ ٢٠٥.
(٢) طبقات ابن سعد: ٣/ ٣١١.

وخرجت رسل عمر ورجاله إلى مداخل الجزيرة من جهة الشام والعراق يستلمون الإمدادات ، وكان حجمها ضخماً جدّاً ، يحدِّث مالك الدار عن ذلك فيقول :

(لمّا كَتب عمر إلى عمرو بن العاص يبعث بالطعام في البر والبحر ، بعث إليه في البحر بعشرين سفينة تحمل الدقِيقَ والوَدَك ، وبعث إليه في البر بألف بعير تحمل الدقيق. وبعث إليه معاوية بثلاثة آلاف بعير تحمل الدقيق ، وبعث إليه بثلاثة آلاف عباءة. وبعث إليه عمرو بن العاص بخمسة آلاف كساء. وبعث إليه والي الكوفة بألفي بعير تحمل الدقيق)[1].

وثمة رواية تذكر أن أبا عبيدة قدِمَ المدينة ومعه أربعة آلاف راحلة تحمل الطعام ، فأمره عمر بتفريقها في الأحياء حول المدينة ، ففعل[2].

فهذه عشرة آلاف بعير ، عدا السفن ، تحمل الطحين والأطعمة والأكسية ، وهي تعادل في زماننا (عشرة آلاف سيارة) محملة بالغذاء ، فضلاً عن أن هذه الأبعرة نفسها غذاء للناس يأكلون من لحمها ويدخرون ، وينتفعون بجلودها.

٥ ـ الاستغاثة بالله تعالى والدعاء وصلاة الاستسقاء:

ورافق كلَّ ما تقدم من أعمال وتدبيرات لجوءُ الخليفة والمسلمين إلى الله تعالى ، فهو الذي يبتلي عباده ويأمرهم بالدعاء لرفع البلاء ، ثم اقتداءً بالنبي ﷺ الذي استسقى عند القحط وشرع للمسلمين صلاة الاستسقاء.

---

(١) طبقات ابن سعد : ٣/ ٣١٥.

(٢) تاريخ الطبري : ٤/ ١٠٠ ؛ البداية والنهاية : ٧/ ٩٠.

قال عبد الله بن عمر: (كان عمر بن الخطاب أَحدث في زمان الرمادة أمراً ما كان يفعلُه ، لقد كان يصلي بالناس العشاء ، ثم يخرج حتى يدخل بيته فلا يزال يصلي حتى يكون آخر الليل ، ثم يخرج فيأتي الأنقابَ فيطوف عليها ، وإني لأسمعُه ليلة في السَّحر وهو يقول: اللهم لا تجعلْ هلاكَ أمة محمد على يديَّ!)[1].

وخطب عمر الناس فقال: (أيها الناس اتقوا الله في أنفسكم وفيما غاب عن الناس من أمركم ، فقد ابتُليت بكم وابتُليتم بي ، فما أدري السُّخطةُ عليَّ دونكم أو عليكم دوني أو قد عمَّتْني وعَمَّتْكم! فهَلُمُّوا فلْندعُ الله يُصلِحْ قلوبنا وأن يرحمنا وأن يرفع عنا المحل. قال: فرُئي عمر يومئذٍ رافعاً يديه يدعو الله ، ودعا الناس ، وبكى وبكى الناس مليّاً ، ثم نزل)[2].

وعن مالك الدار قال: (أصابَ الناسَ قحطٌ في زمان عمر بن الخطاب ، فجاء رجل إلى قبر النبي ﷺ فقال: يا رسولَ الله! استسقِ الله تعالى لأمتك فإنهم قد هَلَكوا! فأتاه رسول الله ﷺ في المنام فقال: ائتِ عمر ، فاقرأْهُ السلامَ ، وأخبره أنهم مُسْقَون ، وقل له: عليك الكَيْسَ ، عليك الكَيس! فأتاه الرجل فأخبره ، فبكى عمر ثم قال: يا رب لا آلو إلا ما عجزتُ عنه)[3].

---

(١) طبقات ابن سعد: ٣/ ٣١٢.
(٢) المرجع السابق: ٣/ ٣٢٢.
(٣) مصنف ابن أبي شيبة: ٧/ ٤٨٢ ـ ٤٨٣؛ مختصر ابن عساكر: ١٩/ ٩؛ والبيهقي في الدلائل؛ وصححه ابن كثير في البداية والنهاية: ٧/ ٩١ ـ ٩٢؛ والحافظ في الفتح: ٣/ ٥٨٢، شرح الحديث (١٠٠٨).

وعزم عمر على الاستسقاء ، ولم يكتفِ بأن يستسقي بأهل المدينة ، بل عَمَّم الأمرَ على الأمصار ، وحدَّدَ لهم يوماً يَخرجون فيه جميعاً للاستسقاء والدعاء لرفع البلاء.

قال نِيار الأَسْلَمي: (لمَّا أجمع عمر على أن يستسقي ويخرج بالناس ، كتب إلى عماله أن يخرجوا يوم كذا وكذا ، وأن يتضرَّعوا إلى ربهم ويطلبوا إليه أن يرفع هذا المحل عنهم. قال: وخرج لذلك اليوم عليه بُرْدُ رسول الله ﷺ حتى انتهى إلى المصلى ، فخطب الناس وتضرَّع ، وجعل الناس يُلحُّون ، فما كان أكثر دعائه إلا الاستغفار ، حتى إذا قَرُبَ أن ينصرف رفع يديه مدّاً ، وحوَّلَ رداءَه وجعل اليمين على اليسار ثم اليسار على اليمين ، ثم مدَّ يديه وجعل يُلحُّ في الدعاء ، وبكى عمر بكاء طويلاً حتى أخْضَلَ لحيتَه)[(١)].

وزيادةً في القُربى إلى الله تعالى قام الفاروق يستسقي مستشفعاً بالعباس عم النبي ﷺ.

عن أنس بن مالك: (أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا قُحِطُوا استَسقى بالعباس بن عبد المطلب ، فقال: اللهمَّ إنَّا كنَّا نتوسَّلُ إليكَ بنبيِّنا فتسقِينا ، وإنَّا نتوسَّلُ إليك بعمِّ نبيِّنا فاسْقِنا. قال: فَيُسْقَوْن)[(٢)].

فقام العباس يدعو فقال: (اللهم إنه لم يَنزِلْ بلاء إلا بذنب ، ولم يُكشف إلا بتوبة ، وقد توجَّه القوم بي إليك لمكاني من نبيك، وهذه

---

(١) طبقات ابن سعد: ٣/ ٣٢٠ ـ ٣٢١.

(٢) البخاري (١٠١٠)؛ وابن خزيمة (١٤٢١)؛ وابن حبان (٢٨٦١)؛ والفسوي: ٣/ ٥٥٢؛ وابن سعد: ٤/ ٢٨ ـ ٢٩.

أيدينا إليك بالذنوب ونواصينا إليك بالتوبة، فاسقِنا الغيث. فأرخَت السماء مثل الجِبال حتى أَخصبت الأرض وعاش الناس)[1].

وروى الأعراب في البوادي أنهم سمعوا صوت الغوث في الغمام يبشر أمير المؤمنين عمر والمسلمين بالفرج والسقيا.

روى خوَّات بن جُبير قال: (قدِمَ الأعراب على عمر فقالوا: يا أمير المؤمنين، بينا نحن في بَوادِينا في يوم كذا في ساعة كذا، إذ أَظلَّنا غَمامٌ فسمعنا فيه صوتاً: أتاكَ الغَوْثُ أبا حفص، أتاك الغَوْثُ أبا حفص!)[2].

●● وكان من عمل الفاروق عندما عَمَّ الخِصْب وتفرَّجت الكُربة أن أمر الأعرابَ وأهلَ البادية بالعودة إلى بلادهم، ووكل نفراً من الصحابة فكانوا يُخرِجون أولئك الوافدين للمدينة إلى البادية ويعطونهم قوتاً وحُملاناً، وكان عمر يخرجهم بنفسه[3].

وعقَّبَ عمر على هذه الأحداث القاسية بقوله: (الحمد لله، فوالله لو أن الله لم يفرّجها ما تركتُ أهلَ بيت من المسلمين لهم سَعةٌ إلا أدخلتُ معهم أعدادَهم من الفقراء، فلم يكن اثنان يَهلكان من الطعام على ما يُـقيم واحداً)[4].

وقد اجتهد أمير المؤمنين في إمضاء (حد السرقة) في المجاعة فأوقف

---

(١) الفتح: ٣/ ٥٨٥، شرح الحديث (١٠١٠).

(٢) مختصر ابن عساكر: ١٩/ ٩؛ البداية والنهاية: ٧/ ٩٢؛ محض الصواب: ٢/ ٦٤٦.

(٣) طبقات ابن سعد: ٣/ ٣١٧.

(٤) تاريخ المدينة، لابن شبة: ٢/ ٧٣٨ ـ ٧٣٩؛ وبنحوه عند ابن سعد: ٣/ ٣١٦؛ محض الصواب: ١/ ٣٦٤؛ عصر الخلافة الراشدة، ص ٢٤٠.

العمل به ، وجاء عنه قوله : (لا تُقطع اليد في عِذْق ولا عام سَنَة)[1] .

وبه قال الأوزاعي وأحمد وغيرهما[2] .

وأخَّر عمر أخذَ الزكاة عامَ الرمادة ، فلم يَبعث السُّعاة ، فلما كان قابلٌ ورفع الله ذلك الجَدْب أَمرهم أن يَخرجوا ، فأخذوا عِقالين ، فأمرهم أن يَـقسموا عِقالاً ويَـقْدَموا عليه بعِقال[3] . **والعِقال** : صدقة العام .

ثانياً: الأزمة الصحية (طاعون عَمَواس):

●● سبب الطاعون هو (ميكروب صغير) يبلغ طوله ميكروناً ونصفاً ـ والميكرون واحد من مليون من المتر ـ وقد اكتُشف هذا الميكروب عام (١٨٩٤م) .

والذي ينقل ميكروبَ الطاعون هو (برغوثُ الفئران) ، وعادةً يعيش الميكروب على الحيوانات القارضة ، فإذا ما ابتدأ الوباء انتقل بواسطة البراغيث والحشرات إلى الفئران المنزلية ومنها إلى الإنسان .

يتكاثر الميكروب في (معدة البرغوث) حتى يسدَّها ، فيزداد إحساس البرغوث بالجوع ، ويزداد عندئذ نَهَمُه وقرصُه وعضُّه ، فيمصّ الدم فتدخل الميكروبات محل الوخزة والقرصة .

والطاعون نوعان :

الأول : الطاعون الغُدَدِيُّ : وهو الذي ينتشر في الفئران وينتقل منها إلى الإنسان بواسطة عضِّ الحشرات وأهمها البراغيث ، فينتقل

---

(١) تقدم : ص ٣٨٢ حاشية (٣) في هذا الكتاب .
(٢) محض الصواب : ١/ ٣٢٢، ٣٢٥ .
(٣) طبقات ابن سعد : ٣/ ٣٢٣؛ الأموال ، لأبي عبيد (٩٨١) .

الميكروب بواسطة الأوعية اللمفاوية من موضع عضَّة البرغوث إلى الجلد عند اتصال الأوعية اللمفاوية ، وأهمها الموجودة في المَرَاقّ وهي المنطقة الأربية عند اتصال الفخذ بالبطن ، وغُدد الإبط اللمفاوية ، وغُدد العنق اللمفاوية ، وتتضخم هذه الغدد وتتورَّم وتمتلئ صديداً.

والنوع الثاني: هو الطاعون الرئوي: وهو أشدُّ فتكاً من الطاعون الغُددي ، ولا يكاد ينجو منه أحد[١].

●● وقد وقع الطاعون في منتصف خلافة عمر سنة (١٨هـ)[٢] ، حيث ذكر المؤرخون أن الطاعون وقع في بلدة (عَمَواس)[٣] وانتقل إلى (غور الأردن) ، واشتعل هناك وأخذ شرُّه ينتشر في جيوش المسلمين ، حيث كان قسم كبير جدّاً منهم فيه ، وعلى رأسهم أبو عبيدة بن الجراح ـ وهو أمير الناس ـ ومعاذ بن جبل وشُرَحْبيل بن حَسَنة ، وجماعة كبيرة من أشراف الصحابة وأكابرهم.

عن ابن عباس: (أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج إلى الشأم؛ حتى إذا كان بِسَرْغ[٤] لقيه أمراءُ الأجناد ـ أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه ـ فأخبروه أن الوباء قد وقع بأرض الشام. . .) الحديث ، وفيه

---

(١) انظر كتابنا: نبوءات الرسول ﷺ ، نبوءة رقم (١٥٩).

(٢) تاريخ خليفة، ص ١٣٨ ؛ تاريخ الطبري: ٤/ ٦٠ ؛ طبقات ابن سعد: ٣/ ٢٨٣ .

(٣) بلدة من فلسطين على طريق رام الله إلى غزة، تبعد عن القدس حوالي (٣٠ كم).

(٤) هي (المدوَّرة) اليوم، مركز الحدود بين الأردن والسعودية، من طريق (حالة عمَّار).

أن عمر استشار الناس ، ثم قرَّر الرجوعَ إلى المدينة[1] .

رجع عمر بمن معه إلى المدينة ، وعاد أبو عبيدة ورؤوس الأجناد ومن معهم إلى جيوشهم في غور الأردن ، وشرُّ الطاعون لا يزال يَستطير ويذهَبُ بأرواح الناس حتى تفانَوْا . وكان يؤرِّق عمرَ سلامةُ جنده من هذا الوباء الوبيل ، وأراد أن يستنقذَهم من براثنه وفَتْكه ، فأرسل أوامره وتوجيهاته إلى أبي عبيدة أن يَرحل بالمسلمين من أرض الغور ، وهي أرض غَمِقَة[2] وَخِمَة ، فيها المستنقعات والنُّزوز فاسدة الريح ، ويَظْهَر بهم إلى أرض مرتفعة نَزِهةٍ فسيحةٍ طيبة الريح بعيدةٍ عن الوَخَم ، ورغب إليه أن يأتيه في المدينة لحاجته إليه ، فظنَّ أبو عبيدة أن أمير المؤمنين إنما أراد استنقاذَه دون بقية الناس ، فاعتذر إلى عمر .

وكان عمر قد تأوَّلَ حديثَ عبد الرحمن بن عوف ، ورأى أن النهي عن الخروج من أرض الوباء إنما هو لمن قصد الفِرار متمحِّضاً فِراراً من قدر الله معتقداً أن فراره يسلمه من الموت ، لا لمن يخرج من الأرض الوبيئة للتداوي أو الرحيل إلى أرض نزِهة طيبة الهواء ؛ فذلك جائز .

وتابع عمرَ على هذا الرأي جماعةٌ من الصحابة ، أما أبو عبيدة فوقف عند ظاهر الحديث ، ولم ينأَ بنفسِه عن بقية المسلمين ، يَسَعُه ما يَسعُهم ، وهو ينتظر الشهادة[3] ! .

---

(١) تقدم الحديث بتمامه : ص ٣٦١ ـ ٣٦٢ في هذا الكتاب .

(٢) أي : قريبة من المياه والنُّزوز . **والغَمَقُ** : فسادُ الريح وخُمومها من كثرة الأَنْداء فيحصل منها الوباء .

(٣) انظر كتابنا : نبوءات الرسول ﷺ ، نبوءة رقم (١٥٨) ؛ وكتابنا : العشرة المبشرون بالجنة ، ص ٣٣١ ـ ٣٣٢ .

وخشي أمير المؤمنين على الجيوش من أن يفتك بهم الطاعون ، وأرسل بأمره إلى أبي عبيدة أن يخرج بالناس من (الغور) إلى (الجابية) وهي أرض نزهة فسيحة.

لكن الطاعون كان أسرعَ من التدابير ، فأُصيب الألوف به وقضَوا شهداءَ ، ومن أشهر الذين ماتوا بالطاعون: أبو عبيدة ، ومعاذ بن جبل ، وشُرحبيل بن حسنة ، والفَضْل بن العباس ، وأبو مالك الأشعري ، ويزيد بن أبي سفيان. . .

وبعد استشهاد أولئك الأمراء تولّى أمرَ الناس عمرو بنُ العاص ، وكان على مثل رأي عمر في تجنُّب هذه الكارثة ، واستطاع بعبقريته استنقاذَ بقية الجيش ، وقام في الناس خطيباً وأمرهم أن يتفرَّقوا في الجبال ، فخرج وخرج الناس معه ، ورفع الله الوباء عنهم ، فبَلَغ ذلك عمرَ بن الخطاب فما كرهه[1].

* * *

(١) تاريخ الطبري: ٤/ ٦٠ ـ ٦٢؛ البداية والنهاية: ٧/ ٧٩.

المبحث التاسع

المؤسسة العسكرية (وزارة الدفاع)

ولم يظهر (الجيش النظامي) في عصر الخلافة الراشدة بالصفة التي نجدها في الدولة العباسية ، بل كانت الأمة كلها مقاتلة حين تدعى إلى الجهاد ، حيث كان كل قادر على حمل السلاح ومسجل في ديوان العطاء يهبُّ للانخراط في الحملة العسكرية. لذلك لم تكن التدريبات اليومية تحت إشراف الدولة ، وإنما اعتمدت جيوش الفتح على المتطوعين الذين كانوا يتدربون بأنفسهم على السباحة والرماية والمبارزة والفروسية بصورة مستمرة استعداداً للجهاد؛ مما وفر للدولة أعداداً كبيرة من الرجال القادرين على القتال العارفين بأساليبه وفنونه في ذلك العصر.

«لقد أرسى الرسول القائد ﷺ القواعدَ العسكرية الإسلامية ووضع تعاليمها النظرية والتطبيقية ، وحذا الخلفاء الراشدون حذوه في تطبيق هذه التعاليم ، ولذلك استطاعوا تحقيق أكبر الانتصارات على أقوى جيوش فارس والروم وفتحوا البلدان في وقت قياسي قصير»[(١)].

وكانت القبيلة هي الوحدة العسكرية في ميدان القتال ، كما كانت أساساً للتنظيم الاجتماعي والإداري في الأمصار. ورغم أن الروابط القبلية ظلت فاعلة في علاقات القبائل ببعضها وبالدولة ، وكانت الدولة تحسب لها حساباً ، إلا أن تغلغل الإسلام في المجتمع وقوة العقيدة

---

(١) النظم العسكرية «نشأة الجيش النظامي في الإسلام»؛ فاروق عمر فوزي: ٢/٢٢٩.

الإسلامية في النفوس؛ أدى إلى إضعاف الروح القبلية شيئاً فشيئاً، فظهرت معايير جديدة وروابط جديدة على أساس المساواة والتقوى بصرف النظر عن الأصل، كما أن ظهور الفِرق العديدة التي كانت تجمع أناساً من أوساط مختلفة وقبائل متباينة ساعد على إيجاد روابط فكرية وسياسية ودينية على حساب الروابط القبلية القديمة[1].

وكذلك فإن استقرار العرب في الأمصار أدى إلى امتزاج القبائل وتداخلها اجتماعيّاً بالزواج واقتصاديّاً بوحدة مصالح المِصْر، وكانت الروابط الاجتماعية والاقتصادية الجديدة تقوى على مرِّ الزمن على حساب الروابط القبلية.

وكان الجيش عربيّاً في البدء، ثم استسلمت أعداد من قوات الفرس والروم ودخلت في الإسلام ورغبت في الالتحاق بالقوات الإسلامية.

وقد عاملتهم الدولة الإسلامية بمرونة، فألَحقَتْهم بقواتها مع احتفاظهم باستقلال وحداتهم وفِرقهم، وسُمح لهم ـ إذا رغبوا ـ بالتحالف والارتباط بالقبائل العربية، كما أُدخلوا ديوان العطاء، ومن هؤلاء: «الحمراء» من الروم، و«الأبناء» من أهل صنعاء، و«الديالمة» و«القيقانية» و«الأساورة» من الفرس[2].

وقد عَرف الجيش الإسلامي عدةَ رُتَب عسكرية تتمثل في أمير الجيش

---

(١) التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة، صالح العلي، ص ٣٨ ـ ٤٠، ١٣٧.

(٢) فتوح مصر، لابن عبد الحكم، ص ١٢٩؛ أنساب الأشراف، للبلاذري، ص ٣٦٦ ـ ٣٧٩.

ونائبه وأمراء الكراديس وأمراء التعبئة والنقباء والعرفاء. وكان الجيش يرفع لواءً أبيض ورايةً سوداء ، كما كان عليه الأمر في عهد النبوة. وكان المقاتلون فرساناً ومشاة ، وكانت الدولة حريصة على تربية الخيل لأغراض الجهاد ، كما كانت تحثُّ الناس على تربيتها ، وتقيم لها السباقات وتحدِّد لها الحِمى. ويُعطى الفارس من الغنيمة سهمين والراجِل سهماً واحداً.

وكانت (التعبئة الحربية) تعتمد على نظام الصفوف ونظام الكَرَاديس ونظام الخميس ، فكان الجيش يقسم إلى خمسة أقسام: الميمنة ، والميسرة ـ ويطلق عليهما الجناحان ـ ، والقلب ، والساقة ، والمؤخرة. وكل قسم يضم عدة كراديس ، ويتألف كل كردوس من ألف مقاتل وله قائده وحاشيته وراياته. وبين كل كُرْدُوس وآخر فسحة من الأرض مناسبة تسمح لهما بحرية الحركة والقتال.

وكانت الدولة تموِّن الجيش بما يلزمه من الطعام والسلاح والخيول والجمال[١].

وكان من سياسة الخليفة وأعمال الولاة وقادة الفتوحات: إقامةُ المسالح والقواعد العسكرية في المناطق المتاخمة لدولتي الفرس والروم ، وشحنها بالمجاهدين والمرابطين من فرسان وجمَّالة ومشاة ، فكانت مراكز عسكرية لردِّ أي عدوان خارجي ، كما أنها مراكز تجمع الجيوش لانطلاقها للفتوحات.

كذلك كان هناك نظام الصوائف والشواتي ، وهي حملات تخرج

---

(١) عصر الخلافة الراشدة، ص ٣٧٩ ـ ٣٨١، وانظر هوامشه.

بانتظام كالدوريات المنظمة في الصيف والشتاء لحماية حدود الدولة ، وكان يتولاها كبار القادة كأبي عبيدة ومعاوية والنعمان بن مقرن وغيرهم[1].

* * *

(١) انظر ما تقدم: ص ٣٩٢ _ ٣٩٤ في هذا الكتاب.

الفصل السادس

أوليات عمر وسوابقه

للفاروق أوليات وسوابق كثيرة جدّاً ، سبق بها الدنيا وابتدعها على غير مثال سابق ولا عهد للناس بها قبله ، فسنَّها لهم ومشى عليها من بعده ، وكان له فيها فضل الابتكار والإبداع والسبق ، ونحن نشير إليها بإيجاز في هذا الفصل لجلالتها وأهميتها[1] :

١ ـ فهو أول من وضع التأريخ الهجري .

٢ ـ وأول من سُمِّي أمير المؤمنين .

٣ ـ وأول من جمع الناس في التراويح على إمام واحد .

٤ ـ وأول من عسَّ في عمله في المدينة .

٥ ـ وأول من حمل الدرة وأدب بها .

٦ ـ وأول من فرض العشور في الإسلام .

٧ ـ وأول من مسح أرض السواد وأرض الجبل بالعراق ووضع الخراج على الأرض وعلى أهل الذمة .

---

(١) انظر: طبقات ابن سعد: ٣/ ٢٨١ ـ ٢٨٤؛ صفة الصفوة: ١/ ٢٨١ ـ ٢٨٣؛ البداية والنهاية: ٧/ ١٣٣؛ تاريخ الخلفاء، ص ١٣٦ ـ ١٣٧؛ محض الصواب: ١/ ٣١٧ ـ ٣١٩، ٣٢١؛ أخبار عمر، ص ٢٠٠ ـ ٢٠٣ .

٨ ـ وأول من دون الدواوين وكتب الناس على قبائلهم وفرض لهم الأعطية.

٩ ـ وأول من فرض راتباً للمواليد.

١٠ ـ وأول من اتخذ دار الدقيق ودار الأهراء.

١١ ـ وأول من حمل الطعام في السفن في البحر.

١٢ ـ وأول من أخذ زكاة الخيل.

١٣ ـ وأول من وضع في طريق السبل بين مكة والمدينة ما يصلح من ينقطع ويحمله من ماء إلى ماء.

١٤ ـ وأول من مصَّر الأمصار: الكوفة والبصرة والجزيرة والفسطاط.

١٥ ـ وأول من فرش المسجد النبوي بالحصا.

١٦ ـ وأول من زاد في المسجد النبوي.

١٧ ـ وأخَّر (مقام إبراهيم) إلى موضعه اليوم ـ وكان ملصقاً بالكعبة ـ وأقام عليه المقصورة.

١٨ ـ وأول من وقف وقفاً في الإسلام.

١٩ ـ وأول قاض في الإسلام (في عهد أبي بكر).

٢٠ ـ وأول من نهى عن بيع أمهات الأولاد.

٢١ ـ وأول من جلد في الخمر ثمانين.

٢٢ ـ وأول من أمر بتحرير جميع الأرقاء المسلمين بالدولة.

٢٣ ـ وأول من ورَّث العرب من الموالي.

٢٤ ـ وأول من صلب في الإسلام.

٢٥ ـ وأول من عرَّف العرفاء.

٢٦ ـ وأول من دفع في الرهان.

٢٧ ـ وأول من استحلف في القسامة.

٢٨ ـ وأول من قنت النصف الأخير من رمضان.

٢٩ ـ وأول من جعل للقضاء ولاية خاصة، فاستقلت السلطة القضائية عن السلطة التنفيذية.

٣٠ ـ وأول من رتب الرواتب والأرزاق للقضاة.

٣١ ـ وأول من قتل الجماعة بالواحد.

٣٢ ـ وأول من أمر ولاته بقتل السحرة.

٣٣ ـ وأول من أمر بالتجنيد الإجباري أيام القادسية.

٣٤ ـ وأول من أقام نظام الصوائف والشواتي والمسالح والقواعد العسكرية.

٣٥ ـ وأول من حدد مدة غياب الجندي عن زوجته بأن لا تزيد عن أربعة أشهر.

٣٦ ـ وأول من اعتمد (الرسالة الخارطة) في دراسة أرض المعركة وبيئتها.

٣٧ ـ وأول من أمر بغزو الترك.

٣٨ ـ وأول من أنشأ (جهاز تحريات) للتفتيش على الولاة.

٣٩ ـ وأول من منع الولاة من التجارة وأحصى ثرواتهم قبل ولايتهم.

٤٠ ـ وكان لا يأذن لسَبْيٍ قد احتلم بدخول المدينة المنورة.

٤١ ـ وأخرج اليهود من الحجاز وأجلاهم إلى الشام، وأخرج نصارى نجران وأنزلهم ناحية الكوفة.

وله غير ذلك أوليات وسوابق كثيرة في ميادين سياسة الرعية والفتوحات وشؤون المال والقضاء.

كذلك له اجتهادات باهرة وفرائد فقهية قد نُثرت في ثنايا الكتاب حسب الموضع اللائق بها.

* * *





الفتوحات

أسسها ومعالمها وموجز أحداثها

- الإشارة النبوية للفتوحات في عهد عمر واهتمام عمر المستمر بمسيرتها .
- مع قادة الفتوحات : اختيارهم ، وسياسته معهم ، وصفاتهم ، وقائمة بأسماء مشاهيرهم .
- موجز الفتوحات .

* * *

الفصل الأول

الإشارة النبوية للفتوحات في عهد عمر واهتمام عمر المستمر بمسيرتها

سر الفتح الإسلامي ومزاياه وعلة بقائه واستمراره قد لخصها الإمام المجدد شيخ الإسلام ابن تيمية في كلمته العبقرية: (إن المسلمين الأولين لم ينقلوا الإسلام إلى الأمم، ولكن نقلوا الأمم إلى الإسلام!)[1].

أولاً: الإشارة النبوية للفتوحات في عهد عمر:

●● عن أبي هريرة قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**بينا أنا نائمٌ رأَيْتُني على قَلِيب عليها دَلْوٌ، فنَزَعتُ منها ما شاء الله، ثم أَخذها ابنُ أبي قحافة فنَزَعَ بها ذنُوباً أو ذَنوبَيْنِ، وفي نَزْعِه ضَعْفٌ، واللهُ يَغفِر له ضَعْفَه. ثم استحالَتْ غَرْباً فأخذَها ابنُ الخطاب، فلم أرَ عبقريّاً من الناس يَنْزِعُ نَزْعَ عمرَ، حتى ضَربَ الناس بعَطَنٍ**».

وفي رواية: «**فأتى ابن الخطاب فأَخذ منه، فلم يزل يَنزِع حتى تولَّى الناس والحوضُ يتفجَّر!**»[2].

قال العلماء: (هذا المنام مِثالٌ لِما جرى للخليفتين من ظهور آثارهما

---

(١) أخبار عمر، ص ٧٥.

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٦٤)، وغيره. وقد مرَّ: ص٢٨٠ في هذا الكتاب.

الصالحة ، وانتفاع الناس بهما ، وكلُّ ذلك مأخوذٌ من النبي ﷺ لأنه صاحبُ الأمر فقامَ به أكملَ قيام وقرَّر قواعد الدين ، ثم خَلَفه أبو بكر فقاتل أهل الردَّة وقطع دابرهم ، ثم خَلَفه عمر فاتسع الإسلام في زمنه . . .

وأما قوله «**وفي نزعه ضَعْف**» : فليس فيه حظٌّ من فضيلة أبي بكر ، وإنما هو إخبارٌ عن حاله في قِصَر مدة ولايته ، وأما ولاية عمر فإنها لمَّا طالَتْ كثُر انتفاع الناس بها ، واتسعت دائرة الإسلام بكثرة الفتوح وتمصير الأمصار وتدوين الدواوين)[1] .

وقوله : «**ذنُوباً أو ذَنُوبَيْن**» : إشارة إلى ما فُتح في زمن الصديق من الفتوحات الكبار وهي ثلاثة ، ولذلك لم يتعرض في ذِكْر عمر إلى عدد ما نزعه من الدِّلاء وإنما وَصف نَـزْعَه بالعظمة إشارة إلى كثرة ما وقع في خلافته من الفتوحات[2] .

وقوله : «**فاستحالَتْ غَرْباً**» : الغَرْب : الدلو العظيمة ، واستحالت : أي انقلبت من الصِّغَر إلى الكبر ، ومعنى عِظَم الدلو في يد عمر كون الفتوحات كثُرت في زمانه[3] .

●● وعن أبي الطُّفَيل قال : قال رسول الله ﷺ : «**رأيتُ فيما يرى النائم كأني أَنْزع أرضاً ، إذْ وَردتْ عليَّ غَنَمٌ سودٌ وغنمٌ عُفْرٌ ، فجاء أبو بكر فنَزع**

---

(١) الفتح : ١٦/ ٢٣٤ (٧٠١٩)؛ شرح مسلم ، للنووي : ٨/ ١٧٨ ـ ١٧٩ (٢٣٩٢) .
(٢) الفتح : ٨/ ٦١١ (٣٦٧٦) ، وانظر : ١٦/ ٢٣٤ ـ ٢٣٥ .
(٣) الفتح : ١٦/ ٢٣٣ ـ ٢٣٤ .

ذَنوباً أو ذَنوبين ، وفيهما ضَعْفٌ ، والله يغفر له. ثم جاء عمر فنزع فاستحالَتْ غَرْباً ، فملأ الحياض وأروى الواردة ، فلم أرَ عبقريّاً أحسنَ نزعاً من عمر. فأوّلْتُ أن السودَ العربُ وأن العُفْرَ العجمُ»[1].

وهذا الذي رآه النبي ﷺ وأَوّلَه قد جاء تحقّقُ وقوعِه على أتمِّ وجه في خلافة الفاروق؛ حيث فتح الله عليه بلادَ العجم ودخلوا في دين الله وحملوا رايته وتابعوا نشره فيما وراء بلادهم.

ووصفَ ﷺ عمرَ بالعبقرية والقوة والسيادة ، وأنه لا أحدَ يعمل عمله في جودته وإحسانه وبراعته وشموله وإتقانه ، وأن الناس في عهده وردوا حِياض الإسلام ونَهلوا من مَعِينه حتى رووا وتضلَّعوا وصَدَروا عنه ، ولا تزال ينابيعه متمثلة بآثار الفتوحات تتفجر وتفيض بالخير وانتشار الإسلام جيلاً إثر جيل.

ثانياً: انشغال عمر الدائم بالفتوحات وأخبار المسلمين فيها ، وعزمه على الغزو بنفسه مراراً:

●● الذي يتلو صفحات التاريخ وأخبار الفتوحات وحكايات شهود العيان؛ تستولي عليه الدهشة لِما كان عليه أمير المؤمنين من انشغالٍ دائم بأمور الفتوح والقادة والجند والناس... حتى كان ذلك يشغل خاطره وهو في صلاته!.

هذا الذي خبرناه وتعلّمناه من الفاروق وسيرته في كل شؤونه ، إنه

---

(١) أخرجه أحمد: ٥/ ٤٥٥؛ وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد: ٥/ ٧١ ـ ٧٢ ، وعزاه للطبراني وحسن إسناده؛ والحافظ في الفتح: ٨/ ٦١٢ و١٦/ ٢٣٥ ، وعزاه للبزار والطبراني وأحمد وحسنه أيضاً.

لا يقبل في أي عمل إلا بذروة سنامه ، وهذا واحد من أسرار عبقريته .

عن أبي عثمان النَّهدي قال: قال عمر: (إني لأجهِّز جيوشي وأنا في الصلاة)[1] .

ولقد استولَتْ عليه شؤونُ الرعية عامة وجيوش الفتوحات خاصة ، حتى إنه ربما قام من نومه ليصلي من الليل فلا يستطيع أن يصلي ولا يستطيع أن يرقد[2]! .

قالوا: وكان نومه خفقات في ساعات متفرقة من ليل أو نهار[3]! .

وفي فتوحات العراق ، لما أتى عمرَ الخبرُ بنزول رستم القادسية ، كان يَستخبر الركبان عن أهل القادسية من حين يُصبح إلى انتصاف النهار ، ثم يرجع إلى أهله ومنزله[4] .

ومن أوامره لسعد بن أبي وقاص عندما وجهه قائداً على جيوش القادسية: (واكتُبْ إليَّ بجميع أحوالكم وتفاصيلها ، وكيف تنزلون وأين يكون منكم عدوكم ، واجعلني بكُتبك إليَّ كأني أنظرُ إليكم ، واجعلْني من أمرِكم على الجَليَّة!)[5] .

وفي أيام وقعة نَهاوَند كان أمير المؤمنين يتململ في الليل ويخرج

---

(١) تقدم: ص ٣١٨ في هذا الكتاب، وفيها أمثلة أخرى.

(٢) انظر ما تقدم: ص ٣١٤ في هذا الكتاب.

(٣) أخبار عمر، ص ٢٩٠ .

(٤) تاريخ الطبري: ٣/ ٥٨٣ .

(٥) تاريخ الطبري: ٣/ ٤٩١؛ البداية والنهاية: ٧/ ٣٧ .

ويلتمس خبر المسلمين هناك ، ويَستنصر الله لهم ويدعو الله لهم مثل دعاء الحبلى[1] .

ولما أبطأ على المسلمين فتحُ الإسكندرية ، كتب أمير المؤمنين رسالة إلى عمرو بن العاص قال فيها : (أما بعد ، فقد عجبتُ لإبطائكم عن فتح مصر ، تقاتلونهم منذ سنتين! وما ذاك إلا لِما أحدثتم وأحببتم من الدنيا ما أحبَّ عدوكم ، وإن الله تبارك وتعالى لا ينصر قوماً إلا بصدق نياتهم . . .)[2] .

●● وقد عزم أمير المؤمنين على الغزو بنفسه وقيادة بعض الجيوش غيرَ مرة ، وكان أعيان مجلس الشورى يشيرون عليه بالبقاء في المدينة لأنه رأس الدولة وليس من أحد يحلُّ مكانه ، وفي المسلمين مِن أكابر القادة مَنْ يكفونه ذلك .

ـ عندما أتاه خبرُ مقتل أبي عُبيد الثقفي يوم الجسر ، نادى في المهاجرين والأنصار وخرج حتى أتى (صِراراً) ، واستشار الناس في أن يخرج بهم ، فأشار الكثيرون بالموافقة ، وخالفهم عبد الرحمن بن عوف وأشار على عمر بأن يبعث سعد بن أبي وقاص[3] .

ـ ولما بَلَغه أن الروم حصروا أبا عبيدة بن الجراح في حِمْص ، خرج

---

(١) تاريخ الطبري : ٤/ ١٢٠ ، ١٣٤ ؛ البداية والنهاية : ٧/ ١١١ .

(٢) حسن المحاضرة : ١/ ٦٧ ؛ أخبار عمر ، ص ٦٨ .

(٣) تاريخ الطبري : ٣/ ٤٨١ ـ ٤٨٢ .

عمر بنفسه لينصر أبا عبيدة ، حتى وصل إلى (سَرْغ) ، وجاء الخبر بالفتح وانتصار أبي عبيدة[1] .

ـ وفي فتوحات فلسطين حاصر المسلمون بيت المقدس وضيَّقوا على أهلها ، فأجابوا إلى الصلح واشترطوا أن يقدَم إليهم أمير المؤمنين عمر ، فكتب إليه أبو عبيدة بذلك ، فاستشار عمر الناس ، فأشار عثمان بن عفان بأن لا يركب إليهم ليكون أحقرَ لهم وأرغَمَ لأنوفهم ، وأشار علي بن أبي طالب بمسير عمر إليهم ليكون أخفَّ وطأةً على المسلمين في حصارهم . فهَوِيَ عمر ما قال علي ، وسار بالجيوش نحوهم[2] .

ـ وعندما اجتمع الفرس بنَهاوَنْد ، قام عمر فخطب الناس فقال : إني قد رأيتُ أن أسير بمن قِبلي حتى أنزل منزلاً وسطاً بين هذين المِصْرين ـ البصرة والكوفة ـ فأستنفر الناس ، ثم أكون لهم رِدْءاً حتى يفتح الله عليهم .

فتكلم عثمان وعلي وابن عوف وغيرهم من أهل الرأي ، واتفق رأيهم على أن لا يسير من المدينة ، ولكن يبعث البعوث ، ويحضرهم برأيه ودعائه[3] .

والمواقف في هذا كثيرة سيأتي بسطها .

* * *

---

(١) تاريخ الطبري : ٤/ ٥٢ ؛ البداية والنهاية : ٧/ ٧٦ .

(٢) البداية والنهاية : ٧/ ٥٥ .

(٣) تاريخ الطبري : ٤/ ١٢٣ ؛ البداية والنهاية : ٧/ ١٠٧ .

الفصل الثاني

مع قادة الفتوحات
اختيارهم، وسياسته معهم، وصفاتهم، وقائمة بأسماء مشاهيرهم

أولاً: مبادئ عمرية:

١ ـ من أبرز المبادئ التي اتبعها عمر في سياسة الدولة: **(مركزية القرار)** ، فكان يعين القادة ويوجههم ويكتب إليهم ويأمرهم أن يكتبوا إليه بكل شيء ، ليكون على علم بأحوالهم ويشير عليهم برأيه ، ومن ذلك كتابه إلى سعد بن أبي وقاص: (واكتب إليَّ بجميع أحوالكم وتفاصيلها . . . واجعلني من أمركم على الجَليَّة) .

وهكذا كان هديه مع الولاة والقادة ومسؤولي بيوت المال وغيرهم .

٢ ـ ووضع لهم **دستور الحرب والجهاد والفتح والزحف** من الجزيرة العربية إلى الجبهات الثلاث ، وحدَّد الأسس العامة في ذلك وعهِد بتنفيذها إلى ذوي الخبرة والأمانة . ومما يأمر به جيوشه قوله: سِرْ على بركة الله ، قاتِلْ في سبيل الله من كفر بالله ، فإذا لقيتم عدوَّكم من المشركين فادعوهم إلى ثلاث خِصال: الإسلام أو الجزية أو القتال ، وإن قاتلوكم فلا تَغلُّوا ولا تغدروا ولا تمثِّلوا ولا تقتلوا وليداً[1] .

---

(١) محمد رسول الله ﷺ، للصادق عرجون: ٣/ ٢٣٦ .

٣ ـ وكان لا يؤمِّر من عنده عجلة في الحرب ، خشية أن تحملَه شجاعته المفرطة على التسرع وإيقاع الجند في المهالك. ومن أمثلة ذلك: أنه عندما بعث أبا عُبيد الثقفي على رأس جيش قال له: إنه لم يمنعْني أن أُؤمِّر سَليط بن قيس إلا سرعتُه في الحرب ، وفي التسرع إلى الحرب ضَياع إلا عن بيان ، والله لولا سرعته لأمَّرْتُه ، ولكن الحرب لا يصلحها إلا المَكِيث[١]. وقال مثل ذلك في البراء بن مالك وكان مفرط الشجاعة[٢].

٤ ـ وألزم القادة بالمشورة قبل الإقدام على المعركة ، وفي إدارتها واختيار أمراء الجماعات وطرائق القتال وغير ذلك... وأكد على هذا في كتبه ورسائله.

كتب إلى أبي عُبيد الثقفي: اسمع من أصحاب النبي ﷺ ، وأَشْرِكْهم في الأمر ، ولا تجتهد مسرعاً حتى تتبين فإنها الحرب ، والحرب لا يصلحها إلا الرجل المكيث الذي يعرف الفرصة والكف[٣]!.

٥ ـ وكان له عيون وجواسيس في الجيش يأتونه بأخبارهم حرصاً على التزامهم بأخلاق الإسلام ومبادئه في القتال ، لا لكشف عوراتهم والإيقاع بهم. ولم يمنع عمر من متابعة ذلك بعدُ الشقة وتنائي البلاد. وقد حدث أن اثنين ممن أمَّرهم المثنى على إحدى فرق الجيش في (البُوَيْب) بالعراق أوقعوا في العدو وأغرقوه ، وناديا بشعارٍ مشهور لهما في الجاهلية (تغريق

---

(١) تاريخ الطبري: ٣/ ٤٤٥.
(٢) طبقات ابن سعد: ٧/ ١٦.
(٣) تاريخ الطبري: ٣/ ٤٤٥.

بتحريق)! فكتب (العَيْن) إلى عمر بما كان في تلك الغزاة ، فبعث عمر إليهما فسألهما ، فأخبراه أنهما قالا ذلك على وجه أنه مَثَلٌ ، وأنهما لم يفعلا ذلك على وجه طلب ذَحْل الجاهلية ، فاستحلفهما ، فحلفا أنهما ما أراد بذلك إلا المَثَل وإعزازَ الإسلام ، فصدَّقهما وردَّهما حتى قدِما على المثنى[1]! .

لله در أمير المؤمنين! يستقدم هذين المجاهدين البطلين من العراق إلى المدينة ، ليقف على حقيقة الأمر ويستحلفهما ، ليصون أخلاقهما من أن يعلق بها شيء من أدران الجاهلية! .

٦ ـ التواصل التام المستمر المدهش بين عمر وقادته على جبهات القتال: وبالنظر في كتب عمر ورسائله إلى القادة في جبهات القتال في العراق وفارس والشام ومصر؛ يدهش المرء ويجزم بأن الرسل لا تنقطع بل هي متتابعة تترى تحمل الأوامر من المدينة وترجع بالتوصيفات والتفصيلات ، ثم تعود أدراجَها بالتوجيهات فيما فيه صيانة أرواح المجاهدين ومصالح المسلمين وأهل البلاد المفتوحة .

وكتبه تحمل أوامره في توجيه المعركة ، وأساليب القتال ، وتعيين الأمراء الصغار على مقدمات الجيش ومؤخرته وقلبه ومجنِّبَتَيْه ، وتحديد الهجوم أوقات الصلوات ، واستخلاف الولاة على البلدان المفتوحة ، وتوجيه آخر إلى بلاد أخرى لفتحها ، والرجال الذين يتقدمون الزحوف ، وأخبار المعركة ، وبشائر الفتح ، وعقود الصلح ، وأمور الغنائم ،

(١) تاريخ الطبري: ٣/ ٤٧٦ . ذَحْل: ثَـأْر.

وأخبار الجند ، ومواقع العدو وقواته وقواده. . . وغير ذلك مما يحيِّر الألباب.

٧ ـ الصلابة والحزم دون مهاودة مع أي قائد مهما بلغت منزلته: ففي القادسية كان (الجالِينوس) على مقدمة جيش رستم ، وكان (زُهْرة بن الحَوِيَّة) على مقدمة جيش سعد بن أبي وقاص ، وفي أثناء جولات المعركة تمكَّن زهرة من قتل الجالينوس وأخذ سَلَبَه وتدرَّعَه ، وكان يساوي بضعةً وسبعين ألف درهم! فلما رجع إلى سعد نَزع سَلَبه ، وقال: ألا انتظرتَ إذْني؟! وتكاتبا ، فكتب عمر إلى سعد: تَعمِدُ إلى مثلِ زُهْرة ، وقد صَلِيَ بمثل ما صَلِي به ، وقد بقي عليه من حربك ما بقي ـ تكسِرُ قَرْنَه وتُفسِد قلبه! أمْضِ له سَلَبَه ، وفضِّله على أصحابه عند العطاء بخمس مئة[1]!.

وثمة مبادئ أخرى نتركها للقارئ ليستنبطها من استقراء سياسة عمر مع القادة والجيوش ومسيرة الفتوحات.

ثانياً: طريقة عمر وشروطه في اختيار القادة:

اتسمت طريقة عمر في اختيار القادة بالدقة والحكمة والحيطة والورع والخبرة بأقدار الرجال وكفاءاتهم وتدينهم ، وكان يستشير أعلام الصحابة في تعيينهم ، ويَستبطن آراء الجند والناس ، ويستقرئ هدي أولئك القادة ومسيرتهم الجهادية ، ويستهدي بأعمال النبي ﷺ وأبي بكر ، وبخاصة إذا كان الرجل مطلوباً ليكون قائداً عامّاً أو سيوجهه إلى وجه صعب وعدو شديد وبلد بعيد.

---

(١) تاريخ الطبري: ٣/ ٥٦٧ ـ ٥٦٨.

وبالنظر في أخبار عمر مع القادة ، واستعراض حركة الجيوش في الفتوحات ، يمكن استنتاج الصفات التي كان عمر يستهدفها ويشترطها في أمراء الحرب[1] :

١ ـ الإيمان والورع والزهد.

٢ ـ العلم بأحكام الشريعة وشروط القتال والعهود والصلح.

٣ ـ التأني والتروي وعدم العجلة والتسرع في الإقدام على القتال.

٤ ـ الجرأة والشجاعة والحزم.

٥ ـ الخبرة والدربة بمواقع القتال وجغرافية البلدان ، والمعرفة بقدرات العدو.

٦ ـ الخبرة العسكرية بأساليب القتال وقيادة الجند وإدارة المعركة.

٧ ـ الدهاء والفطنة والحنكة في مواجهة العدو وموادعته ومفاوضته.

٨ ـ رغبة القائد في العمل الذي يندب له ليكون أدعى لاستجابته واستفراغ طاقاته.

٩ ـ عدم الاشتغال بالتجارة والزراعة ونحوهما ، ليكون متفرغاً للجهاد.

١٠ ـ أن لا يكون ممن ارتد ثم عاد للإسلام ، ومثل هؤلاء يستعان بخبراتهم ويجب إكرامهم ومعرفة منزلتهم ، لكن لا يتولون إمارة الحرب.

---

(١) وانظر: قادة فتح بلاد فارس، محمود شيت خطاب، ص ٣٠٥ ـ ٣٠٦.

ثالثاً: من وصايا عمر وكتبه ورسائله:

●● قال صالح بن كيسان: (كان أول كتاب كتبه عمر حين وُلِّي إلى أبي عبيدة يولِّيه على جند خالد: أوصيك بتقوى الله الذي يبقى، ويفنَى ما سواه، الذي هدانا من الضلالة، وأخرجنا من الظلمات إلى النور. وقد استعملتك على جند خالد بن الوليد، فقُم بأمرهم الذي يحق عليك؛ لا تُقدم المسلمين إلى هَلَكة رجاء غنيمة، ولا تُنزِلهم منزلاً قبل أن تستريده لهم وتعلمَ كيف مأتاه، ولا تبعثْ سرية إلا في كَثْف من الناس، وإياك وإلقاءَ المسلمين في الهلكة. وقد أبلاك الله بي وأبلاني بك؛ فغَمِّضْ بصرك عن الدنيا، وأَلْهِ قلبك عنها، وإياك أن تُهلِكَكَ كما أهلكَتْ من كان قبلك، فقد رأيتَ مصارعَهم)[1].

●● ولما انتَدب سعدَ بن أبي وقاص وأمَّره على حرب العراق، أوصاه فقال:

(يا سعدُ، سعد بن وُهَيْب؛ لا يَغرنَّكَ من الله أن قيلَ: خالُ رسول الله ﷺ وصاحبُ رسول الله، فإن الله عز وجل لا يمحو السيِّئَ بالسيِّئ، ولكنه يمحو السيئَ بالحسن، فإن الله ليس بينه وبين أحد نَسَب إلا طاعته، فالناس شريفُهم ووضيعُهم في ذات الله سواء، الله ربهم وهم عباده، يتفاضلون بالعافية، ويدركون ما عنده بالطاعة. فانظر الأمر الذي رأيتَ النبي ﷺ عليه منذ بُعث إلى أن فارقَنا؛ فالزَمْه فإنه الأمر. هذه عِظتي إياك إنْ تركتَها ورغبتَ عنها حَبِطَ عملُك وكنتَ من الخاسرين)[2].

(١) تاريخ الطبري: ٣/ ٤٣٤؛ البداية والنهاية: ٧/ ١٩.

(٢) تاريخ الطبري: ٣/ ٤٨٣؛ البداية والنهاية: ٧/ ٣٥ ـ ٣٦.

وكتب إليه وهو في (شَراف) في طريقه إلى القادسية :

(أما بعد: فَسِرْ من شَراف نحو فارس بمن معك من المسلمين ، وتوكَّل على الله واستعِنْ به على أمرك كله ، واعلم فيما لديك أنك تَقْدَم على أمة عددهم كثير ، وعُدَّتهم فاضلة ، وبأسهم شديد ، وعلى بلد منيع ـ وإن كان سهلاً ـ كَؤود لبحوره وفيوضه ودآدئه ، إلا أن توافقوا غَيْضاً من فَيْض. وإذا لقيتم القوم أو أحداً منهم فابدؤوهم الشدَّ والضرب ، وإياكم والمناظرة لجموعهم ، ولا يخدعُنَّكم فإنهم خَدَعة مَكَرة ، أمرُهم غير أمركم ، إلا أن تجادُّوهم.

وإذا انتهيتَ إلى القادسية ـ والقادسية بابُ فارس في الجاهلية ، وهي أجمعُ تلك الأبواب لمادَّتهم ، ولما يريدونه من تلك الآصُل ، وهو منزل رَغيب خصيب دونه قناطر وأنهار ممتنعة ـ فتكون مسالِحُك على أنقابها ، ويكون الناس بين الحَجَر والمَدَر على حافات الحجر وحافات المدر ، والجِراع بينهما. ثم الزم مكانك فلا تبرحْه ، فإنهم إذا أحسُّوك أنغضْتَهم ورمَوْك بجمعهم الذي يأتي على خيلهم ورجلهم وحدِّهم وجِدِّهم؛ فإن أنتم صبرتم لعدوِّكم واحتسبتم لقتاله ونويتم الأمانة؛ رجوتُ أن تُنصروا عليهم ، ثم لا يجتمع لكم مثلهم أبداً ، إلا أن يجتمعوا وليست معهم قلوبهم. . .)[1].

وتوالت الكتب بين أمير المؤمنين في المدينة وسعد في أرض القتال

---

(١) تاريخ الطبري: ٣/ ٤٩٠ ـ ٤٩١. **دآدئه**: **الدأداء**: الفضاء وما اتسع من الأودية. **الآصل**: الجموع. **رغيب**: واسع. **أنقابها**: ثغورها. **الجِراع**: جمع الجَرَعة: وهي الرملة الطيبة المنبت لا صعوبة فيها.

بالعراق ، وهي من عجائب الدهر ، والكتب والرسل تترى من منزل إلى منزل ، ومن يوم إلى يوم!.

●● ولما بَلَغَ عمرَ اجتماعُ الأعاجم بنهاوند ، كتب إلى النعمان بن مُقَرِّن:

(بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى النعمان بن مقرِّن ، سلام عليك ، فإني أحمدُ إليكَ الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعدُ: فإنه قد بَلَغني أن جموعاً من الأعاجم كثيرة قد جمعوا لكم بمدينة نَهاوَنْد ، فإذا أتاك كتابي هذا فسِرْ بأمر الله ، وبعون الله ، وبنصر الله ، بمن معك من المسلمين ، ولا توطئهم وعراً فتؤذيهم ، ولا تمنعْهم حقهم فتكفِّرهم ، ولا تدخلنَّهم غَيْضة؛ فإن رجلاً من المسلمين أحبُّ إليَّ من مئة ألف دينار ، والسلام عليك)[1].

●● وعن زيد بن أسلم قال: لمَّا أبطأَ على عمر فتحُ مصر كتب إلى عمرو بن العاص:

(أما بعد: فقد عجبتُ لإبطائكم عن فتح مصر ، تقاتلونهم منذ سنتين ، وما ذاك إلا لِما أحدثتم وأحببتم من الدنيا ما أحَبَّ عدوكم ، وإن الله تبارك وتعالى لا ينصر قوماً إلا بصدق نياتهم. وقد كنتُ وجَّهتُ إليك أربعة نفر ، وأعلمتُك أن الرجل منهم مقام ألف رجل على ما كنت أعرف ، إلا أن يكون غيَّرهم ما غيَّر غيرَهم! فإذا أتاك كتابي هذا ، فاخطب الناس وحُضَّهم على قتال عدوهم ، ورغِّبْهم في الصبر والنية ،

---

(١) تاريخ الطبري: ٤/ ١١٤ ـ ١١٥. **والغَيْضة**: هي الشجر الملتف، إذا نزلها الجند تفرَّقوا فيها فتمكَّن منهم العدو.

وقدِّم أولئك الأربعة في صدور الناس ، وَأْمُر الناسَ جميعاً أن يكونوا لهم صدمةَ رجلٍ واحد ، وليكن ذلك عند الزوال يوم الجمعة ، فإنها ساعة تنزل فيها الرحمة ووقت الإجابة ، وليعجَّ الناس إلى الله ، وليسألوه النصر على عدوِّهم)[1].

وستأتي نصوص أخرى في غضون الحديث عن الفتوحات.

رابعاً: من صفات قادة الفتوح:

لدى استعراض أسماء قادة الفتح الكبار ، وأمراء قطع الجيش والكراديس ، إبَّانَ المعارك الكثيرة على جبهات القتال المختلفة ، وعلى مدى خلافة الفاروق بطولها ـ يمكن استنتاج جملة رائعة من الصفات الرفيعة والأخلاق النبيلة التي تُعتبر نماذجَ فذة وقدوة نادرة لم يَعهدْها الناس إلا في رجال الفتوحات الإسلامية.

ومن أبرز تلك الصفات والمزايا:

١ ـ إخلاص القادة لدينهم وأمتهم حتى الرمق الأخير.

٢ ـ الزهد في الدنيا ومتاعها.

٣ ـ الطاعة والتطاوع بين الأمراء ، والترفع عن حظوظ النفس.

٤ ـ الجرأة والبسالة والشجاعة والإقدام.

٥ ـ الربانية في حياتهم الشخصية ومسلكهم في ساحات القتال.

---

(١) حسن المحاضرة: ١/ ٦٧؛ حياة الصحابة: ٣/ ٦٨٣ ـ ٦٨٤؛ أخبار عمر، ص ٦٨. والصحابة الأربعة الذين يعدل كل واحد منهم ألفِ رجل هم: الزبير بن العوام، وعبادة بن الصامت، والمقداد بن عمرو ، ومَسْلَمة بن مخلَّد. وانظر ما سيأتي: ص ٦١٩ ـ ٦٢٠ في هذا الكتاب.

٦ ـ العدل والوفاء.

٧ ـ العفة والأمانة.

٨ ـ الخبرة والدربة وتطوير أساليب القتال.

٩ ـ سبق الأحداث وتوقع حركات العدو.

١٠ ـ عزة النفس ورجاحة العقل والاعتزاز بالإسلام.

١١ ـ الرغبة في الفتوح والجهاد المتواصل.

١٢ ـ حرصهم على الشهادة.

والأمثلة والشواهد على كل واحدة من هذه الصفات؛ كثيرة بارزة، وقد تركتها رَوْماً للاختصار.

خامساً: قائمة بأسماء قادة الفتح في عهد عمر:

●● أمراء الفتح في العراق والمشرق:

١ ـ أبو عُبيد بن مسعود الثقفي.

٢ ـ أخوه الحَكَم بن مسعود الثقفي.

٣ ـ سَليط بن قيس الأنصاري.

٤ ـ المُثنَّى بن حارثة الشيباني.

٥ ـ مسعود بن حارثة الشيباني.

٦ ـ المُعنَّى بن حارثة الشيباني (الثلاثة إخوة).

٧ ـ حذيفة بن مِحْصن الغَلْفاني.

٨ ـ سعد بن أبي وقاص.

٩ ـ القعقاع بن عمرو.

١٠ ـ أخوه عاصم بن عمرو.

١١ ـ النعمان بن مُقرِّن.

١٢ ـ سويد بن مقرِّن.

١٣ ـ نُعيم بن مقرن (الثلاثة إخوة).

١٤ ـ هاشم بن عتبة (المِرْقال).

١٥ ـ أبو سَبْرة بن أبي رُهْم.

١٦ ـ أبو موسى الأشعري.

١٧ ـ سُهيل بن عدي.

١٨ ـ حذيفة بن اليمان.

١٩ ـ عبد الرحمن بن ربيعة (أول من غزا الترك).

٢٠ ـ سُراقة بن عَمْرو (ذو النور).

٢١ ـ الأحنف بن قيس.

٢٢ ـ خالد بن عُرْفُطة.

٢٣ ـ زُهرة بن الحَوِيّة.

٢٤ ـ جَرير بن عبد الله البجلي.

٢٥ ـ عبد الله بن المعتمّ.

٢٦ ـ عَرْفَجة بن هَرْثَمة (أول قائد عربي ركب البحر).

٢٧ ـ قطبة بن قتادة.

٢٨ ـ عتبة بن غَزْوان.

٢٩ ـ المغيرة بن شعبة.

٣٠ ـ عتبة بن فَرْقد.

●● أمراء الفتح في بلاد الشام:

٣١ ـ أبو عبيدة بن الجراح.

٣٢ ـ خالد بن الوليد.

٣٣ ـ عِياض بن غَنْم.

٣٤ ـ شُرَحْبيل بن حَسَنة.

٣٥ ـ عمرو بن العاص.

٣٦ ـ يزيد بن أبي سفيان.

٣٧ ـ معاوية بن أبي سفيان.

٣٨ ـ ضرار بن الأَزْوَر.

٣٩ ـ أبو الأعور السُّلَمي.

●● أمراء الفتح في مصر وما والاها:

على رأسهم: عمرو بن العاص.

٤٠ ـ الزبير بن العوام.

٤١ ـ عبادة بن الصامت.

٤٢ ـ المقداد بن عمرو.

٤٣ ـ مَسْلَمة بن مُخلَّد.

٤٤ ـ عبد الله بن حُذافة السَّهْمي.

٤٥ ـ خارجة بن حذافة العَدَوي.

٤٦ ـ عُمير بن وهب الجُمَحيّ.

٤٧ ـ عُقْبة بن عامر الجُهَني.

* * *

الفصل الثالث

موجز الفتوحات

المبحث الأول

الفتوحات على جبهة العراق وفارس

أولا: الفتوحات في أرض العراق:

بدأت الفتوحات في العراق أيام أبي بكر الصديق ، وكانت البداية تحت إمرة المثنى بن حارثة الشيباني إلى أن قدِم خالد بن الوليد العراق فجعل أبو بكر الولاية له ، فلما أمره بالمسير إلى الشام أعاد أبو بكر الولاية مرة أخرى إلى المثنى.

وحينما تولى عمر الخلافة كان المثنى هو والي العراق ، وقد فُتحت فيه أصقاع كثيرة ، إلا أن المسلمين لم يتركزوا فيه ولم تقم فيه الأمصار ، وكان المسلمون مجاهدين فاتحين ينتقلون من جهة إلى أخرى. واستقبل عمر خلافته بمتابعة فتوحات العراق وأعدَّ جيشاً بقيادة أبي عُبيد بن مسعود الثقفي ، وأمر المثنى بالسمع والطاعة له.

قام عمر فانتَدب الناسَ لمتابعة الفتح في العراق وقتال الفرس ، فتباطؤوا عن الإجابة لأن جبهة القتال الفارسية كانت من أكره الجبهات إلى الناس وأثقلِها عليهم ، لشدَّة سلطان الفرس وعزِّهم وشوكتِهم

وقهرهم الأمم . . . وأعاد عمر استنفارَ الناس ثلاثة أيام ، وفي اليوم الرابع كان أولَ منتدِب أبو عبيد بن مسعود الثقفي ثم سَليط بن قيس وسعد بن عبيد الأنصاري .

وتكلم المثنى يشجِّع الناس ويهوِّن عليهم أمر الفرس ، فقال : يا أيها الناس! لا يَعظمنَّ عليكم هذا الوجه ، فإنا قد تبحبحنا ريفَ فارس ، وغلبناهم على خير شِقَّي السواد ، وشاطرناهم ونِلْنا منهم ، واجترأ مَن قِبَلنا عليهم ، ولها إن شاء الله ما بعدها .

فتوالى المتطوعون حتى بلغوا ألف رجل من أهل المدينة المنورة فقط ، فلما اجتمع ذلك البعث أمَّر عليهم أبا عُبيد ، وأوصاه قائلاً : اسمع من أصحاب النبي ﷺ ، وأشرِكْهم في الأمر ، ولا تجتهد مسرعاً حتى تتبين فإنها الحرب ، والحرب لا يصلحها إلا الرجل المَكيث الذي يعرف الفرصة والكفّ .

وأمَر عمرُ المثنى أن يعود سريعاً إلى العراق وينتظر هناك إلى أن يَقدم عليه رجاله ، وأن يستنفرَ مَن حَسُن إسلامه من أهل الردَّة . فسار المثنى حتى قدِم (الحِيْرة) .

وكانت (بوران بنت كسرى أبرويز) قد اعتلت (العرش الفارسي) ، فجهزت جيشاً كبيراً بقيادة (نَرْسِي) ابن خالة كسرى ، و(جابان) وهو أحد أثرياء العراق المعروف بعدائه للمسلمين . وسلك هذان القائدان طريقين مختلفين تحسُّباً من أن ينقض عليهما المسلمون : فوصل نَرْسي إلى (كَسْكَر) بين الفرات ودجلة وعسكر فيها بناء على أوامر رستم . وتخطى جابان الفراتَ إلى الحيرة ونزل في موقع متقدم في (النَّمارق) بين الحيرة

والقادسية. وطلب القائدان مزيداً من القوات من المدائن تعزيزاً لصفوفهما[1].

وفي هذا الوقت وصل المثنى إلى (الحيرة) ، وعلِم بالاستعدادات الفارسية الضخمة ، وأدرك أنه لا قِبَل له بلقائهم ، فآثَر الحذرَ وانسحب من الحيرة إلى (خَفَّان) ، وأدركه أبو عبيد فيها.

١ ـ معركة النمارق (٨ شعبان ١٣هـ ـ ٨/١٠/٦٤٣م) قرب الكوفة:

عبَّأ أبو عُبيد جيش المسلمين البالغ (عشرة آلاف مقاتل) ـ تسعة آلاف كانوا مع المثنى وانضم إليهم ألف قدِموا مع أبي عبيد ـ وزَحَف من (خَفَّان) نحو (النَّمارق) ، وجعل المثنى على الخيل ، ودارت المعركة بين الطرفين في قتال شديد ، وانهزم الفرس أمام المسلمين ، ووقع (جابان) في الأَسْر ، لكنه تمكن بدهائه من خديعة آسره ـ ولم يعرفْه ـ ففدى نفسه وهرب[2]!.

٢ ـ معركة السَّقَاطِيَة (١٢ شعبان ١٣هـ ـ ١٢/١٠/٦٣٤م) قرب واسط:

توجَّه من نجا من الفرس إلى (كَسْكَر) لينضمَّ إلى جيش نَرْسي ، فطاردهم المثنى إلى (دُرْنا) وهي دون الحيرة ومن أبواب فارس. ووصلت أنباء هزيمة جابان إلى المدائن ، فجهَّز رستم جيشاً آخر بقيادة

(١) تاريخ الطبري: ٣/٤٤٤ ـ ٤٤٩؛ فتوح البلدان، ص ٢٣٤؛ قادة فتح العراق والجزيرة ، ص ٣٨ ـ ٣٩، ٢٣٩ ـ ٢٤٠؛ تاريخ الخلفاء الراشدين ، لمحمد سهيل طقوش، ص ١٨٢ ـ ١٨٣.

(٢) تاريخ الطبري: ٣/٤٤٩ ـ ٤٥٠؛ قادة فتح العراق والجزيرة، ص ٣٩.

(الجالينوس) ودفعه مدداً لِنَرْسي. وكان نرسي يتمنّى وصول المدد قبل أن يشتبك مع المسلمين، فراح يناور ويتمهل في خوض المعركة، لكن أبا عبيد عاجَلَه واصطدم به في (السَّقَاطِية) الواقعة جنوبي كَسْكر قرب واسط، وانتصر عليه، وفرَّ نرسي بعد هزيمة منكرة[1].

٣ ـ معركة باقُسْيَاثَا (١٧ شعبان ١٣هـ ـ ١٧/ ١٠/ ٦٣٤م) ناحية بأرض سواد بغداد:

عسكر (الجالينوس) في باقُسْياثا، وتقوَّى بمن انضم إليه من فلول جابان، فنَهدَ إليه أبو عبيد في المسلمين وهو على تعبيته، ودارت الدائرة على الفرس فانهزموا، وهرب الجالينوس وعاد إلى المدائن، وغلب المسلمون على تلك البلاد وانتشروا في قرى السواد[2].

وهكذا تم القضاء على ثلاثة جيوش للفرس في ثلاث معارك، خلال عشرة أيام فقط!.

٤ ـ وقعة الجسر (٢٣ شعبان ١٣هـ ـ ٢٣/ ١٠/ ٦٣٤م) قرب الكوفة على شاطئ الفرات:

أثار الانتشار الواسع للمسلمين في قرى السواد حفيظةَ الفرس، واستشعروا الخطر الحقيقي الذي أخذ يهددهم، فجهزوا جيشاً جديداً قوامه (١٢٠٠٠ مقاتل)، وعيَّن رستم قائداً عليه (بَهْمَن جاذَوَيْه) وهو أشد العجم على العرب المسلمين، واصطحب معه (الجالينوس).

---

(١) تاريخ الطبري: ٣/ ٤٥٠ ـ ٤٥٢؛ قادة فتح العراق، ص ٣٩، ٢٤١؛ تاريخ الخلفاء الراشدين، لطقوش، ص ١٨٣.

(٢) تاريخ الطبري: ٣/ ٤٥٢ ـ ٤٥٣؛ البداية والنهاية: ٧/ ٢٧.

وسار الفرس من (المدائن) حتى نزلوا (قُس الناطِف) قريباً من الكوفة على شاطئ الفرات الشرقي ، وسار أبو عُبيد بجيشه حتى نزل (المَرْوَحة) مقابل قُس الناطف على شاطئ الفرات الغربي ، وجعل الفرات بينه وبين العدو.

فبعث إليه قائد الفُرس: إما أن تعبروا إلينا ونَدَعكم والعبور ، وإما أن نَعبُر إليكم! فقال الناس: لا تَعبر يا أبا عبيد ، إنا ننهاك عن العبور! فحلَف أبو عبيد ليقطعنَّ الفرات إليهم. وناشده سَليط بن قيس ووجوه الناس وقالوا: إن العرب لم تلقَ مثل جنود فارس مذ كانوا ، وإنهم قد احتشدوا واستقبلونا في عدد كبير ، (وقد نزلتَ منزلاً لنا فيه مجال وملجأ ومرجع من فَرَّة إلى كَرَّة) ، فلَجَّ أبو عبيد وترك الرأي وقال: (لا يكونون أجرأَ على الموت منَّا)! ونَسِي توجيه عمر بأن يسمع من الصحابة ويُشرِكهم في الأمر ، وأن الحرب لا يصلحها إلا الرجل المَكِيث ، وأن فارسَ أرضُ المَكر والخَديعة!.

وعبر المسلمون على جسر من (المَرْوَحة) في الضفة الغربية للفرات إلى (قُس النَّاطف) في الضفة الشرقية ، وكان جيشهم أقل من عشرة آلاف ، ومع ذلك ضاق بهم المكان الذي تركه لهم الفرس.

ولم يُمهلهم الفرس بعد عبورهم ، بل هاجموهم بعنفٍ شديد ، وكان في مقدمة الفرس فِيَلة مدرَّبة أخافَتْ خيولَ المسلمين حيث فرَّت لا تلوي على شيء ، ورَشَق الفرس المسلمين بالنبل فقتلوا منهم خلقاً كثيراً. ودارت رحى معركة ضارية ، واشتد الأمر بالمسلمين ، فترجَّلَ أبو عبيد والناس ومشوا إلى الفرس وصافحوهم بالسيوف ، ولكن الفيلة صدَّت المسلمين وبعثرتْهم ، فنادى أبو عبيد: احتوشوا (نفِّروا) الفِيلة ، وقطِّعوا

بُطُنَها (أحزمتها) ، واقلبوا عنها أهلها! ووثب هو بنفسه على فيل أبيض فقطع حزامه فوقع الذين على ظهره ، ثم ضرب خرطومَه بالسيف ، ولكن الفيل هاجم أبا عُبيد وضربه برِجْله فألقاه على الأرض وقام فوقه فأزهق روحه!.

ورأى الناس قائدهم شهيداً تحت أقدام الفيل ، فاستقتلوا وهاجموا حتى تنحَّى الفيل عن جثة أبي عبيد ، فأعملوا فيه سيوفهم حتى قتلوه. وتتابع سبعةٌ من ثَقيف كلهم يأخذ اللواء ويقاتل حتى يموت ، حتى أخذ اللواء المثنى بن حارثة الشيباني.

خَشِي المثنى أن تعمَّ الفوضى ويتفاقم الخطر ، فوقف واللواء بيده ينادي بأعلى صوته: يا أيها الناس ، أنا دونكم فاعْبُروا على هِينَتِكم ولا تدهشوا ، فإنا لن نُزايل حتى نراكم من ذلك الجانب ، ولا تُغرقوا أنفسَكم. فَعَبَر الناس ، والمثنى يقاتل دونهم ويَحُول هو ورجاله بين الفرس وبينهم ، فأصابت المثنى وهو في موقفه ذلك ضربة رمح جرحته وأَثبَتَتْ فيه حَلَقاً من درعه ، وبعد عبور المسلمين ، عبر المثنى آخرَ من عبر.

وبذلك استطاع المثنى أن يخلِّص من الغرق والقتل من بقي من جند المسلمين ، إذ عبروا إلى الجانب الآخر ، والمثنى صامدٌ لا يُرعزعه شيء ، حتى جرحه البليغ الذي أصابه! وانسحب بقواته إلى (الحِيرة) ثم إلى (أُلَّيس) جنوباً؛ ليُفلِت من مطاردة الفرس.

وقُتل في هذه المعركة من الفرس زُهاء ستة آلاف ، واستُشهد من المسلمين أربعة آلاف بين قتيل وغريق ، وفرَّ ألفان ، وصمد ثلاثة آلاف مع المثنى.

وكانت هذه المعركة هي الوحيدة التي خسر فيها المسلمون ، وتعلموا منها دروساً جليلة مع قساوة نتائجها ، وبخاصة خطأ القائد الشهيد الذي لم يصغِ لذوي الرأي ، وغلبتْه الشجاعة المفرطة في غير محلها ، وكانت نصيحة الفاروق: (الحرب لا يصلحها إلا الرجل المكيث) واحدة من إلهاماته وثمار عبقريته.

وتلقى أمير المؤمنين الأخبار بمرارة ، لكنه تجلّد للمصاب ، وواسى المسلمين؛ فلما قدِم عليه فَلُّ الناس ، ورأى جزع المسلمين من المهاجرين والأنصار من الفِرار ـ قال: (لا تجزعوا يا معشر المسلمين ، أنا فئتكم ، إنما انحزتُم إليَّ). وقال: (أنا فئة كل مسلم[1] ، من لقي العدو ففظِع بشيء من أمره فأنا له فئة ، يرحم الله أبا عبيد لو كان انحازَ إليَّ لكنتُ له فئة)[2].

٥ ـ معركة البُوَيْب (رمضان ١٣هـ ـ تشرين الثاني ٦٣٤م) قريب من مكان الكوفة اليوم:

بعد وقعة (الجسر) بقي المثنى في قلّة من المجاهدين ، فأرسل إلى عمر يطلب منه المدد ، وبعث إلى من يليه من القبائل العربية يدعوهم إلى الجهاد ، فتوافَوا إليه في جمع عظيم.

وقام أمير المؤمنين يرغب الناسَ في المسير إلى العراق وإعانة المثنى

---

(١) يتأول الفاروق قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [الأنفال: ١٦]. انظر: تفسير القرطبي: ٧/ ٣٣٦؛ وتاريخ الطبري: ٣/ ٤٥٩.

(٢) تاريخ الطبري: ٣/ ٤٥٤ ـ ٤٥٩؛ البداية والنهاية: ٧/ ٢٧ ـ ٢٨؛ قادة فتح العراق والجزيرة، ص ٤٠ ـ ٤١، ٢٤٢ ـ ٢٤٤.

ومن معه على فارس وقد كثفت جنودهم. فبعث إلى المثنى: قبيلة بَجيلة وعليهم جرير البجلي، وطائفة ضخمة من بني كِنانة عليهم غالب بن عبد الله اللَّيثي، والأَزْد وعليهم عَرْفَجة بن هَرْثَمة، وآخرين من الرِّباب وجُشم وخَثْعم وبني حَنْظلة وبني ضَبَّة وعبد القيس، وغيرهم.

تتابعت الإمدادات من المدينة على المثنى، فحشد جيشاً في نحو (٨٠٠٠ مقاتل)، والفرس في (١٢٠٠٠ مقاتل) عليهم مِهران بن باذان الهَمَذاني. وعسكر المسلمون على شاطئ الفرات الشرقي، والفرس مقابلهم، لا يفصل بينهم إلا النهر، وذلك في رمضان، فعزم المثنى على المسلمين في الفطر فأفطروا جميعاً ليكون أقوى لهم.

وأرسل مهران إلى المثنى يقول له: (إما أن تعبُروا إلينا وإما أن نعبر إليكم)، متبعاً خُطا بَهْمَن جاذويه، وما كان للمثنى أن يُعيد خطأ أبي عبيد، كذلك التزم بأمر عمر ونصيحته وقد عهد إليه وإلى المسلمين (ألا يَعبُروا بحراً ولا جسراً إلا بعد ظفر!).

وعبر الفرس إلى (البُويب) ومعهم ثلاثة أفيال، واشتبك الجيشان ودارت رحى معركة طاحنة، وأدار المثنى المعركة بحكمة وحنكة مما كفل له النصر، وقُتل مهران وتشتت جيشه وفرَّ أفراده في فوضى واضطراب نحو الجسر يريدون النجاة بأنفسهم، فسابقهم المثنى وقطع الجسر، وأوقع فيهم مقتلة ذريعة. واستُشهد من المسلمين كثير من الشهداء، وفيهم مسعود بن حارثة الشيباني أخو المثنى.

وكانت هذه المعركة في العراق نظير اليرموك في الشام، ومن أجلّ

آثارها أنها ردَّتْ للمسلمين اعتبارهم ورفعت معنوياتهم بعد خَسارة يوم الجسر[١].

٦ ـ المثنى يتابع فتح السواد وغيره:

استقام الأمر للمسلمين بعد معركة البويب، واستغل المثنى النصر الرائع الذي أحرزوه، فشَنَّ غارات منظمة على أسواق شمال العراق، وطبَّق مبدأ مطاردة العدو، فوزع القادة، وأذكى المسالح، وأغار على تجمعات الفرس، ففتحوا السَّوَاد كله حتى بلغوا (ساباط) ـ قرب المدائن ـ، وانطلق المثنى فغزا (الخَنافس) ـ قرب الأنبار ـ، والأنبار ـ شمال غرب بغداد ـ وبَلَغ المسلمون على محور دجلة قرية (بغداد) ومدينة تكريت[٢]، وخضعت لهم البلاد فيما بين دجلة والفرات[٣].

وتمكَّن المثنى بهذه الحملات المتلاحقة أن يحرِّر من هيمنة الفرس في عمق العراق العربي ما يبلغ حوالي (٤٠٠ كم) أو يزيد شمالاً، خلافَ ما تبحبحوا به شرقاً وجنوباً وغرباً على امتداد ذلك الخط. وقد طبَّق المثنى في عملياته تلك استراتيجية وتكتيكات (الحرب الخاطفة)[٤].

وهذه الانتصارات الإسلامية المتلاحقة أثارت حفيظة الفرس،

---

(١) تاريخ الطبري: ٣/ ٤٦٠ ـ ٤٧٢؛ فتوح البلدان، ص ٢٣٧ ـ ٢٣٨؛ البداية والنهاية: ٧/ ٢٩؛ قادة فتح العراق والجزيرة، ص ٤١ ـ ٤٤.

(٢) كانت يومئذٍ (بغداد) قرية و(تكريت) مدينة.

(٣) تاريخ الطبري: ٣/ ٤٧٢ ـ ٤٧٦؛ قادة فتح العراق، ص ٤٤؛ الطريق إلى المدائن، ص ٤٦٠ ـ ٤٦٧.

(٤) الطريق إلى المدائن، ص٤٦١.

فاجتمع ساداتهم وقالوا لرستم والفَيْرُزَان: أين يُذهب بكما! لم يبرح بكما الاختلاف حتى وهَّنتما أهلَ فارس، وأطمعتما فيهم عدوهم، وإنه لم يبلغ من خطركما أن تقرَّكما فارس على هذا الرأي، وأن تعرِّضاها للهلكة؛ ما بعد (بغداد وساباط وتكريت) إلا (المدائن)، والله لتجتمعان أو لنبدأنَّ بكما قبل أن يشمت بنا شامت[1]!.

فاتفق ملأ فارس على (يَزْدَجِرْد بن شَهْريار)، فملَّكوه وهو ابن إحدى وعشرين سنة، وتبارى الرؤساء في طاعته ومعونته، ورأوا في ذلك مخرجاً مما كانوا فيه. وبدأ (يزدجرد) يزاول سلطانه بمعونة رستم والفَيْرُزان، فجدَّد المسالح والثغور التي كانت لكسرى، وخَصَّص جنداً لكل مسلحة، فسمَّى جند الحيرة والأنبار والأَبُلّة[2].

وأدرك المثنى بعبقريته أن أهل السَّوَاد سينتقِضوا على المسلمين إذا اتجهت جيوش الفرس نحوهم، فكتب إلى عمر ليوقفه على خطورة الوضع في العراق، ولم يَصل الكتاب إلى أمير المؤمنين (حتى كَفَر أهل السواد مَنْ كان له منهم عهدٌ ومن لم يكن له منهم عهد)، فخرج المثنى بجنده متجهاً نحو تخوم الجزيرة العربية، وجاءه كتاب عمر:

(أما بعدُ: فاخرجوا من بين ظَهْرَي الأعاجم، وتفرقوا في المياه التي تلي الأعاجم على حدود أرضكم وأرضهم، ولا تَدَعُوا في ربيعة أحداً ولا مُضَر ولا حلفائهم أحداً من أهل النَّجَدات ولا فارساً إلا اجتلبتُموه،

---

(١) تاريخ الطبري: ٣/ ٤٧٧.

(٢) تاريخ الطبري: ٣/ ٤٧٨؛ الطريق إلى المدائن، ص ٤٦٧ ـ ٤٦٨.

فإن جاء طائعاً وإلا حشرتموه ، احملوا العرب على الجِدّ إذا جَدَّ العجم ، فلتلْقَوْا جِدَّهم بِجدكم!).

فتوافق رأيُ العبقري أمير المؤمنين مع العبقري الفاتح مثنى بني شيبان ، فانسحب نحو جنوب العراق إلى تخوم الجزيرة العربية ، ونزل بذي قار ، ونزل الناس حيال البصرة.

وكان ذلك في (أواخر ذي القعدة ١٣هـ ـ كانون الثاني ٦٣٥م)[١].

٧ ـ معركة القادسية (١٣ ـ ١٦ شعبان سنة ١٥هـ) جنوب الكوفة:

●● قام عمر يحشد الجنود لمعركة فاصلة يكسِرُ بها شوكةَ الفرس؛ فأرسل إلى عماله في بقاع الجزيرة ـ وذلك في ذي الحجة من سنة (١٣هـ) مخرجَه إلى الحج ـ أن يجمعوا ما عندهم من الرجال والمجاهدين ، ويوافوه بعد الموسم بالمدينة ، وكان فيما كتبه إليهم:

(لا تَدَعُنَّ أحداً له سلاحٌ أو فرسٌ أو نجدةٌ أو رأيٌ إلا انتخبتُموه ، ثم وجَّهْتُموه إليَّ ، والعَجَل العجَلَ!).

ولبَّى الأمراء طلب الخليفة ، ومنهم سعد بن أبي وقاص ـ الذي كان عاملاً لأبي بكر على صدقات هوازن ، ولما استُخلف عمر أقرَّهُ عليها ـ وكتب إلى عمر: (إني قد انتخبتُ لك ألفَ فارس مُؤدٍ ، كلهم له نجدةٌ ورأيٌ ، وصاحبُ حِيطة يحوط حريم قومه ، ويمنع ذِمارهم ، إليهم انتهتْ أحسابُهم ورأيُهم ، فشأنَكَ بهم).

---

(١) تاريخ الطبري: ٣/٤٧٨؛ قادة فتح العراق والجزيرة، ص ٤٤، ٢٥٨؛ الطريق إلى المدائن، ص ٤٧٠.

وتقاطرَ الجُنْدُ إلى المدينة ، وكان الفاروق يوجِّههم إلى مكانٍ يُدعى (ماء صِرَار)[1] ، تتجمع فيه القوات المسلمة المجاهدة.

وفي أول يوم من المحرَّم من سنة (١٤هـ) خرج عمر من المدينة ونزل على (صِرار) ، وعَسْكَر به عازماً على غزو العراق بنفسه ، واستخلَف على المدينة عليّ بن أبي طالب ، واستصحب معه عثمان بن عفان وسادات الصحابة. ثم عقد مجلساً لاستشارة الصحابة فيما عزم عليه ، ونودي أن الصلاة جامعة ، وقد أرسل إلى عليٍّ فقدِمَ من المدينة ، ثم استشارهم ، فكلُّهم وافقوه على الذهاب إلى العراق ، إلا عبد الرحمن بن عوف فإنه قال له :

(فما فديتُ أحداً بأبي وأمي بعد النبي ﷺ قبل يومئذٍ ولا بعده ، فقلتُ : بأبي وأمي ، اجعل عَجْزَها بي[2] ، وأقِمْ وابْعَثْ جنداً ، فقد رأيتَ قضاء الله لك في جنودك قبلُ وبعدُ ، فإنَّه إن يُهزم جيشُك ليس كهزيمتك ، وإنك إن تُقتل أو تُهزم في أُنُفِ الأمر[3] خشيتُ ألا يكبِّر المسلمون وألا يشهدوا أن لا إله إلا الله أبداً!).

(وأتى كتاب سعد على حَفَف مَشُورتهم[4] ، فقال عمر : فأشيروا عليَّ برجلٍ ، فقال عبد الرحمن : وجدتُهُ ، قال : مَنْ هو؟ قال : الأَسَدُ في

(١) ذو أداة، أو كامل أداة السلاح.

(٢) موضع على ثلاثة أميال من المدينة على طريق العراق.

(٣) يعني : إن قال الناس : عجز أمير المؤمنين، فقل لهم : هذا رأي ابن عوف.

(٤) **أنف الأمر** : أوله.

(٥) أي : حين مشورتهم.

بَرَاثِنه ، سعد بن مالك! ومالأه[1] أولو الرأي).

لم يكتفِ عمر بتلك التزكية مع خبرته التامة بالرجال وتاريخ سعدٍ الجهادي المشرِّف ، بل استدعى سعداً على عَجَل ، وأخبره بأنه أمير ذلك الجيش اللَّجِب ، وقائد المعركة الفاصلة مع الفرس ، وأوقفه قليلاً وأوصاه بوصايا هي من مَعين الحكمة ، ومما قاله له :

(يا سعدُ! سعدُ بني وُهَيْب ، لا يَغرَّنك من الله أن قيل : خالُ رسول الله ﷺ ، وصاحب رسول الله ، فإن الله عز وجل لا يمحو السيِّئَ بالسيِّئ ، ولكنه يمحو السيئ بالحسن ، فإن الله ليس بينه وبين أحد نَسَب إلا طاعته ، فالناس شريفُهم ووضيعُهم في ذات الله سواء ، الله ربهم وهم عباده ، يتفاضلون بالعافية ، ويُدرِكون ما عنده بالطاعة. فانظر الأمرَ الذي رأيتَ النبي ﷺ عليه منذ بُعث إلى أن فارَقَنا ؛ فالْزَمْه فإنه الأمرُ. هذه عِظتي إياك إن تركتَها ورغبتَ عنها حَبِط عملك وكنتَ من الخاسرين).

●● تحرك سعد بجيشه نحو العراق في (١٣) شعبان من سنة (١٤هـ) ، ووصل (زَرُود) ـ وهي تبعد (٦٠٠ كم) عن المدينة المنورة ـ فنزلها عن أمر عمر ، وكان المثنى معسكِراً بجيشه في (شَرَاف) ينتظر قدوم سعد لينضمَّ إليه ، لكن المَنِيَّة عاجلَتْهُ فانتقض جُرْحُه الذي كان جُرِحَه يوم الجسر فمات رضي الله عنه ، واستخلَف على الجيش بَشير بن الخَصَاصِيَة ، وكتب وصيته ودَفَعَها إلى أخيه (المُعَنَّى) ليدفعها إلى سعد ويبيِّن فيها نصيحته في أساليب قتال الفرس.

وهناك التقى بالمُعَنَّى ، فرحَّب به سعدٌ وترحَّم على أخيه المُثنَّى ،

---

(١) أي : وافقه.

واستلم وصيته ، وتزوَّج زوجتَه سَلْمى بنت خَصَفَة التَّيمية ، وأمَّر المُعنَّى على عمل أخيه.

وبعد أن أقام سعد في (زَرُود) ثلاثة أشهر تأتيه أمدادُ المجاهدين ، أمره عمر بالزحف نحو العراق ، فغادر (زرود) في (٣٠) ذي القعدة من سنة (١٤هـ) ، ونزل في (شَراف) ، وتوالت دفعات المجاهدين تنضم إليه من مختلِف القبائل في الجزيرة العربية ، من جنوبها ووسطها وشرقها وغربها ، وانتهت إليه رياستها وإمرتها ، ولم يبقَ بالعراق أمير من سادات العرب إلا تحت إمرته ، حتى اجتمع له يوم القادسية بضعة وثلاثون ألفاً.

وكان في هذا الجيش كله من الصحابة ثلاث مئة وبضعة عشر صحابيّاً ، منهم بضعة وسبعون بدرياً ، وكان فيه سبع مئة من أبناء الصحابة رضي الله عنهم.

ووجَّه الفاروق عمر وصيَّته الجليلة البليغة إلى سعد وجنده ، ومما يقوله فيها:

(أمَّا بعد؛ فإني آمُرُكَ ومَنْ معك من الأجناد بتقوى الله على كلِّ حال؛ فإنَّ تقوى الله أفضلُ العدَّة على العدو ، وأقوى العدَّة في الحرب.

وآمُرُكَ ومَنْ معك أن تكونوا أشدَّ احتراساً من المعاصي منكم من عدوِّكم ، فإنَّ ذنوبَ الجيش أخوفُ عليهم من عدوِّهم ، وإنما يُـنصر المسلمون بمعصية عدوِّهم لله ، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة ، لأن عددَنا ليس كعدَدِهم، ولا عُدَّتُنا كعُدَّتهم، فإن استوينا في المعصية، كان لهم الفضل علينا في القوة، وإن لم ننصر عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا.

وترفق بالمسلمين في مسيرهم ، ولا تُجَشِّمْهم مسيراً يُـتْعِبُهم ،

ولا تُقصِّر بهم عن منزل يَرْفُقُ بهم ، حتى يبلُغوا عدوَّهم والسفَرُ لم يَنقُص قوَّتهم ، فإنهم سائرون إلى عدوٍّ مقيمٍ جامٍّ الأنفس والكُرَاع ! .

وأَقِمْ بمن معك كلَّ جمعة يوماً وليلة حتى تكون راحةً يَجِمُّون فيها أنفسَهم ، ويرمُّون أسلحتهم وأمتعتهم.

ونَحِّ منازلَهم عن قُرى أهل الصلح والذمة ، فلا يَدخلْها من أصحابك إلا من تثِقُ بدينه! وإذا وَطِئْتَ أدنى أرض العدوِّ فأَذْكِ العُيونَ بينك وبينهم ، ولا يَخْفَ عليك أمرُهم ، وليكنْ عندك من العرب أو من أهل الأرض من تطمئنُّ إلى نُصْحه وصِدْقه ، فإنَّ الكذوبَ لا ينفعُكَ خبرُه وإنْ صَدَقَ في بعضه ، والغاشَّ عينٌ عليك وليس عيناً لك ! .

وليكن منك عند دُنُوِّكَ من أرضِ العدوِّ أن تُكْثِر الطلائع ، وتَبُثَّ السرايا بينك وبينهم ، فتقطع السرايا إمدادَهم ومرافقهم ، وتتبع الطلائعُ عوراتِهم. وانْـتَقِ للطلائع أهلَ الرأي والبأس من أصحابك ، وتخيَّرْ لهم سوابقَ الخيل ، فإن لَقوا عدوّاً كان أولَ من تلقاهم القوةُ من رأيك. واجعلْ أمرَ السرايا إلى أهل الجهاد والصبر على الجِلاد.

فإذا عاينت العدوَّ ، فاضْمُم إليك أقاصيك وطلائعَك وسراياك ، واجمعْ إليك مكيدتَكَ وقوَّتَك ، ثم لا تُعاجِلْهم المناجزة ما لم يستكرهْك قتال ، حتى تُبْصِر عورة عدوِّك ومقاتلَه ، وتعرفَ الأرضَ كلَّها كمعرفة أهلها ، فتصنعَ بعدوِّكَ كصنيعته بك ! .

ثم أَذْكِ حُرَّاسَك على عسكرك ، وتحفَّظْ من البيات جُهْدَك ، ولا تُؤْتَ بأسيرٍ ليس له عهدٌ إلا ضربتَ عنقَهُ ، لِتُرهبَ بذلك عدوَّك وعدوَّ الله.

والله وليُّ أمرِك ومن معك ، ووليُّ النصر لكم على عدوِّكم ، والله المستعان. . .).

●● وكتب عمر إلى سعد أن يجعلَ الأمراء على القبائل ، والعُرفاء على كل عشرة عريفاً على الجيوش ، وأن يواعدهم إلى القادسية. ففعل ذلك سعد ، عَرَّفَ العرفاء ، وأمَّرَ على القبائل ، وولَّى على الطلائع والمقدَّمات والمُجَنِّبَات والساقات والرَّجَّالة والرُّكْبان ، كما أَمَرَ أمير المؤمنين عمر.

وجعل سعد نائبه (خالد بن عُرْفُطَة) ، وعلى المقدمة (زُهْرة بن الحَوِيَّة) ، وعلى الميمنة (عبد الله بن المُعْتَمّ) ، وعلى الميسرة (شُرَحْبيل بن السِّمْط) ، وعلى الساقة (عاصم بن عَمْرو التَّميمي) ، وعلى الطلائع (سَوَاد بن مالك التميمي) ، وعلى الخيل (سَلْمان بن ربيعة الباهلي) ، وعلى المشاة (حَمَّال بن مالك الأَسَدي) ، وعلى الركبان (عبد الله بن ذي السَّهْمَين الخَثعَميّ) ، وقاضي الجيش (عبد الرحمن بن ربيعة الباهلي ذا النور) ، وداعية الجيش وواعظهم (سلمان الفارسي) ، والترجمان (هِلال الهَجَريّ) ، والكاتب (زياد بن أبي سفيان).

وخرج سعد على تعبية من (شَرَاف) متوجهاً إلى القادسية ، وجاءه كتاب عمر يقول فيه:

(أما بعد ، فَسِرْ من شَراف نحو فارس بمن معك من المسلمين ، وتوكَّلْ على الله واستعِنْ به على أمركَ كلِّه ، واعلَمْ فيما لديك أنك تقدَمُ على أمة عددُهم كثير ، وعُدَّتُهم فاضلة ، وبأسُهم شديد. . . وإذا انتهيتَ إلى القادسية ـ والقادسية باب فارس في الجاهلية ، وهي أجمعُ تلك الأبواب لمادَّتهم ـ فتكونُ مسالِحُك على أنقابها ، ويكون الناس بين

الحَجَر والمَدَر على حافَّات الحجر وحافَّات المَدَر ، والجِراع[1] بينهما. ثم الزَمْ مكانك فلا تبرحْه ، فإنهم إذا أحسوك أَنْغَضْتَهم[2] ورمَوْك بجمعِهم الذي يأتي على خَيْلِهم ورجِلِهم وحدِّهم وجِدِّهم. فإن أنتم صبرتُم لعدوِّكم واحتبستم لقتاله ونويتم الأمانة ، رجوتُ أن تُنْصَروا عليهم ، ثم لا يجتمعُ لكم مثلهم أبداً ، إلا أن يجتمعوا وليست معهم قلوبُهم! وإن تكن الأخرى كان الحَجَر في أدباركم ، فانصرفتم من أدنى مَدَرةٍ من أرضهم إلى أدنى حَجَرٍ من أرضكم ، ثم كنتم عليها أجرأَ وبها أعلمَ ، وكانوا عنها أجبنَ وبها أجهلَ ، حتى يأتي الله بالفتح عليهم ويردَّ لكم الكَرَّة).

ووصل سعد القادسية في شهر صفر سنة (١٥هـ) ، فجعل مقرَّ قيادته (حِصْن قُدَيْس) وهو حصنُ القادسية ، وأخذتْ سراياه تشنُّ الهجمات على الفُرس في منطقة القادسية ، فضَجَّ أهلُها إلى (يَزْدَجِرد) وطلبوا إليه حمايتهم من المسلمين.

ولَحِقَ كتابُ عمر بسعدٍ يأمرُه بأن يَصِفَ له مَنازلَهم وشؤونَ عدوِّهم ، وجاء في الكتاب:

(واكتُبْ إليَّ أين بَلَغَكَ جمعُهم ، ومَنْ رأسُهم الذي يلي مصادقتكم ، فإنه منعني من بعض ما أردتُ الكتابَ به قلَّةُ علمي بما هجمتُم عليه والذي استقرَّ عليه أمرُ عدوِّكم ، فصِفْ لنا منازلَ المسلمين ، والبلدَ الذي بينكم وبين المدائن صفةً كأني أنظر إليها ، واجعلْني من أمركم على الجَلِيّة ،

---

(١) **الجراع**: جمع الجرعة: وهي الرملة الطيبة المنبت لا صعوبة فيها.

(٢) **أنغضتهم**: أي حَرَّكْتَهم وأَنْهَضْتَهم.

وخَفِ الله وارجُه ، ولا تُدِلَّ بشيء).

ورَدَّ سعدٌ بكتاب يصِفُ فيه الأمرَ وصفاً عجيباً في غاية الدقة والإيجاز ، مما يبرهن من جديد على عبقرية فذّة ، قال سعد في كتابه إلى أمير المؤمنين :

(إنَّ القادسية بين الخندق والعَتيق ، وإنَّ ما عن يسار القادسية بحرٌ أخضر في جوفٍ لاحٍّ إلى الحِيرة بين طريقين : فأما أحدُهما فعلى الظَّهْر ، وأما الآخَر فعلى شاطئ نهر يُدعى (الحضُوض) ، يَطلع بمن سلكه على ما بين الخَوَرْنَق والحِيرة. وما عن يمين القادسية إلى الوَلَجة فيضٌ من فيوض مياههم. وإنَّ جميعَ من صالح المسلمين من أهل السَّوَاد قَبْلي إِلْبٌ لأهل فارس ، قد خفُّوا لهم واستَعَدُّوا لنا. وإنَّ الذي أعَدُّوا لمصادمتنا رُسْتم في أمثال له منهم ، فهم يحاولون إنغاضَنا وإقحامنا ، ونحن نحاول إنغاضَهم وإبرازَهم. وأَمْرُ الله بعدُ ماضٍ ، وقضاؤه مُسَلَّم إلى ما قُدِّر لنا وعلينا ، فنسأل الله خيرَ القضاء ، وخَيرَ القَدَر في عافية)[1].

●● ولى كسرى يَزْدَجِرْد (رُسْتُمَ) قائداً على الفرس لمجابهة المسلمين في جيش قوامه (١٢٠) ألفاً ، يليهم من الأتباع والخدم (١٢٠) ألفاً آخرون ، في مقابل (٣٣) ألفاً هم جيش المسلمين.

وتحرك رستم من (المدائن) إلى (ساباط) فعَسْكَر بها ، وعبَّأ جيشه وجعل على المقدمة (الجالِينوس) وعلى الميمنة (الهُرْمُزان) وعلى

---

(١) **العَتيق**: نهر العتيق. **بحر أخضر**: مستنقَع. **جوف**: منخفض. **لاحّ**: متجه. **الخَوَرْنَق**: قصر المناذرة. **الحيرة**: عاصمة المناذرة. **السَّواد**: المنطقة الزراعية، وسُمِّيَ السواد بذلك لخضرته بالزروع والأشجار. **إِلْب**: عون.

الميسرة (مِهْران بن بَهْرام) وعلى الساقة (البَيْرُزَان).

وسار رستم متباطئاً إلى القادسية ، ويزدجرد يحثُّه على الإسراع ، ورستم يكره لقاء المسلمين ، ووصل (القادسية) في أربعة أشهر ، فقطع مسافة لا تزيد على (١٨٥ كم) ، أي في كل يوم (١,٥ كم)! مما يوحي بخوفه وانخلاع قلبه من مواجهة المسلمين ، ويريد من وراء ذلك أن يضْجِر سعداً وجيشَه لعلهم يرجعون.

وكانت الكتب تتوالى بين عمر وسعد ، وقد وصف سعد لأمير المؤمنين جيشَ الفرس وعدَدَه وعُدّته وقادته ، فكتب إليه عمر: (لا يَكرُبَنَّك ما يأتيك عنهم ، ولا ما يأتونك به ، واستعن بالله وتوكَّل عليه ، وابعثْ إليه رجالاً من أهلِ المَنْظَرة والرأي والجلَد يَدْعُونه ، فإن الله جاعلٌ دعاءَهم توهيناً لهم ، وفَلْجاً عليهم. واكتب إليَّ في كل يوم!).

فأرسل سعد وفداً من وجوه أصحابه بإمرة النعمان بن مقرِّن ، وفي الوفد: المغيرة بن شعبة ، وعَمْرو بن مَعْدِي كَرِب ، وعاصم بن عَمْرو ، وغيرهم ، أرسلهم إلى كسرى يزدجرد ليبلِّغوه دعوة الإسلام ويقيموا عليه الحُجَّة.

●● ولما تواجَهَ الجيشان بَعث رستم إلى سعد يبعث إليه برجل عاقلٍ عالمٍ بما يسأله عنه.

فبعث سعد رِبْعِي بن عامر في اليوم الأول ، فدخل على رستم وتكلم بكلام جَزْل رفيع أوضح فيه حقيقة دعوة الإسلام وما الذي أخرجهم من جزيرة العرب إلى بلاد فارس.

ثم بعث سعد في اليوم الثاني حذيفة بن مِحْصَن ، وفي اليوم الثالث

المغيرة بن شعبة ، ثم بعث آخرين ، فكابَرَ رستم وعانَدَ ، وأبى الفرس إلا القتال .

●● والتقى الجيشان في القادسية يفصل بينهما (نهر العَتيق) ، المسلمون جنوبه وخلفهم الخندق ، والفرس شماله وخلفهم (نهر الحُضُوض) ، وكان على نهر العتيق قنطرة قد غَلَب عليها المسلمون وأصبحت تحت سيطرتهم .

فقال رستم : أتعبُرون إلينا أم نَعبر إليكم؟ فقال سعد : بل اعبروا إلينا .

وتعبأ الجيشان ، وتواجه الصفان ، ودنت ساعة الزحف والالتحام ، وبدأت معركة القادسية بأول أيامها ، وقد استمرت أربعة أيام وثلاث ليال ، بدأت يوم الخميس (١٣ شعبان سنة ١٥هـ) ، وانتهت مساء الأحد (١٦ شعبان)[١] .

وانتهت المعركة بنصر مؤزَّر للمسلمين ، وقُتل رستم ، ووصل ضِرار بن الخطاب إلى راية الفرس (دِرَفْش كابيان) فطَرحها على الأرض ، فلم ترتفع لهم راية بعدها .

●● وقد قُتل من الفرس مقتلة عظيمة ، ويعبِّر شَقيق بن سَلَمة عن ذلك فيقول : (لقد رأيتُني أعبرُ الخندق مشياً على الرِّجال ، قَتَل بعضُهم بعضاً ما بهم سلاح !) .

وقد بلغ عدد قتلى الفرس أكثر من (خمسين ألفاً) ، وجملةُ من استُشهد من المسلمين (ثمانية آلاف وخمس مئة) .

---

(١) أوجزت تفاصيل هذه المعركة الخالدة في كتابي : العشرة المبشرون بالجنة ، ص ٧٧٦ ـ ٨٠٩ .

وحضر القادسية من (قبيلة النَّخَع) سبعُ مئة امرأة ، ومن (بَجيلة) ألفُ امرأة[1].

٨ ـ فتح المدائن (ذو الحجة ١٥هـ ـ صفر ١٦هـ/شهر ١ـ٣/٦٣٦م):

جاء كتاب عمر إلى سعد يأمره بالتوجه إلى (المدائن) عاصمة الدولة الفارسية ، فخرج بالجيش في (أواخر شوال من سنة ١٥هـ) ، وكانوا كلهم من الفرسان لكثرة ما غنموا في القادسية ، فكان لكل مجاهد فرس! .

والمدائن تتكون من (سبع مدن) ، بعضها يقع على الشاطئ الغربي لنهر دجلة وبعضها الآخر على الشاطئ الشرقي منه ، وأهم هذه المدن: (طَيْسَفُون) و(أَسْبانَبْر) وهذه فيها مقرُّ كسرى وإيوانه وقصره والحدائق الملكية. وتعتبر (المدائن) من أعاجيب الدنيا ، آسِرة جذّابة بارعة الجمال ، وفيها القصر الملكي الذي يُسمَّى (القصر الأبيض).

نازل سعدٌ بجيشه (بَهُرَسِير) ـ وهي واحدة من المدائن السبع ـ واستخدم الأسلحة الثقيلة فرمى المدينة بالمنجنيقات ، وكذلك استخدم العرَّادات والدبابات ، وشدد الحصار على أهلها حتى سيطر عليها. وتراءى للمسلمين منها (القصر الأبيض) فكبَّروا واستبشروا حيث تذكروا البشارة النبوية في (غزوة الخندق) بأن الله سيفتحه عليهم.

وعَبَر المسلمون نهر دجلة في (معجزة تاريخية) وكرامة إلٰهية امتنَّ الله

---

(١) انظر عن معركة القادسية: تاريخ الطبري: ٣/ ٤٧٧ ـ ٥٨٨؛ فتوح البلدان، ص ٢٣٩ ـ ٢٤٤؛ البداية والنهاية: ٧/ ٣٥ ـ ٤٧؛ قادة فتح العراق والجزيرة، ص ٢٦٠ ـ ٢٦٦؛ القادسية ، لأحمد عادل كمال.

بها عليهم ، وخرجَتْ خيولُهم تنفُض أعرافَها صاهلةً لم يغرق منهم أحد ولم يفقدوا شيئاً ، فساقوا وراء الأعاجم حتى دخلوا (المدائن) فلم يجدوا فيها أحداً ، فقد أَعجلت المفاجأةُ أكثر الفرس عن أن يحملوا أموالهم ، فخرجوا بما قدروا عليه من حُرِّ متاعهم وخفيفِه وما قَدَرُوا عليه من بيت المال ، وبالنساء والذراري. وتركوا ما عَجَزوا عنه من الأنعام والثياب والمتاع والآنية والأدهان والألطاف ما لا يُدرى قيمته. وكان في خزانة كسرى كما يقول ابن كثير: (ثلاثة آلاف ألف ألف ألف دينار)[1].

ودخل سعد (القصر الأبيض) واتخذ من (إيوان كسرى) مصلًّى ، وصلى فيه ثماني ركعات صلاة الفتح ، وصلى صلاة الجمعة بالإيوان ، فكانت أولَ جمعةٍ بالعراق جُمِّعَت جماعةً بالمدائن!.

وشرع في تحصيل الأموال والكنوز والتحف ، وكان في جملة ذلك (تاج كسرى) وهو مكلَّلٌ بالجواهر النفيسة التي تحيِّر الأبصار ، و(مِنْطَقتُه) كذلك ، و(سيفُه وسِواره وقَبَاؤه) و(بساط إيوانه) والإيوان مربَّع ستون ذراعاً في مثلها من كل جانب. وأرسل سعد بخمس الغنائم ولباس كسرى والبساط إلى عمر والمسلمين بالمدينة لينظروا إليه ويتعجبوا منه. فلما نظر عمر إلى ذلك قال: إن قوماً أدَّوا هذا لأُمناء! فقال له علي بن أبي طالب: إنك عففتَ فعفَّتْ رعيَّتُك ، ولو رَتَعْتَ لَرَتَعتْ[2]!.

---

(١) أي: ثلاثة تريليونات من الدنانير الذهبية!.

(٢) انظر عن فتح المدائن: تاريخ الطبري: ٣/٦١٨ ـ ٦٢٣، ٤/٥ ـ ٢٣؛ فتوح البلدان، ص ٢٤٥ ـ ٢٤٦؛ البداية والنهاية: ٧/٦٣ ـ ٦٨ قادة فتح العراق والجزيرة، ص ٢٦٦ ـ ٢٦٨؛ كتابي: العشرة المبشرون بالجنة، ص ٨١٠ ـ ٨٢٠.

٩ ـ وقعة جَلُولاَء (ذو القعدة ١٦هـ ـ تشرين الثاني ٦٣٦م):

بعد أن تمَّ للمسلمين فتح المدائن ، أتى الخبر إلى سعد بأن الفرس أخذوا يجمعون جندهم من جديد في عدة مدن لحرب المسلمين.

فعسكر (مِهْران الرازي) في مدينة (جَلُولاء) وهي على بعد (١٥٠ كم) شمال شرق المدائن ، وحَفر حولها خنادق حصينة عظيمة.

وتجمع أهل (المَوْصِل) بقيادة (الأَنطاق) في (تَـكْرِيت) على بُعْد (٢٢٠ كم) شمال المدائن.

وأما كسرى (يَزْدَجِرْد) فاتخذ من (حُلْوان) عاصمة مؤقَّتة ، وتقع على بعد (٢٢٠ كم) إلى الشمال الشرقي من المدائن ، وأخذ يبعث الأمداد إلى أهل جَلُولاء.

فأرسل سعد إلى أمير المؤمنين عمر وأوقفه على الأمر ، فكتب إليه عمر: (سَرِّحْ هاشمَ بن عتبة إلى جَلُولاء في اثني عشر ألفاً ، واجعل على مقدمته القعقاع بن عمرو ، وعلى ميمنته سِعْر بن مالك ، وعلى ميسرته عَمْرو بن مالك ، واجعل على ساقته عَمْرو بن مرَّة الجُهَنِيَّ. فإن هَزم الله الجُنْدَيْن: جند مِهران وجندَ الأَنطاق ، فقدِّم القعقاعَ حتى يكون بين السَّوَاد وبين الجبل على حَدِّ سَوَادكم).

وصل الجيش في أربعة أيام ، فضربوا على (جلولاء) حصاراً طويلاً زاد على سبعة أشهر ، وفي مطلع ذي القعدة من سنة (١٦هـ) نَشب قتال عنيف ، وكانت معركة هائلة انتصر فيها المسلمون ، وكثُر القتلى في صفوف الفرس حتى جَلَّلت جثثُهم وجه الأرض ، فسُمِّيت الوقعة (جَلُولاء).

واقتسم الناس الغنائم وكانت ثلاثين ألف ألف (٣٠ مليوناً) ، والخُمس ستة ملايين[١] .

١٠ ـ سعد يكمل فتح العراق العربي نحو الشمال والشرق والغرب[٢]:

كان سعد بن أبي وقاص قد وجَّه ابنَ أخيه هاشم بن عتبة ومعه القعقاع بن عَمْرو لفتح محور (دَيَالى) ، فانتصر هاشم في معركة جَلُولاء ، وفتح القعقاع وجرير البجلي (خانِقِين وحُلْوان وقصر شيرين) .

كما وجَّه عبدَ الله بن المُعْتَم ورِبْعي بن الأَفْكَل وعَرْفَجة بن هَرْثَمة إلى محور دِجْلة ، ففتح عبد الله بن المعتم (تَكْرِيت) ، وفتح ربعي (المَوْصِل) .

وبَلَغه أن الفرس حشدوا قواتهم في سهل (ما سَبَذَان) فأرسل إليهم ضِرار بنَ الخطاب الفِهْري ، فدَحَر الفرس وفتح (ماسَبَذان) .

ووجَّه سعدٌ عَمْرو بن مالك الزهري والحارثَ بن يزيد العامري لفتح محور الفرات ، حتى (قَرْقِيساء) الواقعة في ملتقى خابور الفرات بنهر الفرات ، ففتحا هذه المنطقة .

وبعث عُتبة بن فَرْقد السُّلَمي لفتح شمالي العراق وأَذْرَبِيجان ، ففتح تلك المناطق .

---

(١) انظر: تاريخ الطبري: ٤/ ٢٤ ـ ٣٠؛ البداية والنهاية: ٧/ ٦٩ ـ ٧١.

(٢) انظر: تاريخ الطبري: ٤/ ٣٠ ـ ٣٨، ٧٢ ـ ٧٦؛ البداية والنهاية: ٧/ ٧٦، ٨٢ ـ ٨٣، ٩٣، ٩٦؛ قادة فتح العراق والجزيرة، ص ٢٦٨ ـ ٢٧٠.

ووجَّه سعد عياضَ بن غَنْم وسُهيل بن عدي وعبد الله بن عبد الله بن عِتْبان لفتح الجزيرة ، ففتحوا (الرَّقَّة ونَصِيبِين وحَرَّان والرُّهَا) .

١١ ـ فتح جنوب العراق:

بعث أمير المؤمنين عمر عتبة بن غَزْوان على رأس جيش وأمره أن يبدأ بفتح (الأُبُلَّة) ـ وهي مدينة كانت مرفأ للسفن القادمة من الهند والصين ، وتقع جنوب البصرة القديمة بمسافة (١٥ ميلاً) ، وجنوب مدينة أبي الخصيب الحالية بحوالي ميلين ـ.

فقاد عتبة الفتوحات في جنوب العراق ، وفتح عامة البلاد هناك: الأُبُلَّة ، والبَصْرة ، ومَيْسَان ، ودَسْتُمِيسَان. وبنى عتبة البصرة عن أمر عمر[١] .

وبذلك تم تطهير جميع (العراق العربي) من الوجود الفارسي ، وانضم إلى دولة الخلافة الإسلامية الراشدة .

ثانياً: الفتوحات في أرض العجم:

نتيجة عدم تعقُّبِ المسلمين لفُلول الفرس في بلاد إيران حسب خطة عمر ، تمكَّن بعض قادتهم كالهُرْمُزان وملكهم يَزْدَجِرْد من إعادة تنظيم الجيش ، وبدأ التجمع الفارسي في مكانين : (نَهَاوَنْد) ويتولى يزدجرد أمرَ حشد الجيوش فيها ، و(الأَهْوَاز) ويتولى الهرمزان ـ الذي كان قد فرَّ يوم القادسية ـ أمرَ الفرس فيها .

---

(١) تاريخ الطبري: ٣/ ٥٩٠ ـ ٥٩٧؛ قادة فتح العراق والجزيرة، ص ٤٢٤ ـ ٤٢٦ .

وبسبب قرب (الأهواز) من (البصرة) بدأت تحرشات الفرس بالمسلمين هناك[1].

١٢ ـ فتح بلاد الأهواز (ما بين سنتي ١٧ ـ ٢٣هـ)[2]:

الاسم الأعجمي هو: بلاد خُوْزُسْتان ، والاسم العربي لها: الأهواز.

وهي بلاد واسعة تقع ما بين فارس والبصرة وواسط وجبال اللور المجاورة لأصبهان. ومن أشهر مدنها: الأَهْوَاز ، وتُسْتَر ، وجُنْدَيْسَابُور ، ورامَهُرْمُز ، والسُّوس.

وقد شارك عدد كبير من القادة في فتح هذه البلاد والمدن الواسعة:

- في سنة (١٧هـ) فتح الصحابيان حَرْمَلة بن مُرَيْطَة التميمي وسُلْمى بن القَيْن التميمي بلدتي (مَنَاذِر) الكبرى والصغرى. و(نهر تِيْرَى) ، وتيرى: بلدة بالأهواز والنهر باسمها.

- وفتح حُرْقُوص بن زهير التميمي (مدينة الأهواز) ، وتسمى سوق الأهواز.

- وفتح جَزْء بن معاوية التميمي (مدينة دَوْرَق).

- وفتح القائد الكبير النعمان بن مُقرِّن (مدينة رامَهُرْمُز).

- وفتح أبو سَبْرة بن أبي رُهْم القرشي أحد الصحابة السابقين (مدينة تُسْتَر) وهي أعظم مدينة بخُوْزُسْتان ، و(مدينة السُّوس).

---

(١) عصر الخلافة الراشدة، ص ٣٦١ ـ ٣٦٢.

(٢) تاريخ الطبري: ٤/ ٧٢ ـ ١٨٦ ؛ قادة فتح بلاد فارس، ص ١٣٨ ـ ١٧٨. وانظر ما كتبته في كتابي: نبوءات الرسول ﷺ ، نبوءة رقم (٣١).

ـ وفتح الصحابيان أبو سَبرة بن أبي رُهْم وزِرّ بن عبد الله بن كُلَيب الفُقَيْمي (مدينة جُنْدَيْسَابُور) وهي مدينة حصينة واسعة.

ـ وفتح الرَّبيع بن زياد الحارثي (بَيْرُوذ) ناحية كبيرة بالأهواز، وشارك في فتح (مَنَاذر).

ـ وشارك أبو موسى الأشعري في فتح (الأهواز) و(السوس).

ـ وفي سنة (٢٣هـ) فتح سَلَمة بن قيس الأشجعي ـ وله صحبة ـ جبال الأكراد في الأهواز.

فهؤلاء القادة العشرة الكبار مهَّدوا بلادَ الأهواز، ونشروا فيها الإسلام في عهد عمر، ما بين سنتي (١٧هـ) و(٢٣هـ).

١٣ ـ وقعة نهاوند (فتح الفتوح) (المحرم ٢١هـ ـ كانون الأول ٦٤١م)[١]:

استمر يَزْدَجِرد في مقاومة الفتح الإسلامي، وحشد الجيوش في (نهاوند) من مختلِف المقاطعات الفارسية، حتى اجتمع له زُهَاء (١٥٠٠٠٠ مقاتل).

وجاء كتاب عبد الله بن عبد الله بن عِتْبان ـ عامل عمر على الكوفة ـ إلى عمر مع (قَريب بن ظَفَر العَبْدي) بأن الفرس قد اجتمعوا، وهم متذامرون على الإسلام وأهله، وأن المصلحة في معاجلتهم وفَضِّ جموعهم.

---

(١) تاريخ الطبري: ٤/ ١١٤ ـ ١٣٩؛ البداية والنهاية: ٧/ ١٠٥ ـ ١١٢؛ قادة فتح بلاد فارس، ص ١٠٢ ـ ١٠٥؛ عصر الخلافة الراشدة، ص ٣٦٣ ـ ٣٦٤.

فقال عمر لحامل الكتاب: ما اسمُك؟ قال: قَريب، قال: ابنُ من؟ قال: ابن ظَفَر، فتفاءل عمر بذلك وقال: ظَفَر قريبٌ! ثم أمر فنُودي (الصلاة جامعة)، فاجتمع الناس، وكان أول من دخل المسجد سعد بن أبي وقاص، فتفاءل عمر أيضاً بسعد!.

وصعد عمر المنبر وخطب الناس، فأخبرهم بالأمر وأنه عازمٌ على أن يخرج بنفسه على رأس جيش يكون رِدْءاً للمسلمين في نَهَاوند، فخالَفَه أكابر الصحابة وأشاروا عليه بأن يؤمِّر قائداً خبيراً، ويمدّهم هو برأيه ودعائه[1].

فاستشارهم فيمن يوليه أمر الحرب، فقالوا: أنت يا أمير المؤمنين أبصر بجندك! فولى النعمانَ بن مقرِّن، وكتب إلى حذيفة بن اليمان أن يسير من الكوفة بجنود منها، وإلى أبي موسى أن يسير بجنود البصرة، وكتب إلى النعمان ـ وكان بالبصرة ـ أن يسير بمن هناك من الجنود إلى (نهاوند). وإذا اجتمع الناس فكلٌّ أمير على جيشه، والأميرُ على الناس كلهم النعمان بن مقرِّن، فإذا قُتل فحذيفة بن اليمان، فإن قتل فجرير بن عبد الله، فإن قُتل فقيس بن مَكْشُوح، حتى عدَّ سبعة.

وكتب إلى النعمان كتاباً يأمره بالمسير ويوصيه بالمسلمين[2].

واجتمع جيش المسلمين في نهاوند، وقوامُ الجيش زهاء (٣٠٠٠٠ مقاتل)، وكانت نهاوند حصينة، فكان الفرس يَخرجون منها فيقاتلون ثم يحتمون بحصونها، فلم يتمكن المسلمون حتى استدرجوهم بعيداً

---

(١) انظر ما تقدم: ص ٥٤٧ ـ ٥٤٨ في هذا الكتاب.

(٢) أوردت نص الكتاب: ص ٥٥٦ في هذا الكتاب.

عنها ، ودارت رحى حرب طاحنة ، وأنزل الله تعالى نصره على المسلمين ، واستُشهد النعمان رضي الله عنه ، وتمَّ فتحُ نهاوند ، ولجلالتها وخطورتها سمَّاها المسلمون (فتح الفتوح) ، ولم تقمْ للفرس بعدها قائمة ولله الحمد.

ثالثاً: الانسياح في بلاد العجم:

بعد وقعة نهاوند تحطمت قوة الدولة الساسانية ، وأَمَر الفاروق بالانسياح السريع في بلاد فارس حتى لا يجتمع لهم فَلٌّ ، وعَقَد سبعةَ ألوية وأمَّر على الجيوش سبعة من أبطال الفتح:

١ ـ الأَحنف بن قيس إلى خُراسان.

٢ ـ مُجاشِع بن مسعود السُّلَمي إلى أردشير وسابور.

٣ ـ عثمان بن أبي العاص الثقفي إلى إصْطَخْر.

٤ ـ سارية بن زُنَيم الكِناني إلى فَسَا ودَرَابْجِرْد.

٥ ـ سُهيل بن عَديّ إلى كِرْمان.

٦ ـ عاصم بن عَمْرو إلى سِجِسْتان.

٧ ـ الحَكَم بن عُمير التَّغلبيّ إلى مُكْرَان[1].

١٤ ـ فتح أَصْبَهان وجَيّ وقاشَان وقُمّ (٢١هـ/٦٤٢م):

وجه عمر عبد الله بن عبد الله بن عتبان إلى (أصبهان) ، وأمده بأبي موسى الأشعري ، وبعد قتال عنيف خارج المدينة تم الفتح وصالحت أصبهان على الجزية.

---

(١) تاريخ الطبري: ٤/ ٩٤.

كذلك تمَّ فتح مدينة (جَيّ) صلحاً. وجَيّ: مدينة ناحية أصبهان بينهما نحو ميلين، وتُسمى (جي) الآن عند العجم (شَهْرَستان).

وفتح أبو موسى مع عثمان بن أبي العاص مدينة (شِيراز) و(أَرَّجَان)، كذلك فتح أبو موسى (قُمّ) و(قاشَان)(١).

١٥ ـ إعادة فتح هَمَذَان (٢٢هـ/٦٤٣م):

نَقض أهلُ همذان عهدهم الذي صالحهم عليه القعقاع بن عَمْرو، فكَتب عمر إلى نُعيم بن مُقَرِّن ـ أخي النعمان بطلِ نهاون ـ أن يسير إلى هَمَذَان، فسار ومعه (١٢٠٠٠ مقاتل) فحاصرها، فنزلوا على الصلح.

واجتمعت جيوش المقاطعات الشمالية من الدَّيْلم وأهل الرَّيّ وأَذْرَبِيجان بقيادة إسْفَنْدِيار الرازي ـ أخي رستم قائد القادسية ـ فهزمهم نعيم بن مقرن في (واج الرُّوذ).

وجاء البريد بالبشارة إلى عمر، ثم قدِم سِمَاك بن مَخْرَمة وسماك بن عُبيد وسِماك بن خَرَشة في وفور من وفود أهل الكوفة بالأخماس على عمر، فنَسَبهم، فانتَسَب له سِماك وسماك وسماك! فقال عمر: بارك الله فيكم، اللهم اسْمُكْ بهم الإسلامَ وأيِّدهم بالإسلام(٢).

١٦ ـ فتح الرَّيّ (٢٢هـ/٦٤٣م):

عادت الجيوش المنهزمة أمام نعيم بن مقرِّن فاجتمعت في (الري)

---

(١) تاريخ الطبري: ٤/١٣٩ ـ ١٤٠؛ فتوح البلدان، ص ٢٨٨؛ قادة فتح بلاد فارس، ص ١٨٢ ـ ١٨٣.

(٢) تاريخ الطبري: ٤/١٤٦ ـ ١٥٠.

بقيادة ملك الري (سِياوَخْش بن مِهْران) ، وجاءتهم الأمداد من أهل (دُنْبَاوَنْد وطَبَرِسْتان وقُومِس وجُرْجَان) ، لأن سقوط الرَّي بيد المسلمين يجعل خطرهم مباشراً على هذه المناطق.

والري علاوة على أنها عاصمة الشمال الحصينة ، فهي كذلك ذات أهمية دينية حيث فيها (معابد النار) الكثيرة.

وحدثت مقاومة عنيفة انتهت بفتح المدينة عَنْوة ، ومع ذلك فقد أجرى نُعيم لأهلها الصلح ، وتحصَّل لهم من الغنائم نحو من غنائم المدائن[1].

١٧ ـ فتح قُومِس وجُرْجَان وطَبَرِسْتان (٢٢هـ):

لما جاء البشير إلى المدينة المنورة بفتح الري والأخماس ، كتب عمر إلى نُعيم بن مقرِّن أن يبعث أخاه سُويد بن مقرِّن إلى (قُومِس) ، وسمَّى له من يكون على مقدمة الجيش ومجنِّبَتَيْه ، ففعل نُعيم ، وخرج سويد في تعبيته من الري إلى قومس ، فلم يَقُمْ له أحد ، وأخذها سِلْماً ، وصالحه أهلها.

وكذلك فعلت (دُنْبَاوَنْد) ، ولم يبقَ من بلاد الفرس أمام المسلمين سوى (جُرْجان وطَبَرِسْتان وأَذْرَبِيجان) وبذلك يَصِلون إلى شواطئ (بحر قَزْوين). وقد كاتب سويد بن مقرن ملوك هذه المقاطعات ، فصالحه مَلِكا طبرستان وجرجان ، ودفعا الجزية[2].

---

(١) تاريخ الطبري: ٤/ ١٥٠ ـ ١٥١.

(٢) تاريخ الطبري: ٤/ ١٥١ ـ ١٥٣؛ قادة فتح بلاد فارس، ص ١٩٧ ـ ١٩٨؛ عصر الخلافة الراشدة، ص ٣٦٥.

١٨ ـ فتح أذربيجان (٢٢ هـ):

وبعث عمر عُتبة بنَ فَرْقَد السُّلَمي وبُكير بن عبد الله اللَّيثي لفتح أَذْرَبِيجان ، وفرَّقها بينهما ، فعُتبة يغزوها من الجنوب ، وبكير من الشمال ، وتقدم الأميران في تلك البلاد ، ولقيا مقاومة لم تكن بالصعبة ، فافتتحاها بلداً بلداً ، وأَسر بكيرٌ قائدَ الفرس (إسفنديار) ، ثم نزلوا على الصلح ، وكتب لهم عتبة كتاب الأمان ، وأخذ منهم الجزية .

وجَمَع أمير المؤمنين أَذْرَبِيجان كلَّها لعتبة بن فرقد فكان واليها ، وأمر بكير بن عبد الله بالتقدم لفتح الباب(١) .

١٩ ـ فتح باب الأبواب (٢٢هـ):

كتب عمر بإمرة الجيش إلى سُراقة بن عَمرو الملقب بذي النور ، فخرج على تعبئة ومقدَّم عساكره عبد الرحمن بن ربيعة الباهلي ، ففتحوا (باب الأبواب) وما هنالك من البلدان وأهل الجبال المحيطة بـإِرْمِيْنِية : اللاَّن وتَفْلِيس ومُوْقَان .

ومات سراقة في (باب الأبواب) ، واستخلَف بعده عبد الرحمن بن ربيعة الباهلي ، فلما بلغ عمرَ ذلك أقرَّه ، وأمره بغزو الترك(٢) .

و(باب الأبواب) هي (الدَّرْبَنْد) وتقع على بحر قزوين غرباً ، وبهذا

---

(١) تاريخ الطبري: ٤/١٥٣ ـ ١٥٥؛ فتوح البلدان، ص ٣٠١ ـ ٣٠٣؛ قادة فتح بلاد فارس، ص ٢٠٦ ـ ٢٠٧ .

(٢) تاريخ الطبري: ٤/١٥٥ ـ ١٥٨؛ قادة فتح بلاد فارس، ص ٢٠٩ ـ ٢١١؛ كتابي: نبوءات الرسول ﷺ ، نبوءة رقم (٣٠). وباب الأبواب يقال له أيضاً: الباب .

وصل المسلمون في عهد عمر إلى أقصى بلاد فارس.

٢٠ ـ غزو الترك:

خرج عبد الرحمن بن ربيعة الباهلي بالناس حتى قطَع (بابَ الأبواب)، قاصداً لِما أمره عمر، فقال له شهربراز ـ وهو ملك الباب، كاتب عبدَ الرحمن واستأْمَنَه، فأَمَّنَه، وصار عوناً لهم في فتوح تلك البلاد ـ: أين تريد؟ قال عبد الرحمن: أريد (بَلَنْجر)، فقال له شهربراز: إنا لنرضى منهم بالموادعة ونحن من وراء الباب! فقال له عبد الرحمن: إن الله بعث إلينا رسولاً، ووعدنا على لسانه بالنصر والظَّفَر، ونحن لا نزال منصورين. فقاتَلَ التُّركَ وسار في بلاد بَلَنْجر مئتي فَرْسَخ (نحو ١١٠٠ كم)، وغزا مرات متعددة[١].

٢١ ـ فتح تَوَّج وإِصْطَخْر (٢٣هـ):

شارك مجاشِع بن مسعود في معركة نهاوند، وبعد الفراغ منها قصد بمن معه من المسلمين (تَوَّج)، واصطدم بالفرس وفتح هذه المدينة، وتغلغل في أراضي سابور وأردشير ففتحهما بعد قتال.

وسار عثمان بن أبي العاص إلى (إصطخر) عاصمة إقليم فارس وأكبر مدينة فيه، وجرى قتال عنيف، واستسلمت بعده المدينة على الجزية والذمة[٢].

---

(١) تاريخ الطبري: ٤/ ١٥٨؛ البداية والنهاية: ٧/ ١٢٢ ـ ١٢٣.

(٢) تاريخ الطبري: ٤/ ١٧٤ ـ ١٧٧؛ قادة فتح بلاد فارس، ص ٢٥٧، ٢٦٥ ـ ٢٦٦.

٢٢ ـ فتح فَسَا ودَرَابْجِرْد (٢٣هـ):

وكان الذي قصدها سارية بن زُنَيْم الكِناني ، فاحتشدت له جموع عظيمة من الفرس والأكراد ، ودَهَم المسلمين أمرٌ عظيم ، فأكرمهم الله تعالى بنداء عمر من على منبر رسول الله ﷺ: (يا ساريةُ. . . الجبلَ الجبلَ)، فلجؤوا إلى الجبل وقاتلوا عَدوهم، وهزموهم، وكان الفتح[١].

٢٣ ـ فتح كِرْمان (٢٣هـ):

فتحها سُهيل بن عَديّ الخَزْرجي أحدُ الصحابة البدريين سنة (٢٣هـ) ، وهي ناحية كبيرة معمورة ذات مدن واسعة وقرى كثيرة ، وتبلغ مساحتها نحو (مليون كيلومتر مربع)! .

كتب عمر إلى عبد الله بن عبد الله بن عِتْبان: (أنْ سِرْ حتى تقدَمَ على سُهيل بن عدي فتجامعَه على قتال من بِكِرْمان ، وخلِّف في جَيّ مَن بقي عن جَيّ ، واستخلِف على أَصْبهان السائب بن الأقرع)! .

لله درّكَ يا ابنَ الخطاب ، تكتب إلى الأمراء وبينك وبينهم آلاف الكيلومترات ، وأسرعُ وسيلة للتواصل فرس سريع! .

حشد سُهيل جيشه في (البصرة) وقصد (كِرْمان) ، ولحقه ابنُ عِتْبان مدداً له ، فالتقى الطرفان في تخوم كِرْمان، فانهزم الفرس ، ولكن المسلمين أخذوا عليهم الطرق ، فقتلوا منهم خلقاً ، وغنموا غنائم لا تُحصى[٢]! .

---

(١) تاريخ الطبري: ٤/١٧٨. وانظر ما كتبته في قصة نداء عمر: ص٢١١ ـ ٢١٢ في هذا الكتاب.

(٢) تاريخ الطبري: ٤/١٤١، ١٨٠؛ قادة فتح العراق والجزيرة، ص ٤٨٢؛ =

٢٤ ـ فتح مُكْرَان (٢٣هـ):

عقد عمر لواءً للحكم بن عُمير التَّغلبي وأَمَره بفتح مُكْران ، فحشَد جيشه واتجه إلى هدفه ، وأمدَّه سُهيل بن عَديّ وعبد الله بن عبد الله بن عِتْبان بأنفسهما ، وجرت معركـة حاميـة ، لم يصمد لها الفرس طويلاً حتى انهزموا، وطاردهم المسلمون أيـامـاً ، ودخلوا مكران فـاتحين[1] .

ومُكْران إقليم واسع يقع جنوب شرق إيران ويدخل في أراضي الباكستان من جهة الغرب . وكِرْمان إلى الشمال الغربي من مكران .

٢٥ ـ فتح سِجِسْتان (٢٣هـ):

سِجِستان إقليم واسع إلى الشمال من مُكْران ، ويقع في الجنوب والجنوب الغربي لأفغانستان ويمتد إلى بعض مناطق إيران الشرقية إلى الجنوب منها .

وقد وجَّه عمر لفتحه عاصمَ بن عَمْرو التميمي وانضم إليه عبد الله بن عُمير الأشجعي ، توجه الجيش بقيادة عاصم فالتقى بقوات سجستانية في أول حدود الإقليم ، فهزمها . وتراجع أهل سِجِستان إلى عاصمة الإقليم (زَرَنْج) ، فحاصرهم المسلمون وضيَّقوا عليهم ، حتى نزلوا على الصلح والجزية[2] .

٢٦ ـ فتح خُرَاسان (٢٢هـ):

خراسان بلاد واسعة تضم مدناً كثيرة ، يقع القسم الأكبر منها في

= كتابي : نبوءات الرسول ﷺ ، نبوءة رقم (٣١) .

(١) تاريخ الطبري : ٤/ ١٨١ ـ ١٨٢ ؛ قادة فتح بلاد فارس، ص ٢٩٣ ـ ٢٩٥ .

(٢) تاريخ الطبري : ٤/ ١٨٠ ـ ١٨١ ؛ قادة فتح بلاد فارس، ص ٢٨٦ .

أفغانستان شرقاً وجنوباً ، ومن مدنها : بَلْخ وهَرَاة ، وقسم في إيران غرباً ومنها نَيْسابور ، وقسم في روسيا شمالاً ومن مدنها مَرو .

وقد عَهِد عمر بفتح خراسان إلى الأَحنف بنِ قيس. وقد توغَّل الأحنف في خراسان ففتح (هَرَاة) عَنْوة ثم صالح أهلَها ، وأرسل القوات إلى نيسابور وسَرْخَس ، وسار بنفسه إلى (مرو) حيث يقيم (يَزْدَجِرد) الذي فرَّ منها إلى (مرو الرُّوذ) ثم منها إلى (بَلْخ) ، وتبعه الأحنف فسقطت بلخ ، وفرَّ يزدجرد إلى (سَمَرْقَنْد) لائذاً بخاقان الترك. وتتابع أهل خراسان على الصلح ، وكتب الأحنف إلى عمر بفتح خراسان .

وجاءت أوامر عمرٍ إلى الأحنف أن لا يتقدم في بلاد الترك ، فقد اتسعت الفتوح ، ولا يُؤْمَن انتقاضُ الفرس في البلاد المفتوحة؛ مما يهدِّد خطوطَ رجعة المسلمين ، وقد توزعت قواتهم في الشام والعراق وفارس ومصر. وكان هذا من عمر في غاية الحصافة وبُعد النظر[1] .

وبهذا سقطت الدولة الفارسية نهائيّاً ، وبَسَط الإسلام جناحَه على تلك الأصقاع ، وهَيْمَن المسلمون على أرض شاسعة : يحدُّها من الغرب نهر الفرات ، ومن الشرق نهر جَيْحون وبلاد السِّند ، ومن الشمال بلاد إرْمِينية ، ومن الجنوب البحر الهندي. وقد تم ذلك في مدة عشر سنين ، خاض المسلمون فيها مئات المعارك ، ولم تنكسر لهم شوكة ولا سقطت لهم راية إلا في وقعة واحدة هي يوم الجسر .

* * *

(١) تاريخ الطبري: ٤/١٦٦ ـ ١٧٣ ؛ قادة فتح بلاد فارس، ص ٢٢٠ ـ ٢٢٥ ؛ عصر الخلافة الراشدة، ص ٣٦٧ .

المبحث الثاني

الفتوحات في بلاد الشام

ابتدأ أبو بكر الصديق رضي الله عنه المرحلة الأولى من الفتوح في بلاد الشام ، وباستخلاف الفاروق رضي الله عنه تبدأ المرحلة الثانية من الفتح وتحرير تلك البلاد من احتلال الرومان لها .

أولاً: تولية أبي عبيدة بن الجراح القيادة العامة للجيوش الإسلامية في بلاد الشام:

واستقبل عمر العمليات العسكرية هناك بعزل سيف الله خالد بن الوليد عن القيادة العامة للجيوش الإسلامية ، وولَّى مكانه أمين الأمة أبا عبيدة بن الجراح ، وكتب إليه بذلك .

عن صالح بن كَيْسان قال : (كان أول كتاب كتبه عمر حين وُلِّي إلى أبي عبيدة يولِّيه على جند خالد : أوصيك بتقوى الله الذي يبقى ، ويَفْنى ما سواه ، الذي هدانا من الضلالة ، وأخرجنا من الظلمات إلى النور . وقد استعملتُكَ على جند خالد بن الوليد ، فقُم بأمرهم الذي يحقُّ عليك ، لا تقدِّم المسلمين إلى هَلَكة رجاءَ غنيمة ، ولا تُنزلهم منزلاً قبل أن تَسْتَرِيدَه لهم ، وتعلَمَ كيف مأتاه ، ولا تبعَثْ سَرِيَّة إلا في كَثْف من الناس ، وإياك وإلقاء المسلمين في الهلكة . وقد أبلاك الله بي وأبلاني بك ؛ فغمِّضْ بصَرَك عن الدنيا ، وألْهِ قلبك عنها ، وإياك أن تُهلِكَك كما

أهلكَتْ مَن كان قبلك ، فقد رأيتَ مصارعَهم)[1] .

وأمرهم بالمسير إلى دمشق .

ثانياً: الفتوحات في أرض الشام:

١ ـ فتح دمشق (١٤هـ/٦٣٥م)[2]:

ولما ارتحل أبو عبيدة من اليرموك فنزل بالجنود على (مَرْج الصُّفَّر)[3] ، وهو عازم على حصار دمشق ، إذ أتاه الخبر بقدوم مدد الروم من حمص ، وجاءه الخبر بأنه قد اجتمع طائفة كبيرة من الروم بِفِحْل[4] من أرض فلسطين ، وهو لا يدري بأي الأمرين يبدأ ، فكتب إلى أمير المؤمنين عمر في ذلك ، فجاءه الجواب من عمر :

(أن ابدأ بدمشق فإنها حِصْن الشام وبيتُ مملكتهم ، فانْهَدْ لها ، وأشغلوا عنكم أهلَ فِحْل بخيول تكون تلقاءهم ، فإنْ فتحها الله قبل دمشق فذلك الذي نحبُّ ، وإن فُتحت دمشق قبلها فَسِرْ أنت ومن معك ،

---

(١) تاريخ الطبري: ٣/ ٤٣٤ . تستريده: تبعث رائداً يرود المكان ويتعرف عليه. كثف: جماعة من الناس.

(٢) تاريخ الطبري: ٣/ ٤٣٤ ـ ٤٤١؛ البداية والنهاية: ٧/ ١٩ ـ ٢٣؛ فتوح البلدان، ص ١١٩ ـ ١٢١؛ قادة فتح الشام ومصر، ص ٦١، ١٠٣، ١٣٣؛ قادة فتح العراق والجزيرة، ص ١٥٠ ـ ١٥٢ .

(٣) مَرْج الصُّفَّر: سهل واسع على مسافة (٣٧ كم) جنوب دمشق، ما بين مدينتنا الكِسْوَة وغَبَاغِب، وشرقي قرية شَقْحَب، ويَشمل بعض أراضي قرى: شَقحب وركِيس والزريقية.

(٤) فِحْل: تقع إلى الشرق من نهر الأردن، بين نهر الزرقا جنوباً ونهر اليرموك شمالاً، وهي اليوم أطلال، وتسمى: خربة فحل.

واستخْلِف على دمشق. فإذا فتح الله عليكم فحل، فسِرْ أنت وخالد إلى حِمْص، واترك عَمْراً وشُرَحْبيل على الأردن وفلسطين).

فأرسل أبو عبيدة إلى أهل فِحْل من يشغلهم كما أشار عمر، وبعث جيشاً يكون بين دمشق وبين فلسطين، وبعث ذا الكَلاع الحِمْيَري في جيش يكون بين دمشق وحمص، ليردَّ من يَرِد إليهم من المَدد من جهة هِرَقْل.

ثم سار أبو عبيدة من مَرْج الصُّفَّر قاصداً دمشق، قد جعل خالد بن الوليد في القلب، وركب أبو عبيدة وعَمْرو بن العاص في المُجَنِّبتين، وعلى الخيل عياض بن غَنْم، وعلى الرجَّالة شُرَحْبيل بن حَسَنة، فقدِموا دمشق وعليها (نِسطاس)، فنزل خالد على الباب الشرقي وإليه باب كيسان أيضاً، ونزل أبو عبيدة على باب الجابية الكبير، ونزل يزيد بن أبي سفيان على باب الجابية الصغير، ونزل عمرو بن العاص وشُرحبيل بن حَسنة على بقية أبواب البلد، ونصبوا المجانيق والدبابات. وقد أرصد أبو عبيدة أبا الدرداء على جيش بِبَرْزة[1] يكونون رِدْءاً له، وكذا الذي بينه وبين حمص، وحاصروها حصاراً شديداً سبعين ليلة. وأهل دمشق ممتنعون منهم غاية الامتناع، ويرسِلون إلى ملكهم هِرقل ـ وهو مقيم بحِمص ـ يطلبون منه المدد، فلا يمكن وصول المدد إليهم من ذي الكَلاع الذي يعسكر بجيشه بين دمشق وحمص عن أمر أبي عبيدة. فلمَّا أيقن أهل دمشق أنه لا يَصل إليهم مدَدٌ، فَشِلوا ووهنوا وأُبْلِسوا[2]، وقَوِيَ المسلمون واشتدَّ حصارهم.

---

(١) برزة: بلدة تقع شمال دمشق على مسافة نحو (١٠ كم) منها، وقد اتصلت الآن بدمشق.

(٢) أُبلِسوا: تحيَّروا.

وجاء فصل الشتاء وهجم البرد واشتدَّ الحال وعَسُرَ القتال ، وقدَّر الله سبحانه أن وُلد لبِطْريق دمشق مولود في تلك الليالي ، فصَنَعَ طعاماً وسقاهم بعده شراباً ، وباتوا عنده في وليمته قد أكلوا وشربوا وتعبوا ، فناموا عن مواقفهم ، وفَطِنَ لذلك أمير الحرب خالد بن الوليد ، فإنه (كان لا ينام ولا يترك أحداً ينام) ، بل مُراصِدٌ لهم ليلاً ونهاراً ، وله عيون يرفعون إليه أحوال المقاتلة صباحاً ومساء ، فلما رأى خمدة تلك الليلة ، وأنه لا يقاتِل على السور أحد ، كان قد أعدَّ حبالاً كهيئة السلاليم وأوْهَاقاً[1] .

فجاء هو وأصحابه من الصناديد الأبطال مثل القعقاع بن عَمْرو ومَذْعور بن عديّ ، وقد أحضر جيشَهُ عند الباب وقال لهم : إذا سمعتم تكبيرنا فوق السور فارْقَوا إلينا . ثم نَهَدَ هو وأصحابه فقطعوا الخندق سباحةً بقِرَبٍ في أعناقهم ، فنَصَبُوا تلك السلالم وأثبتوا أعاليها بالشُّرفات ، وأكَّدوا أسافلها خارج الخندق ، وصعدوا فيها ، فلما استووا على السُّور رفعوا أصواتهم بالتكبير ، وجاء المسلمون فصعدوا في تلك السلالم ، وانحدر خالد وأصحابه الشجعان من السور إلى البوابين فقتلوهم ، وقطع خالد وأصحابه أغاليق الباب بالسيوف ، وفتحوا الباب عَنْوَة ، فدخل (الجيش الخالدي) من الباب الشرقي .

وسمع أهلُ البلد التكبير ، فمرِجَ أمرُهم ، واضطربَ رأيُهم ، ودَعَوا المسلمين إلى الصلح ، ففتحها خالد ومن معه عَنْوة ، وأبو عبيدة

---

(١) **الأوهاق** : جمع وهق ، وهو الحبل في طرفيه أنشوطة ، يطرح في عنق الدابة أو الإنسان حتى يؤخذ .

والآخرون صلحاً ، واتفقوا على أن جعلوا نصف دمشق صلحاً ونصفها عنوة.

٢ ـ وقعة فِحْل وفتحها[١]:

وبعد فتح دمشق استخلف أبو عبيدة عليها يزيد بن أبي سفيان ، وسار إلى فِحْل ، وعلى الناس الذين هم بالغور شُرَحْبيل بن حَسَنة. وسار أبو عبيدة وعلى مقدمة الجيش خالد بن الوليد ، وأبو عبيدة على الميمنة ، وعمرو بن العاص على الميسرة ، وعلى الخيل ضِرار بن الأزْوَر ، وعلى الرجالة عياض بن غَنْم ، فوصلوا إلى فِحْل ـ وهي بلدة بالغور ـ وقد انحاز الروم إلى بَيْسان[٢] ، وبَثَقُوا[٣] المياه من سدود بَيْسان على ما هنالك من الأراضي فتوحَّلت ، وحالتِ الأوحالُ والمياه بين المسلمين وبين الروم. فأرسل المسلمون إلى عمر يخبرونه بما هم فيه من مصابرة عدوِّهم ، وما صَنَعه الروم من تلك المكيدة ، إلا أن المسلمين في عيش رغيد ، ومدد كبير ، وهم على أُهْبة من أمرهم.

وظنَّ الرومُ أن المسلمين على غِرَّة ، فركبوا في بعض الليالي ليُبَيِّتوهم ، وعلى الروم (سَقَلَّار بن مِخْراق) ، فهجموا على المسلمين ، فنَهَضوا إليهم نهضة رجل واحد ، لأنهم على أُهْبة دائماً ، فقاتَلوهم حتى الصباح وذلك اليوم بكماله إلى الليل ، فلما أظلم الليل فرَّ الروم وقُتل

---

(١) تاريخ الطبري: ٣/ ٤٤٢ ـ ٤٤٣؛ البداية والنهاية: ٧/ ٢٥؛ قادة فتح الشام ومصر، ص ٦١، ١١٦ ـ ١١٧.

(٢) **بَيْسان**: بلدة بفلسطين جنوب بحيرة طبرية، تقع على بعد نحو (٦ كم) من ضفة نهر الأردن.

(٣) **بَثَق السدَّ**: ثَقَبه وشَقَّه فاندفع منه الماء.

أميرهم (سَقَلَّار) ، وركب المسلمون أكتافهم ، وأسلَمَتْهم هزيمتُهم إلى تلك الرَّدْغَة[1] التي كادوا بها المسلمين فغرَّقهم الله فيها ، وقتل المسلمون منهم بأطراف الرماح ما قارب الثمانين ألفاً ، لم يُفْلِت منهم إلا الشريد ، وغنموا منهم شيئاً كثيراً ومالاً جزيلاً .

٣ ـ فتح بَيْسان وطَبَرِيّة[2]:

انصرف أبو عبيدة وخالد بمن معهما من الجيوش نحو حمص كما أمر أمير المؤمنين عمر ، واستخلَفَ أبو عبيدة على الأردن شُرحبيل بن حَسَنة ، فسار شُرحبيل ومعه عمرو بن العاص إلى بَيْسان فحاصَرَها ، فخرجوا إليه فقتل منهم مقتلة عظيمة ، ثم صالحوه على مثل ما صالحت عليه دمشق .

وكذلك فعل أبو الأَعور السُّلَمي مع أهل (طَبَرِيَّة) سواء .

٤ ـ فتح حِمْص وحَماة وحلب وما هنالك من المدن والقرى ، وعامة سورية[3]:

●● انصرف أبو عبيدة ومعه خالد في جيش المسلمين من فِحْل إلى حمصَ ، وفي طريقهم اصطدموا بالروم ، حيث بعث هِرقل بِطْريقاً يقال له: (توذَرا) في جيش معه ، فنزل بمَرْج دمشق وغربها ، وقد هجم

---

(١) الردغة: الوحل الكثير الشديد.

(٢) تاريخ الطبري: ٣/ ٤٤٣ ـ ٤٤٤؛ قادة فتح الشام ومصر، ص ١١٧، ١٣٣، ١٧٠.

(٣) تاريخ الطبري: ٣/ ٥٩٨ ـ ٦٠٣؛ البداية والنهاية: ٧/ ٥٢ ـ ٥٣؛ فتوح البلدان، ص ١٢٧ ـ ١٣٠، قادة فتح الشام ومصر، ص ٦٢ ـ ٦٥؛ قادة فتح العراق والجزيرة، ص ١٥٣ ـ ١٥٥.

الشتاء ، فبدأ أبو عبيدة بمرج الروم ، وجاء أمير آخر من الروم يقال له: (شنس) ومعه عسكر كثيف ، فنازله أبو عبيدة ، فاشتغلوا به عن (توذَرا) ، فسار (توذرا) نحو دمشق لينازلها وينتزعها من يزيد بن أبي سفيان ، فاتَّبعه خالد بن الوليد ، وبرز إليه يزيد بن أبي سفيان ، فاقتتلوا ، وجاء خالد وهم في المعركة فجعل يقتلهم من ورائهم ، ويزيد يَـقْصِل[1] فيهم من أمامهم ، حتى أناموهم ولم يُفْلِت منهم إلا الشارد ، وقتل خالدٌ (توذرا) ، وأخذوا من الروم أموالاً عظيمة فاقتسماها.

ورجع يزيد إلى دمشق ، وانصرف خالد إلى أبي عبيدة ، فوجده قد واقع (شنس) بمرج الروم ، فقتل مقتلة عظيمة ، وقتل أبو عبيدة (شنس) ، وامتلأ المرج من قتلاهم حتى أنتنت منهم الأرض ، وهرب من هرب منهم ، وركب المسلمون أكتافهم إلى حمص.

وتابع أبو عبيدة مسيره إلى حمص ، فسلك طريق (بَعْلَبَكّ) فطلب أهلُها الأمان ، فأمَّنَهم وصالحهم. واستمرَّ في طريقه حتى نزل على حمص ومعه خالد ، فحاصروهم حصاراً شديداً ، وذلك في زمن البرد الشديد ، وصابر أهلُ البلد رجاء أن يصرفَ المسلمين عنهم شدَّةُ البرد ، وصبر المسلمون صبراً عظيماً ، وجَدُّوا في الحصار وشَدّوا ، حتى اضطروا أهلَ حمص إلى الاستسلام ، وصالحوا المسلمين على ما صالحوا عليه أهل دمشق: على نصف المنازل ، وضَرْب الخَراج على الأراضي ، وأخذِ الجزية على الرقاب بحسب الغنى والفقر.

وبعث أبو عبيدة بالأخماس والبشارة إلى عمر مع عبد الله بن مسعود.

---

(١) يقصل: أي يقطع قطعاً قويّاً سريعاً.

وأنزل أبو عبيدة بحمص جيشاً كثيفاً يكون بها مع جماعة من الأمراء منهم بلال والمقداد ، وكتب أبو عبيدة إلى عمر يخبره بأن هرقل قد عَبر الماء إلى الجزيرة ، وأنه يظهر تارة ويختفي أخرى ، فبعث إليه عمر يأمره بالمقام ببلده.

●● وبعث أبو عبيدة بعد فتح حمص خالد بن الوليد إلى قِنَّسرين[1] ، فلما نزلَ بالحاضر زحف إليهم الروم ، وعليهم (مِيناس) ، وهو رأسُ الروم وأعظمُهم فيهم بعد هِرقل ، فالتقوا بالحاضر فقُتِلَ (ميناس) ومن معه مقتلة لم يُقْتَلوا مثلها.

وسار خالد حتى نزل قِنَّسْرين ، فتحصَّنوا منه ، فقال لهم: (إنكم لو كنتم في السحاب لحمَلَنا اللهُ إليكم أو لأنزلكم إلينا!). ولم يزل بهم حتى فتحها الله عليه.

وكتب أبو عبيدة بهذا الفتح إلى عمر ، وذكَرَ له فعلَ خالد وكلمتَهُ لأهل قِنَّسْرين ، فقال عمر كلمته الخالدة: (أمَّر خالدٌ نفسه ، يرحمُ الله أبا بكر ، هو كان أعلمَ بالرجال منّي!).

●● ثم مضى أبو عبيدة إلى (حَمَاة) ، فتلقَّاه أهلُها مُذعِنين ، فصالَحَهم على الجزية عن رقابهم والخَراج على أرضهم. ومضى نحو (شَيْزَر)[2] ، فخرج إليه أهلها يسألونه الصلحَ على ما صالح عليه أهل حماة ، فتابع إلى (مَعرَّة النعمان) ، فصالحوه كذلك على ما صالح عليه أهل حمص.

---

(١) **قنسرين**: قرية جنوب مدينة حلب على مسافة نحو (٢٥ كم) منها.

(٢) **شيزر**: شمال مدينة حماة. **ومعرة النعمان**: شمال شيزر وجنوب قنسرين.

●● ولما فرغ أبو عبيدة من (قِنَّسْرين) سار إلى (حلب) ، فبلغه أنَّ أهل قنسرين نقضوا العهد وغدروا ، فوجه إليهم السِّمْط بن عَمْرو الكِنْدي فأعاد فتحها .

ووصل أبو عبيدة إلى (حاضر حلب) ، فصالح أصنافاً من العرب على الجزية ، ثم أسلموا بعد ذلك . وأتى (حلب) فتحصَّن أهلُها ، ثم لم يلبثوا أن طلبوا الصلح والأمان على أنفسهم وأولادهم ومدينتهم وكنائسهم وحِصْنهم ، فأُعْطوا ذلك .

وتوجَّه أبو عبيدة بعدها إلى (أَنْطَاكِيَة) ، وقد تحصَّن بها خلق كثير من (قِنَّسْرين) وغيرها ، فحاصرها من جميع نواحيها ، فصالحوه على الجلاء أو الجزية ، فجَلاَ بعضُهم ، وأقام بعضهم ، فأمَّنهم .

وبلغ أبا عبيدة أنَّ جمعاً من الروم بين (مَعَرَّة مَصْرِين) و(حلب) ، فقصدهم وقاتلهم ، وفتح (معرَّة مَصْرِين) على مثل صلح حلب .

وجالت خيوله فبلغت (بوقا) ، وفتحت قرى (الجُومة) و(سَرْمِين) و(مَرْتَحْوانَ) و(تِيْزِين) ، وغلبوا على جميع أرض (قنسرين) و(أنطاكية) .

وسار أبو عبيدة يريد (قُورُس) ، فصالحها على صلح أنطاكية ، وبثَّ خيولَه فغلب على جميع أرض (قورس) ، وفتح (تل عَزَاز) ، ثم فتح (مَنْبج) و(دُلُوك) و(رَعْبَان) صلحاً ، واشترط على أهلها أن يخبروا المسلمين بخبر الروم . ووجَّه أبو عبيدة خالداً وهو بـ(مَنْبج) إلى (مَرْعَش) ففتحها وأجلى أهلها ، كما إنه فتح حصن (الحَدَث) .

وتابع أبو عبيدة فتوحاته حتى نزل (عَرَاجِين) ، وقدَّم مقدمتَه إلى

(بالِس) ، وبعثَ حَبيب بن مَسْلمة إلى (قاصرين)[1] ، فجلا أكثر أهلها ، فأقام أبو عبيدة حاميةً في بالس ، وأسكن في قاصرين قوماً ، وبلغ نهر الفرات .

وبذلك أكمل أبو عبيدة فتحٍ (أرض الشام) ، فولَّى على كلّ كُورة فَتَحها عاملاً ، وضَمَّ إليه جماعةً من الإداريين يعاونونه في إدارة منطقته ، وجيشاً يدافع عنها . ثم عاد إلى فلسطين .

وقبل أن يمضي إلى بيت المقدس استخلَفَ على (حمص) عُبادة بن الصامت ، فأتى عبادة (اللاذِقيَّة) ففتحها ، وفتح بقية مدن وقرى الساحل السوري (جَبَـلَة) و(طَرْطُوس) ، وغيرها .

ثالثاً: فتوح فلسطين وفتح بيت المقدس[2]:

وبينما كان أبو عبيدة يعمل جاهداً لإكمال فتح سورية ، كان عمرو بن العاص يجدُّ في فتح فلسطين ، فجاءه أبو عبيدة وحاصروا (إيلياء) ـ وهي بيت المقدس ـ فطلب أهلها أن يصالحهم أبو عبيدة على مثل صلح أهل الشام ، وأن يكون المتولي لعقد الصلح عمر بن الخطاب ، فكتب أبو عبيدة إلى عمر بذلك .

وبعث أبو عبيدة إلى أهل (إيلياء) كتاباً يقول فيه :

(١) هذه المدن والقرى والحصون التي مرت تقع في سورية، في الشمال والشمال الغربي، في محافظات : حماة وحلب وإدلب، إلى حدود تركية.

(٢) تاريخ الطبري: ٣/ ٦٠٧ ـ ٦١٢؛ البداية والنهاية: ٧/ ٥٥ ـ ٦٠؛ قادة فتح الشام ومصر، ص ٦٥ ـ ٦٦، ١٣٣ ـ ١٣٦؛ كتابي: نبوءات الرسول ﷺ ، نبوءة رقم (٢٥).

(اخرُجُوا إليَّ أكتبْ لكم أماناً على أنفسكم وأموالكم ، ونوفِ لكم كما وفينا لغيركم). فتثاقلوا وأبَوا ، فكتب أبو عبيدة إليهم: (بسم الله الرحمن الرحيم، من أبي عبيدة بن الجراح إلى بَطارقة أهل إيلياء وسُكّانها ، سلامٌ على مَن اتَّبع الهدى ، وآمن بالله العظيم وبرسوله ، أما بعد:

فإنَّا ندعوكم إلى شهادة أن لا إلٰه إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، وأنَّ الساعة آتيةٌ لا ريب فيها ، وأنَّ اللهَ يَبعث مَنْ في القبور. فإذا شهدتُم بذلك حُرِّمَتْ علينا دماؤكم وأموالكم ، وكنتم إخوانَنا في ديننا. وإن أبيتم فأقِرُّوا لنا بإعطاء الجزية عن يدٍ وأنتم صاغرون. فإن أبيتُم سِرْتُ إليكم بقوم هم أشدُّ حبّاً للموت منكم للحياة ولشرب الخمر وأكلِ لحم الخِنزير ، ثم لا أَرجِعُ عنكم إن شاء الله حتى أقتلَ مقاتلكم وأَسبي ذراريكم).

فقبلوا الصلح على أن يكون متولي ذلك أمير المؤمنين عمر ، فكتب أبو عبيدة إليه بذلك.

ووصل الكتاب إلى عمر ، فاستشار الناس: فأشار عثمان بن عفان بأن لا يركب إليهم ، ليكون أحقرَ لهم وأرغَمَ لأنوفهم. وأشار علي بن أبي طالب بالمسير إليهم ، ليكون أخفَّ وطأةً على المسلمين في حصارهم. فهوي عمر ما قال عليٌّ ، ولم يهوَ ما قال عثمان.

وقدِمَ عمر على جمل أَوْرَق[1] ، تلوح صلعته للشمس ، ليس عليه قلنسوة ولا عمامة ، تصطفِق رجلاه بين شعبتي الرَّحْل بلا رِكاب ، وِطاؤه كساء أَنْبَجاني ذو صوف ، هو وِطاؤه إذا ركب ، وفراشُه إذا نزل ، حقيبتُه

---

(١) **أورق**: أسمر.

شَمْلة محشوة ليفاً ، هي حقيبته إذا ركب ، ووسادته إذا نزل ، وعليه قميص من كرابيس[(١)] قد رُسِّمَ[(٢)] وتخرَّق جنبه .

فلمَّا وصل الشامَ تلقَّاه أبو عبيدة ورؤوس الأمراء كخالد بن الوليد ويزيد بن أبي سفيان ، وطلبوا إليه أن يغيِّرَ مَرْكُوبَه ، فأُتي بِبِرْذَون[(٣)] ، فطُرِح عليه قَطيفة بلا سَرْج ولا رَحْل ، فلما سار جعل البِرذون يُهَمْلِج[(٤)] به ، فقال لمن معه : (احبسوا! ما كنتُ أظن الناس يركبون الشياطين ، هاتوا جَملي) ، ثم نزل وركب الجمل ، ثم لم يركب بِرذوناً قبله ولا بعده! .

وبينا هو في الطريق إذ عَرَضَتْ له مَخَاضة[(٥)] ، فنزل عن ناقته ، وخلعَ خُفَّيْه ، فوضَعَهُما على عاتقه ، وأخذ بزمام ناقته ، فخاضَ بها المخاضة .

فقال أبو عبيدة : (يا أمير المؤمنين! أأنت تفعل هذا؟ تخلع خُفَّيْكَ وتضعُهما على عاتقك ، وتأخذ بزمام ناقتك ، وتخوض بها المخاضة! ما يَسُرُّني أنَّ أهل البلد استشرفوكَ[(٦)]) .

فقال عمر : (أَوَّه! لو يقول ذا غيرُك أبا عبيدة جعلتُه نكالاً لأمة

---

(١) **كرابيس** : جمع كِرْباس ؛ وهو الثوب المصنوع من القطن الأبيض .

(٢) **رُسِّم** : رُسمت فيه خطوط خفية .

(٣) **البِرذون** : هو التركي من الخيل .

(٤) **الهَمْلَجَة** : حُسْنُ سير الدابة في سُرْعة وبَخْتَرة .

(٥) **المخاضة** : الموضع القليل الماء الذي يعبرُ فيه الناس النهر مشاةً ورُكْباناً .

(٦) **استشرفوك** : أي نظروا إليك .

محمد ﷺ ، إنَّا كنَّا أذلَّ قومٍ ، فأعزَّنا اللهُ بالإسلام ، فمهما نطلبُ العزَّ بغيرِ ما أعَزَّنا الله به أذلَّنا الله!).

ثم سار حتى وصل القدس، فصالح نصارى بيت المقدس، واشترط عليهم إجلاء الروم. ودخل المسجد من الباب الذي دخل منه رسول الله ﷺ ليلة الإسراء. وصلَّى تحية المسجد بمحراب داود عليه السلام ، وصلى بالمسلمين فيه صلاة الفجر من الغد ، فقرأ بالركعة الأولى بسورة (صّ) وسجد فيها، وسجد المسلمون معه، وفي الثانية بسورة (الإسراء). ثم نقل التراب عن (الصخرة) في طرف ردائه ، ونقل المسلمون معه.

رابعاً: محاولة الروم احتلال (حمص) ، وهزيمة منكرة لهم ، وفتوح عامة الجزيرة الفراتية ، وإنهاء الاحتلال الروماني لبلاد الشام[١]:

وبعد فتح بيت المقدس عاد أبو عبيدة إلى حمص ، فقصده الروم ، وتكاتبوا هم وأهل (الجزيرة)[٢] يريدون أبا عبيدة والمسلمين بحمص ، فضَمَّ أبو عبيدة إليه مَسَالحه[٣] ، وعسكروا بفناء مدينة حمص ، وأقبل خالد من قِنَّسْرين حتى انضمَّ إليهم فيمن انضمَّ من أمراء المَسَالح ،

---

(١) تاريخ الطبري: ٤/ ٥٠ ـ ٦٠؛ البداية والنهاية: ٦/ ٧٥ ـ ٧٦؛ قادة فتح الشام ومصر، ص ٦٦ ـ ٦٨، قادة فتح العراق والجزيرة، ص ٤٧٢ ـ ٤٧٣، ٤٨١، ٤٨٧، ٤٩٧ ـ ٤٩٩.

(٢) تقع الجزيرة بين نهري دِجلة والفرات، وهي اليوم مجزأة بين سورية والعراق وتركية. وتضم الجزيرة عدداً من المدن منها: حَرَّان، والرَّقَّة، وماردِين، والمَوْصِل، والرُّهَا، ونَصِيبين.

(٣) المَسْلَحة: كل موضع يقف فيه الجند بالسلاح للمراقبة والمحافظة. والقوم المسلحون في الثغور.

فاستشارهم أبو عبيدة في المناجزة أو التحصُّن إلى مجيء الغِياث ، فكان خالد يأمره أن يُناجزهم ، وكان سائرهم يأمرونه بأن يتحصَّن ويكتب إلى عمر ، فأطاعهم وعَصى خالداً ، وكتب إلى عمر يخبره بخروجهم عليه .

وكان أمير المؤمنين عمر قد أعدَّ في كلِّ مِصْر من الأمصار الإسلامية الكبيرة كالبصرة والكوفة (قوةً احتياطة) سريعة من الفرسان ، فكان بالكوفة وحدها أربعةُ آلاف فارس ، وكان واجب هذه القوات إغاثةَ المسلمين وإسنادَ مواقعهم التي يتهددها الخطر. فلما وصل كتاب أبي عبيدة إلى عمر ، كتب إلى سعد بن أبي وقاص في العراق : (اندب الناس مع القعقاع بن عمرو ، وسَرِّحْهم من يومهم الذي يأتيك فيه كتابي إلى حمصَ ، فإنَّ أبا عبيدة قد أُحيطَ به ، وتقدَّم إليهم في الجدّ والحَثّ) . وكتب إليه أيضاً : (أن يُسَرِّح سُهيل بن عدي إلى (الرَّقَّة) لأن أهل الجزيرة هم الذين استثاروا الروم على أهل حمص. وأمره أن يسرِّح عبد الله بن عبد الله بن عِتْبان إلى (نَصيبِين) ، ثم ليقصد (حَرَّان) و(الرُّهَا) ، وأن يُسرِّح الوليد بن عُقْبة على عرب الجزيرة من ربيعة وتنوخ ، وأن يسرِّح عياض بن غَنْم ، فإن كان قتال فَأَمْرُهم إلى عياض) .

ومضَى القعقاع من يومه على رأس أربعة آلاف فارس إلى حمص ، وخرج عياض وأمراء الجيوش الموجَّهة إلى الجزيرة ، وأخذوا طريق الجزيرة ، وقَصَد كل أمير إلى المنطقة التي وُجِّهَ إليها ، وخرج عمر بن الخطاب بنفسه فأتى (سَرْغ) أو (الجابِيَة) يريد حمص مغيثاً لأبي عبيدة .

فلمَّا بَلَغَ أهلَ الجزيرة الذين أعانوا الرومَ على أهلِ حمص ، أنَّ الجيشَ طَرق بلادهم ، تفرَّقوا إلى بلدانهم وإخوانهم ، وخَلَّوا الرومَ. وسمعت الرومُ بقدوم أمير المؤمنين عمر لينصر أبا عبيدة ، فضَعُف

أمرهم ، وأيقنوا أنهم قد أُحيطَ بهم. وأشار خالد على أبي عبيدة أن يَبرز إليهم ليقاتلهم ، ففعل ذلك أبو عبيدة ، ففتح الله عليه ونصره ، وهُزمت الروم شرَّ هزيمة ، وذلك قبل ورودِ عمر عليهم ، وقبل وصولِ الأمداد إليهم بثلاث ليال. فكتب أبو عبيدة إلى عمر يخبره بالفتح ، وأنّ المَدَد وصل إليهم بعد ثلاث ليال ، وسأله: هل يُدْخِلهم في القَسْم معهم من الفَيْء؟ فكتب إليه عمر أن أَشْرِكُوهم في الغنيمة ، فإنَّ العدوَّ إنما ضَعُفَ وتقهقر راجعاً وانقطع المدد عن الروم؛ بسبب خوفهم من أمداد المسلمين. فأشركهم أبو عبيدة في الغنيمة.

وقال عمر: (جَزَى اللهُ أهلَ الكوفة خيراً ، يَحمون حَوْزَتهم ، ويُمِدُّون أهل الأمصار).

وبهذه الجهود الخارقة ، والجهاد المتواصل ، والفتوحات المتلاحقة؛ تمكَّن أبو عبيدة ومعه أمراء الحرب وقادة المعارك: خالد ويزيد وشرحبيل وعمرو ومعاذ وعياض وغيرهم؛ من بَسْط سلطان الإسلام على بلاد الشام كلها من نهر الفرات إلى العريش المتاخم للديار المصرية ، وتشمل معها: سورية ولبنان والأردن وفلسطين.

وأبو عبيدة ومعه إخوانه قد سَجَّلوا بهذه الفتوحات الجليلة السطرَ الأخير في نَعي إمبراطورية الروم في بلاد الشام. ونَفَذ قضاءُ الله على الروم حيث حَرَّم عليهم أن يملكوا بلاد الشام برمّتها إلى آخر الدهر ، مصداقاً لِمَا ثَبَتَ في «الصحيحين»: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا هَلَكَ كِسْرى فلا كسرى بعدَه ، وإذا هَلَكَ قيصر فلا قيصر بعده ، والذي نفسي بيده لَتُنْفَقَنَّ كنوزُهما في سبيل الله**».

وانهزم هِرَقْل في المعارك واحدة تلو الأخرى ، وتقلَّص ملكُه ،

وخَنَس مولِّياً نحو بلاد الروم ، فلما وصل إلى (شمشاط) ـ جنوبي تركية ـ علا على شَرَفٍ ، والتفتَ ونظر نحو سورية وقال:

(قد كنتُ سلَّمتُ عليكِ تسليمَ المسافر ، فأما اليوم فعليكِ السلامُ يا سورية سلاماً لا اجتماعَ بعده!) ، ومضى حتى نزل القُسْطَنطينية.

* * *

المبحث الثالث

فتوحات مصر وما والاها

أولاً: تاريخ فتح مصر:

يذكر عامة المؤرخين أن فتح مصر كان سنة (٢٠ هـ) ، وأما سيف بن عمر فيقول: إنها فُتحت سنة (١٦هـ) ، ورجَّحه ابن الأثير في «الكامل»؛ وهذا التاريخ هو مبتدأ الفتح ، وهو الصواب في رأينا، **لثلاثة أسباب**:

الأول: أن (عام الرَّمادة) كان سنة (١٨هـ) ، وقد ذكر أكثر المؤرخين أن عمر استنجد بأهل الأمصار ومنهم عمرو بن العاص ، فلبَّاه عمرو وأرسل له السفن والقوافل البرية ، ولا يمكن أن يفعل ذلك إلا وقد استتبَّ له الأمر في فتح مصر.

الثاني: أن أمير المؤمنين عمر كتب إلى عمرو يأمره بالمسير إلى فتح مصر بعد أن تم فتح بيت المقدس وذلك سنة (١٦هـ) ، فما كان لعمرو إلا أن يستجيب ، وهو أيضاً صاحب رغبة في الفتح. ثم إن عَمْراً لم يُسْمَع له صوت في الشام بعد هذا التاريخ ، وفتوحات الشام تمَّتْ في حدود سنة (١٧هـ) ، فحريٌّ أن يكون عمرو في مصر يتولى فتحها.

الثالث: أن عَمْراً انطلق إلى الفتوحات في ليبية سنة (٢١هـ) ، ولا يتأتى له ذلك إلا بعد استقرار أمر مصر بيده ، وقد استمر فتحها أزيدَ من سنتين كما تدل عليه رسائل عمر: (تقاتلون منذ سنتين).

ثانياً: البشرى النبوية بفتح مصر[1]:

وكما جاءت البشريات بفتوح العِراق وفارس والشام ، كذلك ثبت في الأحاديث الصحيحة : أن رسول الله ﷺ بشَّر أمتَه بفتح مصر .

١ ـ عن أبي ذَرّ الغِفاري قال : قال رسول الله ﷺ : «**إنكم ستَفتحون مِصْرَ ، وهي أرض يُسمَّى فيها القِيراط ، فإذا فَتحتُموها فأَحْسِنوا إلى أهلها ؛ فإنَّ لهم ذِمَّةً ورَحِماً** ـ أو قال : **ذِمَّةً وصِهْراً** ـ »[2] .

٢ ـ وعن أم المؤمنين أم سَلَمة : أن رسول الله ﷺ أوصَى عند وفاته فقال : «**اللهَ اللهَ في قِبْطِ مصرَ ؛ فإنكم ستَظْهَرُون عليهم ، ويكونون لكم عُدَّة وأعواناً في سبيل الله**»[3] .

ثالثاً: موجز فتوحات مصر[4]:

كتب عمر إلى عمرو بن العاص بعد الفراغ من فتح الشام أن يسير بجنده إلى مصر ، فخرج في (٤٠٠٠ رجل) ، فنزل (العَريش) ـ أول مدينة مصرية من جهة الشام ـ ففتحها. ثم سار إلى (الفَرَما) ، فقاومه الروم شهراً أو شهرين ثم تمكن من فتحها. واتجه إلى (بِلْبِيس) شمال

(١) انظر كتابنا : نبوءات الرسول ﷺ ، نبوءة رقم (٢٨) .

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٤٣)؛ وابن حبان (٦٦٧٦)، وغيرهما.

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير: ٢٣/ (٥٦١)، وصححه الألباني في الصحيحة (٣١١٣).

(٤) تاريخ الطبري: ٤/ ١٠٤ ـ ١١١؛ فتوح البلدان، ص ١٩٩ ـ ٢٠٥؛ البداية والنهاية: ٧/ ٩٧ ـ ١٠٠؛ قادة فتح الشام ومصر، ص ١٣٦ ـ ١٤١ .

شرق القاهرة فتمكن من السيطرة عليها ، واصطدم بعد ذلك بالأَرْطبون وهزمه .

ومضَى عمرو إلى (الفُسْطاط) ـ وكان اسمها : البونة ـ وقد خَنْدَق أهلها ، فحاصرها عمرو ، وأرسل إلى أمير المؤمنين عمر يطلب منه المدد .

روى ابن عبد الحكم في «فتوح مصر والمغرب» : (أن عمرو بن العاص لمَّا أبطأَ عليه فتحُ مصر ، كتب إلى عمر بن الخطاب يستمدُّه ، فأمَدَّه عمر بأربعةِ آلاف رجلٍ ، على كل ألف رجلٍ رجلٌ ، وكتب إليه عمر : إني قد أمَددتُك بأربعةِ آلاف رجلٍ ، على كل ألف رجلٍ منهم رجلٌ مقامَ الألف : الزبير بن العوام ، والمِقْداد بن عَمْرو ، وعُبادة بن الصامت ، ومَسْلَمة بن مُخَلَّد! واعلَمْ أن معك اثني عشرَ ألفَ رجلٍ ، **ولا يُغلَب اثنا عشر ألفاً من قِلّة**)[1] .

وجاءت الأمداد ، واستمر الحصار سبعة أشهر .

وأرسل (المُقَوْقِس)[2] إلى عمرو يقول : (ابعثوا إلينا رسُلاً نُعامِلْهم ونتداعى نحن وهم إلى ما عساه يكون فيه صلاح لنا ولكم)[3] . فبعث عَمْرو عشرة أنفس فيهم عبادة بن الصامت ، فكان مما قالوه لهم : (إن

---

(١) حياة الصحابة : ٣/ ٦٨٤ . قوله : «**لا يغلب اثنا عشر ألفاً من قلة**» جزء من حديث مرفوع أخرجه أبو داود (٢٦١١)؛ وابن خزيمة (٢٥٣٨)؛ وابن حبان (٤٧١٧) وغيرهم، وصححه غير واحد.

(٢) **المقوقس** : رجل روماني الأصل، عينه هرقل حاكماً على مصر .

(٣) قادة فتح الشام ومصر، ص ١٣٩ .

رسول الله ﷺ قد أَعْلَمنا أنّا مُفتتحوكم ، وأوصانا بكم حفظاً لِرَحِمِنا فيكم. وإنَّ لكم إن أجبتُمونا بذلك ذِمَّةً إلى ذمّة. ومما عَهِد إلينا أميرنا: استوصوا بالقِبْطِيِّين خيراً؛ فإن رسول الله ﷺ أوصانا بالقبطيين خيراً ، لأن لهم رَحِماً وذمَّة. فقالوا: قرابةٌ بعيدة لا يَصِلُ مثلَها إلا الأنبياء ، معروفة شريفة. . . مرحباً به وأهلاً). ثم طلبوا الأمان فقالوا: (آمِنَّا حتى نرجع إليك)[1].

فأجَّلَهم عمرو بن العاص ثلاثة أيام ، فطلبوا الزيادة ، فزاد يوماً ثم يوماً. فرجعوا إلى المُقَوقِس ، فهَمَّ بقبول الصلح ، فأبَى (أَرْطَبون)[2] أن يُجيبَهم ، وأمر بمناهدة المسلمين.

ونَشِب القتال بين الطرفين حول حصن (بابِلْيُون) ، فأحرز المسلمون النصر على الروم بعد أيام معدودة من مفاوضات عبادة بن الصامت والمقوقس.

ولما فتح عمرو حصن الفُسْطاط (بابِلْيُون): وجَّه عبد الله بن حُذافة السَّهْمي إلى (عَيْن شمْس) فغَلَب على أرضها ، وصالح أهلَ قراها على مِثل صلح الفسطاط. وبعث خارجة بن حُذافة العَدَويّ إلى (الفَيُّوم) و(الأَشْمُونين) و(إِخْمِيم) وقرى الصَّعيد ، فصالحها أيضاً على مثل صلح الفسطاط. وأَنفذ عُمير بنَ وهْب الجُمحِيّ إلى (تِنِّيس) و(دِمْيَاط) و(دَمِيرة) و(دَقَهْلَة) و(بَنَا) و(بُوصِير) وغيرها ، فصالحها كذلك على مثل

---

(١) تاريخ الطبري: ٤/١٠٧.

(٢) قائد رومي كان في فلسطين فهزمه عمرو، فذهب إلى مصر.

صلح الفسطاط. ووجَّه عُقبة بن عامر الجُهنيّ إلى سائر قرى أسفل مصر ، ففعل مثل ذلك.

وبذلك استجمع عمرو فتح مصر ، فصارت أرضُها أرض خَرَاج[1].

رابعاً: فتح الإسكندرية:

كانت الإسكندرية عند فتح المسلمين لمصر هي عاصمة البلاد ، وثانية حواضر الإمبراطورية البيزنطية بعد القُسطنطينية ، زيادة على أنها مدينة تجارية عالمية.

كذلك فهي مدينة حصينة تستعصي على السقوط والفتح؛ فهي علاوة على متانة أسوارها ووفرة حماتها ، تمتاز بموقع استراتيجي منيع : فالبحر المتوسط يحميها من الشمال ، و(بحيرة مَرْيُوط) تحميها من الجنوب ، وأحد فروع النيل يحيط بها من الغرب ، فلم يبق إلا منفذ واحد يصل إليها من الشرق ، وهو الطريق الواصل بينها وبين (كِرْيَوْن)[2].

بعد أن فتح عَمْرو (مصر) أقام بها ، ثم كتب إلى عمر يستأمره في الزحف على الإسكندرية ، فكتب إليه عمر يأمره بذلك. سار عمرو إليها ، واستخلف على مصر خارجة بن حُذافة العَدَوي ، وكان مَن دون الإسكندرية مِن الروم والقِبْط قد تجمعوا له ، فلقيهم (بالكرْيَوْن) ، فهزمهم وقتل منهم خلقاً. وتابع عمرو مسيره حتى انتهى إلى

(١) قادة فتح الشام ومصر، ص ١٤٠ ـ ١٤١، ٢٣٢، ٢٣٧ ـ ٢٣٨، ٢٤٦، ٢٥٠.

(٢) الدولة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين، حمدي شاهين، ص ٢٢٥؛ عمر بن الخطاب ، للدكتور علي الصلابي، ص ٦١٦.

الإسكندرية ، فوجد أهلها قد أعدُّوا العدَّة لقتاله ، ولكن القِبْط منهم كانوا يرغبون في الصلح.

حاصر عمرو الإسكندرية ، فأرسل إليه المُقَوْقِس يسألُه الصلح والمهادنة إلى مدة ، فأبى عمرو ذلك. فأمر المُقوقس النساء أن يَقُمْن على سور المدينة مقبِلات بوجوههن إلى داخله ، وأقام الرجالَ بالسلاح مقبِلين بوجوههم إلى المسلمين ليرهبَهم بذلك. فأرسل إليه عمرو: (إنا قد رأَيْنا ما صنعتَ ، وما بالكثرة غَلَبْنا من غَلَبْنا ، فقد لقِينا هرقلَ ملكَكُم فكان من أمره ما كان!). فقال المقوقس لأصحابه: (قد صدق هؤلاء القوم! أخرجوا ملكَنا من دار مملكته حتى أدخلوه القُسطنطينية ، فنحن أولى بالإذعان!). فأَغْلَظ له أصحابه القول ، وأبوا إلا القتال. فقاتلهم المسلمون قتالاً شديداً ، وحصروهم ثلاثة أشهر[١].

واستبطأ أمير المؤمنين الفتح ، فكتب إلى عمرو[٢] يوجِّهه ويأمره أن يقاتِل بمن معه العدوَّ ، ويكونوا له صدمةَ رجلٍ واحد؛ (وليكنْ ذلك عند الزوال يوم الجمعة ، فإنها ساعة تنزل فيها الرحمة ووقت الإجابة ، وليعجَّ الناس إلى الله ، وليسألوه النصر على عدوهم).

فلما أتى عَمراً الكتابُ ، جمع الناس وقرأه عليهم ، وقدَّمَ الصحابة الأربعة الذين يَعْدِلُ كل واحد منهم ألفَ رجل فجعلهم أمام الناس ، وأمر

---

(١) قادة فتح الشام ومصر، ص ١٤١ ؛ فتوح البلدان، ص ٢٠٦ .

(٢) تقدم نص الكتاب: ص٥٥٦ ـ ٥٥٧ في هذا الكتاب.

الناس أن يتطهروا ويصلوا ركعتين ، ثم يرغبون إلى الله ويسألونه النصر ، ففتح الله عليهم الإسكندرية[١] .

واستبقى عَمْرو أهلَ الإسكندرية فلم يقتلْ ولم يسبِ ، وجعلَهم أهل ذمَّة كأهل (بابِلْيُون) . وترك في الإسكندرية حامية من قواته ، ونشر كتائبه لتفتح بقية حصون الروم وجيوبهم في مصر ، فاستكمل فتح ساحل البحر المتوسط ومدنه الكبرى ، مثل : رشيد ودمياط وغيرها . كذلك بسط سيطرته على كل دلتا مصر وصعيدها[٢] .

وبالنظر في فتوحات مصر يتبين لنا أن غالبية البلاد المصرية فتحت صلحاً دون قتال يذكر ، والقليل منها مثل (الفرما) و(الإسكندرية) فتحت عنوة . وذلك القتال لم يكن بين المسلمين وبين أهل مصر ، إنما كان بين المسلمين والحاميات الرومية الأجنبية .

وهذا الأمر له أسبابه التاريخية التي وجهت سير الأحداث : ذلك أن غالبية أهل مصر (وهم الأقباط) استقبلوا الفتح العربي الإسلامي بالترحاب ، ووجدوا فيه مخلصاً من الاضطهاد البيزنطي على جميع المستويات السياسية والاقتصادية والدينية[٣] ! .

---

(١) حسن المحاضرة : ١/ ٦٧ ، حياة الصحابة ، ٣/ ٦٨٣ ـ ٦٨٤ ؛ قادة فتح الشام ومصر ، ص ٢٥٨ ـ ٢٥٩ .

(٢) الدولة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين ، ص ٢٢٩ ؛ عصر الخلافة الراشدة ، ص ٣٧٧ .

(٣) كتابي : نبوءات الرسول ﷺ ، نبوءة رقم (٢٨) .

خامساً: الفتوح في ليبية[1]:

أراد عمرو القضاء على سلطان الروم في المنطقة الواقعة غربي الديار المصرية ، فسار غرباً يخترق الصحراء حتى بلغ (بَرْقة) ، فافتتحها عمرو سنة (٢١هـ) صلحاً ، وصالح أهلها على الجزية. وتبعد برقة عن الفُسطاط أكثر من (١١٠٠ كم)[2].

ووجَّه عمرو البطلَ الفاتح عقبة بن نافع ، فسار بجيشه في الصحراء الليبية حتى بلغ (زَوِيْلَة)[3] فافتتحها ، وصار ما بين (برقة وزويلة) للمسلمين ، وزَوِيلة في أعماق ليبية في الجنوب الغربي منها.

وتابع عمرو فتوحاته نحو الغرب حتى نزل (طَرابلس الغرب) ، وكانت حصونها أمنَعَ من حصون برقة ، وحاميتها أكثر عدداً ، فامتنعت على المسلمين، فحاصروها شهراً، فاستسلمت وتم فتحها سنة (٢٢هـ). وكتب عمرو إلى أمير المؤمنين: (إنا قد بَلَغْنا طرابلسَ وبينها وبين إفريقية ـ أي تونس ـ تسعة أيام ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأذَنَ لنا في غزوها فعل)! فكتب إليه عمر ينهاه عن ذلك، خشية الامتداد الكبير نحو الغرب، فتوقف عمرو عند حدود تونس ، واستخلف على ليبية عقبة بن نافع.

* * *

---

(١) فتوح البلدان، ص ٢٠٩ ـ ٢١١؛ فتوح مصر ، لابن عبد الحكم، ص ١٧٠؛ تاريخ الطبري: ٤/ ١٤٤؛ البداية والنهاية: ٧/ ١١٢؛ قادة فتح الشام ومصر، ص ١٤٢ ـ ١٤٣؛ ولاة مصر، ص ٣٣.

(٢) معجم البلدان: ١/ ٣٨٩.

(٣) انظر: معجم البلدان: ٣/ ١٥٩ ـ ١٦٠.

المبحث الرابع

كلمة ختامية عن الفتوحات والفاتحين

يروِّج كثير من أعداء الإسلام وبعضُ تلامذته من أبناء العرب والمسلمين أن (الفتوح الإسلامية) هي لون من (الاحتلال والاستعمار) ، وأداة (لنشر الإسلام بالسيف)! ولقد ردَّ هذه الفرية المنصفون من غير المسلمين ، وكثير من رجال الفكر والقلم المسلمين[١] .

ولن نخوض جدلاً في توهين هذه الأكذوبة ، فوقائع الفتوحات ومسيرتها وتطبيقاتها وأوامر الخلفاء وأعمال القادة والجند ـ تبرهن على أن الفتح الإسلامي نسيجُ وَحْدِه في تاريخ البشرية ، لا يشبهه فتح ولا يدانيه ولا يقاس به .

●● لقد خرج العرب المسلمون من ديارهم يُعلنون كلمةَ الله وينشرون رسالته ، ويبذلون في سبيل ذلك دماءهم وأرواحهم ، ويفارقون من أجله ديارهم وأوطانهم ، لا يريدون علوّاً في الأرض ولا استكباراً ، ولا يبتغون مالاً ، ولا يحرصون على دنيا .

ـ كانت غايتهم إصلاح البشر في معاشهم وأخلاقهم ، وسعادة الناس في دنياهم وآخرتهم ، ورفع الظلم عنهم وإقامة العدل بينهم .

---

(١) انظر : كتاب «مع الله» ، للعلامة المفكِّر محمد الغزالي ، ص١٠١ ـ ١٦٦ ، وهو نفيس ؛ وكتاب «أخبار عمر» ، للعلامة الأديب الفقيه علي الطنطاوي ، ص ٧٤ ـ ٧٩ ، وقد استفدت منه في هذه الكلمة .

ـ وكانوا إذا حاربوا التزموا بمبادئهم الرفيعة ، لا يغدرون ولا يمثِّلون ولا يُجهِزون على جريح ، ولا يقتلون امرأة ولا شيخاً ولا طفلاً ، ولا يَهدمون معبداً ولا يؤذون متعبداً ، ولا يخرِّبون داراً ، ولا يُفسِدون ماء ولا يقطعون شجراً.

ـ ولم يكن يلهيهم عن غايتهم مال ، ولا يشغلهم جاه ، ولا يُنسيهم تلك الغاية خطر ، فكانوا إذا اشتد الخَطْب وادلهمَّت المعركة يلجؤون إلى الله ، ويلتزمون الصلاة والاستغفار ، ويتلون سورة الجهاد في وجه المعركة.

ـ وترفعوا عن الدنيا وزخارفها وذهبها وجواهرها وأطايبها وقد سيقت إليهم كنوز كسرى وقيصر ، ورأوا المباهج والمناعم في البلاد المفتوحة ، وهم قد خرجوا من أرض جدباء مُقْفِرة يأكلون القَدِيد ويتبلَّغون بالتمرات ـ فما رتعوا ، ولم يَغُلُّوا ولم يخونوا ، وأدَّوا الأمانات حتى الخيط والمِخْيَط.

ـ وهم إذا دخلوا بلدة لم يحملوا إليها الإسلام في محاضرات يلقونها ، ونشرات يذيعونها ، وكتب يطبعونها ، كالأساتذة الملقِّنين لأهل البلاد المفتوحة ، بل كانوا يَدلّون أهلَها على منابع الإسلام ، ويُرشِدونهم إلى الكتاب والسنة والسيرة الشريفة ، ويتركونهم لينتقلوا هم إلى الإسلام ، فلم تمرَّ بُرْهَة حتى كان من أهل تلك البلاد أئمة العلوم المختلفة ، وكانوا أساتذة أولئك العرب الفاتحين.

ـ ثم إن هؤلاء الفاتحين لم يُعلِنوا الإسلامَ بألسنتهم ، ولم يَدْعُوا إليه بأقوالهم ، بل أَرَوا الناس من أخلاقهم ومعاملاتهم وسِيَرهم أروعَ النماذج

التطبيقية لشرائع الإسلام وأحكامه وأخلاقه؛ فكانوا رهباناً بالليل فرساناً بالنهار، أعزة كرماء، عادلين أوفياء، منصفين رحماء. فرأى فيهم الفرس والروم والقِبْط وغيرهم ما بَهَر ألبابهم، فأقبلوا على دينهم متسارعين.

- ولم تنجلِ الفتوحات عن غالبين ومغلوبين، تضطرم فيما بينهم الأحقاد، وتتأجج نيران الحروب والثورات، وإنما انجلَى الفتحُ عن أمة واحدة لها ربٌّ واحد ونبيٌّ واحد وكتابٌ واحد، ويتفاضَل الناس بالتقوى.

●● من قلب الجزيرة العربية إلى أقصى بلاد فارس شرقاً وإلى أطراف ليبية وصحراء إفريقية غرباً، ومن حدود إِرْمِينية وبحر قَزْوين شمالاً وإلى المحيط الهادي وبلاد النوبة جنوباً... في كل هذه الأصقاع يقول الناس: هذه آثار العرب المسلمين الفاتحين.

(وقال قائلون فَضَلُّوا وأَضَلُّوا ـ وكم مُنيت هذه الأمة بالمفترين، يغضُّون من أقدارها ويهوِّنون من مآثرها ـ قالوا: طلب القوت والطمع في الغنائم هو الذي نشر هؤلاء العرب في أرجاء الأرض!.

قاس هؤلاء الدعوة الإسلامية على الاستغلال الذي يسمَّى (الاستعمار) في حضارة هذا العصر وعلى المستعمرين الذين كل شيء عندهم قهر وتسلط، واستغلال ونهب، وشَرَه وحرص، وتفريق بين الناس وعبادة للمال من دون الله.

فقل لهؤلاء: إن الإنسان ربما يحارب على الخبز ولكنه لا يطلب الشهادة في سبيله، إن الإنسان يريد أن يظفر بالطعام ليعيش به، لا أن يموت في طلبه، فما بال هؤلاء العرب المسلمين طلبوا الموت حيثما

ذهبوا؛ وحقروا العيش أينما توجهوا.

ما بالهم وقد فُتحت لهم مصر ورأوا الخصب في أرضها، ورغد العيش على ضفاف نيلها، جاوزوها إلى صحارى النوبة وسهول إفريقية؟.

ما بالهم وقد فتحت لهم الأندلس ورأوا النعيم المقيم، جاوزوا جبال البرانس ليستشهدوا في بلاط الشهداء؟.

ما بالهم وقد دانت لهم فارس، جابوا صحارى مُكْران إلى السند، وعبروا نهر جَيْحون إلى ما وراء النهر؟.

وما بالهم يتركون النعيم والخير العميم، والعز المقيم في الأرض التي سيطروا عليها ليجوزوا فيافي قاحلة، ويحاربوا أقواماً غلاظاً شداداً، في بلاد تنتظرهم فيها قبورهم؟ إن الأمر لأعظم مما توهموا، وأسمَى مما قالوا)[1].

* * *

(١) مقتطف من كلمة رائعة لعبد الوهاب عزام، نقلها الشيخ محمد الغزالي في كتابه «مع الله»، ص ١٦٢ ـ ١٦٦.






الباب التاسع

اتساع دولة الإسلام

ونبذة عن ولاتها وولاياتها

- الولاة: أسس اختيار عمر لهم وسياسته معهم.
- حقوق الولاة وواجباتهم وأعمالهم.
- متابعة الولاة ومحاسبتهم.
- اتساع الدولة وتبيان ولاياتها وأمصارها.

* * *



الفصل الأول

الولاة: أسس اختيار عمر لهم وسياسته معهم

يعتبر الولاة هم أصحاب السلطة مباشرة في ولاياتهم ، وهم مسؤولون عن إدارتها وتسيير أمورها المختلفة ، من تمكين للإسلام ونشر لمبادئه وإقامة العدل والتعليم وتدبير شؤون الجهاد ومواصلة الفتوح والقضاء وشؤون المال وغير ذلك. هذا فضلاً عن أن البلاد الإسلامية المفتوحة تضم أعراقاً متباينة وجنسيات مختلفة وعادات متباينة ، وكانت تخضع لدول وأنظمة إدارية مغايرة ، وهي قد دخلت في نسيج المجتمع ، مما يحتِّم على الخليفة والولاة أعباءً جِساماً. . . مما أدى إلى ظهور هيكل تنظيمي جديد وإدارة متطورة وطرائق مبتكرة تتناسب وهذا التطور والتغير المستمر والمتوسع في الدولة الإسلامية(١).

ولقد أظهر عمر أدقَّ نظامٍ وأروعَ تطبيق في تعيين الولاة وحسنِ اختيارهم ، ووضَعَ المناهج العامة لسياستهم الرعية والبلاد ، وحَرَسَ ذلك بمتابعةٍ ومراقبةٍ ومحاسبةٍ بلا هوادة ، فنشأ في عهده نظامٌ فذٌّ للولاية والولاة ، قد شهد التاريخ بدقته وعدالته وسموه وشموله.

---

(١) انظر: الولاية على البلدان، ص ٢٢١ ـ ٢٢٢، ٤٣١.

أولاً: من أقوال عمر التي تشير إلى صفات الولاة الذين يختارهم:

ـ عن ابن عباس وغيره ، عن عمر أنه قال: (لا ينبغي أن يلي هذا الأمر ـ يعني أمرَ الناس ـ إلا رجلٌ فيه أربع خِلال: اللِّين في غير ضَعْف ، والشدة في غير عُنف ، والإمساك في غير بُخْل ، والسماحة في غير سَرَف ، فإن سَقطتْ واحدة منهن فَسدت الثلاث)[1] .

ـ وعنه قال: (أريد رجلاً أستعمله على الناس إذا كان أميرَهم كان كأنه رجلٌ منهم ، وإذا كان في القوم وليس أميرَهم كان كأنه أميرُهم)[2] .

ـ وكان يقول: (أشكو إلى الله جلَدَ الخائن وعجزَ الثقة)[3] .

ـ وعن الأَحنف بن قيس قال: قال عمر: (تَفقَّهُوا قبل أن تُسَوَّدُوا)[4] .

ـ وعن أسلم: أن عمر كان مع أصحابه في بيت فقال: (أتمنَّى أن يكون ملءُ هذا البيت رجالاً مثلٍ أبي عبيدة بن الجراح ، ومعاذ بن جبل ، وحذيفة بن اليمان؛ فأستعملُهم في طاعة الله)[5] .

ثانياً: أسس اختيار عمر لولاته وشروطه عليهم:

هيمنت عبقرية عمر على أسس اختياره الولاة وشروطه عليهم ، وكان في ذلك بارعاً رائعاً دقيقاً ورعاً نبيلاً ، يشاور كبار الصحابة في اختيار

---

(١) مصنف عبد الرزاق (١٥٢٨٨)؛ حياة الصحابة: ٢/ ٣٥ ـ ٣٦ .
(٢) الإصابة: ١/ ٤٩٢؛ حياة الصحابة: ٢/ ٥٤ .
(٣) محض الصواب: ٢/ ٥٢٢؛ السياسة الشرعية، ص ١٩ .
(٤) تقدم: ص ١٦٤ في هذا الكتاب.
(٥) التاريخ الأوسط: ١/ ١٣٨ مطولاً؛ وهو مختصر عند ابن سعد: ٣/ ٤١٣؛ والحلية: ١/ ١٠٢ .

الوالي ، ويَسبُر شخصيته ويختبره ويسأل عنه ، ويُشهد عليه الناس ، ويحرص على أن يكون متمتعاً بصفات الحَصَافة والحزم والرأفة واللِّين والحلم والرفق والهيبة والتواضع واتباع السنة ، ولا يولي أهل البادية على أهل المدن ، ولا من يطلب الولاية ويرغب فيها ، وأن لا يكون من أقاربه ، وأن يكون زاهداً في الدنيا طعاماً ولباساً ودوراً ورياشاً.

والذي يتفحَّص سِيَر ولاة عمر وهَدْيَهم في الرعية؛ يجد أنهم كانوا مضربَ المَثَل في كل باب من أبواب الخير ، وقد أقروا عين الفاروق فيما كان يسعى إليه ، وأسعدوا البشرية وسجَّلوا في وجه التاريخ أروعَ ملاحم الإنسانية والحضارة والمدنية النبيلة.

ويمكن إجمال الأسس والشروط التي أخذ عمر نفسَه بها في تخيُّر الولاة ، فيما يلي:

١ ـ استشارة مجلس الشورى وذوي الرأي:

كان عمر يستشير ذوي الرأي وأعضاء مجلس الشورى ، وربما جمع الناس في المسجد ليقيم شورى عامة في تعيين الأمراء والقادة.

من ذلك أنه أراد أن يبعث والياً على الكوفة ، فقال: (ما تقولون في تولية رجل ضعيفٍ مسلمٍ ، أو رجلٍ قوي مشدِّد؟ فقال المغيرة بن شعبة: أما الضعيفُ المسلم فإن إسلامَه لنفسه وضعفَه عليك ، وأما القويّ المشدِّد فإن شِداده لنفسه وقوته للمسلمين. فقال عمر: فإنا باعثوكَ يا مغيرة) ، فولاه الكوفة[1].

---

(١) تاريخ الطبري: ٤/ ١٦٥.

وفعل مثل ذلك عندما أراد تولية قائد عام لجيوش العراق ، فأشاروا عليه بسعد بن أبي وقاص[1] .

٢ ـ اختبار الولاة قبل التولية:

وقد حدث ذلك من الفاروق مراراً ، وقد تطول مدة الاختبار كما جرى مع الأحنف بن قيس حيث يقول: (قدِمتُ على عمر بن الخطاب فاحتَبَسني عنده حَوْلاً ، فقال: يا أحنفُ ، قد بَلوتُك وخبرتُك فرأيت أن علانيتك حسنة ، وأنا أرجو أن تكون سريرتُك مثلَ علانيتك ، وإنا كنا نتحدث إنما يهلك هذه الأمة كل منافق عليهم. ثم قال له عمر: أتدري لِمَ احتبستُك؟) وبيَّن له أنه أراد اختباره ، ثم ولاّه[2] .

وجرى له مثل ذلك عندما ولى على القضاء: القاضي شريحاً[3] ، وكعب بن سُوْر[4] .

٣ ـ القوة والأمانة:

لقد أوضح القرآن أهم صفتين لتولي الأعمال ، فقال تعالى: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾ [القصص:٢٦] ، والقوة تختلف بحسب تنوع الولاية؛ فحاجةُ الولاية العسكرية إلى الشجاعة والخبرة بالحرب ، وحاجة الولاية السياسية إلى العلم بالعدل ومعرفة أحكام الشرع والقدرة على تنفيذها. واجتماعُ القوة والأمانة في الناس قليل ، لذلك يحتاج

---

(١) انظر ما تقدم: ص٥٧٣ ـ٥٧٤ في هذا الكتاب.
(٢) مناقب عمر ، لابن الجوزي، ص ١١٧ ؛ الولاية على البلدان، ص ١٩٠ .
(٣) تقدم الخبر: ص٣٦٧ في هذا الكتاب.
(٤) تقدم: ص٤٧٠ في هذا الكتاب.

الخليفة إلى الاستقصاء عنهم ، وهو مكلَّف بتعيين الأمثل فالأمثل إنْ لم يجدْ من تتوفر فيه الصفتان[١].

وقد سار عمر على هذا النهج في اختيار الأصلح والأمثل والأقوى والأكفأ ، وكان يقول: (إني لأتحرَّجُ أن أستعملَ الرجلَ وأنا أَجِدُ أقوى منه)[٢]. وأوضح ذلك عندما استقبل الخلافة وخطَب الناس فقال: (فمن كان بحضرتنا باشَرْناه بأنفسِنا ، ومهما غاب عنا ولَّيْنَا أهلَ القوة والأمانة)[٣].

وقد عزل شُرَحْبيلَ بن حَسَنة واستعمل معاويةَ بن أبي سفيان ، فقال له شُرَحْبيل: أعَنْ سُخْطةٍ عزلتني يا أمير المؤمنين؟ قال: لا ، إنك لكَما أُحبُّ ، ولكني أريدُ رجلاً أقوى من رجل. فطلب شرحبيل من عمر أن يُعلِن ذلك على ملأ من الناس ، ففعل عمر[٤].

٤ ـ تقديم أصحاب العلم والفقه:

وهذه صفة جليلة لها أهميتها ، وهي تتكامل مع القوة والأمانة ، ليكون الوالي قدوة حسنة للرعية ، ويقيم فيهم مبادئ الإسلام عن علم ودراية وفهم للواقع.

ويتجلى تحقق هذا الشرط بنظرة حصيفة في أسماء الولاة في عهد عمر ، من أمثال: سعد بن أبي وقاص ، وأبي موسى ، وأبي هريرة ،

---

(١) السياسة الشرعية ، لابن تيمية، ص ١٧ ـ ٢١؛ عصر الخلافة الراشدة، ص ١١٥.

(٢) طبقات ابن سعد: ٣/ ٣٠٥.

(٣) المرجع السابق: ٣/ ٢٧٤.

(٤) تاريخ الطبري: ٤/ ٦٤ ـ ٦٥.

والمغيرة ، وابن مسعود ، وحذيفة ، ومعاوية ، وعمرو بن العاص ، وأبي عبيدة. . .

٥ ـ البصر بالعمل والخبرة به:

فكان عمر ينظر إلى صلاح الرجل للولاية وخبرتِه بأهل البلد الذي يعينه فيه ، وبصرِه بأحوال الناس هناك ، فقد كان يستعمل قوماً ويَدَعُ أفضَلَ منهم لبصرهم بالعمل. والتفضيل هنا إنما يعني أن أولئك الذين تركهم عمر ، كانوا أفضَلَ ديناً وأكثرَ ورعاً وأكرمَ أخلاقاً ، ولكن خبرتَهم في تصريف الأمور أقلُّ من غيرهم[١].

٦ ـ اعتبار الأعراف والطبائع وأحوال المجتمع:

فقد عُهِد من عمر أنه كان لا يولي أهلَ البادية على أهل الحَضَر ، وهي نظرة اجتماعية سلوكية في آن واحد معاً ، فلكل من أهل الوَبَر وأهل المَدَر طبائع خاصة وخصائص وعادات وأعراف مختلفة[٢].

٧ ـ الوالي من أهل البلد (أحياناً):

وربما اختار عمر للناس والياً من أنفسهم ، لِما يرى من المصلحة في ذلك ، زيادة على أن (الوالي المختار) جديرٌ بالولاية ، كما فعل ذلك مثلاً عند توليته جرير بن عبد الله البَجَلي على قومه (بَجِيلة) ، وكذلك ولَّى سلمانَ الفارسي على (المدائن) بعد فتحها ، وولى نافع بن عبد الحارث على (مكة) ، وعثمان بن أبي العاص على (الطائف). ولعل

---

(١) نظام الحكم في الشريعة والتاريخ، لظافر القاسمي: ٢/ ٤٨٢؛ الولاية على البلدان، ص ٣٧٥ ـ ٣٧٦.

(٢) تاريخ الطبري: ٣/ ٥٩٥؛ الولاية على البلدان، ص ١٩٢.

الفاروق كان يرمي إلى أهداف معينة يستطيع ذلك الشخص تحقيقها أكثر من غيره[1].

٨ ـ الرأفة والرحمة والشفقة على الرعية:

وهذا المبدأ أوضحه أمير المؤمنين في موقفٍ رائع ، فعن أبي عثمان النَّهْدي قال: (استعمل عمر بن الخطاب رجلاً من بني أَسَد على عمل ، فجاء يأخذُ عهدَهُ ، قال: فأُتِي عمر ببعضِ ولدِه فقبَّله ، فقال الأَسَديُّ: أَتُقبِّل هذا يا أمير المؤمنين؟! والله ما قبَّلْتُ ولداً قطُّ! قال عمر: فأنتَ والله بالناس أقلّ رحمةً ، هاتِ عهدنا ، لا تعمل لي عملاً أبداً. فردَّ عهده)[2].

٩ ـ طالب الولاية لا يولّى:

وهذا مبدأ نبوي؛ قال رسول الله ﷺ: «**إنَّا واللهِ لا نُولِّي على هذا العملِ أحداً سأَلَهُ ، ولا أَحداً حَرَصَ عليه**»[3].

وعلى هذا الهدي سار عمر ، من ذلك (أن فتى شابّاً كان قد أعجبَ عمرَ ، فلما أراد الفتى الخروجَ إلى بلده قال: يا أمير المؤمنين ، أخلني فإنَّ لي حاجةً ، فأَخْلَاه ، فقال: إني أردت الانصراف إلى بلدي ، فإنْ

---

(١) الولاية على البلدان، ص ١٩١.
(٢) السنن الكبرى ، للبيهقي: ٩/ ٤١؛ حياة الصحابة: ٢/ ٨٩؛ محض الصواب: ٢/ ٥١٩ ـ ٥٢٠؛ وبنحوه في الأدب المفرد، ص (٩٩).
(٣) أخرجه البخاري (٧١٤٩)؛ ومسلم (١٧٣٣) في كتاب الإمارة ، باب (٣)؛ وابن حبان (٤٤٨١).

رأى أمير المؤمنين أن يولِّيني القضاءَ! فقال عمر: لقد كدتَ تغرُّني ، إن هذا الأمر لا يقوم به مَن أحبَّه)[1] .

١٠ ـ لا يولي أمر الناس غير مسلم من نصراني ونحوه:

كان (أُسّق) غلاماً لعمر ، وكان نصرانيّاً ، فقال له عمر: (أَسْلِم ، فإنك إن أسلمتَ استعنتُ بك على أمانة المسلمين ، فإنه لا ينبغي لي أن أستعينَ على أمانتهم من ليس منهم)[2] .

وعن عِياض الأشعري قال: (قدِمَ على عمر فتحٌ من الشام ، فقال لأبي موسى الأشعري: ادعُ كاتبك يقرأه على الناس في المسجد ، فقال أبو موسى: إنه نصراني لا يدخل المسجد ، فقال عمر: ولِمَ استكتبتَ نصرانيّاً؟!)[3] .

١١ ـ منع الولاة من العمل في التجارة:

وهذا المبدأ يحقق أموراً جليلة في مقدمتها طهارة سِير الولاة وبُعدهم عن الشبهات ، لأن دخولهم في التجارة يجعل الناس يحابونهم ويداهنونهم في الصفقات كسباً لرضاهم. وكذلك تفرغ الولاة لأعمالهم وإدارة شؤون البلاد. إضافة إلى حفظ هيبتهم ومكانتهم ، فإن هيشات الأسواق لا تفرق بين الكبار والرَّعاع! .

روي أن عاملاً لعمر اسمه الحارث بن كعب بن وَهْب ظهر عليه الثراء ، فسأله عمر عن مصدر ثرائه ، فقال: خرجت بنفقة معي فاتَّجرتُ

---

(١) تاريخ المدينة ، لابن شبة: ٣/ ٨٥٦؛ الولاية على البلدان، ص ١٩٤ .

(٢) تقدم: ٣٩ في هذا الكتاب .

(٣) محض الصواب: ٢/ ٥١٤ .

بها ، فقال عمر: أما والله ما بعثناكم لتتَّجِروا ، وأخذ منه ما حصل عليه من ربح[1] .

١٢ ـ وكان يشترط على عماله شروطاً:

عن عُمارة بن خُزيمة بن ثابت قال: (كان عمر بن الخطاب إذا استعمل عاملاً كتب عليه كتاباً وأشهدَ عليه رهْطاً من المهاجرين والأنصار: أن لا يَركب بِرْذَوناً ، ولا يأكل نقيّاً ، ولا يلبس رقيقاً ، ولا يُغلق بابه دون حاجات المسلمين. فإن فعلتم شيئاً من ذلك فقد حلَّتْ بكم العقوبة. ثم يقول: اللهم اشهد)[2] .

١٣ ـ لا يولي أحداً من أقاربه:

وقد فعل أمير المؤمنين ذلك لهدفين كبيرين:

الأول: أن يجنِّب أقاربه فتنة الحكم ، ولئلا يَروا أنهم بقرابتهم للخليفة يَستعلُون على الناس ، ويستخفُّون بحقوقهم ، ويأكلون ما ليس لهم بحق مادي أو أدبي.

والثاني: أن يحفظ الرعيةَ من أخلاق المداهنة والتزلُّف إلى أقارب (رئيس الدولة) ، وليحفظَ حقوقهم من الاختلاس أو الضياع أو البخس أو الرشوة وغير ذلك.

ومع أن بعض أقارب عمر كانوا من أكابر الصحابة من أمثال ابنه

---

(١) عمر بن الخطاب، للدكتور علي الصلابي، ص ٤٠٤ .

(٢) مصنف ابن أبي شيبة: ٧/ ٦٢٥؛ تاريخ الطبري: ٤/ ٢٠٧ ـ ٢٠٨؛ محض الصواب: ٢/ ٥١٠؛ حياة الصحابة: ٢/ ٨. **البرذون**: التركي من الخيل، نهى عنه عمر لأن في ركوبه خيلاء. **النقي**: الخبز الأبيض.

عبد الله وابن عمه سعيد بن زيد ، وهم أهل للولاية والإمارة ، لكن عمر نأى بهم عنها ، بل لم يرشِّح أحداً من أقاربه مع الذين رشحهم للخلافة بعده.

عندما شكى إعضالَ أهلِ الكوفة له في ولاتهم وتألُّبهم عليهم ، قال: لَوَدِدتُ أني وجدتُ قوياً أميناً مسلماً أستعملهُ عليهم! فقال رجل: يا أمير المؤمنين ، أنا واللهِ أدلُّكَ على الرجل القويِ الأمين المسلم! قال: من هو؟ قال: عبد الله بن عمر ، قال عمر: قاتَلَك الله ، والله ما أردتَ الله بها![1].

وكان يقول: (مَن استعمل رجلاً لمودَّة أو قرابةٍ لا يشغلُه إلا ذاك؛ فقد خان الله ورسوله والمؤمنين ، ومن استعمل فاجراً وهو يعلم أنه فاجر فهو مثله)[2].

١٤ ـ كتاب العهد للوالي (مرسوم الخلافة في التعيين):

وكان من طريقة عمر: أنه يكتب عهداً للولاة عند تعيينهم ، ويُشهِد على ذلك بعض الصحابة ، ويُقرأ نص الكتاب على أهل المِصْر المعيَّن عليهم ، وإذا كان العامل المرشح غائباً في بلد آخر؛ كتب إليه يأمره بالتوجه إلى البلد الذي تمَّ تعيينه والياً عليه ، كما جرى ـ مثلاً ـ مع العلاء بن الحَضْرمي. وهكذا أيضاً إذا كانت هناك أمور عزل وتعيين ، فيتضمن الكتاب عزل الأمير الأول وتعيين آخر مكانه[3].

---

(١) مناقب عمر ، لابن الجوزي، ص ١٠٧؛ أخبار عمر، ص ١٣٠.

(٢) مناقب عمر ، لابن الجوزي، ص ١٢٠؛ الولاية على البلدان، ص ١٨٩.

(٣) الولاية على البلدان، ص ١٩٤، ٣٨٠.

عن حارثة بن مُضَرِّب قال: (قرأتُ كتابَ عمر بن الخطاب إلى أهل الكوفة: أما بعدُ، فإني بعثتُ إليكم عمار بن ياسر أميراً، وعبد الله بن مسعود معلِّماً ووزيراً. . .)[1].

١٥ ـ ليس لمدة الولاية أمد محدد:

مدة الولاية على الإقليم غير محددة، بل تخضع لنجاح الوالي وظروف الولاية، لذلك فإن بعض الولاة تطول ولايتهم مثل معاوية بن أبي سفيان إلى عشرين سنة، وبعضهم تقصر ولايته إلى سنة أو أقل مثل سعيد بن عامر والي حمص[2].

١٦ ـ الولاة من الصحابة:

باستقراء ولاة عمر نجدُ أنهم جميعاً من الصحابة، وذلك لتحلِّيهم بأجمل الصفات وأرفع المؤهلات من جهة، ولثقةِ الخليفة بهم ومنزلتهم عند الناس واحترامهم لهم من جهة أخرى، ولكونهم أقدرَ الناس على نقل تعاليم الرسالة لأنهم شهدوا التنزيل وأخذوا من رسول الله ﷺ بلا واسطة من جهة ثالثة.

ثالثاً: أوامر وتوجيهات ونصائح للولاة (تعاميم رئاسية):

كان كثير من الولاة شغل منصب الوالي ومنصب قائد الفتوحات، وكان أمير المؤمنين دائمَ الصلة بهم وبرعيتهم في مختلف الأمصار، ويحمِّل الوالي كتابَ توليته وأوامرَه وتوجيهاته له، وتستمر المكاتبة

---

(١) طبقات ابن سعد: ٦/ ٧.

(٢) عصر الخلافة الراشدة، ص ١١٦؛ الولاية على البلدان، ص ٣٨٢.

والمناصحة فيما فيه مصلحة الدين والأمة والرعية.

١ ـ فمن كُتبه العامة التي تكاد تكون عنواناً لكل الولاة والقادة؛ كتابه إلى أهل الأمصار:

(إني لم أستعمل عليكم عمَّالي ليضرِبوا أبْشَارَكم، وليشتموا أعراضكم، ويأخذوا أموالكم، ولكني استعملتُهم ليعلِّموكم كتابَ ربكم وسنَّةَ نبيكم، فمن ظلَمَه عاملُه بِمَظْلِمَةٍ فلا إذْنَ له عليَّ، ليرفَعْها إليَّ حتى أُقِصَّه منه...)[١].

٢ ـ وعن أبي موسى الأشعري قال: (إن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بعثني إليكم أعلِّمكم كتاب ربكم عز وجل، وسنَّةَ نبيكم ﷺ، وأنظف لكم طرقكم)[٢].

٣ ـ وعن سعيد بن أبي بُرْدَة قال: كتب عمر إلى أبي موسى الأشعري: (أما بعدُ: فإن للناس نفرةً عن سلطانهم، فأعوذُ بالله أن تدركَني وإياكَ عمياءُ مجهولة وضغائنُ محمولة. أقمِ الحدودَ ولو ساعةً من نهار. وإذا عَرض لك أمران أحدُهما لله والآخر للدنيا، فآثِرْ نصيبَك من الله، فإن الدنيا تنفدُ والآخرةَ تبقى. وأَخِيفُوا الفسَّاقَ واجعلوهم يداً يداً ورجلاً رجلاً[٣]. وعُدْ مرضَى المسلمين، واشهَدْ جنائزَهم، وافتح لهم بابَكَ، وباشِرْ أمورَهم بنفسك، فإنما أنت رجل منهم، غيرَ أن الله جعلك أثقلَهم حِمْلاً. وقد بَلَغني أنه قد فَشَا لك ولأهل بيتك هيئةٌ في

---

(١) تقدم بتمامه: ص٣٧٢ ـ ٣٧٣ في هذا الكتاب.

(٢) الحلية: ١/ ٢٥٧؛ سنن الدارمي (٥٦٠).

(٣) أي: فرقهم، فإنهم إن اجتمعوا وسوس الشيطان بينهم بالشر.

لباسِك ومطعمك ومركبك ليس للمسلمين مثلُها! فإياك يا عبد الله أن تكون بمنزلة البهيمة ، مرَّتْ بوادٍ خصيبٍ فلم يكنْ لها همٌّ إلا السِّمَن ، وإنما حتفُها في السِّمَن. واعلَمْ أن العامل إذا زاغَ زاغتْ رعيتُه ، وأشقى الناس من شقِيَ الناسُ به. والسلام)[١].

٤ ـ وعن عامر الشعبي قال: (كتب عمر بن الخطاب إلى العلاء بن الحَضْرمي وهو بالبحرين[٢]: أن سِرْ إلى عُتبة بن غَزْوان فقد ولّيتُك عملَه ، واعلم أنك تقدَمُ على رجل من المهاجرين الأولين الذين سبقتْ لهم من الله الحسنى ، لم أعزِلْه ألا يكون عفيفاً صَليباً شديدَ البأس ، ولكنني ظننتُ أنك أغنَى عن المسلمين في تلك الناحية منه ، فاعرفْ له حقَّه)[٣].

٥ ـ وكتب إلى معاوية بن أبي سفيان: (أما بعدُ: فالزم الحقَّ يَبيِّن لك الحق منازلَ أهل الحق ، ولا تقضِ إلا بالحق ، والسلام)[٤].

٦ ـ وكتب إلى واليه على مصر عمرو بن العاص: (أما بعدُ ، يا عمرو! إذا أتاك كتابي فابعثْ إليَّ جوابَه ، تصِفُ لي مصر ونيلَها وأوضاعها ، وما هي عليه ، حتى كأنني حاضِرُها!)[٥].

٧ ـ وكتب إلى عامله على أَذْرَبِيجان عُتْبة بن فَرْقَد: (يا عتبةَ بنَ فَرْقَدٍ ،

---

(١) عيون الأخبار: ١/ ١١ ؛ مجموعة الوثائق السياسية، ص ٤٣٦ ـ ٤٣٧ ؛ وبنحوه عند ابن أبي شيبة: ٨/ ١٤٧ ؛ والحلية: ١/ ٥٠.

(٢) هي الآن منطقة (الإحساء) في المملكة العربية السعودية.

(٣) طبقات ابن سعد: ٤/ ٣٦٢.

(٤) محض الصواب: ٢/ ٥٥٤ ؛ حياة الصحابة: ٣/ ٥٠٠.

(٥) مجموعة الوثائق السياسية، ص ٤٩٧.

إنه ليس من كَدِّكَ ولا من كَدِّ أبيك ولا من كدِّ أمِّكَ ، فأَشْبِـع المسلمين في رِحالِهم مما تشبعُ منه في رَحْلِك ، وإياكم والتَّنَعُّمَ ، وزيَّ أهل الشِّرك ، ولَبُوسَ الحَرير ؛ فإن رسول الله ﷺ نَهى عن لَبُوسِ الحرير)[1] .

٨ ـ وكتب إلى أبي موسى الأشعري : (أما بعدُ : فإنَّ القوةَ في العمل أن لا تؤخِّروا عملَ اليوم لغدٍ ، فإنكم إذا فعلتم ذلك تداوَلَت عليكم الأعمال فلا تدرون أيها تأخذون ، فأَضَعْتُم !)[2] .

وتوالت كتبه باستمرار إلى الولاة وقادة الفتوحات والقضاة ، فيها أوامره وتوجيهاته ونصائحه وإجاباته عن الكتب وحلّ المشكِلات والمعضلات ، في مختلِف شؤون الدين والدولة وسياسة الرعية والقضاء وغير ذلك ، وقد مرَّ وسيمرّ الكثير الطيِّب من كتب الفاروق رضي الله عنه وأرضاه .

* * *

---

(١) مسلم (٢٠٦٩) ؛ وانظر ما تقدم : ص٢٩٩ حاشية (٢) في هذا الكتاب .
(٢) السنن الكبرى ، للبيهقي : ١٠/ ٣٥ ، محض الصواب : ٢/ ٥٤٩ ؛ حياة الصحابة : ٢/ ١٢٤ .

الفصل الثاني

حقوق الولاة وواجباتهم وأعمالهم

للولاة حقوق أدبية ومادية يتوجب أداؤها لهم ، كي يقوموا بواجباتهم على أكمل وجه ، وهذه الحقوق بعضها متعلِّق بأمير المؤمنين (رئيس الدولة) ، وبعضها الآخر يتوجب على الرعية.

بينما تترتب الحقوق المادية على بيت مال المسلمين ، للوفاء بمتطلبات العيش الكريم للوالي وأهل بيته وأضياف دار الإمارة.

وبمقابل ذلك يُناط بالأمراء أعمال كبار تتعلق بحقوق الدين والرعية ، يجب عليهم أداؤها على أكمل وجه ، وهم محاسَبون عليها أمام الله تعالى ، وكذلك أمام (رئيس الدولة) والأمة.

أولاً: حقوق الولاة[1]:

باستقراء آيات الكتاب العزيز وأحاديث السنة المطهرة والوقائع في السيرة النبوية وعهد الخلفاء الراشدين؛ يمكن إجمال تلك الحقوق بما يلي:

١ ـ الطاعة في غير معصية الله:

وواجب طاعة الرعية للأمراء قررته الآية الكريمة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ

---

(١) انظر: الولاية على البلدان، ص ٣٨٨ ـ ٤٠٠.

﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

والأحاديث في ذلك كثيرة، وهذه الطاعة مشروطة بطاعة الله ورسوله.

٢ ـ بذل الرعيةِ النصيحةَ للولاة:

وذلك من منطلق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعملاً بقول النبي ﷺ: «**الدين النصيحة**» ـ ثلاث مرات ـ قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: «**لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**»[1].

٣ ـ إيصال الرعيةِ الأخبارَ الصحيحة للوالي:

وذلك فيما يخص أحوال العامة، وشؤون الموظفين، وأخبار الأعداء، وما يتعلق بشؤون الجهاد والفتوحات.

٤ ـ مؤازرة الوالي في موقفه:

ويشمل ذلك عون الخليفة، ومؤازرة الرعية، فيما فيه المصلحة العامة للإسلام والمسلمين.

٥ ـ حق الاجتهاد:

فالوالي يكون من العلماء الفقهاء، فيحق له الاجتهاد في المسائل التي يكون فيها مجال الاجتهاد مفتوحاً، وقد خالف ابنُ مسعود وغيره أميرَ المؤمنين في عشرات القضايا الاجتهادية[2].

---

(١) أخرجه مسلم (٥٥)؛ وأبو داود (٤٩٤٤)؛ وابن حبان (٤٥٧٤)، وغيرهم.
(٢) انظر: الولاية على البلدان، ص ٣٩٢ ـ ٣٩٣.

٦ ـ **احترام الولاة بعد عزلهم:**

والإبقاء على مكانتهم ومنزلتهم سواء عند الخليفة ، أو عند الوالي الذي يَخْلُفه ، وعند عامة الرعية .

وقد طبَّق عمر ذلك في مواقف عديدة ، من ذلك قوله في سعد بن أبي وقاص : (فإني لم أعزلْه عن عجز ولا خيانة)[١] .

وتقدَّم قولُه للعلاء بن الحَضْرمي في عُتْبة بن غَزْوَان[٢] ، وكذلك عندما عزل شُرَحْبيل بن حَسَنة وولى مكانه معاوية[٣] .

٧ ـ **الحقوق المادية:**

ويشمل ذلك : المرتبات ، والبيت ، والدابة (السيارة) ، وضيافة دار الإمارة ونحو ذلك .

وقد فرض أمير المؤمنين عمر للولاة مرتبات مجزية تكفل لهم الحياة الفاضلة الكريمة ، وقد جاء في ذلك نصوص كثيرة ، فكانت لهم مرتبات يومية أو شهرية أو سنوية .

فكان راتب عمرو بن العاص (٢٠٠ دينار) في الشهر ، وراتب عياض بن غَنْم (دينار وشاة ومُدّ)[٤] كل يوم . وابن مسعود (نصف شاة ورأسها وجلدها وأكارعها) كل يوم . وعثمان بن حُنَيْف (ربع شاة وخمسة

---

(١) البخاري (٣٧٠٠) .
(٢) انظر : ص٦٤١ في هذا الكتاب .
(٣) انظر : ص٦٣٣ في هذا الكتاب .
(٤) المد يساوي (٦٧٥ جراماً) .

دراهم) كل يوم. وكان مرتب معاوية (١٠ آلاف دينار) في السنة. هذا فضلاً عن الأعطيات من الدواوين.

والاختلاف في المرتبات بسبب تغير الأحوال والبلدان[١].

●● وقد كَره بعضُ العمال أخذَ الراتب على أعمالهم، فكان عمر يأمرهم بأخذها عملاً بالتوجيه النبوي الكريم.

ومن الوقائع ما جرى بينِ عمر وأحد (ولاة الصدقة) وهو عبد الله بن السَّعْدي، يقول: (استعملَني عمر بن الخطاب على الصدقة، فلما فرغتُ منها وأدَّيتُها إليه، أَمر لي بعُمَالَةٍ، فقلت: إنما عملتُ لله، وأَجْري على الله! فقال: خُذْ ما أُعْطِيتَ، فإني عملتُ على عهد رسول الله ﷺ فَعَمَّلَنِي، فقلتُ مثلَ قولك، فقال لي رسول الله ﷺ: «**إذا أُعْطِيتَ شيئاً من غيرِ أن تَسْأَل، فَكُلْ وَتصدَّقْ**»).

وفي رواية: أن قيمة هذا العطاء كانت (١٠٠٠ دينار)[٢].

وأعطى عمر أبا عبيدة بن الجراح على عمل عمله (١٠٠٠ دينار)، (فقال أبو عبيدة: إني لم أعمل لك يا ابنَ الخطاب، إنما عملتُ لله، ولست آخُذُ في ذلك شيئاً! فقال عمر: قد أَعطانا رسول الله ﷺ في أشياء بَعَثَنا لها، فكَرِهْنا ذلك، فأبَى علينا رسول الله ﷺ، فاقْبَلْها أيها

---

(١) طبقات ابن سعد: ٤/ ٢٦١، ٦/ ٨، ٧/ ٣٩٨؛ سير أعلام النبلاء: ٢/ ٣٢٠؛ عصر الخلافة الراشدة، ص ١٣٠؛ الولاية على البلدان، ص ٣٩٨.

(٢) أخرجه البخاري (٧١٦٣)؛ ومسلم (١٠٤٥) (١١٢)؛ وابن حبان (٣٤٠٣، ٣٤٠٥)، وغيرهم. **العُمالة**: ما يُعطاه العامل على عمله. **فعَمَّلني**: أعطاني أجرة عملي.

الرجل ، فاستعِنْ بها على دِينك ودنياك! فقبِلها أبو عبيدة)[1].

ثانياً: واجبات الولاة وأعمالهم:

يتوجب على الوالي أن يقوم بمهمات وأعمال تقارب واجبات الخليفة لكن في جزء محدد من الدولة الكبرى ، وعليه أن يجمع بين المهام الدينية والدنيوية. ويمكن من خلال كُتب عمر للولاة وللرعية ، وكذلك من الاستقراء التاريخي لأعمال الولاة ومسيرتهم في الولاية ـ استنباطُ الواجبات الملقاة على عاتقهم.

في خطبة جمعة لأمير المؤمنين ذكر المهام الكبرى للولاة فقال: (اللهمَّ إنِّي أُشْهدك على أمراء الأمصار؛ فإني إنما بَعثْتُهم: ليعلِّموا الناسَ دينَهم وسنَّةَ نبيِّهم ، ويَعْدِلَوا عليهم ، ويَقْسِموا فَيْئَهم بينَهم ، ويَرفعوا إليَّ ما أَشْكَل عليهم من أمرهم)[2].

وقال في كتابه إلى أبي موسى: (أقمِ الحدودَ ولو ساعة من نهار. . . أخِفِ الفسَّاقَ ، عُدْ مرضى المسلمين ، وافتح لهم بابك ، وباشِرْ أمورَهم بنفسك. . .).

وكتب إلى عتبة بن فَرْقد: (فأَشْبعِ المسلمين في رِحالهم. . . إياك ولَبُوسَ الحرير)[3].

ويمكن إجمال واجبات الولاة وأعمالهم فيما يلي:

---

(١) السنن الكبرى ، للبيهقي: ٦/ ٣٥٤؛ حياة الصحابة: ٢/٢٤٨.

(٢) صحيح مسلم (٥٦٧)؛ طبقات ابن سعد: ٣/ ٣٣٦.

(٣) انظر ما تقدم: ص٦٣٩ ـ ٦٤٢ في هذا الكتاب.

١ ـ إقامة أمور الدين الإسلامي:

ويشمل ذلك: نشر الإسلام في البلاد المفتوحة، ويعاون الوالي في هذا جماعة من العلماء والدعاة[١]، وإقامة الصلاة، وحفظ الدين وأصوله، وتخطيط المساجد وبناءها، وتيسير أمور الحج، وإقامة الحدود ما عدا حد القتل فلا يُنفذ إلا بعلم عمر[٢].

٢ ـ تأمين الناس في بلدانهم:

وذلك بملاحقة الفساق والتضييق على أصحاب الجنايات والجرائم، (أخِفِ الفسَّاقَ واجعلهم يداً يداً ورِجْلاً رِجْلاً)[٣].

٣ ـ تأمين حدود الدولة ومتابعة الجهاد والفتوحات:

وذلك بحماية الولاية من الأعداء المتاخمين لها، وتحصين الثغور وشحنها بالجنود، وتدريب الرجال والصبيان على الفروسية والسباحة والرمي[٤].

٤ ـ تنفيذ المعاهدات وعقود الصلح:

وقد تم ذلك على يدي الولاة وقادة الفتوحات، وحفظ التاريخ لنا وثائق هامة وكثيرة جدّاً، وقد جمع الكثير الطيب منها محمد حميد الله في كتابه «مجموعة الوثائق السياسية».

---

(١) انظر ما كتبناه في (المؤسسة التعليمية): ص ٤٠٤ وما بعدها، في هذا الكتاب.

(٢) الولاية على البلدان، ص ١٨٥ ـ ١٨٦، ٤٠١ ـ ٤٠٨.

(٣) المرجع السابق، ص ٤٠٨ ـ ٤٠٩.

(٤) عصر الخلافة الراشدة، ص ١١٧؛ الولاية على البلدان، ص ٤١٠ ـ ٤١٦.

٥ ـ الشؤون المالية وتأمين الرواتب والأرزاق للناس:

فالوالي هو المسؤول العام عن شؤون المال في ولايته ، ويعاونه أمناء بيت المال وأصحاب الديوان ، في توزيع الرواتب والأرزاق والعطاء وغير ذلك مما أوضحناه في حديثنا عن «المؤسسة المالية»[1].

٦ ـ تعيين العمال والموظفين:

فالولاية في الغالب تتكون من (بلد رئيس) إضافة إلى بلدان وأقاليم أخرى تابعة للمركز ، وهي بحاجة إلى تنظيم أمورها ، فكان الولاة يعيِّنون من قِبَلهم عمالاً وموظفين في تلك المناطق ، سواء كانوا في مستوى أمراء ، أو عمال خَرَاج . وقد يكون تعيينهم بأمر الخليفة ، أو من الوالي مباشرة[2].

٧ ـ رعاية أهل الذمة:

كانت رعايةُ أهل الذمة واحترامُ عهودهم والقيام بحقوقهم ، ومطالبتهم بما يتوجب عليهم للمسلمين ، وتتّبعُ أحوالهم ، وأخذُ حقوقهم ممن يظلمهم . . . كل ذلك من واجبات الوالي[3].

وقد كثُرت عنايةُ عمر بهم ، وكتبه إلى الولاة للرفق بهم والوفاء لهم ، حتى إنه كتبها في وصيته عند استشهاده فقال : (وأُوصِي الخليفةَ من بعدي بذمَّة الله وذمة رسوله ﷺ : أن يُوفَى لهم بعهدِهم ، وأن يُقاتَلَ مِن

---

(١) وانظر : الولاية على البلدان، ص ٤١٧ ؛ عصر الخلافة الراشدة، ص ١١٧ .
(٢) الولاية على البلدان، ص ٤١٩ .
(٣) المرجع السابق، ص ٤٢٠ .

ورائِهم ، ولا يُكَلَّفوا إلا طاقتَهم!)[١] .

٨ ـ مشاورة أهل الرأي:

كان الفاروق إماماً في هذا ، ولقد شدَّد على الولاة والقادة فيه ، فكان يأمرهم ويؤكد عليهم في مشاورة أهل الرأي[٢] .

٩ ـ الإشراف على شؤون العمران:

ومن واجبات الوالي الإشراف على عمران الأقاليم من حفر الأنهار والعيون، وإنشاء الجسور، وتخطيط المدن، وتعبيد الطرق، وبناء المساجد والأسواق ، وتأمين المياه ، وإقطاع الأراضي لبناء الدور للسكان[٣] .

١٠ ـ مراعاة الأحوال الاجتماعية لسكان الولاية:

وكان دأبُ عمر أن يَسأل الناس عن ولاتهم وحسنِ سياستهم مع الرعية ، (فكان الوفد إذا قدِموا على عمر سألَهم عن أميرهم ، فيقولون خيراً ، فيقول: هل يعود مرضاكم؟ فيقولون: نعم ، فيقول: هل يعود العبد؟ فيقولون: نعم ، فيقول: كيف صنيعُه بالضعيف ، هل يجلس على بابه؟ فإن قالوا لخصلة منها: لا ، عَزَله)[٤] .

---

(١) البخاري (٣٧٠٠) .
(٢) انظر ما تقدم: ص ٣٦٣ ـ ٣٦٥ في هذا الكتاب.
(٣) عصر الخلافة الراشدة، ص ١١٧ ؛ الولاية على البلدان، ص ٤٢١ ـ ٤٢٣ ؛ وانظر ما كتبته في مبحث «التخطيط والعمران»: ص ٤٩٦ وما بعدها في هذا الكتاب.
(٤) تاريخ الطبري: ٤/ ٢٢٦، الولاية على البلدان، ص ٤٢٣ .

وأمر الولاة أن يفتحوا أبوابهم للناس ، ولا يتخذوا الحجَّاب ، وأن يقيموا للأشراف منازلهم.

١١ ـ العمل المتواصل ووقت الوالي كله لشؤون الولاية:

فلم يكن لعمل الوالي في ولايته وقت محدد؛ بل بابه مفتوح للناس ، وقد غضب عمر على والي الكوفة سعد بن أبي وقاص حين وضع لداره باباً ، وأمر بإحراقه ، خشية أن يكون ذلك سبباً لاحتجابه عن حوائج الناس[١].

* * *

(١) فتوح البلدان ، ص ٢٥٨. وستأتي قصة إحراق باب دار سعد: ص ٦٦٨ في هذا الكتاب.

الفصل الثالث

متابعة الولاة ومحاسبتهم

تُعتبر سياسةُ عمر وطرائقُه وهديه في محاسبة الولاة ومن يَلوذ بهم قفزةً حضارية إنسانية هائلة ، ليس لها نظير في التاريخ القديم ، ولم ترقَ إليها أنظمة الحكومات العصرية .

وقد سَنَّ في نظام حكومته قوانينَ في متابعة الأمراء تُضارِع القوانينَ العلمية في دقتها وشفافيتها وحياديتها ، وأساسُ ذلك وعمادُه أنه كان يحاسِب نفسَه وأهله وذويه قبل أن يُحاسِب غيرَه ، بل كانت محاسبته لنفسه أقسى منهجاً وأشدَّ عُسراً .

والإطار الذي يعمل فيه الفاروق أنه يرى نفسه مسؤولاً عن كل حدث يحدث في الدولة الإسلامية حتى الجَدْي يعثر على شط الفرات! فيخاف من التقصير في الوفاء بالمسؤوليات الكبار الثِّقال ، وكأنه يتمثل الرعيةَ كل الرعية متعلِّقةً به يوم الحساب والجزاء ، كلٌّ يطالبه بحقِّه وإنصافه من مَظْلِمته التي ربما وقعت من أحد ولاته في أطراف فارس وخراسان والشام ومصر ، ولم تصل إليه! .

لذا كان يُـرْصِد لولاته الرقباءَ والعيونَ من حولهم ، ليرفعوا إليه ما ظهر من أمورهم وما خَفِي منها ، ويَندب وكيلاً يجمع شكايات الشاكين ، ويُنشئ فرقة تفتيشية تجول في الأمصار لمتابعة الولاة ، ويأمر

العمال أن يجتمعوا في مواسم الحج ويلتقوا بالناس فيُقيم المحاسبة على الأشهاد ، وكان يُحصي ثرواتهم قبل الولاية وبعدها ، فيُقاسِمهم ما قد يكون دنت منه شبهة ، وكان يُنزِل في الولاة أقسى العقوبات ، ولربما نالت العقوبة أقاربَ الوالي لقيام الشبهة في استغلالهم قرابته ومنصبه.

بَيْدَ أن أمير المؤمنين ما كان يأخذ ولاته بالتهمة أو يعاقبهم على الظن وبمجرد شكاية الناس عليهم ، فعدلُ عمر يأبى ذلك. ثم إن ولاته قد اختيروا بأدق المواصفات وأفضل الكفاءات وبشورى أهل الرأي. . . لذا كان يتأكد من الشكاية ويتثبت حتى يتبين له الحق الأبلج.

أولاً: متابعة الولاة والتفتيش عليهم:

وضع عمر لنفسه منهجاً سار عليه طيلة مدة خلافته ، وعبَّر عنه بقوله: (أرأيتُم إذا استعملتُ عليكم خيرَ من أعلمُ ثم أمرتُه بالعدل، أَفَقضيتُ ما عليَّ؟ قالوا: نعم، قال: لا، حتى أنظرَ في عمله، أَعمِل بما أمرته أم لا؟)[1].

وروى سعيد بن المسيِّب عن عمر قال: (أَيُّما عاملٍ لي ظَلَم أحداً فبَلَغَتْني مَظْلِمتُه فلم أغيِّرها ، فأنا ظَلَمتُه!)[2].

وتعددت عند عمر وسائل المتابعة والتفتيش على الولاة ، ومن أبرزها:

١ ـ دخول الولاة المدينة المنورة نهاراً:

كان عمر يأمر إذا قدِمَ عليه العمال أن يدخلوا نهاراً ولا يدخلوا ليلاً ،

---

(١) مختصر ابن عساكر: ١٨/ ٣٢١؛ حياة الصحابة: ٢/ ٨٦.

(٢) طبقات ابن سعد: ٣/ ٣٠٥.

حتى يراهم الناس على الحالة التي جاؤوا عليها ، ولكي يظهر ما قد يكون جاؤوا به من أموال ومغانم ، فيسهل السؤال والحساب[1] .

٢ ـ وفود الولايات يكشفون مسيرة ولاتهم:

فكثيراً ما كان عمر يطلب من الولاة أن يبعثوا إليه بأناس من أهل البلاد ، ليسألَهم عن سيرة الوالي في الرعية وعَدْله فيهم وأمور الخَراج وغير ذلك[2] .

٣ ـ سؤال القادمين من الأمصار والولايات إلى دار الخلافة:

حيث يسأل هؤلاء عن أحوال بلدانهم وعملِ أمرائهم فيهم ، وهي طريقة سهلة لا تحتاج غالباً إلى ترتيب مسبق ، كما أنها كثيرة الحدوث بسبب استمرار توافد الناس من الأمصار إلى عاصمة الخلافة أثناء الحج والزيارة[3] .

٤ ـ رسائل البريد والعيون في البلدان:

وقد حرص الفاروق على أن يرسِل البريدَ إلى الولاة في الأمصار ، وكان يـأمر عامل البريد عندما يريد العودة إلى المدينة المنورة أن ينادي في الناس: مَن يريد إرسال رسالـة إلى أمير المؤمنين حتى يحملها إليه دون تدخل من والي البلد. وكـان صاحب البريد نفسه لا يعلم شيئاً عما

---

(١) سراج الملوك، ص ١١٧؛ أخبار عمر، ص ١٣٦؛ عمر بن الخطاب ، للصلابي، ص ٤٢٧ .

(٢) الولاية على البلدان، ص ٤٧٦ .

(٣) الولاية على البلدان، ص ٤٧٥ ـ ٤٧٦؛ وانظر مثالاً على ذلك فيما كتبته: ص ٦٥٠ حاشية (٤) في هذا الكتاب.

في هذه الرسائل ، مما يفسح المجال أمام الناس لرفع أي شكوى أو مَظْلِمة إلى عمر نفسه دون أن يعلم الوالي أو رجاله. وحينما يصل حامل الرسـائل إلى عمر ينثر ما معه من صحف ، فيقرؤها عمر ويرى ما فيها[1]!.

ولم يكن لعمر في قطر من الأقطار ، ولا مِصْرٍ من الأمصار ، ولا ناحيةٍ من النواحي؛ والٍ ولا عاملٌ ولا أميرُ جيش؛ إلا وعليه له عين لا يفارقه ما وجده. فكانت أخبار من بالمشرق والمغرب عنده في كل مُمْسى ومُصْبَح ، وأنت ترى ذلك في كتبه إلى عماله وعمالهم ، حتى كان العامل منهم لَيَتَّهِم أقربَ الخلق إليه وأخصَّهم به[2]!.

وهذا الأسلوب من أبرع الطرق وأدقِّها في متابعة أحوال الولاة والرعية ، والوقوف على المخبَّآت من أمور الناس ، فكأنه جعل الناس (جواسيس) على الأمراء والمسؤولين ، بعكس ما تفعله كثير من أنظمة الحكم في تسليط الجاسوسية على الشعوب!.

٥ ـ موسم الحج مؤتمر مفتوح عام للشكوى والمتابعة:

وكان عمر إذا أراد الحج ـ وقد حج في خلافته عشر سنين ولاءً ـ كتب إلى ولاته يَستقدِمهم في الحج ، ويناقشهم في تصرفاتهم ، ويترك المجال مفتوحاً أمام الحجاج القادمين من مختلِف الأمصار لإبداء

---

(١) تاريخ المدينة ، لابن شبة: ٢/ ٧٦١؛ الولاية على البلدان، ص ٢١٢.

(٢) التاج في أخلاق الملوك، ص ١٦٨؛ المحاسن والمساوئ: ١/ ١١٠؛ أخبار عمر، ص ١٣٢؛ الولاية على البلدان، ص ٢٢٠.

ما يريدونه من ملاحظات على ولاتهم ، أو تقديم ما يشاؤون من شكاوى ضدهم ، لمحاسبتهم عليها[1] .

وبهذا يلتقي الخليفة والولاة والرعية في مواجهة علنية ، ويقف أمير المؤمنين على أدق أحوال الولاية والولاة ، مما يهيِّئ أرفعَ أساليب المحاسبة وأعدلَها .

وفي واحد من تلك المواسم قام رجل فاشتكى واليه بأنه ضربه مئة سوط ، فأمر عمر بالقصاص ، فتدخَّل عمرو بن العاص لإرضاءِ الرجل ، فأَرْضَوه بمئتي دينار كل سوط بدينارين[2] .

٦ ـ لجنة تحريات وتفتيش برئاسة محمد بن مَسْلَمة:

وهذه الطريقة تشبه (جهاز التفتيش على الولاة) ويرأسه محمد بن مسلمة ، الذي كثيراً ما كان عمر يبعثه لتفقد أحوال الولاة والتحقيق في الشكايات ، ومقابلة الناس والسماع منهم ونقل آرائهم في ولاتهم إلى عمر مباشرة. وقد أرسله عمر عدة مرات للتحقيق في قضايا مهمة ، من أشهرها التحقيق في التُّهم التي وُجِّهت إلى سعد بن أبي وقاص عندما كان والياً على الكوفة[3] .

٧ ـ المواجهة مع الولاة واستدعاؤهم ومساءلتهم ومحاسبتهم:

ومن تلك الوسائل في المتابعة أن عمر قد يلتقي بالوالي نفسه ،

---

(١) تاريخ الطبري: ٤/ ١٥٥؛ الخراج ، لأبي يوسف، ص ١٢٥؛ الولاية على البلدان، ص ٢١٩ ـ ٢٢٠، ٤٧٦ .

(٢) تقدم الخبر بتمامه: ص ٣٧٤ ـ ٣٧٥ في هذا الكتاب .

(٣) تاريخ القضاء في الإسلام، ص ٩٩؛ الولاية على البلدان، ص ١١٠، ٢٢٠ . وستأتي قصة سعد: ص ٦٦٠ ـ ٦٦١ في هذا الكتاب .

فيستقصي منه أخبار ولايته ورعيته. ولربما تنامَى إليه كلام على عامل منهم فيستقدمه إليه ويسائله ويحاسبه على تقصير أو اجتهاد في غير محلِّه، أو يقرُّه عليه إذا رأى الصواب في عمله.

من ذلك ما رواه عامر بن واثِلَة: (أن نافعَ بنَ عبد الحارث لقِي عمرَ بعُسْفَانَ، وكان عمر يستعمله على مكة، فقال: مَن استعملتَ على أهل الوادي؟ فقال: ابنُ أَبْزَى، قال: ومَن ابن أَبْزَى؟ قال: مولًى من موالينا، قال: فاستَخْلفتَ عليهم مولًى؟! قال: إنه قارئٌ لكتاب الله عز وجل، وإنه عالمٌ بالفرائض، قال عمر: أمَا إنَّ نبيَّكم ﷺ قد قال: «**إنَّ اللهَ يرفَعُ بهذا الكتاب أقواماً ويَضَعُ به آخَرين**»)[1].

ـ وعُمير بن سَعْد الأنصاري من جِلّة الصحابة وأكَابر زُهّادهم، كان والياً على (حمص)، فمكث حولاً لا يأتي خبرُه إلى عمر، فقال عمر لكاتبه: (اكتب إلى عُمير ـ فوالله ما أَراه إلا قد خانَنَا ـ: إذا جاءك كتابي هذا فأَقْبِلْ، وأَقْبِلْ بما حبستَ من فَيْءِ المسلمين، حين تنظر في كتابي هذا).

فأقبل عمير من حمص حتى دخل المدينة، وقد شَحب لونه من وَعْثَاء السفر! ودخل على عمر، فسأله ونقَّبَ عن سيرته، فوجده على أرفع سير الرجال العظماء، فقال عمر: جَدّدوا لعميرٍ عهداً، فأبَى عمير قبول الولاية ثانية![2].

---

(١) أخرجه مسلم (٨١٧)؛ وابن ماجه (٢١٨)؛ وأحمد (٢٣٢). **عسفان**: بلد على مسافة (٨٠ كم) من مكة شمالاً على طريق المدينة. **أهل الوادي**: أي مكة. **ابن أبزى**: اسمه عبد الرحمن.

(٢) مختصر ابن عساكر: ١٩/ ٣٣٢؛ وهو في الحلية مطولاً: ١/ ٢٤٧ ـ ٢٥٠.

ـ واستَقدم عمرو بنَ العاص وابنَه من مصر في قصته مع القِبْطي ، وحاسبه أمام الناس[1] .

ومن عجائبه في ذلك ما فعله مع الصحابي الكبير حذيفة بن اليمان ، وقد ولاَّه المدائن ، فأقام حذيفة فيهم ما شاء الله ، (ثم كَتب إليه عمر : أنِ اقْدَمْ. فخَرَج ، فلما بَلَغ عمرَ قدومُه ، كَمَنَ له في مكان حيث يراه ، فلما رآه على الحالة التي خرج من عنده عليها ، أتاه عمر فالْتَزَمه وقال : أنتَ أخي وأنا أخوك!)[2] .

٨ ـ **يختبر الولاة ويبرز فضائلهم للناس:**

وكان عمر يختبر الولاة أحياناً بالمال ، لِما يعلمُ الناس من سطوته على النفوس ، وقد فعل ذلك ليؤكِّد للرعية والأمة والتاريخ رفعةَ أولئك الذين تخيَّرهم ، وما هم عليه من هَدْي هو قبسٌ من سيرة النبي ﷺ الذي ربَّاهم! .

عن مالك الدار : (أن عمر بن الخطاب أخذ أربعَ مئةِ دينار فجعلها في صرَّة ، فقال للغلام : اذهَبْ بها إلى أبي عبيدة بن الجراح ، ثم تَلَبَّثْ ساعةً في البيت حتى تنظرَ ما يصنعُ؟ فذهب بها الغلام فقال : يقول لك أمير المؤمنين : اجعل هذه في بعض حاجتك ، فقال : وَصَلَه الله ورَحِمَهُ. ثم قال : تعالَي يا جارية ، اذهبي بهذه السبعة إلى فلان ، وبهذه الخمسة إلى فلان ، وبهذه الخمسة إلى فلان ، حتى أنفدَها. فرجع الغلام إلى عمر وأخبره. فوجده قد أَعَدَّ مثلَها لمعاذ بن جبل ، فقال : اذهَبْ بها إلى

---

(١) تقدمت القصة : ٣٧٣ ـ ٣٧٤ في هذا الكتاب.
(٢) مصنف ابن أبي شيبة : ٧/ ٧٣٧؛ حياة الصحابة : ٢/ ٥٦٨ ـ ٥٦٩ .

معاذ ، وتَلَـهَّ في البيت ساعةً حتى تنظرَ ما يصنعُ؟ فذهب بها إليه فقال: يقول لك أمير المؤمنين: اجعل هذه في بعض حاجتك ، فقـال: رَحمه الله ووَصَلَه. تعالي يا جارية ، اذهبي إلى بيت فلان بكذا ، اذهبي إلى بيت فلان بكذا ، فاطَّلَعت امرأةُ معاذ فقالت: ونحن والله مساكين ، فأَعْطِنا! ولم يبقَ في الخرقـة إلا ديناران ، فـدَحَـا بهما إليها. ورجع الغلام إلى عمر فأخبره. فَسُرَّ بذلك ، وقال: إنهم إخوةٌ بعضُهم من بعض)[1] .

٩ ـ جولات الخليفة على الأقاليم وتفتيشه بنفسه:

وهذا الأسلوب فعله عمر مراراً في الشام ، وقصد منه الاطلاعَ بنفسه على أحوال الأمصار ، وسؤال الناس عن ولاتهم. بل قد دخل بيوت الولاة وقادة الجيوش ليعرف أحوالهم عن كَثَب.

فقد دخل دار أبي عبيدة وشـاهد حـالتـه وتقشُّفَه ، ودار بينه وبين امرأة أبي عبيدة حوار شديد ألـقَتْ فيه اللوم على عمر نتيجة ما يعيشون فيه من حيـاة خشنـة! .

وزار دار خالد بن الوليد ، فلم يجد عنده شيئـاً يلفت النظر سوى أسلحته التي كان منشغلاً بإصلاحها.

وسمع عمر أن يزيد بن أبي سفيان ينوِّع في طعامه ، فانتظر حتى إذا حان وقت عشاء يزيد ، استأذن عليه عمر ، فلما رأى طعامه نهاه عن الإسراف في الطعـام! .

---

(١) الحلية: ١/ ٢٣٧؛ صفة الصفوة: ١/ ٤٩١؛ مجمع الزوائد: ٣/ ١٢٤ ـ ١٢٥. وبنحوه في التاريخ الأوسط: ١/ ١٣٨، ويضيف: (حذيفة بن اليمان).

وكان عمر يفعل ذلك فجأةً ، فيصحب معه رجلاً فيطرق الباب ويستأذن بالدخول ، ثم يدخل الدار ويقوم بالتمحيص فيها والاطلاع على ما تحتويه من أثاث[1]! .

وهَمَّ إنْ عاش أن يتجوَّل سنة كاملة في الأمصار : الشام ، والجزيرة ، ومصر ، والبحرين ، والكوفة ، والبصرة ، ليفتش بنفسه على أحوال الرعية وسِيَر الولاة معهم[2]! .

ثانياً: شكاوى الرعية والتحقيق فيها:

كان الفاروق يستمع لشكاوى الناس على ولاتهم ، ويحقق فيها بدقة وشفافية ، ويعزل الوالي إذا رأى الحق بجانب الرعية ، بل ربما عزل بعض ولاته دون قيام الحجة عليهم ، لقطع السبيل أمام الشانئين ، ودرءاً للفتنة وإثارة القلاقل ، وكان يعلن ذلك وأنه عزل فلاناً عن غير عجز ولا خيانة ، وكان شعاره في ذلك قوله : (هانَ شيءٌ أُصْلِح به قوماً أن أُبدِّلَهم أميراً مكان أمير)[3] .

ولنذكر بعض النماذج من تلك الشكايات ، وطريقة عمر في التحقيق فيها ومدى مصداقيتها ، وكيفية علاجها :

١ ـ شكوى ضد والي الكوفة الصحابي الجليل سعد بن أبي وقاص:

روى عبد الملك بن عُمير ، عن جابر بن سَمُرة قال : (شكا أهلُ

---

(١) تاريخ المدينة ، لابن شبة : ٣/ ٨٣٠ ـ ٨٣٧ ، وقد أورد من ذلك قصصاً طويلة ؛ الولاية على البلدان ، ص ٢١٨ ـ ٢١٩ ؛ سير أعلام النبلاء : ١/ ١٧ .

(٢) انظر ما تقدم : ص٣٤٦ ـ ٣٤٧ في هذا الكتاب .

(٣) طبقات ابن سعد : ٣/ ٢٨٤ ؛ تاريخ المدينة ، لابن شبة : ٣/ ٨٠٥ .

الكوفة سعداً إلى عمر رضي الله عنه ، فعَزَلَه واستعمل عليهم عماراً ، فشَكَوْا حتى ذَكروا أنه لا يُحسِنُ يصلِّي! فأَرسَل إليه فقال: يا أبا إسحاق! إن هؤلاء يَزعُمونَ أنك لا تُحسن تصلي؟ قال أبو إسحاق: أَمَّا أنا ، والله فإني كنتُ أصلِّي بهم صلاةَ رسول الله ﷺ ما أَخْرِمُ عنها ، أصلي صلاة العشاء ، فأَرْكُدُ في الأُولَيَيْن وأُخِفُّ في الأُخْرَيَيْن. قال: ذاكَ الظنُّ بك يا أبا إسحاق. فأرسل معه رجلاً ، أو رجالاً ، إلى الكوفة ، فسأل عنه أهل الكوفة ، ولم يَدَعْ مسجداً إلا سأل عنه ، ويُثْنُون معروفاً! حتى دخل مسجداً لبني عَبْس ، فقام رجل منهم يُقال له: أسامة بن قتادة ، يُكْنى أبا سَعْدة ، قال: أمَّا إذ نَشَدْتَنا ، فإن سعداً كان لا يَسير بالسَّرِيَّة ، ولا يَقْسِمُ بالسَّوِيَّة ، ولا يَعْدِلُ في القضيَّة. قال سعد: أَمَا والله لأدعونَّ بثلاثٍ: اللهم إنْ كان عبدُك هذا كاذباً ، قام رياءً وسمعة؛ فأَطِلْ عُمره ، وأَطِلْ فقرَه ، وعَرِّضْه للفِتن! وكان بعد إذا سُئل يقول: شيخٌ كبيرٌ مفتونٌ ، أصابتْني دعوةُ سعد. قال عبد الملك: فأنا رأيتُه بعدُ ، قد سقط حاجباه على عينيه من الكِبَر ، وإنه لَيتعرَّض للجواري في الطرق يَغْمِزُهنَّ!)[1].

٢ ـ شكوى ضد والي البصرة أبي موسى الأشعري:

عن عبد الله بن عمر قال: (كنا مع عمر في مسير ، فأبصر رجلاً يسرع في سيره ، فقال: إن هذا الرجل يريدنا ، فأناخ ثم ذهب لحاجته. فجاء الرجل فبكى ، وبكى عمر وقال: ما شأنك؟ فقال: يا أمير المؤمنين ، إني شربتُ الخمر ، فضَربني أبو موسى وسَوَّد وجهي ، وطافَ بي ، ونَهى

---

(١) أخرجه البخاري (٧٥٥)؛ ومسلم (٤٥٣)؛ وابن حبان (١٨٥٩)، وغيرهم. قوله (**شكا أهل الكوفة**): أي بعضهم، وهو من إطلاق الكل على البعض. (**أبو إسحاق**): هي كنية سعد، وكان مجاب الدعوة رضي الله عنه.

الناس أن يُجالسوني، فهممتُ أن آخذَ سيفي فأضربَ به أبا موسى ، أو آتيك فتحوِّلني إلى بلد لا أُعرف فيه ، أو أَلْحَقَ بأرض الشِّرك! فبكى عمر وقال: ما يَسرُّني أنك لَحِقتَ بأرض الشرك وأن لي كذا وكذا ، وقال: إنْ كنتَ ممن شرب الخمر ، فلقد شرب الناس الخمر في الجاهلية. ثم كتب إلى أبي موسى: إن فلاناً أتاني فذَكَر كذا وكذا ، فإذا أتاك كتابي هذا فَمُرِ الناسَ أن يُجالسوه وأن يُخالِطوه ، وإنْ تابَ فاقبَلْ شهادته. وكساه ، وأمر له بمئتي درهم)[١].

٣ ـ شكوى أهل حمص على أميرهم سعيد بن عامر الجمحي:

قال خالد بن مَعْدان الحِمْصيّ: (استعمل علينا عمر بن الخطاب بحمص سعيد بن عامر الجُمَحِيَّ ، فلما قدِمَ عمر حمصَ قال: يا أهل حمص! كيف وجدتم عاملكم؟ فشكوه إليه ـ وكان يُقال لأهل حمص: الكُوَيْفة الصغرى لشكايتهم العمال ـ قالوا: نشكو أربعاً: لا يَخرج إلينا حتى يتعالى النهار ، قال: أَعْظِمْ بها! وماذا؟ قالوا: لا يجيب أحداً بليل ، قال: وعظيمةٌ! وماذا؟ قالوا: وله يوم في الشهر لا يخرج فيه إلينا ، قال: وعظيمة. وماذا؟ قالوا: يَغْنِط الغَنْطَة[٢] بين الأيام.

قال: فجمع عمر بينهم وبينه ، وقال: اللهم لا تُفَيِّل[٣] رأيي فيه اليوم.

---

(١) السنن الكبرى ، للبيهقي: ١٠/ ٢١٤ وإسناده حسن؛ مناقب عمر ، لابن الجوزي، ص ١٣١ . وانظر شكوى أخرى على أبي موسى فيما تقدم: ص ٣٥٣ ـ ٣٥٤ في هذا الكتاب.

(٢) أي: يُغمى عليه.

(٣) لا تُخَطِّئ ولا تخيِّب.

قال: ما تشكون منه؟ قالوا: لا يخرج إلينا حتى يتعالى النهار. قال: ما تقول؟ قال: والله إنْ كنتُ لأكره ذِكْره ، ليس لأهلي خادم ، فأعجِنُ عجيني ثم أجلس حتى يختمر ، ثم أخبز خبزي ، ثم أتوضأ ، ثم أخرج إليهم.

فقال: وما تشكون منه؟ قالوا: لا يجيب أحداً بليل. قال: ما تقول؟ قال: إنْ كنتُ لأكره ذِكْره ، إني جعلت النهار لهم ، وجعلت الليل لله عز وجل.

قال: وما تشكون؟ قالوا: إن له يوماً في الشهر لا يخرج إلينا فيه. قال: ما تقول؟ قال: ليس لي خادم يغسل ثيابي ، ولا لي ثياب أبدِّلُها ، فأجلس حتى تجفّ ، ثم أدلكها ، ثم أخرج إليهم من آخر النهار.

قال: وما تشكون منه؟ قالوا: يَغْنِط الغَنْطَة بين الأيام. قال: ما تقول؟ قال: شهدتُ مصرعَ خُبيب الأنصاري بمكة ، وقد بَضَّعَتْ[1] قريش لحمَهُ ، ثم حملوه على جِذْعة[2] ، فقالوا: أتحبُّ أن محمداً مكانَكَ؟ فقال: والله ما أُحبُّ أني في أهلي وولدي ، وأن محمد ﷺ شِيكَ بشوكة! فما ذكرتُ ذلك اليومَ وتَرْكي نُصْرَتَه في تلك الحال ـ وأنا مشرك لا أومن بالله العظيم ـ إلا ظننتُ أن الله عز وجل لا يَغفر لي بذلك الذنب أبداً ، قال: فتُصيبني تلك الغَنْطة.

فقال عمر: الحمدُ لله الذي لم يُفَيِّل فِراستي. فبعث إليه بألف دينار وقالب: استعِنْ بها على أمرك). فأخذ يجعلها صرراً ويوزّعها على

---

(١) أي: قطّعتْ.

(٢) ساق نخلة.

الأرامل واليتامى والمساكين ، وأبقى لأهله بقية[1] .

٤ ـ شكاوى ضد والي مصر عمرو بن العاص:

جاءت إلى الفاروق عدة شكاوى على فاتح مصر العظيم عمرو بن العاص ، من أشهرها قصة ابنه عندما ضَرب القِبْطي ، فاستقدَمَ عمرُ الوالي وابنَه والقبطي إلى المدينة ، وأقام القصاص على ولد عمرو[2] .

واشتكى أحد الجنود ضد عمرو لأنه رماه بالنِّفاق ، وأَدانَ القضاء الوالي وأَمر بجلده حدّ القذف ، لولا أن الجندي عفا عنه[3]! .

وقد جازف عبد الكريم الخطيب[4] وأخطأ خطأ فاحشاً حيث ادعى أن (عَمْراً) فيه مغمز عند عمر! ولو كان كما زعم لما ولاه عمر على قرية صغيرة فضلاً عن بلد عظيم كمصر! .

٥ ـ شكوى على والي البصرة المغيرة بن شعبة ، واتهامه بالزنى:

اتُّهِم المغيرة بن شعبة رضي الله عنه عندما كان والياً على البصرة أنه زنى بأم جميل بنت عَمْرو الهلالية ، فرحل أربعة من أهل البصرة إلى عمر فشكَوْا المغيرةَ لذلك ، وهم: أبو بَكْرة الثقفي ونافع بن الحارث الصحابيان ، وشِبْل بن مَعْبد من المُخضرمين ، وزياد بن أبيه. فعَزَل عمر المغيرة وولى أبا موسى ، واستقدم المغيرة ، فشهد الثلاثة عليه

---

(١) الحلية: ١/ ٢٤٥ ـ ٢٤٦؛ مختصر ابن عساكر: ٩/ ٣٢٣ ـ ٣٢٤.

(٢) تقدم الخبر بتمامه: ص٣٧٣ ـ ٣٧٤ في هذا الكتاب.

(٣) تاريخ المدينة ، لابن شبة: ٣/ ٨٠٨؛ عصر الخلافة الراشدة، ص ١٢٧ .

(٤) كتابه: عمر بن الخطاب ، ص ٢٧٦ .

بالزنى ، ولم يَشهدْ زياد وقال: رأيتُ منظراً قبيحاً ، وما أدري أَخالَطَها أم لا؟!.

فجلَد عمر الثلاثة حدَّ القذف ، وبرَّأَ المغيرة من ذلك[1].

قال ابن عساكر: وفي رواية سيف بن عمر: أن المغيرة قال: هي امرأتي وهي تشبه أم جميل! وهذه الحقيقة ، ولم يكن المغيرة ليأتي بامرأة بَغيّ إلى منزله يَفْجُر بها[2].

نقول: كيف تسنَّى لهؤلاء أن يَروا المغيرة في بيته يفعل هذا المنكر ، أَتُراه يفعله وبابه مفتوح! ثم كيف عرفوا المرأة ورأوا منها كما يُرى الميل في المكحلة حتى يشهدوا بذلك؟! وقد ثبت أن عمر قال: (مَن أَكْذَبَ نفسَه قَبِلتُ شهادته فيما يستقبل ، ومن لم يفعلْ لم أُجِزْ شهادته. فأَكْذَبَ شِبْلٌ نفسَه ونافعٌ ، وأبى أبو بكرة أن يفعل. قال الزهري: هو والله سنَّة فاحفظوه)[3].

فبَطَلَت التهمة ولله الحمد ، ومما يؤكد ذلك أن عمر استعمل المغيرة فيما بعد على أماكن أخرى.

ومحاولةُ بعض الكتاب اتهامَ المغيرة ، فإنه يتهم عمر أيضاً ، لأنه

---

(١) انظر: تاريخ الطبري: ٤/ ٦٩ ـ ٧٢؛ التفسير ، لعبد الرزاق: ٢/ ٥٢ ـ ٥٣؛ سير أعلام النبلاء: ٣/ ٦، ٢٧ ـ ٢٨، البخاري: كتاب الشهادات، باب (٨) ، مع فتح الباري: ٧/ ٩٨ ـ ٩٩.
(٢) أخبار عمر، ص ١٨١ .
(٣) الفتح: ٧/ ٩٨ .

برَّأه ، وتراجع الشهود أنفسهم ، ومن يتهمهما يبوء بإثم التهمة الباطلة.

وقد ارتكب عبد الكريم الخطيب خطيئة عندما قال: إن المغيرة عند عمر غير مؤتَمن على دينه ، وإنما ولاه لدهائه[1]! ما هكذا يا سعد تُورَد الإبل ، أفما تدري فيمن تتكلم؟! إن في ذلك اتهاماً لأمير المؤمنين ، إذ كيف يولِّي رجلاً غير مؤتمن على دينه؟!.

ثالثاً: أنواع العقوبات التي أنزلها عمر في الولاة والقادة:

أثناء متابعة عمر للولاة والقادة وجد أنهم قد بدرت منهم بعض الأخطاء أو التجاوزات التي خالفت المنهج الذي رسمه لهم وحَمَلَهم عليه ، ولربما لم تكن أخطاء عند التحقيق فيها ، بيد أن (المنهج العمري) كان حادّاً جادّاً صلباً يبتغي الكمال في كل شؤونه ، وبخاصة أن الولاة قدوة للرعية عامة ، مما حَدَا به أن يُنزِل بهم ألواناً من العقوبات والتأديب، وإن كانوا في نفس الأمر مما يمكن التسامح فيه.

ومن أساليب التأديب والعقوبات:

١ ـ عزل الوالي:

ـ ومن الأمثلة ما جرى لعمر في عزل سعد بن أبي وقاص والمغيرة بن شعبة.

ـ وبَلَغه أن واليه على (مَيْسَان) النعمان بن عدي قال شعراً يعرِّض فيه بالخمر والقَيْنات ، فأَمَر بعزله ، فقال النعمان: والله ما صنعتُ شيئاً مما

---

(١) كتابه «عمر بن الخطاب»، ص ٢٧٦.

قلتُ ، ولكني كنت امرأً شاعراً ، فوجدتُ فَضْلاً من قولٍ فقلت فيه الشعر! فقال عمر: والله لا تعملُ لي على عمل ما بقيتُ ، وقد قلتَ ما قلتَ[1].

ـ وبعث عمر جيشاً وأَمَّر عليه قائداً ، فعَزَم هذا القائد على الجند أن يُخْبروه بكل ذنب فعلوه ، فجعلوا يعترفون بذنوبهم ، فبَلَغَ عمرَ ذلك ، فتغضَّبَ عليه وعزله[2].

٢ ـ القود من الأمراء والاقتصاص منهم فيما لو أخطؤوا:

أَعلن أمير المؤمنين في الرعية وفي الأمصار فقال: (فمن ظلمَه عاملُه بِمَظْلِمَةٍ ، فلا إِذْنَ له عليَّ ، لِيرفَعْها إليَّ حتى أُقِصَّه منه)! وكان هذا حقيقة لا استعراضاً! .

روى عمر بن شَبَّة: (أن عمرو بن العاص قال لرجلٍ من تُجِيب: يا منافق! فقال التُّجِيبي: ما نافقتُ منذ أسلمتُ ، ولا أغسلُ رأسي ولا أدهنه حتى آتي عمرَ! فأتى عمر فقال: يا أمير المؤمنين ، إن عَمْراً نَفَّقَني ، فلا والله ما نافقتُ منذ أسلمتُ! فكبَّر عمر ، وكان إذا غضب كَتَب: إلى العاصي بن العاصي ، أما بعدُ: فإن فلاناً التُّجِيبي ذَكر أنك نفَّقْتَه ، وقد أمرتُه إن أقام عليك شاهدين أن يَضربك أربعين! فقال: أنشدُ الله رجلاً سمع عَمْراً نفَّقَني إلا قام فشَهِد ، فقام عليه من في المسجد ، فقال له حَشَمُه: أتريد أن تضرب الأميرَ؟! وعَرض عليه الأَرْش[3]، فقال:

---

(١) طبقات ابن سعد: ٤/ ١٤٠؛ محض الصواب: ٢/ ٥١١ ـ ٥١٢. **ميسان**: بالعراق بين البصرة وواسط.

(٢) تقدم الخبر: ص ٣٨٠ في هذا الكتاب.

(٣) **الأرش**: دية الجراحة، والمقصود هنا: العوض المالي.

لو مُلِئتْ لِي هذه الكنيسةِ ما قبلتُ! فقال له حشمُه: أتريد أن تضربه؟! فقال: ما أرى لعمر ههنا طاعة! فلما ولّى قال عَمْرو: رُدُّوه ، فأمكَنَه من السوط وجلس بين يديه، فقال: أتقدِرُ أن تمتنِعَ مني لسُلطانك؟ قال: لا ، فامضِ لِما أُمِرتَ به، قال: فإني قد عفوتُ عنك)[1].

ـ ومن ذلك أيضاً: قصة الرجل المجاهد الذي ضربه أبو موسى عشرين سوطاً وحَلَقه ، فأمر عمر أبا موسى أن يجلس للقصاص ، ففعل ، فعفا الرجل عنه[2].

٣ ـ إتلاف شيء من مساكن الولاة:

كان الفاروق يحرِص على أن تكون بيوت الولاة بدون أبواب ، وبدون حجّاب ، فلما بَلَغه عن سعد بن أبي وقاص أنه قد صنع باباً لداره ، بعث إليه محمد بن مَسْلَمة وأمره بإحراق ذلك الباب[3].

وأثناء زيارة عمر للشام دخل بيت يزيد بن أبي سفيان (فإذا بيتٌ مستورٌ ، فوضع عمر طَيْلَسانَه ثم طَفِق بتلك الستور يقطعها ، وأخذ يزيد يقول: أعوذُ بالله من غضب الله وغضبِ أمير المؤمنين! فقال: ويحكَ! أَتُلْبِس الحيطانَ ما لو أَلبسْتَه قوماً من الناس لَسَتَرهم من الحَرِّ والقُرِّ؟!)[4].

---

(١) تاريخ المدينة ، لابن شبة: ٣/ ٨٠٧ ـ ٨٠٨؛ الولاية على البلدان، ص ١١٠، ٤٨٠ ـ ٤٨١.

(٢) تقدم بتمامه: ص ٣٥٣ ـ ٣٥٤ في هذا الكتاب.

(٣) مسند أحمد (٣٩٠)؛ فتوح البلدان، ص ٢٥٨؛ محض الصواب: ٢/ ٥٢٤ ـ ٥٢٥.

(٤) تاريخ المدينة، لابن شبة: ٣/ ٨٣٢؛ الولاية على البلدان، ص ٢٠٤. **القر**: برد.

واستعمل عمر (مُجاشِعَ بنَ مسعود) على عمل ، فبلَغَه أن امرأته تجدِّد بيوتها ، فكتب عمر إليه: (من عبد الله أمير المؤمنين إلى مجاشِع بن مسعود ، سلامٌ عليك ، أما بعد: فقد بَلَغني أن الخُضَيراء[1] تحدِّثُ بيوتها ، فإذا أتاك كتابي هذا فعزمتُ عليك ألا تضَعَه من يدك حتى تهتِكَ ستورها). فأتاه الكتاب وعنده قوم ، فأمسك الكتاب بيده وقال للقوم: انهضوا ، فأتوا معه إلى داره ، فأَشْرَكَهم معه في هتك ستور جدران بيته ، والكتاب في يده لم يضَعْه بعد[2]!.

لله دَرُّ عمر ، ولله درُّ ولاة عمر ، أفهؤلاء كانوا بشراً أم إنهم ملائكة يمشون على الأرض مطمئنين؟!.

٤ ـ خفض الرتبة:

بَلَغ عمرَ أن عاملاً له على مصر يُسمَّى (عِياضاً)[3] قد أخَلَّ بالشروط التي ألزم عمر بها ولاته ، فأرسل رجلين يستوثقان الخبر ، فوجداه صحيحاً ، فاحتملاه إلى عمر فأتياه به ، فقال له عمر:

(من أنت ويلك؟ قال: عامِلُك على مصر. وكان رجلاً بدويّاً ، فلما أصاب من ريف مصر ابيضَّ وسَمِن! فقال: استعملتُك وشرطْتُ عليك

---

(١) هي امرأة مجاشع.

(٢) تاريخ المدينة ، لابن شبة: ٣/ ٨١٩؛ الولاية على البلدان، ص ٤٨٣ ـ ٤٨٤.

(٣) خلطه بعض الرواة والمؤلفين بعياض بن غَنْم الفاتح الشهير، وليس به، إنما التبس عليهم لشهرة عياض، والمقصود هنا رجل آخر لا يُعرف في المشهورين من ولاة مصر، فلعله أحد الولاة الصغار من قبل عمرو بن العاص.

شروطاً ، فتركتَ ما أمرتك به ، وانتهكتَ ما نهيتُك عنه ، أمَا والله لأعاقبنَّكَ عقوبة أَبْلُغ إليك فيها! ائتوا بِدُرَّاعَةٍ[1] من كساء وعصًا وثلاث مئة شاة من شياه الصدقة، فقال: البس هذه الدُّرَّاعة، فقد رأيتَ أباك وهذه خير من دُرَّاعته ، وهذه خير من عصاه! اذهَبْ بهذه الشاء فارْعَها في مكان كذا وكذا ـ وذلك في يوم صائف ـ فلا تمنع السائلَ من ألبانها شيئاً ، واعلم أنَّا آل عمر لم نُصِبْ من شاء الصدقة ومن ألبانها ولحومها شيئاً.

فلما أَمْعَن ، رَدَّه فقال: أفهمتَ ما قلتُ لك؟ ورَدَّ عليه الكلام ثلاثاً ، فلما كان في الثالثة ضرب بنفسه الأرض بين يديه وقال: ما أستطيع ذلك ، فإنْ شئتَ فاضرِبْ عنقي ، قال: فإن رَدَدْتُكَ فأيّ رجل تكون؟ قال: لا ترى إلا ما تُحبّ ، فردَّه ، فكان خيرَ عامل!)[2].

ـ وروى عروة بن رُوَيْم: (أن عمر بن الخطاب تصفَّح الناسَ ، فمرَّ به أهل حمص ، فقال: كيف أميرُكم؟ قالوا: خيرُ أمير ، إلا أنه بنى عِلّيَّة يكون فيها. فكتب كتاباً ، وأرسل بريداً ، وأمره أن يُحرِّقَها. فلما جاءها جمع حطباً وحَرَّق بابها ، وأُخبر بذلك ، فقال: دَعُوه ، فإنه رسول. ثم ناوله الكتاب ، فلم يضَعْه من يده حتى ركب إليه. فلما رآه عمر قال: احبسوه عني في الشمس ثلاثة أيام ، فلما مضَتْ قال: يا ابنَ قرط[3] ،

(١) ثوب من صوف.

(٢) مناقب عمر ، لابن الجوزي، ص ١١٩ ـ ١٢٠؛ محض الصواب: ٢/ ٥١٨ ـ ٥١٩؛ وفي تاريخ الطبري مختصراً: ٤/ ٢٠٧. وساق ابن شبة رواية مشابهة: تاريخ المدينة: ٣/ ٨١٧ ـ ٨١٨.

(٣) هو عبد الله بن قُرْط الثُّمَالي، صحابي، ولاَّه عمر على حمص. انظر: تاريخ خليفة، ص ١٥٥.

الحقْني إلى الحَرَّة ـ وفيها إبل الصدقة ـ قال: انزع ثيابك ، فألقى إليه نَمِرةً من أوبار الإبل ، ثم قال: امْتَحْ[1] ، واسْقِ هذه الإبل! فلم يَزَل ينزع حتى تَعِبَ. ثم قال: متى عهدُك يا ابنَ قُرْط بهذا؟ قال: قريب يا أمير المؤمنين ، قال: فلذلك بنيتَ العليَّة ، وارتفعتَ بها على المسكين والأرملة واليتيم؟! ارجِعْ إلى عملك ولا تَعُدْ)[2].

٥ ـ التوبيخ والمعاتبة:

وقد جرى عمر على معاتبة الولاة والقادة (مشافهةً) أثناء اجتماعه بهم ، فقد عاتب عمرو بن العاص عدة مرات ، وعياض بن غَنْم ، وخالد بن الوليد ، وأبا موسى الأشعري وغيرهم من الأمراء.

وأما (المعاتبة الكتابية) فكثيرة ، منها:

ـ كتب إلى أبي موسى: (وقد بَلَغني أنه قد فَشَا لك ولأهل بيتك هيئةٌ في لباسك ومطعمك ومركبك ليس للمسلمين مثلها...)[3].

ـ وكتب إلى عتبة بن فَرْقد: (إنه ليس من كَدِّك ، ولا من كَدِّ أبيك ، ولا من كَدِّ أمك...)[4].

ـ وكتب إلى أحد الولاة ، وكان قدِم عليه قومٌ فأعطى العرب وترك

---

(١) استخرج الماء من البئر.

(٢) مختصر ابن عساكر: ١٣/ ٢٣١ ـ ٢٣٢؛ حياة الصحابة: ٢/ ٨١.

(٣) تقدم: ص ٦٤٠ ـ ٦٤١ في هذا الكتاب.

(٤) تقدم: ص ٢٩٩ ، ٦٤١ ـ ٦٤٢ في هذا الكتاب.

الموالي: (أما بعد: فبحسب المرء من الشرِّ أن يَحْقِر أخاه المسلم، والسلام)[1].

٦ ـ مقاسمة الولاة أموالهم:

سبق عمر الدنيا بوضعه مبدأ: (من أين لك هذا؟) وتطبيقه على أرفع صور التطبيق، ومع طائفة من أكابر الولاة وجِلَّة أصحاب رسول الله ﷺ.

ومع ثقة عمر التامة بهؤلاء السادة، إلا أن عينَه لم تغفُل عن أحدٍ منهم يوماً، في أي أمر من أمور الولاية، وبخاصة المال لخطورته.

والذي نجزم به أن الفاروق لم يلجأ إلى هذا السبيل لشكِّه في طهارة سير ولاته ونقاء أموالهم، وإنما فعل ذلك حَسْماً للشبهات، وقطعاً لألسنة المتقوِّلين والمفترين، وليكون هو وولاته قدوةً لكل من يأتي بعده في المحافظة على أموال الأمة، وعدم استغلال المنصب لمآرب شخصية، وليقطعَ الطريق على كل متزلِّف للمسؤولين بأي مساعدة مادية أو أدبية أو حتى تسهيلات في مجال التجارة وغيرها.

إن عمر يحسب حساباً للهدايا التي يحصل عليها الولاة من الناس، وكذلك محاباة الناس للولاة في المعاملات المالية من مضاربة ومؤاجرة ومساقاة ومزارعة وبيوع، ولهذا أخذ عمر رضي الله عنه نصف أموال عدد من الولاة من أصحاب الفضل والدين والأمانة لأجل هذه المحاباة، دون أن يتهمهم بالخيانة[2].

---

(١) فتوح البلدان، ص ٤٠٤؛ الولاية على البدان، ص ٤٨٧ ـ ٤٨٨.

(٢) السياسية الشرعية، لابن تيمية، ص ٣٩ ـ ٤٠؛ عصر الخلافة الراشدة، ص ١٢٥.

وقد ضبط عمر الأمر بأنه ألزم الولاة أن يُحصوا أموالهم قبل الولاية ، ثم يُحصِيها عليهم بعد انتهاء عملهم ، ويشاطرهم تلك الأموال.

عن الشعبي : (أن عمر كان إذا استعمل عاملاً كَتب مالَه).

وعن عبد الله بن عمر : (أن عمر أمر عمَّالَه فكَتبوا أموالهم، منهم سعد بن أبي وقاص، فشاطرهم عمر أموالهم فأخذ نصفاً وأعطاهم نصفاً)[1].

أ ـ مع أبي هريرة:

عن ابن سيرين: (أن عمر بن الخطاب استعمل أبا هريرة على البحرين ، فقدِمَ بعشرة آلاف ، فقال له عمر : استأثرتَ بهذه الأموال يا عدوَّ الله وعدوَّ كتابه؟! فقال أبو هريرة : لستُ بعدوِّ الله وعدوِّ كتابه ، ولكنِّي عدوُّ مَن عاداهما! قال: فمن أين هي لك؟ قال: خيلٌ نُتِجَتْ ، وغَلَّةُ رقيق لي ، وأَعْطِيةٌ تتابعتْ عليَّ. فنظروا فوجدوه كما قال)[2].

وفي رواية عن ابن سيرين ، عن أبي هريرة قال: (لمَّا قدِمتُ من البحرين ، قال عمر: يا عدوَّ الله وعدوَّ الإسلام ، خُنْتَ مالَ الله! قال: لستُ بعدوِّ الله ولا عدوِّ الإسلام ، ولكني عدوُّ من عاداهما ، ولم أَخُنْ مالَ الله ، ولكنها أثمانُ خيلٍ لي تناسَلَتْ عندي ، وسِهامٌ لي اجتمعت. قال: فكرَّر ذلك عليَّ ثلاث مرات ، فكلُّ ذلك أردُّ عليه. فأغْرمني اثني

---

(١) طبقات ابن سعد: ٣/ ٣٠٧.

(٢) تاريخ ابن عساكر: ٦٧/ ٣٧١؛ البداية والنهاية: ٨/ ١١٣، وذكره المُعَلِّمي في الأنوار الكاشفة ، ص ٢١٠ ، قال: السند بغاية الصحة.

عشر ألف درهم. قال: فقمتُ في صلاة الغَدَاة، فقلت: اللهم اغفِرْ لأمير المؤمنين)[1].

ب ـ مع عمرو بن العاص:

كتب عمر إلى واليه على مصر عمرو بن العاص: (إنه قد فَشَتْ لك فاشيةٌ من متاع ورقيق وآنية وحيوان لم تكن حين وُلِّيتَ مصر؟! فكتب إليه عمرو: إن أرضنا أرض مُزْدَرَع ومتجرٍ، فنحن نصيب فضلاً عما نحتاج إليه لنفقتنا).

فكتب إليه عمر: (قد وجَّهْتُ إليك محمد بن مَسْلَمة ليقاسِمَك مالك، فأَطْلِعه طلعة، وأخرج إليه ما يُطالبك به، واعفِهِ من الغلظة عليك، فإنه بَرِحَ الخَفَاءُ. فقاسَمَه مالَه)[2].

ج ـ مع الحارث بن وهب:

علِمَ أمير المؤمنين أن عامله هذا عمل بالتجارة، فكتب إليه: (ما قِلاصٌ وأعبدٌ بعتَها بمئة دينار؟ قال: خرجتُ بنفقة لي فاتَّجرتُ فيها. قال: وإنا والله ما بعثناك للتجارة، أَدِّها. قال: أمَا والله لا أعملُ لك بعدَها. قال: أنا والله لا أستعملُك بعدها!)[3].

وقاسَمَ آخرين أموالهم، منهم: أبو بَكْرة الثقفي، وأخوه نافع بن

---

(١) تاريخ ابن عساكر: ٦٧/ ٣٧١؛ وبنحوه عند ابن سعد: ٤/ ٣٣٥؛ والحلية: ١/ ٣٨٠ ـ ٣٨١؛ والأموال، لأبي عبيد (٦٦٧، ٦٦٨)؛ وسير أعلام النبلاء: ٢/ ٦١٢، وهو خبر صحيح. وانظر كتابي: أبو هريرة، ص ١٧١ ـ ١٧٥.

(٢) فتوح البلدان، ص ٢٠٤. بَرِح **الخفاءُ**: وضح الأمرُ، وزالت خُفيتُه.

(٣) أخبار عمر، ص ١٣٧.

الحارث ، وجَزْء بن معاوية ، وبِشْر بن المحتفِز ، وعاصم بن قيس ، وسَمُرة بن جُندب ، وغيرهم[1] .

رابعاً: ثناء عمر على الولاة والقادة وعلاقته الرفيعة معهم:

تعتبر حالات العزل والتأديب التي حدثت في (خلافة عمر) قليلة محدودة وليست بذات خطر باعتبار أمور ثلاثة :

الأول : أن الدولة في طور النشوء والاتساع والتشييد والتنظيم والتقنين .

الثاني : حجم الدولة وضخامتُها وامتدادُها من باكستان وأفغانستان شرقاً إلى تونس غرباً .

الثالث : تعدُّد الأعراق والجنسيات والطبائع والتقاليد والثقافات وقد صُهِرت جميعها في بَوْتقة الإسلام وثقافته ومبادئه .

وبالرغم مما قام به أمير المؤمنين من عزل أو تأديب للولاة والقادة ، فقد شهد المعاصرون ونقل الرواة وحفظ التاريخ أن وشائج الحب والاحترام والوفاء والطاعة بقيت مهيمنة على حياة أولئك السادة الأماجد من خليفة وولاة وقادة وجند ورعية .

(ولقد كان عمر على شدَّته مع عماله وقادته إذا أحسَّ باعتداء أو شبه اعتداء وقع على أحدهم؛ يشتد على المعتدين في تلك الناحية ليبقى للعامل هيبةٌ توقِّره في الصدور ومهابةٌ يُلجِم بها العامة والخاصة)[2] .

---

(١) فتوح البلدان، ص ٣٤٨ ـ ٣٤٩ .
(٢) الإدارة الإسلامية، لمحمد كرد علي، ص ٣٦؛ الولاية على البلدان، ص ٢٠٥ .

ولنضرب الأمثلة على ذلك ، لتضيء هذا الجانب المهم في دراسة (عمر وخلافته وعصره).

١ ـ لمَّا رحل إلى الشام ودخل منزل أبي عبيدة ورأى زهده الفذ ، قال : (غيَّرتْنا الدنيا كلَّنا غيرك يا أبا عبيدة)[١] .

٢ ـ وأثنى على الوالي القائد المجاهد معاذ بن جبل فقال : (عَجَزت النساء أن يَـلِدْنَ مثلَ معاذ ، لولا معاذ لهَلَك عمر !)[٢] .

٣ ـ وكان النعمان بن مُقرِّن من أكابر قادة الفتح ، وهو قائد (معركة نهاوند) وشهيدها ، يقول أبو عثمان النَّهْدي : (أتيتُ عمرَ بنعي النعمان بن مقرِّن ، فوضع يده على وجهه يبكي)[٣] .

٤ ـ وقدِمَ سلمانُ الفارسي على عمر من المدائن ، فقال عمر للناس : (اخرجوا بنا نتلقَّ سلمان)[٤] .

٥ ـ وعن أنس بن مالك قال : (بَعثني أبو موسى الأشعري إلى عمر ، فقال عمر : كيف تركتَ الأشعريَّ؟ فقلت له : تركْتُه يعلِّم الناس القرآن ، فقال : أما إنه كبير ، ولا تُسمِعْها إياه).

وأوصى عمر الخليفة من بعده أن يُترك أبو موسى بعده على عمله سنة[٥] .

---

(١) سير أعلام النبلاء : ١/ ١٧ .
(٢) المرجع السابق : ١/ ٤٥٢ .
(٣) المرجع السابق : ١/ ٤٠٤ .
(٤) طبقات ابن سعد : ٤/ ٨٦ .
(٥) المرجع السابق : ٤/١٠٨ ، ١٠٩

٦ ـ وكتب عمر إلى أهل الكوفة: (أما بعدُ: فإني بعثتُ إليكم عمَّاراً أميراً، وعبد الله بن مسعود معلماً ووزيراً، وهما من النجباء من أصحاب رسول الله ﷺ؛ فاسمعوا لهما، واقتدوا بهما)[١].

٧ ـ وقال في حديث (أصحاب الشورى): (فإنْ أصابتِ الإمْرَةُ سعداً فهو ذاكَ، وإلا فَلْيَستعِنْ به أيُّكم ما أُمِّر، فإنِّي لم أعزِلْه عن عجزٍ ولا خيانةٍ)[٢].

٨ ـ ونظر عمر إلى عمرو بن العاص، فقال: (ما ينبغي لأبي عبد الله أن يمشي على الأرض إلا أميراً!)[٣].

٩ ـ وأكثر عمر من الثناء على سيف الله خالد بن الوليد:

لما فتح خالد (قِنَّسْرِين) وغيرها، قال عمر: (أَمَّر خالدٌ نفسَه، يرحمُ الله أبا بكر هو كان أعلمَ بالرجال منِّي! والله إني لم أعزِلْه عن رِيبةٍ ولكن خشيتُ أن يُوكَلَ الناسُ إليه)[٤].

وعن شَقيق بن سَلَمة قال: (لمَّا مات خالد بن الوليد اجتمع نِسوةُ بني المُغيرة ـ وهنَّ بناتُ عمِّ خالد بن الوليد ـ يبكين عليه، فقيلَ لعمر: أَرسِلْ إليهن فانْهَهُنَّ، فقال عمر: دَعْهُنَّ يبكينَ على أبي سُليمان، ما لم يكن نَقْعٌ أو لَقْلَقةٌ)[٥].

---

(١) طبقات ابن سعد: ٦/ ٧.

(٢) البخاري (٣٧٠٠).

(٣) سير أعلام النبلاء: ٣/ ٧٠.

(٤) تاريخ الطبري: ٣/ ٦٠١، البداية والنهاية: ٧/ ٥٣.

(٥) علقه البخاري في الجنائز، باب (٣٣)؛ ووصله في التاريخ الأوسط: =

ورثَى عمرُ خالداً فقال: (رحمَ الله أبا سُليمان، ما عند الله خيرٌ له مما كان فيه، ولقد مات فقيراً، وعاش حميداً)[1].

* * *

= ١/ ١٢٨ ـ ١٢٩. وانظر: الفتح ٤/ ٢٦٣ ـ ٢٦٤؛ سير أعلام النبلاء: ١/ ٣٨١. **النقع**: وضع التراب على الرؤوس. **اللقلقة**: الصراخ.

(١) تهذيب الكمال: ٨/ ١٩٠.

الفصل الرابع

اتساع الدولة وتبيان ولاياتها وأمصارها

أولا: مساحة الدولة وحدودها ، وولاة الأمصار:

اتسعت دولة الإسلام في عهد عمر لتشمل الجزيرة العربية وبلاد الشام والعراق وفارس وخُراسان ومصر وليبية ، على مساحة شاسعة:

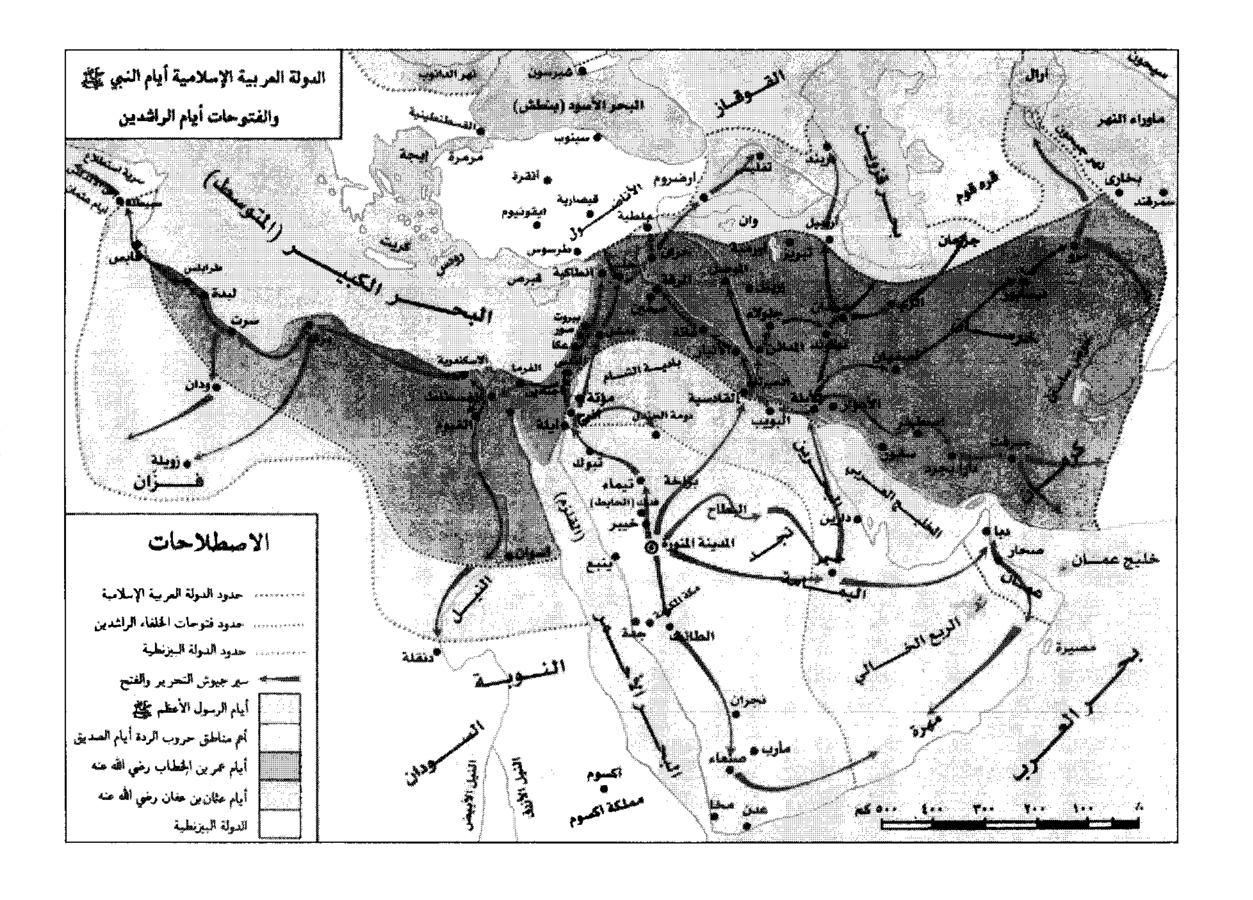
يحدُّها من الشرق السِّنْد ونهر جَيْحُون ، ومن الغرب تونُس وصحراء إفريقية ، ومن الشمال جبال آسية الصغرى وأراضي إِرْمِينية ، ومن الجنوب المحيط الهادي وبلاد النُّوبة.

في دولة عالمية ربانية أزالت الطواغيت وبسطت العدل بين الناس.

والخريطة التالية[1] توضح ذلك:

---

(١) خريطة من كتاب: أطلس التاريخ العربي الإسلامي ، لشوقي أبو خليل ، ص٤٤.


الدولة العربية الإسلامية أيام النبي ﷺ
والفتوحات أيام الراشدين
الاصطلاحات
حدود الدولة العربية الإسلامية
حدود فتوحات الخلفاء الراشدين
حدود الدولة البيزنطية
سير جيوش التحرير والفتح
أيام الرسول الأعظم ﷺ
أهم مناطق حروب الردة أيام الصديق
أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه
أيام عثمان بن عفان رضي الله عنه
الدولة البيزنطية
البحر الكبير (المتوسط)
البحر الأسود (بنطش)
القوقاز
الأناضول
فزان
زويلة
ودان
سرت
لبدة
طرابلس
قابس
الإسكندرية
الفسطاط
أسوان
دنقلة
النوبة
السودان
النيل الأبيض
النيل الأزرق
مملكة أكسوم
أكسوم
المدينة المنورة
تبوك
تيماء
خيبر
ينبع
الطائف
نجران
مأرب
صنعاء
عدن
المخا
مهرة
الربع الخالي
خليج عمان
صحار
دبا
مصيرة
ماوراء النهر
بخارى
سمرقند
أورال
قره قوم
القسطنطينية
مرمرة
سينوب
أنقرة
قيصارية
أيقونيوم
طرسوس
ملطية
أرضروم
تفليس
وان
أردبيل
رودس
قبرص
بيروت
صور
عكا
دومة الجندل
القادسية
الأنبار
الأهواز
جلولاء
بادية الشام
أيلة
مؤتة
الفرما
٥٠٠ كم
٤٠٠
٣٠٠
٢٠٠
١٠٠
٠

ويمكن إجمال أسماء الولاة مع ذكر ولاياتهم فيما يلي[(١)]:

١ ـ زيد بن ثابت (المدينة)، عند خروج عمر منها.

٢ ـ مُحرِز بن حارثة بن ربيعة بن عبد شمس (مكة).

٣ ـ قُنفذ بن عُمير بن جُدْعان التميمي (مكة).

٤ ـ نافع بن عبد الحارث الخُزاعي (مكة).

٥ ـ خالد بن العاص بن هشام المخزومي (مكة).

٦ ـ عتبة بن أبي سفيان بن حرب (الطائف).

٧ ـ عثمان بن أبي العاص (الطائف، ثم عُمان والبحرين، وأحياناً اليمامة والبحرين).

٨ ـ سفيان بن عبد الله الثقفي (الطائف).

٩ ـ يعلى بن أمية (مُنْية) التميمي (اليمن).

١٠ ـ عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي (الجَنَد).

١١ ـ العلاء بن الحضرمي (البحرين).

١٢ ـ عياش بن أبي ثور (البحرين).

١٣ ـ قُدَامة بن مَظْعون الجُمحي (البحرين).

١٤ ـ أبو هريرة (البحرين) بعد وفاة العلاء.

١٥ ـ عمرو بن العاص (فلسطين ثم مصر).

---

(١) انظر: عصر الخلافة الراشدة، ص ١٣٠ ـ ١٣٢؛ الولاية على البلدان، ص ٥٠٥ ـ ٥٠٨.

١٦ ـ عبد الله بن سعد بن أبي السَّرْح (الصعيد).

١٧ ـ أبو عبيدة بن الجراح (الشام).

١٨ ـ يزيد بن أبي سفيان (الشام).

١٩ ـ معاوية بن أبي سفيان (الشام).

٢٠ ـ شُرَحبيل بن حَسَنة (الأردن).

٢١ ـ معاذ بن جبل (الأردن) من قِبل أبي عبيدة.

٢٢ ـ علقمة بن عُلاثة العامري (حَوْران).

٢٣ ـ علقمة بن حكيم (الرَّمْلة).

٢٤ ـ علقمة بن مجزِّز المُدْلجي (بيت المقدس).

٢٥ ـ عبادة بن الصامت (حمص) من قبل أبي عبيدة.

٢٦ ـ عياض بن غَنْم الفِهْري (حمص والجزيرة) من قِبل أبي عبيدة.

٢٧ ـ عبد الله بن قُرْط (حمص).

٢٨ ـ سعيد بن عامر (حمص والجزيرة).

٢٩ ـ عمير بن سعد الأنصاري (حمص والجزيرة).

٣٠ ـ حبيب بن مَسْلَمة الفِهْري (الجزيرة).

٣١ ـ الوليد بن عقبة بن أبي مُعَيْط (الجزيرة).

٣٢ ـ المثنى بن حارثة الشيباني (العراق).

٣٣ ـ أبو عبيد بن مسعود الثقفي (العراق).

٣٤ ـ قُطْبة بن قتادة (البصرة).

٣٥ ـ شُريح بن عامر (البصرة).

٣٦ ـ عتبة بن غَزْوان (البصرة).

٣٧ ـ سعد بن أبي وقاص (العراق).

٣٨ ـ المغيرة بن شعبة (البصرة ، ثم الكوفة).

٣٩ ـ أبو موسى الأشعري (البصرة).

٤٠ ـ عمار بن ياسر (الكوفة).

٤١ ـ جُبير بن مُطْعِم (الكوفة).

٤٢ ـ سلمان الفارسي (المدائن).

٤٣ ـ حذيفة بن اليمان (أَذْرَبيجان ثم المدائن).

٤٤ ـ عتبة بن فَرْقد السُّلَمي (الموصل ثم أَذْرَبِيجان).

٤٥ ـ النعمان بن مقرِّن (كَسْكَر).

٤٦ ـ بلال الأنصاري (عُمان).

ثانياً: التقسيمات الإدارية للدولة:

تحدث عدد من الباحثين المعاصرين عن التقسيمات الإدارية للولايات في عهد عمر رضي الله عنه ، وحدَّدوها بثمانية أقسام ، وهذا التقسيم فيه نظر ، والأمر في رأينا أكبر من ذلك وأوسع ، إذ يصعب ذلك التحديد الذي ذهبوا إليه ، لكثرة التغيير وتغير مراحله وتطوره زمنيّاً[1].

(١) الولاية على البلدان، ص ١٨٥ .

ويمكن أن نقسم (الدولة العمرية) إلى أقسام ومناطق كبرى ، ويتفرع ضمن كل منها عدة ولايات وأمصار.

١ ـ منطقة الحجاز:

أ ـ مكة المكرمة[١]:

هذه المدينة المقدسة لها مكانة مميزة بين أمصار العالم الإسلامي قديماً وحديثاً، لأن فيها قبلةَ المسلمين وأماكن شعيرة الحج والعمرة، وغير ذلك.

ولها دور سياسي بارز حيث يلتقي الخليفة بالولاة وقادة الفتوحات والوفود وغيرهم من الأمصار في موسم الحج ، ويَجري في تلك الملتقيات ما يشبه (المؤتمرات) وصدور (التوصيات) ، فضلاً عن المحاسبة العلنية ورفع الشكايات والقضاء فيها كما تقدم.

وقد توالى على إمرتها في عهد عمر: مُحرِز بن حارثة العَبْشمي ، وقُنفذ بن عمير التميمي ، ونافع بن عبد الحارث الخُزاعي ، وخالد بن العاص بن هشام المخزومي. وهم جميعاً من الصحابة[٢].

ب ـ المدينة المنورة[٣]:

تعتبر المدينة ثاني أهم مصر في الإسلام ، وهي عاصمة الخلافة؛ لذا فلها الدور السياسي الأبرز في تسيير شؤون الدولة؛ ففيها مقر أمير المؤمنين ، ومجلس الشورى الأكبر ، ومصدر الأوامر إلى الأمصار ،

---

(١) انظر: الولاية على البلدان، ص ٨٩ ـ ٩٢.

(٢) انظر تراجمهم في: الإصابة.

(٣) انظر: الولاية على البلدان، ص ٩٢ ـ ٩٣.

ومنطلق ومورد البُرُد ، وتسيير وتوجيه جيوش الفتح ، ومهوى قلوب المؤمنين لمكان سيدنا رسول الله ﷺ ، ومسجده الذي تُشدُّ إليه الرِّحال. كذلك كانت من أبرز منابر العلم التي يقصدها التابعون لأخذ القرآن والسنة والفقه شِفاهاً عن أكابر علمائها وفي مقدمتهم عمر.

وكان عمر إذا خرج لحجٍّ أو غيرِه يستخلِف على المدينة اقتداءً بالنبي ﷺ وأبي بكر ، فكان يستخلف عليها أحياناً: زيد بن ثابت ، وأحياناً عثمان بن عفان ، وولى عليّاً عليها عدة مرات أثناء غيابه.

ج ـ الطائف[1]:

مدينة إسلامية من أهم الولايات في الدولة ، ولها مكانتها المرموقة منذ عهد النبوة ، وكذلك زمن أبي بكر حيث ثبت أهلها على الإسلام أيام الردَّة ، واستمرت تلك المنزلة في خلافة عمر ، حيث كانت تقيم فيها أو بالقرب منها مجموعات من القبائل تقدم أمداداً من المجاهدين الذين يوجههم الخليفة إلى الفتوحات.

ولَّى عليها النبي ﷺ عثمان بن أبي العاص الثقفي من أهلها ، واستمرت ولايته إلى عهد أبي بكر ، ثم عهد عمر ، حيث بقي سنتين من خلافته فتاقَتْ نفسه للجهاد ، فأَذِن له عمر[2].

ووليها أيضاً الصحابي سفيان بن عبد الله الثقفي[3].

---

(١) الولاية على البلدان، ص ٩٤ ـ ٩٥.

(٢) الإصابة: ٢/ ٤٥٣.

(٣) تاريخ الطبري: ٤/ ٢٤١؛ الإصابة: ٢/ ٥٣.

٢ ـ اليمن[١]:

أ ـ صنعاء :

كان واليها يعلى بن أمية (منية) التميمي[٢] ، وبعضهم يذكر أنه كان والياً على اليمن ، أي : على معظم اليمن .

ب ـ الجَنَد :

أحد مَخَاليف (محافظات) اليمن ، وقد وليها عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي[٣] .

وكانت لليمن أهمية جليلة في الدولة الإسلامية ، حيث قام أهلها بدور جليل شهير في حركة الفتوحات على الجبهات الثلاث : العراق والشام ومصر . كذلك رَحَلتْ قبائل يمانية عريقة وكثيرة فسَكَنت الأمصار المفتوحة : فبعضُها يَمَّم شطرَ الكوفة والبصرة ، وقبائل استوطنت الشام ، وأخرى سكنت في مصر بعد إنشاء الفسطاط .

٣ ـ البحرين وعُمان[٤]:

أ ـ البحرين : هي منطقة (الإحساء) في السعودية الآن .

ب ـ عُمَان : وتمتد أراضيه على بحر العرب لتتصل بما يعرف الآن بدولة (الإمارات) وإلى حدود الإحساء .

---

(١) الولاية على البلدان، ص ٩٥ ـ ٩٧ .

(٢) الإصابة : ٣/ ٦٣٠ .

(٣) تاريخ الطبري : ٤/ ٢٤١؛ الإصابة : ٢/ ٢٩٧ .

(٤) انظر : الولاية على البلدان ، ص ٩٧ ـ ١٠٢ .

وهما إقليمان مهمَّان في الدولة الإسلامية من حيث الموقعُ الجغرافي على البحر والخليج العربيين ، وكذلك لخروج موجات من المجاهدين منهما إلى الجبهة الفارسية ، إضافة إلى أنهما يمتازان بالثراء المادي وقوة الاقتصاد؛ فكانا يشكلان مصدراً رئيساً للخَراج والجزية .

عندما ولي عمر الخلافة كان على البحرين (العلاء بن الحَضْرمي) ، فاستمر في ولايته حتى سنة (١٤هـ) ، وقد شارك في الفتوحات على الجبهة الفارسية .

وبعده ولى عمر (عثمانَ بن أبي العاص) ، وهو الوالي الثاني هناك ، حيث جمع عمر له ولاية البحرين وعُمَان ، فسار هو إلى عمان ، وأرسل أخاه الحكَم بن أبي العاص إلى البحرين ، والحكم له صحبة مثلِ أخيه عثمان[١] .

وولى عمر بعده (عياش بن أبي ثور)[٢] .

والوالي الرابع هو (قُدَامة بن مَظْعُون الجُمَحِيّ) ، صحابي من السابقين ، اتُّهِم بشرب الخمر ، فجلده عمر لقيام الشهود ، وعزله[٣] .

ثم ولى عمر (أبا هريرة) ، ثم (عثمان بن أبي العاص) واستمر عليها حتى توفي عمر[٤] .

---

(١) تاريخ خليفة، ص ١٢٢ ، ١٥٤ ؛ الإصابة: ٢/ ٤٥٣ ؛ الولاية على البلدان، ص ٩٨ .

(٢) الإصابة: ٣/ ٤٧ .

(٣) سير أعلام النبلاء: ١/ ١٦١ ؛ الإصابة: ٣/ ٢١٩ ـ ٢٢١ .

(٤) تاريخ خليفة، ص ١٥٤ ؛ تاريخ الطبري: ٤/ ٢٤١ .

٤ ـ ولايات الشام[1]:

●● تداخلت في الشام مفاهيم وصلاحيات الولاة بقادة الفتح ، وكان الغالب عليها أن الوالي هو القائد ، كذلك فإن هناك والياً عامّاً للشام وولاة فرعيين.

فالولاية في الشام كانت (ولاية عامة لأجناد الشام) تحت إمرة خالد بن الوليد في عهد أبي بكر ، أما في عهد عمر فانتقلت إلى أبي عبيدة ثم إلى خلفائه من بعده.

(فالولاية الكبرى) هي (الشام) ، وهناك (ولايات صغيرة) داخلة ضمن تلك الولاية الكبرى ، ومن أهمها: (ولاية حمص) وتوابعها كالجزيرة وغيرها ، وكذلك ولايات (الأردن) و(فِلسطين) ، وكل ولاية من هذه الولايات توزع فيها صغار الولاة أو الأمراء الفرعيون الذين يديرون شؤون هذه المدن والأمصار الصغيرة.

ولابد أن نذكر أن المسمَّيات الإقليمية المعروفة كالأردن وفلسطين والجزيرة وغيرها ، لم تكن محدَّدة ثابتة بحدود جغرافية معينة توضح حدودَ كل ولاية ، بل كانت تخضع لمدٍّ وجَزْر ، فقد تُضَم بعض أجزاء الأردن إلى فلسطين ، وقد تُضم بعض أجزاء فلسطين إلى دمشق. . . والعكس صحيح. وبالتالي لم يكن هناك تحديد دقيق لهذه المسميات ولا لهذه الولايات.

كذلك فإن هذه الولايات كانت تضم إضافة إلى الولاة بعضَ المساعدين من ولاة الخَراج والقضاة والمعلمين والأئمة والقادة

---

(١) الولاية على البلدان، ص ١١٣ ـ ١٢٧، ١٤١ ـ ١٤٢.

العسكريين ، وغير هؤلاء من المساعدين الضروريين للولاة[1] .

وقد حظيت (ولايات الشام) باهتمام كبير من أمير المؤمنين عمر حيث ذهب إليها أربع مرات، وكان يجتمع فيها بالولاة والقادة، ويلقي الخُطَب، ويُسْدي النصائح والتوجيهات ، ويفتِّش على سياسة المسؤولين بنفسه .

●● وحينما تولى أبو عبيدة على الشام أخذ ينظم أمورها ، ويعيِّن الأمراء من قِبله على المناطق المختلفة في الشام ، حيث كان على بعضها أمراء سابقون ، فمنهم من أَقرَّه ومنهم من عزَلَه .

يقول خليفة بن خياط : (ولى أبو عبيدة حين فتح الشامات : يزيد بنَ أبي سفيان على فِلسطين وناحيتها ، وشُرَحْبيل بن حَسَنة على الأردن ، وخالد بن الوليد على دمشق ، وحَبيب بن مَسْلمة على حمص ثم عزله ، وولى عبد الله بن قُرْط الثُّمَالي ثم عزله ، وولى عُبادة بن الصامت الأنصاري ثم عزله ، وردَّ عبد الله بن قُرْط . ثم وقع طاعون عَمَواس فمات أبو عبيدة واستخلَف معاذاً ، فمات معاذ واستخلَف يزيد بن أبي سفيان ، فمات واستخلَف أخاه معاوية فأقرَّه عمر)[2] .

فكان أبو عبيدة هو (الوالي العام) على الشام وبقي كذلك حتى توفي ، ثم كان بعده يزيد بن أبي سفيان وكانت مدة ولايته قريباً من السنة ، ثم معاوية بن أبي سفيان وقد جَمَع عمر له الشامَ كلَّها ، وبقي والياً عامّاً عليها حتى توفي عمر[3] .

---

(١) الولاية على البلدان، ص ١٤١ ـ ١٤٢ .

(٢) تاريخ خليفة، ص ١٥٥ ؛ الولاية على البلدان، ص ١٢١ ـ ١٢٢ .

(٣) تاريخ خليفة، ص ١٥٥ ؛ فتوح البلدان، ص ١٣٦ ، ١٣٧ ؛ الولاية على البلدان، ص ١٢٤ ، ١٢٦ .

أ ـ ولاية دمشق :

دمشق هي قلبُ بلاد الشام ومركزها ، ومقرُّ الوالي العام ، وقد وليها أبو عبيدة ، ثم ولى عليها خالد بن الوليد ، وبعده جاء يزيد بن أبي سفيان عندما أصبح والياً عامّاً ، وبعد وفاته أجرى عمر تعديلاً في إدارة الشام ، فحدَّدَ لمعاوية جندَ دمشق وخرَاجها ، ثم جمع له الشام كلها .

ب ـ ولاية حمص والجزيرة الفراتية[١] :

الوالي الرئيس لحمص هو أبو عبيدة ، وقد ولَّى عليها جماعة من الأمراء في فترات غيابه؛ فولَّى عبادة بن الصامت مدة من الزمن ، وحين حضرته الوفاة ولى عليها عياض بن غَنْم ، فأقرَّه عمر على حمص والجزيرة وقِنَّسْرِين. وبعد وفاة عياض ولى عمر سعيد بن عامر فمكث نحو ستة أشهر ، وبعد وفاته ولى عمر عُمير بن سعد الأنصاري وفي آخر ولايته استعفى عمرَ من الولاية فأعفاه ، وضَمَّ حمص والجزيرة إلى معاوية .

وثَمَّة من يرى من المؤرخين أن (**الجزيرة**) ولاية مستقلة ، وقد ولى عمر عليها حَبيب بن مَسْلَمة الفِهْري وضَمَّ إليه بعضَ الأقاليم المفتوحة حديثاً بجوار الجزيرة .

وبصورة عامة فإن ولاة الجزيرة كان مرجعهم إلى ولاة حمص حتى نهاية عهد عمر[٢] .

---

(١) الولاية على البلدان، ص ١٢٨ ـ ١٣٣ .

(٢) المرجع السابق، ص ١٣٤ ، ١٣٦ .

ج ـ ولاية الأردن[1]:

وهي ملحقة ضمنيّاً بولاية الشام، مع وجود والٍ معين لها. وقد وليها شُرَحْبيل بن حَسَنة منذ عهد أبي بكر ، وجاء عمر وهو عليها ، فبقي نحو سبع سنين ، وعزله عمر سنة (١٧هـ) وولى معاوية بن أبي سفيان الذي بقي عليها ، وأصبحت تابعة له عندما أصبح الوالي العام للشام.

د ـ ولاية فلسطين[2]:

أول من تولاها عمرو بن العاص في عهد الصديق ، وبقي إلى بداية عهد الفاروق ، ويخضع للتوجيه الكامل من قِبل أبي عبيدة الوالي العام للشام حتى يُظَنَّ أنه هو الذي ولاه ، وحقيقة الأمر أن الذي ولاه هو الخليفة ، مع ملاحظة أنه لا فرقَ بين الأمرين إذ لا بدَّ في النهاية من موافقة عمر وإقراره لتوليته.

وبعد فتح بيت المقدس قَسَم عمرُ أمرَ فلسطين بين عَلْقمة بن حكيم على نصفها ، وعلقمة بن مجزِّز على نصفها الآخر ، وأبو عبيدة يشرف عليهما. وبعد وفاة أبي عبيدة ولَّى عمر يزيدَ بنَ أبي سفيان فلسطين مع غيرها من أجناد الشام ، وبعده تولاها معاوية.

٥ ـ ولايات العراق وفارس ومصر:

وهي من الولايات المهمة جدّاً في عهد عمر ، ولها المكانة الرفيعة: من حيث اتساعُ المساحة ، وكثرةُ الواردات ، وانتشارُ الفتوحات ، وتعدّدُ الأمصار ، وتمصيرُ البلدان الجديدة.

---

(١) الولاية على البلدان ، ص ١٣٦ ـ ١٣٨.

(٢) المرجع السابق، ص ١٣٩ ـ ١٤١.

ويُعَدّ انتصارُ القادسية وسقوط المدائن بيد المسلمين بدايةَ مرحلة جديدة وبارزة في تاريخ العراق ، حيث بدأ تنظيم الولايات يأخذ شكلاً مميَّزاً تتضح فيه الملامح العامة ، سواء ولاية البصرة أو ولاية الكوفة ، وما أُلْحِق بكل منهما من المدن والقرى التي كانت تتبع كلاًّ منهما من أقاليم العراق وفارس ، أو ما استقلَّ عنهما من الولايات في بلاد فارس[١] .

ويمكن الإشارة إلى أبرز الأمصار في ذلك الإقليم الكبير :

أ ـ ولاية البصرة[٢] :

لم تكن البصرة مبنيَّةً في خلافة أبي بكر وأول خلافة عمر ، وقد كان المسلمون يهاجمون القواعدَ الفارسية في منطقة البصرة ، ومن أبرز القادة آنذاك (قُطْبة بن قتادة السَّدُوسي) .

وفي عهد عمر وجَّه إلى نواحي البصرة قبل إنشائها (شُريح بن عامر) مدداً لِقُطْبة ، وولاّه على نواحي البصرة ، واستُشهد في إحدى المعارك . وبعد ذلك قام عمر بإرسال (عُتْبة بن غَزْوان) في مجموعة من الجند ، وأمره بتمصير البصرة في سنة (١٤هـ) ، ففعل ، وهو المؤسس الحقيقي لتلك الولاية العظيمة ، وتُنسب إليه .

وعندما غادر عتبة البصرة إلى الحج أنابَ عليها (مُجاشِعَ بنَ مسعود) الذي كان غائباً في الجهاد ، فجعل مكانه (المغيرة بن شعبة) . ولمّا أنهى

---

(١) الولاية على البلدان، ص ١٥٢ .

(٢) تاريخ خليفة، ص ١٢٧ ـ ١٢٩ ؛ تاريخ الطبري: ٣/ ٥٩٠ ـ ٥٩٧ ؛ الولاية على البلدان ، ص ١٥٣ ـ ١٦٣ .

عتبة حجَّه أعادَهُ عمر إلى البصرة ، فمات في الطريق ، فأقرَّ عمر عليها المغيرة بن شعبة، ثم عزلَه وولى (أبا موسى الأشعري) في سنة (١٧هـ)، وهو أشهر ولاتها في عهد عمر ، وكانت فترة ولايته حافلة بالجهاد والفتوحات. وتوفي عمر وأبو موسى والٍ عليها.

وكانت العديد من المدن في فارس ، والتي فُتحت في عهد عمر ، تخضع للبصرة ، وتدار من قبل والي البصرة الذي يعيِّن عليها العمال ، ويرتبطون به ارتباطاً مباشراً.

ب ـ ولاية الكوفة[1]:

بعد أن فرغ سعد بن أبي وقاص من القادسية ، توجَّه إلى عاصمة الفرس وهي (المدائن) ففتحها ، وأخذ ينظم الثغور بولايته ، وذلك قبل إنشاء الكوفة ، فحدَّد أربعة ثغور ، وأقام عليها الأمراء لترتيب أمورها.

ثم قام ببناء الكوفة عن أمر أمير المؤمنين وذلك سنة (١٧هـ)[2] ، ويُعتبر سعد مؤسسها ، وهو أول ولاتها.

وعندما شكاه بعض أهل الكوفة ظلماً ، عزله عمر عنها سنة (٢٠هـ) ، وولى ثلاثة من الصحابة: عمار بن ياسر يقيم الصلاة وينظم أمور الولاية ويقود الجيش في الفتوح ، وابن مسعود على بيت المال وتعليم الناس ، وعثمان بن حُنَيف على مساحة الأرض.

وبقي عمار والياً نحو سنة وستة أشهر فشكاه أهل الكوفة فعزله عمر.

---

(١) تاريخ خليفة، ص ١٣٨، ١٤١؛ تاريخ الطبري: ٤/ ٤٠ ـ ٤٤، ٤٩ ـ ٥٠؛ فتوح البلدان، ص ٢٥٦ ـ ٢٥٩؛ الولاية على البلدان، ص ١٦٣ ـ ١٧٥.

(٢) انظر ما تقدم: ص٥٠٠ ـ ٥٠١ في هذا الكتاب.

وشكى عمر إلى المسلمين أهلَ الكوفة وتجرُّؤَهم على الولاة ، واستشار الصحابة فيمن يوليه عليهم ، فاستقر رأيُهم على المغيرة بن شعبة ، فأرسله والياً عليها . وبقي المغيرة والياً عليها حتى توفي عمر رضي الله عنه[1] .

وكانت الكوفة والبصرة هما محور الإدارة والقيادة لبلاد العراق وفارس .

ج ـ ولاية المدائن[2] :

ولى عمر سلمانَ الفارسي أميراً على المدائن ، ولم يذكر المؤرخون أن عمر عزله عنها ، ولربما استعفَى سلمانُ عمرَ فأعفاه ، حيث بعث عمر حذيفة بن اليمان عليها ، وكتب إلى أهلها بالسمع والطاعة له ، وقد بقي حذيفة والياً عليها بقية خلافة عمر .

د ـ ولاية أذربيجان :

بعث عمر عُتْبة بن فَرْقد وبُكير بن عبد الله على رأس جيشين إلى أَذْرَبِيجان سنة (٢٢هـ) فافتتحاها ، وولَّى عتبة عليها ، وبقي أميرها حتى نهاية خلافة عمر[3] .

هـ ـ ولاية المَوْصِل[4] :

فتحها عتبة بن فرقد السُّلَمي ، وكان أشهرَ ولاتها . ومنها انطلقت الجيوش لفتح المناطق المجاورة .

---

(١) تاريخ خليفة، ص ١٥٥ ، تاريخ الطبري : ٤/ ٢٤١ .
(٢) طبقات ابن سعد : ٤/ ٨٧ ـ ٨٨؛ سير أعلام النبلاء : ١/ ٥٢٦ ، ٥٤٦ ، ٥٥٤ ، ٢/ ٣٦٣؛ الولاية على البلدان، ص ١٧٦ ـ ١٧٩ .
(٣) انظر ما تقدم : ص ٥٩٣ في هذا الكتاب .
(٤) فتوح البلدان، ص ٣٠٦؛ الولاية على البلدان، ص ١٨١ .

و ـ ولاية حُلْوَان[1]:

وممن اشتهر بولايتها وخرج منها مجاهداً عدة مرات: جرير بن عبد الله البجلي الذي كان يمدّ الأقاليم الأخرى بأجناد من حلوان.

ز ـ ولاية كَسْكَر[2]:

ولي عمر عليها النعمان بن مقرِّن الذي استعفَى عمر من ولايتها فأعفاه، وأَمَّره على جيوش وقعة نهاوند.

ح ـ ولاية مصر[3]:

فتحها عمرو بن العاص على رأس جيش فيه جمهرة من أكابر الصحابة. وولاه عمر شؤون تلك الولاية الكبيرة، فكان هو الوالي الرئيس، وبقي عليها حتى توفي أمير المؤمنين عمر.

وهذه الولاية لها مكان كبير وشأن خطير في التاريخ، وهي كانت منطلق الفتوحات نحو الغرب ابتداءً من ليبية وما وراءها.

* * *

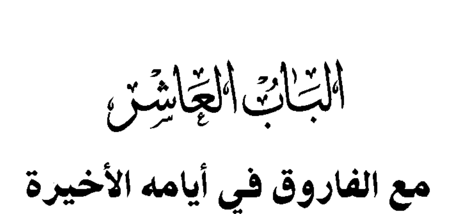
---

(١) تاريخ خليفة، ص ١٤٤؛ فتوح البلدان، ص ٢٧٩؛ الولاية على البلدان، ص ١٨١.

(٢) تاريخ خليفة، ص ١٤٩، تاريخ الطبري: ٤/ ١١٤، ١٢٦؛ فتوح البلدان، ص ٢٨٠.

(٣) انظر ما تقدم: ص ٦١٥ ـ ٦١٨ في هذا الكتاب؛ والولاية على البلدان، ص ١٠٢ ـ ١١٢.





الباب العاشر

مع الفاروق في أيامه الأخيرة

- عمر غلق الفتنة ، وبشراه بالشهادة .
- الشهادة في مسجد رسول الله ﷺ .
- تعيين أصحاب الشورى ووصايا جليلة .
- وقفات مع الاستشهاد والاستخلاف والوصايا .
- الوداع .

* * *



الفصل الأول

عمر غَلَقُ الفتنة ، وبشراه بالشهادة

أولاً: عمر غَلَق الفتنة:

●● عن شَقِيق بن سَلَمة : (عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما قال : كنَّا عند عمرَ ، فقال : أيُّكم يحفظُ حديثَ رسول الله ﷺ في الفتنةِ كما قال؟ قال : فقلتُ : أنا ، قال : إنكَ لجريءٌ ، وكيفَ قال؟ قال : قلتُ : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : «**فِتنةُ الرَّجُلِ في أهلِه ومالِه ونفسِه وولدِه وجارِه ، يُكَفِّرُها الصيامُ والصلاةُ والصدقةُ والأمرُ بالمعروف والنهيُ عن المنكر**» . فقال عمرُ : ليس هذا أُرِيدُ ، إنما أريدُ التي تَموج كموجِ البحر؟ قال : فقلتُ : ما لكَ ولَها يا أميرَ المؤمنين؟! إنَّ بينَك وبينَها باباً مُغْلَقاً! قال : أَفَيُكْسَرُ البابُ أَمْ يُفْتَحُ؟ قال : قلتُ : لا ، بل يُكْسَرُ ، قال : ذلكَ أَحْرَى أنْ لا يُغْلَقَ أبداً! .

قال : فقلنا لحذيفةَ : هل كان عمرُ يَعلمُ مَن البابُ؟ قال : نعم ، كما يَعلمُ أنَّ دونَ غدٍ الليلةَ! إنِّي حَدَّثْتُه حديثاً ليسَ بالأَغَالِيط .

قال : فَهِبْنَا أن نسألَ حذيفةَ : مَن البابُ؟ فقلنا لمسروقٍ : سَلْهُ ، فسألَه ، فقال : عمرُ)[١] .

---

(١) أخرجه البخاري (٥٢٥)؛ ومسلم (١٤٤) بعد (٢٨٩٢) واللفظ له؛ والنسائي في الكبرى (٣٢٤)؛ وابن حبان (٥٩٦٦)، وغيرهم .

يخبر النبي ﷺ في هذا الحديث أن أمير المؤمنين عمر هو حِصنٌ منيعٌ وحائلٌ شامخ بين الفتن والأمة ، فإذا مات اندفعت الفتن تجتاح المسلمين وبلادَهم ، وتضطرب اضطرابَ موج البحر عند هيجانه ، وهكذا كان! .

وقال حذيفة لعمر : (**إن بينَك وبينها باباً مُغلَقاً**) : أي لا يَخرج منها شيء في حياتك ، ولم يقلْ له : أنت الباب ، وهو يعلم أنه الباب ، فعرَّض له بما فهمه ولم يصرح ، وذلك من حُسْن أدبه .

ثم إن هذا الباب (**يُكْسَر كَسراً**) ، والمكسور لا يمكن إعادته بخلاف المفتوح ، والكسر لا يكون غالباً إلا عن إكراه وغلبة وخلاف! .

وقد كان عمر يعلم أنه الباب (**كما يَعْلَمُ أنَّ دونَ غدٍ الليلةَ**) أي أن ليلةَ غدٍ أقربُ إلى اليوم من غدٍ[1] .

●● وقد علمَ أمير المؤمنين عمرُ أنه هو الباب بالنصّ ، فقد وافقَ حذيفةَ على معنى روايته هذه : أبو ذَرّ الغِفَاريّ وعثمان بن مَظْعون :

روى الطبراني : عن أبي ذر : (أنه لقِيَ عمر بنَ الخطاب ، فأَخذ بيده فغَمزها ، وكان عمر رجلاً شديداً ، فقال : أَرْسِلْ يدي يا قُفْلَ الفتنة! فقال عمر : وما قُفْلُ الفتنة؟ قال : جئتُ رسولَ الله ﷺ ذات يوم ، ورسولُ الله ﷺ جالس ، وقد اجتمع عليه الناس ، فجلستُ في آخِرهم ، فقال رسول الله ﷺ : «**لا تُصِيبُكم فتنةٌ ما دام هذا فيكم**» ، وأشار إلى عمر)[2] .

---

(١) انظر شرح هذا الحديث ومدلولاته في كتابي : نبوءات الرسول ﷺ ، نبوءة رقم (٤١) .

(٢) الفتح : ٨/ ٥٠٨ شرح الحديث (٣٥٨٦)؛ وقال الحافظ : رجاله ثقات ، مجمع الزوائد : ٩/ ٧٣ ، وقال الهيثمي : رجاله رجال الصحيح .

وروى الطبراني والبزار: من حديث قُدامة بن مَظْعُون، عن أخيه عثمان بن مظعون: (أنه قال لعمر: يا غَلَقَ الفتنةِ! فسأله عن ذلك؟ فقال: مررتَ يوماً، ونحن جلوسٌ عند النبي ﷺ فقال: «**هذا غَلَقُ الفتنة، لا يزال بينكم وبين الفتنة بابٌ شديدُ الغَلَق ما عاش هذا بين ظهرانيكم**»)[1].

●● وكان الصحابة يعرفون ذلك أيضاً، وجاءت في هذا الآثارُ عن حذيفة وابن مسعود وخالد بن الوليد[2].

ثانياً: بشراه بالشهادة:

●● عن عبد الله بن عمر: (أنَّ النبيَّ ﷺ رأى على عمرَ قميصاً أبيضَ، فقال: «**أَجديدٌ قميصُكَ هذا أم غَسيلٌ؟**» قال: بل غَسيلٌ، فقال: «**الْبَسْ جديداً، وعِشْ حميداً، ومُتْ شهيداً، ويرزقُكَ الله قرَّةَ عينٍ في الدنيا والآخرة**»، قال: وإياكَ يا رسول الله)[3].

وعن أنس بن مالك: (أن نبيَّ الله ﷺ صَعِدَ أُحُداً، ومعه أبو بكر وعمر وعثمان، فرَجَفَ بهم، فضَرَبَه بِرِجْلِه، وقال: «**اثْبُتْ؛ فإنما عليك نبيٌّ وصِدِّيقٌ وشهيدان**»)[4].

---

(١) قال الهيثمي في (المجمع: ٩/ ٧٢): فيه جماعة لم أعرفهم. قلت: يشهد له حديثا حذيفة وأبي ذر.

(٢) انظر تفصيل ذلك في كتابي نبوءات الرسول ﷺ، نبوءة رقم (٤١).

(٣) أخرجه عبد الرزاق (٢٠٣٨٢)؛ والنسائي في الكبرى (١٠٠٧٠)؛ وابن ماجه (٣٥٥٨)؛ وابن حبان (٦٨٩٧)؛ والبغوي (٣١١٢)، وغيرهم، وحسنه الحافظ، وصححه الألباني وشعيب الأرنؤوط.

(٤) تقدم: ص ٢٣٥ في هذا الكتاب.

ومثله من حديث سَهْل بن سعد ، وبرواية أخرى مطولة رواها سعيد بن زيد ، وأبو هريرة ، وكلها أحاديث صحيحة[1] .

وهذه الأحاديث الشريفة تدل بوضوح على أن عمر رضي الله عنه سيموت شهيداً ، وله أجر الشهداء عند الله تعالى ، وهذا ما تحقق له رضوان الله عليه .

●● وقد جاءت بعض الأخبار والأقوال عن بعض الصحابة وأهل العِيَافَة وأصحاب الإسرائيليات ، لا نقفُ عندها ولا نُلقي لها بالاً ، مثل : ما جاء عن عُيينة بن حِصْن : أنه أخبر عمر بالمكان الذي طُعن فيه ، وخبر جُبير بن مُطْعِم عن رجل من لِهْب أخبر : أن عمر لا يحج بعد حجته سنة (٢٣هـ) ، وخبر كعب الأحبار : أن عمر سيُستشهد بعد ثلاثة أيام! فهذه أخبار تتحدث عن غيب مستقبلي ، نتوقف في قبولها ، وإن صحت أسانيدها ، لأنها نُقلت عن غير المعصوم ﷺ .

* * *

(١) فصَّلتُ القولَ في شرحها في : نبوءات الرسول ﷺ ، رقم (٦ ، ٧) .

الفصل الثاني

الشهادة في مسجد رسول الله ﷺ

أولاً: إرهاصات:

●● جاءت عدة إرهاصات وعلامات عن عمر وصحابة آخرين، وواطَأَتْها بعضُ الأحداث؛ فأجمعتْ جميعُها على دنوِّ أجَلَ أمير المؤمنين عمر، وأنه سيموت قتلاً!.

ـ عن عوف بن مالك الأَشْجَعيِّ: (أنه رأى في المنام أن الناس جُمعوا في صَعيد واحد، فإذا رجل قد عَلاَ الناس بثلاثة أذرع، قلتُ: مَن هذا؟ قال: عمر بن الخطاب، قلت: بمَ يَعلُوهم؟ قال: إن فيه ثلاثَ خِصال: لا يخافُ في الله لومةَ لائم، وإنه شهيدٌ مُستشهَد، وخليفةٌ مُسْتَخلَف. فأتى عوفٌ أبا بكر فحدَّثه، فبَعث إلى عمر فبشَّره، فقال أبو بكر: قُصَّ رؤياك، قال: فلما قال: خليفةٌ مستخلَف، انتَهره عمر فأَسْكَتَه. فلما وَلي عمرُ انطلَق إلى الشام، فبينما هو يخطُب إذ رأى عوفَ بن مالك، فدَعَاه، فصَعِد معه المنبر، فقال: اقْصُصْ رؤياك، فقَصَّها، فقال: أمَّا «ألا أخاف في الله لومة لائم» فأرجو أن يجعلَني الله منهم، وأما «خليفة مستخلَف» فقد استُخْلِفتُ فأسأل الله أن يُعينني على ما ولاني، وأما «شهيدٌ مُستشهَدٌ» فأنَّى لي الشهادة وأنا بين ظَهْرَانَي جزيرة العرب لستُ

أغزو والناسُ حولي؟ ثم قال: بلى بلى ، يأتي بها الله إن شاء الله)[1] .

ـ وعن أنس بن مالك ، عن أبي موسى الأشعري قال: (رأيتُ كأنِّي أخذتُ جَوَادَّ كثيرة ، فاضمحلَّتْ حتى بقيتْ جادّة واحدة ، فسلكتُها حتى انتهيتُ إلى جبلٍ ، فإذا رسول الله ﷺ فوقه وإلى جَنْبه أبو بكر ، وإذا هو يومئ إلى عمر أنْ تعالَ ، فقلتُ: إنا لله وإنا إليه راجعون ، مات والله أمير المؤمنين! فقلت: أَلا تكتبُ بهذا إلى عمر؟ فقال: ما كنتُ لأنعَى له نفسَه)[2] .

ـ وعن مَعْدان بن أبي طلحة اليَعْمَرِيِّ: (أن عمر بن الخطاب قام على المنبر يوم الجمعة ، فحمدَ الله وأثنى عليه ، ثم ذكر رسولَ الله ﷺ وذكر أبا بكر ، ثم قال: رأيتُ رؤيا لا أُراها إلا لحضور أَجَلي ، رأيتُ كأنَّ ديكاً نَقَرني نقرتين ، قال: وذَكر لي أنه ديك أحمر ، فقصصتُها على أسماء بنت عُميس امرأةِ أبي بكر ، فقالت: يَقتُلكَ رجلٌ من العَجم!)[3] .

وفي رواية: (فما عاش إلا تلك الجمعة حتى طُعِن)[4] .

●● وكان الفاروق يتوجَّس من الأعاجم شرّاً ، ويخشى من غدرهم ،

---

(١) طبقات ابن سعد: ٣/ ٣٣١؛ وصححه الحافظ في الفتح: ٥/ ٥٦٤ شرح الحديث (١٨٩٠)؛ وهو في الاستيعاب: ٢/ ٤٦٣ ـ ٤٦٤؛ ومختصر ابن عساكر: ١٩/ ٣٣ ـ ٣٤؛ ومحض الصواب: ٣/ ٨٦٨ ـ ٨٦٩.

(٢) طبقات ابن سعد: ٣/ ٣٣٢؛ وإسناده صحيح؛ مختصر ابن عساكر: ١٩/ ٣٤.

(٣) أخرجه أحمد (٨٩)؛ ومسلم (٥٦٧)؛ وابن سعد: ٣/ ٣٣٥؛ وابن أبي شيبة: ٨/ ٥٨٠ ـ ٥٨١.

(٤) طبقات ابن سعد: ٣/ ٣٣٦.

فأراد أن يجنِّب مدينةَ رسول الله ﷺ إفسادَهم وخياناتهم ، فلذا لم يأذَنْ للسَّبْي أن يُقيم في المدينة .

عن عبد الله بن عمر : (عن عمر أنه كان يكتب إلى أمراء الجيوش : لا تَجْلبُوا علينا من العُلوج أحداً جَرَتْ عليه المَوَاسي . فلما طعنه أبو لؤلؤة ، قال : من هذا؟ قالوا : غلام المغيرة بن شعبة ، قال : أَلَم أقلْ لكم : لا تجلبوا علينا من العلوج أحداً؟ فغلبتموني!)(١) .

وعن ابن عباس قال : (لمَّا كان غداةَ أُصِيب عمر ، كنتُ فيمن احتَمَله حتى أدخلناه الدار ، قال : فأفاق إفاقةً ، فقال : مَن أصابني؟ قلت : أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة ، فقال عمر : هذا عملُ أصحابِك ، كنتُ أريدُ أن لا يدخلَها عِلْجٌ من السَّبْي ، فغلبتموني)(٢) .

وهذا من فراسة عمر وإلهاماته ، وحُسْنِ تدبيره وسياسته في حماية رموز الدولة وأركانها من الخيانات الغادرة التي دأَبَ عليها المجوس ومن عاونهم على الكيد للإسلام ورجاله وأهله .

ولقد استشعر عمر بألمعيته وإلهامه أن أبا لؤلؤة سيغدر به عندما قال له عمر : (أَلَم أُحَدَّثْ أنك تقول : لو أشاءُ لصنعتُ رَحًى تَطحن بالريح؟ فالتفت العبد ساخطاً عابساً إلى عمر ، ومع عمر رهْطٌ ، فقال : لأَصنَعنَّ لك رحًى يتحدَّث بها الناس! فلما ولَّى العبد ، أقبل عمر على الرهط الذين معه فقال لهم : أَوْعَدَني العبدُ آنفاً!)(٣) .

---

(١) طبقات ابن سعد : ٣/ ٣٤٩ . المواسي : جمع الموسى ، والمراد : لا تجلبوا من نبتت عانته ، وهي علامة البلوغ .

(٢) طبقات ابن سعد : ٣/ ٣٥٢ .

(٣) المرجع السابق : ٣/ ٣٤٥ .

ثانياً: أمنيات عمر:

وقد علِمَ أمير المؤمنين أن الله كتب له الشهادة ، وأيقن بذلك لِما وعاه عن النبي ﷺ ، وأخذت البشائر تتوالى عليه ، فكان يتمناها ، لكنه لم يعلم من أين مأتاها ! .

عن أسلم ، عن عمر رضي الله عنه قال : (اللهمَّ ارزُقْنِي شهادةً في سَبِيلكَ ، واجعلْ مَوْتي في بلدِ رسولك ﷺ)[1] .

وعن أسلم ، عن أمِّ المؤمنين حَفْصة قالت : (سمعتُ عمرَ يقول : اللهمَّ قَتْلاً في سبيلك ، ووفاةً في بلدِ نبيِّكَ . قلتُ : وأنَّى يكون هذا؟! قال : يأتي به الله إذا شاء)[2] .

وتمنَّى ذلك ودَعَا به في آخر حجَّة حَجَّها؛ فقد روى ابن المسيِّب : (أنَّ عمر لمَّا أفاضَ من مِنًى ، أناخَ بالأَبْطَح فكوَّمَ كَوْمةً من بَطْحاءَ وطَرح عليها طرفَ ثوبه ، ثم استلقى عليها ورَفَع يديه إلى السماء وقال : اللهمَّ كَبِرتْ سِنِّي ، وضَعُفَتْ قوَّتي ، وانتشَرَتْ رعيَّتي ؛ فاقْبِضْني إليكَ غير مُضَيِّعٍ ولا مُفرِّطٍ ! . . .) قال سعيد : (فما انسلَخَ ذو الحجة حتى طُعِن)[3] .

وعن أسلم : أنه سمع عمر يقول : (اللهمَّ لا تجعلْ قَتْلي على يدي عبدٍ قد سَجَد لك سجدةً يُحاجُّني بها يومَ القيامة)[4] .

---

(١) البخاري (١٨٩٠) .

(٢) علقه البخاري بعد الحديث (١٨٩٠)؛ ووصله ابن سعد : ٣/ ٣٣١؛ وأبو نعيم في الحلية : ١/ ٥٣ ـ ٥٤ ؛ والإسماعيلي كما في الفتح : ٥/ ٥٦٤ .

(٣) طبقات ابن سعد : ٣/ ٣٣٤ ـ ٣٣٥؛ موطأ مالك : ٢/ ٨٢٤؛ الحلية : ١/ ٥٤ ؛ وإسناده صحيح . **بطحاء** : صغار الحصى .

(٤) الحلية : ١/ ٥٣ ، وإسناده صحيح .

ثالثاً: حديث الاستشهاد:

عن ابن شهاب قال: (كان عمر لا يأذَنُ لِسَبْي قد احتَلَم في دخول المدينة ، حتى كتب المغيرة بن شعبة وهو على الكوفة يَذكر له غلاماً عنده صَنَعاً ، ويستأذنه أن يُدْخِله المدينة ، ويقول: إن عنده أعمالاً كثيرة فيها منافع للناس؛ إنه حدَّاد نقاش نجَّار. فكتب إليه عمر فأذِنَ له أن يُرسِل به إلى المدينة. وضَرَب عليه المغيرة مئةَ درهم كل شهر ، فجاء إلى عمر يشتكي إليه شدَّة الخَراج ، فقال له عمر: ماذا تُحسِنُ من العمل؟ فذكر له الأعمال التي يُحْسِنُ ، فقال له عمر: ما خَراجُك بكثيرٍ في كُنْهِ عملِك. فانصرف ساخطاً يتذمَّر ، فلَبِث عمر لياليَ ، ثم إن العبد مرَّ به فدَعَاه فقال له: أَلَم أُحَدَّثْ أنك تقول: لو أشاء لصنعتُ رحًى تَطحن بالريح؟ فالتفت العبد ساخطاً عابساً إلى عمر ، ومع عمر رهطٌ ، فقال: لأَصْنَعنَّ لك رحًى يتحدَّث بها الناس!.

فلما ولَّى العبد ، أقبَلَ عمر على الرهط الذين معه فقال: أَوْعَدني العبد آنفاً.

فلبث ليالي ، ثم اشتَمَل أبو لؤلؤة على خِنْجرٍ ذي رأسين نِصابه في وسطه ، فكَمَن في زاوية من زوايا المسجد في غَلَس السَّحَر ، فلم يَـزَل هناك حتى خرج عمر يوقظ الناس للصلاة صلاةِ الفجر ، وكان عمر يفعل ذلك ، فلما دنا منه عمر وَثَب عليه فطَعَنه ثلاثَ طعناتٍ إحداهن تحت السُّرَّة قد خَرَقت الصِّفَاق وهي التي قَتلَتْه ، ثم انحاز أيضاً على أهل المسجد فطعن من يليه ، حتى طَعَن سوى عمر أحدَ عشر[1]

(١) وفي رواية: (ثلاثة عشر).

رجلاً ، ثم انتحر بخِنْجره)[1].

وعن عَمْرو بن مَيْمُون قال: (رأيتُ عمر بنَ الخطاب رضي الله عنه قبل أن يُصابَ بأيام بالمدينة ووقفَ على حُذيفةَ بن اليمان وعُثمان بن حُنَيْف قال: كيف فعلتُما؟ أتخافانِ أن تكونا قد حَمَّلتُما الأرض[2] ما لا تُطيق؟ قالا: حمَّلناها أمراً هي له مُطِيقةٌ ، ما فيها كبيرُ فَضْل ، قال: انْظُرا أن تكونا حمَّلْتُما الأرضَ ما لا تُطيق! قالا: لا. فقال عمر: لَئِنْ سلَّمني الله لأَدعَنَّ أراملَ أهل العراق لا يحتجنَ إلى رجلٍ بعدي أبداً. قال: فما أتتْ عليه إلا رابعةٌ حتى أُصِيب.

قال: إني لقائمٌ ما بيني وبينه إلا عبد الله بن عباس غداةَ أُصِيب ، وكان إذا مرَّ بين الصفَّيْن قال: استووا ، حتى إذا لم يرَ فيهم خَلَلاً تقدَّم فكَبَّر ، وربما قرأ سورة يوسف أو النحل أو نحوَ ذلك في الركعة الأولى حتى يجتمعَ الناس ، فما هو إلا أن كَبَّر فسمعتُه يقول: قَتَلَني ـ أو أَكَلَني ـ الكلبُ ، حين طَعَنه! فطارَ العِلْجُ بسكِّينٍ ذاتِ طرفين ، لا يمرُّ على أحد يميناً ولا شِمالاً إلا طَعَنه ، حتى طَعن ثلاثةَ عشر رجلاً مات منهم سبعةٌ. فلما رأى ذلك رجلٌ من المسلمين طَرح عليه بُرْنُساً ، فلما ظنَّ العِلْج أنه مأخوذٌ نَحر نفسَه.

وتناول عمرُ يدَ عبد الرحمن بن عوف فقدَّمَه ، فمن يَلي عمرَ فقد رأى الذي أَرى ، وأما نواحي المسجد فإنهم لا يَدرون غير أنهم قد فَقَدوا

---

(١) طبقات ابن سعد: ٣/ ٣٤٥.

(٢) هي أرض السواد بالعراق، وكان عمر قد بعثهما يضربان عليها الخراج وعلى أهلها الجزية.

صوتَ عمر ، وهم يقولون: سبحانَ الله سبحان الله. فصلَّى بهم عبدُ الرحمن صلاةً خفيفةً.

فلما انصرفوا ، قال: يا ابنَ عباس ، انظرْ مَن قَتَلَني. فجالَ ساعة ، ثم جاء فقال: غلامُ المغيرة ، قال: الصَّنَعُ؟ قال: نعم ، قال: قاتله الله ، لقد أَمرتُ به معروفاً ، الحمدُ لله الذي لم يجعل مِيتَتي بيدِ رجلٍ يدَّعي الإسلام. قد كنتَ أنت وأبوك تحبّان أن تكثر العلوجُ بالمدينة ، وكان العباس أكثرَهم رقيقاً ، فقال: إنْ شئتَ فعلتُ ـ أي: إن شئتَ قتَلْنا ـ قال: كَذبْتَ! بعدما تكلَّموا بلسانِكم ، وصَلَّوْا قِبلتَكُم ، وحَجُّوا حجَّكم؟!.

فاحتُمِل إلى بيته ، فانطَلَقْنا معه ، وكأنَّ الناس لم تُصِبْهم مصيبةٌ قبل يومئذٍ! فقائلٌ يقول: لا بأسَ ، وقائلٌ يقول: أخافُ عليه. فأُتِي بنبيذٍ فشَرِبَه ، فخَرج من جَوْفِه ، ثم أُتي بلبنٍ فشَرِبَه ، فخَرج من جُرْحِه ، فعَلِمُوا أنه ميِّتٌ.

فدخلنا عليه ، وجاء الناس فجعلوا يُثْنون عليه ، وجاء رجل شابٌّ فقال: أَبْشِرْ يا أميرَ المؤمنين ببشرى الله لك: من صحبةِ رسول الله ﷺ ، وقَدَم في الإسلام ما قد علمتَ ، ثم وَلِيتَ فعَدَلْتَ ، ثم شهادةٌ! قال: وَدِدتُ أن ذلك كَفافٌ لا عليَّ ولا لي. فلما أَدْبَر إذا إزارُه يمسُّ الأرض ، قال: رُدُّوا عليَّ الغلامَ ، قال: يا ابن أخي ، ارفَعْ ثوبَك فإنه أنقى لثوبك وأتقى لربك.

يا عبد الله بن عمر ، انظرْ ما عليَّ من الدَّيْن. فحَسَبُوه فوجدوه ستةً وثمانين ألفاً أو نحوَه ، قال: إنْ وَفَى له مالُ آل عمر فأدِّهِ من أموالهم ، وإلا فَسَلْ في بني عَديّ بن كعب ، فإنْ لم تفِ أموالُهم فَسَلْ في قريش

ولا تَعْدُهم إلى غيرهم ، فأَدِّ عني هذا المال .

انطلِقْ إلى عائشةَ أمِّ المؤمنين فقلْ : يقرأُ عليكِ عمرُ السلام ، ولا تقلْ : أميرُ المؤمنين ، فإني لستُ اليومَ للمؤمنين أميراً ، وقل : يَستأذِنُ عمر بن الخطاب أن يُدفَنَ مع صاحبيه .

فسَلَّم واستأْذَنَ ، ثم دَخل عليها فوَجَدَها قاعدةً تبكي ، فقال : يقرأُ عليكِ عمر بن الخطاب السلامَ ، ويستأذِنُ أن يُدفن مع صاحبيه ، فقالت : كنتُ أُرِيدُه لنفسي ولأُوثِرنَّه به اليومَ على نَفْسي .

فلما أَقبل قيل : هذا عبد الله بن عمر قد جاء ، قال : ارفَعُوني ، فأَسْنَده رجل إليه ، فقال : ما لديكَ؟ قال : الذي تحبُّ يا أمير المؤمنين ، أَذِنَتْ ، قال : الحمدُ لله ، ما كان من شيءٍ أهمُّ إليَّ من ذلك ، فإذا أنا قَضيتُ فاحمِلُوني ، ثم سَلِّمْ فقل : يَستأذن عمر بن الخطاب ، فإنْ أَذِنتْ لي فأَدْخِلوني ، وإن ردَّتْني رُدُّوني إلى مقابر المسلمين .

وجاءت أمُّ المؤمنين حفصةُ والنساءُ تسير معها ، فلما رأَيْنَاها قُمنا ، فولجت عليه ، فبَكَتْ عنده ساعة ، واستأذن الرجال ، فوَلَجتْ داخِلاً لهم ، فسمعنا بكاءَها من الداخل . . .)[1] .

قال عَمْرو بن ميمون : (رأيتُ عمر لمَّا طُعن ، عليه مِلْحفة صفراء قد وضعها على جرحه ، وهو يقول : ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب : ٣٨])[2] .

---

(١) أخرجه البخاري (٣٧٠٠) واللفظ له؛ وابن أبي شيبة : ٨/ ٥٧٥ ـ ٥٧٧؛ وابن سعد : ٣/ ٣٣٧ ـ ٣٣٩، ٣٤٠ ـ ٣٤٢، ٣٤٥ . وللحديث تتمة ستأتي .

(٢) طبقات ابن سعد : ٣/ ٣٢٩، ٣٤٩؛ مصنف ابن أبي شيبة : ٨/ ٥٨٠ .

رابعاً: ثناء المؤمنين على شهيد المحراب ، وحزنهم وبكاؤهم عليه:

ما كان يدور في خَلَد أحدٍ أن نهاية هذا الرجل العظيم تكون بطريقة أقلّ ما يُقال فيها: إنها جَبَانة خسيسة حقيرة ، بل حاقدة موتورة؛ قد ضاقَتْ بأصحابها عدالةُ الإسلام وسموُّ مبادئه ، لأنهم اعتادوا الاستعباد والسجود للنار! .

حقّاً لقد كان حدثاً مزلزِلاً تتفطَّر له قلوب الأحرار الكرام ممن لم يشهدوه ، وتنهمر مآقيهم وهم يتلون (مشاهد مسرحية قتل الفاروق) بعد أربعة عشر قرناً ، فكيف بمن شهده ، وشهد عبقريات عمر وأعماله وإنجازاته وأخلاقه وعدله وزهده وورعه وحرصه على الإسلام والمسلمين وغير المسلمين ، بل حتى على البهائم التي نَعِمت بخلافته! .

فلا ضَيْرَ على المسلمين فيما ظهر منهم قولاً وعملاً وثناء على الفاروق ، فعبَّروا عما تعتلج به صدورهم تجاه هذه القارعة التي نزلت بهم . فلنذكر شذرات من ذلك :

●● قال عبد الله بن عباس : (يا أميرَ المؤمنين! لقد صحبتَ رسولَ الله ﷺ فأحسنتَ صُحبتَه ، ثم فَارقْتَهُ وهو عنك راضٍ. ثم صحبتَ أبا بكر فأحسنتَ صُحبتَه ، ثم فارقْتَه وهو عنك راضٍ. ثم صحبتَ صَحَبَتَهم فأحسنتَ صُحْبَتَهم ، ولئنْ فارقْتَهم لَتُفارِقَنَّهم وهم عنكَ راضون)[١] .

وقال ابن عباس : (يا أمير المؤمنين ، والله إنْ كان إسلامُك لنصراً ، وإن كانت إمامتُك لفتحاً ، والله لقد ملأَتْ إمارتُك الأرضَ عدلاً؛ ما من اثنين يختصمان إليك إلا انتهيا إلى قولك. فقال عمر : أجلِسوني. فلما

---

(١) البخاري (٣٦٩٢).

جلس قال لابن عباس: أَعِدْ عليَّ كلامك. فلما أعاد عليه، قال: أتشهدُ لي بذلك عند الله يوم تلقاه؟ فقال ابن عباس: نعم! قال: ففرح عمر بذلك وأعجبه)[1].

ـ وعن ابن عباس قال: (وُضِعَ عمر بنُ الخطاب على سَريره، فتَكَنَّفَهُ الناسُ يَدْعُون ويُثْنُون ويُصلّون عليه، قبل أن يُرفَع، وأنا فيهم، قال: فلم يَرُعْني إلا برجلٍ قد أخذ بِمَنْكِبي من ورائي، فالتفتُّ إليه فإذا هو عليٌّ، فترحَّم على عمرَ، وقال: ما خلَّفْتُ أحداً أحبَّ إليَّ أن أَلْقَى الله بمثلِ عمله منك! وايْمُ اللهِ، إنْ كنتُ لأظنُّ أن يجعلَكَ الله مع صاحبَيْكَ؛ وذاكَ أنِّي كنتُ أُكَثِّرُ أسمعُ رسول الله ﷺ يقول: «**جئتُ أنا وأبو بكر وعمر، ودخلتُ أنا وأبو بكر وعمر، وخرجتُ أنا وأبو بكر وعمر**». فإنْ كنتُ لأرجو، أو لأظن، أن يَجْعَلك الله معهما)[2].

ـ وجاء عبد الله بن سَلام وقد صُلِّيَ على عمر فقال: (والله لَئِنْ سبقتُموني بالصلاة عليه، لا تَسْبقوني بالثناء عليه، فقام عند سريره فقال: نِعْمَ أخو الإسلام كنتَ يا عمر؛ جواداً بالحق، بخيلاً بالباطل، ترضَى حين الرضا، وتغضب حين الغضب، عفيفَ الطَّرْفِ، طيِّبَ الظَّرْفِ، لم تكن مدّاحاً ولا مغتاباً. ثم جلس)[3].

---

(١) طبقات ابن سعد: ٣/ ٣٥٤، وبألفاظ أخرى في: ٣/ ٣٥٢ ـ ٣٥٤؛ الحلية: ١/ ٥٢؛ المستدرك: ٣/ ٩٢؛ الفتح: ٨/ ٦٥٤ شرح الحديث (٣٧٠٠).

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٧٧)؛ ومسلم (٢٣٨٩) واللفظ له؛ والنسائي في الكبرى (٨٠٦١)، وغيرهم. وساقه ابن سعد: ٣/ ٣٦٩ ـ ٣٧١ من عشرة طرق، كثير منها عن آل علي!.

(٣) طبقات ابن سعد: ٣/ ٣٦٩؛ مختصر ابن عساكر: ١٩/ ٤٩.

●● عن جُويرية بن قُدَامة قال: (حججتُ عام توفِّي عمر، فأتى المدينةَ فخطب فقال: رأيتُ كأنَّ ديكاً نَقَرني. فما عاش إلا تلك الجمعة حتى طُعن! قال: فدخل عليه أصحابُ النبي ﷺ، ثم أهل المدينة، ثم أهل الشام، ثم أهل العراق، فكنا[1] آخرَ من دخل عليه، قال: فكلما دخل قوم بَكَوْا وأثنوا عليه، قال: فكنتُ فيمن دخل، فإذا هو قد عَصَب على جراحته...)[2].

ودعا عمر ابن عباس ـ وكان يحبُّه ويُدْنيه ويَسمع منه ـ فقال: (أُحِبُّ أن تعلمَ عن ملأ من الناس كان هذا؟ فخرج ابن عباس فكان لا يمرُّ من الناس إلا وهم يبكون! فرجع إلى عمر فقال: يا أمير المؤمنين، ما مررتُ على ملأ إلا رأيتُهم يبكون، كأنهم فقدوا اليوم أبكارَ أولادهم!)[3].

ويروي الأحنف بن قيس أنهم لمَّا رجعوا من جنازة عمر (جِيءَ بالطعام ووُضِعَت الموائد، فأمسكَ الناس عنها للحزن الذي هم فيه، فقال العباس بن عبد المطلب: أيها الناس! إن رسول الله ﷺ قد مات فأكلنا بعده وشربنا، ومات أبو بكر فأكلنا بعده وشربنا، وإنه لابد من الأَجَل، فكُلوا من هذا الطعام. ثم مدَّ العباس يده فأكل، ومدَّ الناس أيديهم فأكلوا)[4].

---

(١) يريد جويرية قومه وهم بنو تميم.

(٢) طبقات ابن سعد: ٣/ ٣٣٦؛ مصنف ابن أبي شيبة: ٨/ ٥٧٨.

(٣) هذا طرف من حديث طويل ساقه الهيثمي في المجمع: ٩/ ٧٤ ـ ٧٦، وقال: رواه الطبراني في الأوسط وإسناده حسن؛ وذكر الحافظ طرفاً منه في الفتح: ٨/ ٦٥١.

(٤) طبقات ابن سعد: ٤/ ٣٠؛ المعرفة والتاريخ: ١/ ٥١٠ ـ ٥١١.

●● عن أنس بن مالك قال: (لمّا أُصِيب عمر بن الخطاب ، قال أبو طلحة: ما من أهل بيت من العرب حاضر ولا بادٍ إلا قد دخل عليهم بقتل عمر نقصٌ)[1].

وبكى سعيد بن زيد لموت عمر ، فقيل له: ما يُبكيك؟ فقال: (على الإسلام أبكي ، إن موت عمر ثَلَم الإسلامَ ثلمةً لا تُرْتَقُ إلى يوم القيامة)[2].

(ولمَّا أُصِيبَ عمرُ دخل صُهَيبٌ يبكي يقول: وَاأَخَاهُ ، وَاصَاحِبَاهُ! فقال عمر: يا صهيبُ! أَتبكي عليَّ وقد قال رسول الله ﷺ: **«إنَّ المَيِّتَ يُعَذَّبُ ببعضِ بكاءِ أهلِه عليه»**؟!)[3].

وعن المِقْدام بن مَعْدِي كَرِب قال: (لما أُصِيب عمرُ دخلَتْ عليه حفصةُ فقالت: يا صاحبَ رسول الله ، ويا صِهرَ رسول الله ، ويا أميرَ المؤمنين! فقال عمر لابن عمر: يا عبد الله أَجْلِسْني فلا صبرَ لي على ما أسمعُ ، فأسنَده إلى صدره ، فقال لها: إني أُحَرِّجُ عليكِ بما لي عليكِ من الحق أن تَندُبيني بعد مجلسكِ هذا ، فأمَّا عينُك فلن أَمْلِكَها!)[4].

وثَمّةَ أقوالٌ أخرى تقدَّمت عن حذيفة وابن مسعود وابن عباس وغيرهم[5].

---

(١) طبقات ابن سعد: ٣/ ٣٧٣ ـ ٣٧٤.

(٢) المرجع السابق: ٣/ ٣٧٢.

(٣) البخاري (١٢٨٧)؛ ومسلم (٩٢٧).

(٤) طبقات ابن سعد: ٣/ ٣٦١؛ وصححه الحافظ في الفتح: ٨/ ٦٥٦.

(٥) انظر: ص ٢٤٥ ـ ٢٤٧ في هذا الكتاب.

●● وبَكَتْه زوجته أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب ، فقالت: واعُمَراهُ! وكان معها نسوةٌ فبكَيْن معها ، وارتجَّ البيت بكاءً[1]!.

ورَثَتْه زوجته عاتكة بنت زيد فقالت:

عيــنُ جُــودي بعبــرةٍ ونَحيــبِ	لا تَمَلِّــي علــى الإمـامِ النَّجيــبِ
فجَعَتْني المَنُـونُ بـالفـارسِ المُعْـ	ـلَــمِ يــومَ الهِيَــاجِ والتَّلْبيــبِ
عصمةِ الناس والمعينِ على الدَّهْـ	ـرِ وغيثِ المُنتابِ والمَحْروبِ
قُلْ لأهلِ السَّرَّاءِ والبُؤْسِ مُوتوا	قد سَقَتْه المَنُونُ كأسَ شَعُوبِ[2]

* * *

(١) طبقات ابن سعد: ٣/ ٣٥٢؛ أسد الغابة: ٤/ ٧٦.

(٢) تاريخ الطبري: ٤/ ٢١٩؛ مختصر ابن عساكر: ١٩/ ٥١.

الفصل الثالث

تعيين أصحاب الشورى
ووصايا جليلة

يأبَى عمر رضي الله عنه إلا أن يبقى عظيماً حتى الرَّمَق الأخير من حياته المباركة ، فمع ما هو فيه من النزف المروِّع ، والمسلمون قد مَرِجَ أمرُهم واضطربتْ أحلامهم ، وحِجَازُ الفتنة قد كُسِر منذراً بانطلاق الفتن من عِقالها. . . مع كل هذا فإن الفاروق يستمر على نهجه مستمسكاً بهديه الفذّ؛ فيسجِّل في ساعاته الأخيرة أروعَ المواقف وأجلَّ الوصايا ، حِفاظاً على السيرة الرائدة التي أرسَى بناءها الرسولُ الأعظم ﷺ ، واقتفى أثَرَه فيها صِدِّيقُه الأكبر ، ومضَى عليها عمر حتى هذه اللحظات الحاسمة. . .

فلنقرأ هذه السطور التي ختم بها أبو حفص خلافته الرشيدة وأعماله المجيدة.

أولاً: مواقف في الأيام الثلاثة الأخيرة:

ـ في حديث عَمْرو بن ميمون المتقدم: (واحتُمِل عمر ، فدَخَل الناس عليه ، فقال: يا عبد الله بن عباس! اخرجْ فنادِ في الناس: أيها الناس ، إن أميرَ المؤمنين يقول: أَعَنْ ملأ منكم هذا؟ فقالوا: مَعَاذَ الله! ما عَلِمْنا ولا اطَّلَعْنا)[1].

---

(١) طبقات ابن سعد: ٣/ ٣٤١.

ـ وفي حديثه أيضاً: أن عمر قال لابن عباس: (يا ابنَ عباس! انظُرْ مَن قتَلَني! فجالَ ساعةً ثم جاء، فقال: غلام المغيرة، قال: الصَّنَع؟ قال: نعم، قال: قاتَلهُ الله، لقد أمرتُ به معروفاً! الحمدُ لله الذي لم يجعلْ مِيتتي بيد رجل يدَّعي الإسلامَ!)[1].

وفي رواية: (قال عمر: الحمدُ لله الذي لم يجعل قاتلي يُحاجُّني عند الله بسجدة سجدها له قطُّ، ما كانت العرب لِتَقْتُلَني!)[2].

ـ وقال عُبيد الله بن عبد الله بن عتبة: (حين طُعِن في غَلَس السَّحَر، فاحتملتُه أنا ورهطٌ كانوا معي في المسجد حتى أدخلناه بيته. قال: وأَمَر عبدَ الرحمن بنَ عوف أن يصلي بالناس. قال: فلما دخل عمر بيته غُشِي عليه من النزف، فلم يزل في غشيته حتى أَسْفَر، ثم أفاق، فقال: هل صلى الناس؟ قلنا: نعم، قال: لا إسلامَ لمن ترك الصلاة. قال: ثم دعا بوَضُوءٍ، فتوضأ وصلى)[3].

ـ وعن المِسْوَر بن مَخْرَمَة قال: (دخلتُ على عمر بن الخطاب حين طُعن أنا وابنُ عباس، وأُوذِنَ بالصلاة فقيل: الصلاةَ يا أمير المؤمنين، قال: فرفع رأسه فقال: الصلاةَ، ولا حظَّ في الإسلام لمن ترك الصلاة. قال: فصلَّى وإن جُرْحَه لَيَثْعَبُ دماً)[4].

---

(١) البخاري (٣٧٠٠)؛ طبقات ابن سعد: ٣/ ٣٣٧ ـ ٣٣٨.
(٢) طبقات ابن سعد: ٣/ ٣٤٦.
(٣) تاريخ المدينة، لابن شبة: ٣/ ٩٠٢؛ الفتح: ٨/ ٦٥١؛ محض الصواب: ٣/ ٨١٢.
(٤) طبقات ابن سعد: ٣/ ٣٥٠ ـ ٣٥١؛ مصنف ابن أبي شيبة: ٨/ ٥٧٩. يَـثْعَب: يجري ويسيل.

- وفي حديث عمرو بن ميمون: (قال عمر: ادعوا لي طبيباً، فدُعيَ له الطبيب، فقال: أي شراب أحبُّ إليك؟ قال: نَبيذ، فَسُقي نبيذاً فخرج من بعض طعناته، فقال الناس: هذا صديدٌ، اسقوه لبناً، فسُقي لبناً فخرج، فقال الطبيب: ما أرى أن تُمسي، فما كنتَ فاعلاً فافعل)[1].

وعاش عمر بعد أن طعن ثلاثة أيام ثم مات رضي الله عنه وأرضاه[2].

ثانياً: الاستخلاف وأصحاب الشورى:

- عن عبد الله بن عمر قال: (قيلَ لعمرَ: ألاَ تَستخلِفُ؟ قال: إنْ أستخلِفْ فقد استخلَفَ من هو خيرٌ منِّي أبو بكر، وإنْ أَتْرُكْ فقد تَرَكَ من هو خيرٌ منِّي رسولُ الله ﷺ. فأَثْنَوا عليه، فقال: راغبٌ وراهبٌ، وَدِدْتُ أني نجوتُ منها كَفَافاً لا لي ولا عليَّ، لا أتحمَّلُها حيّاً ومَيتاً!)[3].

وفي رواية عمرو بن ميمون: (وقالوا له حين حَضَره الموتُ: استخلِفْ، فقال: لا أجدُ أحداً أحقَّ بهذا الأمرِ من هؤلاء النَّفَر الذين توفِّي رسولُ الله ﷺ وهو عنهم راضٍ، فأيُّهم استُخْلِفَ فهو الخليفةُ من بعدي؛ فسمَّى: عليّاً وعثمان وطلحة والزبير وعبد الرحمن وسعداً، فإنْ أصابت سعداً فذاكَ، وإلا فأيُّهم استُخلِفَ فَلْيستعِنْ به؛ فإني لم أَعزِلْه عن

---

(١) طبقات ابن سعد: ٣/ ٣٤١، ٣٤٦، ٣٥١، ٣٥٤؛ مسند أحمد (٢٩٤)؛ مصنف ابن أبي شيبة: ٨/ ٥٧٩.

(٢) المستدرك: ٣/ ٩٢.

(٣) أخرجه البخاري (٧٢١٨)؛ ومسلم (١٨٢٣) وغيرهما.

عجزٍ ولا خيانةٍ. قال: وجَعَل عبدَ الله ـ بن عمر ـ معهم يُشاورونه، وليس له من الأمر شيءٌ)[1].

وفي رواية ابن ميمون أيضاً: (ثم قال: ادعوا لي عليّاً وعثمان وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعداً، فلم يكلِّمْ أحداً منهم غيرَ عليّ وعثمانَ، فقال: يا عليّ، لعل هؤلاء القوم يعرفون لك قرابتَكَ من النبي ﷺ وصِهْرَك، وما آتاك الله من الفقه والعلم، فإن وَلِيتَ هذا الأمر فاتَّقِ الله فيه. ثم دعا عثمان فقال: يا عثمان! لعل هؤلاء القوم يعرفون لك صِهرك من رسول الله ﷺ، وسِنَّكَ وشرفَكَ، فإنْ وَلِيتَ هذا الأمر فاتقِ الله، ولا تحملَنَّ بني أبي مُعَيْط على رقاب الناس. ثم قال: ادعوا لي صُهيباً، فدُعي، فقال: صلِّ بالناس ثلاثاً، وليَخْلُ هؤلاء القوم في بيت، فإذا اجتمعوا على رجل منهم، فمن خالفَهم فاضْرِبوا رأسَه!)[2].

وأمر عمر أبا طلحة الأنصاري أن يقوم في خمسين من الأنصار فيحرسون البيت الذي اجتمع فيه أصحاب الشورى، وقال له: (قُمْ على ذلك الباب بأصحابك، فلا تَتْرُكْ أحداً يَدخل عليهم، ولا تتركهم يَمضي اليوم الثالث حتى يؤمِّروا أحدَهم. اللهم أنت خليفتي عليهم!)[3].

وهكذا فإن عمر سَلَك في هذا الأمر مسلكاً متوسطاً خشية الفتنة، فرأى أن الاستخلافَ أضبطُ لأمر المسلمين، فجعل الأمر معقوداً موقوفاً

---

(١) هو طرف من الحديث الطويل المتقدم: ص٧٠٨ـ٧١٠ حاشية (١) في هذا الكتاب.

(٢) طبقات ابن سعد: ٣/ ٣٤١ ـ ٣٤٢؛ مصنف ابن أبي شيبة: ٧/ ٥٧٧.

(٣) طبقات ابن سعد: ٣/ ٣٦٤؛ الفتح: ٨/ ٦٥٧.

على الستة ، لئلا يَـترك الاقتداءَ بالنبي ﷺ وأبي بكر ، فأَخذ من فعل النبي ﷺ طرفاً وهو ترك التعيين ، ومن فعل أبي بكر طرفاً وهو العقد لأحد الستة وإن لم ينص عليه[1].

وعملَ أصحابُ الشورى بوصية عمر ، وتولَّى عبدُ الرحمن بن عوف شؤونَ هذا الأمير الجليل ، وقام بشورى عَميمة مدهشة لمدة ثلاثة أيام ، فوجدَ الناسَ لا يَعْدِلون بعثمانَ بن عفان أحداً ، فبايعوه.

ثالثاً: وصايا أمير المؤمنين عمر للخليفة من بعده:

في الحديث الطويل الذي تضمن قصة استشهاد أمير المؤمنين ، سطَّر الفاروق وصايا جليلة من مَعين الحكمة، وضَعَها في عنق الخليفة من بعده، وفي عنق كل مسؤول يلي من أمر المسلمين شيئاً ، وهي مما يُـكتب بماء الذهب ، ويجب أن يوضَع في صدور دواوين الحكم والقضاء ومجالس الشورى وأروقة الوزراء؛ لتكون نبراساً لكل هؤلاء ، وحجَّةً عليهم أمام الله وأمام الأمة ، ومفخرةً للإسلام الذي حفظ حقوق كل الناس، وسابقةً من درر سوابق أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه وأرضاه.

قال عمر: (أُوصِي الخليفة من بعدي بالمهاجرين الأولين؛ أن يَعرف لهم حقَّهم ، ويحفظَ لهم حُرمتَهم. وأُوصِيه بالأنصار خيراً ، الذين تبوَّؤوا الدار والإيمان من قبلهم؛ أن يُـقْبَلَ من محسنِهم ، وأن يُعْفَى عن مُسيئِهم. وأوصيه بأهل الأمصار خيراً؛ فإنهم رِدْءُ الإسلام ، وجُبَاةُ المال ، وغيظُ العدو ، وأن لا يُؤخَذَ منهم إلا فَضْلُهم عن رضاهم. وأوصيه بالأعراب خيراً؛ فإنهم أصلُ العرب ، ومادة الإسلام ، أن يُؤخَذ

---

(١) الفتح: ١٦/٦٠٨ شرح الحديث (٧٢١٨).

من حَوَاشِي أموالهم ، ويُـرَدَّ على فقرائِهم. وأوصيه بذِمَّةِ الله وذِمَّةِ رسـولـه ﷺ ، أن يُـوفَـى لهـم بعهـدِهـم ، وأن يُـقـاتَـلَ مـن ورائِهـم ، ولا يُـكَلَّفوا إلا طاقَـتَهم)[1].

وقال أيضاً: (وأوصيك بتقوى الله وشدة الحذر منه ومخافة مَقْته ، أن يطَّلع منك على رِيبة ، وأوصيك أن تخشى الله في الناس ، ولا تخشى الناس في الله. وأوصيك بالعدل في الرعية ، والتفرغ لحوائجهم وثغورهم ، ولا تُؤْثِر غنيَّهم على فقيرِهم. . . وآمرك أن تشتد في أمر الله وفي حدوده ومعاصيه ، على قريب الناس وبعيدِهم ، ثم لا تأخذك في أحد رأفةٌ حتى تنتهك منه مثلَ ما انتَهَك من حُرمة الله. واجعل الناس عندك سواء ، لا تُبال على من وجب الحق ، ثم لا تأخذك في الله لومة لائم. وإياك والأَثَرة والمُحابَاة فيما ولاَّك الله مما أفاءَ الله على المؤمنين ، فَـتَجُور وتَظْلم ، وتَحرم نفسك من ذلك ما قد وسَّعَه الله عليك. . .

ثم اركَبِ الحقَّ وخُضْ إليه الغمرات ، وكن واعظاً لنفسك. أَنْشُدك الله لَمَا ترحَّمْتَ على جماعة المسلمين؛ فأجللتَ كبيرهم ، ورحمتَ صغيرهم ، ووقَّرتَ عالمهم. ولا تضربهم فيذِلّوا ، ولا تستأثِر عليهم بالفيء فتُغضبَهم ، ولا تَحرمهم عطاياهم عند محلّها فتُفقِرهم ، ولا تجمِّرهم في البعوث فتقطع نَسْلَهم ، ولا تجعل المال دُولَةً بين الأغنياء منهم ، ولا تُغْلِق بابَكَ دونهم فيأكل قويُّهم ضعيفَهم. هذه وصيتي إياكَ ، وأُشْهِدُ الله عليك ، وأقرأُ عليك السلام)[2].

(١) هو طرف من الحديث المتقدم: ص ٧٠٨ ـ ٧١٠ حاشية (١) في هذا الكتاب.

(٢) البيـان والتبيين: ٢/ ٢٣٥ ـ ٢٣٦؛ المناقـب ، لابـن الجـوزي، ص ١٩٦؛ الخراج ، لأبي يوسف، ص ١٦.

الفصل الرابع

وقفات
مع الاستشهاد والاستخلاف والوصايا

في وقفة تأمُّلٍ واعتبارٍ مع قصة استشهاد الفاروق ومجريات أحداثها وملابساتها ونهايتها؛ يمكن للباحث أن يوضح جملة من الحقائق نشير إليها بإيجاز :

١ ـ لمّا فُتحت (تُسْتَر) استسلم (الهُرْمُزَانُ) على أن يَنزل على حكم عمر ، فحُمِل إلى المدينة ، وأسلمَ بين يدي عمر بحيلة ماكرة[١] ، واستبقاه أمير المؤمنين عنده ليكفي المسلمين خِداعَه وغدْرَه ومكرَه .

والمتأمل في سيرته يرتاب في صحة إسلامه ، ويجزم بتدبيره الدسائس والمكايد للمسلمين الذين وَتَرُوه في منزلته بين بني جلدته ، ووَتَرُوه كذلك في فتوحهم لبلاد فارس وكسرهم دولة بني ساسان ، ويرشح هذا استمراره بالخديعة حتى مع أمير المؤمنين عمر .

فعندما اجتمع الفرس بنَهاوَنْد ، وأراد المسلمون فتحها ، استشار

(١) انظر : مصنف ابن أبي شيبة : ٨/ ٣٠؛ الفتح : ٧/ ٧٧٦ ـ ٧٧٨؛ كتاب الجزية ، باب (١١)؛ البداية والنهاية : ٧/ ٨٦ ـ ٨٨ .

عمر الهرمزان بذلك ، فلم يَمحضْه النصيحة! .

عن جُبير بن حَيّة: (أن عمر بن الخطاب قال للهُرْمُزان: أمَا إذْ فُتَّني بنفسك ، فانْصَحْ لي ـ وذلك أنه قال له: تَكلَّمْ لا بأسَ ، فأَمَّنَه ـ فقال الهُرمزان: نعم ، إن فارس اليوم رأسٌ وجناحان ، قال: فأين الرأس؟ قال: بنَهَاوَنْد مع بنِذاذقان ، فإن مَعه أساورةَ كسرى وأهلَ أصفهان ، قال: فأين الجناحان؟ فذكر الهرمزان مكاناً نسيتُه ، فقال الهرمزان: فاقطع الجناحين تُوهِن الرأسَ.

فقال له عمر: كذبتَ يا عدوَّ الله! بل أَعْمِدُ إلى الرأس ، فيقطعُه الله ، وإذا قطعه الله عنِّي ، انفضَّ عني الجناحان)[1].

فكشف عمر خبثَه ومكْرَه وأنكر عليه ، فعندئذٍ رجع إلى الصواب[2].

وهذا يدل على مكره وخديعته ، وعلى أن في إسلامه دَغَلاً ، وأن لقومه في نفسه حبّاً متأصِّلاً .

ثم هو متَّهَمٌ بالمشاركة في التدبير لقتل أمير المؤمنين كما يدل على ذلك رواية صحيحة ساقها ابن سعد ، عن سعيد بن المسيِّب: (أن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق قال حين قُتل عمر: قد مررتُ على أبي لؤلؤة قاتلِ عمر ومعه جُفَيْنة والهُرْمُزان وهم نَجِيٌّ! فلما بَغَتُّهم ثاروا فسقط من بينهم خَنْجر له رأسان ونِصابه وسطه ، فانظروا ما الخنجر الذي

---

(١) أخرجه في خبر صحيح مطول جدّاً: ابن أبي شيبة: ٨/ ٢٢ ـ ٢٤؛ وابن حبان (٤٧٥٦)؛ والطبري في تاريخه: ٤/ ١١٧ ـ ١٢٠؛ واختصره البخاري (٣١٥٩).

(٢) انظر: الفتح: ٧/ ٧٦١ (٣١٥٩).

قُتل به عمر؟! فوجدوه الخنجرَ الذي نَعَتَ عبد الرحمن بن أبي بكر! فانطلق عُبيد الله بن عمر حين سمع ذلك من عبد الرحمن بن أبي بكر ومعه السيف ، حتى دعا الهُرْمُزان ، فلما خرج إليه قال: انطلِقْ معي حتى ننظر إلى فرس لي ، وتأخَّر عنه حتى إذا مضى بين يديه عَلاَه بالسيف ، قال عبيد الله : فلما وجد حرَّ السيف ، قال: لا إله إلا الله! قال عبيد الله: ودعوتُ جُفَيْنة ـ وكان نصرانيّاً من نصارى الحيرة ، وكان ظِئْراً لسعد بن أبي وقاص أقدمه المدينةَ للمِلْح الذي كان بينه وبينه ، وكان يعلِّم الكتاب بالمدينة ـ قال عبيد الله : فلما علوتُه بالسيف صَلَّبَ بين عينيه. ثم انطلق عبيد الله فقتل ابنةَ أبي لؤلؤة صغيرة تدعي الإسلام. وأراد عبيد الله أن لا يترك سَبْياً بالمدينة إلا قَـتَلَه)[١].

فهذا فيه دلالة واضحة على أن قَتْل عمر كان فيه تدبير سابق وإعداد مبيَّت أشرف على تنفيذه الهرمزان.

وتؤكد رواية أخرى ذلك ، وأن أبا لؤلؤة أضمر قتل عمر؛ (فاصطنع له خنجراً له رأسان ، وشَحَذَه وسَمَّه ، ثم أتى به الهرمزانَ فقال: كيف ترى هذا؟ قال: أرى أنك لا تضرب به أحداً إلا قتلته!)[٢].

٢ ـ الحقد المجوسي المتأصِّل في قلوب الفُرس كباراً وصغاراً ، فقد تقدم ما كان يَضْطَغِن عليه قلب الهُرْمُزان ، ومثله ما كان يَمُور به صدر رستم؛ ويدل على ذلك أن رستم قد بعث عَيْناً (جاسوساً) أيام القادسية

---

(١) طبقات ابن سعد: ٣/ ٣٥٥ ـ ٣٥٦، وله بقية، وإسناده صحيح. **يعلم الكتاب**: أي الكتابة.

(٢) أسد الغابة: ٤/ ٧٦.

ليرى حال المسلمين ، فرآهم يستاكون ويتهيؤون للصلاة حين ينادي المنادي . قال هذا الجاسوس : أتاني صوت عند الغداة ، وإنما هو عمر الذي يكلِّم الكلاب فيعلِّمهم العقل . فلما عَبَروا تواقفوا ، وأَذَّن مؤذِّنُ سعد للصلاة ، فصلى سعد ، وقال رستم : أكل عمر كَبِدي[1]! .

هكذا كانوا ينظرون إلى أولئك الرجال الأماجد من (العرب) الذين حملوا هداية السماء وحرَّرُوهم من عبادة كسرى والسجود للنار؛ يرونهم مثل (الكلاب)! ولا يستطيع رستم أن يكتم أحقاده حتى يقول : أكل عمر كبدي! .

٣ـ وهذا الحقد هو نفسه الذي كان يضطرم ناراً تلظَّى في قلب العِلْج الكافر أبي لؤلؤة .

عن الشعبي قال : (لمَّا قُدِمَ بِسَبْي نَهَاوند إلى المدينة ، جعل أبو لؤلؤة فيروز غلامُ المغيرة بن شعبة لا يَلْقى منهم صغيراً إلا مَسَح رأسَه وبكى ، وقال : أكلَ عمر كَبِدي!)[2] .

وهذا كان قبل مقتل عمر بنحو ثلاث سنين ، لأن (نهاوند) كانت سنة (٢١ هـ) .

ويؤكد الحقدَ المجوسي في صدر هذا اللعين أنه بعد أن طَعَن الفاروق ، طار بين الصفوف فطَعَن بِخِنْجره ثلاثةَ عشر مؤمناً ، مات منهم سبعة أو تسعة[3] ، فإذا كان يحتجُّ بأن عَدْلَ عمر لم يَسَعْه ولم يُنصفه من

---

(١) تاريخ الطبري : ٣/ ٥٣٣ .

(٢) تاريخ الطبري : ٤/ ١٣٦ ؛ البداية والنهاية : ٧/ ١١٢ .

(٣) طبقات ابن سعد : ٣/ ٣٣٧ ، ٣٤٠ ، ٣٤٨ ـ ٣٤٩ .

سيده المغيرة ، فما ذنبُ هؤلاء الرجال يقتلهم بخسَّة ونَذَالة وجُبْن؟! .

٤ ـ ويؤكد أن قتل عمر كان مؤامرة؛ أن المجوسي الخبيث أبا لؤلؤة عندما قبض عليه المسلمون أسرع فنَحَر نفسه بخنجره ، فإذا كان ـ لا رحمه الله ـ صاحبَ حق ، فهلاَّ انتظر المحاكمة الإسلامية ، وهو يعلم يقيناً عدْلَ المسلمين وإنصافَهم! .

والذي نراه أنه إنما عَجَّل بنفسه ليموت سرُّه معه ، ولا يكشف التحقيق معه خيوطَ المؤتمرين من أمثال الهُرْمُزان وجُفَيْنة اللذين قتلهما عبيد الله بن عمر فيما بعد.

٥ ـ استمرار الحقد المجوسي الفارسي على عمر وعلى الإسلام وتأصله في قلوب الرافضة الذين يدَّعون حُبَّ علي بن أبي طالب وآله ، ولقد قدَّمْنا أقوالَهم في الفاروق ، وأثبتنا مواقفَ علي مع أخيه عمر بدءاً من كونه من رؤوس مجلس الشورى ، ثم تزويجه بابنته أم كلثوم ، وختم ذلك بكلمته الجليلة ورثائه له عندما سُجِّي عمر بثوب الموت.

أما أولئك الذين يزعمون حُبَّ علي وآل البيت فقد أقاموا لذاك الخبيث المجوسي الذي لم يُسْلم قط ، وقتل عمر في المحراب ، ثم مات منتحراً. . . أقاموا له (مشهداً) تبجيلاً له ، واحتفاءً بعمله ، وتخليداً لفعلته الآثمة الفاجرة.

يقول السيد حسين الموسوي: (واعلَمْ أن في مدينة «كاشان» الإيرانية ، في منطقة تسمَّى «باغي فين» ، مشهداً على غِرار «الجندي المجهول» ، فيه قبرٌ وهمي لأبي لؤلؤة فيروز الفارسي المجوسي ، قاتل الخليفة الثاني عمر بن الخطاب ، حيث أطلقوا عليه ما معناه بالعربية:

«مرقد بابا شجاع الدين»! وبابا شجاع الدين هو لقب أطلقوه على أبي لؤلؤة لقتله عمر بن الخطاب ، وقد كُتب على جدران هذا المشهد بالفارسي : «مرك بر أبو بكر ، مرك بر عمر ، مرك بر عثمان» ، ومعناه بالعربية : الموت لأبي بكر ، الموت لعمر ، الموت لعثمان .

وهذا المشهد يُزار من قِبل الإيرانيين، وتُلْقى فيه الأموال والتبرعات، وقد رأيتُ هذا المشهد بنفسي ، وكانت وزارة الإرشاد الإيرانية قد باشرت بتوسيعه وتجديده ، وفوق ذلك قاموا بطبع صورة المشهد على «كارتات» تستخدم لإرسال الرسائل والمكاتيب!)[١] .

٦ ـ إن الإسلام في عهد عمر بَسط جناحيه في المشرق والمغرب ، وعَمَّ خيرُه المسلمين وغير المسلمين ، وأقبل عليه الناس أفواجاً أفواجاً ، وساد العدل في العالمين ، وعاشوا في بُلَهْنِيَة ورخاء؛ مما آلَمَ أولئك الموتورين وجَيَّشَ في قلوبهم الأحقادَ وأضرم في صدورهم البغضاءَ ، فوجَّهوا إلى صدر عمر ذلك السهم المسموم ، فأردَوْه قتيلاً وهو يؤمُّ الناس في صلاة الفجر في الركع السجود .

وتوارثوا البغضاء جيلاً بعد جيل ، ولقَّنُوا أتباعَهم السبَّ والطعنَ على هذا الرجل العظيم وغيره من الصحابة الذين رباهم رسول الله ﷺ وأحبَّهم وأحبُّوه ، وأثنى الله عليهم في كتابه والنبي ﷺ في سنته .

فالذي يتهم عمرَ ويخوِّنه ويسبُّه ويفرح ببقر بطْنه! إنما يوجِّه التهمةَ إلى صاحب الرسالة ﷺ ، الذي أحَبَّ الفاروق وتزوَّج ابنته وأشاد بذِكْره في عشرات الأحاديث والمواقف ، وأطبق الصحابة وأهل الأرض على

---

(١) لله ثم للتاريخ ، ص ٩٤ .

سمو أخلاقه وعدله وزهده وروعة منهجه وعزة الإسلام في دولته.

٧ ـ كان عمر غَلَقَ الفِتنة، وعندما استُشهد كُسِر بابُ الفتن، وهُدِم السدُّ المَنيع الذي كان يَحُول دونها، ويَذُود عن الأمة مزالقَ الاختلاف والاقتتال وإراقة الدماء.

وتنفَّس أعداءُ الله الصُّعَداءَ حيث زالت تلك الشوكة الصلبة التي غصَّتْ بها حلوقُهم، وبدؤوا يَذرُّون الفتن، ويروِّجون الأكاذيب، ويؤرِّثون الاختلاف، ويُذْكُونَ الاحترابَ بين المسلمين... فعليهم وِزْرُها ووِزْرُ من عمل بها ورضي بها وساعد عليها.

٨ ـ الإخلاص الباهر والخشية الرفيعة والعدل النادر عند الفاروق وهو في السياق، إذ يخشى أن يكون الذي طعنه مسلماً قد يكون له أدنى حجة بين يدي الله، وهذا ما يعبِّر عنه فرحُه الغامر عندما علم أن قاتله هو ذاك المجوسي الكافر الذي لم يسجد لله سجدة يحتج بها عند الله على أمير المؤمنين.

٩ ـ التواضع الفذ من عمر والحبّ الراسخ للنبي ﷺ وصاحبه أبي بكر، يتجلّى في حرصه على أن يُدفَن معهما في حجرة أم المؤمنين عائشة، وقوله لابنه: قل: يستأذن عمر، ولا تقل أمير المؤمنين فإني لست اليوم للمؤمنين أميراً. فلما جاءه عبد الله بالبشرى، وأن عائشة أَذِنَتْ، قال الفاروق: (الحمدُ لله، ما كان من شيء أهمُّ إليَّ من ذلك).

١٠ ـ جلالة السيدة أم المؤمنين عائشة، وإجلالُها أميرَ المؤمنين عمر، وإعزازُها له وتقديمه بالخير على نفسها، حيث آثرتْه بمكان الدفن فقالت: (قد والله كنتُ أريده لنفسي، ولأُوثِرنَّه به اليومَ على نفسي).

١١ ـ عظمةُ عمر في استمراره بأعمال الخير الكبار وهو في أجفان الموت ، وجرحُه يتفجر دماً :

ـ فهو يأمر ذاكَ الشاب الأنصاريَّ الذي كان يجرُّ ثوبَه ، بأن يرفَعَه عن الأرض ، فإنه أنقى للثوب وأتقى للرب .

ـ ولما دخلت عليه ابنتُه حفصة عوَّلَتْ عليه وبكت ، كذلك عَوَّلَ عليه صهيبٌ ونَدَبه وصاح : واأخاه ! واصاحباه! فنهاهما عن الندب مع البكاء .

ـ الوصايا الجليلة للخليفة من بعده بالمهاجرين والأنصار وأهل الأمصار والأعراب وأهل الذمة ، والعدل والرحمة والرأفة والجهاد والتواضع وحفظ أمور الإسلام . . . .

وفي طريقة عمر في استخلاف الستة أصحاب الشورى نلاحظ ما يلي :

١٢ ـ ورعُه الشديد في تسمية أولئك الستة ، واستبعادُه سعيدَ بن زيد وهو ممن مات النبي ﷺ وهو عنهم راضٍ ، وكذلك استبعادُه ابنَه عبد الله بن عمر ، وكلاهما أهل للخلافة . لكن عمر لم يسمِّهما لأنهما من قرابته ، وهذا في غاية الورع الذي لا يبلغه إلا رجل مثل عمر ، وأين مثله؟! .

١٣ ـ في تسميته ستة رجال يُختار منهم خليفة للمسلمين ، يكون عمر قد سلك طريقاً وسطاً جمع فيه بين التنصيص وعدم التعيين ، وأخذ بهدي النبي ﷺ الذي لم ينصَّ على رجل بعينه ، كما أخذ بطريقة الصديق في تعيينه شخصاً معيناً عندما استَخْلَف عمر ، وهي طريقة مبتكرة جمع فيها بين الأسلوبين .

١٤ ـ ألمعية الفاروق في تنصيبه صُهيباً لإمامة المسلمين ، ولم يذكر

واحداً من أولئك الرجال الستة وكل واحد منهم أفضَلُ من صهيب ، لئلا يَظنّ أحدٌ أن في ذلك ترشيحاً له وتقويةً من عمر لاختياره خليفة .

١٥ ـ صدقُ فراسةِ عمر في اختيار المسلمين أحدَ الستة ، فهو كان يرى أنهم سيختارون إما عثمانَ أو عليّاً ، ولذا خَلا بهما دون غيرهما ، وأوصى كلاًّ منهما على حِدَة وصية خاصة .

١٦ ـ تبرئةُ البريء على الأشهاد ، وهذا ما فعله الفاروق في قوله عن سعد بن أبي وقاص : (فإنْ أصابتِ الإمْرَةُ سعداً فهو ذاكَ ، وإلاَّ فليستعِنْ به أيُّكم ما أُمِّرَ ، فإني لم أعزِلْه عن عجزٍ ولا خيانةٍ) .

١٧ ـ وفي وصايا عمر للخليفة من بعده مواقف رائعة وتشريعات وسنن ومبادئ تستحق التنويه والإكبار :

فأوصى الخليفة بالجوانب الدينية ، مؤكِّداً على الحرص على تقوى الله تعالى وخشيتِه وملازمة الحق في إقامة الحدود على القريب والبعيد ، والاستقامة في القول والعمل فذلك مناط صلاح الراعي والرعية .

وأوصاه بجميع فئات المجتمع ، وإكرام السابقين الذين قام الإسلام بسواعدهم وهم المهاجرون والأنصار ، وأن يحرِص على أهل الأمصار الذين هم رِدْءُ الإسلام وحماتُه والحافظون لدولته في أطرافها ويَجْبُون للناس الأموال ، وأن يعتني بالأعراب ولا يَظلمهم بأخذ كرائم أموالهم ، وأن يأخذ الأموال فيردَّها على فقرائهم لِيُغْنِيهم ، وأكد على الوصية بأهل الذمة ؛ حيث أوصى بهم النبي ﷺ برفع الظلم والعَنَتِ عنهم ، وحمايتهم والإحسان إليهم .

١٨ ـ وأعلَنَ تحريرَ الأرقَّاء المسلمين ، فأوصَى أن يُعْتَق من كان

يصلي من رقيق الإمارة ، وقال لسعيد بن زيد وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس : اعْلَمُوا أنه مَن أدرك وفاتي من سَبْي العرب من مال الله ؛ فهو حرٌّ[1] .

وهي أقدمُ محاولةٍ في التاريخ الإنساني لتحرير الرقيق تحريراً شاملاً في نطاق دولة كبرى[2] ! .

* * *

---

(١) طبقات ابن سعد : ٣/ ٣٤٢، ٣٥٩ .

(٢) انظر ما تقدم : ص٥١٢ ـ ٥١٣ في هذا الكتاب .

الفصل الخامس

الـــوداع

أولاً: عمر يستأذن عائشة أن يدفن مع حبيبه رسول الله ﷺ وأبي بكر:

قال عَمْرو بن مَيْمون: (رأيتُ عمر بنَ الخطاب رضي الله عنه قال: يا عبد الله بن عمر! اذهَبْ إلى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فقلْ: يقرأُ عمر بن الخطاب عليكِ السلامَ ، ثم سَلْها أن أُدْفَنَ مع صاحِبَيَّ. قالت: كنتُ أريده لنفسي ، فلأُوثِرَنَّهُ اليومَ على نفسي. فلما أقبل ، قال له: ما لديكَ؟ قال: أَذِنَتْ لكَ يا أمير المؤمنين. قال: ما كان شيءٌ أهمَّ إليَّ من ذلك المَضْجِع)[1].

ومن ورعِ الصديقة عائشة وحيائها بَنَت بينها وبين القبور الثلاثة جداراً!.

روت عمرة بنت عبد الرحمن ، عن عائشة قالت: (ما زِلتُ أَضَعُ خماري وأَتفَضَّلُ في ثيابي في بيتي حتى دُفن عمر بن الخطاب فيه ، فلم أَزَلْ متحفِّظةً في ثيابي حتى بَنيتُ بيني وبين القبور جداراً ، فتفضَّلْتُ بعدُ!)[2].

---

(١) البخاري (١٣٩٢).

(٢) طبقات ابن سعد: ٣/ ٣٦٤، وإسناده حسن. **تَفَضَّلَت المرأةُ**: إذا لَبِست: ثياب مهنتها، أو كانت في ثوب واحد.

ثانياً: مواقف بين عمر وبعض الصحابة:

ـ لمّا طُعن الفاروق واحتُمِل إلى بيته ، دخل عليه جِلَّة الصحابة والناس ، وجعلوا يُثْنُون عليه ، ومن جملة من أطاب عليه الثناءَ عبدُ الله بن عباس ، وقد رأى من عمر جزعاً وخوفاً ، فقال عمر :

(وأمَّا ما ترى من جَزَعي فهو من أَجْلِكَ وأجلِ أصحابِك . واللهِ لو أنَّ لي طِلَاعَ الأرضِ ذهباً؛ لافتديتُ به من عذابِ الله عز وجل قبلَ أن أراه!)[١] .

وقوله: **(من أجلك وأجل أصحابك)**: قال ذلك لِما توقعه من فتن تكون بعده ، لأن قتله يشعر بذلك . أو قال ذلك لِعظَم مسؤوليته عن رعيته وسيرته فيهم ، وكأنه غلب عليه الخوف في تلك الحالة ، مع هضم نفسه وتواضعه لربه[٢] .

وطِلَاعَ الأرض: ما يَملؤُها حتى يَطْلُعَ عنها ويَسِيل[٣] .

وفي رواية عن ابن عباس: أنه أثنى على الفاروق فقال: (أَبْشِر بالجنة: صاحبتَ رسول الله ﷺ فأَطَلْتَ صحبتَه ، ووَلِيتَ أمر المؤمنين فقَوِيتَ وأَدَّيْتَ الأمانة . فقال: أمَّا تبشيرُك إيايَ بالجنة ، فوالله الذي لا إلٰه إلا هو ، لو أن لي الدنيا وما فيها لافتديتُ به من هَوْل ما أمامي قبل أن أَعلم الخبر . وأما قولك في إمْرة المؤمنين ، فوالله لوَدِدْتُ أن ذلك كَفَافٌ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٩٢)؛ وابن سعد: ٣/ ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٥ .

(٢) الفتح: ٨/ ٦٣٣ (٣٦٩٢) .

(٣) النهاية: ٣/ ١٣٣ .

لا لي ولا عليَّ! وأما ما ذكرتَ من صحبة رسول الله ﷺ ، فذاك)[1].

ـ وعن عثمان بن عفان قال: (أنا آخِرُكم عهداً بعمر ، دخلتُ عليه ورأسُه في حَجْر ابنه عبد الله بن عمر ، فقال له: ضَعْ خدِّي بالأرض ، قال: فهل فَخِذي والأرض إلا سواء؟ قال: ضَعْ خدّي بالأرض لا أمَّ لك ، في الثانية أو الثالثة ، ثم شَبَكَ بين رجلَيْه ، فسمعتُه يقول: وَيْلي وويل أمي إنْ لم يغفر الله لي ، حتى فاضَتْ نفسه)[2].

وعن يحيى بن أبي راشد البَصْري: (أن عمر بن الخطاب لمّا حضرتْه الوفاة قال لابنه: يا بُنيَّ! إذا حضرتني الوفاة فاحرِفْني ، واجعل ركبتَيْك في صُلْبي ، وضَعْ يدك اليمنى على جبيني ، ويدك اليسرى على ذَقَني ، فإذا قُبضت فأَغْمِضْني. واقصِدوا في كَفَني ، فإنه إن يكن لي عند الله خيرٌ أبدَلَني خيراً منه ، وإن كنتُ على غير ذلك سَلَبني فأسرع سلبي. واقصِدوا في حُفرتي ، فإنه إن يكن لي عند الله خير وسَّعَ لي منها مدَّ بصري ، وإن كنتُ على غير ذلك ضَيَّقَها علي حتى تختلِفَ أضلاعي. ولا تُخْرِجُنَّ معي امرأةً ، ولا تزكُّوني بما ليس فيَّ ، فإن الله هو أعلمُ بي. وإذا خرجتم بي فأسرعوا في المَشْي ، فإنه إن يكن لي عند الله خير قدَّمْتُموني إلى ما هو خير لي ، وإن كنتُ على غير ذلك كنتم قد ألقيتم عن رقابكم شَرّاً تحمِلُونه!)[3].

---

(١) طبقات ابن سعد: ٣/ ٣٥١، ٣٥٣؛ مسند أحمد (٣٢٢)، وصححه أحمد شاكر.
(٢) طبقات ابن سعد: ٣/ ٣٦٠ ـ ٣٦١؛ مختصر ابن عساكر: ١٩/ ٤٦؛ تاريخ المدينة ، لابن شبة: ٣/ ٩١٩ ، وإسناده صحيح.
(٣) طبقات ابن سعد: ٣/ ٣٥٨ ـ ٣٥٩؛ مختصر ابن عساكر: ١٩/ ٤٦.

وعن ابن عمر بأخصر منه ، ثم أنشد:

ظلومٌ لنفسي غيرَ أني مسلمٌ أصلِّي الصلاةَ كلَّها وأصومُ[1]

ثالثاً: غسله وتكفينه والصلاة عليه ودفنه:

عن عبد الله بن عمر قال: (غُسِّل عمر بن الخطاب وكُفِّن وصُلِّي عليه وكان شهيداً)[2].

وغسله ابنه عبد الله[3]. وكفن في ثلاثة أثواب: ثوبين سحوليين وقميص كان يلبسه.

وقال سعيد بن المسيِّب: (لمَّا توفي عمر نظر المسلمون فإذا صُهيب يصلي بهم المكتوبات بأمر عمر ، فقدَّموا صهيباً فصلَّى على عمر)[4].

وصلي عليه في مسجد رسول الله ﷺ ، بين القبر والمنبر ، وحُمل على سرير النبي ﷺ. ونزل في قبره: ابنه عبد الله وعثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وسعيد بن زيد وصهيب[5].

رابعاً: قبره:

دُفن عمر بجوار سيدنا رسول الله ﷺ وأبي بكر ، في حجرة السيدة عائشة أم المؤمنين. وصفةُ القبور الثلاثة: الأكثر على أن قبر أبي بكر

---

(١) أسد الغابة: ٤/ ٧٦؛ الاستيعاب: ٢/ ٤٦٥.
(٢) طبقات ابن سعد: ٣/ ٣٦٦.
(٣) أسد الغابة: ٤/ ٧٧.
(٤) طبقات ابن سعد: ٣/ ٣٦٦، ٣٦٧.
(٥) طبقات ابن سعد: ٣/ ٣٦٧ ـ ٣٦٨؛ مختصر ابن عساكر: ١٩/ ٤٨.

وراء قبر النبي ﷺ ، وقبر عمر وراء قبر أبي بكر[1] .

قال القاسم بن محمد : (دخلتُ على عائشةَ فقلتُ : يا أُمَّهْ! اكْشِفي لي عن قبر النبي ﷺ وصاحبَيْه ، فكشفتْ لي عن ثلاثة قبورٍ لا مُشْرِفةٍ ولاطئة ، مبطوحةٍ ببطحاءِ العَرْصَة الحمراءِ. قال : فرأيتُ قبرَ النبي ﷺ مُقدَّماً ، وقبرَ أبي بكر عند رأسه ، ورأسُ عمر عند رِجْل النبي ﷺ)[2] .

خامساً: تاريخ وفاته ومبلغ عمره ومدة خلافته:

●● طعِن عمر رضي الله عنه صبيحة الأربعاء لأربع ليال بقين من ذي الحجة سنة (٢٣هـ) ، ودُفن يوم الأحد صباح هلِّ المحرم سنة (٢٤هـ)[3] .

●● وعاش ثلاثاً وستين سنة ، كسنِّ رسول الله ﷺ وأبي بكر .

عن أنس بن مالك قال : (قُبِضَ رسول الله ﷺ وهو ابنُ ثلاثٍ وستين ، وأبو بكر وهو ابن ثلاث وستين ، وعمر وهو ابن ثلاث وستين) .

وهكذا قال معاوية بن أبي سفيان[4] .

---

(١) الفتح : ٨/ ٦٥٨ (٣٧٠٠) .
(٢) طبقات ابن سعد: ٣/ ٢٠٩ ـ ٢١٠؛ سنن أبي داود (٣٢٢٠)؛ المستدرك: ١/ ٣٦٩ ـ ٣٧٠؛ وصححه الحاكم وأقره الذهبي. **مبطوحة**: أي أُلقي عليها البَطْحاء وهو الحَصَى الصغار.
(٣) طبقات ابن سعد: ٣/ ٣٦٥؛ تاريخ الطبري: ٤/ ١٩٣ ـ ١٩٤؛ الاستيعاب: ٢/ ٤٥٩ .
(٤) صحيح مسلم (٢٣٤٨)، (٢٣٥٢) .

وهو أشهر الأقوال ، ورجَّحه المِزِّيّ والذهبي[1] . ورجَّح الحافظ أنه مات وهو ابن (٥٩ سنة) ، لخبر صحيح عن عبد الله بن عمر عن عمر[2] .

●● أما مدة خلافته : فإن أبا بكر توفي يوم (٢٢) جمادى الآخرة لثمانٍ بقين منها سنة (١٣هـ) ، واستَقبل عمر الخلافة صبيحتها ، إلى أن طُعن صبيحة (٢٧) من ذي الحجة سنة (٢٣هـ) .

فتكون مدة خلافته عشرَ سنين وستة أشهر وأربعة أيام ، أي نحو (٣٧٢٠) يوماً ، سجَّل في كل ساعة من ساعاتها عملاً صالحاً وبنى مجداً وترك مأثرة .

وقيل في مدة خلافته غير ما ذكرناه ، والصواب ما أثبتناه[3] .

سادساً: تركته وقضاء دَيْنه:

في حديث استشهاد عمر رضي الله عنه أنه قال لابنه : (يا عبدَ الله بنَ عمر ، انظُرْ ما علَيَّ من الدَّيْن . فحَسَبُوه فوجَدُوه ستة وثمانين ألفاً أو نحوه . . .)[4] .

لله دَرُّكَ يا أميرَ المؤمنين! عشر سنين ونصف السنة في الحكم ، ثم تخرج منه وقد رَكِبَتْكَ الدُّيون ، وأموال كسرى وقيصر تسيل بين يديك في

---

(١) تهذيب الكمال : ٢١/ ٣١٧؛ محض الصواب : ٣/ ٨٤٠ .

(٢) تهذيب التهذيب : ٧/ ٣٨٧ .

(٣) انظر: طبقات ابن سعد: ٣/ ٣٦٥؛ تاريخ الطبري: ٤/ ١٩٣ ـ ١٩٤؛ التاريخ الأوسط : ١/ ١١٠؛ المستدرك: ٣/ ٩٣؛ الاستيعاب : ٢/ ٤٥٩؛ محض الصواب: ٣/ ٨٤٠ ـ ٨٤١ .

(٤) تقدم في الحديث الطويل: ص٧٠٩ ـ ٧١٠ في هذا الكتاب .

بيوت المال! ما هذه الأمانة ، ما هذا الورع ، ما هذا الزهد ، أيها الناس؟! أَفَهذا رجلٌ كان يأكل الطعام ويمشي في الأسواق؟ أم أنه على أخلاق الملائكة الذين لا يَعْصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يُؤمَرون؟! لا ، بل هو بَشَرٌ سَوِيٌّ رباه النبي ﷺ ، وبقي على عهده حتى لَحِق به ودُفن بجواره ، فما كان لتلك البقعة المباركة إلا أن تضمَّ أعظمَ نبيّ وأعظمَ رجلين من أتباع الأنبياء والمرسلين.

فمن أين دَيْنُك هذا أيها الفاروق؟ الجواب في حديث جابر:

(قال عمر: يا عبد الله! أقسمتُ عليك بحقِّ الله وحقِّ عمر؛ إذا مِتُّ فدَفَنْتَني أن لا تغسلَ رأسَك حتى تبيعَ من رِباع آل عمر بثمانين ألفاً ، فتضَعَها في بيت مال المسلمين. فسأله عبد الرحمن بن عوف ، فقال: أنفقتُها في حجج حججتُها وفي نوائبَ كانت تَنُوبني). وعُرِف بهذا جهة دَيْن عمر[1].

ولقد كان عبد الله بن عمر على أرفع درجات البِرّ بأبيه والطاعةِ له؛ (فلم يُدْفَنْ عمر حتى أشهدَ بها ابنُ عمر على نفسِه أهلَ الشورى وعدَّةً من الأنصار ، وما مضَتْ جمعةٌ بعد أن دُفن عمر ، حتى حَمل ابنُ عمر المالَ إلى عثمان بن عفان ، وأَحضَر الشهود على البراءة بدفع المال)[2].

وقد بقي من تركة عمر مال كثير، فقد روى نافع ـ بإسناد صحيح ـ أن رجلاً من ورثة عمر باع ميراثه بمئة ألف[3].

---

(١) الفتح: ٨/ ٦٥٤ شرح الحديث (٣٧٠٠).
(٢) طبقات ابن سعد: ٣/ ٣٥٨.
(٣) الفتح: ٨/ ٦٥٥.

وأوصى رضي الله عنه بربع مالِه[1].

سابعاً: رؤى:

عن العباس بن عبد المطلب قال: (كان عمر لي خَليلاً ، وإنه لمَّا تُوفي لَبِثتُ حَوْلاً أدعو الله أن يُرينيه في المنام ، قال: فرأيتُه على رأس الحَوْل يمسح العرق عن جبهته ، قلت: يا أمير المؤمنين ، ما فعل بك ربك؟ قال: هذا أوان فَرغتُ ، وإنْ كاد عَرْشي لَيُهَدّ لولا أني لقيتُ ربي رؤوفاً رحيماً!)[2].

وقال عبد الله بن عمر: (ما كان شيءٌ أحبَّ إليَّ أن أعلمَهُ من أمر عمر ، فرأيتُ في المنام قصراً ، فقلت: لمن هذا القصر؟ قالوا: لعمر بن الخطاب ، فخرج من القصر وعليه مِلْحَفة كأنه قد اغتسل ، فقلت: كيف صنعتَ؟ قال: خيراً ، كاد عَرْشي يهوي لولا أني لقيتُ ربّاً غفوراً)[3].

* * *

(١) طبقات ابن سعد: ٣/ ٣٥٧.
(٢) طبقات ابن سعد: ٣/ ٣٧٥؛ الحلية: ١/ ٥٤, مختصر ابن عساكر: ١٩/ ٥٢.
(٣) الحلية: ١/ ٥٤؛ محض الصواب: ٣/ ٨٧٢، ٨٧٣. **انهدَّ عَرْشُه**: وَهَى أَمْرُهُ وذَهَبَ عِزُّهُ.



الخاتمة

هـذِي مناقِبُه في عهـدِ دولتِـهِ   للشَّاهِدينَ وللأَعْقابِ أَحْكِيها
في كـلِّ واحـدةٍ منهـنَّ نـابِلَـةٌ   من الطبائِعِ تَغْذُو نفسَ واعِيها
لعـلَّ فـي أمَّـةِ الإسـلامِ نـابِتـةً   تَجْلُو لحاضِرِها مرآةَ ماضِيهَا[1]

نردِّدُ على أبنائنا وأمتنا مع (شاعر النيل) هذه النغمات المؤنسة ، ونقيم الجسورَ بين حاضرنا وماضينا ، ونَصِل الحبال بين يومنا وأمسنا ، ونعضُّ بالنَّوَاجذ على إبقاء تاريخنا حاضراً في أنفس ناشئتنا؛ فإن أيديَ خبيثةً وجهوداً ماكرة وعقولاً مستغرِبة وإعلاماً هدَّاماً ـ تتعاون جميعها لتبتر الوشائج بيننا وبين أسلافنا ، فتقلِّل من أهمية التاريخ ودراسته ، وتزعم أن الزمان قد تجاوز ذلك إلى عصر الاستغراب والحداثة والعولمة ، في الوقت الذي نجدُ الأممَ التي لا تاريخَ لها تصنع لها ولأبنائها تاريخاً! .

إنه من الواجب على كل مسلم غيور على الإسلامِ وكتابهِ ونبيِّه ﷺ وصحابته رضوان الله عليهم ورجالِه وتراثِه وتاريخه ـ أن يُناضِل جهدَ الطاقة ليُبقي الذاكرةَ التاريخية حاضرة دوماً في قلوب أبنائنا وعقولهم ،

---

(١) ديوان حافظ إبراهيم ، ص ٩٧ . **نابلة**: سجية شريفة من سجايا النبل. **نابتة**: هم الناشئون.

ويرسخ في نفوس الناشئة أن سِيَر أولئك الرجال وأعمالهم وتاريخهم هو ملكٌ للأمة ، وذخيرة ودروس وعِبَر وذكرى وزادٌ لنا ، لأنهم كانوا الترجمة الحية للإسلام ومبادئه العظيمة ، وأي تغييب لهم أو تهوين من شأنهم أو إساءة لهم وتشكيك فيهم ، يكون المقصود منه : الإسلام وكتابه العظيم والنبي ﷺ وسنته الشريفة!.

إن أبا بكر وعمر وعثمان وعليّاً والمهاجرين والأنصار ثم عامة الصحابة؛ هم في سِيَرهم البواكير الطيبة الناضجة لمغارس القرآن الكريم وتربية النبي العظيم ﷺ في قلب الإنسانية وفي ضميرها ووجدانها. وأي تشويه أو استخفاف أو إقصاء لهم عن حياة أمتنا؛ هو بلا مراء حرب على الله ورسوله ودينه وأمته.

إن عمر هو ابن الإسلام ، وعظمته من عظمة الإسلام ، والدولة التي شيدها بمعاونة الرجال العظام الكبار الكُثَار معه؛ هي أعظمُ الشهود التي تشهد لصدق الرسالة الإسلامية ، والآثار الطيبة التي تركتها في تاريخ الإنسانية ، والتي حققت عالمية الإسلام وعالمية دولته من أقصى المشرق إلى أقصى المغرب.

ولقد تبين للناس على تعاقب الأجيال أن (الدولة الإسلامية) في عهد عمر لم تكن وليدة عبقرية حربية تُبقِي عليها وتحفظها من الزوال ، بل كانت (دولة ربانية) قائمة على أسس إنسانية حضارية فاضلة. وإذا صح للناس أن يشيدوا بعظمة يوليوس قيصر والإسكندر الأكبر وجنكيزخان ونابليون لأنهم أقاموا من الإمبراطوريات ما أقاموا [1]، فأَحْرى بهم أن

---

(١) الفاروق عمر ، لهيكل ، ص ٧.

يكونوا أكثر إشادة بعمر بن الخطاب لأنه شيد دولة الحق والعدل والحرية والمساواة والفضيلة وصيانة حقوق الإنسان أي إنسان!.

والذين تَشْرَق صدورُهم بسيرة عمر ودولته هم أحفاد ذلكم المجوسي الغادر أبي لؤلؤة الذي كَمَنَ للفاروق في غَلَس السَّحَر وغدر به وهو في محرابه يؤم المسلمين في صلاة الفجر!.

إن هؤلاء ينظرون إلى عمر وهو في ذاك الأفق البعيد العالي وقد ضاقَتْ صدورهم به وازورَّت نفوسُهم عنه، كما تضيق الصدور أحياناً بالنظر في وجه الشمس وتزورُّ النفوس عنها... ومع ذلك فهي هي الشمس؛ لا يرفع من قَدْرها رضا الراضين ولا مدحُ المادحين، كما لا يُزيلها عن مكانها سخطُ الساخطين ولا قدح القادحين.

ما كلام الناس في الشمس إلا   هي شمس ليس فيها كلام![1]

إن عمر وسيرته وأعماله في دولته قائمة راسخة في ضمير كل إنسان حر منصف كريم، ثابتة فياضة في كتب التاريخ الصادق، وشاهد الوجود أصدق شاهد!.

أما مقام عمر فهو كما قال زين العابدين علي بن الحسين، وقد سُئل: (كيف كانت منزلة أبي بكر وعمر عند رسول الله ﷺ؟ فأشار بيده إلى القبر، ثم قال: بمنزلتهما منه الساعة!).

عفواً أبا حفص..

عفواً أيها العبقري المُلهَم..

(١) عمر بن الخطاب، لعبد الكريم الخطيب، ص ٢٦.

عفواً فاروق الإسلام . .

عفواً أمير المؤمنين . .

عفواً شهيد المحراب . .

لا نقول لك : وداعاً ، فما ودَّعْنَاك ولا قَلَيْناكَ ، بل ستبقى أنت وإخوانك وسيركم الطاهرة في قلوبنا ، ما بقيت فينا عين تطرف .

وإننا لن نبكي عليك . . . لأننا على يقين أن البكاء لا يرضيك ! وإنما سنُبقي من أنفسنا وأبنائنا وأفئدتنا وأوقاتنا وألسنتنا وأقلامنا جيوشاً لخدمتك ونشر فضائلك وتبيان الأعمال الماجدة التي قمتَ بها في دولتك العظيمة .

ونسأل الله تعالى في ذلك القبول ، وأن يجمعنا بك مع حبيبنا رسول الله ﷺ في عليين ، فإن المرء مع من أحب .

والحمد لله رب العالمين .

عبد الستار الشيخ

دبي : الثلاثاء ١٥ شعبان ١٤٣١ هـ

٢٧/ ٧/ ٢٠١٠ م

المراجع

١ ـ **أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ** ، د. إبراهيم علي شعوط ، المكتب الإسلامي ـ بيروت .

٢ ـ **أبو هريرة** ، عبد الستار الشيخ ، دار القلم ـ دمشق .

٣ ـ **الأحكام السلطانية** ، الماوردي ، دار الكتاب العربي ـ بيروت .

٤ ـ **أخبار عمر** ، علي الطنطاوي ، دار المنارة ـ جدة .

٥ ـ **أخبار القضاة** ، محمد بن خلف (وكيع) ، عالم الكتب ـ بيروت .

٦ ـ **الأدب الإسلامي في عهد النبوة وخلافة الراشدين** ، د. نايف معروف ، دار النفائس ـ بيروت .

٧ ـ **الأدب المفرد** ، الإمام البخاري ، طبعة الإمارات ، وطبعة دار القلم ـ دمشق .

٨ ـ **الاستيعاب في معرفة الأصحاب** ، ابن عبد البر ، طبع مع الإصابة ، دار الكتاب العربي ـ بيروت .

٩ ـ **أسد الغابة في معرفة الصحابة** ، ابن الأثير ، دار الفكر ـ بيروت .

١٠ ـ **الإصابة في تمييز الصحابة** ، ابن حجر ، دار الكتاب العربي ـ بيروت .

١١ ـ **أعلام الحفاظ والمحدثين** ، عبد الستار الشيخ ، دار القلم ـ دمشق .

١٢ ـ **إعلام الموقعين** ، ابن القيم ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ـ صيدا .

١٣ ـ **الإمامة والرد على الرافضة** ، أبو نعيم الأصبهاني ، مكتبة العلوم والحكم ـ المدينة المنورة .

١٤ ـ **الأموال** ، أبو عبيد القاسم بن سلام ، دار الكتب العلمية ـ بيروت .

١٥ ـ **الأموال** ، لابن زنجويه ، تحقيق شاكر ذيب فياض ، نشر مركز الملك فيصل للبحوث ـ الرياض .

١٦ ـ **الأنساب** ، الإمام السمعاني ، تحقيق عبد الرحمن المعلمي وآخرين ، نشر محمد أمين دمج ـ بيروت .

١٧ ـ **البداية والنهاية** ، ابن كثير ، مكتبة المعارف ـ بيروت .

١٨ ـ **بلدان الخلافة المشرقية** ، كي لسترنج ، مطبوعات المجمع العلمي العراقي ـ بغداد .

١٩ ـ **البيان والتبيين** ، الجاحظ ، الشركة اللبنانية للكتاب ـ بيروت .

٢٠ ـ **تاريخ الإسلام** ، الذهبي ، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي ـ بيروت .

٢١ ـ **التاريخ الأوسط** ، البخاري ، تحقيق محمد بن إبراهيم اللحيدان ، دار الصميعي ـ الرياض .

٢٢ ـ **تاريخ بغداد** ، الخطيب البغدادي ، دار الكتب العلمية ـ بيروت .

٢٣ ـ **تاريخ الخلفاء** ، السيوطي ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد .

٢٤ ـ **تاريخ الخلفاء الراشدين** ، د. محمد سهيل طقوش ، دار النفائس ـ بيروت .

٢٥ ـ **تاريخ خليفة بن خياط** ، تحقيق د. أكرم ضياء العمري ، دار طيبة ـ الرياض .

٢٦ ـ **تاريخ الطبري** ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ـ مصر .

٢٧ ـ **تاريخ القضاء في الإسلام** ، د. محمد الزحيلي ، دار الفكر ـ دمشق .

٢٨ ـ **التاريخ الكبير** ، البخاري ، تحقيق عبد الرحمن المعلمي ، دار الفكر ـ بيروت .

٢٩ ـ **تاريخ المدينة** ، عمر بن شبة ، تحقيق فهيم محمد شلتوت ، نشر السيد حبيب محمود أحمد ـ المدينة المنورة .

٣٠ ـ **تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي** ، المباركفوري ، دار الحديث ـ القاهرة .

٣١ ـ **تذكرة الحفاظ** ، الذهبي ، تحقيق عبد الرحمن المعلمي ، دار الباز ـ مكة المكرمة .

٣٢ ـ **تغليق التعليق** ، ابن حجر ، تحقيق سعيد عبد الرحمن القزقي ، المكتب الإسلامي ـ بيروت .

٣٣ ـ **تفسير القرآن العظيم** ، ابن كثير ، دار ابن كثير ـ دمشق .

٣٤ ـ **تكملة فتح الملهم بشرح صحيح مسلم** ، محمد تقي العثماني ، دار القلم ـ دمشق .

٣٥ ـ **تهذيب الأسماء واللغات** ، النووي ، دار الكتب العلمية ـ بيروت .

٣٦ ـ **تهذيب التهذيب** ، ابن حجر ، دار الفكر ـ بيروت .

٣٧ ـ **تهذيب الكمال** ، المزي ، تحقيق د. بشار عواد معروف ، مؤسسة الرسالة ـ بيروت .

٣٨ ـ **الثقات** ، ابن حبان ، تحقيق محمد عبد المعين خان ، دار الفكر ـ بيروت .

٣٩ ـ **جامع الأصول** ، ابن الأثير ، تحقيق عبد القادر الأرنؤوط ، دار الفكر ـ بيروت .

٤٠ ـ **جامع بيان العلم وفضله** ، ابن عبد البر ، دار الفكر ـ بيروت .

٤١ ـ **الجامع الصحيح** ، البخاري ، الطبعة السلطانية عن النسخة اليونينية ، دار الجيل ـ بيروت . وطبعات أخرى .

٤٢ ـ **الجامع لأحكام القرآن** ، القرطبي ، تحقيق عبد الرزاق المهدي ، مكتبة الرشد ـ الرياض .

٤٣ ـ **جمهرة أنساب العرب** ، ابن حزم ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار الكتب العلمية ـ بيروت .

٤٤ ـ **الحسبة في الماضي والحاضر** ، د. علي بن حسن القرني ، مكتبة الرشد ـ الرياض .

٤٥ ـ **حلية الأولياء** ، أبو نعيم الأصبهاني ، دار الكتاب العربي ـ بيروت .

٤٦ ـ **حياة رجالات الإسلام** ، محمد الصادق عرجون ، دار القلم ـ دمشق .

٤٧ ـ **حياة الصحابة** ، محمد يوسف الكاندهلوي ، تحقيق نايف العباس ومحمد علي دولة ، دار القلم ـ دمشق .

٤٨ ـ **الخراج** ، أبو يوسف ، المطبعة السلفية ـ القاهرة .

٤٩ ـ **الخلفاء الراشدون** ، عبد الستار الشيخ ، دار القلم ـ دمشق .

٥٠ ـ **الخلفاء الراشدون** ، عبد الوهاب النجار ، دار الأرقم ـ بيروت .

٥١ ـ **خلفاء الرسول** ، خالد محمد خالد ، دا رالكتاب العربي ـ بيروت .

٥٢ ـ **دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية** ، د. حسان حلاق ، دار النهضة العربية ـ بيروت .

٥٣ ـ **دواعي الفتوحات الإسلامية** ، د. جميل عبد الله المصري ، دار القلم ـ دمشق .

٥٤ ـ **ديوان حافظ إبراهيم** ، تحقيق أحمد أمين وزميليه ، دار الجيل ـ بيروت .

٥٥ ـ **الرقة والبكاء** ، ابن أبي الدنيا ، تحقيق محمد خير يوسف رمضان ، دار ابن حزم ـ بيروت .

٥٦ ـ **الرياض النضرة** ، المحب الطبري ، دار الكتب العلمية ـ بيروت .

٥٧ ـ **الزهد** ، أحمد بن حنبل ، تحقيق حامد أحمد البسيوني ، دار الحديث ـ القاهرة .

٥٨ ـ **الزيادة والإحسان في علوم القرآن** ، ابن عقيلة المكي ، الإمارات ـ جامعة الشارقة .

٥٩ ـ **سبل الهدى والرشاد** ، محمد بن يوسف الصالحي الشامي ، لجنة إحياء التراث الإسلامي ـ القاهرة .

٦٠ ـ **سلسلة الأحاديث الصحيحة** ، محمد ناصر الدين الألباني ، مكتبة المعارف ـ الرياض .

٦١ ـ **سلسلة الأحاديث الضعيفة** ، محمد ناصر الدين الألباني ، مكتبة المعارف ـ الرياض .

٦٢ ـ **السنة** ، لابن أبي عاصم ، تحقيق وتخريج الألباني ، المكتب الإسلامي ـ بيروت .

٦٣ ـ **السنن الأربعة** ، للأئمة أبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه .

٦٤ ـ **سنن أبي داود** ، تحقيق شعيب الأرنؤوط ، الرسالة العالمية ـ دمشق ، بيروت .

٦٥ ـ **سنن الترمذي** ، تحقيق شعيب الأرنؤوط ، الرسالة العالمية ـ دمشق ، بيروت .

٦٦ ـ **سنن الدارقطني** ، تحقيق شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ـ بيروت .

٦٧ ـ **سنن الدارمي** ، تحقيق فواز أحمد زمرلي وخالد السبع العلمي ، دار الكتاب العربي ـ بيروت .

٦٨ ـ **السنن الكبرى** ، البيهقي ، وبذيله الجوهر النقي ، دار المعرفة ـ بيروت .

٦٩ ـ **السنن الكبرى** ، النسائي ، تحقيق حسن عبد المنعم شلبي ، مؤسسة الرسالة ـ بيروت .

٧٠ ـ **السياسة الشرعية** ، ابن تيمية ، المكتبة العصرية ـ صيدا ، بيروت .

٧١ ـ **سير أعلام النبلاء** ، الذهبي ، تحقيق جماعة من أهل العلم ، مؤسسة الرسالة ـ بيروت .

٧٢ ـ **السيرة النبوية** ، ابن هشام ، تحقيق مصطفى السقا وزميليه ، مؤسسة علوم القرآن ـ دمشق .
٧٣ ـ **السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة** ، د. محمد بن محمد أبو شهبة ، دار القلم ـ دمشق .
٧٤ ـ **شرح الزرقاني على موطأ مالك** ، الإمارات ـ وزارة الأوقاف .
٧٥ ـ **شرح السنة** ، البغوي ، تحقيق شعيب الأرنؤوط وزهير الشاويش ، المكتب الإسلامي ـ بيروت .
٧٦ ـ **شرح صحيح مسلم** ، النووي ، دار أبي حيان ـ القاهرة .
٧٧ ـ **شرح العقيدة الطحاوية** ، ابن أبي العز الدمشقي ، تحقيق شعيب الأرنؤوط ، دار عالم الكتب ـ الرياض .
٧٨ ـ **شرح مشكل الآثار** ، الطحاوي ، تحقيق شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ـ بيروت .
٧٩ ـ **صحاح السنن الأربعة** ، محمد ناصر الدين الألباني ، مكتب التربية العربي لدول الخليج ـ الرياض .
٨٠ ـ **صحيح الجامع الصغير** ، الألباني ، المكتب الإسلامي ـ بيروت .
٨١ ـ **صحيح ابن حبان** ، تحقيق شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ـ بيروت .
٨٢ ـ **صحيح مسلم** ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت .
٨٣ ـ **صفة الصفوة** ، ابن الجوزي ، تحقيق محمود فاخوري ، دار المعرفة ـ بيروت .

٨٤ ـ **صورتان متضادتان** ، أبو الحسن الندوي ، دار البشير ـ جدة .

٨٥ ـ **صور وعبر من الجهاد النبوي في المدينة** ، د. محمد فوزي فيض الله ، دار القلم ـ دمشق .

٨٦ ـ **ضعيف الجامع الصغير** ، الألباني ، المكتب الإسلامي ـ بيروت .

٨٧ ـ **طبقات الفقهاء** ، أبو إسحاق الشيرازي ، دار القلم ـ بيروت .

٨٨ ـ **الطبقات الكبرى** ، ابن سعد ، دار الفكر ـ بيروت .

٨٩ ـ **العبر في خبر من عبر** ، الذهبي ، دار الكتب العلمية ـ بيروت .

٩٠ ـ **عبقرية عمر** ، عباس محمود العقاد ، المكتبة العصرية ـ صيدا ، بيروت .

٩١ ـ **العشرة المبشرون بالجنة** ، عبد الستار الشيخ ، دار القلم ـ دمشق .

٩٢ ـ **عصر الخلافة الراشدة** ، د. أكرم ضياء العمري ، العبيكان ـ الرياض .

٩٣ ـ **عمر بن الخطاب** ، عبد الكريم الخطيب ، دار الفكر العربي .

٩٤ ـ **عمر بن الخطاب** ، د. علي محمد الصلابي ، دار ابن كثير ـ دمشق .

٩٥ ـ **العواصم من القواصم** ، ابن العربي ، تحقيق محب الدين الخطيب ، دار الجيل ـ بيروت .

٩٦ ـ **عون المعبود شرح سنن أبي داود** ، شمس الحق العظيم آبادي ، دار الحديث ـ القاهرة .

٩٧ ـ **غاية النهاية في طبقات القراء** ، ابن الجزري ، تحقيق ج برجستراسر ، دار الكتب العلمية ـ بيروت .

٩٨ ـ **الفاروق عمر** ، د. محمد حسين هيكل ، المكتبة العصرية ـ صيدا ، بيروت .

٩٩ ـ **فتح الباري** ، ابن حجر ، دار أبي حيان ـ القاهرة .

١٠٠ ـ **فتح الملهم بشرح صحيح مسلم** ، شبير أحمد العثماني ، دار القلم ـ دمشق .

١٠١ ـ **فتوح البلدان** ، البلاذري ، المكتبة العصرية ـ صيدا ، بيروت .

١٠٢ ـ **فتوح الشام** ، الأزدي ، بعناية عبد المنعم عامر ، مؤسسة سجل العرب ـ القاهرة .

١٠٣ ـ **فتوح الشام** ، الواقدي ، دار الكتب العلمية ـ بيروت .

١٠٤ ـ **فصل الخطاب في مواقف الأصحاب** ، محمد صالح الغرسي ، دار القلم ـ دمشق .

١٠٥ ـ **فضائل القرآن** ، ابن كثير ، دار الأندلس ـ بيروت .

١٠٦ ـ **قادة فتح (بلاد فارس ، الشام ومصر ، العراق والجزيرة)** ، محمود شيت خطاب ، دار الفكر ـ بيروت .

١٠٧ ـ **قواعد في علوم الحديث** ، ظفر أحمد العثماني التهانوي ، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة ، مكتب المطبوعات الإسلامية ـ حلب .

١٠٨ ـ **الكامل في التاريخ** ، ابن الأثير ، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت .

١٠٩ ـ **الكامل في ضعفاء الرجال** ، ابن عدي ، دار الفكر ـ بيروت .

١١٠ ـ **كشف الخفاء ومزيل الإلباس** ، إسماعيل العجلوني ، مؤسسة الرسالة ـ بيروت .

١١١ ـ **لسان العرب** ، ابن منظور ، دار صادر ـ بيروت .

١١٢ ـ **لله ثم للتاريخ** ، السيد حسين الموسوي ، دار اليقين .

١١٣ ـ **ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين** ، أبو الحسن الندوي ، الدار الشامية ـ بيروت .

١١٤ ـ **مجمع الزوائد** ، الهيثمي ، باعتناء حسام الدين القدسي ، دار الكتب العلمية ـ بيروت .

١١٥ ـ **مجموع الفتاوى** ، ابن تيمية ، جمع وترتيب ابن القاسم ـ السعودية .

١١٦ ـ **مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة** ، محمد حميد الله ، دار النفائس ـ بيروت .

١١٧ ـ **محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية** ، محمد الخضري ، دار المعرفة ـ بيروت .

١١٨ ـ **محض الصواب في فضائل عمر بن الخطاب** ، يوسف ابن عبد الهادي ، تحقيق د . عبد العزيز بن محمد الفريح ، أضواء السلف ـ الرياض .

١١٩ ـ **محمد رسول الله ﷺ** ، محمد الصادق عرجون ، دار القلم ـ دمشق .

١٢٠ ـ **مختصر تاريخ عساكر** ، ابن منظور ، دار الفكر ـ دمشق .

١٢١ ـ **المستدرك** ، وتلخيصه ، الحاكم والذهبي ، دار الكتاب العربي ـ بيروت .

١٢٢ ـ **مسند أحمد** ، عدة طبعات : بتحقيق أحمد شاكر ، وبتحقيق شعيب الأرنؤوط ، وغيرهما .

١٢٣ ـ **مسند الحميدي** ، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي ، عالم الكتب ـ بيروت .

١٢٤ ـ **مسند الطيالسي** ، دار المعرفة ـ بيروت .

١٢٥ ـ **المصاحف** ، ابن أبي داود ، تحقيق د. محب الدين واعظ ، وزارة الأوقاف ـ قطر .

١٢٦ ـ **مصنف ابن أبي شيبة** ، باعتناء سعيد محمد اللحام ، دار الفكر ـ بيروت .

١٢٧ ـ **مصنف عبد الرزاق** ، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي ، المكتب الإسلامي ـ بيروت .

١٢٨ ـ **المصنوع في معرفة الحديث الموضوع** ، علي القاري ، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة ، مكتب المطبوعات الإسلامية ـ حلب .

١٢٩ ـ **المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية** ، ابن حجر ، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي ، دار المعرفة ـ بيروت .

١٣٠ ـ **المعارف** ، ابن قتيبة ، تحقيق د. ثروت عكاشة ، دار المعارف ـ مصر .

١٣١ ـ **المعالم الأثيرة في السنة والسيرة** ، محمد محمد حسن شراب ، دار القلم ـ دمشق .

١٣٢ ـ **مع الله** ، محمد الغزالي ، دار القلم ـ دمشق .

١٣٣ ـ **معجم البلدان** ، ياقوت الحموي ، دار الفكر ـ بيروت .

١٣٤ ـ **المعرب**، أبو منصور الجواليقي ، تحقيق . د . ف . عبد الرحيم ، دار القلم ـ دمشق .

١٣٥ ـ **المعرفة والتاريخ** ، الفسوي ، تحقيق د. أكرم ضياء العمري ، مكتبة الدار ـ المدينة المنورة .

١٣٦ ـ **مغازي الواقدي** ، تحقيق د. مارسون جونس ، عالم الكتب ـ بيروت .

١٣٧ ـ **المقاصد الحسنة** ، السخاوي ، تحقيق محمد عثمان الخشت ، دار الكتاب العربي ـ بيروت .

١٣٨ ـ **مناقب عمر بن الخطاب** ، ابن الجوزي ، دار الكتب العلمية ـ بيروت .

١٣٩ ـ **المنتظم** ، ابن الجوزي ، تحقيق محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ـ بيروت .

١٤٠ ـ **من قضايا الفكر الإسلامي المعاصر** ، محمد قطب ، دار الشروق ـ القاهرة .

١٤١ ـ **منهاج السنة النبوية** ، ابن تيمية ، تحقيق د. محمد رشاد سالم ، دار الفضيلة ـ الرياض .

١٤٢ ـ **موافقات عمر بن الخطاب** ، ثلاث رسائل لثلاثة علماء ، تحقيق عبد الجواد حمام ، دار النوادر ـ دمشق .

١٤٣ ـ **موطأ مالك** ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت .

١٤٤ ـ **ميزان الاعتدال** ، الذهبي ، تحقيق علي محمد البجاوي ، دار المعرفة ـ بيروت .

١٤٥ ـ **نبوءات الرسول ﷺ** ، عبد الستار الشيخ ، دار القلم ـ دمشق .

١٤٦ ـ **النجوم الزاهرة** ، ابن تغري بردي ، علق عليه محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية ـ بيروت .

١٤٧ ـ **نسب قريش** ، مصعب الزبيري ، تحقيق ليفي بروفنسال ، مكتبة ابن تيمية ـ القاهرة .

١٤٨ ـ **نظام الإسلام ـ الحكم والدولة** ، محمد المبارك ، دار الفكر ـ دمشق .

١٤٩ ـ **النهاية في غريب الحديث** ، ابن الأثير ، تحقيق طاهر الزاوي ومحمود الطناحي ، المكتبة العلمية ـ بيروت .

١٥٠ ـ **ولاة مصر** ، محمد بن يوسف الكندي ، تحقيق د. حسين نصار ، دار صادر ـ بيروت .

١٥١ ـ **الولاية على البلدان في عصر الخلفاء الراشدين** ، د. عبد العزيز إبراهيم العمري ، دار إشبيليا ـ الرياض .

وغير ذلك كثير من كتب الحديث وشروحه ومصطلحه ، والرجال ، والتفسير ، والتاريخ ، والأدب ، ومعاجم اللغة .

* * *



الفهرس

الباب الأول

أخباره عمر الشخصية وأسرته وحياته قبل إسلامه

الباب الثاني

من الإسلام حتى الهجرة

الباب الثالث

الفاروق في مدرسة النبوة بالمدينة المنورة

الباب الرابع

علم الفاروق وعبادته وأخلاقه ومكونات شخصيته

الباب الخامس

فضائل الفاروق ومكانته

الباب السادس

مع أبي بكر الصديق وعلي وآل البيت

الباب السابع

دولة الخلافة، أسسها وأركانها ومؤسساتها وسياسة عمر فيها

الباب الثامن

الفتوحات، أسسها ومعالمها وموجز أحداثها

الباب التاسع

اتساع دولة الإسلام ونبذة عن ولاتها وولاياتها

الباب العاشر
مع الفاروق في أيامه الأخيرة

* * *